

جموع الذهب

المجلد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَكَيْفَ يَشْرَفُ قَلْبُ صَوَّارٍ لَوْلَا أَنْ يَنْطَبِقَ نَظْرُ رَأْيِهِ أَكَيْفَ يَرُحِّلُ وَهُوَ
كَجَلِّ بِشَرِّهِ رَأْيَهُ أَكَيْفَ يُلْجِعُ أَنْ يَدْخُلَ فَضْلُهُ الرَّبِّ أَكَيْفَ يَرْجُوا
أَنْ يَفْهَمُوا مَا تُعَدُّ الْأَصْرَارُ ۝ رَسِيدِي مُحَمَّدٌ بْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ الْكَتَبَانِ

—

عَبْرُونُ الْإِسْبَارِ

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيِّ

المُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٦ هـ

المجلد الأول

كتاب السلطان — كتاب الحرب — كتاب السُّؤْد



المكتبة العامة للكتاب

فهرس

المجلد الأول من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

صفحة

٩ مقدمة المؤلف

الجزء الأول - كتاب السلطان

١ محل السلطان وسيرته وسياسته

١٤ اختيار العال

١٩ باب محبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتوثه

٣٧ المشاورة والرأى

٣٤ الإصابة بالظن والرأى

٣٧ اتباع الموى

٣٨ السر وكنائه وإعلانه

٤٢ الكتاب والكتابة

٥٢ خيانات العال

٦٠ القضاء

فهرس المجلد الأول

صفحة	
٦٨	في الشهادات
٧٢	باب الأحكام
٧٤	الظلم
٧٩	قولهم في الحبس
٨٢	المجانب
٩٢	التلطف في مخاطبة السلطان وإلقاء النصيحة إليه
٩٢	الحفوت في طاعته
٩٣	التلطف في مدحه
٩٨	التلطف في مسئلة العفو

الجزء الثاني - كآب الحرب

١٠٧	آداب الحرب ومكايدها
١٢٢	الأوقات التي تختار للسفر والحرب
١٢٣	الدعاء عند اللقاء
١٢٤	الصبر وحض الناس يوم اللقاء عليه
١٢٧	ذكر الحرب
١٢٨	في العدة والسلاح
١٣٢	آداب الفروسة
١٣٤	المسير في النزول والسفر

صفحة	
١٤٢	التفويض
١٤٤	في الطيرة والقال
١٥١	مذاهب العجم في العيافة والاستدلال بها
١٥٣	باب في الخليل
١٦٠	باب البغال والحمر
١٦١	باب في الإبل
١٦٣	أخبار الجبناء
١٧٢	باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم
١٩٤	باب الحيل في الحروب وغيرها
٢٠٤	باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين
٢١٣	ذكر الأمصار

الجزء الثالث - كتاب السؤدد

٢٢٣	مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء
٢٢٧	الكمال والتأهي في السؤدد
٢٢٩	السيادة والكمال في الحداثة
٢٣١	الهمة والخطار بالنفس
٢٣٩	الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب
٢٤٦	ذم الغنى ومدح الفقر

فهرس المجالد الأول

صفحة

٢٤٩	التجارة والبيع والشراء
٢٥٤	الدين
٢٥٨	اختلاف الهمم والشهوات والأمانى
٢٦٤	التواضع
٢٦٩	باب الكبر والعجب
٢٧٥	باب مدح الرجل نفسه وغيره
٢٧٦	قول المدح عند المدحة
٢٧٨	باب الحياء
٢٧٩	باب العقل
٢٨٢	باب الحلم والنضب
٢٩١	باب العز والذل والمية
٢٩٥	باب المروءة
٢٩٦	باب اللباس
٣٠٢	التختم
٣٠٣	باب الطيب
٣٠٥	باب المجالس والجلساء والمحادثة
٣٠٩	باب الضلاء
٣١١	باب البناء والمنازل

صفحة	
٣١٥	باب المزاح والرخص فيه
٣٢٥	التوسط فى الأشياء وما يكره من التقصير فيها والغلو (باب التوسط فى الدين)
٣٢٨	باب التوسط فى المنارة والحلم
٣٢٩	باب التوسط فى العقل والرأى
٣٣٠	باب ذم فضل الأدب والقول
٣٣١	باب التوسط فى الحدة
٣٣١	باب الاقتصاد فى الإتمام والإعطاء
٣٣٢	أفعال من أفعال السادة والأشراف

السُّبْحُ الْحَلِيقِي

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

- قال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رضي الله عنه : الحمد لله الذي يُعْجِزُ بِلَاؤِهِ صِفَةَ الْوَاصِفِينَ وَتَفُوتُ الْآلَاءُ عِدَدَ الْعَادِّينَ وَتَسِعُ رَحْمَتُهُ ذُنُوبَ الْمُسْرِفِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُحْجَبُ عَنْهُ دَعْوَةٌ وَلَا تُخَيَّبُ لَهُدِيهِ طَلِبَةٌ وَلَا يَضِلُّ عَنْهُ سَمْعٌ ، الَّذِي رَضِيَ عَنْ عَظِيمِ النِّعَمِ بِقَلِيلِ الشُّكْرِ وَغَفَرَ بَعْدَ النِّعَمِ كَبِيرَ الذُّنُوبِ وَمَحَا بِتَوْبَةِ السَّاعَةِ خَطَايَا السِّنِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَتَمَّتْ فِيْنَا الْبَشِيرَ النَّذِيرَ السَّرَاحَ الْمُنِيرَ هَادِيَا إِلَى رِضَاهِ وَدَاعِيَا إِلَى مَحَابَّتِهِ وَدَالًّا عَلَى سَبِيلِ جَنَّتِهِ فَفَتَحَ لَنَا بَابَ رَحْمَتِهِ وَأَغْلَقَ عَنَّا بَابَ مَخْطِئِهِ . صَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ الْمُقَرَّبُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَبَدًا مَا طَلَمَا يَجْرِي وَذُرَّ شَارِقٌ وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ .

- ١٠ أما بعد: فإنَّ الله في كلِّ نعمة أنعم بها حقًا وعلى كلِّ بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال الصدقة ، وزكاة الشرف التواضع ، وزكاة الجاه بذله ، وزكاة العلم نشره ، وخير العلوم أنفعها ، وأنفعها أحملها مَنَافَةً ، وأحمدها مَنَافَةً ما تَعْلَمُ وعِلْمٌ لله وأريد به وجه الله تعالى . ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين وولوجه الكريم بما نستفيد ونفيد مريدين ولحسن بلائه عندنا عارفين وبشكره آثاء الليل والنهار هارقين إنه أقرب المدعوين وأجود المستولين .

- ١٥ وإن كنت تكلفت لمُفْعِلِ التَّأْدِبِ مِنَ الْكُتَّابِ كِتَابًا فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي تَقْوِيمِ اللِّسَانِ وَالْيَدِ حِينَ تَبَيَّنَتْ شُغُولُ النَّقْصِ وَدُرُوسُ الْعِلْمِ وَشَغْلُ السُّلْطَانِ عَنْ إِقَامَةِ سُوقِ الْأَدَبِ

(١) في النسخة الفوتوغرافية : «محاية» .

حتى عفا ودرّس، بلغت به فيه همة النفس وتلجّ الفؤاد وقيدت عليه به ما أظرفني إليه^(١) يوم الإمامة، وشرطت عليه مع تلمّ ذلك تحفظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطورهِ مثلاً إذا كاتب، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور. ولما تقلبت له القيام ببعض آله دعني المهمة إلى كفايته وخشيت إن وكلّته فيما يقى إلى نفسه وعوّلت له على اختياره أن تستمرّ مريته على التهاون ويستولى مركبه من المعجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأول، أو يزاول ذلك بضعف من النية وكلال من الحذر فيلحظه خور الطباع ومساءة الكلفة. فأكلت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست وعملت له في ذلك عمل من طلب لمن حبّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بما جل الشكر وعوّلت على الله في الجزاء والأجر.

فإن هذا الكتاب، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دالٌّ على معالي الأمور ومرشد لكرم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناهٍ عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفع السياسة وعمارة الأرض وليس الطريق إلى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا في تهجد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير.

وهذه عيون الأخبار نظمها لفعل التأديب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسائس الناس ومسوسهم مؤدبا وللولاك مستراحا [من كد الحذر والتعب^(٢)] وصنفتها أبوابا وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلية باختبار يسهّل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها

(١) في النسخة الألمانية: «ما أضل من الآلة يوم الإمامة».

(٢) في النسخة الفوتوغرافية: «الظفر» (٣) زيادة في النسخة الألمانية.

- وعلى الناشد طلبها ، وهى لَفَاح عقول العلماء وتَنَاجِج^(١) أفكار الحكماء وزبدة المختص
وَحِلْيَةُ الأدب وأثمار طول النظر والمتخير من كلام البلغاء وَفِطْنُ الشعراء وسير الملوك
وآثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها
وتقومها بِثقافتها وتخلصها من مساوئ الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خَبثها ،
وَتَرُوضُها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمه وأدب كريم وخلق عظيم ،
وتصل بها كلامك إذا حاورت وبلاغتك إذا كتبت ، وتستنجع بها حاجتك إذا
سالت ، وتلطّف فى القول إن شغفت ، وتخرج من اللوم بأحسن العذر إذا اعتذرت ،
فإن الكلام مصاديد القلوب والسحر الحلال ، وتستعمل آدابها فى صحبة سلاطانك
وتسديد ولايته ورفق سياسته وتبدير حروبه ، وتعمّر بها مجلك إذا جدت
أوهرك وتوخّج بأمثالها حبيبك وتبذّر باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق فى أحسن
صورة وتبلغ الإرادة بأخف مَسْنُونَةٍ ، وتستولى على الأمد وأنت وادع [وتلحق الطريدة^(٢)
ثانيا من عَنَانِكَ وتمشى رويدا وتكون أولا] هذا إذا كانت التمرّيزة مُؤَاتِيَةً والطبيعة
قابلة والحسن مقادا ، فإن لم يكن كذلك ففى هذا الكتاب . لمن أراه عقله نقص
نفسه فأحسن سياستها وستر بالآفة والروية عيها ووضع من دواء هذا الكتاب على
داء غريزته وسقاها بمائه وقدهح فيها بضياته ، ما نَعَشَ منها العليل وشحذ الكليل
وبعث الومئان وأيقظ الهاجع حتى يُقَارِبَ بعون الله رَبَّ المطبوعين .

- ولم أر صوابا أن يكون كتابي هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على
خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سُوقَتِهِمْ ، فوقيت كل فريق منهم
قِسْمَهُ وقررت عليه سهمه وأودعته طُرُفًا من محاسن كلام الزهاد فى الدنيا وذكر
بِحُفَاتِهَا والازوال والانتقال وما يتلاقون به إذا اجتمعوا ويتكلمون به إذا افتقروا ،

(١) فى النسخة التتوغرافية : «وتناجج» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادقا ،
ويأطر على التوبة متجانفا ، ويردع ظلما ، ويلين برفاقه قسوة القلوب . ولم أخله مع
ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة منجية وأخرى مضحكة للتلا يخرج عن
الكلب منهج سلك السالكين وعروض أخذ فيها القائلون ، ولأروج بذلك عن
القارئ من كد الجَدِّ^(١) وأتعاب الخلق ، فإن الأذن مجاجة وللنفس حمصة^(٢) ، والمزج إذا كان
حقا أو مقاربا ولأساينه وأوقاته وأسباب أوجبه [مشاكلا] ليس من الصيغ ولا
من المنكرولا من الكثر ولا من الصغار إن شاء الله .

وسيتجى بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والضحكة وما روى عن الأشراف والأئمة
فيها ، فلذا مر بك أيها المترجم حيث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تبصرك
له فأعرف المنهج فيه وما أردنا به .

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِن كُنْتَ مُسْتَفْنِيَا عَنْهُ بِنَسْكَكَ فَإِنْ غَيْرَكَ مِنْ يَتَرَخَّصُ فِيهَا تَشَدَّدْتَ
فِيهِ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ الْكَتَابُ لَمْ يُعْمَلْ لَكَ دُونَ غَيْرِكَ فِيمَا عَلَى ظَاهِرِ مُحِبَّتِكَ ،
وَلَوْ وَقَعَ فِيهِ تَوَقُّقُ الْمُتَرَتِّينَ لَنَعِبَ شَطْرُ بَهَائِهِ وَشَطْرُ مَائِهِ وَلَأَعْرَضَ عَنْهُ مَنْ أَحْبَبَنَا
أَنْ يُجِبَلَ إِلَيْهِ مَعَكَ .

وَأَمَّا مِثْلُ هَذَا الْكِتَابِ مِثْلُ الْمَائِدَةِ فَيُخْتَلَفُ فِيهَا مَذَاقَاتُ الطُّعْمِ لِاخْتِلَافِ
شَهَوَاتِ الْآكِلِينَ ، وَإِذَا مَرَّ بِكَ حَلِيبٌ فِيهِ إِفْصَاحٌ بِذِكْرِ عَوْرَةٍ أَوْ فَرْجٍ أَوْ وَصْفِ
فَاحِشَةٍ فَلَا يَحِلُّكَ الْخُشُوعُ أَوْ التَّجَافُعُ عَلَى أَنْ تُصَغَّرَ خَلْقُكَ وَتُعْرَضَ بِوُجْهِكَ فَإِنْ
أَسْمَاءُ الْأَعْضَاءِ لَا تَوْثِقُ وَإِنَّمَا الْمَأْتَمُّ فِي شَتَمِ الْأَعْرَاضِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَالْكَذِبِ وَأَكْلِ
لَحْمِ النَّاسِ بِالْغَيْبِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ

(١) في النسخة الفهرغرافية «الجهد» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فَأَعْضُوهُ بَيْنَ أَيْبِهِ وَلَا تَكُونُوا». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لُبْدِيلَ بْنِ وَرْقَاءَ،
— حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ هَؤُلَاءَ لَوْ قَدَّمْتَهُمْ خِرَ السَّالِحِ لِأَسْلَمُوكَ —:
«أَعْضَضَ يَنْظُرُ اللَّاتِ، أُنْعِنُ نُسْلُهُ!» . وقال علي بن أبي طالب صلوات
الله عليه: «مَنْ يَطْلُ أُرَائِيهِ يَنْتَقِطُ بِهِ» . وقال الشاعر في هذا المعنى بعينه

- فلو شاء ربي كان أربابكم • طويلا كأرباب الحارث بن سُدُوس
- قال الأصمعي: كان الحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكرا، وقيل للشعبي: إن
هذا لا يبيح في القياس، قال: أُرِي في القياس، الولد ذكرٌ. وليس هذا من شكل
ما تراه في شعر جرير والفرزدق لأن ذلك تعبير وأَبْتَهَارُ في الأخوات والأهملات وقُنْفُ
للحصنات الغافلات، ففهم الأمرين وأفرق بين الجنسَيْن، ولم أترخص لك في إرسال
اللسان بالرق على أن يجعله هَيْبَرًا لك على كل حال وديدك في كل مقال، بل الترخص
مَنِي فِيهِ عند حكاية تحكيها أو رواية ترويهَا، تنقصها الكفاية ويذهب بجلاوتها
التعريض، وأحببت أن تجرى في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال
النفس على السجدة والرياء والتصنع. ولا تستشعروا أن القوم قارفوا
وتزهدوا وتلموا أدبانهم وتوزعت. وكذلك نحن إن مررنا بك في حديث من النوادر
فلا يذهبن عليك أنا نعمته وأردنا منك أن تتعمده لأن الإعراب ربما سلب بعض
الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها، وسأمثل لك مثالا: قيل لمزيد المدني—وقد
أكل طعاما كَسَطَهُ: — في فقال: مَا أَقَى، أَقَى تَقَا وَلَمْ يَجِدْ! مررت طالق لو وجدت
(١) هكذا بالأصل ولسان الرب مرزا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وورد في جمع الأمثال اليداني
«مَنْ يَطْلُ مَنْ أَيْبِهِ يَنْتَقِطُ بِهِ» . (٢) في النسخة الألمانية «وديدك» .
- (٣) ورد في النسخة المطبوعة بالمانيا هكذا (لزيد) وكذلك ورد في الأغاني ج ١٣ ص ١١٧ من
غير ضبط وورد في كتاب البغلاء الجاسط المطبوع بأوروبا ص ٩ هكذا (مزيد). وورد في الأصل
التعريف الذي بين أيدينا هكذا (لزيد). وفي تاج المروس في مادة (زيد): ومزيد كعدت اسم رجل
صاحب النوادر وضبط كظم ووجد بخط الشعبي ما كن الزاى مكسور الموصفة .

هَذَا قَبْلَ لَا كَتَبَهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ هَذِهِ الْأَقْفَاطُ لَوْ وَقِفْتَ بِالْإِعْرَابِ وَالْمَعْرِ حَقُوقَهَا
لَنَهَبْتَ غَلَّادِيَهَا وَلَا سَتَبَشَعَهَا سَامِعُهَا وَكَانَ أَحْسَنَ أَحْوَالِهَا أَنْ يَكْفَى لَطْفَ مَعْنَاهَا
تَمَلَّ الْأَقْفَاطُ فَيَكُونُ مِثْلَ الْخَبَرِ عَنْهَا مَا قَالِ الْأَوَّلُ

أَضْرَبَ نَدَى طَلْعَةِ الْخَبَرَاتِ إِنْ غَفَرُوا * يَجْثُلُ أَشْمَتٌ وَاسْتَنْثِيَتْ وَكُنْ حَكَا
تَخْرُجُ نَزَاعَةٌ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ * فَلَا تَمُدَّ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا
وَلَيْتَ هَذَا قَالِ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ فِي جَارِيَةٍ لَهُ

أَمْنَعْلَى مَنَى عَلَى بَصْرَى لِلشَّحْبِ أَمْ أَنْتِ أَكَلِ النَّاسِ حَسَا
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا * يَشْتَبِي النَّاعَتُونَ يُوَزِّنُ وَزْنَا
مَنْطِقٌ بَارِعٌ وَتَلَحَّنَ أَحْيَا * نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا^(١)

وَإِنْ مَرَّ بِكَ خَيْرٌ أَوْ شَعَرَ يَضَعُ عَنْ قَدَرِ الْكَلْبِ وَمَا بُنِيَ عَلَيْهِ فَاعْلَمْ أَنَّ لَذَلِكَ
سَبِيلِينَ : أَحَدُهُمَا قَلِيلٌ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَالسَّبِيلُ الْآخَرُ أَنَّ
الْحَسَنَ إِنَّا وَصَلُ بَمِثْلِهِ نَقْصُ نُورَاهُمَا وَلَمْ يَتَيَّنْ فَاضِلٌ بِمَفْضُولٍ . وَإِذَا وَصِلَ بِمَا هُوَ
دُونَهُ أَرَاكَ قَصَبًا أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ الرَّحْمَانُ ، وَمِدَارُ الْأَمْرِ وَقَوَامُهُ عَلَى وَاحِدَةٍ
تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَأْخُذَ نَفْسُكَ بِهَا وَهِيَ أَنْ تُخَفِّضَ الْكَلِمَةَ مَوْضِعَهَا وَتَصِلَهَا بِسَبِيلِهَا
وَلَا تَرَى غَيْبًا أَنَّ يَتَكَلَّمُ النَّاسُ وَأَنْتَ مَمْسُوكٌ ، فَإِذَا رَأَيْتَ حَالًا مُسَاكِلَ مَا حَضَرَكَ
مِنَ الْقَوْلِ أَحْضَرْتَهُ وَفُرْصَةً تَخَافُ فَوْتَهَا اتَهَرَّتْهَا ، وَكَانَ يُقَالُ : اتَهَرَّوْا فُرْصَ الْقَوْلِ فَإِنْ
لِلْقَوْلِ سَاعَاتٌ يَضُرُّ فِيهَا الْخَطَأُ وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ ، وَقَالُوا : رَبِّ كَلِمَةٍ يَقُولُ : دَعْنِي .

(١) قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ : يُرِيدُ أَنَّهَا تُحْصَى فِي حَدِيثِهَا فَتُرِيدُ عَنْ جِهَتِهِ لَهَا فِيهِمُ الْخَاضِرُونَ ، ثُمَّ قَالَ
« وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا » أَيُّ خَيْرِ الْحَدِيثِ مَا فِيهِ مَحَابِكُ الَّذِي يُحِبُّ إِلَهَامَهُ وَحَدَهُ وَغْنَى عَلَى غَيْرِهِ إِه
تَقْلَانِ عَنْ أَمَالِ الْقَالِ . وَقِيلَ تَلَحَّنَ أَحْيَا أَيُّ تَخَطَّى فِي الْإِعْرَابِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَسْتَلِجُ مِنَ الْجَوَارِي ذَلِكَ إِذَا
كَانَ خَفِيفًا وَيَسْتَقْتَلُ مِنْهُ لُزْمَ حَاقِ الْإِعْرَابِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى الْآخِرُ أُرِيدَ مَا حَبَّ الْبَلَّاسُ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ
يَأْتِلُ مِنْهُ . وَلَهُ عَنِ الْخَلْفِ فِي الْمَصْرَاعِ الْأَوَّلِ الْخَطَأُ فِي الْإِعْرَابِ تَبَاهُنَ فِي الْمَصْرَاعِ الثَّانِي الْمَعْنَى الَّذِي
ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ دُرَيْدٍ أَرَاهُنَّ بِمَعْنَى التَّوَقُّعِ . (٢) فِي النِّسْخَةِ الْفَوْغَرَفَانِيَّةِ : « وَتَوَارَاهَا » .

- وإن وقفت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مُشعباً فلا تفض علينا بالإغفال حتى تتصفح الكتب كلها، فإنه ربّ معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيه على مواضعه، كاللطف في القول يقع في كتاب السلطان ويقع في كتاب الحوائج ويقع في باب البيان، وكالاعتذار يقع في كتاب السلطان وفي كتاب الإخوان، وكالبخل يقع في كتاب الطبايع وفي كتاب العظم، وكالكبر والمشيب يقع في كتاب الزهد ويقع في كتاب النساء .

- واعلم أنا لم نزل نتقط هذه الأحاديث في الحداثة والاكتحال عن فوقنا في السن والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم وعمن هو دوننا غير مستكفين أن نأخذ عن الحديث سألحدثه ولا عن الصغير قدراً لحسنه ولا عن الأئمة الوكلاء لجهلها فضلاً عن غيرها، فإن العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه فقه، ولن يزور بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تستنيط من الكاذبين، ولا تضرير الحسناء أظاها ولا بنات الأصداغ أصداقها ولا الذهب الإبريز تخرجه من كبا، ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضاع الفرصة، والفرص تمر مرة السحاب .

- حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن سليمان بن معاوية عن سمك عن عروة عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعوها منه، فإنه قد يقول الحكمة خير الحكيم وتكون الرمية من غير الراي » . وهذا يكون في مثل كتابنا لأنه في آداب وعامان أقوام ومقايح أقوام والحسن لا يلبس بالقيع ولا ينفى على من سمعه من حيث كان . فاما علم الدين والحلال والحرام فأنما هو استبعاد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه

(*) في النسخة الألمانية : "لحمه"، وربما فيه السياق .

إلا عمن تراه لك حجة ولا تمدح في صدرك منه الشكوك، وكذلك مذهبا فيما تختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متخير اللفظ لطيف المعنى لم يُرد به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفع له تسميته فكل قديم حديث في عصره وكل شرف فأوله خارجيه^(٥)، ومن شأن عوام الناس رفع المعلوم ووضع الموجود ورفض المبدول وحسب المتنوع وتعظيم المتقدم وغفران زلته وبخس المتأخر والتجني عليه، والمائل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم .

وإني حين قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجلستها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة، كل كتاب منها مفرد على حديثه، كتاب الشراب، وكتاب المعارف، وكتاب الشعر، وكتاب تأويل الرؤيا .

فالكتاب الأول من الكتب العشرة المجموعة "كتاب السلطان" وفيه الأخبار عن عمل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعمما يحتاج صاحبه إلى استعماله من الآداب في صحبته وفي مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به في اختيار عماله وقضاياه ومُجابهة وكُتابه وعلى الحكام أن يمتثلوه في أحكامهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاككة لتلك الأخبار .

والكتاب الثاني "كتاب الحرب" وهذا الكتاب مشا كل لكتاب السلطان فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكائدها ووصايا الجيوش

(٥) في اللسان «الخارجي» الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم» .

وعن السُّدِّ والسَّلاح والكُرَّاع وما جاء في السفر والمسير والطَّيرة والقُلَّ وما يؤمر به
الفزاة والمسافرون ، وأخبار الجبناء والشجعاء وجبل الحرب وغيرها وشيء من أخبار
الدولة والعلاليين وأخبار الأمصار وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة
لتلك الأخبار .

- والكتاب الثالث "كتاب السُّودد" وفيه الأخبار عن تحايل السُّودد في الحَدَث
وأسابيه في الكبر وعن الهمة السامية والخطار بالنفس لطلب المعالي واختلاف
الإرادات والأمانى والتواضع والكبر والعجب والحياء والمقل والحلم والغضب والعز
والهيبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمُزَاج وترك التصنع
والتوسط في الأشياء وما يكره من الغلو والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشراء
والمُدَايَنة والشرى من أفعال الأشراف والسادة وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات
الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

- والكتاب الرابع "كتاب الطَّبائع والأخلاق" وهذا الكتاب مقارب لكتاب
السُّودد فضممته إليه وجعلتهما جزءاً واحداً وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطَّبائع وذمهم
وعن مساوى الأخلاق من الحسد والنية والسَّعاية والكذب والقحَّة وسوء الخلق
وسوء الجوار والسَّباب والبخل والجحى ونوادر الحَقِّ وطبائع الحيوان من الناس والجن
والأنعام والسباع والطيور والحشرات وصفار الحيوان والنبات وما جاء في ذلك من
النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الخامس "كتاب العلم" وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن
الكتب والحفظ والقرآن والآثر والكلام في الدين ووصايا المؤدِّين والبيان والبلاغة

والتلطف في الجواب والكلام وحسن التعريض والخُطب والمقامات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضمته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهاد وكلامهم في الزهد والدعاء والبقاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالفة الناس وحسن معادرتهم والتلاقي والزيارة والمعاقبة والدواعي والتهادى والعبادة والتعاضد والتأني في ذكر صحبر الإخوان وذكر القربات والولد والاعتذار وعتب الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الحوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الإخوان فضمته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتان والصبر والحذر والمهنية والرشوة ولطيف الكلام ومن يُمْتَد في الحاجة ومن يُسْتَسَى لها والإجابة إلى الحاجة والرد عنها والمواعيد وتخيُّرها وأحوال المسئولين عند السؤال في الطَّلَاق والمُبرُس والعادة من المعروف تُقَطع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب في قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

٢٠ (١) في النسخة الفوتوغرافية : « المقالات » .

(٢) في الأصل الفوتوغرافي « وجب الإخوان ومفاهيمهم ... » الخ .

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطبية والحلواء
والسويق واللبن والتمر والخبث منها التي يأكلها فقراء الأعراب، ونازلة الفقر وأدب
الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأكلة والمتهمين والدعاء إلى المآذب والضيافة
وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحجبة وشرب الدواء
ومضار الأطعمة ومنافعها ومصالحها ونُتِف من طب العرب والعجم وما جاء في ذلك
من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب
تدعو الأكل والنكاح الأطيبين فتقول: قد ذهب منه الأطيبان، تريدان، فضيمته
إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء في أخلاقهن وحقنهن
وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره واختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والتبع
والدئامة والسواد والمهات والمعجز والمشايخ والمهور وخطب النكاح ووصايا الأولياء
عند الهداء وسياسة النساء ومعاشرتهن والدخول بهن والجماع والولادات ومساورتهن
خلا أخبار عشاق العرب فإني رأيت كتاب الشعراء أولى بها فلم أودع هذا الكتاب
منها إلا شيئا يسيرا، وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك
الأخبار .

فهذه أبواب الكتب جمعها لك في صدر أولها لأعفيك من كد الطلب وتعب
التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعها ولتقصّد فيما تريد حين
تريد إلى موضعه فتستخرج به عنه أو ما ينوب عنه ويكتفيك منه، فإن هذه الأخبار
والأشعار وإن كانت عيوناً مختارة أكثر من أن يحاط بها أو يُوقف من ورائها
أو تنهى حتى ينتهى عنها .

وقد خففتُ وإن كنتُ أكثرُ ، وأختصرتُ وإن كنتُ أطلتُ ، وتوقَّيتُ
في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقَّاه مَنْ رضى من الغنيمة فيها بالسلامة وَمِنْ بَعْدِ
الشُّقَّةِ بالإيجاب ، ولم أجِدْ بُدًّا من مقداره ما أودعته الحُكَّابُ منها لتتمَّ به الأبوابُ ،
ونحنُ نَسألُ اللهَ أنْ يحوِّلَ بَعْضُ بَعْضِها ويغفرَ بَعْضُ شَرًّا وَيَجِدَ هِزْلًا ثم يعود علينا بعد
ذلك بفضله ويتعمدنا بمغفوه ويميدنا بعد طول الأمل فيه وحسن الظنِّ به والرجاء له
من الخيبة والحُزْمَانِ .

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدثنا محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثنا سلم بن قتيبة عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مستحرون على الإمامة ثم تكون حصرة وندامة يوم القيامة فنعمت المُرُضعة وبُست الفاطمة" .

حدثني محمد بن زياد الزياتي قال حدثنا عبد العزيز الدارودي قال حدثنا شريك عن عطاء بن يسار أن رجلا قال عند النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الشيء الإمامة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "نعم الشيء الإمامة لمن أخذها بحقها وحلها" .

حدثني زيد بن أنعم الطائي قال حدثنا ابن قتيبة قال حدثنا أبو المنهال عن عبد العزيز ابن أبي بكرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « من استخلفوا ؟ » قالوا : أبنته بوران ، قال : "لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة" .

حدثني زيد بن أنعم قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت أيوب يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أنه قدم المدينة زمن الحرة فقال : من استعمل القوم ؟ قالوا : علي قرش عبد الله بن مطيع ، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن الزاهب فقال : أميران ! هلك والله القوم .

(٥١) هكذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة القنوزرافية : أيوية ، وليس عندها ما يرجح أحدهما لوجودها ما في كتب الأنساب .

حدثنا محمد بن عُبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام بن حسان قال كان الحسن يقول : « أربعة من الإسلام إلى السلطان الحكم والقيء والجمعة والجهاد » . وحدثني محمد قال حدثنا أبو سامة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة قال قال كعب : « مثل الإسلام والسلطان والناس مثل القسطنطين والعمود والأطناب والأوتاد ، فالقسطنطين الإسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس ، لا يصلح بعبه إلا بعض » .

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : قال أبو حازم سليمان بن عبد الملك : « السلطان سَوْقٌ فما نَفَقَ عنده أُنِيَ به » . وقرأت في كتاب لابن المقفع : « الناس على دين السلطان إلا القليل فليكن للبر والمروءة عنده نَفَاقٌ فَيَسْكُدُ^(١) بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض » . وقرأت فيه أيضا : « الملك ثلاثة مُلُوكَ^(٢) دين ومُلُك حزم ومُلُك هوى ، فاما ملك الدين فإنه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويُلحق بهم ما عليهم ، أرضاهم ذلك وأزله الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم . وأما مُلُك الحزم فإنه يقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يُضَرَّه طعن الضعيف مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فقلب ساعة ودَمَار دهر » .

حدثني يزيد بن عمرو عن عَصْمة بن صَقِير الباهلي قال حدثنا اسحق بن مُجِيع عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله حُرَّاسًا لِحُرَّاسِهِ فِي السَّمَاءِ الْمَلَائِكَةُ وَحِرَاسَةٌ فِي الْأَرْضِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدِّيَّوَانَ » .

(١) في الأدب الكبير : فيسكند .

(٢) في الأصل الفوخرافي : الهوك .

حدثني أحمد بن الحليل قال: حدثني سعيد بن سلم الباهلي قال: أخبرني شعبة عن شريك عن عكرمة عن قول الله عز وجل: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: «الجلالة يحفظون الأمراء» .

[وقال الشاعر^(*)

- ألا ليت شعري هل أبيت ليلة * خلياً من اسم الله والبركات
يعني باسم الله، وفيه قول الله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي بأمر الله [.
- وقرأت في كتاب من كتب الهند : « شر المسال ما لا يتفق منه وشر الإخوان المخالذ وشر السلطان من خافه البريء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن » .
- وقرأت فيه : « خير السلطان من أشبه النسر حوله الخيف لامن أشبه الحيفة حوله النور » وهذا معنى لطيف، وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها » .
- حدثني شيخ لنا عن أبي الأحوص عن ابن عم لأبي وائل قال قال عبد الله بن مسعود : « إنا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر » .
- وأخبرني أيضاً عن أبي قدامة عن علي بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ثلاث من القوافر : جار مقامية إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أذاعها ، وأمرأة إن دخلت عليها لستك وإن غبت عنها لم تأمنها ، وسلطان إن أحسن لم يمدك وإن أسأت قتلك » .
- وقرأت في البيهقي : « مثل قليل مضار السلطان في جنب منافع مثل الغيث الذي هو سقى الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السفر

(*) زيادة في النسخة الجغرافية .

- ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتندثر سيوله فيهلك الناس والدواب وتوج له البحار فتشتد البلية منه على أهله فلا يمنع الناس، إذا نظفوا إلى آثار رحمة الله في الأرض التي أحيا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر، أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويلفوا ذكر خواص البلاء التي دخلت على خواص الخلق. ومثل الرياح التي يرسلها الله تُفْثِرُ^(٥) بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويحملها لِقَاحًا للثمرات وأرواحا للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها وتجرى بها مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضرر بكثير من الناس في برهم وبحرهم ويخلص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهم الشاكون ويتأذى بها المتأذون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي سخرها له من قوام عبادته وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا للثمرات والنسل وتناجا للحب والثمر، يجمعها البرد ياذن الله [ويحملها] ويخرجها الحر ياذن الله ويُضجها مع سائر ما يعرف من منافعتها وقد يكون الأذى والضرر في حرهما وبردهما وسماتهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح. ومن ذلك الليل الذي جعله الله سكا ولياسا وقد يستوحش له أخو الفقر ويتنازع فيه ذو البلية والرغبة وتعدو فيه السباع وتنساب فيه الهوام ويغتنمه أهل السرقة والسلة ولا يُزرى صغير ضرره بكثير نفعه ولا يلحق به دما ولا يضع عن الناس الحق في الشكر لله على ما مَنَّ به عليهم منه. ومثل النهار الذي جعله الله ضياءً وُسُوراً وقد يكون على الناس أذى الحرق في قِيظهم وتُصَبِّحهم في الحروب والغارات ويكون فيه النَّصَب والشُّحُوص وكثير ما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شيء من سراتها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت تهاوؤها بغير كدر وميسورها من

(٥) في النسخة التوغرافية: رواحا.

غير معسور كانت الدنيا إذا هي الجنة التي لا يشوب ممستها مكروه ولا فرحها ترحُّ^٢
والتي ليس فيها نصب ولا نُفُوب، فكل جسم من أمر الدنيا يكون ضره خاصاً فهو
نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصاً فهو بلاء عام » •

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » •

- وقرأت في التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب
الملوك مشغولة بكل شيء يميل وألباب السُّوق مشغولة بأيسر الشيء ، فالجاهل منهم
يعذر نفسه بدعة ما هو عليه من الرسالة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو فيه من المشؤنة ،
ومن هناك يعزّز الله سلطانه ويرشده وينصره » •

سمع زياد رجلاً يسب الزمان فقال : « لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان

هو السلطان » • ١٠

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أرفع للرعية من خضب الزمان » •

- وروى الهيثم عن ابن عيَّاش عن الشعبي قال : « أقبل معاوية ذات يوم على
بنى هاشم فقال : يا بنى هاشم ، ألا تحذونني عن أدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون
لكم أبالرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعاً ؟
فإن كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبت حقاً ولا أسست ١٥
ملكاً ، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
ووارثه وساقى التَّجِيج وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بن عبد مناف ،
وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعاً فإن القرابة خصلة من خصال الإمامة
لا تكون الإمامة بها وحدها وأتم تدعونها بها وحدها ، ولكنا نقول : أحق قريش بها
من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها ونقلوا أقدامهم إليه للبيعة وطارت إليه أهواؤهم ٢٠

- للشقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمر تضيق به الصدور، إذا
 سلمتم عمن أجمع عليه من ضيقكم قلم حق . فإن كانوا أجمعوا على حق فقد أخرجكم
 الحق من دعواكم . انظروا : فإن كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم، وإن كانوا أخذوا
 حقهم فاسألوهم فإنه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال ابن عباس :
 ندعى هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا، وتقول : كان ترك الناس أن
 يرضوا بنا ويمتصوا علينا حقاً ضيعوه وخطأ حرموه، وقد اجتمعوا على ذى فضل
 لم يخطئوا الورد والصدر ، ولا ينقص فضل ذى فضل فضل غيره عليه . قال الله
 عز وجل : ﴿ وَبُذِرَ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ ﴾ فاما الذى منعتنا من طلب هذا الأمر بعد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه الينا قبلنا فيه قوله وديننا بتأويله ولو أمرنا أن
 نأخذ على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أعدنا فيه ، ولا يعاب أحد على ترك
 حقه إنما المغيب من يطلب ما ليس له، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضاراً .
 انتهت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهما داود وفهما سليمان ولم يضرب داود . فاما
 القرابة فقد فحمت المشرك وهى للؤمن أشنع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 : « أنت عمى وصنوا أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهجرتك آخر الهجرة كما أن
 نبؤى آخر النبوة » . وقال لأبى طالب عند موته : يا عم قل لا إله إلا الله أشفع لك
 بها فدا وليس ذاك لأحد من الناس . قال الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّ تُبْتُ الْآلَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوَتُونَ وَهُمْ
 كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيًّا ﴾ .

- حدثنا الراشع عن أحمد بن سلام مولى ذؤيف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ
 له قال، قال كسرى : « لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر، وقاض
 عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار » .

وحدثنا الرياشي قال حدثنا مُسلم بن إبراهيم قال حدثنا القاسم بن الفضل قال حدثنا ابن أخيت المجاج عن المجاج قال : « قال لي أبو هريرة من أنت ؟ قال نقلت من أهل العراق . قال : يوشك أن ياتيك بَقَعَانُ الشَّامِ ^(١) فيأخذوا صدقتك فإذا أتوك فتلقيهم بها فإذا دخلوها فكن في أفاصيا واخل عنهم وعنها ، وإياك وأن تسبهم فذلك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة » .
وفي رواية أخرى أنه قال : « إذا أتاك المصَّدِّق قتل : خذ الحق ودع الباطل ، فإن أبي فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلعنه إذا أدبر فتكون عاصيا خَفَّفَ عن ظالم » .
وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة ، والرغبة ، والمحبة ، والديانة » .

- ١٠ . وقرأت في بعض كتب العجم كتاباً لأردشير بن بابك إلى الرعية ، نسخته :
« من أردشير الموبد ذي البهاء ملك الملوك ووارث العطاء ، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البيضة ، والكتّاب الذين هم زينة المملكة ، وذوى الحوث الذين هم عمرة البلاد . السلام عليكم ، فإنا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا إناؤتها الموقوفة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون إليكم بوصية : لا تسبشعروا الحقد قِديهمكم العدو ، ولا تختكروا فيشملكم التصحط ، وتزوجوا في القرابين فإنه أمس للرحم وأثبت للنسب ، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئاً فإنها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لا تتال إلا بها » .

(١) بَقَعَانُ الشام خدمهم وعبيدهم . شبههم لياشهم وسراهم بالفراخ الأبقع وهو ما خالط سواده بياض . ينحى بذلك الروم والسودان .

(٢) في النسخة الألمانية : المويذ ، والمويذ كالمويذ بَدَأَ فقيه الفرس وحاكم الميوس .
(٣) في النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتاباً من أرسطاطاليس إلى ألكسندروفيهِ : « املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها فإن طلبك ذلك منها بإحسانك هو أدومُ بقاء منه باعتسافك ، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها إلى القلوب بالمعروف ، وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ، فاجتهد ألا تقول تسلم من أن تفعل » .

• وقرأت في كتاب الآيين^(١) أن بعض ملوك المعجم قال في خطبة له : « إني إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وألخص عن الأعمال لا عن السرائر » .
ونجوه قول المعجم : « أسوس الملوك من قاذ أبدان الرعية إلى طاعته بقلوبها » .
وقالوا : « لا ينبغي للوالى أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة [كرهاً]^(٢) ولكن في التي يستحقها بحسن الأثروصواب الرأى والتدبير » .

١٠ حدثنا الريانى عن أحمد بن سلام عن شيخ له قال : « كان أنوشروان إذا ولى رجلاً أمر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه فإذا أتم بالعهد وقع فيه : سُئِ خيَار الناس بالمحبة واضرج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سَفَلَة الناس بالإخافة » .

قال المدائنى : « قدم قادم على معاوية بن أبى سفيان فقال له معاوية : هل من مُغْرَبَة خبر ؟ قال نعم ، زلت بماء من مياه الأعراب فبينما أنا عليه إذ أورد أعرابى إليه فلما شرب ضرب على جُنوبها وقال عليك زياداً . قتلته له : ما أردت بهذا ؟ قال : هي سُدى ، ما قام لى بها راجع مذ ولى زياد ، فسر ذلك معاوية وكتب به إلى زياد » .

(١) الآيين كلمة فارسية عرّبها العرب واسمها القانون والمادة ، ولابن المقفع تأليف بهذا

الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكى باشا

عن هذه الكلمة في كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذى نقل عنه المقوف هو آيين ابن المقفع .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

قال عبد الملك بن مروان : « أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ! ولا تسرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر ! نسأل الله أن يعينكلاً على كل » .

قال عمر بن الخطاب : « إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوى في غير عنف » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « إني لأرجو أن أخرج المسلمين أمرا من العدل فأخاف ألا تحمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فإن تفرقت القلوب من هذا سكنت إلى هذا » .

قال معاوية : « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما أقطعت » . قيل : وكيف ذاك ؟ قال : كنت إذا متوها خليتها وإذا خلوها مدتها » .

ونحو هذا قول الشعبي فيه : « كان معاوية كالجلجل الطَّبَّ، إذا مُسِكَت عنه تقتم وإذا رُدَّ تأخر » . والجل الطَّبُّ الحاذق بالشيء وهو الذي لا يضع يده إلا حيث يضر . وقول عمر فيه : « احذروا آدم قريش وابن كريمة، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ ما فوقه من تحت » .

وأغلظ له رجل حلم عنه فقيل له : أتعلم عن هذا ؟ فقال : « إني لأحول بين الناس وبين أن يستهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا » .

كان يقال : « لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة » .

(*) في الأصل التوتوغرافي : من .

- قال زياد : « أحسنوا إلى المزارعين فإنكم لا تزالون سيمانا ما سمينوا » .
- وكتب الوليد إلى الحجاج يأمره أن يكتب إليه بسيرته فكتب إليه : « إني أبغضت رأيي وأمنت هواي ، فاديتُ السيد المطاع في قومه ، ووليت الحرب الحازم في أمره ، وقليت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من نظري ولطيف عناجي ، وصرفت السيف إلى التطف المسيء ، والثواب إلى المحسن البريء ، نفاق المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .
- وكان يقول لأهل الشام : « [إنما] أنا لكم كالظلم الرايح عن فراخه : ينفي عنها القدر ويباعد عنها الحجر ويكثها من المطر ويحيها من الضباب ويحرمها من الذئاب . يا أهل الشام أتم الجنة والرداء وأتم العدة والحذاء » .
- ١٠ نفر سُليم مولى زياد زياد عند معاوية فقال معاوية : « اسكت ما أدرك صاحبك شيئا قط بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني » .
- وقال الوليد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : « هبة الخاصة مع صدق مودتها وأقياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتيال هفوات الصنائع » .
- وفي كتب العجم : « قلوب الرعية خزائن ملوكها ^(١) فإودعها من شيء فلتعلم أنه فيها » .
- ١٥ ووصف بعض الملوك سياسته فقال : « لم أهزل في وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للفضب وأستكفيت على الجزاء وأثبت على العناء لا للهوى ، وأودعت القلوب هبة لم يشبها مقت وودا لم تشبه جرأة وعممت بالقوت ومنعت الفضول » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) في الأصل القوتوغرافي : قلوب الرعية خزائن ملكها فإودعها من شيء ، فليعلم أنه فيها .

(٣) في الأصل القوتوغرافي : القلوب .

وقرأت في كتاب التاج : قال أبرويز لابنه شيرويه وهو في حبسه : « لا توسعن .
على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيّق عليهم فيضجّوا منك ، أعطهم عطاء قصداً
وأمتهم مناجيلاً ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء » . ونحوه قول
المنصور في مجلسه لقواده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجمع كلبك يتبعك . فقام
أبو العباس الطوسي فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلحق بك برغيف فيتبعك ويدعك .

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : « أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم
فاعوذ بالله أن تدركني وإياك عياءً مجهولة وضائناً محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة
من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فأثر نصيحتك من الله
فإن الدنيا تتبدد والآخرة تبقى ، وأخيفوا الفساق وأجملوهم يداً ورجلاً رجلاً ، وعدّ
مرضئ المسلمين وأشهد جنازتهم واتّخ لم يالك وياشر أمورهم بنفسك فإنما أنت
رجل منهم غير أن الله جعلك ألقاهم حملاً ، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك
هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للساكنين مثلاً ، فإياك يا عبد الله أن تكون
بمنزلة البهيمة مرتب بوادٍ خصيب فلم يكن لها ثم إلا السمن وإنما حنّتها في السمن ،
واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشق الناس من شقى الناس به والسلام » .

هشام بن عروة قال : « صل يوماً عبد الله بن الزبير فوجم بعد الصلاة ساعة
فقال الناس : لقد حدث نفسه . ثم التفت إلينا فقال : لا يمتدّن ابن هند ! إن كانت
فيه لخارج لا نجد لها في أحد بعده أبداً ، والله إن كنا لنفرقه وما الليث الحربي على برائته
بأجرأ منه فيتفارق لنا . وإن كنا لنخذه وما ابن ليلة من أهل الأرض يأدّيه منه

(*) ضبط في الأصل التفرغرافي هكذا (مرش) ويظهر أنه من عمل النسخ ، وفي الأصل الأتاني :

مرض . والتصويب عن أشهر مشاهير الإسلام .

فَيَتَخَادَعُ نَا ، والله لوددت أنا متعنا به ما دام في هذا حجر (وأشار إلى أبي قيس)
لا يُقْنُونُ له عقل ولا تَنْقِصُ له قُوَّة ، قلنا : أَوْحَشَ والله الرجل . قال : وكان يَصُلُّ
بهذا الحديث : كان والله كما قال المُدْرِي :

رَكُوبُ الْمُنَابِرِ وَقَائِمَا * مِمَّنْ بَخِطِبَتْهُ بِمِهْمَرٍ
تُرْبِعُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ * إِنْ خَطِلَ النَّثْرُ الْمِهْمَرُ^(١)

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا جدُّ سُرَّانٍ^(٢) وسُرَّانُ عم الأصمعي
قال : « كَلِمَ النَّاسِ عبد الرحمن بن عوف أن يكلم عمر بن الخطاب في أن يَلِينَ لم
فإنه قد أخافهم حتى إنه قد أخاف الأبكار في خُدُورِهِمْ . فقال عمر : إني لا أجد
لم إلا ذلك ، إنهم لو يعلمون ما لم عندي لأخذوا ثوبي عن عاتقي »^(٣) .

قال وتقدمت إليه امرأة قالت : يا أبا عقر^(٤) حفص ، الله لك ، فقال : مالِك
أَحْقَرْتُ ؟ أَيْ دُمِيتُ فَقَالَتْ صَلَمْتُ فَرَقْتَك .^(٥)

قال أَنَجِّعُ السُّلَيْمِي فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَثَانَ

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانُ إِلَّا شِدَّةً * تَقَشَّى الْبَرَى بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمَجْرِمِ
وَمِنْ الْوَلَاةِ مَقْعَمٌ لَا يُنْتَقَى * وَالسَيْفُ تَهْطُرُ شَفَرَتَاهُ مِنَ الدَّمِ
مَنْعَتْ مِهَابَتِكَ النُّفُوسَ حَدِيثًا * بِالْأَمْرِ تَكْكَرُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ

(١) في التاج مادة هم ر: وخطيب مِهْمَر : سَكْر . وأورد هذا البيت . وفي الأصل القنوزي في "مِهْمَر"
ولم نجده في القاموس ولا في اللسان .

(٢) كذا بالأصل القنوزي في غاريب من الضبط ، وضبط في النسخة الألمانية بنص أوله وقد بحثناه فلم نَجِدْهُ .
(٣) في الأصل الألسني : مِنْ عَلِ .

(٤) كذا بالأصلين القنوزي في غاريب من الضبط ولعله يحذف عن "عمر" وكأنها أرادت أن تناديه بقوله
يا أبا حفص عمر ، فقالت من دهشتها يا أبا عمر حفص كما قالت في آخر الحكاية صلت فرتك وكأنها
أرادت أن تقول فَرَقْتُ سَلَمَتَكَ .

(٥) في الأصل الألسني صلت وهو محذوف .

كان يقال : « شر الأشراء أبعدهم من القرأ وشر القرأ أقربهم من الأشراء » .
كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حصص إلى عمر : « إن مدينة حمص قد تهتم
حصنها ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إصلاحه » فكتب إليه عمر « أما بعد ؛
فحصنها بالعدل ، والسلام » .

- ذكر أعرابي أميرا قال : « كان إذا ولي لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون
على عيونه ، فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالخصن راج والمسيء خائف » .
كان جعفر بن يحيى يقول : « انخرج عمود الملك وما استغزير بمثل العدل ولا استغزير
بمثل الظلم » .

- وفي كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه : « يا بني ، إن الملك والدين
أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أس والملك حارس ، وما لم يكن له أس
فهجوم وما لم يكن له حارس فضائح ، يا بني ، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك
لأهل الجهاد وبشرتك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عتاك من أرباب العقول » .
وكان يقال : « مهما كان في الملك فلا ينبغي أن تكون فيه خصال خمس : لا ينبغي
أن يكون كذابا فإنه إذا كذب كذبا فوعده خيرا لم يرج أو وعد بشر لم يخف ،
ولا ينبغي أن يكون بخيلا فإنه إذا كان بخيلا لم ينصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا
بالمناصحة [ولاً^(١) ينبغي أن يكون حديدا فإنه إذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية]
ولا ينبغي أن يكون حسودا فإنه إذا كان حسودا لم يشرف أحدا ولا يصلح الناس
إلا على أشرفهم ، ولا ينبغي أن يكون جبانا فإنه إذا كان جبانا ضاعت ثغوره وأجترأ
عليه عدوه » .

٢٠ (١) في الأصل الفتوغرافي سوردا وكتب فوقها كالتصغير لها : حصنا .
(٢) هذه الجملة سقطت في الأصل الفتوغرافي من سهو الناسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: وأبناه، وبكت .
فقال معاوية: « يا أبنسة أحمى إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً وأظهرنا لهم
حلماً تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان
أنصاره فإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكون بنت عم
أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين » .

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي: « إن المسلمين ولوك أمرهم بعد علي
فشمّر للحرب وجاهد عدوك ودار أصحابك وأشتر من الطينين دينه بما لا يثلم دينك
وول أهل البيوتات والشرف تستصلح بهم عشائهم حتى تكون الجماعة فإن بعض
ما يكره الناس، ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل وعز الدين، خير
من كثير مما يحبون إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور وهن الدين » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم
قال: « كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعن يعرف من أهل
البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يعود المريض؟ فإن قالوا: نعم -
حمد الله تعالى، وإن قالوا: لا، كتب إليه: أقبل » .

اختيار العمال

١٥

روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة كتب بهذا فيه:
« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده
بالدنيا وأول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر: (في
استعملت عمر بن الخطاب فإن برّ وصدل فذلك علمي به، وإن جار وبتل فلا علم

لى بالغبب؁ وانلبر ارءء؁ ولكل امرئ ما اكءسب ﴿ وسبعلم الءبن ظالموا ائ؁
مُنْقَلَبٌ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

- وفى الءاج ان أبروز كءب الى ابنه شبروءبه من اللبس : « لىكن من ءءاره
لولاىءك امرأ [كان] فى ضعة فرءءه؁ أو ذا شرف وعبءه مهءضاً فأصطعءه؁
ولا ءعمله امرأ أصعبه بعقوبة فأضع عنها ولا امرأ أطاعك بعء ما أنلءه ولا احءا
من يقع فى ءلءك ان إزالءة سلطائك أحب له من شوبه؁ وإلك ان ءسعمله ضرراً
عمرأ كءر إعجاب به بنفسه وقءء ءجار به فى عبءه؁ ولا كببرا مءبرأ قء أخذ البهر من عقله
كما أخذء السن من جسمه » .

وقال قبط فى هذا المعنى :

- ١٠ قسءلءوا امركم لله ءرءكم * رعب الءراع بأمر الارب مضطلما
لا مءرفاً ان رءاء العىش ساعءه * ولا إنا عىض مكروه به ءشما^(١)
ما زال يعلب ءر البهر أشطره * بكون مءباً يوما ومءبماً
ءقى آسءمءء على شزر مربرءه * مسءءكم السن لا نلما^(٢) ولا ضرراً

وبقال فى مءل : « رأى الشىء ءبر من مءهب الءلام » ومن أمءال العرب أىضا

فى الارب : « العوان لا ءلم الءمءه » .

١١

(١) زباءء عن النسة الألمانية . (٢) فى النسة الألمانية : ءبر .

(٣) فى النسة الألمانية : ءضا .

(٤) هكذا فى النسة الألمانية وفى الأصل القءوؒرافى "لما" وكتب ءءه كالءسبر له "كمبرا"

والصواب "لما" ومعناه كببر السن بءاً وءظوره من شم العرب قوله

له سءاء البهر من عبءكوبة * ءببب فلا فان ولا ءءع ءمسر

قال بعض الخلفاء : دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى . قالوا : كيف تريد ؟ قال : « إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيع بن زياد [الحارثي] . قال : صدقتم ، هو لها .

- ٥ وروى الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال ، قال المجاج : دلوني على رجل للشرط فقيل : أي الرجال تريد ؟ فقال : « أريد دائم العُيُوس طویل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يفتق في الحق على جرة يهون عليه سبَّالُ الأشراف في الشفاعة » فقيل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي . فأرسل إليه يستعمله ، فقال له : لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالكَ وولدكَ وحاشيتك . قال : يا غلام ، نادِ في الناس من طلب إليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة . قال الشعبي : فوالله ما رأيت صاحب شرطة قط مثله ، كان لا يخبس إلا في دين ، وكان إذا أتى برجل قد تقب على قوم وصعِ سُنْبَتُهُ في بطنه حتى تخرج من ظهره ، وإذا أتى بنبأش حفر له قبرا فدفنه فيه . وإذا أتى برجل قاتل بمحسنة أو شهر سلاحا قطع يده ، وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزله أحرقه ، وإذا أتى برجل يشك فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء .
- ١٥ ضربه ثلثمائة سوط . قال : فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فضع إليه المجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

(١) زيادة من النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالأحليلين الفتوراني والألساني وهو محووف والصواب لا يفتق في الحق على جرة ، يقال ما يفتق

فلان - على جرة وما يكتم على جرة إذا لم ينطو على حقد ودغل ومنه حديث عمر رضي الله عنه :

« لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لا يفتق على جرة » ٨١ . انظر اللسان في مادة حتى .

- وقرأت في كتاب أبرويز إلى أبنته شيرويه : « اتخبط لخراجك أحد ثلاثة :
- إما رجلا يظهر زهدا في المال ويدعى ورعا في الدين فإن كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفر الخراج وأجتهد في العبادة ، فإن هو لم يرجع ولم يعف إبقاء على دينه ونظرا لأمانته كان حراماً أن يبخون قليلا ويوفر كثيرا استسراراً بالرياء واكتناما بالخيانة ، فإن ظهرت على ذلك منه عاقبته على ماخان ولم تتحمله على ماوفر ، وإن هو جالس في الخيانة وبارز بالرياء نكلت به في العذاب واستنظفت ماله مع الحبس . أو رجلا عالما بالخراج غنيا في المال مأمونا في العقل فيدعوه علمه بالخراج إلى الاقتصاد في الجلب والعبادة للأرضين والرفق بالربة ، ويدعوه غناه إلى العفة ويدعوه عقله إلى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلا عالما بالخراج مأمونا بالأمانة مقيّرا من المال فتوسّع عليه في الرزق فينتقم لحاجته الرزق ويستكثر لفاقته اليسير ، ويؤجى بملامه الخراج ، ويعف بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك بأهل السُّر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن قسروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

- قال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : دلتني على قوم من القراء أؤتم . فقال له : ١٥ القراء ضريان : فضرِب يعملون للأثرة ولا يعملون لك ، وضرب يعملون للذنب ، فما ظنك بهم إذا أنت وليتهم فكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فؤتم .

- أحضر الرشيد رجلا ليؤلّه القضاء فقال له : إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه . ٢٠ قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدعاة .

ولك حلم يمتك من العجلة . ومن لم يحبل قل خطؤه . وأنت رجل تشاور
في أمرك ومن شاور أكثر صوابه ، وأما الفقه فينضم إليك من تنفقه به . فولي فما
وجدوا فيه مطعنا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثني صالح بن رستم أبو عامر
الخرّاز قال قال لي إلياس بن معاوية المزني : أرسل إلى عمر بن هبيرة فأتيتني فساكنني
ففسكت ، فلما أطلت قال : إيه . قلت : سل عما بدا لك . قال : أقرأ القرآن ؟ قلت :
نعم . قال : هل تفرض الفرائض ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب
شيئا ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف من أيام العمم شيئا ؟ قلت : أنا بها أعلم .
قال : إني أريد أن أستمع بك . قلت : إن في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل .
قال : ما هن ؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حديد ، وأنا نعي . قال : أهذا الدمامة
فإني لا أريد أن أحسن بك الناس ، وأما النعي فإني أراك تعبر عن نفسك . وأما سوء
الخلق فيقومك السوط . قم ، قد وليتك . قال : فولاني | وأعطاني | أثنى درهم
فهما أول مال تمولته .

قرأت في كتاب الهمد : « السلطان الحازم ربما أحب الرجل فانساه وأطرحة
مخافة ضره ، فعل الذي تسع الحية إصبعه فقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده ، وربما
أففض الرجل فكره نفسه على نوليته وتقريره لغناء يجده عنده كساره المرء على الدواء
البيش لتفقه » .

حدثني المصلي بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنا رجلا فقد
تضمن عيبه » .

بَابُ صَحْبَةِ السُّلْطَانِ وَأَدَابِهَا وَتَغْيِيرِ السُّلْطَانِ وَتَلَوْنِهِ

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن الشعبي عن عبد الله بن عباس قال : قال لي أبي : « يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَغْلِيكَ وَيَسْتَشِيرُكَ وَيَقْدُمُكَ عَلَى الْأَكْبَرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِخِلَالِ أَرْبَعٍ : لَا تَفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا ، وَلَا يَمْزِجَنَّ بَيْنَكَ كَذِبًا ، وَلَا تَقْتَابِنَنَّ عَنْدهُ أَحَدًا ، وَلَا تَقْلُوبَنَّ عَنْهُ نَصِيحَةً » قال الشعبي قلت لآلِ بْنِ عَبَّاسٍ : كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ . قَالَ : إِي وَآلَهُ وَمِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ .

كَانَ يَقَالُ : « إِذَا حَمَلَكَ السُّلْطَانُ أَخَا فَاجِصْلِهِ أَبَا ، وَإِنْ زَادَكَ فَزِدْهُ » .

قَالَ زِيَادُ لَابَنِهِ : « إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَادْعُ لَهُ ثُمَّ أَصْنَعْ صَفْعًا بِجَمِيلٍ ، وَلَا يَرِيَنَّ مِنْكَ تَهَالُكًا عَلَيْهِ وَلَا اتِّبَاعًا عَنْهُ » .

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو : « يَنْبَغِي لِمَنْ خَدَمَ السُّلْطَانَ أَنْ يَفْتَرِبَهُمْ إِذَا رَضُوا عَنْهُ وَلَا يَتَغَيَّرَ لَهُمْ إِذَا بَخَطُوا عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَقْبِلَ مَا مَحْلُوه وَلَا يُلْحَفُ فِي مَسْئَلَتِهِمْ » .

وَقُرَأَتْ فِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ : « صَحْبَةُ السُّلْطَانِ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْمَزِّ وَالثَّرْوَةِ عَظِيمَةٌ الْخِطَابُ ، وَإِنَّمَا تُشَبَّهُ بِالْجَبَلِ الْوَحْشِ فِيهِ الثَّمَارُ الطَّيْبَةُ وَالسَّبَاعُ الْعَادِيَّةُ ، فَالْارْتِفَاعُ إِلَيْهِ شَدِيدٌ وَالْمَقَامُ فِيهِ أَشَدُّ ، وَلَيْسَ يَتَكَافَأُ خَيْرُ السُّلْطَانِ وَشَرُّهُ لِأَنَّ خَيْرَ السُّلْطَانِ لَا يَمْدُو مَزِيدَ الْحَالِ ، وَشَرُّ السُّلْطَانِ قَدْ يَزِيلُ الْحَالِ وَيَتَلَفُّ النَفْسَ الَّتِي لَهَا طَلَبُ الْمَزِيدِ ، وَلَا خَيْرَ فِي الشَّيْءِ الَّذِي فِي سَلَامَتِهِ مَالٌ وَجَاهٌ وَفِي نَكَبَتِهِ الْجَاهِلِيَّةُ وَالْتِفَ » .

وَقُرَأَتْ فِيهِ : « مَنْ لَزِمَ بَابَ السُّلْطَانِ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ وَكُظْمٍ لِلْفَيْظِ وَأَطْرَاجٍ لِلْأَنْفَةِ ، وَصَلَّ إِلَى حَاجَتِهِ » .

وقرأت فيه : « السلطان لا يتوخى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه » .

وكانت العرب تقول : « إذا لم تكن من قُربان الأمير فكُن من بُعدانه » .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « لا تكونن محببتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فإن كنت حافظا إذا ولّوك ، حذرا إذا قربوك ، أمينا إذا آثمتوك ، تعلمهم وكانك تعلم منهم ، وتؤدبهم وكانك تتأدب بهم ، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صرموك^(١) ، راضيا إن سحقوك^(٢) ، وإلا فالبعد منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فإنه من يَحْسِمُ السلطان بمحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة » .

قال : « إذا صحبت السلطان فليكن بطول الملازمة في غير طول المعاناة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام المآق ولا تكثرن له في الدعاء إلا أن تكلمه على رموس الناس ولا يكونن طلبك ما عنده بالمسألة ولا تسبطنه إن أبطأ^(٣) . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقا وأنت تمتد عليه بلاء . وإن استطعت ألا يئس حَقُّك وبلاءك بتجديد النصيح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله في أول صحبتك له فلا تجهد موضعا للزيد ولكن دع للزيد موضعا . وإذا سأل غيرك فلا تكن المحيب . وأعلم أن استلابك للكلام خفة بك واستخفاف منك بالسائل والمسئول ،

(١) في الأدب الكبير : ضاموك في نسخة ، ظلوك . (٢) في الأدب الكبير : ومن لا يأخذه بجمعه .

(٣) في الأدب الكبير : من يأخذ عمل . (٤) في الأمل الفعور غرقى : وإن .

فأنت قائل إن قال لك السائل : ما إراك سالت ، وقال لك المسئول : أجب أيها المعجب بنفسه المستخف بسلطانه ؟ » .

وقال : « مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب » .

- وقال عبد الملك بن صالح لمؤذّب ولده بعد أن اختصه بمجالسته ومحدثه : « كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فإنهم قالوا : إذا أعجبك الكلام فاضمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم » . [يا عبد الرحمن (*) لا تساعدن على ما يقع بي ولا تردّد على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشنيت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودّع عنك كيف أصبح الأمير وأممي . وكنتي بقدر ما استنطقتك واجعل بدل التقرّظ لي حسن الاستماع مني . واعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول . وإذا سمعتني أتحدّث فأرني فهمك في طرفك وتوقّعك ولا تجهد نفسك في تطرية صوابي ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تظهر من استحسان ما يكون مني ، فمن أسوأ حالا ممن يستكبر الملوك بالباطل فيدلّ على تهاونه ، وما ظنك بالملك وقد أهلك محلّ المعجب بما تسمع منه وقد أحلّته محل من لا يسمع منه ؟ وأقل من هذا يُحيط إحسانك ويُسقط حقّ حرمة إن كانت لك . إني جعلتك مؤذّباً بعد أن كنت معلماً وجعلتك جليسا مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مباغداً . ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلم على أبي العباس فقال له : يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يُقضى فيه إلا حقك .

قال الفضل بن الربيع : « مسألة الملوك عن أحوالهم من تحيات التوكي ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ، فقل : صبح الله الأمير بالكرامة ، وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ، قل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن المسئلة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه . »

• وقرأت في آداب ابن المقفع : « جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجتمع وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تثنى عليه عند أحد ، فإذا رأيته قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطّف ، ولا تُسار في مجلس السلطان أحدا ولا تؤمى إليه بجفك وعينك فإن السّرار يجلب إلى كل من رآه من ذى سلطان وغيره أنه المراد به ، وإذا كلمك فاصغ إلى كلامه ولا تُسفل طرّفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس » . ١٠

وقرأت في كتاب للهند أنه أهدى الملك الهند ثياب وحلّى فدعا بامرأتين له وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلية ، وكان وزيره حاضرا ، فنظرت المرأة إليه كالمستشارة له فغمزها باللباس فقضيتا بعينه ، ولحظه الملك ، فاختارت الحلية لئلا يقطن للغمزة ، وبكت الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لئلا تهر تلك في نفس الملك وليظن أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للآخرى [قلب] حضرت الملك الوفاة قال لولده : ١٥
توصّ بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة] .

قال شبيب بن شيبّة : « ينبغي لمن سائر خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يمتنع إلى أن يلتفت : ويكون من ناحية إن

(١) في الأدب الكبير « من الإعتاب مما يحيط عليه فيه ما ترجو أن يلين له به قلب الوال » والإعتاب الرجوع من الاساءة . ٢٠

(٢) في الأدب الكبير : عه . (٣) زيادة عن الأصل فهو غرافي .

التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يحيد عن مَنَ الرِّيحِ التي تَوَدَّى
القبار إلى وجهه » .

قال رجل من النساك لآخر : « إن آبتلبت بأن تدخل إلى السلطان مع الناس
فأخذوا في الثناء فعليك بالدعاء » .

- (١)
• قال ثُمَامَة : كان يحيى بن أكرم يمشى المأمون يوما في بستان موسى
والشمس عن يسار يحيى والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدان
حتى بلغ حيث أراد ثم كرّ راجعا في الطريق التي بدأ فيها فقال لبحي : كانت الشمس
عليك لأنك كنت عن يساري وقد نالت منك فكأن الآن حيث كنتُ وأتحول أنا
إلى حيث كنتَ . فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أفيك هَوَلَ المطلع
بنفسي لفعلت . فقال المأمون : لا والله ما بُدَّ من أن تأخذ الشمس مني مثل
ما أخذت منك . فتحول يحيى وأخذ من الظل مثل الذي أخذ منه المأمون .

وقال المأمون : « أول العدل أن يعدل الرجل على رِطائنته ثم على الذين يَلُونَهُم حتى
يبلغ العدل الطبقة السفلى .

- المدائني قال ، قال الأحنف : « لا تقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فإنه من
أَشْرَفَ السلطان أَدْرَاهُ ومن تَضَرَّعَ لَهُ أَهْطَاهُ » .
(٢)

- حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني محمد بن عمرو الرومي [قال حدثنا زهير بن معاوية]
عن أبي إسحاق عن زيد بن يُثَيْع قال ، قال حُذَيْفَةُ بْنُ إِيْمَان : « ما مشى قوم قط إلى
سلطان الله في الأرض لِيَكُونُوا إِلَّا أَنْهُمْ الله قبل أن يموتوا » .

(١) كذا بالأصل ، وفي المقد القرطبي : مؤفة بنت المهدي .

(٢) هكذا في الألمانية ، وفي القنوغرافية أخطأه . وفي المقد القرطبي : ومن قدام له تخطأه ،
قال : شهبوا السلطان بالريح الشديدة التي لا تضربها لأن وتمايل معها من الشجر والحشيش ، وما استهدف
ما قصته . (٣) زيادة عن النسخة الألمانية .

وفي أخبار خالد بن صفوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدناني حتى كنت أقرب الناس منه فتشّس ثم قال : يا خالد، لربّ خالد قد معبدك هذا أمشي إلى حديثنا منك . فعلمت أنه يعني خالد بن عبد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين، أفلا تعيده؟ فقال : إن خالدًا أدلّ فأمل وأوجف فأعجف ولم يدع لراجع مرجعا، على أنه ما سألني حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين، ذاك أحرى . فقال : هيات إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكن ^(١) * إليه بوجه آخر الدهر تُقبل

حدثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هذا الحديث ، وببعضه نبيك : اعتل يحيى بن خالد فبعث إلى منك الهندي فقال له : ما ترى في هذه العلة؟ فقال منك : دأؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر، وكان متفتنا . فقال له يحيى : ربما تقل على السمع خطرة الحق به ، فإذا كان ذلك كانت المعجزة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منك : صدقت ولكني أرى في الطوالم أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسم في المعرفة وقد بُنيت ، وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتائج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حفظ الطالبين . قال يحيى : للأموور منصرف إلى العواقب وما حُتم لابد من أن يقع ، والمنمة بمسألة الأيام تُهْزَع فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منك : هي الصفراء ما زجتها مائة من البلغم فحث لها بذلك

(١) الرواية المشهورة في هذا البيت : لم تكن .

(٢) ورد هذا الاسم في النسخة الألمانية مشبوها بضم النون وفتح الهاء . وفي قريب التهذيب لابن حجر : «نبيك» بوزن عظيم ابن يريم . وفي تحفة ذكرى الأرب في مشكل الأسماء والنسب لابن خطيب الدهشة : «نبيك» ككريم آخره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالمقد الفريد وفي النسخة الفوتوغرافية : «متعبا» وفي النسخة الألمانية : «متعبا» وكلامها من تحريف النساخ .

(٤) كذا بالمقد الفريد وفي الفوتوغرافية : «المنمة» وفي الألمانية : «المنمة» وكلامها محووف .

- ما يحدث للهب عند مجاسته رطوبة المادة من الاشتعال نغذ ماء رُمانين فُدقهما^(١) بأهليلجة سوداء تُنهضك مجلساً^(٢) [أو مجلسين]^(٣) وتسكن ذلك التوقد الذي تجدد إن شاء الله . فلما كان من حديثهم الذي كان ، تلطف منك حتى دخل على يحيى في المجلس فوجده جالسا على لُبد ووجد الفضل بين يديه يَمْهَنُ^(٤) أى يخدم فاستعبر منك وقال : قد كنت ناديت لو أعرت^(٥) الإجابة . قال له يحيى : أتراك علمت من ذلك شيئا جهلته ؟ كلا . ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفق وكان مزيلة القدر الخطير عينا فلما تنهض به الهمة . وبعدُ فقد كانت نعم أرجو أن يكون أولها شكرا وآتورها أجرا . فما تقول في هذا الداء ؟ قال له منك : ما أرى له دواء أنجح من الصبر ، ولو كان يندى بالمال أو مفارقة عضو كانت ذلك مما يجب لك . قال يحيى : قد شكرت لك ما ذكرت فإن أمكك تمهدنا فافعل . قال منك : لو أمكنتني تخفيف الروح عندك ما يخلت بذلك ، فإنما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك . قال الفضل : كان يحيى يقول : دخلنا في الدنيا دخولا أخرجتنا منها .

- وقرأت في كتاب للهند : « إنما مثل السلطان في قلة وفائه للأصحاب ومضاء نفسه عن قُعد منهم مثل البعير والمكتب ، كلما ذهب واحد جاء آخر » .
والعرب تقول : « السلطان ذو صدوائٍ وذو بدوائٍ وذو تُدْرائٍ » يريدون أنه سريع الانصراف كثير البدوات تجوُّم على الأمور .

- (١) كذا بالأصل الفتوغرافي وفي العقد الفرید : نغذ ماء الزمان فُدق فيه إهليلجة الخ .
(٢) كذا بالعقد الفرید وفي الفتوغرافية هكذا "تنهضك" وفي الألمانية : "تنهضك" وكلاما آخر حريف .
(٣) الزيادة من العقد الفرید .
(٤) في الأصل الفتوغرافي كتب تحتها كالتفسير لها "يخدم" . وزيد في النسخة الألمانية كأنه من الأصل
(٥) في العقد الفرید "أعرت" وفي الأصلين الفتوغرافي والألماني هكذا "أعرب" وقيل في هامش النسخة الألمانية "أعرت" ولعله الصواب .

قال معاذ بن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فزع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن ، هات نعلي . فجاء بها ، فقال : يا معاذ ضعها في رجلي . قالته إياها فخذ ذلك أبو مسلم ، ووجه أبو جعفر يَقْطِيعَ بن موسى الى أبي مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفلها أبنُ سلامة الفاعلة؟ لا يكفى . فقال يقطيع : عجّلَ أيها الأمير ، قال وكيف ؟ قال : أمرني أن أحصى الأموال ثم أسلمتها إليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يقطيعُ على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المداين في اليوم الذي قتل فيه جعل يضرب بالسوط مَعْرِفَةَ رِدْوَنه ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُنْهِي المعرفة إذا لم يُقَدَّر على دفع المحتوم . ثم قال : جارة ذيلها ، تدعو يا ويلها ، بدجلة أو حولها ، كأننا بعد ساعة ، قد صرنا في دجلة .

١٠ قال للمنصور : « ثلاث كن في صدرى شفى الله منها : كتاب أبي مسلم إلى وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من سوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثية؟ . وضربُ سليمان بن حبيب ظهري بالسياط . »

قال المنصور لِسَلَمَ بن قتيبة : ماترى في قتل أبي مسلم ؟ فقال سَلَمَ (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يا أبا أمية .

١٥ قال أبو دُلَامة :

أبا مُجْرم ماغيّر الله نعمة * على عبده حتى يُغيّرَها العبد
أفى دولة المهدى حاولت غدره * ألا إن أهل الغدر أباؤك الكُذُرُ
أبا مجرم خوفنى القتل فأتقى * عليك بما خوفنى الأسد الورُدُ

٢٠ قال مروان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتججت إلى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدرى ، فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعهم الى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنقنى في حياتى وإلا لم تحجز عن حفظ

حُرِّبَ بَعْدَ وَفَاتِي « فقال عبد الحميد : إن الذي أُمِرْتُ بِهِ أَنْفَعُ الْأَمْرَيْنِ لَكَ وَأَقْبَحُهُمَا
بِي وَمَا عِنْدِي إِلَّا الصَّبْرُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَكَ أَوْ أَقْتُلْ مَعَكَ . وَقَالَ :
أَسْرُوفًا ثُمَّ أَظْهَرَ غَدْرَهُ « فَنَ لِي بِمَذْيَرِ يُوسُفَ النَّاسُ ظَاهِرُهُ »

المشاوره والرأى

- حدثنا الزَّيْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ هِشَامٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُ حَتَّى الْمَرْأَةَ فَتَشِيرُ عَلَيْهِ بِالشَّيْءِ فَيَأْخُذُ بِهِ » .
وَقُرَأَتْ فِي التَّاجِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعِجَمِ اسْتَشَارَ وَزَرَءَهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
« لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مَنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا بِهِ » ، فَإِنَّهُ أَمُوتَ لِلْسُّرِّ وَأَحْزَمَ لِلرَّأْيِ
وَأَجْدَرَ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْنَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةٍ بَعْضٌ ، فَإِنْ إِفْشَاءَ السُّرِّ إِلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ
أَوْثَقَ مِنْ إِفْشَاءِهِ إِلَى اثْنَيْنِ ، وَإِفْشَاءَهُ إِلَى ثَلَاثٍ كَإِفْشَاءِهِ إِلَى الْعَامَةِ لِأَنَّ الْوَاحِدَ رَهْنٌ
بِمَا أَفْشَى إِلَيْهِ وَالثَّانِي يُطْلَقُ عَنْهُ ذَلِكَ الرَّهْنُ وَالثَّلَاثُ عِلَاوَةٌ فِيهِ ، وَإِذَا كَانَ سِرُّ الرَّجُلِ
عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أَحْرَى أَنْ لَا يُظْهَرَ رَهْبَةً مِنْهُ وَرَغْبَةً إِلَيْهِ ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ
دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ الشُّبْهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَعَارِضُ ، فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقِبَ اثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ أَتَاهُمَا اتِّهَمَ بَرِيئًا بِمُنَاقَاةِ مُجْرِمٍ ، وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا كَانَ الْعَفْوُ عَنْ
أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنِ الْآخَرِ وَلَا حِجَّةَ مَعَهُ » .
وَقُرَأَتْ فِي كِتَابِ الْهِنْدِ أَنَّ مُلْكًَا اسْتَشَارَ وَزَرَءَهُ لَهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : « الْمَلِكُ
الْحَازِمُ يَزِيدُ بِرَأْيِ الْوُزَرَءِ الْحَزْمَةِ كَمَا يَزِيدُ الْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ مِنَ الْأَنْهَارِ ، وَيُنَالُ بِالْحَزْمِ
وَالرَّأْيِ مَا لَا يَنْتَالُ بِالْقُوَّةِ وَالْجُنُودِ ، وَالْأَسْرَارُ مَنَازِلُ : مِنْهَا مَا يَدْخُلُ الرَّهْطُ فِيهِ ، وَمِنْهَا
مَا يَسْتَعَانُ فِيهِ بِقَوْمٍ ، وَمِنْهَا مَا يَسْتَغْنَى فِيهِ بِوَاحِدٍ . وَفِي تَحْصِينِ السُّرِّ الْفَقْرُ بِالْحَاجَةِ
وَالسَّلَامَةُ مِنَ الْخُلَلِ . وَالْمُسْتَشِيرُ وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ رَأْيًا مِنَ الْمَشِيرِ ، فَإِنَّهُ يَزِيدُ بِرَأْيِهِ » .

(*) فِي النُّسَخَةِ الْتَوَفَرُغِيَّةِ : إِلَّا الصَّبْرَ مَعَكَ .

وأيا كما تزداد النار بالسليط ضوياً . وإذا كان الملك محصناً لسره بعيداً من أن يُعرف ما في نفسه متخفياً للوزراء مهيباً في أنفاس العامة كافياً بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المريب مقتدراً لما يُفقد وينفق ، كان خليقاً لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به » .

قال أبو محمد : كتبت إلى بعض السلاطين كتاباً وفي فصل منه : « لم يزل حرمة الرجال يستحلون مرارة قول النصحاء ويستهدون العيوب ويستثيرون صواب الرأي من كل حتى الأمة الوثقاء ، ومن احتاج إلى إقامة دليل على ما يدعيه من موذته وبقاء طويته فقد أغنانى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطراب إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانبساط جاهك وبذلك زيادة الحال » .

وفي فصل آخر : « وقد تملت في هذا الكتاب بعض المتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأي ولم أستشر وأحلت نفسي محل الخواص ولم أحل ونزعت في النفس ، حين جاشت وضائق بما تسمع ، عن طريق الصواب لها إلى طريق الصواب لك ، وحين رأيت لسان عدوك منبسطة بما يتعيه عليك وسهامه نافذة فيك ، ورأيت وليك معكوماً عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوام الناس يخوضون بضروب الأثاويل في أمرك ، ولا شيء أضرب على السلطان في حال ولا أنفع في حال منهم . وبما يُعريه الله على ألسنتهم تسير الركان وتتق الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب ، وظاهر الخبر عندهم أصل من شهادة العدول التفات » .

وفي فصل منه : « وسأئس الناس ومدبر أمورهم يحتاج إلى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتال سوء أدب العامة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والمنموذج مما

(*) في الأصل الفتوغرافي : كتب إلى بعض أصحاب السلطان الخ ، ولكن الحكاية تزيد رواية النسخة الألمانية .

يسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها ، ولا يميزون بالعدل الواضح فكيف بالعدل المتيسر ، وأخوك من صدقك وأرتض لك لا من تأهلك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك .

- قال زياد لرجل يشاوره : « لكل مستشارة ولكل سر مستودع ، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان : إضاعة السر ، وإخراج النصيحة . وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آخرة يرجو ثواب الله ، أو رجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه ، وقد عجمتهما لك » .

- وكتب بعض الكتاب : « اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك ، وغلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفتا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الفاش لك الحاطب عليك من مد لك في الاعتراض ووطأ لك مهاد الظلم وجرى معك في عتاك متقادا لهواك » .

وفي فصل : « إني وإن كنت ظنينا عندك في هذه الحال في تدبرك صفحات هذه

- المشورة ما ذلك على أن نخرجها عن صدق وإخلاص » .

- إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يوليَه القضاء ، فأشار عليه به ، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر ، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أترى لي أن أليَ القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله ! استشرتك فأشرت عليّ به ثم أسمعتك تنهأ ! قال : أيها الأمير استشرتني فأجبتك لك رأيي ونصحتك ، وأستشارني فأجبتك له رأيي ونصحتي .

كان نصر بن مالك على شرط أبي مسلم ، فلما جاءه إنذار أبي جعفر في القدوم عليه استشاره فقهاء عن ذلك وقال : لا آمنه عليك ، قال له أبو جعفر لما صار إليه : استشارك أبو مسلم في القدوم على فنيته؟ قال نعم : قال وكيف ذلك؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدث عن أبيه محمد بن علي قال « لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : « لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه على ضفتنا فاستشيرته ، فغير لي منه بقدر ما يحسد في نفسه فلا يزال يوسعي شتما وأوسعها حلما حتى يريج صديقا أستعين به فيعيتي وأستجده فيجذني » .

وقرأت في كتاب إربرزالي ابنه شيرويه وهو في حبسه : « عليك بالمشاورة فإنك واجد في الرجال من ينصح لك الكي ويحسم عنك اللاء ويخرج لك المستكين ولا يدع لك في صدقك فرصة إلا اتهرها ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصنها ، ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك فإن أحمدت اجتنبت وإن ذممت نفيت ، فإن في ذلك خصالا : منها أنه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك ، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك ، فإن رأيته معتليا لما رأيت قبلت ، وإن رأيته متضعا عنه استغثت ، ومنها أنه يجتهد لك النصيحة عن شاورت وإن أخطأ ويحضر لك موته وإن قصر » .

وفي كتاب للهند : « من التمس من الإخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة ، أخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر » .

(١) قل يماش النسقة الألمانية عن نسقة "فيغور" انط .

(٢) في الأصل "ينصح" وهو تحريف .

(٣) هكذا في النسقة الألمانية والقصورغرافية ، والمناسب لما قبله "أذمت" يقال أذمته أي وجدته ذميا .

وفي آداب ابن المقفع: « لا يُثْخَنُ في رُوءِكَ أنكَ إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأي غيرك، فيقطعك ذاك عن المشاورة، فإنك لا تريد الرأي للفتخر به ولكن للانتفاع به. ولو أنك أردت الذكر كان أحسنُ الذكر عند الألباء أن يقال: لا ينفرد برأيه دون ذوي الرأي من إخوانه. »

- قال عمر بن الخطاب: «الرأي الفرد كالخيط السَّحِيل، والريان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مَرَارٌ لا يكاد ينقض». وقال أضحج:

رأى سري وعيونُ الناس حاجمةٌ * ما آخر الحزمَ رأى قتمَ الحذرا

- كتب الججاج إلى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة، فكتب إليه المهلب: «إن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبعثه». وقيل لعبد الله بن وهب الراسبي: يوم عقدت له الخوارج: تكلم. فقال: ما أنا والرأي التطير والكلام القضيبي. وقال أيضا: نعم الرأي خير من فطيره، ورُبَّ شيء فأبه خير من طريه، وتأخيره خير من تقديمه. وقيل لآخر: تكلم. فقال: ما أشتى الخبز إلا باننا.

- كان ابن هبيرة يقول: « اللهم إني أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه والامحطاط في هوى مستشيره، ومن لا يلتمس خالص مودتك إلا بالتأني لمواقفة شهوتك، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر في حوادث غدك ». وكان يقال: «من أعطى أربعة لم يُمنع أربعة: من أعطى الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أعطى التوبة لم يُمنع القبول، ومن أعطى المشورة لم يُمنع الصواب، ومن أعطى الاستشارة لم يُمنع الخيرة ». وكان يقال: لا تستشر معانبا ولا راعي الغنم ولا كثير القعود مع النساء. وكان يقال: لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاها ولا جافها ولا حاقن بول.

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازق » وهو الذى ضغطه الخف « ولا لحاقب » وهو الذى يحد رزاً فى بطنه . وقالوا أيضاً : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مَرَّازِ بَنَه قَصَّروا فى الرأى دعا الموكَّلين بأرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون : تخطى مَرَّازِ بَنَك وتماقنا ! فيقول : نعم ، إنهم لم يخطئوا إلا لتعاقب فلوهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إنا النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكمة فإن الله سلبهم عقولهم وزع البركة من كسبهم .
قال الشاعر :

وأفزع من شاورت من كان ناصحاً * شقيقاً فأبصر بمدى ما تشاور
وليس بشافيك الشفيقُ ورأيه * عزيز ولا ذوالرأى والمصدرُ وأغرى
ويقال : علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر :

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك فضاضة * فإن الخوافى رافدات القوام
وحلُّ الهوينا للضعيف ولا تكن * تؤوماً فإن الحزم ليس بنائم
وأذن من القربى المقرب منه * ولا تُسبِد الشورى أمراً خير كاتم
وما خير كلف أمسك الفلَّ أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
فإنك لن تستطرد الممَّ بالمئى * ولن تبلغ العليا بغير المكارم

قال أعرابي : ما عُيِّنْتُ قط حتى يُبَيِّن قويمى . قيل : وكيف ذلك ؟ قال :
لا أفضل شيئاً حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بنى عُبَيْس : ما أكثر صوابكم ! فقال :

نحن ألف رجل وفيما حازم واحد ونحن نطعمه، فكأننا ألف حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توان » .

وقال القطامي في معصية الناصح :

ومعصية الشفيق عليك عا • يزيدك مرة منه استنجا
وغير الأمر ما استقبلت منه • وليس بأن تقيمه اتباعا
كذلك وما رأيت الناس إلا • إلى ما جرّ ظواهرهم سراعا
تراهم يغمزون من أسترّكوا • ويحتنبون من صدق المصاعا

وقال آخر، أنشدنيهِ الرياشي :

ومولّى عصافى وأستبدّ برأيه • كما لم يطلع بالقيتين قصير
فلما رأى أن غبّ أمرى وأمره • وولّت بأعجاز الأمور صدور
تنتى بهما أن يكون أطاعنى • وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال سبيع لأهل الجمامة « يا بني حنيفة بهذا كما بعثت عاد وثمود، أما والله لقد أنباتكم بالأمر قبل وقوعه كأني أسمع جرسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتُم النصيحة فأجنتهم الندم، وأصبحتُم وفي أيديكم من تكذيبى التصديق ومن تهمنى التدامة، وأصبح فى يدي من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود وما بقى غير مأمون .
وإني لما رأيتمكم تهتمون النصيح وتسهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غيرة . ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ وهن المواعظ وكنتم كأنما يعنى بما أتم فيه غيركم » .

وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : « قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذى يخلط حلو كلامه بمرّه وحرّته بسهله ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره ،

وقد وصيت النصح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُشكَّ في مودته وصافي
غيبه، وما زلت بحمد الله إلى كل خير طريقاً منهاجاً ومهيماً واضحاً .

وكتب عثمان إلى عليّ حين أحبط به : « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبي وبلغ
الحزام الطيبين وقد تجاوز الأمر بي قدره .

فإن كنتُ ما كولا فكن خيراً كل * وإلا فادركني ولما أمرتُ »
وقال أوس بن حجر :

وقد أُعيب ابنُ العِلم إن كنتُ ظالماً * وأغفر عنه الجهل إن كان أجھلاً
وإن قال لي ماذا ترى ؟ يستشيري * يحذني ابن عمي يحفظ الأمر منيلاً
أقيم بدار الحزم ما دام حزمها * وأحر إذا حالت بارت أتمولاً
وأستبدل الأمر القويّ بغيره * إذا عقّد مأفون الرجال تحللاً
وكان يقال : « أناء في عواقبها درك، خير من معاجلة في عواقبها قوت » .
وأنشدني الرازي :

وعاجز الرأي مضباع لقرصته * حتى إذا فات أمر طائب القدرا
وكان يقال : « روَّجزم فإذا استوضحت فاعزم » .

الإصابة بالظن والرأي

كان ابن الزبير يقول : « لا عاش بخير من لم يربأ به ما لم يربعنه » . ومثله
بعض الحكماء : ما العقل ؟ فقال : « الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان » .
وكان يقال : « كفى نُحيراً عما مضى ما بقى ، وكفى صبراً لأولى الأبواب ما جربوا » . وكان
يقال : « كل شيء محتاج إلى العقل ، والعقل محتاج إلى التجارب » . ويقال : « من لم
ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه » . وقال أوس بن حجر :

الألمى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمع

وقال آخر:

وأبغى صوابَ الظنِّ أعلم أنه * إذا طاش ظنُّ المرء طاشت مَقَادِرُهُ

وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في عبد الله بن عباس: «إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق». وقال: «ظنُّ الرجل قطعةٌ من عقله». وقال: «الظنون مفاتيح اليقين». وقال بعض الكتاب:

أصونك أن أظنَّ عليك ظنا * لأن الظن مفتاح اليقين

وقال الكيت:

مثلُ التدبر في الأمر آتِنَافُكَه * والمرء يسجز في الأقوام لا الحيل^(١)

وقال آخر:

وكنْتَ متى تُهزَزْ نخطب نُقَشَّه * ضرائبَ أمضى من رِقاقِ المضارب
تَجَلَّتْ به بالراى حتى أَرَيْتَه * به ملءَ عينه مَكَنَّ العواقب

وقال آخر يصف عاقلا:

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يرى بصواب الراى ما هو واقع

وقال آخر في مثله:

علم بأعقاب الأمور برأيه * كأنَّ له في اليوم عينا على الغد

وقال آخر يصف عاقلا:

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال جثامة بن قيس^(٢) يهجو قوما:

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تملون أجاء الرشد أم غابا

(١) هكذا في النسخة الألمانية والفرنغرافية، ولعله محرف عن الأقدام.

(٢) في النسخة الفرنغرافية: وقال آخر.

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلة * ولا تروفت وقد ولّين أذنايا
وقلّنا بضحا المكروه صاحبّه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا
(٥)
وقال آخر:

فلا يحذرون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا

وقال : « ظن العاقل كنهاته » . وفي كتاب للهند : « الناس حازمان وطاجن ، فأحد
الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم يبطر وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه ، وأحزم
منه العارف بالأمر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه ، والعاجز في تردّد وتثنّ حائر بائر
لا يأتمر ورشدا ولا يطيع مرشدا » .

وقال الشاعر :

ولمى لأرجو الله حتى كأتني * أرى بجمل الظن ما الله صانع

وقال آخر :

وغيره مرة من فعل غير * وغيره مرتين فعال موق
فلا تفسح بأمر قد تنق * ولا تأيس من الأمر السحيق
فإن القرب يبعد بعد قرب * ويدنو البعد بالقدر المسوق
ومن لم يتق الضحاضاح زلت * به قدماه في البحر العميق
وما أكتسب المحامد طالوها * بمثل البشر والوجه الطليق

وقال مروان بن الحكم لحبيش بن دبلجة : أظنك أحق . قال : « أحق ما يكون
الشيخ إذا عمل بطنّه » . ونقش رجل على خاتمه : « الخاتم خير من الظن » . ومثله :
« طينة خير من ظنة » .

اتباع الهوى

كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال طاهر بن الظَّيْرَب : الرأى نائم والهوى يقظان ، ولذلك يغلب الرأى الهوى . وقال ابن عباس : « الهوى إله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك ، ولم يقل غيره :

- إذا أنت لم تعص الهوى قاذك الهوى * إلى بعض ما فيه عليك مقال
وقال بزرجهر : «إذا أشبهه عليك أمران فلم تدري في أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هوالك فاجتنبه» .

- كان عمرو بن العاص صاحبَ غمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو أمراته فوقعت في نفس غمارة فدفع عمرا في البحر فتعلق بالسفينة ونرج ، فلما ورد بلاد الحبشة سعى عمرو بعمارة إلى النجاشي وأخبره أنه يُخَالَف إلى بعض نساءه فخطا النجاشي بالسواحر فضخض في إخليله فهام مع الوحش ، وقال عمرو في ذلك :
- تعلم غمارة أن من شر شمية * لئلك أن يدعى ابن عم له أنجما
وإن كنت ذابريدين أحوى رجلا * فلست براء لابن عمك غمرما
إذا المرء لم يترك طعاما يحببه * ولم يعص قلبا غاويا حيث يتمما
قضى وعلما منه يسيرا وأصبحت * إذا ذكرت أمثاله تملأ الفما
وقال حاتم طي في مثله :

- وإنك إن أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا
وقال آخر :
- جار الجيسد على محضكما * جهلا ولست بموضع الظلم
أكل الهوى محجبي ورُب هوى * مما سيأكل حجة أنظلم

قال اعرابي : «الهوى هوان ، ولكن غلبت بأسمه» .

وقال الزبير بن عبد المطلب :

وأجنب المقاذع حيث كانت * وأترك ما هويت لما خشيت

وقال البرقي المذلي :

أين لي ما ترى والمرء تأبى * عزيمته ويغلبه هواه

فيعمى ما يرى فيه عليه * ويحسب ما يراه لا يراه

وكان يقال : «أخوك من صدقك وأناك من جهة عقلك لا من جهة هواك» .

السمر وكنياته وإعلانه

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الحبيب قال حدثني أوس بن

عبد الله بن بريدة عن أخيه سهل عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«استعينوا على الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود» . وكانت الحكماء تقول :

«سرك من دمك» . والعرب تقول : «من ارتآد لمره موزعاً فقد أذاعه» .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قريظ عن عمه الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا

قال : دخل ابن أبي يحيى الثقفي على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذي يقول :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه * تُروى عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفني في القلاة فإنني * أخاف وراء الموت أن لا أذوقها

فقال ابن أبي يحيى : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره . فقال معاوية :

وما ذاك؟ قال قوله :

لا تسأل القوم ما مالى وما حسبي * وسألت القوم ما حزى وما خلقت

القوم أعلم أنى من سرائهم * إذا تطيش يد الرعية الفرق

أعطى السنن غداة الروع حصته * وعامل الرشح أرويه من الساق

قد أركب الهول مسدولاً عساكره * وأكتم السرف فيه ضربة المتق

وَأَشَدُّنِي لِلصَّلَاتَيْنِ الْعَبْدِي :

وَسُرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي * وَسُرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرَ الْحَنَفِي

وَكَانَ عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُمَثِّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

وَلَا تُهْشِ سُرُّكَ إِلَّا إِلَيْكَ * فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ غُوَاةَ الرَّجَا * لِي لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمُرَاقِبَيْنِ نَكَامًا جَهْوَاهَا * جَمَلَا الْقُلُوبَ لِمَا تُجَنِّ قُبُورًا

يَتَلَاخِظَانِ تَلَاخُظًا فَكَأَنَّمَا * يَتَنَاقِضَانِ مِنَ الْجَفَوْنَ سَطُورًا

وَقَالَ مِسْكِينُ الْبَارِي :

أَوَانِي رِجَالًا لَسْتُ أَطْلِعُ بِمَقْصَمِهِمْ * عَلَى سِرِّ بَعْضِ غَيْرَ أُنَى رِجَاعُهَا

يُظَلُّونَ شَقًى فِي الْبِلَادِ وَسُرُّهُمْ * إِلَى صَحْفَةِ أَعْيَا الرِّجَالِ انْصِدَاعُهَا

وَقَالَ :

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا أَشْتَمَلْتُ * مِنْهُ الضُّلُوعُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّائِهِ * إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرِ

أَسْرَرْتُ رَجُلًا إِلَى صَدِيقٍ لَهُ حَدِيثًا فَلَمَّا اسْتَقْصَاهُ قَالَ لَهُ : أَفْهِمْتُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ نَسِيتُ .

قِيلَ لِأَعْرَابِي : كَيْفَ كِتَابَتِكَ لِلسَّرِّ ؟ قَالَ : « مَا قُلْتُ لَهُ إِلَّا قَبْرَ » . وَقِيلَ لِمُزِيدٍ :

أَيُّ شَيْءٍ تَحْتَ حَضَنِكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَحَقُّ لِمَ خَبَاتُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ * فَأَقْصِئْهُ الرِّجَالَ فَرَنْ تَلُومَ

إِذَا عَابَتْ مِنْ أَفْتَى حَدِيثِي * وَسَرَى عَنْهُ فَأَنَا الظَّلُومَ

وَإِنِّي حِينَ أَسَامَ حَمَلْتُ سَرَى * وَقَدْ ضَمَمْتُهُ صَدْرِي سَوْوَمَ

(٥٥) فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ : وَقَالَ آخَرُ . عَلَيَّ أَنَا لَمْ تَنْشُرْ عَلِيَّ هَذَا الشَّرْطَ لِمُسْكِينِ الْبَارِي .

قيل لرجل : كيف كتمانك للسرة؟ قال : «أجحد الخبر وأحلف الاستخبر». وكان يقال : «من وهى الأمر بإعلانه قبل إحكامه». وقال الشاعر :

إذا أنت حملت الخوون أمانة * فإنك قد أسندتها شرُّ مُسند

وقال عمرو بن العاص : «ما استودعتُ رجلاً سرّاً فافشاه فلبته، لاقى كنت أضيق صدرا حين استودعته». وقال :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها * فسرّك عند الناس أفتى وأضيع

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتسع لسانه» .

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثنا ولا أراه يطوى عنك ما يسطه لغيرك، أفلا أحذرك به؟ قال : لا يا بني «إنه من كتم سره كان الخیار له، ومن أنشاه كان الخیار عليه، فلا تكون مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال قلت :

وإن هذا ليجري بين الرجل وأبيه؟ قال : لا، ولكنى أكره أن تذلل لسانك بأحاديث السرة. فحدثت به معاوية فقال : يا وليد ؟ أعتقك أخى من رِق الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صونوا أسراركم فإنه لا سر لكم إلا فى ثلاثة مواضع : مكيمة مُحاول أو متريّة تُراوَل أو سريرة مدخولة تُكتم، ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شئ منها عنه». وكان يقال : «ما كنت كاتمها من عدوك فلا تظهر عليه صديقك» .

وقال جميل بن مَعمر :

أموت وألقى الله يابتن لم أُلج * بسرّك والمستخبرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومي :

ولما تلاقينا عرفُ الذى بها : * كمثل الذى فى حذوك النمل بالنمل

فَقَالَتْ وَأُرِخْتُ جَانِبَ السَّرِّ إِنَّمَا * مَعِيَ فَكَلَّمُ غَيْرَ ذِي رُقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِيَ لِمَنْ مِنْ تَرْقُبٍ * وَلَكِنْ سَرَى لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
يُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ يَحْمِلُهُ أَحَدٌ مِثْلِي فِي صِبَايَتِهِ وَسَرَّهُ، أَيْ فَلَا أَبْدِيَهُ لِأَحَدٍ . وَقَالَ زُهَيْرُ:
السَّرُّ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يُلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سَرِّ

وَقَالَ آخَرُ:

فِي سَرِّي كَمَا عَلَانِي وَتِلْكَ خَلِيقَتِي * وَظُلْمَةُ لَيْلٍ مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيَا
وَقَالَ آخَرُ لَخَ لَهُ وَحْدَهُ بِمَحْدِثٍ : اجْعَلْ هَذَا فِي وَعَاءٍ غَيْرِ سَرِّبٍ . وَالسَّرِّبُ السَّائِلُ .
وَكَانَ يَقَالُ : «لِلْقَائِلِ عَلَى السَّامِعِ جَمْعُ الْبَالِ وَالْكُتْمَانِ وَبَسْطُ الْعَذْرِ» . وَكَانَ يَقَالُ :
«الرَّعَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِسْتِعَاةِ» .

- ١٠ أَمَّا رَجُلٌ عُبِيدَ اللَّهُ بْنُ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَمَّامٍ السُّلَوِيَّ سَبَّهُ . فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ فَأَنَاءَهُ فَقَالَ : يَا بَنَ هَمَامٍ إِنْ هَذَا يَزْعِمُ أَنَّكَ قُلْتَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ ابْنُ هَمَّامٍ :
فَأَنْتَ أَمَرْتُ إِنَّمَا أَتَمَمْتُكَ خَالِيَا * نَفَعْتُ، وَإِنَّمَا قُلْتُ قَوْلًا بَلَا عِلْمَ
وَإِنَّكَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ * لَنِي مِثْلُ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ
وَقَالَ آخَرُ:

- ١٥ اخْفِضِ الصَّوْتِ إِنْ نَطَقْتَ بِلِيلٍ * وَالتَّفِثْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ:

وَلَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُمْتُمُهَا * وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَقْبَلِي عَلَى قَلْبِي
وَإِنَّ قَلِيلَ الْعَقْلِ مِنْ بَاتٍ لَيْلَهُ * تُقْبَلُهُ الْأَسْرَارُ جُنْبًا إِلَى جَنْبِ
وَقَالَ أَبُو الشَّيْخِ:

- ٢٠ لَا تَأْمَنْتِ عَلَى سَرِّي وَسَرِّكُمْ * غَيْرِي وَغَيْرَكَ أَوْطَيْتِ الْقَرَّاطِيْسَ
أَوْ طَائِرٍ سَأَحْلِيهِ وَأَعْتَنَهُ * مَا زَالَ صَاحِبُ تَقْفِيرٍ وَتَأْسِيسِ

سُودَ بَرَأَيْتُهُ مِيلَ ذَوَائِبُهُ * صُفْرِ حَمَالَتِهِ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسٌ
قَدْ كَانَ هَمَّ سَلِيَانٍ لِيَذْبَحَهُ * لَوْلَا سَعَايَتُهُ يَوْمًا يَلْقَئُ قَيْسَ

وقال أيضا :

أَنْفَضَى إِلَيْكَ بِسْرَهُ قَلَمٌ * لَوْ كَانَ يَعْرِفُهُ بِكِي قَلَمُهُ

وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي الْكَتَّابِ يَأْتِيكَ فِيهِ السَّرُّ :

الْحَزْمُ تُحَرِّقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ * وَإِنَّمَا الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
إِذَا أَتَاكَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ * فَاجْعَلْ صِبَاغَتَهُ فِي بَطْنِ أَرْمَاسِ

وقال آخر :

سَاكَنَتُهُ سَرَى وَأَحْفَظُ سَرَّهُ * وَلَا غَرْنِي أَنْى عَلَيْهِ كَرِيمٌ
حَلِيمٌ فَيَنْتَسِي أَوْ جَهُولٌ يُسْمِعُهُ * وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

الْكُتَّابُ وَالْكِتَابَةُ

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهَ عَنْ وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ
عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ قَعْلَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ أَشْرَاطُ
السَّاعَةِ أَنْ يَفِيضَ الْمَالُ وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ وَتَفْشُو التِّجَارَةُ " قَالَ عَمْرِو : " إِنْ كُنَّا لَنَلْتَمِسُ
فِي الْحَوَاءِ الْعَظِيمِ الْكَتَّابَ ، وَيَبِيعُ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولُ : حَتَّى أَتَا مِن تَاجِرٍ بَنَى فُلَانٌ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَلِيلِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ عَنْ عَتَبَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَادَانَ عَنْ أُمِّ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُمِيلُ فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ فَقَالَ : " ضَعْ الْقَلَمَ عَلَى أَذْنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكُرُ لِمُلْكِي بِهِ " .

(١) كَذَا بِالْفَتْغَرِافَةِ . وَفِي الْأَمَانِيَةِ « عِيدُ اللَّهِ » وَلَهُ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ بِنْتُ الْعَبْدِيِّ رَاوِي الْحَدِيثِ

كثيراً عن الحسن البصري وغيره . (٢) الحَوَاءُ مجتمع بيوت الخى إذا تداثت .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: «كان إدريس النبي عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها وكان من قبله يلبسون الجلود» .

- حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عياض ابن أبي موسى أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى: أدع لي كاتبك ليقرأ لنا محضاً جاءت من الشام . فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: أله جنابة؟ قال: لا، ولكنه نصراني . قال: فرفع يده فضرب نغذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالك! فأنك الله! أما سمعت قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ! ألا اتخذت رجلاً حنيفياً! فقال أبو موسى: له دينه ولى كاتبه . فقال عمر: «لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدينهم إذ أقصاهم الله» .

- حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا عيسى بن يونس قال حدثنا أبو حيان التميمي عن أبي زئبغ عن أبي الدهقان قال: ذكر لعمر بن الخطاب غلام كتب حافظ من أهل الحيرة وكانت نصرانياً، فقيل له: لو اتخذته كاتباً، فقال «لقد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين» .

١٥

حدثني أبو حاتم قال: مرّ امرئ من أهمل الأتبار وهو الذي وضع كلمة العربية، ومن الأتبار انتشرت في الناس .

(٥) هكذا في النسخة الجغرافية والألمانية - والذي في القاموس: ومرامر بن مرة بضمهما أول من

وضع الخط العربي . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطامي ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال: قال

٢٠

ابن بري: الذي ذكره ابن النحاس وغيره عن المدايني أنه مرامر بن مرة .

حدثني أبو سهل عن الطنّافسي عن المنكدر بن محمد عن أبيه محمد بن المنكدر قال جاء الزبير بن العوام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت؟ جملني الله فذاك! قال "ما تركت أعرا بيتك بعد".

قال عبد الملك بن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر: «تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك، فإن الغائب يحبّه عنك كاتبك، والمتوسّم يعرفك بحاجبك، والداخلُ عليك يعرفك بجليسك».

ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه ، فكتب إليه : «إنه ليخيل إلى أني لو كتبتُ إليك أن تُعطي رجلاً شاة لكتبتُ إلى : أضأن أم ماعز ، ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتُ : أذكر أم أنى ، ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتُ : أصغير أم كبير . فإذا أتاك كتابي هذا فلا تراجعي في مظليّة» .

وكتب أبو جعفر إلى تسلم بن قتيبة يأمره بهدم دُورٍ من خرج مع إبراهيم وعُقر نخْلهم . فكتب إليه : بأى ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدور ؟ فكتب إليه أبو جعفر . «أما بعد : فإني لو أمرتُك بإفصاد تمرهم لكتبتُ إلى تساذن في أيّ تبدأ أبالبرقي أم بالشهريز ؟» وعزله ، وولى محمد بن سليمان . وكان يقول : «للكاتب على الملك ثلاثة ، رفع التجاب عنه ، وإتّهام الوشاة عليه ، وإفشاء السرّ إليه» .

كانت السّجّة تقول : «من لم يكن عالماً بأجراء المياه وبحفر فُرْضِ الماء والمسارب ورَدَمِ المَهْأوى ومجاري الأيام في الزيادة والنقصان واستهلاك القمر وأهواله ووَزَنِ الموازين

(١) في الفتوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) في الفتوغرافية فرض المشاوب .

وَذَرَعَ الْمُثَلَّثَ وَالْمُرَبَّعَ وَالْمُخْتَلِفَ الزَّوَايا وَنَصَبَ الْقَنَاطِرَ وَالْحُسُورَ وَالْبُؤَالَى وَالنَّوَارِعَ عَلَى الْمِيَاهِ وَحَالَ أَدْوَاتِ الصَّنَاعِ وَدَقَائِقِ الْحِسَابِ كَانَ نَاقِصًا فِي حَالِ كِتَابَتِهِ .

قَالَ تَمِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ « إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى كَاتِبٍ حَاجَةٌ فَلْيَكُنْ رَسُولُكَ إِلَيْهِ الطَّمَعُ » .

وَقَالَ : « إِذَا أَخْبَتَ الْوَزِيرُ فَلَا تَخْشُ الْأَمِيرَ » .

- وَفِي كِتَابِ لِلْهَنْدِ : « إِذَا كَانَ الْوَزِيرُ يُسَاوِي الْمَلِكَ فِي الْمَالِ وَالْهَيْبَةِ وَالطَّاعَةِ مِنَ النَّاسِ فَلْيَصْرِعْهُ الْمَلِكُ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ هُوَ الْمَصْرُوعُ » .

الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : خَلَا زِيَادٌ يَوْمًا فِي أَمْرٍ يَنْظُرُ فِيهِ وَعِنْدَهُ كَاتِبٌ لَهُ يَكْتُبُ وَأَبْنَاهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَنَسَسَ زِيَادٌ فَقَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ : تَعَاهِدْ هَذَا لَا يَكْتُبُ شَيْئًا . وَنَامَ ، فَوَجَدَ عُبَيْدُ اللَّهِ مَسًّا مِنَ الْبَوْلِ فَكَرَّهَ أَنْ يُوقِظَ أَبَاهُ وَكَرِهَ أَنْ يُخَيَّلَ الْكَاتِبُ فَشَدَّ إِهْبَاهِهِ بِخَيْطٍ وَخَتَمَهُ وَقَامَ لِحَاجَتِهِ .

- قَالَ أَبُو عِبَادٍ الْكَاتِبُ : مَا جَلَسَ أَحَدٌ قَطُّ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَّا تَحَيَّلَ إِلَى أَنِّي جَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ .
وَقُرَأَتْ فِي النَّجَاحِ أَنَّ أَبْرَوَيْزَ قَالَ لِكِتَابَتِهِ : « أَكْثَمُ السَّرِّ وَاصِدُقُ الْحَدِيثِ وَاجْتَنِدْ فِي النَّصِيحَةِ وَاحْتَرَسْ بِالْحَذَرِ ، فَإِنَّ لَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا أَتَحَيَّلَ بِكَ حَتَّى أَسْتَأْنِيَ لَكَ وَلَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ قَوْلًا حَتَّى أَسْتَيْقِفَ وَلَا أَطْمَعُ فِيكَ أَحَدًا فَيَغْتَالَكَ » . وَاعْلَمْ أَنَّكَ بِمَنْجَاةٍ رَفِيعَةٍ فَلَا تَحْطَأْهَا وَفِي ظِلِّ مَمْلَكَةٍ فَلَا تَسْتَرِبْلَهُ ، وَقَارِبِ النَّاسَ بِمَجَامِلَةٍ عَنْ نَفْسِكَ وَبَاعِدِ النَّاسَ مُشَاجِمَةً مِنْ عَدُوِّكَ وَأَقْصِدْ إِلَى الْجَمِيلِ آدْرَاعًا لِنَدِكَ وَتَحَصَّنْ بِالْعَفَافِ صَوْنًا لِمَرْوَتِكَ وَتَحَصَّنْ عِنْدِي بِمَا قُدِّرَتْ عَلَيْهِ مِنْ حَسَنِ وَلَا تُشْرَعَنَّ الْأَلْسَنَةُ فِيكَ وَلَا تَقْبَحَنَّ الْأَحْدُوثَةُ عَنْكَ وَصُنْ نَفْسَكَ صَوْنَ الدَّرَةِ الصَّافِيَةِ وَأَخْلِصْهَا إِخْلَاصَ الْفَيْضَةِ الْبَيْضَاءِ وَعَاتِبْهَا بِمَعَانِيَةِ الْحَذَرِ الْمُشْفَقِ وَحَصِّنْهَا بِتَحَصُّينِ الْمَدِينَةِ الْمُنِيعَةِ . لَا تَدْعَنَّ أَنْ تَرْفَعَ إِلَى الصَّغِيرِ ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْكِبَرِ وَلَا تَكْتَمَنَّ الصَّغِيرَ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَاغِلًا عَنْ

الصغير . هذب أمورك ثم ألقى بها وأحكم لسائك ثم راجعني به ولا تجترئ على فامتص ولا تنقبض مني فاتهم ولا تُمرضن ما تلقاني به ولا تُجِدِّجَنَّهُ . وإذا فكرت فلا تعجل وإذا كتبت فلا تُعْزِرْ ، ولا تستعين بالفضول فإنها علاوة على الكفاية ولا تُقصِر عن التحقيق فإنها هُجْنَةٌ بالمقالة ولا تُلَيْسَنَّ كلاما بكلام ولا تباعدن معنى عن معنى . أكرم كتابك عن ثلاث : خضوع يستخفه ، وانتشار يُبْجِهْهُ ، ومعانٍ تقعد به ، وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول ، ولكن بسطة كتابك على السوقة كبسطة ملك الملوك على الملوك ، ولا يكن ماتلك عظيما وما تقول صغيرا فإنما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليا كملؤه وفاقا كفقوه . واعلم أن جماع الكلام كله خصال أربع : سؤالات الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرك عن الشيء . فهذه الخلال دعائم المقالات إن أنثس لها خامس لم يوجد وإن نُقص منها رابع لم تم ، فإذا أمرت فأحكم وإذا سألت فأوضح وإذا طلبت فأشجع وإذا أخبرت فحقق فإنك إذا فعلت ذلك أخذت بحزمير القول كله فلم يشبه عليك وارده ولم يُعْجِزَكَ منه صادره . أثبت في دواوينك ما أدخلت وأحص فيها ما أخرجت وتيقظ لما تأخذ وتجرّد لما تعطى ولا يفلتلك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدم ولا تُخرجن وزن قيراط في غير حق ولا تعظمن إنراج الكثير في الحق ، ولكن ذلك كله عن مؤامرتي .

قال رجل لبيه : « يا بني تَرَيُوا بَزِي الكُتَّابِ فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة » .

قال الكسائي : « لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن الشيء بعد الشيء أفتره بغيره فقال : يا لله ! ما رأيت رجلا أقدر ، على كلمة إلى جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها ، منك ! » .

وقال ابن الأعرابي : « رأني أعرابي وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال إنك لحنّف الكلمة الشرود » .

وقال رجل من أهل المدينة : « جلست إلى قوم ينفدوا فما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أقلامهم » .

- وكتب بعض الكُتّاب إلى صديق له : « وصل إلى كمالك فما رأيت كتاباً أسهل فنونا ولا أملس مُتونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشدّ على كل مفصل حراً منه . أنجزت فيه عدّة الرأى وبشرى الفراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا » .

ويقال : « عقول الرجال في أطراف أقلامها » .

- ١٠ ويقال : « القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظفرين وإملاك العجين أحد الرّيعين وحسن التقدير أحد الكاسيين واللبّ أحد المحمين » . وقد يقال : المرق أحد المحمين .

- قبل لبعضهم : إن فلانا لا يكتب ، فقال : تلك الزّمانة الخفية . وقرأت في بعض كتب العجم أن موبذات موبّد وصف الكُتّاب فقال : « كُتّاب الملوك عيبتهم المصونة عندهم وأذانتهم الواعية وألستهم الشاهدة ، لأنه ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك ، ولا أقرب هلكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك ، فترفع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم ، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهدهم للملوك اجتهدهم لأنفسهم فلا يهتم روح على جسده ولا يهتم جسده على روحه لأن زوال ألقتهما زوال نعمتهما ، وأن التثام ألقتهما صلاح خاصتهما » .

وقال:

لئن نَحَبْتُ إِلَى الْحِجَاكِ بَقْتُ * إِنْ لَأَحَقَّ مِنْ تَحْدِي بِهِ الْعِيْرُ
مُسْتَحَقًّا مُخَفًّا تُدْمِي طَوَائِفَهَا * وَفِي الصَّحَائِفِ حَيَاتٌ مَنَّا كِبَرُ

وقال بعض الشعراء في القلم:

عَجِبْتُ لَذَى سَيِّئٍ فِي الْمَاءِ نَبْتُهُ * لَهُ أَثَرٌ فِي كُلِّ مَصِيرٍ وَمَعْمَرٍ

وقال بعض المحدثين في القلم:

ضَبِيلُ الرِّوَاءِ كَبِيرُ الْغَنَاءِ * مِنَ الْبَحْرِ فِي الْمَنْصِبِ الْأَخْضَرِ
كَثَلُ أُنَى الشَّقَى فِي شَفْصِهِ * وَفِي لَوْنِهِ مِنْ بَنَى الْأَصْفَرِ
يَمْتَرُ كَهَيْئَةِ مَرِّ الشَّجَا * عِ فِي دِعْصِ حَنْيَةِ أَغْفَرِ
إِذَا رَأَيْتَهُ مَحَّحَ لَمْ يَنْعَثْ * وَجَازَ السَّيْلَ وَلَمْ يَبْصِرِ
وَإِنْ مِيدَهُ صَدَعَتْ رَأْسُهُ * جَرَى جَرَى لَا هَائِبَ مُقْصِرِ
يَقْضَى مَا رَبَّهَ مَقْبِلًا * وَيَحْسِمُهَا هَيْئَةُ الْمَدِيرِ
تَجُودُ بِكَفِّ قَهْرٍ كَفُّهُ * تَسُوقُ الثَّرَاءَ إِلَى الْمَعْسَرِ

وقال حبيب الطائي يصف القلم:

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَشَّاتُهُ * يَصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكَلْبِيُّ وَالْمُفَاصِلُ
لِصَابِ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لِمَا بِهِ * وَارِئُ الْجَنَى أَشْتَارُهُ أَيْدِ عَوَاسِلُ
لَهُ رِقَّةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقْعَهَا * بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَابِلُ
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ * وَأَعْيَمُ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا أَمْنَطَى الْجَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرِغَتْ * عَلَيْهِ شِعَابُ الْفَكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطْلَاعَتِهِ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوُّضَتْ * لِنَجْوَاهُ تَقْوِيصُ الْإِلْيَامِ الْبَحَافِلُ
تَرَاهُ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مَرْهَفٌ * ضَنْئِي وَمِمَّنَا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم :

وأسمّر طأوى الكشج أنعمَ ناطق * له ذَمَلَاتٌ في بطون المَهَارِقِ
إذا استعجلته الكفّ أمطرَ خالَهُ * بلا صوتٍ إرعادٍ ولا ضوءٍ بارق
كَأَنّ اللّآلِى والزَّجْدَ تَطْفُفُهُ * وتورُّ الخُرْأى في بطون الحدائق

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً :

وإذا تَأَلَّقَ في النِّدَى كلامه آلُ المُنظوم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أعلامه ثم أُنْتَجَتْ * برقت مصابيح الدُّجى في كتبه
باللفظ يُقَرَّبُ فهمه في بُعده * منا ويبعد نيله في قربه
حَكَمَ قَسَائِمُهَا خِلَالَ بَنَانِهِ * متدفق وقَلْبُهَا في قلبه
كلّ روض مؤلّف بحمرة تَوْرِهِ * وبياض زهرته وخضرة عُشْبِهِ

وقال سعيد بن حميد يصف العود :

وناطق بلسان لا ضمير له * كأنه نفذ نِيطت إلى قدم
يُبدى ضمير سواه في الكلام كما * يُبدى ضمير سواه منطلق القلم

بعث الطائي إلى الحسن بن وهب بدواة أنبوس وكتب إليه :

قد بعثنا إليك أمّ المنايا * والعطايا زِيْنِيَّةَ الأحساب
في حشائها من غير حَرَبٍ حِرَابٌ * هي أمضى من مرهقات الحِرَابِ

وقال ابن أبي كريمة يصف الدواة والقلم :

ومسوّدة الأرجاء قد خضتُ ماعها * وروقت من قعر ثلثنا غير مُنْبَط
نحيص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الأمير المسلّط

وقال بعض أهل الأدب : إنما قيل "ديوان" لموضع الكتبة والحساب لأنه يقال : للكتاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين ، لحذفهم بالأمور ولطفهم فسُمي موضعهم باسمهم .

وقال آخر : إنما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوزر وهو الحمل يراد أنه يعمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمال ، قال الله عز وجل : (وَلَكِنَّا مُمْلِكُونَ) أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى أحمالاً من حلهم ، ولهذا قيل للإثم : وزر ، شبه بالحمل على الظهر ، قال الله تبارك وتعالى : (وَوَضِعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله :

يا كاتباً كتب النداء يسُبِّحُ * من ذا يطبق براعة الكتاب
لم ترض بالإعجاب حين سببتي * حتى شككت عليه الإعراب
وأردت إغفاهى فقد أفهمتني * وصدقت فيما قلت غير محابي

وقال آخر :

يا كاتباً تسبِّحُ أعلامه * من كفّه دُرّاً على الأسطر
وقال صدي بن الرقاع :

صلى الإله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها
ومنه أخذ الكتاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طي في معنى قولهم مُتَّ قبلك :

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا * بموت فكن أنت الذى تتناحر

وقال جرير في معناه :

ردى فؤادى وكوفى لى بمنزلى * يا قبل نفسك لاق نفسى التفت

كتب بعض الملوك إلى بعض الكُتّاب كتاباً دعا له فيه بأمتع الله بك ، فكتب إليه ذلك الكاتب

أُحِلَّتْ عما عَهِدْتُ من أدبِكَ * أم نلت مُلكاً قَهِتَ في كُتُبِكَ
أم هل ترى أنْتِ في التواضع للأخوان قصدا عليك في حَسْبِكَ
أم كان ما كان منك عن غضب * فأى شئ أدناكَ من غضبك
إنْ جَفَاء كُتَّابٌ ذى مِقة * يُكْتَبُ في صدره : وأمتع بك
وقال الأصمعي في البرامكة :

إنَّا ذُكِرَ الشُّرْكُ في مجلس * أثارَتْ وجوه بني بَرَمَك
وإنْ تُبْلِغَ عندهم آية * أتوا بالأحاديث عن مَرَوَك^(٢)

وقال آخر :

إن القسراخ دغانى * إلى آبتناء المساجد
وإنْ رأيتُ فيها * كَوَّأى يحيى بن خالد

مر عبد الله بن الملقف بيت النار ، فقال :

يا بيت عاتكة الذى أتعزّل * حدّر السعدا وبه التواد موكل

وقال دِعِيلُ في أبي عباد :

أولَى الأمور بَضِيعَةٌ وفساد * أمر يدرُّه أبو عباد
حتى على جلساته بدواته * فرمَلْ ومضْمَخٌ بمِداد
وكان من دَرِهْرِ قُلْ مُغْلَبٌ * حَرْدٌ يَمُوزُ سلاسل الأقياد

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المنصور . أنظر هذا الشعر ورد

لبن الزيات عليه في العقد القويدي ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين الفتحرفاء والألمانى وهو معروف عن "مزدك" - والله ينسب المزدكية ، وقد خرج في أيام قباذ بن فيروز فيدل عريضة زرادشت واستعمل المحلّمين وسوى بين الناس في الأيوال والتمسا والعلية . فذكر أتباعه وعظم شأنه وتبعه قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى ولي كسرى أنوشروان قتلته وأباد أتباعه - باختصار عن ابن الأثير . وقد ورد البيتان في البيان والتحصيل لملاحظ .

خبرات العمال

حدثنا إسماعيل بن راهويه قال: دُرِكنا أن امرأة من قریش كان بينها وبين رجل خصومة فأراد أن يخاضعها إلى عمر فأهدت المرأة إلى عمر فخذ جزور ثم خاصمته إليه فوجه القضاء عليها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، الفصل القضاء بيننا كما يفصل نخذ الجزور . فقضى عليها عمر وقال : إياكم والمدايا . وذكر القصة .

قال إسماعيل : كان الحجاج استعمل المغيرة بن عبد الله الثقفي على الكوفة فكان يقضي بين الناس ، فأهدى إليه رجل سراجا من شبه ^(١) وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة . فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول : إن أمرى أضوأ من السراج . فلما أكثر عليه قال : ويحك إن البغلة رحمت السراج فكسرتة .

حدثنا إسماعيل قال حدثنا رَوْح بن عبادة قال حدثنا حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي بصرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر فاعجبته هيئته ونحوه ، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله . فقال الربيع : يا أمير المؤمنين ، إن أحق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومرتب وطىء لآنت . فضرب رأسه بجريرة وقال : والله ما أردت بهذا إلا مقاربتى ، وإن كنت لأحسب أن فيك خيرا . ألا أخبرك بمثل هؤلاء ، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا . فهل له أن يستأثر عليهم بشئ ؟ قال الربيع : لا .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عُيينة عن ابن أبي نجيح قال: لما أتى عمر بن الخطاب كسرى ومواريه جعل يقلبه يعود في يده ويقول : والله إن الذي أدى

(١) أناس الأصغر . (٢) كذا بالأصل غير مضبوط ، ولعله الحريري بسبب الصغير وهو سعيد ابن إلياس الحريري ، قد جاء في تهذيب التهذيب وفي الأكتاب للسمعاني أن من جملة من روى عنه الحمادان : حماد بن سلمة وحماد بن زيد .

إلينا هذا لأمين . فقال رجل : يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون إليك ما أذيت إلى الله فإذا رتعت رتسوا . قال : صدقت .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : لما أتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزان والنقاد فكوم كومة من ذهب وكومة من فضة وقال : يا حمرأ ويا بيضاء احزمي وابيضّي وغرّري غيري . وأنشد :

هذا جنّاي وخياره فيه • إذ كل جانٍ يده إلى فيه

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملاً يشترط عليه أربعا : ألا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقي ، ولا يتخذ بواباً . ومرو ببناء يبنى بصجارة وجسّ فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملاً له على البحرين فقال : «أبت الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائن أمينان الماء والطين» .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز إلى واليه : أن دَعَ لأهل الخارج من أهل الفرات ما يختصمون به الذهب ولبسون العلياسة وركبون البراذين وخذ الفضل .
حدثنا محمد بن عبيد عن هُوذة^(١) عن عوف عن ابن سيرين [واسحاق^(٢) عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين] بمعناه قال : لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدو الله وعدو كتابه ، أسرقت مال الله ؟ قال أبو هريرة : لست بعدو الله

(١) في النسخة المتوغرافية : "عيد" والاسماء وأردان مما في تهذيب الكمال في أسماء الرجال . وليس

في ترجمة أحدهما من يروى عن هُوذة هذا ، ولعل رواية الألمانية هي الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن قتيبة يروى عن محمد بن حيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

ولا عدو كما يقولكنى علق من عاذاهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خلى تاسلت وعطائي تلاحق وسهامي نتابعت فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمر المؤمنين ثم قال لى عمر بعد ذلك : ألا تعمل ؟ قلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . قلت : يوسف نبي ابن نبي وأنا ابن أمية^(١) أخشى ثلاثا واثنين . قال فهلا قلت نحسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، وأخشى أن يضرب ظهري ، ويشتم عرضي ، ويتزع مالى .

حدثنا محمد بن داود عن نصر بن قديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي ربرة وهو أمير البصرة فقال : أيها الأمير ، إني قرأت في بعض الكتب : « من أحق من السلطان ومن أجهل من عصاني ومن أعز من^(٢) أعزني . أيا راعى السوء دفعت إليك غنا سمانا سخا فأكلت اللحم وشربت اللبن واثنين بالسمن وليست الصوف وتركها عظاما تنقع » .

حدثني محمد بن شبابة عن القاسم بن الحكم القرني القاضي قال حدثني إسماعيل ابن عياش عن أبي محمد القرشي عن رجاء بن حيوة عن ابن مخمرة^(٣) قال : إني لصحت منبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية حين قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، اقرءوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ ذوقى في حقه أن يطاع في معصية الله . ألا إنه لن يبعد من رزق الله ولن يقرب من أجلي أن يقول المرء حقا وأن يذكر بعظيم . ألا وإني ما وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا وإني ما وجدت

(١) اسم أم أبي هريرة . (٢) في النسخة اللامانية : ومن أعز من أغزني .

(٣) في اللامانية : « مخمرة » ولعل الصواب ما في الفتوغرافية حيث ذكر في ترجمة رجاء بن حيوة أن من شيوعه المسودين مخمرة .

صلاح هذا المال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى في حق ، ويمنع من باطل . ألا وإنما أنا في مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغثت استغثت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، ^{تقرم} البهية .

- بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زباد إذا ولى رجلا قل له : خذ عهدك ويسر إلى عملك واعلم أنك مصروف رأس سنتك وأنت تصير إلى أربع خلال فاحتر لنفسك : إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسأمتك من معزتنا أمانتك ، وإن وجدناك خائناً قويا استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أميناً قويا زدناك في عملك ورفضنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

- قال العتي : بُعث إلى عمر بن الخطاب فاصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون . فقال سليمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة . قال : لا تسجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : ليك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى أُرثرت به هو ثوبك ؟ قال : اللهم نعم . فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمع .

بلغنى عن حفص بن عمر بن الرزى عن الحسن بن عُمارة عن المنهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذا كر طيا فتقصه فقام شداد فقال : « الحمد لله

- (*) كذا بالأصل ، وفي القاموس : واتزربه وتأزربه ولا تقل اترز وقد جاء في بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة اه . وفي النهاية لابن الأثير أنه خطأ لأن الهزنة لا تدغم في التاء . وفي التاج : وقال الطبري أنه لغة عامية ثم قل عن الصاغى أنه يجوز أن تقول اترز بالترز أيضا فيمن يدغم الهزنة في التاء كما يقال آمنه والأصل آمنه .

- الذى اقترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى أثر من رضا غيره . على ذلك مضى أوطم وعليه يمضى آخرهم . أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عَرَضٌ حاضراً لكل منها البر والقاجر، وإن السامع المطيع لاجبة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالناس صلاحاً عمل عليهم صلحاهم وقضى بينهم فقهاهم وجعل المال في سمعائهم ، وإذا أراد بالعباد شراً عمل عليهم سفهائهم وقضى بينهم جهلاءهم وجعل المال عند بخلائهم . وإن من صلاح الولاء أن يصلح قرنائها . نصحك يا معاوية من أعطاك بالحق وغشك من أَرْضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بجال ، وقال : ألسْتُ من السمطاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسلمين تمددت جمعة مخافة تبعته فأصبته حلالاً وأنفقتة إفضالاً ، فنعى . وإن كان مما شارك فيه المسلمون فاحتجته دونهم ، أصبته اقترافاً وأنفقتة إسرافاً ، فإن الله عز وجل يقول : (إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .
- مر عمرو بن عبيد بجماعة عكوف ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله ، سارق السريقطه سارق العلانية ! .
- ١٥ ومر طارق صاحب شُرطة خاله القسرى بابن شبرمة ، وطارق في موكبته فقال ابن شبرمة : أراها وإن كانت مُحِبُّ كَأَنهَا = سحابة صيف عن قريب تَنَشُّعُ اللهم لى ديني ولهم ديناهم . فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء ، فقال له ابنه : أتدكر يوم مر بك طارق في موكبته وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُنَى ، إنهم يحدون مثل أبيك ولا يحد مثلهم أبوك . إن أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم .
- ٢٠ ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة ستين فأحسن السيرة وعف عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا إليه فأنشد لـنِزَّاجِ الصَّبَّابِي :

فلا السجن أبكاني ولا القيد شقني * ولا أني من خشية الموت أجزع
ولكن أقواما أخاف عليهم * إنامت أن يطؤوا الذي كنت أمنع
ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكني أخشى أن يلى هذه الوجوه
من لا يرى لها حقا .

- ووجدت في كتاب لعل بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى ابن عباس حين أخذ
من مال البصرة ما أخذ : « إني أشركك في أمانتي ولم يكن رجل من أهل أوثق
منك في همتي ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والمدق قد حرب قلبت
لا بن عمك ظهر الحين بفرافقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين وأختطفت ما قدرت
عليه من أموال الأمة اختطاف الذنب الأزل دامية المعزى » وفي الكتاب : « صم^(٥)
رويدا فكان قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي به يتأدى المغتر
بالحسرة ويتقى المضيق التوبة والقالم الرجعة » .

وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : « غرتني منك مجالستك القراء
وعمامتك السوداء فلما بلونك وجدناك على خلاف ما أثلناك ، قاتلك الله ! أما تمحشون
بين القبور ! » .

- قال ابن أحمري ذكر عمال الصلقة :
١٥ إن العياب التي يُحفون مُشرجة * فيها البيان ويُلوى عندك الخبر
فابعت إليهم لحاسبهم محاسبة * لا تحف عين على عين ولا أثر
هل في الثمان من السبعين مظلمة * وربها بكتاب الله مصطبر
وقال عبد الله بن همام السلولي :

- أقل على اللوم يا أم مالك * وذى زبانا ساد فيه القلافس
٢٠ صم^(٥) من ضيقت الفم إذا رعبنا في الضحى ، أى اربع نفسك على مهل فإنما أنت على شرف الموت .

وساج مع السلطان ليس بناصح * و"مختار من مثله وهو حارس" (*)

قدم بعض عمال السلطان من عمل فدما قوما فاطعمهم وجعل يحسنهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل : (سَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) . قال بعض الشعراء :

ما ظنكم بأناس خبيركسبهم * مصرح السحت سموه الإصابات
وقال أبو نواس في إسماعيل بن صبيح :

بنيت بما خنت الإمام سقاية * فلا شربوا إلا أمر من الصبر
فما كنت إلا مثل بائعة أمتها * تعود على المرضى به طلب الأجر
يريد معنى الحديث أن امرأة كانت في بني إسرائيل تربي بحب الزمان وتصدق به على المرضى .

وقال فيه أيضا محمد الأمين :

ألست أمين الله سيفك نعمة * إذا ما في خلافتك مائق
فكيف لإسماعيل يسلم مثله * عليك ولم يسلم عليك منافق
أعينك بالرحمن من شر كاتب * له قلم زان وآثر سارق
وقال فيه أيضا :

ألا قل لإسماعيل إنك شارب * بكأس بنى ما هان ضربة لازم
أُسِّين أولاد الطريد ورهطه * بإهزال آل الله من نسل هاشم
وتخبر من لا قيت أنك صائم * وتفسد بفرج مقطر غير صائم
فإن يسر إسماعيل في بقراته * فليس أمير المؤمنين بنائم
ولى حارثة بن بدر "سرق" فكتب إليه أنس الدؤلى :

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جردا فيها تخون وتسرق

(*) مثل يضرب للرجل يترتب على حفظ شيء لا يؤمن أن يخون فيه ، كما في لسان العرب .

وبار تيميا بالنفى لبنت للنفى * لسانا به المرء المهيبة ينطق
فإن جميع الناس إما مكذب * يقول بما يهوى وإما مصدق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حقا لم يحققوا
ولا تحقروا يا حارث شيئا أصبته * حفظك من ملك العراقين سر

فلما بلغت حارثة قال : لا يسمى عليك الرشد .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جويرية بن أسماء قال، قال فلان : « إن الرجل
ليكون أمينا فلذا رأى الشيباع خان » .

قرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه : « اجعل عقوبتك على اليسير من
الخيانة كمعوبتك على الكثير منها ، فإذا لم يطعم منك في الصغير لم يمترا عليك
في الكبير . وأريد البريد في الدرهم ينقص من الخراج ، ولا تعاقب على شيء كمعوبتك
على كسره ولا ترزقن على شيء كرزقك على إزجائه ، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن
ثوابك عليه حقن دم المزدحم وتوفير ماله من غير أن يعلم أنك أحسدت أمره حين
عف واعتصم من أن يهلك » .

وقرأت في الساج أن أبرويز قال لمصاحب بيت المال : « إنى لا أحتملك على
خيانة درهم ولا أحملك على حفظ ألف ألف درهم ، لأنك إنما تحقن بذلك دمك
وتسمر به أمانتك فإنك إن خنت قليلا خنت كثيرا . واحترس من خصلتين :
التقصان فيما تأخذ ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أنى لم أجعل أحدا على ذخائر الملك وعمارة
الملكة والعدة على السلوة وأنت آمن عندى من موضعه الذى هو فيه وخواتمه
التي هى عليها ، لحقق ظنى في اختياري إياك أحقق ظنك في رجائك لى ، ولا تنموض
بغير شرا ولا برقة ضمة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة » . وكان يقال : « كفى بالمرء
خيانة أن يكون أمينا مخونة » .

قدم معاذ من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان ، حساب من الله وحساب منك ؟ لا والله لا أئى لكم عملاً أبدا .

ذكر أعرابي رجلا خائفا فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لئلا وإن فلانا يحسوها حسوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلا تعمل طويلا وألزم العفاف يلزمك العمل ، وإياك والرأى يشتد ظهورك عند الخصام » .

القضاء

حدثنا إسماعيل بن راهويه قال أخبرنا بشر بن المفضل بن لاحق قال حدثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالما قبل أن يستعمل ، مستشيرا لأهل العلم ، ملقيا للرجح^(١) ، منصفا للخصم ، محتملا للأئمة » .

حدثني علي بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن إسماعيل الأنصاري عن عبد الله بن هبة عن عبد الله بن هبيرة عن علي عليه السلام أنه قال : « ذمى رهينة وأنا به زعيم لمن صرح له العبر^(٢) ألا يهلك على التقوى زرع قوم ولا يظلم على التقوى سنخ أصل . ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قس جهلا غاراً بأغباش الفتنة عيماً بما في عقد الهدنة سماه أشباهه من الناس عالما ولم يقن في العلم يوما سالماً . بكر^(٣) »

(١) الحرص والطمع - (٢) كذا بالتستين الألمانية والفتوغرافية ومساو به « مقتديا بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر في المقد الفريد وفي البيان والبيان بما نصه : إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كل : علم ما كان قبله ، وزاغة عن الطمع ، وسلم عن الخصم ، واتقاء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأي .

(٣) في التستين الألمانية والفتوغرافية « عيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

(٤) في الاسلين « عيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

فأستكثر ، ما قل منه فهو خير مما كثرت حتى إذا ما ارتوى من آجن واكتن من غير طائل قعد بين الناس قاضيا لتخليص ما التيس على غيره ، إن نزلت به إحدى المهمات هيا حشوا رثا من رأيه ، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت . لا يعلم إذا أخطأ ، لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب . خباط عثوات ركاب جهالات . لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع . يذرو الرواية تذرو الریح الهشيم ، تبيك منه الدماء وتصرخ منه المواريت ويستحل بقضائه الفرج الحرام . لا ملئ والله بإصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قرط به »

قال ابن شبرمة :

- ما في القضاء شفاعة لمخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون على إذا قضيت بسنة * أو بالكتاب برغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظائر معروفة ومعال

- الهميم عن ابن عياش عن الشعبي قال : كان أول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالمراق سلمان بن ربيعة الباهلي ، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها ، ثم قضى بالمدائن ، ثم عزله عمر واستقضى شرحبيل على المدائن ، ثم عزله واستقضى أبا قرّة الكندي وهراسه فأخطت الناس الكوفة وقاضيه أبقورة ، ثم استقضى شريح بن الحارث الكندي فقضى خمسا وسبعين سنة إلا أن زيادا أخرجه مرة إلى البصرة واستقضى مكانه مسروق بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة في زمن ابن الزبير فبعد ولم يقض في الفتنة . فاستقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجل شريحا في الطريق فقال : يا أبا أمية قضيت والله بجور ، قال : وكيف ذاك ؟ ويحك ! قال : كبرت

(*) في الأصلين « رأيا » والصواب عن نهج البلاغة .

سُئِلَ وَأَخْطَطَ عَقْلَكَ وَأَرْتَشِي ابْنَكَ، فَقَالَ [شَرِيحٌ لَا جَرَمَ] : لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ بِعَدْلِكَ .
فَاتَى الْحِجَابُ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقْضِي بَيْنَ كَثِيرِينَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَغْفِيكَ أَوْ تَبْغِيَنِي رَجُلًا .
فَقَالَ شَرِيحٌ : عَلَيْكَ بِالْغَفِيفِ الشَّرِيفِ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى . فَاسْتَقْضَاهُ الْحِجَابُ
وَأَلْزَمَهُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ كَاتِبًا وَوَزِيرًا .

وَرَوَى الثَّوْرِيُّ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ أَنَّهُ لَقِيَ حِمَارَ بْنَ دَنَارٍ وَكَانَ عَلَى الْقَضَاءِ
فَقَالَ لَهُ : يَا حِمَارُ، إِلَى كَمْ تَرْتَدُّ الْخُصُومُ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي وَالْخُصُومُ كَمَا قَالَ الْأَعْمَشِيُّ :
أُرَقْتُ وَمَا هَذَا الشَّهَادَةُ الْمُؤَرَّقُ * وَمَا بِي مِنْ سَقَمٍ وَمَا بِي مَعْشَقٌ
وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ لَا أَزَالُ بِمُحَادَثِ * أَغْلَدِي بِمَا لَمْ يُمْسِ عِنْدِي وَأَطْرُقُ

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ قُرَيْشِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ حَبِيبِ
ابْنِ الشَّهِيدِ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ إِيَّاسَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ
فَطَوَّلَ فِيهَا ، فَقَالَ إِيَّاسُ : إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْفُتْيَا فَعَلَيْكَ بِالْحَسَنِ مَعَالِيٍّ وَمَعْلَمٍ أَبِي ،
وَأِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْقَضَاءَ فَعَلَيْكَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ يَعْلَى — وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ
يَوْمَئِذٍ — وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الصَّلَاحَ فَعَلَيْكَ بِمُجِدِّ الطَّوِيلِ ، وَتَدْرِي مَا يَقُولُ لَكَ ؟
يَقُولُ لَكَ : حَطَّ شَيْئًا ، وَيَقُولُ لِصَاحِبِكَ : زِدْهُ شَيْئًا حَتَّى نَصْلَحَ بَيْنَنَا ، وَإِنْ
كُنْتَ تَرِيدُ الشُّغْبَ فَعَلَيْكَ بِصَالِحِ السُّدُوسِيِّ ، وَتَدْرِي مَا يَقُولُ لَكَ ؟ يَقُولُ لَكَ :
أَجْعِدْ مَا عَلَيْكَ . وَيَقُولُ لِصَاحِبِكَ : ادَّعِ مَا لَيْسَ لَكَ وَادَّعِ بَيْنَهُ غِييًّا .

قَرَأْتُ فِي الْآيَاتِ : « يَنْبَغِي لِلْحَاكِمِ أَنْ يَعْرِفَ الْقَضَاءَ الْحَقَّ الْعَدْلَ وَالْقَضَاءَ الْعَدْلَ غَيْرَ
الْحَقِّ وَالْقَضَاءَ الْحَقَّ غَيْرَ الْعَدْلِ وَيُقَاسُ بِتَثْبُتِ وَرُويَةٍ وَيَتَحَفَّظُ مِنَ الشُّبْهِه » . وَالْقَضَاءُ
الْحَقُّ الْعَدْلُ عِنْدَهُمْ قَتْلُ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ ، وَالْقَضَاءُ الْعَدْلُ غَيْرُ الْحَقِّ قَتْلُ الْحُرِّ بِالْعَبْدِ ،
وَالْقَضَاءُ الْحَقُّ غَيْرُ الْعَدْلِ الدِّيَّةُ عَلَى الْعَاقِلَةِ .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أنس الأصمعي قال حدثني عمي الأصمعي قال قال أعرابي لقوم يتنازعون : هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ قيل : وما يكون خيرا من الحق ؟ قال : التحاط والحصم فإن أخذ الحق كله مرًا .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في شيء فحكما رجلا له في الخطأ هو ، فقال للخطئ : من يقول بقولك أكثر .

الميثم بن عدي قال : تهمت كُتُم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد إلى عبد الملك بن عُمر وهو قاضي الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يُرمي بها قضى لها ، فقال هُذيل الأصمعي :

أنا رفيق بالشهود يسوقهم * على ما دعت من صامت المال والحوّل
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقه * وكان وليدٌ ذا مرءٍ وإذا جدلٌ
فتنت القبطى حتى قضى لها * بغير قضاء الله في السور الطول
فلو كان من في القصر يعلم عابه * لما استعمل القبطى فينا على عمل
له حين يقضى للنساء تحاوض * وكان وما منه التناوض والحوّل
إذا ذات دُلّ كمنته الحاجة * فهم بأن يقضى تتنجع أو سعل
[وربّ عينية وذاك لسانه * يرى كل شيء ما خلا شخصها جلّ]

فكان عبد الملك بن عمير يقول : والله لربما جاءني السلعة أو التمنع وأنا في المتروضا فأكف عن ذلك .

وقال ابن منذر في خالد بن طليق وكان قد ولي قضاء البصرة :

قل لأُمير المؤمنين الندى * من هاشم في سرها واللباب

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) في القاموس : وابن منذر وريضم نصرف شاعر بصري لأنه محمد بن المنذر بن المنذر ، وفي الأغاني أنه إذا قيل له ابن منذر ففتح الميم ينضب ثم يقول أنا منذر الصغرى أم منذر الكبرى وهما كوزنان من كور الأمواز . إنما هو منذر دل وزن مفاصل من ناذر فهو منذر مثل ضارب فهو مضارب وقائل فهو مقاتل .

إن كنت للسخطة عاقبتنا * بخالد فهو أشد العقاب
كان قضاء الناس فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذاب
يا عجباً من خالد كيف لا * يخطئ فتياً مرة بالصواب
وقال فيه :

جُعل الحاكم يا للناس من آل طَلِيق
مُحَكَّمٌ يَحْكُمُ فينا * من رأى الجَلَّالَ يَلِيقُ^(١)
أى قاض أنت في النقص وتمطيل الحقوق
يا أبا الهيثم ما أنعت لهذا بخليقي
لا ولا أنت لما حلت منه بمطليقي

١٠ أراد عدي بن أرطاة بكر بن عبد الله المزني على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن القضاء، فإن كنت كاذباً أو صادقاً فما يحل لك أن توليني .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لما عزل ابن شبرمة عن القضاء قال له وإلى أين : اختر لنا رجلاً نوليّه القضاء . فقال له ابن شبرمة : ما أعرفه . فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل إليه بقاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدري لم دُعيت ؟ قال : لا . قال : إنك قد دُعيت لأمر عظيم ، للقضاء . قال : ما أيسر القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شيء يسير منه ، قال : سل . قال له ابن شبرمة : ما تقول في رجل ضرب بطن شاة حامل فالتقت مافي بطنها ؟ فسكت الرجل ، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلوناك^(٢) فما وجدنا عندك شيئاً . فقيل له : ما القضاء فيها ؟ قال ابن شبرمة [نُحَوِّمُ حاملاً ونُحَوِّمُ سائلاً ويغرم قدر ما بينهما .

٢٠ (١) في القاموس : الجالطيق بفتح الطاء . المظنة رئيس للصارى في بلاد الإسلام بمدينة السلام . قال صاحب التاج وهو المعروف الآن بالقتل ككتفه . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٩٠)

حدثني عبد الله بن محمد الخَلَّجِي قال : كان يحيى بن أكرم يمتحن من يريد علم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

- ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال : إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها ولا غنى بنا عن رفقك . فقال له عبد الملك : إن أخبرني ما قرابة ما بين أولادكما إذا أولدتما ، فعلت . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بحدل قد قلده سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها ، فإن أصاب لزمي الحرمان ، وإن أخطأ أتسع لي العذر . فدعا بالبحرلي فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتنى على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالزواج ، أحدهما عم الآخر والآخر خاله .

- قال ابن سيرين : كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له وبين يديه كائون له فيه تار بقمه رجل بخلس معه على فراشه فسأزه بشيء لا تدرى ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضَع لي أصبعك في هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أمتثل على أصبع من أصابعك في نار الدنيا ونسألك أن أضع لك جسدك كله في نار جهنم ! قال : فقلنا أنه دعاه إلى القضاء .

كان يقال : « ثلاث إذا كن في القاضي فليس بكامل : إذا كره اللوام ، وأحب المحامد ، وكره العزل . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان علما ، ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم » .

(٩١) في النسخة المتفرغانية : « عبد الرحمن » وفي أنساب السجاني ما يزيد رواية الألمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضي إلى العدل في لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر » .
قال الشعبي : حضرت شريحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها فأرسلت عنيها فبكت فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : يا شعبي ، إن إخوة يوسف جاموا أباهم عشاء سيكون .

٥ . بلغني عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا فائدة له . أس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمتنع قضاء قضيتته بالأس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق لا يبطله شيء . واعلم أن مراجعة الحق خير من التنادي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، وأعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك ثم اعمد لأحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينهي إليه فإن أحضر بينة أخذ بحقه وإلا استحلت عليه القضاء . والمسامون عدول في الشهادة إلا مجلوبا في حد أو مجرما عليه شهادة زور أو ظنيئا في ولاء أو قرابة . إن الله تولى منكم المرائي ودرا عنكم بالبينات . وإياك والخلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر ، فإنه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للدينا بنير ما يعلم الله منه شأنه الله ، والسلام » .

١٠

١٥

٢٠

وقال سلمة بن الخُرَشُب سُبَيْع التَّغْلِي فِي شَأْنِ الرَّهْنِ الَّتِي وَضَعْتَ عَلَى يَدَيْهِ فِي قَتْلِ
مَسْ وَذِيَّانَ .

أَبْلَغُ سُبَيْمًا وَأَنْتَ سَيْدَنَا * فِيمَا وَأَوْفَى رَجَالَنَا ذِمًّا
أَنْ يَفِيضًا وَأَنْ إِخْوَتَهَا * ذِيَّانَ قَدِ خَرَمُوا الَّذِي اضْطَرَمَّا
نَبَتْ أَنْ حَكَمَكَ بَيْنَهُمْ * فَلَا تَهْوُلَنَّ بِشَيْءٍ مَا حَكَا
إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَةٍ بِشَأْنِهِمْ * تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَا
وَتُزِلُّ الْأُمُورَ فِي مَنَازِلِهِ * حَكَا وَطَلَسَا وَخَضِرَ الْقَهْمَا
فَاحْكُمِي فَانْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ * لَنْ يَصْلَمُوا الْحَقَّ بَارِدًا صَقْمَا
وَأَصْدَعُ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ * عَلَى رِضَا مِنْ رِضَى وَمِنْ رَغْمَا
إِنْ كَانَتْ مَالًا فَتَلَّ عِدَّتَهُ * مَالٌ بِمَالٍ وَأَنْ دَمًا فَلَمَّا
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطْلَقْ حُكُومَتَهُمْ * فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمًا
وَأَنْتَ عَمْرٍو الْخَطَابُ شَعْرُ زَهْرٍ بِنِ أَيْ سَلَمَى، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ:
فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ * يَمِينٌ أَوْ نَفَارٌ أَوْ جَلَاءُ

جَعَلَ عَمْرٍو يَتَخَجَّبُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْحَقِّ وَتَضَعِيلِهِ بَيْنَهَا وَيَقُولُ : لَا يَخْرُجُ الْحَقُّ مِنْ
إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا يَمِينٌ أَوْ نَفَارٌ أَوْ حِجَّةٌ .

وقال ابن أبي ليلى الفقيه في عبد الله بن شبرمة:

وَكَيْفَ تَرَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ * وَلَمْ تَصِبِ الْحَكَمَ فِي نَفْسِكَ
وَرَبِمَ أَنَّكَ لَا بَيْنَ الْجُلُوحِ * وَجِهَاتِ دَعْوَاكَ مِنْ أَسْلُوكِ

عبد الله بن صالح السجلى قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخيزران وقد
أقبلت تريد الحج، فأتى، "شاهي" فأقام بها ثلاثاً ولم تُؤَافِ تخفَّ زاده وما كان
معه من الخبز ففعل بيده الماء وما كله بللمع، فقال العلاء بن المتهال الفتوى:

فإن كان الذي قد قلت حقا ، فإن قد أكرهوك على القضاء
فما لك مَوْضَعًا في كل يوم * تلقى من يبيع من النساء
مقيا في قرى شلبي ثلاثا * بلا زاد سوى كِكَمِير وماء
يزيد الناس خيرا كل يوم * فترجع ياشريك إلى وراء
وقال فيه أيضا :

فلت أبا شريك كان حيا * فيَقْصِر حين يبصره شريك
ويترك من تدرّيه علينا * إذا قلنا له هذا أبوك^(١)
وأشد لبعض الشعراء في بعض الحكماء :

أبى وأندب بهجة الاسلام * إذ صرت تمعد تمعد الحكماء
إن الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني القاسم بن الفضل قال حدثني رجل من بني
جرير أن رجلا منهم خاصم رجلا إلى سوار بن عبد الله ففضى على الجريري ، فر
سوار بن جرير فقام إليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول
رأيت أحلاما فغيرتها * وكنت للأحلام عيارا
رأيت أخق ضبا على * مجر وكان الضب سوارا

في الشهادات

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال لي أيوب^(٢) : إن من أصحابي من أرجو
دعوته ولا أجزى شهادته . قال وقال سوار : ما أعلم أحدا أفضل من عطاء السامي ،
ولو شهد عندي على فلّسين لم أجز شهادته . يذهب إلى أنه ضعيف الرأي ليس بالخازم ،

(١) في هذا الشعر الإتهام وهو مخالفة بين القوافي في حركة الإعراب ، وقد أورد صاحب اللسان هذين
البيتين في جملة الشواهد المسوقة عليه . (٢) في النسخة الألمانية « أيبر أيوب » .

- لا أنه يطعن عليه في دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنه ؟ قال : كما أعلم أنك سوار بن عبد الله ابن عتبة بن قتب . قال : وشهد رجل عند سوار في دار قد ادّعاها رجل قال : أشهد أنها له من الماء إلى السماء . وشهد آخر فقال للكتاب : اكتب شهادتهما .
- قال : أي شيء اكتب ؟ فقال : كل شيء يخرج الدار من يد هذا ويجعلها في ملك هذا فاكبته . [قال أبو حاتم بلغني أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه] قال وشهد رجل عند سوار، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدّب . قال : فإننا لا نخير شهادتك . قال: ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إني أكرهت على القضاء . يا هذا، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلم شهادتك، فاجازها .
- قال : وشهد الغزدي عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبي فراس، وزيدونا . فقل له حين انصرف : إنه والله ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف محضنة . وجاء أبو دلالة ليشهد عند ابن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك :
- إِنَّ الْقَوْمَ غَطَوْنِي تَغْطِيتُ دُونَهُمْ * وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِصِّم مَبَاحِثُ
- وإن حفروا بئرى حفرت بئارهم * ليعلم ما تخفيه تلك النبائتُ
- فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء .

- أبى رجل ابن شبيعة يقوم يشهدون له على قرّاح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولا فسلم: كم في القرّاح من نخلة؟ قالوا : لا نعلم . فردّ شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فأعلمنا : كم فيه من أسطوانة؟ فاجازهم .
- (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في النسخة الألمانية، وفي النسخة الفوتوغرافية أنه ابن سيرين والأول أقرب إذ لم تحذف ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء :

والخصم لا ينجي النجاة له • يوما إذا كان خصمه القاضي

فقم رجل خصما له الى زياد في حق له عليه، فقال : إن هذا الرجل يُدلى بمخاصة
ذكر أنها له منك • قال : نعم • وسأخبرك بما يتقعه عندي من خاصته : إن
يكن الحق له عليك آخذك أخذنا عنيفا ، وأن يكن الحق لك عليه أقيض عليه ثم
أقيض عنه •

وقال أبو اليقظان : كان عبيد الله بن أبي بكر قاضيا وكان يميل في الحكم إلى إخوانه .
ف قيل له في ذلك • فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟ •

قال المدائني : كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مداراة في واد بالمدينة • قال
فقالا نجعل بيننا عمرو بن العاص ، فأتياه فقال لهما : أتنما في فضلكما وقديم سوابكما
ونعمة الله عليكما تختلفان ! وقد سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت
وحضرتما من قوله مثل الذي حضرت فيمن اقتطع شبرا من أرض أخيه بغير حق
أنه يطوّقه من سبع أرضين ! والحكم أحوج إلى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن
الحكم إذا جازى دينه والمحكوم عليه إذا جبر عليه رزئ عرض الدنيا [إن شئتما
فأدليا بمجتكما و] [إن شئتما فاصلعما ذات بينكما • فاصلعما وأعطى كل واحد منهما
صاحبه الرضا •

وكان السندي بن ساهك لا يستحلف المكارى ولا الحالك ولا الملاح
ويجعل القول قول المدعى مع يمينه ، ويقول : اللهم إني أستخيرك في الجال ومعلم
الصبيان •

وقال أبو اليباء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا تقبل شهادة العبد ولا شهادة المذتوط ولا المغذى ببوله . قال أبو اليباء : فضحكت والله حتى كدت أبول في ثوبي .

وقيل لعبد الله بن الحسن العنبري : أتميز شهادة رجل عفيف نقي أم حق؟ قال : لا ، وساريكم . ادعوا لي أبا مودود^(١) حاجي ، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنتظر ما الريح ؟ فخرج ثم رجع فقال : شمال يشوبها شيء من الجنوب . فقال : أترؤني كنت مجيزا شهادة مثل هذا ؟

قال الأعمش قال لي محارب بن دثار : وليت القضاء فبكي أهل وعزلت عنه فبكوا ، فإأدرى م ذاك؟ قلت له : وليت القضاء فكرهته وجزعت منه فبكي أهلك ، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكي أهلك . فقال : إنه لكأ قلت .

قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلام فقسم خصما له إلى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقض حاجته وأخرج من الشام لا يفسد على^(٢) الناس .

قال أعرابي لنخعم له : « والله لئن تملمجت إلى الباطل إنك عن الحق لتقلوف » .

(١) في النسخة الجغرافية : مودد . (٢) في الأصل "عليك" والتصويب عن البيان والتبيين . ٢٠

باب الأحكام

حدثني جَدَّة بن عبد الله قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت الزبير بن الحارث يحدث عن عكرمة عن أبي هريرة قال : « قضى رسول صلى الله عليه وسلم إذا اختطف الناس في الطرق أنها مبيع أُذرع » .

حدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حاتم عن غزال بن مالك الفخاري عن أبيه عن جده قال : « كفل النبي عليه السلام رجلا في تهمة » .

قال وحدثني أيضا عن إبراهيم بن حاتم عن غزال بن مالك عن أبيه عن جده قال قال أبو هريرة : « حبس النبي صلى الله عليه وسلم في التهمة حبسا يسيرا حتى استبرا » .

حدثني يزيد قال حدثني الوليد عن جرير بن حازم عن الحسن : « أت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب » وقال لي رجل بالمدينة : هو ذور باب .

حدثني أحمد بن الخليل عن سليمان بن حرب عن جرير عن يعلى بن حكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : « أتى ماعز بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني زنيبت يا رسول الله . فقال : لعلك مسست أو غمزت . فقال : لا ، بل زنيبت . فأعادها عليه ثلاثا ، فلما كان في الرابعة رجمه » .

حدثني شعبة عن القاسم بن الحكم عن الثوري عن علي بن الأقرع عن يزيد بن أبي كبشة أن أبا الدرداء أتى بامرأة سرقت ، فقال : أسرقت؟ قولي : لا .

(١) في النسخة الألمانية : "غشم" ولم نشر على ما يدرج بإحدى الروايتين .

(٢) في النسخة الفوتوغرافية "أبو الوليد" ٢٠

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : جلعوا زيادا بلص وعنده جماعة فيهم الأحنف ، فانهروه وقالوا : اصدق الأمير . فقال الأحنف : إن الصديق أحيانا معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن حدثه عن ابن عباس قال « جز الرأس والحية لا يصلح في العقوبة لأن الله عز وجل جعل خلق الرأس قسقا لمرضاته » .

حدثني شبابة عن القاسم عن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال « إياكم والمثلة في العقوبة جز الرأس والحية » .

حدثني محمد بن خالد بن خديش قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا يونس عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى في رجل ١٠ فرع رجلا فضرط بأربعين درهما .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن جوير عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يخل في هذه الأمة قل ولا صمد ولا تجريد ولا مد » .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان عامر بن الظرب العدواني حاكم العرب ، فنزل به قوم يستفتونه في خشي وله جارية يقال لها خُصيلة . وربما لامها في الإطاء ١٥ في الرعي وفي الشيء . يحده عليها . فقال : يا خصيلة لقد حبست هؤلاء القوم وريبتهم حتى أصرمت في غنى . قالت وما يكن عليك من ذلك ؟ أتجنه مباله . فقال لها : « تسمى خُصيلة بعد ما أروحي » .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي التورغرافية « جملة » وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب خصيلة هذه في حكايات العرب قال ولعلها هي التي كان أبوها عامر يقول لها « سن نختل بسدها أروحي » بناء على أنها كانت تسمى مختلا أيضا . وقد ذكر الميداني أنها جارية عامر بن الظرب وأورد المثل هكذا وذكر القصة .

قال: وأتى ابن زياد بإنسان له قُبُل وذَكَر ولا يدري كيف يُورث. فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل إلى جابر بن زيد. فأرسل إليه، فجاء يرسف في قيوده فقال: ما تقول في هذا؟ فقال: ألقه بالجدار فإن بال عليه فهو ذَكَر، وإن بال في رجليه فهو أنثى. حدثني محمد بن خالد بن خَدَّاش قال حدثنا سَلَمُ بْنُ قَتِيبَةَ قال حدثنا قيس بن الربيع عن أبي حصين أن رجلا كسر طُنْبُورا لرجل نفاصمه إلى شريح، فقال شريح: لا أقضي في الطنبور بشيء.

[حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال: قال لي أبو العجاج: يا ابن أصمع والله لئن أقررت لألزمتك. أي لا تهر.]

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه عن معمر قال: رد رجل على رجل جارية اشتراها منه، نفاصمه إلى إياس بن معاوية، فقال له: بم تردّها؟ قال له: بالحق. فقال لها إياس: أي رجلك أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكرين ليلة وُلِدْتَ؟ قالت: نعم. فقال إياس: ردّها.

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن قيس عن أبي حصين قال: رأيت الشَّعْبِيَّ يقضي على جلد أسد.

الظلم

حدثني عبد الرحمن [بن عبد الله بن قُرَيْب قال حدثني الأصمعي] قال أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلا وأمرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المنقَّب فيحة المسفر، وكان لها لسان فكان العامل مال معها فقال: يعمد أحدهم إلى المرأة الكريمة فيترجّحها ثم يسيء إليها! فاهوى زوجها إلى الثَّاقِبِ فألقاه

عن وجهها فقال العامل : عليك اللعنة ! كلامٌ مظلومٌ ووجهٌ ظالمٌ . وأنشد الراشقي في نحو هذا :

رأيتُ أبا الجَحْناءِ في الناسِ جائِزا * ولونَ أبي الجَحْناءِ لوْتُ البهائمِ
تراه على ما لآحه من سواده * وإن كان مظلوما له وجه ظالم

- أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان رجل من العرب في الجاهلية إذا رأى رجلا يظلم ويعتدى يقول : فلان لا يموت سويًا . فيرون ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه فقيل له : مات فلان سويًا . فلم يقبل حتى ثابته الأخبار . فقال : إن كنتم صادقين إن لكم دارا سوى هذه تجازون فيها .
- كتب رجل من الكتاب إلى سلطان : « أعينك بالله من أن تكون لاهيًا عن الشكر محجوبًا بالنعم صارفًا فضل ما أوتيت من السلطان إلى ما قيل عائده وتعمم تبعته من الظلم والعدوان ، وأن يسترلك الشيطان بجنده وغروره وتسويله فيزيل عاجل النبطة وينسبك مذموم العاقبة ، فإن الحازم من يذكر في يومه المخوف من عواقب غده ولم يفره طول الأمل وتراخي الناية ولم يضرب في عمرة من الباطل ولا يدري ما تحل به مشتهها . هذا إلى ما يتبع الظالم من سوء المتقلب وقبيح الذكر الذي لا يقينه كز الجديدين واختلاف العصرين » .

١٥

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إبراهيم السقاء عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتى بعلم الصبيان يوم القيامة فإن كان عدل بين الغلمان وإلا أقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إني لأستحي أن أظلم [من لا يجد

(١) كذا بالأصل ولعل القاء سقطت من النسخ . (٢) في التتويعرافية : التكتاب .

على ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إني لأستحي أن أنظلم وأخرج أن أنظلم » .
وكان يقال : اذا أراد الله أن يخفف عبدا قيض له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : « أحق الناس بالإحسان من أحسن الله اليه وأولاهم
بالإنصاف من بسطت بالقدره يده » .

ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب : إني لا أجِدُ في كتاب الله المنزل أن
الظلم يُجْرِبُ الديار . فقال ابن عباس أنا أوجدُكَ في القرآن ، قال الله عز وجل
(قُلْ لَّكُم مِّنْهُنَّ حَاوِيَةٌ مِّمَّا ظَلَمُوا) .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان فرعان وهو من بني تميم لا يزال يُغير
على أهل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها إلى أن أغار على رجل فأصاب له بجلا ،
بجاء الرجل فأخذ بشعره فبذبه فبرك ، فقال الناس : كبرت والله يا فرعان . فقال : لا والله
ولكن جذبي جذبة محق . وكان سديف بن ميمون مولى اللّهييين يقول : اللهم قد
صار فيكنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار
للأمة . واشترت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحكم في إبطار المسامين
أهل النعمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل
ولبح نهايته واجتمع طريقه . اللهم فأنق له يدا من الحق حاصدة تبدد شمله وتفرق
أمره ليظهر الحق في أحسن صوره وأتم نوره .

ولى أعرابي بعض النواحي فجمع اليهود في عمله وسألم عن المسيح فقالوا : قتلناه
وصلبناه . فقال : فهل أديتم دينته ؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤذوها .
فلم يرجعوا حتى أذوها .

٢٠ (١) في نسخة القنوصرافية : وهو مولى لى تميم .

كان أبو العَاج على جَوَالِي البصرة فَأَتَى رجل من النصارى : فقال ما أَسْمُكَ ؟
فقال : بِنْدَاز شهر بِنْدَاز . فقال : اِسْمُ ثلاثَةٍ وَجْزِيَّةٌ واحدٍ ! لا والله العظيم . قال :
فأخذ منه ثلاثَ حُرَي .

ولى أعرابي «تَبَالَّة» فصعد المنبر فحمد الله ولا أشنى عليه حتى قال : إن الأمير
أعزنا الله وإياه ولآنى بلادكم هذه ، وإنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى ،
ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم
ولا يرتعون إليه . قال بعض الشعراء

بني عَمَّالاً تذكروا الشمر بعد ما • دفتم بصحراء التفسير^(١) القوافيا
فلست أكن كنتم تصيبون سَلَةً • فتقبل ضيًّا أو نحسكم قاضياً
ولكن حكم السيف فيكم مسلط • ففرضى إذا ما أصبح السيف راضياً
فإن قلتم إنا ظلمنا فلم نكن • ظلمنا ولكنا أسانا ألتقاضياً^(٢)
[وقال آخر :

نفرحُ أَن تغلبي ظالماً • والغالبُ المظلومُ لو تعلم]
وكانوا يتوقون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إلى أعود
بالرحمن منك إن كنت تقيا ، آخسثوا فيها ولا تكلمون . أخذتُ سمك وبصرى بسمع
الله وبصره . أخذت قوتك بقوة الله . بنى وبينك ستر النبوة الذى كانت الأنبياء
تستتر به من سطوات القراعنة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومجد
أمامك والله مطلع عليك ويحيضك عنى ويمنعنى منك » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك في الحاشية منسوبا لشيخنا الحارثي . والنعير موضع بين
ذات عرق والبلستان وقيل ببلين قبر أبي رغال كما في ياقوت ثم ذكر أنه اسم لموضع آخر . وقد ورد
في القنوغرافية هكذا « البيط » محرفا عن « التبيط » وفي اللسان والهمم أنه اسم واد منه صحراء التبيط
وقد ورد في شعراء القنيس :

طالني بصحراء البيط بساته • كصرح البساتنى ذى ليّاب المحلل

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء :

ونستعدي الأمير إذا ظلمنا * فمن يُعدي إذا ظلم الأمير

(١) [وقال آخر :

إذا كان الأمير عليك خصما * فلا تُكسر فقد غلب الأمير]

وكتب رجل إلى صديق له : قد كنت أستعديك ظالماً على غيرك فتحكم لي وقد
استعديتُك عليك مظلوماً فضايق عني عدلك ، وذُكرني قول القائل

كنت من كُرتي أفر إليهم ٥ فهم كُرتي فأين الفرار

(١) [ونحوه :

والخصم لا يُرتجى النجاة له * يوما إذا كان خصمه التفاضي]

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان يقال : ما أُعطي أحد قط النصف
فأباه إلا أخذ شراً منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرِضت النصفة قط على أحد
فقبلها إلا دخلني له هيبَةٌ ولا رُدّها إلا اختبأتها في عقله .

وقال البعيث :

وإني لأعطي النصف من لوظائمه ٥ أقر وطابت نفسه لي بالقلم

وقال الطائي :

رى العلقم المأدوم بالمر أريّة * يمانية والأري بالضم علقما
إذا فرشوه النصف نامت شدائهُ * وإن رثعوا في ظلمه كان أظما

[وقال العباس بن عبد المطلب :

أبى قوما أن يُنصفونا فأنصفت * قواطع في أيماننا تنقطر الدما
تركاهم لا يستعلون بعدها * لذى رحم يوما من الدهر محرماً]

بلغنا عن صخرة عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :
أما بعد فإذا دعيتُ قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك وفناء ما تُؤثِّرُ
إليهم وبقاء ما يؤثرون إليك ، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلاً يدعو على من ظلمه ، فقال : أقصر يا هذا ، لا يربح عليك
ظالمك .

قولهم في الحبس

[في الحديث المرفوع : «شكا يوسف عليه السلام إلى الله عز وجل طول الحبس
فأوحى الله إليه : مَنْ حَبَسَكَ يَا يُوسُفُ ، أَنْتَ حَبَسْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ قُلْتَ : رَبِّ
السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ»] ولو قلت : العافية أحب إلي لعرفت . [

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه
السلام دعا لأهل السجن دعوة لم تزل تُعرف لهم إلى اليوم ، قال : اللهم اعطف
عليهم قلوب الأخيار ولا تُهم عليهم الأخبار» . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر
في كل بلد .

وكتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وتجربة الصديق
وشماتة الأعداء» .

١٥

أنشدني الرايشي :

ما يدخل السجن إنسانٌ فسألَهُ ۞ ما بالٌ يحبسك إلا قال مظلومٌ

وقال أعرابي :

ولما دخلتُ السجن كبر أهله ۞ وقالوا أبو ليلى الفداء حزينٌ

٢٠

وفي الباب مكتوبٌ على صفحاته ۞ بأنك تترؤمٌ سوف تلين

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

ويقال : إن قولهم « ترو وتلين » رؤى مكتوبا على باب حبس فضربه الناس مثلا .

وقال بعض المسجونين :

وبتُّ بأحسنها متزلا * هبلا على علق السالك

ولستُ بضيف ولا في ركَا * ولا مُستجير ولا مالك

وليس بنصيب ولا كالزُهون * ولا يشبه الوقف عن هالك

ولى مُسمعات فأذناهما * يفتى ويسمع في الحالك

وأقصاهما ناظرٌ في السما * عمدا وأوسع من عارك

المسمع الأول قيده والثاني صاحب الحرس . ونحوه قول الآخر :

ولى مُسمعات وزقارة * وظلٌ مليد وحصن أمق

الزقارة الفلّ، وأصل الزقارة السَّاجور .

قال أبو عبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل إلى بلال بن أبي بردة ، فقضى للرجل على خالد ، فقام خالد وهو يقول

* بحابة سيف عن قليل تَشَقَّع *

فقال بلال : أما إنها لا تَشَقَّع حتى يصيبك منها شَوْبُوبٌ برد . وأمر به إلى

الحبس ، فقال خالد : علام تحبسني ؟ فوالله ما جئت جنابة ولا خنت خيانة .

فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصَمَّت وأقيادٌ يقال وقيم يقال له حَفَص .

قال الجماج للنضبان بن القُبَيْرَى ورآه صميئا : ما أسمعك ؟ قال : القيد والرقة ،

ومن كان في ضيافة الأمير سمن .

كان خالد بن عبد الله حبس الكبت الشاعر فزارته امرأته في السجن فلبس ثيابها ونرج ولم يُعرف فقال :

ولما أحلوني يصلصاء صليماً * بإحدى زبدي اللبتين أي الشبل
نرجتُ نروج القدح قدح ابن مُقبل * على رنم آتاف النواج والمُشلى
على ثيابُ الغانيات وتحتها * عزيمة مرة أشبهت سلة النصل
وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال :

وأني لأرجو خالدا أن يُمكِنني * ويطلق عني مقفلات الحدائد
فإن يك قيدي رد هني فربما * تناولت أطراف المومم الأبعاد
وما من بلاء غير كل عشيبة * وكل صباح زائر غير عائد
يقول لي الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخر قاعد
وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسري حين حُبس :

لمعري لقد أعمرتُ السجن خالدا * وأوطأ نسوة وطأة المشاغل
فإن تحبسوا القسري لا تحبسوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل
وقال بعض المسجونين :

أجبنٌ وقيد وافتراق وعُسرة * وفقد حبيب ! إن ذا لعظيم
وإن أمراً تبقى موثيق عهده * على كل هذا ، إنه لكريم
وقال آخر مثله :

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفي يده كشف المصيبة والبلوى
نرجتنا من الدنيا ونغن من أهلها * فلستنا من الأحياء فيها ولا الموقى

(١) كذا بالنسخين الجغرافية والأثنية وفي هامش النسخة الأثنية عن نسخة أخرى « المسجونين »
ولم نجد الضميف لا في القاموس ولا في اللسان

إذا جاءنا السجّات يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
وُصِّبنا الرؤيا بقلّ حديثنا * إنّا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حُسن لم تأتِ عجلي وأبطأت * وإن قُبِحت لم تحبس وأنت عجلي
وقال يزيد بن المهلب وهو في الحبس : يا مُنْفِي على طَلَبَةِ مائة ألف وفرج في جبهة
أمد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال :

أصبح في قيدك السباحة والسجود وحلّ لمضليح الأتقال
فقال له : أتمدحنى على هذه الحال؟ فقال : أصبحت رخيصا فاشتريتك^(١)
وحبس الرشيد أبا النهاية فكتب إليه من الحبس بأبيات منها:
تفديك نفسى من كل ما كرهت * تسك إن كنت مذنباً فاغفر
يا ليت قلبي مصوّر لك ما * فيه لتستيقن الذى أضمر
فوقع الرشيد في رقعة : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها
كأن الخلق رُكب فيه روح * له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأس * وقد وقعت «ليس عليك بأس»
فأمر بإطلاقه

المحباب

أبو حاتم عن العتي عن أبيه أن عبد العزيز زُرة الكلابي وقف على باب
معاوية فقال : من يستأذن لى اليوم فأدخله غدا؟ وهو فى شتمين ، فلما دخل على
معاوية قال : هنزرت ذوائب الرجال إليك إذ لم أجد معولا إلا عليك . أمتطى الليل
بعد النهار وأسمُ الجاهل بالآثار . يقودنى نحوك رجاء وتسوقنى إليك بلوى ، والنفس
مستبطئة والاجتهاد غائر . فأكرمه وقربه . فقال فى ذلك :

(١) فى الأمل : «أسلقتك» والصوب عن المقدفريد . (٢) فى الفوغرافية : الرجا .

دخلتُ على معاويةَ بنِ حرب * وذلك إذِ يئسْتُ من الدخول
وما نلتُ الدخولَ عليه حتَّى * حلتُ محلةَ الرجلِ النليل
وأغضيتُ الجفونَ على قسناها * ولم أسمعِ إلى قائلٍ وقيل
فأدرِكتُ الذي أملتُ فيه * بمصكٍ والخَطَا زادَ السَّجُول

- وقال غير العتي: لما دخل عبد العزيز زُرارة على معاوية قال له: «إني رحلتُ
إليك بالأمل واحتملتُ جفونك بالصبر، ورأيتُ بياك أقواما قدمهم الحظُّ، وآخرين
باعدتهم الحرمانُ. وليس ينبغي للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن يئأس. وأول المعرفة
الاختبار فأقبل وأخبر» وفي حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر:
من يأذن اليومَ لعبد العزيز * يأذن له عبدُ حميرِ ضا

- قال أبو اليقظان: كان عبد العزيز زُرارة فقي العرب .

استأذن أبو سفيان على عثمان لحجبه . فقيل له: حبيك أمير المؤمنين ؟ فقال:
لا عدمتُ من قومي من إذا شاء حجبني . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء:
من يَفْشُ سُدَّ السلطانِ يَمُ ويَقعد ومن صادف بابا عنه مطلقا وجد إلى جانبه بابا
فُتِحَا، إن دما أُجيب وإذا سأل أُعطي .

- قال رجل لحاجبه: إنك حين أنظرُ بها وجنة أستنم إليها ، وقد ولّيتك بابي ،
فما تراك صامعا برصقي ؟ قال: أنظرُ إليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندي
وأضهم في إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث
وضّعهم ترتيبك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغهم عنك . قال: قد وقّيت ما لك وما عليك
إن صدقته بفعل . وكان يقال: حاجبُ الرجل حارس عِرضه .

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لحاجبه : « لا تقم من مستغيثا ولا تضعن ذاشرف بصعوبة حجاب ولا ترفعن ذاضمة بسوخته ، وصنع الرجال مواضع أخطارهم ، فمن كان مقدما له الشرف بمن أزدرع ولم يهدمه من بعد بنائه فقدمه على شرفه الأول وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف مقدم فلم يضمن ذلك إبلاغا به ولم يزدعه تمجيها له فالحق بابانه مهلة سبقهم في خواصهم ، وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه . لا تأذن له ٥ إلا دبرا ولا تأذن له إلا سرا . وإذا ورد عليك كلب عامل من عمالي فلا تحبسه عنى طرفه عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول إلى فيها ، وإن أذاك مدع لنصيحة فاستكتبها سرا ثم أدخله بعد أن تستأذن له . حتى إذا كان منى بحيث أراه فادفع إلى كتابه ، فإن أحمدت قبلت وإن كرهت رفضت ، ولا ترفعن إلى طلبة طالب إن منعت بهتلى وإن أعطيته أزدراى ، إلا بمؤامرة منى من غير أن تعلمه أنك قد أعلمتني ١٠ وإن أذاك عالم يستأذن على علم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك ؟ ثم استأذن له فإن العلم كاسمه ، ولا تحجبن سخطه ولا تأذن رضا ، انحصص بذلك الملك ولا تخص به نفسك » .

الحيثم قال : قال خالد بن عبد الله لحاجبه : « لا تحجبن عنى أحدا إذا أخذت مجلسي ، فإن الوالى لا يجب إلا عن ثلاث : عني يكره أن يطلع عليه منه ، أوربة ، أو يخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله » . ومنه أخذ ذلك محمود الوراق فقال :

إذا اعتصم الوالى بإغلاق بابيه * ورد ذوى الحاجات دون حجابيه
ظننت به إحدى ثلاث وربما * نزعن بظرف واقع بصوابيه
فقلت به مس من اليتي ظاهرا * فنى إذنه للناس إظهارا ما به
فإن لم يكن عنى اللسان فعالبا * من البخل يحى ما له عن طلابه
فإن لم يكن هذا ولا ذافرية * بصرت عليها عند إغلاق بابيه ٢٠

وقال بعض الشعراء:

اعلمن إن كنت تعلمه * أن عرض الملك حاجبه
فيه تبدو محاسنه * وبه تبدو معاييه

وقال آخر:

كم من فتي تجدد أخلاقه * ونسكن الأحرار في ذقنه
قد كثر الحاجب أعداءه * وسلط الهم على نعمته

- ١٠ حضر باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه جماعة منهم سبيل بن عمرو وعيينة ابن حصن والأفروع بن حابس فخرج الأذن فقال : أين صهيب ؟ أين عمار ؟ أين سلمان ؟ فتمعرت وجوه القوم . فقال واحد منهم : لم تمعروا وجوهكم ؟ دُعوا ودعينا فامرعوا وأبطانا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر كما أعد الله لهم في الجنة أكثر .

وقال بعض الشعراء:

سأترك هذا الباب ما دام إذنه * على ما أرى حتى يخف قليلا
إذا لم نجد للإذن عندك موضعا * وجدنا إلى ترك المجيء سبيلا

وقال آخر للحاجب:

- ١٥ سأترك بابا أنت تملك إذنه * وإن كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رحلى مسرعا نحو مالك

وكتب أبو العتاهية الى أحمد بن يوسف:

لئن عدت بعد اليوم إلى نظام * سأصرف وجهي حيث تُبني المكارم
مق يضحى الفادى إليك بحاجة * ونصفك محجوب ونصفك ناثم؟

- ٢٠ وقال آخر:

ولست بمتخذ صاحب * يُقيم على بابه حاجبا

إِذَا جِئْتُ قَالَ لَهُ حَاجَةٌ * وَإِنْ عَدْتُ أَلَيْتُهُ غَائِبًا
وَيُكْزَمُ إِخْوَانَهُ حَقَّهُ * وَلَيْسَ يَرَى حَقَّهُمْ وَاجِبًا
فَلَسْتُ بِلَا قِيَمَتِي الْمَاتِ * إِذْ أَنَا لَمْ أَقُلْ رَاحِبًا
وقال عبد الله بن سعيد في حاجب المحاج وكان يحجبه دائماً:
أَلَا رَبُّ نَصَحَ يُنَالِقُ الْبَابُ دُونَهُ * وَغَشَّ إِلَى جَنْبِ السَّرِيرِ يُقَرِّبُ
وقال آخر :

مَا ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى رَاغِبٍ * يَغْلِبُ الرِّزْقَ وَلَا هَارِبٍ
بَلْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى طَالِبٍ * أَصْبَحَ يَشْكُو جَفْوَةَ الْحَاجِبِ

وحجَّب رجل عن باب سلطان فكتب إليه : « نحن نعوذ بالله من المطامع الدنية
والهمم القصيرة وابتذال الحُرِّيَّةِ ، فإنَّ شئى والمحمد لله أَيْةٌ مَا سَقَطَتْ وَرَاءَ هَمَّةٍ ١٠
وَلَا خَلْمًا صَبَرَ عِنْدَ نَازِلَةٍ وَلَا اسْتَرْقَاهَا طَمَعٌ وَلَا طُعِمَتْ عَلَى طَبْعٍ وَقَدْ رَأَيْتُكَ وَلَيْتَ
عَرَضُكَ مِنْ لَا يَصُونُهُ وَوَصَلَتْ بِبَابِكَ مِنْ يَشِينُهُ وَجَعَلَتْ تَرْجِمَانِ عَقْلِكَ مِنْ يَكْثُرُ مِنْ
اعْدَائِكَ وَيَنْقُصُ مِنْ أَوْلِيَائِكَ [وَيْسَى] الْعِبَارَةُ عَنْكَ وَيُوجِهُ وَقَدْ أَلِمْ الْبَلَّ [وَيُضْغِنُ
قُلُوبَ إِخْوَانِكَ عَلَيْكَ إِذْ كَانَ لَا يَعْرِفُ لَشَرِيفٍ قَدْرًا وَلَا لَصَدِيقٍ مِثْلَهُ ، وَيَزِيلُ
الْمَرَاتِبَ عَنْ جَهْلِهَا وَبَدْرَجَاتِهَا فَيَحْطُّ الْعُلَى إِلَى مَرْتَبَةِ الْوَضِيعِ وَيَرْفَعُ الدُّنَى إِلَى مَرْتَبَةِ
الرَّفِيعِ وَيَحْتَقِرُ الضَّعِيفَ لضعفه وَتَبُو عَيْنَهُ عَنْ ذِي الْبَذَاذَةِ وَيَمِيلُ إِلَى ذِي الْبَلَّاسِ
وَالزَّيْنَةِ وَيَقْتَمُ عَلَى الْهَوَى وَيَقْبِلُ الرُّشَا » .

وقال بشار ، وقيل هو لغيره :

تَأْتِي خَلَاثِي خَالِدٌ وَفَعَالُهُ * إِلَّا تَجَنَّبَ كُلَّ أَمْرِ عَائِبٍ
فَلِذَا أَتَيْتَ الْبَابَ وَقْتَ غَدَائِهِ * أَذْنُ الْغَدَاءِ بَرغم أَنفِ الْحَاجِبِ ٢٠

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وهذا ضد قول الآخر:

إذا تفتى فرّ بوابه * وأردت من غير يد بابه
ومات من شهوة ما يُحسبي * عياله طرا وأصحابه

وقال آخر:

يا أميرا على جريب من الأر * ض له تسعة من الحجاب
قاعدا في الخراب يُحب عنه * ما سمعنا بحاجب في خراب!

وقال آخر:

على أي باب أطلب الاذن بعد ما * نُحبت عن الباب الذي أنا حاجبه

وقال الطائي:

يا أيها الملك النسائي برؤيته * وجوده كسراعى جوده كسب
ليس الحجاب يُقص عنكلى أملا * إن السماء ترجى حين تحتجب

وقال أيضا:

ومعجب حاولته فوجدته * بمجا عن الركب المُفاة شسوعا
أعدمته لما عدمت نواله * شكوى فرحنا معدمين جيما

وقال آخر:

قد أطلنا بالباب أمس القعودا * وجئنا به جفاء شديدا
وذمنا المييد حتى إذا نحشس بلونا المولى عذرنا العييدا

ومعجب رجل فكتب:

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبلة قوما فانت لها ثبل
فلا ترفع عنا لشيء وليته * كما لم يصغر عندنا شاكك العزل

- وكتب رجل من الكتاب في هذا المعنى إلى صديق له : « إن كان ذهولك عنا لدنيا
أَغْضَلَتْ عليك سماؤها وَأَرْبَتَتْ بك دِيَمُهَا ^(١) أَكْثَرُ ما يَجْرِي في الظن بك بل في اليقين
منك أنك أَمَلَكُ ما تكون لِعِناكَ أن يَجْعَ بك ولنفسك أن تستعلّ عليك إذا لانت لك
أَكْثُفُها] وَأَقْدَأُ في كَفِّكَ زَمَانُها لَأَنَّك لم تَمُتْ ما نلتَ خَلْسًا ولا خَطْفًا ، ولا عن مقدار
جَرَفِ إِيَّاكَ غيرَ حَقِّكَ وأَمالَ نَحْوِكَ سوى نصيبِكَ . فإِن ذَهَبَ إلى أن حَقَّكَ
قد يَحْتَمِلُ في قُوَّتِهِ وسعته أن تَضُمَّ إِلَيْهِ الجَفْوَةُ والنَبْوَةُ فيتضائل في جنبه ويصغر عن
كِبَرِهِ فغير مدفوع عن ذلك . وَأَيُّمُ الله لولا ما بَلَيْتُ به النفس من العَصْرِ بك وَأَنَّ مكانَكَ
منها لا يَسُدُّ غيرُكَ لَسَغَتْ عَنكَ وَذَهَلَتْ عن إِقْبالك وإِدبارِكَ ولكان في جَفاتِكَ ما يَرِدُ
من غِيرَتِها ويَرِدُ من غُلَّتِها ، ولكنك لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيكَ » .
- ١٠ أبو حاتم عن العتيبي قال : قال معاوية لَحْصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ وكان يدخل عليه
في أحرابِ الناس : يا أبا ساسان كأنه لا يُحْسِنُ إِذْنُكَ . فَأَنشَأَ يقول :
- كل خفيف الشأن يسعى مشعرا * إذا فُتِحَ البُوابُ بابَكَ إصْصَبا
ونحن الجُلوسُ الماسكون رزانة * وحلما إلى أن يَفْتَحَ البابَ أَجْما
- وقال بعض الشعراء في بشر بن مروان :
- ١٥ بعيدُ مرَدِّ العَيْنِ مارِدَ طَرَفِهِ * حِذَارَ الغواشي بَابُ دارِ ولا يَسْتُرُ
ولو شاء بشر كان من دون بابِهِ * طَلَّاطِمُ سَوْدُ أو صَقَالِبُ حَمْرُ
ولكن بشرًا يَسَّرَ البابَ لَتي * يكون له في غِيَّها الحَمْدُ والإِجْرُ
- وقال بشر :
- فلا تَحْضَلْ بِجَلِّ أَيْنَ قَرَعَهُ إِنَّهُ * عِفافَةٌ أُنْتُ يَرْجى نَداءُ حَزِينُ

(١) كذا بالأصول التي بين أيدينا ولعل اللقاء سقطت من علم الناصح .

(٢) كل ما بين هذين القوسين المرعبين غير موجود بالنسخة المتوفرة اقية وقد نقلناه من النسخة الألمانية .

إذا جئت في العرف أغلق بابه * فلم تلقه إلا وأنت كين
 قتل لأبي يحيى متى تدرك الملا * وفي كل معروف عليك بين
 وقال ابن هرمة يمدح :

هش إذا نزل الوفود يسابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام
 وإذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدرك أيهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك :

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخل

فكتب إليه الآخر :

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُعذر تملّ بالجباب

وقال عبيد الله بن عكراش :

وإني لأدري للكرم إذا غدا * على طمع عند اللئيم يطالبة
 وأدري له من مجلس عند بابه * كثر ثلثي للطرف والمعج راكمه

وكتب عبد الله بن أبي عينة إلى صديق له :

أنتك زائر لقضاء حق * فخال السّر دوتك والجباب

ولست بساقط في قدر قوم * وإن كرهوا كما يقع الدباب

أبو حاتم عن عبيد الله بن مصعب الزيري قال : كتابيا الفضل بن الربيع وهم يأذنون
 لذوى الهيئات والشارات وأعرابي يدنو فكلما دنا طرّح . فقام ناحية وأنشأ يقول :

رأيت آذنتا يعتام برتسا * وليس للحسب الزاكي يُعتام
 ولو دعينا على الأحساب قدمي * مجدد تليد وجد راجع نامي

متى رأيت الصقور الجدلّ يقدّمها * خلطان من رخم قريح ومن هام

دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية: من أنت؟ فقال له: يا أمير المؤمنين ما رأيت لك هفوة قبل هذه. مثلك ينكر مثل من رعيته! فقال له معاوية: إن معرفتك متفرقة، أعرف وجهك إذا حضرت في الوجوه، وأعرف اسمك في الإسماء إذا ذكرت، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه، فاذكر لي اسمك تجتمع معرفتك.

استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر، ثم أذن للآخر فدخل عليه بفلس فوق صاحبه. فقال معاوية: إن الله قد أزمنا تأديبكم كما أزمنا رعايتكم، وإنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك، فقم لا أقام الله لك وزنا.

دخل أبو عبيدة بن الجراح على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان، فلم يقبل عليه.

فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس: هذا أبو عبيدة، فردّه واعتذر إليه وقال: إني لم أعرفك. قال: يا أمير المؤمنين فهلا أنكرني.

قال أئصح السامي يذكر باب المنصور بن زياد؟

على باب ابن منصور * علامات من البندل

جماعات وحسب البا * ب فضلا كثرة الأهل

وكانت العرب تتوعد بالله من قرع الغناء ومن قرع المراح. وقال بعض الشعراء:

مالي أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابك نجم الأسواق

أرجوك أم خافوك أم شاموا الحيا * بحرالك فافتحموا من الآفاق

وقال آخر:

يزدحم الناس على بابه * والمشرع العذب كثير الزحام

(١) هكذا في النسخة الألمانية. وفي التتوغرافية منصور. والصواب محمد بن منصور كما في الكامل لبرد وهو الخاطئ لقوله «ابن منصور» في البيهقي. (٢) الحرا والحراة الناحية.

وقال آخر: * إن الندى حيث ترى الضمطا *

يعنى الزحام

وقال بشار:

ليس يعطيك للرجاء ولا الخلو * ف ولصكن يلد طعم العطاء

يسقط الطير حيث يتشرب الحب^(١) وتفضى منازل الكرماء

دق رجل على عمر بن عبد العزيز الباب فقال عمر: من هذا؟ قال أنا. قال عمر:

ما تعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا .

خرج شبيب بن شيبه من دار الخلافة يوما فقال له قائل: كيف رأيت الناس؟

فقال: رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا .

قال أبو العتاهية:

إذا اشتد دوى حجاب أمرئ * كفت المؤونة مجبابه

مجب أصراحي على باب السلطان فقال:

أهين لهم نفسى لأكرمها بهم * ولا يكريم النفس الذى لا يمينها

وقال جرير:

قوم إذا حضر الملوك وفودهم * تفتت شواربهم على الأبواب

وقال آخر:

فلما وردت الباب أيقنت أننا * على الله والسلطان غير كرام

وقال أبو القمقام الأسدي^(٢):

أبلغ أبا مالك عنى مقلقلة * وفى العتاب حياة بين أقوام^(٣)

(١) فى النسخة الفتنوغرافية عمرو بن عبيد .

(٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتنوغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر فى البيان والتبيين ونسبه لهما الزناتى ونسبه المرتضى فى التاج لعمام بن عبيد الزناتى .

(٣) كذا بالأصل ويرواه لسان العرب وفى البيان الجاحظ والتاج المرتضى : أيا سمع

أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ * مِنْ قَبْلُ أَنْ يَلْجُؤُوا الْأَبْوَابَ قَدَامِي
لَوْ عَدَيْتُ وَيَتُوكُنْتُ أَكْرَمَهُمْ * يَتَا وَأَبْصَمُ مِنْ مَنْزِلِ الْقَدَامِ
قَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَلَجْتِي نَزَلْتُ * بِيَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْصَامِ

التلطف في مخاطبة السلطان

وإلقاء النصيحة إليه

المتي قال قال عمرو بن عبّة للوليد حين تنكر له الناس: يا أمير المؤمنين إنك شطقتني
بالأنس بك وأنا أخفت ذلك بالهبة لك . وأراك تأمن أشياء أخافها عليك ، أفاستكت
مطعما ؟ أم أقول مشقفا ؟ فقال : كلُّ مقبول منك ، ولله فينا علم غيب نحن صائرون
إليه . ونعود فنقول : قَتَلْت بعد أيام .

وفي إلقاء النصيحة إليه : قرأت في كتاب للهند أن رجلا دخل على بعض
ملوكهم فقال له : أيها الملك نصيحتك واجبة في الحقير الصغير بله الجليل الخطير
ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتياك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جنب
صلاح العاقبة وتلافى الحادث قبل تفاقمه لكان خرقا مني أن أقول ، وإن كنا إذا رجعنا
إلى أن بقانا [موصول ^(١)] ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجدر بقلنا من أداء الحق
إليك وإن أنت لم تستلني [أو خفت ^(١) ألا تهمل مني] ، فإنه يقال : من كتم السلطان
نصحه والأطباء مرضه والإخوان بته فقد خان نفسه .

الخفوت في طاعته

قال بعض الخلفاء لحرير بن يزيد: إني قد أمددتك لأمر . قال: يا أمير المؤمنين ،
إن الله قد أعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ويدها ميسولة بطاعتك وسيفها مشحونا
على عدوك فلذا شئت قتل .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وفي مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لي جعفر بن يحيى أعُدْ عليَّ غداً لكننا .
فقلت : أنا والصبيح كهرسى رهان . وفي مثله : أمر بعض الأمراء رجلاً بأمر فقال
له : أنا أطوع لك من اليد وأذل لك من النعل . وقال آخر : أنا أطوع لك من الرداء
وأذل لك من الحذاء .

التلطّف في مدحه

قال خالد بن عبد الله القسريّ لمعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زائته ،
فإنك قد زنتها ، ومن كانت شرفته فإنك قد شرفتها ، فأنت كما قال القائل :
وإذا ألترّ زان حسنَ وجوهه • كان للدرّ حسنُ وجهك زينا
فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولاً ولم يُعط معقولاً .

- ١٠ وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء : «إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه
فنظر عينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن
رأيك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى فيك بعد أن
مِيلَ بينك وبين الذين سَمَّوا لرتبتك وجَرَّوا إلى غايتك فأسقطهم مضارَكَ وخَفَّوا
في ميزانك ولم يزدك رفعةً إلا أزددتَ لله تواضعا ، ولا بسطا وإنما إلا أزددت له
هبة وإجلالا ، ولا تسليطا وتمكيناً إلا أزددت عن الدنيا عزّاً وفاً ، ولا تحميراً إلا أزددت
من العامة قرباً . ولا يخرجك فرط النصيح للسلطان عن النظر لرعيته ، ولا إشار حقه
عن الأخذ لها بحقها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمّن ما عليه ، ولا تشغلك
جلال الأمور عن التفقّد لمصارفها ، ولا الحَسَدُ لبصارتها واستقامتها عن استشعار
الحذر وإيمان النظر في عواقبها » .

- ٢٠ وفي مدحه : دخل العُمانيّ الراجر على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخُفّ
ساذج ، فقال له الرشيد : يا عمانيّ ، إياك أن تشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكُور

وختان دلقان فبكر إليه من الند وقد ترأى بزى الأعراب ثم أنشده وقبل يده وقال :
يا أمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جازيته
ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السفاح ثم المنصور ثم المهدي . كل هؤلاء
رأيت وجوههم وقبلت أيديهم وأخذت جوارثهم ، إلى كثير من أشباه الخلفاء وبيكار
الأمراء والسادة والرؤساء ، والله ما رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجهًا ولا أنعم
كفًا ولا أئدًى راحة منك يا أمير المؤمنين . فاعظم له الحائزة على شعره وأضعف له
على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمتى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام .

وفي المديح : كتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن بن سهل فقال : « إن الله
قد جعل جنتك عاليًا وجعلك في كل خير مُقدما وإلى غاية كل فضل سابقا وصبرك ، وإن
ثابت بك الدار ، من أمير المؤمنين وكرامته قريبا ، وقد جدد لك من البر كيت وكيت .
وكذا يجوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله » .
وفي مدحه : قال الرشيد يوما لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئا ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك والشعر فيك فوق قدرى ، ولكنى أستحسن
قول المتأني :

ما ذا يرى قائل يثنى عليك وقد * ناداك في الوحى تقديس وتطهير
فَتُ المديح إلا أن أُلْنَا * مُستنققات بما تحفى الضائير
[في عتة لم تخم إلا بطاعتهم * من الكلاب ولم تُقص المَشاعير
هذى يمينك في قُرْبك صائلة * وصارم من سيوف الهند مأثور]

- (١) كذا بالأصل غير مضبوط والله لم يأت في الناموس دوية كالشور . وفي المقد القريد « دلقان » .
- (٢) في البيان والبيان « دلقان » والدماق بالجر الأسس .
- (٣) زيادة في النسبة الألمانية .
- (٤) في الأصل « صرة » إياه الموسدة والتصحيح عن الألفي .
- (٥) في الأصل « جدراك مائة » والتصحيح عن الألفي .

- وفي مدحه : كتب بعض الكتاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعمة على
الأنبياء عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه نقیصة
الکذب ولا ينتهی به المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عونا على تجاوزها . ومن
سعادة جَدِّكَ أن الداعي لك لا يمدِّم كثرة المشايخين ومساعدة النية على ظاهرها القول » .
- وفي مثله كتب بعض الأدباء إلى الوزير : « مما يُعین على شكرك كثرة المنصتين له ،
ومما يسهل لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين له » .

- وفي مثل ذلك : لما عقَّد معاوية البيعة ليزيد قام الناس بخطبون فقال لعمر
ابن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإن يزيد
ابن معاوية أمل تأملونه وأجل تأمنونه ، إن استصغتم إلى حلمه وسعكم ، وإن أحضجتم
إلى رأيه أرشدكم ، وإن أفقرتم إلى ذات يده أغناكم ، جدِّعْ فارحْ سوبق فسبق
وموجِدْ لَجِدْ وقُورِعْ ففُرج فهو خَلَف أمير المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية :
أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

- وفي مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير ، أسكتني عن وصفك
تسأري أفعالك في السوء وحيرني فيها كثرة عددها فليس إلى ذكر جميعها سبيل ،
وإن أردت ذكر واحدة اعترضت أختها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها ، فلست
أصفها إلا بإظهار العجز عن صفتها » .

- وفي مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يُطمعني في بقاء النعمة
عليك ، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك
من أسياها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاول ، والشئ
يتغلغل في معدنه ويحترق إلى عنصره ، فإذا صادف منتهه وُزِّي في مفرسه ضرب بعرقه
وسبق بفرعه وتمكن تمكَّن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر إلى بعض الوزراء : « رأيتني فيما أتأطى من مدحك كالخُبْر
عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على ناظره ، وأيقنت أني حيث
اتهي بى القول منسوبٌ إلى العجز مقصرٌ عن الغاية فانصرفُ عن الثناء عليك إلى
الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك » .

٥ وفي مثله كتب المتأبى إلى خالد بن يزيد : « أنت أيها الأمير وارث سلفك وبقية
أعلام أهل بيتك ، المسدود بك تلمهم والمجدد بك قديمُ شرفهم والمنتبه بك أيامُ صيتهم
والمنبسط بك [آمأنا والصاتريك أكأنا والمأخوذ بك] ^(١١) حظوظنا ، فإنه لم يحصل من
كنت وارتبه ، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا أتمت معاهد من خلفته
في مرتبته » .

١٠ وفي شكره : قرأت في التاج قال بعض الكتاب لللك : « الحمد لله الذى أعلقنى سببا
من أسباب الملك ورفع خسوسى بمخاطبته وعزز ركنى من النلة به وأظهر بسطلى
في العامة وزين مقارمى في المشاهدة وفقا عنى عيون الحسدة وذلل لى رقاب الجبابرة
وأعظم لى رغبات الرعية وجعل لى به حقا يوطأ وخطرا يعظم ومزية تحسن ، والذى
حقق فى رجا من كان ياملنى وظاهر به قوة من كان ينصرفى وبسط به رغبة من
كان يستغنى ، والذى أدخلنى من ظلال الملك فى جناح سترى ، وجعلنى من أكفاه
١٥ فى كنف آتبع على » .

وفي شكره وتعداد نعمة : قرأت في سير العجم أن أردشير لما استوسق له أمره
جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضم فيها على الأكفسة والطاعة وحذرهم المصيبة
وصنف الناس أربعة أصناف ، نفر القوم يُجهدا وتكلم متكلمهم مجيا فقال : « لا زالت

- أيها الملك محبوباً من الله بركة النصر ودرك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت نتائج لديك النعم وتوسّع عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ولا تقطع زهرتها في دار القرار التي أعدّها الله لنظرائك من أهل الزلّنى عنده والحظوة لديه ، ولازال ملكك وسلطانك باقيين بفاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور والأشجار حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوك عليها وتقاض أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمّا عموم ضياء الشمس ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ، بجمعت الأيدي بعد اقترافها والكلمة بعد اختلافها وأقمت بين القلوب بعد تباعدتها وأنجبت الإحسان والحسانك بعد استعمار نيرانها ، وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ولا يحصى بتعداد ، ثم لم ترض بما جعتمنا به من هذه النعم وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحببت توطئتها والاستيثار منها وعلمت لنا في دوامها كملكك في إقامتها وكفّلت من ذلك ما نرجو نفعه في الشلوف والأعقاب ، وبلغت همتك لنا فيه حيث لا تبلغ همم الآباء للأولاد ، بخزّاك الله الذي رضاه تحرّيت وفي موافقته سميت أفضل ما التفت ونويت .

- وفي مثله : قال خالد بن صفوان لوالد دخل عليه : « قدمت فأعطيت كلّ بقسطه من نظرك وجلست وصلاّتك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد » .
وفي شكره : كتب بعض الكُتاب إلى الوزير يشكره : « من شكرك عن درجة رفعتك إليها أو ثروة أفدته إياها فإن شكرى إياك على مهجة أحبتها وحشاشة تبقيها ورمقي أمسكت به وقت بين التلف وبينه » .

- وفي شكره : قرأت في كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حدّ تنتهي إليه ومدى تُوقف عنده وغاية في الشكر يسمو إليها الطّرف خلا هذه النعمة التي فالت الوصف وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأتت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنَّا جَمَّةٌ أَبْقَتْ لِلضَّاهِنِينَ مِنَّا وَلِلْبَاقِينَ نَفَرَ الْأَبْدَ وَرَدَّتْ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمَتْ عَنَّا
 أَنْفَ الْحَسُودِ وَبَسَطَتْ لَنَا عِزًّا نَتَدَاوَلُهُ ثُمَّ نَخْلُفُهُ لِلْأَعْقَابِ فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ظَلٍّ ظَلِيلٍ وَكَتَفٍ كَرِيمٍ وَقَلْبٍ عَطُوفٍ وَنَظَرٍ رَعُوفٍ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ
 الشَّاكِرُ مِنَّا وَأَيُّنَ يَبْلُغُ اجْتِهَادَ مَجْتَهِدِنَا وَمَتَى تُوَدَّى مَا يُلْزِمُنَا وَنَقْضَى الْمُتَقَرِّضَ عَلَيْنَا وَهَذَا
 كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ وَلَا بَأَثُهُ الرَّاشِدِينَ عِنْدَ مَنْ مَضَى مِنَّا وَمَنْ خَيْرُنَا
 إِلَّا مَا وَرَدَ مِنْ صَنُوفِ كِرَامَتِهِ وَأَيَادِيهِ وَلَطِيفِ أَلْفَاظِهِ وَمَخَاطِبَتِهِ، لَكُنْ فِي ذَلِكَ
 مَا يَحْسُنُ الشُّكْرَ وَيُسْتَفْرِغُ الْمَجْهُودَ .

التلطف في مسئلة العفو

قال كسرى ليوشن المنفى وقد قتل فهلوز حين فاقه وكان تلميذته : « كُنْتُ
 أَسْتَرِجِمُ مِنْهُ إِلَيْكَ وَمِنْكَ إِلَيْهِ فَأَذْهَبَ شَطْرَ تَحْتَى حَسْبُكَ وَتَنَلُ صَدْرِكَ » ثم أمر
 أن يلقى تحت أرجل القبيلة فقال : أيها الملك إذا قُتِلْتُ أَنَا شَطْرَ طَرِيكِ وَأَبْطَلْتُهُ
 وَقُتِلْتَ أَنْتَ شَطْرَهُ الْآخَرِ وَأَبْطَلْتُهُ، أَلَيْسَ تَكُونُ جَنَابَتِكَ عَلَى طَرِيكِ بِكَافِيَةٍ عَلَيْهِ ؟
 قال كسرى : دعوه، ما دَلَّهُ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا مَا جُعِلَ لَهُ مِنْ طَوْلِ الْمُدَّةِ .

وفي العفو أيضا . قال رجل للنصور : « الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نريدُ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَاقِيَةً مِنْ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِأَوَكْسِ النَّصِيِّينَ دُونَ أَنْ يَبْلُغَ أَرْفَعِ الدَّرَجَتَيْنِ » .
 وفي العفو : جلس الحجاج يَقْتُلُ أَصْحَابَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ :
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي لِي عَلَيْكَ حَقًّا . قَالَ : وَمَا حَقُّكَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : سَبَّكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَوْمَا
 فَرَدَدْتُ عَنْكَ . قَالَ : وَمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : أَتَشُدُّ اللَّهُ رَجُلًا سَمِعَ ذَلِكَ
 إِلَّا شَهِدَ بِهِ . فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَسْرَى فَقَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : خَلَوْا

عنه. ثم قال للشاهد: فما منعك أن تنكر كما أنكز؟ قال: لقد يمضى إليك. قال: ويحلى هذا لصدقه.

وفي الغزو: أسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي صلوات الله عليه، فلما أقيم بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكن منك. قال: لا ثقل ذاك فإنها مصيبة. قال: وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفركي رجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي. اضربا عنقه. فقال: اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأتلك رضى قتلى، ولكني قتلتني في الغلبة على حطام هذه الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله. فقال: فأتلك الله! لقد سببت فأوجعت في السب ودعوت فأبلغت في الدعاء. حيا سبيله.

وفي مثله. أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال: ١٠
يدي يا أمير المؤمنين أعيدتها * بعفوك أن تلقى نكالا يسئتها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة * إذا ما شمالي فارقتها يمينها
فأبى إلا قطعه، فدخلت عليه أمته فقالت: يا أمير المؤمنين، واحدي وكاسي.
فقال: بشس الكاسب! هذا حد من حدود الله. فقالت: اجعله من الذنوب
التي تستغفر الله منها. فعفا عنه. ١٠

وفي مثله: أخذ عبد الله بن علي أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما رُفع السيف ليضرب به شرط الشامي فوق العمود بين يدي الغلام وقربت دابة عبد الله فضحك وقال: اذهب فانت عتيق أستك. فالتفت إليه وقال: أصلح الله الأمير! رأيت ضربة قط أنجيت من الموت غير هذه؟ قال: لا، [قال] هذا والله الإدمار. قال: وكيف ذاك؟ قال: ما نلتك بنا وكنا ندفع الموت باستئنا فصرنا ندقه اليوم باستأنا.

وفي مثله : نخرج النعمان بن المنذر في غيب سماء فتر رجل من بني يسكر جالسا على غدير ماء، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال يشكري : أليس ابن سلمى ؟ قال : نعم . قال : والله لربما أمررتُ يدي على فرجها . قال له : ويحك ، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتك . فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيوه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيت اللعن ، إنك والله ما رأيت شيئا أكذب ولا أألم ولا أوضع ولا أعص ببطر أمه من شيخ بين يديك . فقال النعمان : دعوه ، فأنشأ يقول :

تغفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها

ولقد تُعاقب في اليسير وليس ذاك لجلها

إلا يُسرف فضلها * ويخاف شدة نكحها

١٠

وفي مثله : لما أخذ المأمون إبراهيم بن المهدي استشار أبا إسحاق والعباس في قتله فأشارا به ، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أنت يكونا قد نصحا لك في عظم الخلاف وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا ، ولكك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . وكان في اعتذاره إليه أن قال : إنه وإن بلغ جرئ استمالة دمي فلم أُمير المؤمنين وفضله يُلغاني عفوه ولي بعدهما شُعبة الإقرار بالذنب وحق الأجرة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن في حق سببك حق الصنع عن جرمك لبُلغك ما أملت حسنُ تَصَلُّك ولطف تومئلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عني المأمون صلة لرحمي ولا محبة لاستحيائي ولا قضاء لحق عمومتي ، ولكن قامت له سؤقي في العفو فكَرِهَ أن يُفسدها بي . ومن أحسن ما قيل في مثله قول العتّابي :

٢.

رَحَّلَ الرَّجَاءُ إِلَيْكَ مُفْتَرِيَا * حُشِدَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ

(*) هكذا بالقاهرة في نسخة الفريد "تسبك".

رَدْتُ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمْسِلُ ٥ وَثِقْتُ إِلَيْكَ عِصَانَهُ تُكْرِي
وَجَعَلْتُ عَثْبَكَ عَتَبَ مَوْعِظَةٍ ٥ وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عَذْرَى
وَقَوْلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ لِلْعَوَّلِ :

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَلَا حَرَمٌ ٥ تَمُودُ بِعَفْوِكَ أَنْتَ أَبَدًا
لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ ٥ لَأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا
أَلَمْ تَرْعِبْنَا عِندَ طَوْرِهِ ٥ وَمَوَكِّي عَفَا وَرَشِيدَا هَدَى
وَمُفْسِدَا أَمْرٍ ثَلَاثِينَ ٥ فَعَادَ فَاصْلَحَ مَا أُنْصِفَا
أَفْلَحِي أَفْطَالِكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ٥ يَتَّقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى^(١)

وَفِي مِثْلِهِ ٥ وَجِدَ بَعْضُ الْأَمْهَاءِ عَلَى رَجُلٍ بِإِفْهَاءٍ وَأَطْرَحَهُ حِينَئِذٍ دَعَا بِهِ لِيَسْأَلَهُ
عَنْ شَيْءٍ فَرَأَاهُ نَاحِلًا شَاحِبًا ٥ فَقَالَ لَهُ : مَتَى اعْتَلَّتَ ؟ فَقَالَ :
مَا مَسَّنِي سُقْمٌ وَلَكِنِّي ٥ جَفَوْتُ نَفْسِي إِذْ جَفَانِي الْأَمِيرُ^(٢)
فَعَادَ لَهُ ٥

وَقَالَ آخَرُ :

أَلَا إِنْ خَيْرَ الْعَفْوِ عَفْوُ مَعْجَلٍ ٥ وَشَرُّ الْعِقَابِ مَا يُبَازَرُ بِهِ الْقَدْرُ
وَكَانَ يُقَالُ : بِحَسَبِ الْعُقُوبَةِ أَنْ تَكُونَ عَلَى مِقْدَارِ الذَّنْبِ ٥

وَفِي الْعَفْوِ : قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ عَاقَبْتَ جَازِيَةً وَإِنْ عَفَوْتَ أَحْسَنْتَ وَالْعَفْوُ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ٥٥

(١) فِي الْأَمَلِينَ الْفَتَوَغْرَافِي وَالْأَلْسَانِي «تَجُود» وَالتَّصَوُّبُ عَنْ الْأَعَانِي ٥

(٢) فِي نَسْخَةِ : الْبَدَا ٥

(٣) كَلَامًا بِالْفَتَوَغْرَافِيَةِ وَالْأَلْسَانِيَةِ عَلَى أَنَّهُ شَمْرٌ وَالْكَلَامُ فِي ذَاتِهِ مَسْتَعِيمٌ الْوِزْنُ ، وَأُورِدَهُ مَصَاحِبُ الْمَقْدَرِ
تَرَا وَيَبْدُو «وَأَكَلْتُ أَنْ لَا أَرْضَى عَنْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ» ٥

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذي أنت بين يديه أذلّ مني بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظراً من برئ أحب إليه من سُقْمى وبراءتي أحب إليه من جرمي .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة .
وفي مثله : أتى الأحنف ابن قيس مُصعب بن الزبير فكلّمه في قوم حبسهم ، فقال ، أصلح الله الأمير : إن كانوا حُبسوا في باطل فالحق يخرجهم ، وإن كانوا حُبسوا في حق فالعفو يسعهم ، فغلام .

وفي مثله : أمر معاوية بعقوبة رَوْح بن زَيْبَاع فقال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع مني خسيصة أنت رفعتها أو تنقض مني مرة أنت أبرمتها أو تُنْشِئْت بي عدوا أنت وقفته ^(١) ^(٢) وإلا أتى حليمك وعفوك على جهل وإساءتي . فقال معاوية : خُلياً عنه . ثم أنشد :

« إذا الله سنّى عقدَ أمرٍ تيمرا »

وفي مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذر إن أمكنه الله منه ليفعلن به ليفعلن . فقال له رجاء بن حيوة : قد فعل الله ما نصب من الظفر فافعل ما يجب الله من العفو .

وفي مثله : قال ابن القُرَيْبِيّ للجاحل في كلام له : أَقْلِي عَثْرِي وَأَسْتَفِي رِيقِي فَإِنَّهُ لَا بَدَ لِلْجَوَادِ مِنْ كِبَرَةٍ وَلَا بَدَ لِلسَّيْفِ مِنْ نُبُوَةٍ وَلَا بَدَ لِلْهِلْمِ مِنْ هَفْوَةٍ . فقال الجاحل : كَلَّا ، والله حتى أوردك جهنم . ألسنت القاتل بَرُسْتَبَازٍ تَدْعُوا الْجَدِيَّ قَبْلَ أَنْ يَتَعَشَّاكُمْ .
وفي مثله : أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون إلى الله ، فاعفُ له فإنك به تُمان وإليه تعود . فغلى سبيله .

(١) تهره وأذله .

(٢) كذا بالأصل وفي الأمال وأسألك بآفة إلا أتى حليمك الخ .

وفي مثله . قال خالد بن عبد الله لسليلان بعد أن عذبه ^(١) [بما عذبه به] : إن القدرة تذهب الحفيظة وقد جل قدرك عن العتاب ونحن مقررون بالذنب ، فإن تمف فأهل المغو وإن تماقب فبما كان منا . فقال ^(٢) [أولى لك] أما حتى تأتي الشام راجلاً فلا عفو .
وفي مثله : ضرب المجاج أعناق أسارى أئى بهم ، فقال رجل منهم : والله لئن كنا أسانا في الذنب فما أحسن في المكافاة . فقال المجاج : أف لهذه الحيف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكف عن القتل .

وفي مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه . فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فاتمق باطرافك وأقول أى رب سل مصعباً فيم قتلى . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبت لى من حياتى فى خفص . قال أعطوه ١٠ مائة ألف . قال : بابى أنت وأمى ، أشهد الله أن لا بن قيس الرقيات منها نحسين ألفا . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهاب من اللثى تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه « جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء
يتقى الله فى الأمور وقد أفلح من كان همّه الاتقاء ١٥

فضحك مصعب ، وقال : أرى فيك موضعاً للصديعة ، وأمره بلزومه وأحسن إليه فلم يزل معه حتى قتل ^(٣) .

وفي مثله : قال عبد الملك بن الججاج التغلبى لعبد الملك بن مروان : هربت إليك من العراق . قال : كذبت ، ليس إلينى هربت ، ولكك هربت من دم الحسين وخفّت عل دمك فلعجأت إلينا . ثم جاء يوماً آخر فقال : ٢٠

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) في النسخة الألمانية « عداقه » .

أذنو لترجني وترقّ خَلَّتِي * وأراك تدفني فأين المدفن

ونحوه قول الآخر:

كنتُ من كربى أقر إليهم * فهمُ كربى فأين القرار

وفى مثله : قَتَعَ المِجْلُجُ رجلاً فى مجلسه ثلاثين سوطاً وهو فى ذلك يقول :

وليس بتعزيز الأمير تَزَايَةً * على إذا ما كنتُ غير مُريب

ونحوه :

وإن أمير المؤمنين وفصله * لكالدهر ، لا عارُ بما فعل الدهر

وفى مثله : مر الحسن البصرى برجل يُقَاه منه . فقال للولّى : يا عبد الله ، إنك

لا تدري لعل هذا قتل وليك وهو لا يريد قتله ، وأنت تقتله متعمداً ، فانظر لنفسك .

قال : قد تركته لله . ١٠

وفى مثله . حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : رُمِيَ المِجْلُجُ

فقال : انظروا من هذا ؟ فأوما رجل بيده ليرمى . فأخذ فأدخل عليه وقد ذهب

روحُه . قال عيسى بصوت ضعيف يَحْكِي المِجْلُجَ : أنت الرأينا منذ الليلة ؟ قال :

نعم أيها الأمير . قال ، ما حملك على ذلك ؟ قال : ^(١) إلى والله واللؤم . قال : خلّوا

عنه . وكان إذا صُدِقَ انكسر ١٥

وفى مثله : حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عثمان الشَّعَام قال : أتى المِجْلُجُ

بالشَّعبي فقال له : أنزعجت علينا يا شعبي ؟ قال : أجذب بنا الجَنَابَ وأحزن بنا المِزْلَ

واستحلست الخِوَفَ واكتحلنا السهرَ وأصابتنا تَزَايَةٌ لم تكن فيها بَرَّةٌ أَتَقِيَاء ولا بَجَرَةٌ

أَقْوِيَاء . فقال المِجْلُجُ : لله أبوك . ثم أرسله .

٢٠ (١) كذا بالأصل ولعله التى .

وفي مثله: أتى موسى بن المهدي رجل كان قد حيسه بفعل يُقرّعه بذنوبه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذاري مما تقرّعني به ردّ عليك وإقرارى بما تتعبد على يّزني ذنبا لم أجته، ولكنني أقول:

فإن كنت ترجو بالعقوبة راحة * فلا ترهّدن عند المغافاة في الأجر

- وفي مثله: قال الحسن بن سهل لنعيم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظمه:
- على رسلك أيها الرجل، تقدّمت لك طاعة وتأنّرت لك توبة، وليس لذنوب بينهما مكان، وما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو.

- وفي الدعاء له: قال رجل لبعض الأمراء: «إني لو كنت أعرف كلاما يجوز أن أتّى به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس، لأحببت أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظم من أمره، غير أني أسأل الله الذي لا يخفى عليه ما تحتجب به النيوب من نيات القلوب أن يجعل ما يطلع عليه مما تبلغه نيتي في إرادته للأمير أدنى ما يؤتیه إياه من عطايا ومواهب».

- وفي الدعاء له: قرأت في كتاب رجل من الكتاب «لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلغه وأمل فيك تحقّقه حتى نثقي من الأشعار أطولها وترقى من الدرجات أفضّلها».

- وفي الدعاء: دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعه فقال: السلام عليك أمير المؤمنين. محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وأبن دولتك وغصن من أغصان دوحك، أتأذن له في الكلام؟ قال: نعم. فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه. فقال: «نستمع الله لحياطة ديننا ودنيا ورواية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا وبقيك».

(١) في النسخة الفهرغرافية «لا تجتنب» وهو تحريف.

الأذى بإسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائد بظلك المارب إلى كنفك وفضلك الفقير إلى رحمتك وعلمك » ثم تكلم في حاجته .

وفي شكر السلطان وفي حمده : قدم رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته فقال له : ما أقدمك عليّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت إلينا وفاضت في رحالنا وتناولها الأفعى والأدنى منّا ، وأما الرهبة فقد أمتأ بذلك يا أمير المؤمنين علينا وحسين سيرتك فينا من الظلم ، فصحن وقد الشكر .

وفي حمده : كتب بعض الكتاب إلى وزير : « كلّ مدّي يبلغه القائل بفضلك والواصف لأيامك والشاكر للنعمة الشاملة بك قصد أم عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك ، فواجب على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستدعيه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونماؤها ، فقد جمع الله بك الثنات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدي الجائرة وعطف القلوب النافرة ، فأعنت سرب البرى ، وخفضت جاشه وأخفت مبل الجاني وأخذت عليه مذاهبه ومطالبه ووقفت بالخاصة والعامة على قصد من السيرة أمّنوا بها من العثار والكبوة » .

وفي حمده على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شبة للهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يملك دون أحد من خلقه ، فلا ترص بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .



٢٠ تم كتاب السلطان ، ويتلوه في الجزء الثاني كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

- قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية ابن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَمْتَنُوا لقاء العدو فمضى أن تُبْتَلُوا بهم ولكن قولوا اللهم أكفنا وكف عنا بأسهم ، وإذا جاءوكم يعزفون ويضحون فعليكم الأرض جلوسا ، ثم قولوا : اللهم أنت ربنا وربهم ، ونواصينا ونواصيهم بيدك ، فإذا غشوك فتوروا في وجوههم » .

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جسد العزير عن حدثه أن أبا الدرداء قال : أيها الناس ، عمل صالح قبل الفزو فأنما تقاتلون بأعمالكم .

- حدثنا القاسم بن الحسن^(١) عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أو صلح بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله وعلى عون الله وأمضوا بتأييد الله بالنصر ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تمتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبنوا عند اللقاء ولا تمتلوا عند القدرة ولا تهرؤا عند الظهور ولا تحتلوا هريما ولا امرأة ولا وليدا . وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحمان وعند

(١) في الألمانية "الحكم" .

حُمَّةُ التَّهْضُمَاتِ وَفِي شَقِّ النَّارَاتِ . وَلَا تَغْلُوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ وَزَهْوُوا الْجِهَادَ عَنْ عَرْضِ الدُّنْيَا وَأَبْشُرُوا بِالرَّاحِ فِي الْبَيْعِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

استشار قوم أكرم بن صَيْفِيَّ في حرب قوم أَرَادُوهُمْ وَسَلَّوَهُ أَنْ يُوصِيَهُمْ فَقَالَ :
أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أَمْرَائِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصَّبَاحِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمَرْءِ يَحْجِزُ
لَا عَمَلَهُ . تَبَتُّوا فَإِنَّ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِيْنِ ، وَرُبَّتْ بِحِمْلَةٍ تُعَقِّبُ رَيْثًا ، وَأَتَزَرُّوا لِلْحَرْبِ
وَإِذْ رَعَوْا اللَّيْلَ فَإِنَّهُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسَازَعُوا فَبِغْضَائِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ .

١٠ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ
قَالَ ، قَالَ عُبَيْدُ بْنُ رِيعَةَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَصْحَابِهِ : أَلَا تَرَوْنَهُمْ — يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — جُثِيًّا عَلَى الرُّكْبِ كَأَنَّهُمْ خُرْسٌ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْحَيَاتِ . قَالَ :
وَسَمِعْتُهُمْ عَائِشَةُ يُكَبِّرُونَ يَوْمَ الْجَمَلِ قَالَتْ : لَا تَكْثُرُوا الصَّبَاحَ فَإِنَّ كَثْرَةَ التَّكْبِيرِ
عِنْدَ الْإِقَامَةِ مِنَ الْقَتْلِ .

١٥ وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ النَّبِيِّ عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ قَالَ : أَوْصَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَزِيدَ بْنَ
أَبِي سَفْيَانَ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى الشَّامِ قَالَ : يَا يَزِيدُ سِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَإِذَا دَخَلْتَ
بِلَادَ الْعَدُوِّ فَكُنْ بَعِيدًا مِنَ الْجَمَلَةِ فَإِنَّ لَهَا أَمْنًا عَلَيْكَ الْجَوْلَةَ . وَاسْتَظْهَرِ بِالزَّادِ وَسِرْ
بِالْأَدْلَاءِ وَلَا تَقَاتِلْ بِمَجْرُوحٍ فَإِنَّ بَعْضَهُ لَيْسَ مِنْهُ ، وَاحْتَرَسْ مِنَ الْيَبَايَاتِ فَإِنَّ فِي الْعَرَبِ

غِرة، وأقلل من الكلام فإِنما لك ما وُعي عنك . وإِذا أُنك كُلبى فأنهذه فإِنما أعمل على حسب إِيّاه . وإِذا قَدِمْتَ عليك وفودُ العجم فأنزِلهم معظَم عسْكَرك وأَسبِغ عليهم النِّقَعة وأَمْنِج الناس عن مَعادِيتهم لِيُخْرِجُوا جَاهِلِينَ كَمَا دَخَلُوا جَاهِلِينَ . وَلَا تُلَحِّقْ فِي عَقُوبَةٍ [فَإِن أَدْنَاهَا وَجِع] وَلَا تُسَرِّعْ إِلَيْهَا وَأَنْتَ تَكْتَفِي بِغَيْرِهَا . وَأَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَلَانِيَتِهِمْ وَكُلِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِهِمْ . وَلَا تَجَسَّسْ عَسْكَرَكَ فَتُضْضِعْهُ وَلَا تَهْمَلْ فَتُفْسِدَهُ .
وَأَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِمُهُ .

[^(١) قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُرْمَةَ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى عُثْمَانَ : يَا عُرْمَةُ سِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَلَا تَنْزِلْ عَلَى مِسْتَأْمِنٍ وَلَا تَوْتَمِنْ عَلَى حَقِّ مُسْلِمٍ وَأَهْذِرِ الْكُفْرَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ . وَقَطِّمِ التَّنْذِيرَيْنِ يَدَيْكَ . وَمَهْمَا قُلْتَ إِنِّي فَاعِلٌ فَافْعَلْهُ وَلَا تَجْعَلْ قَوْلِكَ لِقَوْمٍ فِي عَقُوبَةٍ وَلَا عَفْوٍ . وَلَا تَرْجُ إِذَا أُمِّتَ وَلَا تَخَافُ إِذَا خُوفْتَ وَلَكِنْ أَنْظِرْ مَتَى تَقُولُ وَمَا تَقُولُ . وَلَا تَعِدْتَ مَعْصِيَةً بِأَكْثَرِ مِنْ عَقُوبَتِنَا فَإِنْ فَعَلْتَ أُمِّتَ وَإِنْ تَرَكْتَ كَذَبْتَ . وَلَا تَوْتَمِنْ شَرِيفًا دُونَ أَنْ يُكْفَلَ بِأَهْلِهِ وَلَا تُكْفَلْ ضَعِيفًا أَكْثَرَ مِنْ نَفْسِهِ . وَأَتَّقِ اللَّهَ فَإِذَا لَقِيتَ فَاصْبِرْ .]

وَأَوْصَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ أَمِيرَ سِرِّيَّةٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ قَالًا : أَنْتَ تَأْجِرُ اللَّهَ لِعِبَادِهِ فَكُنْ كَالْمُضَارِبِ الْكَيْسِ الَّذِي إِنْ وَجَدَ رَجُلًا تَجَرَّ ، وَإِلَّا احْفَظْ بِرَأْسِ الْمَالِ . وَلَا تَطْلُبِ الْغَنِيمَةَ حَتَّى تَحْمُوزَ السَّلَامَةَ . وَكُنْ مِنْ احْتِيَالِكَ عَلَى عَدُوِّكَ أَشَدَّ حَذَرًا مِنْ احْتِيَالِ عَدُوِّكَ عَلَيْكَ .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيدٍ عَنْ أَبِي عَيْنَةَ قَالَ : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَوْ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ : « إِذَا يَبْتَكَتُ فِي سِرِّيَّةٍ فَلَا تَنْتَقِمْهُمْ وَأَقْتَتِلْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ الْقَوْمَ بِأَضْعَفِهِمْ » .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالتسخين التصويرانية والألمانية وفي المقد التبريد « مردان » .

حدثني محمد بن عبيد^(١) عن ابن عينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال :
غزا نبي من الأنبياء أو غير نبي قال : « لا يفرؤن معي رجل بنى بناء لم يكمله ،
ولا رجل تزوج امرأة لم يبين بها ، ولا رجل زرع زرعاً لم يحصمه » .

^(١) [وذكر ابن عباس علياً فقال : ما رأيت رئيساً يؤزن به . رأيت يوم صفين وكانت
عينه سراجاً سليلط وهو يحبس أصحابه إلى أن انتهى إلى وأنا في كنف فقال : معشر
المسلمين ، استشعروا الخشية وصنوا الأصوات وتخلّبوا السكينة وأكلوا اللّوم وأخفوا^(٢)
الخنون وقفلوا السيوف في أغمارها قبل السّلة وألحفوا الشّر وأطعنوا النّبر وانلغوا^(٣)
بالقبا وصلّوا السيوف بالخطأ والرمح بالنّيل وأمشوا إلى الموت مشياً حُجّماً . وعليكم
بهذا السواد الأعظم والرواق المطنّب فأضربوا نجيحه فإن الشيطان راكد في كسره تابع
حُصيه مفترش ذراعيه قد قدّم للوثبة يداً وأخر للثكوص رجلاً] .

ولما وثى يزيد بن معاوية سلم بن زياد خراسان قال له : إن أبالك كفى أخاه
عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً فلا تشكّل على عذر مني فقد انكثتُ على كفاية منك .
وإياك مني قبل أن أقول إياي منك ، فاتّ الظن إذا أخلف فيك أخلف منك .
وأنت في أدنى حظك فأطلب أقمعاه ، وقد أتعبك أبوك فلا ترمحن نفسك ، وكن
لنفسك تكن لك ، وأذكر في يومك أحاديث غلك ترشد إن شاء الله .

قال الأصمعي قالت أم جعفر به ملك طخارستان لنصر بن سيار اللقي : ينبغي
للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويضئ إليه سرّه ، وحصن يلجأ إليه
إذا فرغ فينجيه — يعني فرساً — وسيف إذا أزل به الأعداء لم ينفخ حنونه ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « كنف » وهو تحريض والكنف الحشد والجماعة .
(٣) من الصيغة أي الحس والأسر أي حبسوا أسوانكم ولا ترضوها . (٤) كنا بالأصل ولم نجده في نهج
البلادة وله « أخفوا الخوذ » جمع خوذ أي اجعلوها خفية حتى لا تشكّل في الحرب . (٥) يقال ملن
نبر : غطّس كأنه يبر الخزع أي يرضه بمرّة . وفي نهج البلادة : والخلطوا الخزروا ملنوا الشّر .

وذخيرة خفيفة الحمل إذا نابته نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه .

وبلغني عن عباد بن كثير عن عُبَيْل [بن خالد] ^(١) عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غلب قوم قط يلفون اثني عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم» . [وقال رجل يوم حنين: لن تغلب اليوم عن قلّة، وكانوا اثني عشر ألفا فهزم المسلمون يومئذ وأتزل الله عز وجل] ^(٢) (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَا تُغْنِي عَنْكُمْ كَثْرَتُكُمْ إِلَّا يُفْزِقُكُم مِّنْهُم مِّمَّةً وَتَجْعَلُكُم مِّنَ الْهَارِبِينَ) قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَيْتُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) والمكر، قال الله تعالى: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا وَأَهْلُهُ) ^(٣) والنكث، قال عز وجل: (لَنْ نَكْتَفِيَ بِنِكَتِكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ) .

١٠

وقرات في كتاب للهند: لا ظفر مع بقى، ولا محبة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خب، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بر مع شح، ولا اجتناب مع حزم مع حرص، ولا محبة مع زهو، ولا ولاية حكم مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حمد، ولا سودد مع انتقام، ولا رياسة مع غرارة وتجب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة ^(٤) وزراء .

١٥

نرجحت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمه ذلك فقيل له: ما يهلك منهم؟ وجه إليهم وكيع بن أبي سود فإنه يكفيكمهم . فقال: لا، إك وكيعا رجل به كبد يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلت مبالاته بعدوه فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غرة .

٢٠

(١) زيادة في النسبة الأنانية . (٢) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي النسبة الأنانية: الإبري والصواب الأول فإن المعروف في كتب طبقات الحديث أن عُبَيْل بن خالد يروي عن الزهري والزهري يروي عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) في الفتوغرافية «ولا محبة مع هزؤ» .

وقرأت في بعض كتب العجم أن ملكاً من ملوكهم سئل : أية مكاييد الحرب أحزن ؟ فقال : إذكاه العيون واستطلاع الأخبار وإنشاء الغلبة وإظهار السرور وأمانة الفرق والاحتراز من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استصباح لمن يُستنش ولا تحويل شيء عن شيء إلا بسنة ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن وثائق الحزم في القتال فقال : محاطة المدق عن الرِّيف وإعداد العيون على الرِّصد وإعطاء المبلّغين على الصدق ومعاقبة المتوصّلين بالكذب والأُخْريج هارباً إلى قتال ولا تُضيق أماناً على مستأمن ولا تُسبِّب عن أصحابك للبغيّة ولا تُسدِّدَكَ الغنيمة عن المحاذرة .

وقرأت في كتاب للهند : الحارزم يحذر عدوه على كل حال . يحذر الموائبة إن قُرب ، والغارة إن بُعد ، والكيّن إن انكشف ، والاستطراد إن وُقّي ، والمكران رآه وحيداً ، ويكره القتال ما وجد بُدّاً لأن النفقة فيه من الأنفس والنفقة في غيره من المال .

وقرأت في الآيين : قد جرت السنة في المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر في الميسرة ليكون لقاءه قسراً ورميه شراً وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدماً وترك ذلك على حال مُمايلة أو مُجانبية وأن يراد للقلب مكاناً مُشْرِفاً ويلتمس وضعه فيه فإن أصحاب المينة والميسرة لا يُظهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادّتان فإن زالت المادّتان لم ينتفع بثبات المينة والميسرة . [وإذا عَمِيَ الجند فليتاوِش أهل المينة والمادّتان فأما الميسرة] فلا يُسَدِّدُ منهم أحد إلا أن يبادر إليهم من العدو من يخاف بالهتمة فيردّون عاديتهم مع أن أصحاب المينة والمادّتين لا يقدرّون على لقاء من يناوشهم والرجوع إلى أصحابهم عاطفين ، وأصحاب الميسرة لا يقدرّون على مناوشة

(١) هكذا بالنسخة الألمانية وفي الفونوغرافية هكذا "المادّتان" ولم توفق الى تصويبها .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

- إلا ما تلين ويعجزهم الرجوع عاطفين . ولا يَأْتُونَ صاحبُ الجيش على حال من الحال أن يستدبر جنته عين الشمس والريح ، ولا يحاربن جندا إلا على أشد الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بد ، فإذا كان كذلك فليجهد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب إلى آخر النهار . وينبغي على كل حال أن يحل بين المنهزمين وبين الذهاب ولا يُجسوا . وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدو أن ينالوا من الماء فليس من الرأي أن يحل بينهم وبينه لئلا يُخرجوا إلى الجَد في محاربتهم . وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فإن وقت طلب ذلك عند رى العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فإن أسلس ما يكون الإنسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشد ما يكون طلبا للشيء عند حاجته إليه . ولتسير الطلائع في قرار من الأرض ويقفوا على التلاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها . وليكن الكمين في الخمر والأماكن الخفية . وليطرح الحسك في المواضع التي يتخوف فيها البيات . وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فإن في انتشاره فساد العسكر وانتفاضه . وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجرئين ذوى حنكة وبأس فيدار العدو الجند إلى الوقعة خير للجند . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بد فيدار الجند إلى مقاتلة العدو أفضل للجند . وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدوا إلا أن تكون عتتهم أربعة أضعاف عدة العدو أو ثلاثة أضعافهم ، فإن غزاهم عدوهم لزمهم أن يقاتلهم بعد أن يزيدوا على عدة العدو مثل نصف عتتهم . وإن توسط العدو بلادهم لزمهم أن يقاتلهم وإن كانوا أقل منهم ، وينبغي أن يُختب للكين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أئين ولا سُعال ولا عطاس ويُختار لهم من الدواب ما لا يصهل ولا يفنت^(١)، ويُختار لكونهم مواضع لا تُشقى ولا تُقوى ، قريبة من

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفارسية "بنت" . ولعل الصواب بنت كضرب والبهات النفس بأئين وهو الزهير .

الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والتمكة
 بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا . وأن يكون إيقاعهم كضرب
 الحريق، وليجنبوا الغنائم ولينهضوا من المكان متفرقين إذا ترك العدو الحراسة وإقامة
 الرمايا، وإذا أونس من طلائعهم تولين وغريظ وإذا أمرجوا دوابهم في الرعي، وأشد
 ما يكون البرد في الشتاء وأشد ما يكون الحر في الصيف . وأن يرفضوا ويفترقوا إذا
 ثاروا من مكثهم بعد أن يستخير بعضهم بعضا وأن يسرعوا الإيقاع بعدوهم ويتركوا
 التلبث والتلفت . وينبئ للبيتين أن يفترصوا الليآت إذا هبت ريح أو أونس من نهر
 قريب منهم حرر فإنه أجدر ألا يسمع لهم حسن . وأن يتوحي بالوقعة نصف الليل
 أو أشد ما يكون إظلاما . وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو ويقيمهم حوله ،
 ويبدأ بالوقعة من يصير منهم في الوسط لئسمع بالضجة والضوضاء من ذلك الموضع لا من
 حوله ، وأن يُسرَّد قبل الوقعة الأقره فالأقره من دوابهم ويقطع أرسائها ويهزم بالرماح
 في أعجازها حتى تتحير وتغير وتسمع لها ضوضاء ، وأن يهتف هاتف ويقول : يا معشر
 أهل العسكر النجاء النجاء فقد قتل قائدكم فلان وقتل خالق وهرب خلق . ويقول قائل :
 أيها الرجل استحيي الله . ويقول آخر : العفو العفو . وآخر : أوه أوه ، ونحو هذا
 من الكلام .^(١) ولعلم أنه إنما يحتاج في الليآت إلى تحير العدو وإخافته وليجنبوا التقاط
 الأمتعة وأسباق الدواب وأخذ الغنائم . قال : وينبئ في محاصرة الحصون أن يستمال
 من يقدر على استمالته من أهل الحصن والمدينة ليظفر منهم بمحصلتين : إحداهما
 استنباط أسرارهم ، والأخرى إخطائهم وإفزازهم بهم ، وأن يدس منهم من يصغر شأنهم
 ويؤيسهم من المدد ويخبرهم أن سرهم منتشر في مكبتهم ، وأن يفاض حول الحصن
 ويشار إليه بالأيدى كأن فيه مواضع حصينة وأثر ذليلة ومواضع ينصب المجانيق

(١) في السمة التوضيحية بعد هذا زيادة : وأنشد

فأمر بذكرها إذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض دوتها وماء

- عليها ومواضع تُهَيِّئُ الرَّدَّات لها ومواضع تُقْبَلُ هُجُوماً ومواضع توضع السَّلام عليها ومواضع يُسْقَرُ منها ومواضع يُضْرَمُ النار فيها لِيُحْلَأَ بهم ذلك رعباً، ويكتب على نُسْأَبَةٍ: لِيَأْكُمَ أَهْلُ الْحَصْنِ وَالْأَعْتَرَارُ وَإِغْفَالُ الْحِرَاسَةِ، عَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْأَبْوَابِ فَإِنَّ الزَّمَانَ خَبِيثٌ وَأَهْلُهُ أَهْلٌ غَدِرٌ فَقَدْ خُدِعَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحَصْنِ وَأَسْمَلُوا، وَيُرَى بِتِلْكَ النَّشَابَةِ فِي الْحَصْنِ ثُمَّ يَدُسُّ لِمَخَاطَبَتِهِمُ الْمُنْطَبِقُ الْمُصِيبُ النَّهْيَ الْمَوَارِبِ الْخَافِلِ غَيْرِ الْمُهْذَرِ •
- ولا المَغْفَلُ، وتؤتَرُ الحرب ما أمكن ذلك فإن في المحاربة جرأة منهم على من حاربهم ودليلاً على الحيلة والمكيدة، فإن كان لابد من المحاربة فليجاريوا بأخفِّ العُدَّةِ وأيسر الأكلة • وينبغي أن يغلب العدو على الأرض ذات الخمر والشجر والأنهار للعسكر ومصاف الجنود ويُحْتَلَى بين العدو وبين بساط الأرض وذلك أدكها •

- وفي بعض كتب العجم أن يعض الحكماء مسنن من أشدِّ الأمور تدريجاً للجنود ويُحَدِّثُهَا، فقال: استعادة القتال وكثرة الظَّفَرِ، وأن تكون لها مواد من ورائها وغنيمة فيها أمامها، ثم الإِكْرَامُ لِلْمَجِيْشِ بَعْدَ الظَّفَرِ وَالْإِبْلَاحُ بِالْمَجْتَهِدِينَ بَعْدَ الْمُنَاصِبَةِ، وَالتَّشْرِيفُ لِلشَّجَاعِ عَلَى رَعْوَسِ النَّاسِ •

- قال المدائني ^(١) [قال نصر بن سيار]: كان عطاء الترك يقولون: القائد العظيم ينبغي أن تكون فيه خصال من أخلاق الحيوان: شجاعة الديك، وتحنُّ الدجاجة، وقلب الأسد، وحيلة الخنزير، [وروغان الثعلب، وتخلُّ الذئب] • وكان يقال في صفة الرجل الجامع: له وثبة الأسد، وروغان الثعلب، وتخلُّ الذئب ^(١) [وجمع الذئبة، وبُكُورُ الغراب] •

وكان يقال: أصلح الرجال للحرب المحرَّبُ الشجاع الناصح •

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الأصم قال ، قيل لعمر بن معاوية العُقيلي
 وكان صاحب صَوَائِفَ : بِمَ ضَبَطْتَ الصَوَائِفَ ؟ أَى النُّفُورِ قَالَ : بِسَمَانَةِ الظَّهْرِ وَكَثْرَةِ
 الْكَلَمِ وَالْقَدِيدِ . وَفِي كِتَابِ الْآيِينَ : لَيْكُنْ أَوَّلُ مَا تَحْمِلُهُ مَعَكَ خَبْزًا ثُمَّ خَبْزًا ثُمَّ خَبْزًا .
 وَإِيَّاكَ وَالْمَغَارِشَ وَالنِّيَابَ . أَبُو الْيَقْطَانَ قَالَ قَالَ شَيْبِ بْنِ الْحَارِثِ : اللَّيْلُ يَكْفِيكَ
 الْجَبَانَ وَنَصَفَ الشُّجَاعَ . وَكَانَ إِذَا أَمْسَى قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَنَا كَمِ الْمَدَدِ ، يَبْنِي اللَّيْلُ .
 وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ : يَبْنِي عَدُوَّكَ . قَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَجْعَلَ غَلْبَتِي سَرَقَةً .

المداخني قال : لما اشتغل عبد الملك بخاربة مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ اجتمع وجوه
 الروم إلى ملكهم فقالوا : قد أمكنتك الفرصة من العرب بتشغل بعضهم ببعض ،
 فالرأى أن نغزوهم في بلادهم . ففهم عن ذلك وخطأ رأيهم ، ودعا بكليين فآرش
 بينهما فاقْتَتَلَا قتالا شديداً ، ثم دعا بتعلب فخلّاهُ بينهما ، فلما رأى الكلبان التعلب تركا
 ما كانا فيه وأقبلا على التعلب حتى قتلاه ، فقال لهم ملك الروم : هذا مثلنا ومثلهم .
 ففرغوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم .

وأوصى بعض الحكماء ملكاً فقال : لا يصحك العدو الذي قد كشف لك عن
 عداوته بأخوف عندك من الظنن الذي يسترك بخفائته ، فإنه ربما تخوف الرجل
 السهم الذي هو أقتل الأشياء وقتله الماء الذي يحیی الأشياء ، وربما تخوف أن يقتله
 ١٥ الملوك التي تملكه ثم قتله العبيد التي يملكها . فلا تكن للعدو الذي تُناصب بأحذر
 منك للطعام الذي تأكل . وأنا لكل أمر أخذت منه نذيرك وإن عظم آمن مني
 من كل أمر عرّسته من نذيرك وإن صغر . واعلم أن مدينتك حرّز من عدوك ،
 ولا مدينة تحمّز فيها من طعامك وشربك ولباسك وطيبك ، وليست من هذه الأربع
 ٢٠ واحدة إلا وقد قُتِلَ بها الملوك .

- وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن برمك، حين فصل مع حَقْبَةَ من نهراسان، يتنا هو على سطح بيت في قرية قد نزلاها وهم يتفقدون نظرا إلى الصحراء فرأى أَقْاطِيعُ ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لَحْقَبَةُ : أيها الأمير نادِ في الناس : يا خيل الله اركبي، فإن العدو قد نَهَدَ إليك وَحْشًا، وغاية أحمالك أن يُسْرِجُوا وَيُلْجِمُوا قبل أن يروا سُرعان الخيل، فقام حَقْبَةُ مذعورا فلم ير شيئا يروعه ولم يمين غبارا، فقال لخالد : ما هذا الرأي؟ فقال خالد : أيها الأمير لا تتشاغل بي وفاد في الناس. أما ترى أَقْاطِيعَ الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها جَمْعًا كثيفا. قال : فوالله ما أمرجوا ولا أبلجوا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد أَصْطَلَمَ .
- ١٠ وقال بعض الحكماء لبعض الملوك : أمرتك بالتقدم والأمر ممكن، وبالاعداد لند من قبل دخولك في غدا كما تَمَدُّ السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عتاد البناء من قبل أن تصبیه السماء وأنت لا تدري لعلها لا تصبیه، بل كما تَمَدُّ الطعام لَمَدِّ الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله . وكان يقال : كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته .
- ١١ [وقرأت في كتاب سير السجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك سار يمنوده نحو نهراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطلة ببلخ، فلما انتهى إلى بلاده اشتدَّ رُعب اخشنوار منه وحذرُه له، فناظر أصحابه ووزرائه في أمره، فقال له رجل منهم : أعطني موقفا وعهدا تطمن إلي به نفسي أن تكفيني أهل وولدي وتحسن إليهم وتحلفني فيهم، ثم أقطع يدي ورجلي وألِّقني على طريق فيروز حتى يترى هو وأصحابه فأكفيك مؤوتهم [وشوكتهم] وأؤرطهم مؤرطا تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار : وما الذي تنفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت

ولم تشارك في ذلك؟ قال : إني قد بلغت ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا وأنا
موقن بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أياما قليلا ، فأحب أن أحتم عمري بأفضل
ما أتمتع به الأعمار من النصيحة لإخواني والنكاية في عدوي فيشرف بذلك عقي
وأصيب مساعدة وحظوة فيما أمانى ، ففعل به ذلك وأمر به فألقى حيث وصف له .

فلبا مرة به فيروز سأل عن أمره فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به وأنه احتال
حتى حمل إلى ذلك الموضع ليلا على عورته وغرته وقال : إني أدلك على طريق هو
أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى ، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجموا عليه
فيتقم الله لي منه بكم ، وليس في هذا الطريق من المكروه إلا تفويض يومين ثم تقضون
إلى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزرأوه بالاتهام له والحذر منه

وبشر ذلك ، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم إلى موضع من المفازة لا صدر
عنه ثم بين لهم أمره ففزعوا في المفازة يمينا وشمالا يلتمسون الماء قتل العطش .

أكثرهم ولم يخلص مع فيروز منهم إلا عتة يسيرة فلهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على
أعدائهم وهم مستعدون لم فواقهم على تلك الحالة وعلى ما بهم من الضر والجهد
فاستمكتوا منهم وأعظموا النكاية فيهم ، ثم رغب فيروز إلى اخشنوار وسأله أن يمن
عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يحصل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبدا فيما

يستقبل من عمره وعلى أنه يتخذ فيما بينه وبين مملكته حدا لا تتجاوزه جنوده ، فرضى
اخشنوار بذلك وخلق سبيله وانصرف إلى مملكته ، فكث فيروز بره من دهره كثيبا
ثم حمله الأنث على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه إلى ذلك فردوه عنه وقالوا : إنك
قد عاهدته ونحن نتخوف عليك عاقبة البني والندر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة .

فقال لهم : إني إنما شرطت له ألا أجوز البحر الذي جعلته بيني وبينه فانا آمر بالبحر

(١) في الأصل : فواقهم على تلك من حالة وعلى ما بهم الخ والنصيب واضح .

- يحمل على عَجَلَة أماننا . فقالوا له : أيها الملك ، إن اليهود والمواثيق التي يتأطاها الناس بينهم لا تجعل على مائسِر المعطى لها ولكن على ما يُملِن المعطى ، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عَرَفَه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى في غَزَاتِهِ حتى انتهى إلى الهياطلة وتصافى الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيها بين صفتهم ليكلده ، فخرج إليه فقال له اخشنوار ٥ قد ظننت أنه لم يدْعُك إلى غزونا إلا الأتق بما أصابك . ولمعمرى لئن كنا احطنا لك بما رأيت ، لقد كنت التمسْت منا أعظم منه ، وما ابتدأتك ببني ولا ظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا ، ولقد كنت جدرا أن تكون ، من سوء مكافلاتنا بمننا عليك وعلى من معك من بعض العهد والميثاق الذي وكَّدْتَ على نفسك ، أعظم أَقْمارا وأشدَّ امتناعا عما نالك منا ، فإذا أطلقناكم وأتم أسرى ومنّا عليكم وأتم مشيرفون ١٠ على الملَكَة وحقّا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإننا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب إلينا فيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك وميل بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشد عارا وأقبح سماعا ، إن طلب رجل أمرا فلم يَنْجُ له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببيئته وأستمكن منه عدوّه على حال جهْد وَضِيْعَة منه ومن معه ، فمن عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطلمحوا عليه فاضطر لمكروه ١٥ القضاء وأستعيا من النُكث والقتل أن يقال امرؤ نكث العهد وختر الميثاق . مع أني قد ظننت أنه يزيدك نجاحا ما تبقى به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عُدَّتِهِم وطاعتهم لك ، وما أجدني أشك أنهم أو أكثرهم حكارهون لما كان من مَخْطُوكِهم عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم إلى ما يُسْخِط الله ، فهم في حربنا غير مستبصرين ونيأتهم في مناصحتك اليوم ملخولة ، فانظر ما قدر غنائ من ٢٠ يقاتل على مثل هذه الحال ، وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوّه إذا كان عارفا بأنه

- ٥ إن ظنر فرع عار وإن قُتل فإلى النار، فإنا أذكرك الله الذي جعلته على نفسك كفيلاً ونعمى عليك وعلى من معك بعد ياسم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك إلى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والافتداء بآياتك الذين مضوا على ذلك في كل ما أحبوه أو كرهوه، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره، ومع ذلك إنك لست على ثقة من الظفرينا والبلوغ لتهمتك فينا وإنما تلمس منا أمراً تلمس منك مثله وتناوى عدواً لعله يمنح النصر عليك فقد بالقت في الاحتجاج عليك وتقدمت في الإعذار إليك ونحن فستظهر بالله الذي آتت زنا به ووثقنا بما جعلته لنا من عهده إذا استظهرت بكثرة جنودك وأزدهتك عدة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوائده ما كان أحد من نصحاءك يبلغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يحجزك منك منفعتها
- ١٠ تحرجها مني فإنه لا يزري بالمنافع عند ذوى الرأي أن كانت من قبيل الأعداء كما لا يحبب المضار إليهم أن تكونت على أيدي الأولياء . وأعلم أنه ليس يدعوني إلى ما تسمع من مقالتي ضعف أحسنه من قسوى ولا قلة من جنودى، ولكنى أحببت أن أزداد بذلك حجة وأستظهرها، وأزداد به من الله للنصر والمعونة استيجاباً ولا أوتر على العافية والسلامة شيئاً ما وجدت إليهما سبيلاً، فأبى فيروز إلا تعلقاً بحجته في الحجر الذي جعله حداً بينه وبينه وقال: لست عن رده عن الأمر بهم به وعيد ولا يقتاده التهديد والترهيب، [ولو كنت أرى ما أطلبك غداً منى ما كان أحد أنظر ولا أشد انتقاء منى على قسوى فلا يفتنك من الحلال التي صادفتنا عليها في المرة الأولى من القلة والجهد والضعف]. قال اخشونار: لا يفتنك ما تتخذه به نفسك من حملك الحجر أمامك، فإن الناس لو كانوا يخطون اليهود على ما تصف من إصرار أسمى وإعلان آخر، إذا ما كان ينبغي لأحد أن يفتربا ما من ولا يبق بعهد، وإذا لما قبل الناس شيئاً
- ٢٠

- مما يعطونه من ذلك، ولكنه وضع على العلانية وعلى نية من تُقَدِّمُ اليهود والشروط له .
فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشونار حسن المحاورة ،
وما رأيتُ للفارس الذي كان تحته نظيراً في الدواب فإنه لم يُزل قوائمه ولم يرفع حوافره
عن موضعها ولا صهل ولا أحدث شيئاً يقطع به المحاورة في طول ما تواقفنا . وقال
اخشونار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كله فلم يحرك رأسه .
ولم يزعج رجله من ركابه ولا حتى ظهره ولا اكتفت يميناً ولا شمالاً ، ولقد توزعت
أنا مراراً وتطيتُ على فرسي وتلفتُ إلى مَنْ خلفي ومددتُ بصرى في أمامى وهو
متصبُّ ساكن على حاله ، ولولا محاورته إياى لظننت أنه لا يصرفنى . وإنما
أراد بما وصفا من ذلك أن ينتشر هذان الحديثان في أهل عسكرهما فيُشغَلوا
بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان في اليوم الثانى أخرج اخشونار
الصحيفة التى كتبها لم فيروز ، فرفعها على رُح لينظر إليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا
غدره وبغيه ويخرجوا من متابته ، فانتقض عسكر فيروز وأختلفوا وما لبثوا إلا يسيراً
حتى أنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز ، فقال اخشونار : لقد صدق الذى
قال : لا راحة لما قُدر ، ولا أشد إحالةً لمنافع الرأى من أهوى وألجأج ، ولا أضيع
من نصيحة يُمنحها من لا يوطن نفسه على قبولها والصبر على مكروها ، ولا أسرع
عقوبة ولا أسوأ عاقبة من البنى والغدر ، ولا أجلب لعظيم العار والفُضوح من إفراط
الفخر والأنفة .

- وقال أبو اليقظان : لما خرج شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي بالموصل بعث إليه
الجباج قائداً فقتله ثم قائداً فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قواد قتلهم وهزم جيوشهم
وكان أحد القواد موسى بن طلحة بن عبيد الله ، ثم خرج شبيب من الموصل يريد
الكوفة وخرج الجباج من البصرة يريد الكوفة فطعم شبيب أن يلحق الجباج قبل

أن يصل إلى الكوفة فألحم الجحاجُ خيله فدخل الكوفة قبله، ومّر شبيب بعتاب بن ورقاء فقتله ومّر بعد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه، وقدم شبيب الكوفة وإلى ألا يبرح عنها أو يلقى الجحاج فيقتله أو يقتل دونه؛ فخرج الجحاج إليه في خيله، فلما قُرب منه عمداً إلى سلاحه فالبسه أبا الورد مولاه وحمله على الدابة التي كان عليها، فلما توافقا قال شبيب: أروني الجحاج، فأومأوا له إلى أبي الورد فحمل عليه فقتله، ثم خرج من الكوفة يريد الأهواز ففرق في دُجبل وهو يقول: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

الأوقات التي تختار للسفر والحرب

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسماعق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري قال: كان أحب الأيام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعقد فيه رأيت يوم الخميس، وكان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس.

وقالت العجم: أئثر الحرب ما أستطعت فإن لم تجد بداً فاجعل ذلك آخر النهار.

وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسماعق عن ابن عون عن محمد بن سيرين أن النعمان بن مقرن قال لأصحابه: إني لقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من أحب ما يلقى فيه إذا لم يلق في أول النهار إذا زالت الشمس وحلت الصلاة وهبت الرياح ودعا المسلمون. وروى قوم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يكره الجمجمة والابتداء بعمل في محاق القمر وفي حلوله في برج المقرب. [وقال بعضهم: كنت مع عمر بن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب، فنظرت فإذا القمر بالدران فقلت: أنتظر إلى القمر ما أحسن استواءه! فرفع رأسه ثم نظر فرأى مترلته فضحك، وقال: إنما أردت أن تنظر إلى مترلته، وأنا

لا قيم لشمس ولا لقمرو لكانا نسير بالله الواحد القهار] - وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديصة ، ويوم الأحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وأبتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حرب ودم ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحوائج ، ويوم الجمعة يوم خطب وتكاح .

الدعاء عند اللقاء

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رجاء قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا اشتدت حلقه البلاء وكانت الضيقة : « تضيق تضيق » ثم يرفع يديه فيقول : « بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم كفف عنا باس الذين كفروا إنك أشد بأساً وأشد تنكيلاً فما يخفيض يديه المباركين حتى ينزل الله النصر .

- وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن مومي بن عتبة عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتبه له ، قال : كتب عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو أنتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : « لا تفتنوا لقاء العدو وأسألوا الله العافية ، فإذا قُتِلتموهم فأتبوا وأصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال : « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب أهنهم وانصرنا عليهم » وقال أبو النضر : وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال : « اللهم أنت ربنا وربهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فآهنهم وانصرنا عليهم » .

- حدثني محمد بن عبيد قال : لما صافقتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى الميمنة جائع على سيرة قوسه .
- (١) كذا بالنسخين وهو عمرو بن عبد الله كان قريبا للذي . (٢) سيرة القوس ما أنطفت من طرفها .

يُنْضِضُ بِإصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ . فَقَالَ قَتِيبَةُ : تِلْكَ الْإِصْبَعُ الْفَارِدَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ
أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ وَسَنَانٍ طَوِيرٍ . فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ لِمُحَمَّدٍ : مَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟
قَالَ : كُنْتُ أَخَذُ لَكَ بِجَمَاعِ الطَّرِيقِ .

الصبرُ وحضُّ الناسِ يومَ اللقاءِ عليه

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال كان عاصم بن الحدثان رجلاً من
العرب غلباً قديماً وكان رأس الخوارج بالبصرة وربما جاءه الرسول منهم من
الجزيرة يسأله عن بعض الأمر يختصمون فيه فتر به الفرزدق فقال لأبنته : أُنشد
أبا فراس فأنتسده :

وهم إذا كسروا الجفونَ أكارمُ * صبرٌ وحين مُحَلَّلِ الأُزْرَارُ
ينشونَ حَوَامَاتِ المنونِ وإنما * في الله عندَ نفوسهم لِبِصْفَارِ
يمشون في الخَطَى لا يَنتهِمُ * والقوم إذ ركبوا الرماحَ تَجَارِ

فقال له الفرزدق : ويحك ! اكتم هذا لا يسمعه النساءُ فيخرجوا علينا
بجفونهم . فقال عاصم : يا فرزدق ، هذا شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين .^(١)

حدثنا سهل قال حدثنا الأصمعي قال قال سَلِيطُ بنِ سَعْدٍ قال سَطَامُ بنِ قَيْسٍ
لقومه : تَرِدُونَ عَلَى قَوْمِ آثَارِهِمْ آثَارَ نِساءٍ وَأَصْوَاتِهِمْ أَصْوَاتُ صِرْدَانٍ وَلَكِنَّهُمْ صَبْرُ
عَلَى الشَّرِّ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ . وَفِي هَؤُلَاءِ يَقُولُ مَعَاوِيَةُ : لَوْ أَنَّ النُّجُومَ تَنَازَلَتْ لَسَقَطَ
قَرْمُهَا فِي حُجُورِ بَنِي يَرْبُوعَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قُلْتُ لِسَلِيطَ : أَلَا كَانَ عُتَيْبَةُ بنِ الْحَارِثِ
ضَخْمًا ؟ قَالَ : لَا وَلَا مِنْ قَوْمِ حِصَامٍ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ .

(١) الحُفَّ الْمُنْجَحُ وَجَمْعُهُ حُفُوفٌ . (٢) فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ «عَيْبَةُ» وَهُوَ مُعْرِيفٌ .

[^(١١) وقال عمر بن الخطاب لبي عَسَّ : كم كنتم يوم الهبأة؟ فقال : كما مائة كالذهب ، لم نكثر فتوا كل ولم يقل فينل . قال : فكيف كنتم تظهرون من ثاوأ كم بلسم باكثر منهم عدداً ولا مالا ؟ قال : كما نصبر بعد اللقاء هُتِبة . قال : «ذلك إذا» . قيل لعترة العبسي : كم كنتم يوم الفروق؟ قال : كما مائة لم نكثر فنشئل ولم يقل فينل] وكان يقال : النصر مع الصبر . ومن أحسن ما قيل في الصبر ، قول سهيل بن حريّ ابن شمرة :

ويوم كان المُصْطَلِّين بِحَمْرَه • وإن لم تكن نأرقِياً على الجمر
صبرنا له حتى يُنْجُو وإنما • تُفْجِجُ أياهُ الكربة بالصبر
ومثله قول الآخر :

١٠ بكِ صاحبي لما رأى الموت فوقنا • مُطِلًّا كاطلال السحاب إذا انفهز
قلت له لا تَبْكُ عَيْتُكُ إنما • يكون غدا حسن التناء لمي صبر
فما أتر الإجمام يوما ممجلا • ولا عَجَلُ الإقدام ما أتر القدر
فأتمى على حالٍ يَقلُّ بها الأسي • وقاتل حتى آستبهم الورْدُ والصنر
وكرِّحَافَا خشية العار بعد ما • رأى الموت معروضا على منهج المكر

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه : احرص على الموت
تُوهبَ لكَ أحياءة • وتقول العرب : الشجاع مُوقٍ • وقالت النخساء :
نُهِنَ النفوسَ وهو النفو • من يوم الكربة أوقى لها
وقد يريد بن المهلب :

أشترتُ أَسْتَبِقَ الحياة فلم أجد • لنفسي حياةً مثل أن أشتدما

(١) زيادة في النسبة الألمانية . (٢) أرض لفظان ويومها من أيام العرب كن فيه النصر ليس
على أيها . (٣) موضع داء على سعد ويوم من أيام حروب عيسى وذيان أيضا .
(٤) في النسبة مثلا كاطلال الح . فناء المعجزة .

وقال قَطْرِي بن السَّجَّاء :

وقَوِّى كَلْبًا جَشَّاتٌ وَجَاشَتْ * مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحِكْ لَا تُزَارِعِ
فَانِكَ لَوْ سَالَتْ حَيَاةَ يَوْمٍ * سَوَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِ
[وقال معاوية بن أبي سفيان شجعتني على علي بن أبي طالب قول عمرو بن الإطنابة .

أَبَتْ لِي عَفْنَى وَأَبَى يَلَانِي * وَأَخَذَنِي الْحَمْدُ بِالْثَمَنِ الرَّيِّحِ
وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ قَسَى * وَضَرَبَنِي هَامَةُ الْبَطَلِ الْمَشِيحِ
وَقَوْلِي كَلْبًا جَشَّاتٌ لِنَفْسِي * مَكَائِكَ تُجْهَدِي أَوْ تُسْتَرِيحِي
لَأُدْفَعَنَّ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ * وَأُحِبِّي بَعْدَ عَنِ عَرَضِ صَحِيحِ
أَبَتْ لِي أَنْ أَقْضَى فِي نَمَالِي * وَأَنْتَ أَغْنِي عَنِ أَمْرِ قَبِيحِ

وقال ربيعة بن مقروم :

وَدَعَا نَزَالٍ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ * وَعَلَّامَ أَرْكَبِهِ إِذَا لَمْ أَنْزِلْ

وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف ^(١) يذمر الناس ويقول : يا أهل الإسلام، إن الصبر عز وإن الفشل عجز وإن النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب :
إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ ^(٢) وَالرُّغْفَ * وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَفْ
لِلضَّارِبِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلَ قُطِّفَ

وقال أعرابي : الله يُخْلِفُ مَا أَتْلَفَ النَّاسُ ، والدَّهْرٌ يَنْتَلِفُ مَا جَمَعُوا ، وَكَمْ مِنْ مَيِّتَةٍ
عَلَيْهَا طَلَبَ الْحَيَاةَ ، وَحَيَاةٍ سَبَّهَا التَّمَرُّضُ لِلوْتِ . ومثله قول أبي بكر الصديق لخالد :
أَحْرَصَ عَلَى الْمَوْتِ تُوْهَبُ لَكَ الْحَيَاةُ .

[قَدِمْتُ مُنْهَزِمَةٌ الرُّومَ عَلَى هِرَاقِلَ وَهُوَ بَاتِلَاكِيَّةَ ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عِظَاهِمُ فَقَالَ :
وَيَحْكُمُ ! أَخْبِرُونِي مَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقَاتِلُونَهُمْ ؟ أَلَيْسُوا بَشَرًا مِثْلَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى . يَعْنِي

(١) زيادة في النسبة الألمانية . (٢) يشجعهم ويحضهم على القتال .

(٣) ما طيخ من اللحم بغير تابل .

- العرب . قال : فاتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضما فأ في كل موطن .
 قال : ويلكم ! فإ بالكم تنزمون كلنا لقيتموهم ؟ فسكتوا ، فقال شيخ منهم :
 أنا أخبرك أيها الملك من أين تؤتون . قال : أخبرني . قال : إذا حملنا عليهم صبروا
 وإذا حملوا علينا صدقوا ، ويحبل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال : ويلكم
 فإ بالكم كما تصفون وهم كما ترعون ؟ قال الشيخ : ما كنت أدراك إلا وقد علمت
 من أين هذا ؟ قال له : من أين هو ؟ قال : لأت القوم يصومون بالنهار ويقومون
 بالليل ويؤفون بالمهد وياأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون أحدا
 ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا فشرب الخمر وزنى الحرام وتنقض العهد
 ونفسب ونظلم ونأمر بما يسيخط الله ونهى عما يرضى الله ونفسد في الأرض .
 قال : صدقتني ، والله لأخرجن من هذه القرية فإ لي في صحبتكم خير وأتم هكنا .
 قالوا : تشهدك الله أيها الملك . تدع سورة وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد
 الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يؤت عليهم] .

ذكر الحرب

- قالت العرب : الحرب عشوم ؛ لأنها تنال غير الحاني . وقال الكيت :
 الناس في الحرب شقي وهي مقيلة * ويستون إذا ما أدبر القليل
 ككل بأسيها طب مولىة * والمالون بذى غدوينا قليل
 وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمر بن معديكرب : أخبرني عن الحرب .
 قال : مرة المذاق إذا قلصت عن ساق ، من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها
 تلف . وهي كما قال الشاعر :
 الحرب أول ما تكون قية * نسي بزيتها لكل جهول

- حتى إذا استعرت وشبَّ ضرامها • عادت مجوزاً غير ذات خليل^(١)
 شمْطاء جَزَتْ رأسها وتكرَّت • معسكروعة لَسَمَ والتفصيل^(٢)
 كان يزيد بن عمر بن هبيرة يحب أن يضع من نصرته من سيار فكان لا يمتدُّ بالرجال
 ولا يرفع ما يرد عليه من أخبار نراسان، فلما كثر ذلك حلَّ نصرته قال:
 أرى خللَ الرماح وميضَ جبر • ووشك أن يكون له ضرام
 فإن النار بالمودين تُذْكَى • وإن الحرب أولها الكلام
 فإن لم يُطْفِئها عقله قوم • يكون وقودها جُنتٌ وهام
 فقلت من الله • جب ليت شعري • أأبساط أُمّة أم ييام
 ونحو قوله: «أحرب أولها الكلام» قول حذيفة: إن الفتنة تُلْقِحُ بالنجوى وتُتَجَّجُ
 بالشكوى. ١٠
 النبي عن أبيه قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا بُدَّ من الحسن: يا بُنَيَّ
 لا تدعُون أحداً إلى الرأى، ولا يدعوتك أحدٌ إليه إلا أجبته فإنه بقي.

في العدة والصلاح

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصَيْفَةَ عن السائب
 ابن يزيد — فيما حفظت إن شاء الله — أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه درعان ١٥
 يوم أُحُد • قيل لعباد بن الحصين وكلاب أشدَّ رجال أهل البصرة: في أي عدة
 تحب أن تلقى صدوك؟ قال: في أجل مُستأجر.
 حدثني: ياد بن يحيى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا داود بن أبي هند
 عن عكرمة قال: لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجنوبُ للشمال: أطلقني بنا عُمدَ
 ٢٠
 (١) في المقفد القريد «حليل» بالحاء المهملة وفيه أيضاً كما في الفونوغرافية «انتم» بدل اللام.
 (٢) في الأصل «حسبة» بالحاء المهملة وهو تحريف والتصويب والنسج من كتب التراجم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إن الحزاة لا تسرى بالليل ، فكانت الرياح التي أرسلت عليهم الصَّبا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعيّ قال حدثنا ابن أبي الزناد قال : ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطعه إلى القربوس فقالوا : ما أجد سيفك ! ففضب ، يريد أن العمل ليده لا سيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحرى يصف سيفاً :

مايضي وإن لم تمضه يد فارس ، بطل ومصقول وإن لم يصفل
متوقّد يقسري بأول ضربة * ما أدركت ولو أنها في يدي
وقال آخر :

- وما السيف إلا بزغاد لرينة * إذا لم يكن أمضى من السيف حامله ١٠
رؤى الجراح بن عبد الله في بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، ف قيل له في ذلك . فقال : إني لست أقي بدني وإنما أقي صبري . واشترى يزيد بن حاتم أدراعاً وقال : إني لم أشتّر أدراعاً إنما اشتريت أعماراً .

وقال حبيب بن المهلب : ما رأيت رجلاً في الحرب مُستلياً إلا كان عندي

- رجلين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندي واحداً . فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة فقال : صدق ، إن السلاح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصريح : السلاح (١) السلاح ولا ينادون : الرجال الرجال . [قال المهلب لبنيه : يا بني لا يفتقد أحد منكم في السوق ، فإن كنتم لا بد فاعلين فإلى زراد أو سراج أو وراق .] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن معد يكرب : أخبرني عن السلاح ، قال : سل عما شئت منه . قال : الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك . قال التل ؟ قال : منابا تحطى وتصيب . ٢٠

(١) في النسخة الألمانية «الكوة» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

قال : التُّرس ؟ قال : ذاك الحِجَرُ وعليه تدور التوائِر . قال : الدَّرْع ؟ قال :
مُتَّحِلَةٌ ^(١) للراجل مُتَّعِيَةٌ للفارس ، وأنها لحصن حصين . قال : السيف ؟ قال : ثُمَّ ،
فَارَعَتْكَ أُمُّكَ عَنِ الشَّكْلِ . قال عمر : بل أُمُّكَ . قال « الحُمَيَّ أَرْضَعْنِي لَكَ » ^(٢) .

وقال الطائي يصف الرِّمَاح :

مُتَّقَفَاتٌ سَلَبَنَ الرُّومَ زُرْقَهَا * والعُرْبُ سُمِّرَتَهَا والعَاشِقُ الْقَضْفَا ^(٣)

وقال دِخْلِيلٌ يصف الرُّعْج :

وَأَسْمِرٌ فِي رَأْسِهِ أَرْزُقٌ * مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي

وقال الشاعر :

تَلَفَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنَسٍ * فَاَلَمَتْ بِلَحَظٍ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

أَعْلَاهُ مِنْكَ حَتَفٌ قَدْ تَجَلَّاهُ * حَتَّى يُؤَامِرَ فِيهِ رَأْيُكَ التَّعَدَّرُ ^(٤)

أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ إِلَّا عِنْدَ قُدْرَتِهِ * وَلَيْسَ لِلسَّيْفِ غَفْوٌ حِينَ يَقْتَدِرُ

وقال آخر :

مَنْ تَلَقَّيَ يَدُوَّ بِيَرَى مَقْلُصٌ * كَيْتٌ بِسَيْمٍ أَوْ أَغْرَ مَحْبِلٌ

تَلَايَ أَمْرًا إِنْ تَلَقَّاهُ فَيَسِفُهُ * تَعَلَّمَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ

وقال عليّ رضي الله عنه : السيف أنى عددا وأكثر ولداً ، وفي الحديث « بَقِيَّةُ ^(٥)

السيف مباركة » يعني أن من نجما من ضربة السيف بنحو عدده ويكثر ولده . وقال

المهلب : ليس شيء أنى من سيف . ويقال : لا محمد أسرع من محمد سيف .

(١) في الأصلية « مشقة » والتصويب عن النقد القوي . (٢) هكذا ورد في جميع الأمثال وفي النسخة

الألمانية : « إلك » . (٣) الناقصة . (٤) في الفتح غرضانية « ديه » (٥) قال في اللسان : البز

والبرية السلاح ويدخل فيه الدرع والمغفر والسيف . (٦) هكذا في النسخة الألمانية ، وفي الفتح غرضانية

« السيف أنى عددا وأكرم ولداً » ، وفي نهج البلاغة بقية السيف أنى عددا وأكثر ولداً . ولعله الصواب .

وكانت درع على رضى الله عنه صدره لا ظهر لها قليل له في ذلك فقال : إذا
استمكن عدوى من ظهري فلا يُقَى . وقال أبو الشَّيْخ :

خُتِلَتْهُ الْمُنُونُ بِمَدَاخِيلِ * يَبِينُ صَفَيْنِ مِنْ قَتَا وَنَصَالِ

في رداء من الصفيح صَقِيلِ * وَتَقْبِصُ مِنَ الْحَدِيدِ مُدَالِ

- بلغ أبا الأغر^(١) أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر فبعث ابنه الأغر^(٢) وقال :
يَا بَنِي كُنْ بَدَا لِمَصْحَابِكَ عَلَى مَنْ قَاتَلَهُمْ ، وَلِذَلِكَ وَالسَّيْفُ فَإِنَّهُ ظَلَمَ الْمَوْتَ ، وَأَتَقَى
الرَّحِمَ فَإِنَّهُ رِشَاءُ الْمَنِيَّةِ ، وَلَا تَقْرُبِ السَّهَامَ فَإِنَّهَا رُسُلٌ لَا تُؤَامِرُ مُرْسَلَهَا . قال : فيها ذا
أفائل ؟ قال : بما قال الشاعر :

جَلَّيْتُدُ بِلَانٍ الْأَكْثَفُ كَأَنَّمَا * رَمَوْسُ رِجَالِ حُطِّتْ فِي الْمَوَامِ

- ١٠ وقال الخَزَمِيُّ في بِنْدَادِ أَيَّامِ الْفِتْنَةِ :

يَا بُوْسُ بِنْدَادَ دَارِ مَمْلَكَةٍ * دَارَتْ عَلَى أَهْلِهَا دَوَائِهَا

أَمَلَهَا اللَّهُ ثُمَّ عَاقَبَهَا * لَمَّا أَحَاطَتْ بِهَا بَجَائِرُهَا

رَقَّ بِهَا اللَّيْنُ وَأَسْتَحَفَّ بِذِي الشَّفِضِلِ وَعَزَّ الرِّجَالُ فَاجْرُهَا

وَصَارَ رَبُّ الْجَبْرِانِ فَاسْقُهُمْ * وَأَبْتَرَّ أَمَانَ الدُّرُوبِ شَاطِرُهَا

- ١٥ يَحْرِقُ هَذَا وَذَا يَسْتَمُهَا * وَيَسْتَنِي بِالنَّهَابِ دَاعِرُهَا

وَالْعَكْرُخُ أَسْوَاقُهَا مَعْطَلَةٌ * يَسْتَرْ^(٣) شِدَا بِهَا وَطَائِرُهَا

أَخْرَجَتْ الْحَرْبُ مِنْ أَسَاقِطِهِمْ * أَسَادَ غَيْبِلٍ غُلَا مُسَاوِرُهَا

مِنَ الْبَوَارِي تَرَأَسَهَا وَمِنْ^(٢) الشَّخْصِ إِذَا اسْتَلَامَتْ مَغَافِرُهَا

لَا الزَّرَقُ تَبْنِي وَلَا الْمِعْطَاءُ وَلَا * يَحْشُرُهَا بِالْعَنَاءِ حَاشِرُهَا^(٣)

- ٢٠ (١) في الطبري «عابرها» . (٢) جمع باري يشديد الياء وهو الحصار المتوَجَّع .

(٣) في الطبري «لَقَاء» .

ونحوه قول علي بن أمية :

دهنتا أمور شبيب الوليد * ويَحْتَلُّ فيها الصديقَ الصديق
فَناءٌ مُبِيدٌ ودُعرٌ عَتِيدٌ * وجوعٌ شديدٌ وخوفٌ وضيقٌ
وداعى الصباح يطول الصياح السلاح السلاح فما نستفيق
فبالله نبلغ ما نرجى * وبالله ندفع ما لا نُطيق

٥

جنى قوم من أهل الإمامة جناية فإرسل إليهم السلطان جنداً من بُخَّارية^(١) ابن زياد، فقال رجل من أهل البادية يذمر قومه : يا معشر العرب ويا بنى المحصنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لينة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وضعوها بالأرض ولا عتراكم من نُسَابٍ معهم في جَنَابِ كأنها أيور الفيلة ينزعون في قيسٍ كأنها العتل فتتطأ أحداهن أطيط الزُرُوق يغط أحدهم فيها حتى ينزوق شعر إبطيه ثم يرسل نُسابة كأنها رشاء منقطع فما بين أحدهم وبين أن تنفض عينه أو يصدع قلبه منزلة، فخلع قلوب القوم فطاروا رعباً .

١٠

آداب الفروسة

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان قال : كتب عمر رضي الله عنه : اتزروا وارثدوا واستملوا وألقوا الحِفافَ وارموا الأغراض وألقوا الرُكْبَ وآزروا تزوا على الخيل وعليكم بالمدينة، أو قال العربية . ودعوا التمتع وزي العجم ولا تلبسوا الحرير فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكنا ، ورفع أصبعيه . وقال أيضاً : لن تحور قوى ما كان صاحبها يتزع ويتزو . يعني يتزع في القوس ويتزو على الخيل من غير استعانة بالركب . وقال

٢٠

(١) كذا بالأملين والصواب بخارية زياد وهي سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخاري حين استول عليها من طائون ملكها وكانوا يجدي الزى بالنشاب .

العمري . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه ^(١) [اليمنى ويده اليسرى أذن فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرامِيته وَيَبُّ فكَأَنَّمَا خَلَقَ عَلَى ظَهْرِ فَرْسِهِ .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صَفَيْنَ : عَضُّوا عَلَى التَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَتَيْتِ لِلسَّيْفِ عَنِ الْهَامِ . وَأَقَامُوا رِجْلَا بَيْنَ الْعُقَايِنِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : طَدَّ رِجْلَكَ وَأَصِيرَ إِصْرَارَ الْفَرَسِ وَادْكُرْ أَحَادِيثَ غَدٍ وَإِيَّاكَ وَذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنَّهُ مِنَ الْفُشْلِ . [وَقَالَ غَيْرُهُ طَدَّ رِجْلِكَ إِذَا اعْتَصَمْتَ بِالسَّيْفِ وَالْمِصْبَا وَأَنْتَ غَيْرُ ^(٢) فِي رَفْعِهِ سَاعَةَ الْمَسَالَةِ وَالْمَوَادِعَةِ] ^(٣)

وَقَرَأْتُ فِي الْآيِنِ أَنَّ مِنْ إِجَادَةِ الرِّمَى بِالنَّشَابِ فِي حَالِ التَّمَلُّكِ إِسْكَاتَ الْمُتَعَلِّمِ الْقَوْسَ بِيَدِهِ الْيَسْرَى بِقُوَّةِ عَضِّهِ الْأَيْسَرَ وَالنَّشَابَةَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَقُوَّةِ عَضِّهِ الْيُمْنَى وَكَفَّهُ أَصْدْرِيهِ ^(٤) وَالْقَائِدُ يَبْصُرُهُ إِلَى مَعْلَمِ الرِّمَى وَإِجَادَتُهُ نَصَبَ الْقَوْسِ بَعْدَ أَنْ يَطْلُوعَ مِنْ سَيْبِهَا ١٠
بَعْضُ الطَّاعَةِ وَضَبُّهُ إِيَّاهَا ثَلَاثَ أَصَابِعَ وَإِحْنَاؤُهُ السَّبَابَةَ عَلَى الْوَتَرِ ، وَإِسْكَاتُهُ ثَلَاثَةَ وَعِشْرِينَ كَانُهَا ثَلَاثَةٌ وَسِتُونَ وَحِمْلُهُ الثَّلَاثَةَ ضَمًّا وَتَحْوِيلُهُ دَقْنَهُ إِلَى مَنْكِبِهِ [الْأَيْسَرَ] ^(٥) وَإِشْرَافُهُ رَأْسَهُ وَإِرْخَاؤُهُ عَقَبَهُ وَمِيلُهُ مَعَ الْقَوْسِ وَإِقَامَتُهُ ظَهْرَهُ وَإِدَارَتُهُ عَضِّهِ وَمَقْطَعُهُ الْقَوْسَ مَتَرًا وَنَزْعُهُ الْوَتَرَ إِلَى أَذْنِهِ وَرَفْعُهُ بِيَاضَ عَيْنَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيفٍ لِأَسْنَانِهِ وَتَحْوِيلِ لَبِنَتِهِ وَارْتِفَاعِ مِنْ جَسَدِهِ وَاسْتِبَانَتِهِ مَوْضِعَ زَجْجَةِ النَّشَابِ ١٥

وَقَرَأْتُ فِي الْآيِنِ : مِنْ إِجَادَةِ الضَّرْبِ بِالْصُّوْلِحَانِ أَنْ يَضْرِبَ الْكُرَّةُ قُلْعًا ضَرْبَ خُلْسَةٍ يَدْرِيفُهُ يَدَهُ إِلَى أَذْنِهِ وَيُحِيلُ صَوْلِحَانَهُ إِلَى أَسْفَلِ مَنْ صَدْرُهُ وَيَكُونُ ضَرْبُهُ مَتَشَاوِرًا مَتَرَفًّا مَتَرَسَّلًا وَلَا يُغْفَلُ الضَّرْبُ وَيُرْسَلُ السَّيَّانُ خَاصَةً وَهُوَ الْحَامِيَةُ لِمَجَازِ الْكُرَّةِ إِلَى غَايَةِ الْفَرَسِ ثُمَّ الْجَلُّ لِلْكُرَّةِ مِنْ مَوْضِعِهَا ، وَالتَّوَتُّ لِلضَّرْبِ لَهَا تَحْتِ مَحَرِّمِ

- ٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية وفي البيان والبيان « يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى » . (٢) زيادة في النسخة الألمانية . (٣) كذلك بالأصلين ولعله « درهما » . (٤) في الألمانية : « وكفه إلى صدره » . (٥) عبارة النسخة القنوغرافية ولا ينفصل الضرب (ترسل البيان؟) خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قبل لَبَّتْها في رفق، وشدة المزاولة والمجاشعة على تلك الحال وترك الاستعانة في ضرب الكرة بسوط والتأخير في الأرض بصولجان والكمير له جهلا باستعماله أو عقير قوائم الدابة، والاحتراس من إيذاء من جرى معه في ميدانه، وحسن الكف للدابة في شدة جريه، والتوقى من الصرعة والصدمة على تلك الحال، والمجانبة للفضب والسب، والاحتياَل والملاهاة، والتحفُّظ من إلقاء كُرَّة على ظهر بيت وإن كان ستُّ كُرَّين بذرهم، وترك طرد النظارة والجُلوس على حيطان الميدان فإن عرض الميدان إنما جعل ستين ذراعا لئلا يُحَالَّ ولا يُصَارَّ من جلس على حائطه .

وقال أبو مسلم صاحب الدعوة لرجاله : أشيروا قلوبكم الحرة عليهم فإنها سبب الظفر، واذكروا الصفات فإنها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فإنها حصن الثَّغَارِ .

المسير في الغزو والسفر

حدثنا شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن معاذ بن حدير الحَضْرَمِي عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْر عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل الذين يغزون من أمتي ويأخذون الحُلَّ يَتَقَوَّونَ به على عدوهم كمثل أم موسى تُرضع ولدها وتأخذ أرحها» . حدثني محمد بن عبيد عن ابن عينة عن عبد الرحمن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب قال : لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المُرْسَأ أمر مناديا فنادى : لا تَطْرُقُوا النساء . فتَجَلَّ رجلان فكلاهما وجد مع امرأته رجلا . وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم . وتأمر بالمِحْلَات وهي الدلو والفأس والشفرة والقيدر والقِدْاحَة ، وإنما قيل لها مِحْلَات لأنَّ المسافر بها يحل حيث شاء ولا يبالي ألا يكون بقربه أحد .

- ٢٠ • (١) في الميدان «السَّفر» أي أنه يُسفر عن أخلاق المسافرين ، وفي القنطرة الشفرة مجلدة القوم وهو يربح إلى هذا المعنى أيضا .

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال ، قال لقمان لابنه : « يا بني إذا سافرت فلا تتم على دابتك فإن كثرة النوم سريع في دبرها ، فإذا نزلت أرضاً مُكَلَّتَ فاعطها حظها من الكلال وأبدأ بلفها وسقيها قبل نفسك وإذا بددت عليك المنازل ^(١) فاعليك بالدَّج فإن الأرض تُطَوَّى بالليل . وإذا أردت النزول] فلا تنزل على قارعة الطريق فإنها ماوى الحيات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لو أنها وألينها تربة وأكثرها كلالاً فانزلها ، وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وقل (رَبِّ أَزِيلْنِي مَنَزَلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) . وإذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض وعليك بالسَّترة . وإذا أرغلت من منزل فصل ركعتين وودع الأرض التي أرغلت عنها وسلم عليها وعل أهلها فإن لكل بقعة من الأرض أهلاً من الملائكة . وإذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فإن الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضاً : هل مرة بكن اليوم ذاكرته ؟ وإن استطعت ألا تقطع طعاماً حتى تصدق منه فأفعل . وعليك بذكر الله جل وعز مادمت راكباً وبالتسبيح مادمت صائماً وبالبدعاء مادمت خالياً . وإياك والسير في أول الليل وعليك بالتعريس والدُّبلة من نصف الليل إلى آخره . وإياك ورفع الصوت في سيرك إلا بذكر الله ، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك وخُفك وعمامتك وإبرتك وخيوطك وتزوّد معك الأدوية تتنفع بها وتتفح من حييكت من المرضى والزمنى . وكن لأصحابك موافقاً في كل شيء يُقرّبك إلى الله ويباعدك من معصيته . وأكثر التبسم في وجوههم وكن كريماً على زائدك بينهم وإذا دعوك فأجبهم ، وإذا استعانوك فأعنه وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم وأجهد رأيك . وإذا رأيتهم يمشون فامش معهم أو يعملون فاعمل معهم ^(٢) . [وإن تصدقوا أو أعطوا فاعط] . واسمع لمن هو أكبر منك . وإن تخيرت في طريق فانزلوا ، وإن شككتهم في الفضد فثبثوا وآمروا ، وإن رأيت خيالا واحداً

فلا تسالوه عن طريقكم فإن الشخص الواحد في القلاة هو الذي حيركم واحذروا
الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن
العاقل إذا أبصر شيئا بعينه عرف الحق بقلبه .

علم أعرابي بنيه إتيان الغائط في السفر فقال لهم : أتبعوا الخلاء وجاؤوا الكلا
وأعلوا الضراء^(١) وأحججوا الخناج النعامة وامسحوا بأشتملكم .

[٧] وقال عمرو بن العاص للحسن بن علي بن أبي طالب رحمه الله : يا أبا محمد، هل
تتعت الخمرأة؟ فقال : نعم، تُبعد المشي في الأرض الضحَضَح حتى تتواري من القوم،
ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنج بالروثة ولا المنظم ولا تبذل في الماء الراكد].

أراد الحسن البصري الحجج، فقال له ثابت : بلفظي أنك تريد الحج فأجبت
أن نصطحب . قال : ويحك ! دعنا نتعاش بستر الله، إني أخاف أن نصطحب
فيري بعضنا من بعض ما تنافقت عليه . وفي الحديث المرفوع عن بَقِيَّة عن الوَظِين بن
عطاء عن عفيف بن حلفمة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه
« أما إنك إن ترافق غير قومك يكن أحسنَ خلقتك وأحقُّ أن يُقتنى بك » .

أتى رجل هشاما أخا ذى الرمة الشاعر فقال له : إني أريد السفر فأوصني . قال : صلَّ
الصلاة لوقتها فإنك مصليها لا محالة فصلَّها وهي تنفك، وإياك وأن تكون كلب رُفقتك
فإن لكل رقعة كلبا ينجح دونهم، فإن كان خيرا شرَّكوه فيه وإن كان مارا تقلدوه دونهم .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه
قال : إذا ضلَّت لأحدكم ضالةٌ فليقل : اللهم ربَّ الضالة تهدي الضالَّة وترد الضالَّة
أردد علي ضالتي، اللهم لا تبُلنا بهلاكها ولا تمنعنا بطلبها، ما شاء الله لا حول ولا قوة
إلا بالله . بإعاد الله الصالحين ردَّوا علينا ضالتنا . وإذا أردت أن تجعل الجمل الثقیل
فقل : بإعاد الله أعينونا . [٨] وقال أبو عمرو^(٢) : إذا ضلَّت لأحدكم ضالة فليتوضأ

(١) الضراء ما وادك من حجر . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلّي ركعتين ثم يشهد ويقول : بسم الله، اللهم يا هادي الضالّ وراذ الضالّ اردد عليّ ضالتي بعزّتك وسلطانك فإنها من فضلك وعطائك .

- حدثني محمد بن عبيد عن حمزة بن وعلة عن رجل من مُرادٍ قال له أبو جعفر عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا عليّ ، أمانٌ لأمتي من الفرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا **بسم الله الملك الرحمن . وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّيَّاتُ مَطْوِيَّاتٌ تَحْتِ يَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . بِسْمِ اللَّهِ جَمْرِيَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .**
-

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن محمد بن عجلان عن عمرو ابن شُعيب قال : أراد عمر أن يُغزى البحرَ جيشاً ، فكتب إليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، البحر خلقٌ عظيم يركبه خلقٌ ضعيف دودٌ على عُودٍ بين غرقٍ وبقٍّ .
- قال عمر : لا يسألني الله عن أحد حملته فيه . وحدثني أيضاً عن معاوية عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول في السفر إذا أُسبح : سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ وَحَسَنَ بِلَانِهِ عَلَيْنَا . ويقول : اللهم صاحبنا فأفضل علينا ثلاثاً ، اللهم عانِدْ بك من النار ثلاثاً لا حول ولا قوّة إلا بالله .

- وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
-
- في سفره حين هاجر : « الحمد لله الذي خلقني ولم أَكْ شيئاً مذكوراً ، اللهم ائني على أهاويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالي والأيام وأكفني شر ما يعمل الظالمون في الأرض ، اللهم في سفرى فأصحّني ، وفي أهلى فأخلفني ، وفيما رزقتني فبارك لي ، ولك في نفسي فذلّلي ، وفي أعين الصالحين فمظمّني ، وفي خلقي فتقوّمني ، وإليك ربّ حبيّتي ، إلی من تكلمي ربّ المستضعفين وأنت ربی » .
-

وحدثني أيضا عن معاوية عن أبي إسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول : « اللهم إني أعوذ بك من وَعْثَاء السفر وكَاثَةِ المُنْقَلَبِ والمُؤَرِّبِ بعد الكَوْرِ ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل » وزاد غيره : « اللهم أطوِّ لنا الأرض وهَوِّنْ علينا السفر » .

٥ . وقال مطرف بن عبد الله لابنه : الحسنة بين السيئين وخير الأمور أوساؤها وشَرُّ السير الحَقِيقَةُ . وفي الحديث : « لَا تُحَقِّقْ فَنَقْطِعَ وَلَا تَبَاطُأَ فَتَسْبِقَ وَلَكِنْ أَقْصِدْ تَبْلُغْ » والحقيقة : أشد السير . وفي حديث آخر : « إِنْ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَثْقَى » وقال المَرَار :
تُحَطِّعُ بِالزَّوَالِ الْأَرْضُ عَنَّا * وَبُذِ الْأَرْضُ يَقطَعُهُ الزَّوَالُ

١٠ . الإجمعي قال ، قيل لرجل أسرع في سيره : كيف كان مسيرك ؟ قال : كنت آكل الوجبة وأعرس إذا أتتحت وأرتحل إذا أسفرت وأسير الوضِعَ وأجنب المَلْعَ فاحتكم لمشي سَبْعَ . قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذِكَوَانِ مولى آل عمر بن الخطاب ، سار من مكة إلى المدينة في يوم وليلة ، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلَّى العَتَمَةَ ، فقال له أبو هريرة : حاجٌ غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال :
لأنك فَرَرْتَ قَبْلَ الزَّوَالِ . فانخرج كاتب مروان بعد الزوال وقال :

أَلَمْ تَرَنِ كَفَّثَهُمْ سَيْرَ لَيْلَةٍ * مِنْ آلِ مَقِيٍّ نَهَبُوا إِلَى آلِ يَثْرِبِ
فَأَقْسَمْتُ لَا تَصِفُكَ مَا عَشْتُ سَيَوتِي * حَدِيثًا لِمَنْ وَافَى يَجْمَعُ الْمُحَصَّبِ

ومن السير المذكور مسير حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وكان أغار على هِجَازِ [النهان بن] المنذر ابن ماء السماء وسار في ليلة مسيرة ثمان ، فقال قيس بن الخطيم :

هَمْنَا بِالْإِقَاسَةِ ثُمَّ سَرْنَا * كَسِيرِ حُذَيْفَةَ الْخَيْرِ بْنِ بَدْرٍ

- قال الشَّرْقِيُّ بْنُ الْقَطَامِيِّ: خرجت من الموصل أريد الرِّقَّةَ فصَحْبَنِي قَتِي مِنْ أَهْلِ
الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِرْزُودٌ وَزَكْوَةٌ وَعَصَا، ورأيتُه لا يفارقهَا
مُشَاةً كَمَا أَوْرُكْنَا وهو يقول: إِنْ اللهُ جَعَلَ رِجَاعَ أَمْرِ مُوسَى وَأَعْلَجِيهِ وَبَرَاهِنَهُ
وَمَآرِبَهُ فِي عَصَاهُ، ويكثر من هذا وأنا أضْحَكُ مِنْهُمَا بَمَا يَقُولُ، فتخلف المَكَارِيُّ
فَكَانَ حِمَارَ الْقَتِيِّ إِذَا وَقَفَ أَكْرَهَهُ بِالْعَصَا وَيَقِفُ حِمَارِي وَلَا شَيْءَ فِي يَدِي فَيَسْبِقُنِي
إِلَى الْمَنْزِلِ فَيَسْتَرِيحُ وَيُرِيحُ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى الْبَرَّاحِ حَتَّى يُوَافِقُنِي الْمَكَارِيُّ، فقلت: هذه
واحدة. ثم خرجنا من غَدٍ مُشَاةً فَكَانَ إِذَا أَعْيَا تَوَكَّأَ عَلَى الْعَصَا وَرَبَّمَا أُحْضَرُ
وَوَضَعَ طَرَفَا عَلَى الْأَرْضِ فَاعْتَمَدَ عَلَيْهَا وَمَرَّ كَأَنَّهُ سَهْمٌ زَالِجٌ حَتَّى اتَّهِنَا وَقَدْ تَفَسَّخَتْ
مِنَ الْكَلَالِ وَإِذَا فِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ، فقلت: وهذه أخرى. فلما كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ
هَجَمْنَا عَلَى حَيَّةٍ مَنَكْرَةٍ فَسَارَتْ إِلَيْنَا فَأَسْلَمَتْهُ إِلَيْهَا وَهَرَبَتْ عَنْهَا فَضَرَبَهَا بِالْعَصَا حَتَّى
قَتَلَهَا، فقلت: هذه ثالثة. [وهي أعظمهن] وخرجنا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَبَنَّا قَرْمًا
إِلَى الْخَمِّ فَاعْتَرَضْتَنَا أَرْبَعٌ فَخَذَفْنَا بِالْعَصَا وَأَدْرَكْنَا ذَكَاتَهَا فقلت: هذه رابعة.
فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فقلت: لو أَن عِنْدَنَا نَارًا مَا أَخْرَجْتُ أَكْلَهَا إِلَى الْمَنْزِلِ. فَأَخْرَجَ عُودِيَا مِنْ
مِرْزُودِهِ ثُمَّ حَكَّهُ بِالْعَصَا فَأَوْرَثَ إِيرَاءَ الْمَرْخِ وَالْمَقَارِ، ثُمَّ جَمَعَ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَنَاءِ
وَالْحَشِيشِ وَأَوْفَدَ نَارًا وَأَلْقَى الْأَرْبَبَ فِي جَوْفِهَا فَأَخْرَجْنَاهَا وَقَدْ لَزِقَ بِهَا مِنَ الزَّمَادِ
وَالْتَرَابِ مَا يَبْقَى إِلَى فَعْلَقْنَاهَا بِيَدِهِ الْيَسْرَى ثُمَّ ضَرَبَ جُنُوبَهَا بِالْعَصَا وَأَعْرَاضَهَا ضَرْبًا
رَقِيقًا حَتَّى انْتَثَرَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا فَأَكَلْنَاهَا وَسَكَنَ الْقَرْمُ وَطَابَتِ النَّفْسُ، فقلت: هذه
خامسة. ثُمَّ زَلْنَا بِبَعْضِ الْخِثَافَاتِ وَإِذَا الْبُيُوتُ مَلَاتَةٌ رَوْنًا وَتَرَابًا فَلَمْ نَجِدْ مَوْضِعًا نَقْلُ
فِيهِ فَنَظَرْنَا إِلَى حَلِيدَةِ مَطْرُوحَةٍ فِي الدَّارِ فَأَخَذْنَاهَا فَجَعَلَ الْعَصَا نِصْبًا لَهَا ثُمَّ قَامَ بِخَرْفٍ
جَمِيعَ ذَلِكَ الرُّوْتِ وَالتُّرَابِ وَبَجَرَدِ الْأَرْضِ حَتَّى أَظْهَرَ بَيَاضَهَا وَطَابَتِ رِيحُهَا فقلت: ٢٠
وهذه سادسة. ثُمَّ نَزَعَ الْعَصَا مِنَ الْحَلِيدَةِ فَأَوْتَدَهَا فِي الْحَائِطِ وَوَلَّى عَلَيْهَا ثِيَابَهُ وَثِيَابِي

قلت : هذه سابعة . فلما صرنا إلى مَفْرَقِ الطريقين وأردت مفارقه قال لي :
لو عدلتَ معي فَبِتَ عندي ! فعدلت معه فأدخلني منزلاً يتصل بيعة فما زال يتحدثني
ويعطيني الليل كله فلما كان الصبح أخذ العصا بيني وأخذ خشبة أخرى ففزع بها
العصا فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله وإذا هو أحقق الناس به قُتِلَ له : ويحك !
أما أنت بمسلم ؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس ؟ قال : لأن أبي نصراني
وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدتُ برؤيته بالكفاية . وإذا شيطان مارد وأظرف الناس
وأكثرهم أديبا غفرتُه بالذي أحصيتُ من خصال العصا ، فقال : والله لو حدثتكَ عن
مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استغفرتُها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « إذا كنتم في الحُصْبِ فأَمْكِنُوا الرُّكَّابَ ^(١) أَسْتَبْأُوا تَقْدُوا المنازل وإذا كنتم
في الجُنْدِ فاسْتَجُوا ^(٢) وعليكم بالذَّبْحَةِ فإن الأرض تُطَوَّى بالليل وإذا تقولتُ لكم
الغِيْلَانُ فنادوا بالأذان ولا تصلُّوا على جَوَادِّ الطُّرُق ولا تنزلوا عليها فإنها ماوى السَّباع
والحيات ولا تَقْضُوا عليها الحَوَائِجِ فإنها لِلْمَلَّاعِينَ » .
وأراد أعرابي سفراً فقال لامرأته :

هُدَى السَّيْنِ لَغَيْبِي وَتَصَبَّرِي * وَذَرِي الشَّهْوَرَ فَإِنَّنِي قَصَار
فَاجِبْتُهُ :

اذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا * وَأَرْحَمْ بَنَاتِكَ لَأَنْتِ صِفَار

(١) أروده ابن الأثير بلفظ « أعلوا الرُّكْبَ أَسْتَبْأُوا » وقال تاجاً عن أبي عبيد إن كانت القطة
عفوفة فكأنها جمع الأَسَانِ ، يقال لها تَكَلُّدٌ لايل وترها من السُّبِّ سُرُوجُهُ أَسَانٌ ثم أَسَةٌ . وقال
الزُّنْشَرِيُّ إنَّ الأَسَةَ هنا الراح وقال في معناه : أعلوها ما تنجم به من النحر لأن صاحبها إذا أحسن رعيها
سمعت وحسنت في عيه فيبذل بها عن أن تضرقه بذلك بالأَسَةِ في وقوع الانتاع بها ، وهو كما ترى فكلف
لا يساعده عليه سياق الحديث . (٢) أى أَمْرُوا .

فأقام وترك السفر . وقال إصحاق بن إبراهيم الموصلي :

طيرت إلى الأصبينية الصَّغار * وهاجك منهم قُربُ المزار
وكلَّ مسافرٍ زاد شوقًا * إذ أدت الديار من الديار

وفي الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كُنَّا يوم بدر ثلاثة على بعير فكان عليّ

- وأبو لُبَّابة^(١) زَيْمِلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا دارت عَقِبُهُمَا قالا :
يا رسول الله اركب وعشى عنك . فيقول : « ما أُنْتما بأقوى مِنِّي وما أنا بأغنى عن
الأجر مِنكما » .

خطب قتيبة بن مسلم على منبر نراسان فقال في خطبته : إذا غزوتهم فأطيعوا

الأطفال وقصروا الأشعار .

- ١٠ وقالت عائشة رضي الله عنها : « لا سمر إلا ثلاثة : مُصَلٍّ أو عروس أو مسافر .
وقال بعض الشعراء :

سُررتُ بِمَجْهَرٍ والقرب منه * كما سَرَّ المسافر بالإياب
وكنْتُ بقربه إذ حلَّ أرضي * أميرا بالسكينة والصبوب
كمطورٍ ببلدته فأعشى * غنيًا عن مطالبة السحاب

- ١٥ وقال آخر في معناه :

وكنْتُ فيهم كمطورٍ ببلدته * فُسْرَأُنْ جَمْعُ الأوطان والمطرا

وقال آخر :

إذا نحنُ أبنا سالميَنَ بأنفس * كرام رَجَتْ أمر الغاب رجاؤها
فأنفسنا خيرُ الغنيمةِ لِنَها * تؤوب وفيها مأوئها وحيائها

- ٢٠ (١) كذا بضم أوله وفتح ثانيه وهو كنية رفاعه بن عبد المنذر وهو صحابي معروف .

وقال آخر:

رجعنا سالمين كما بدأنا • وما حلت غنيمة سالمينا
[وما تدرين أي الأمر خير • أما تهوين أم ما تكروهنا]

وقال بعض المحدثين:

• قبح الله آكل بروك إلى • صرت من أجلمم أنا أسفار
إن يكن ذو القرنين قد مسح الأثر • ض غلى موكّل باليعيار

التفسير^(٢)

حدثني أبي، أحسبه عن الهيثم بن عدي قال: لما كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام وإلّا مكان أبي عبيدة بن الجراح، أخذ على السّاورة حتى انتهى إلى قُراقِر، وبين قُراقِر وسوى خمس ليال في مفازة، فلم يعرف الطريق، فدلّ على رافع بن عيّمة الطائي وكان دليلاً نحرّاً فقال لخالد: خلّف الأتقال وأسلك هذه المفازة إن كنت فاعلاً، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال: لا بد من أن تكون جميعاً. فقال له رافع: والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه وما يسلكها إلا مفرد مخاطر بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال: لا بد من ذلك. فقال الطائي لخالد: أئني عشرين جرّوراً مساناً عظماً ففعل فظماً ثم سقاهن حتى روين ثم قطع مشافهن وكهمن ثلاث تجرّ، ثم قال لخالد: سر بالخيل والأتقال فكلب نزلت مترا نحرّت من تلك الجرّار أربعا ثم أخذت ما في بطونها من الماء فسقيته الخيل وشرب الناس مما ترودوا، ففعل. فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة في النسخة الألمانية.

(٢) يقال فوّذ الرجل ببله إذا وكب بها المقازة.

(٣) كما بالألمانية وفي النسخة الفرنسية أبي عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ إذ اسم أبي عبيدة عامر ابن عبد الله بن الجراح القهري فله من سهو النسخ.

وَجِهَدَ النَّاسُ وَصَلَتْ دَوَابُّهُمْ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: وَيْحَكَ، مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: أَدْرَكَتُ الرِّىَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ شَجَرَةً عَوَّجَ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ؟ فَنَظَرُوا فَوَجَدُوهَا فَقَالَ: احْضَرُوا أَصْلَهَا فَحَفَرُوا فَوَجَدُوا عَيْنًا فَشَرِبُوا مِنْهَا وَتَرَدَّدُوا، فَقَالَ رَافِعٌ: وَاللَّهِ مَا وَرَدْتُ هَذَا الْمَاءَ قَطُّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ. فَقَالَ رَاجِزُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ:

- اللَّهُ دُرُّ رَافِعٍ أَيْ أَحْتَدِي * فَوْزٌ مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى مُسَوًى
أَرْضًا إِذَا سَارَهَا الْجَيْشُ يَكُنَى * مَا سَارَهَا قَبْلَكَ مِنْ إِنْسٍ أَرَى^(١)

قَالَ وَلَمَّا مَرَّ خَالِدٌ بِمَوْضِعٍ يَقَالُ لَهُ الْيَشْرُ طَلَعَ عَلَى قَوْمٍ يَشْرُونَ وَيَبِىءُ أَيْلَهُمْ جَفَنَةً وَأَحْدَمَ يَتَفَنَّى:

- أَلَا عَلَّانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ * لَعَلَّ مَنَائِمًا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي
أَلَا عَلَّانِي بِالزُّجَاجِ وَصَكْرًا * عَلَى تَحْكِيمِ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
أُظُنُّ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِنَا * سَيَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْيَشْرِ
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ * وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْخَلَدِ

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَرِغَ مِنْ قَوْلِهِ شَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّيْفِ فَضْرَبَ عَقَبَهُ فَإِذَا رَأْسُهُ فِي الْخَفَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ الْيَشْرِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

- ١٥ ابْنُ الْكَلْبِيِّ قَالَ: أَقْبَلَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يَرِيدُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَضَلُّوا الطَّرِيقَ وَوَقَعُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ فَكَنُتُوا ثَلَاثًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْمَاءِ لِحِفْلِ الرِّجْلِ مِنْهُمْ يَسْتَنْدِرِي بَنِي السَّمُرِ وَالطَّلَحِ بِأَسَا مِنَ الْحَيَاةِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ أَقْبَلَ رَاكِبٌ عَلَى بَعِيرٍ فَأَنشَدَ بَعْضُ الْقَوْمِ بَيْتَيْنِ مِنْ شِعْرِ امْرَأَتِ الْقَيْسِ:

- لَمَّا رَأَتْ أَنْ الشَّرِيعَةَ هُمَهَا * وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ قَرَائِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِيجٍ * بَنَى عَلَيْهَا الظَّلَّ عَرْمَضَهَا طَائِي

(١) كذا بالألمانية، وفي الفقهografía «أدى» بالبدال ولعله «أرى» بمعنى عاد ورجع.

فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس . قال ذواته ما كذب ، هذا ضارح عندهم ، وأشار إليه ، بفتحوا على الركب فإذا ماء غثق وإذا عليه العرمض والنفل يضيء عليه فشرىوا منه ريحهم وسقوا وحملوا حتى بلغوا المساء ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأنخروه وقالوا : يا رسول الله أحيانا يتجان من شعر امرئ القيس قال : « ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسى في الآخرة خامل فيها ، يحيى يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب عن عمه الأصمعي عن رجل من بني سليم أن رُقعة ماتت من العطش بالشَّجى ، فقال المجاج : إني أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجهد فأخفروا في مكانهم الذي ماتوا فيه لعل الله يسقي الناس . فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر :

ترامت له يرب اللوى وعُزَيَّة ٥ وبين الشَّجى مما أحال على الوادى
والله ما ترامت له إلا وهى على ماء ٥ فأمر المجاج عبيدة السامى أن يخفض بالشَّجى بئرًا لخفض قَانِيط ، ويقال : إنه لم يمت قوم قط عطشا إلا وهم على ماء .
قالت العرب : « أن ترَدَّ المساء بماء أُكَيْس » . ويقال في مثل : « برُدَّ غداً غرَّ عبداً من قَلْما » .

في الطيرة والفأل

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هَرَبَ بعض البصريين من الطاعون فركب حمرا له ومضى بأهله نحو سَفَوَانَ فسمع حاديا يحدو خلقه وهو يقول :
لن يُسبق الله على حمار ٥ ولا على ذى مِيعَةٍ مَطَّار
أو يأتى الحَتَف على مقدار ٥ قد يصيح الله أمام السارى

(١) في الألبانية عيد الله وهو محريف .

(٢) هكذا في النسخين الألمانية والفرنغرافية ، وفي معجم البلدان : « عبيدة السامى » .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان
يجب من يصدق بالطيرة ويبيعها أشد العيب وقال : فرقت لنا ناقةً وأنا بالطف
فركت في إثرها فلقيني هاني بن عتبة^(١) من بني وائل يرخص وهو يقول :
* والشرُّ يلقى مطالِحَ الأكم * .

ثم لقيني رجل آخر من الحلى فقال وهو للبيد :
ولت بشت لم بُقا * ة ما البُشاء بواجبنا

ثم دفعت إلى غلام قد وقع في صفرة في نار فأحرقته ففزع وجهه وفسد ، فقلت له :
هل ذكرت من ناقة فاريق ؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها
قد نُجبت ومعها ولدها . يقال : ناقة فارق : قد ضربها الطلق ، وصحابة فارق :
قد دنا هرافة مائها . قال المرقش^(٢) :

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على وائ^(٣) وحاتم
فلذا الأشائم كالأيا * من والأيمان كالأشائم
وكذلك لا خير ولا * شر على أحد بدائم
[وقال آخر^(٤) :

وليس بهيباب إذا شد رحله * يقول عدائي اليوم وائي وحاتم^(٥)
ولكنه يمضي على ذاك مقديما * إذا صدعن تلك الهنات الخنارم^(٦)

(١) في النسخة الفوتوغرافية : «عيد» . (٢) في النسخة الفوتوغرافية «المرق» وهو تحريف وقد أورد
في اللسان هذه الأبيات ونسبها لمرقش كما هنا ، وأورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب المرقش هذا
ضمن من أنكر الزور والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الرواق : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تشاءهما . (٤) زيادة في النسخة
الألمانية . (٥) في الأصل «الخنارم» وهو تحريف والخنارم كغلايط : الرجل المتطير . وقد أورد
في لسان العرب هذه الأبيات ونسبها إلى عثم بن عني وقيل لرقاص الكلي يدح بها سمود بن بحر وصوبه
ابن برى . أظن اللسان مادة «وقى» .

وقال آخر

تَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا * عَلَى مَطِيرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ

بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضُ شَيْءٍ * أَحَابِينَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ

حدثني الرباعي عن الأصمعي قال: سألت ابن عون عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضاً تسمع: يا سالم، أو يا غيا فتسمع: يا واجد. وفي الحديث المرفوع «أَصْدَقُ الطَّيْرِ الْفَالُ». وفيه «الطير يجرى بقدر»

أراد أبو العالية أن يخرج من البصرة لعله كانت به فسمع منادياً ينادى: يا متوكل، فخط رحله وأقام.

وقال عكرمة كما جلوسا عند ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما فرطائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. [قال كعب لابن عباس: ما تقول في الطيرة قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المتزل. يعني التوراة.]

حدثني محمد بن يحيى القطي^(٥) قال حدثني عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضى الله عنها فقالا: إن أبا هريرة

(١) كذا بالنسخة الفوتوغرافية وفي الألمانية «عن ابن عبد الله» ولم نثر في كتب التراجم على من نسي بهذا الاسم سوى عن ابن عبد الله بن حبة بن سمود، وهذا ما بين ستة عشر ومائة إلى عشرين ومائة. فلا تصح رواية الأصمعي عنه لأنه ولد سنة ١٢٢ قبل ما في الفوتوغرافية هو الصواب ويكون المراد به عبد الله بن عون بن أربطان البصري فقد توفي هذا في سنة ١٥١ أي والأصمعي في السن التي يتلق فيها عن مشايخه. (٢) في النسخة الألمانية «أبو الناعية». (٣) في الألمانية «لقية كانت بها» وهو غير مناسب مع السياق. (٤) زيادة في النسخة الألمانية. (٥) كذا بالنسخة الألمانية من غير ضبط. وفي الفوتوغرافية «القطي» بضم أوله وفتح ثانيه بعدها ياء، مثناة والصواب أنه «القطي» بضم أوله وفتح ثانيه من غير ياء، كما ضبطه في تحريب التهذيب ولعله نسب إلى قطيعة - بكهية - بن عيس ابن عبيد وهو أبو يحيى كما في القاموس وقد ذكر صاحب تهذيب التهذيب محمد بن يحيى هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى. وهو ما يروى عنه. (٦) في الألمانية «ابن حسان» وهو محرف.

يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما الطَّيْرَةُ في المرأة والدار والنبابة
فطارَتْ شَفَقًا ثم قالت : كذب ، والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ، من حدث
بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« كان أهل الجاهلية يقولون إن الطَّيْرَةَ في النابة والدار والمرأة » ثم قرأت : (مَا أَصَابَ
مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ تَيْنَ قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا)

كان عبد الله بن زياد صوّر في دهليزه كلباً وأسداً وكبشاً وقال : كلب نايج وكبش
ناطح وأسداً كالج . وأتشدني أبو حاتم عن الأصمعي :
يا أيها المضير هماً لا تُهمم * إنك إن تُفقد لك الحمى تُحتم
ولو علوت شاهقاً من العلم * كيف توقيك وقد جفّ القلم

- ولما أمر معاوية بقتل عُجْر بن عديّ الكنديّ في ثلاثة عشر رجلاً معه قال
عُجْر : دعوني أصلّ ركعتين فتوضاً وأحسن الوضوء ، ثم صلى وطوّّل فقبل له : أجزعت ؟
فقال : ما توضأت قط إلا صليت ، ولا صليت قط صلاة أخف منها . وإن أجزعت فقد
رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً . فقبل له : مدّ عُنُقَكَ ، فقال : إن
ذلك لدمٌ ما كنت لأعين عليه . فقدم فضربت عنقه . وكان معاوية بعث رجلاً يقال
له هذبة لقتلهم ، وكان أعور ، فنظر إليه رجل من خُثَم فقال : إن صدقت الطَّيْرَةَ قُتِلَ
نصفنا ، فلما قُتِلَ سبعة بعث معاوية رسولاً آخر يعاقبتهم فلم يقتل الباقيون .

خرج كثير عزة إلى مصر يريد عزة ، فلقه أعرابي من نهد فقال : يا أبا صخر ،
أين تريد ؟ فقال : أريد عزة بمصر . قال : فهل رأيت في وجهك شيئاً ؟ قال : لا ،

(١) كذا بالألمانية ، وفي الفونوغرافية « عبد الله » وما من أولاد زياد بن أبيه كما في الحارث لابن

تينة ، ولا تدعى أيها صاحب القصة .

إلا أنى رأيت غرابا ساقطا فوق بانه ينتف ريشه . فقال له : تُوافى مصر وقد ماتت
عزة . فاتهره كثير ثم مضى فوافى مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزة ، فقال :
فما أعيف التَّهْدِي لا دَرَّ دَرُّهُ * وأزجره للطير لا عَرَّ ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانه * ينتف أعلى ريشه ويُطايه
فاما غراب فاغتراب ووحشة * وبأنَّ فَيِّن من حبيب تماشيه

وهوى بعد عزة امرأة من قومه يقال لها : أُم الحويرث . فخطبها فأبى وقالت :
لا مال لك ، ولكن أخرج فأطلب فإنى حابسة هسى عليك . فخرج يريد بعض بنى
غزوم ، فبينما هو يسير عن له ظلي فكره ذلك ومضى فإذا هو بغراب يحث التراب
على وجهه فكرهه وتطير منه ، فاتتهى إلى بطن من الأزدي يقال لهم بنو لُهب ، فقال :
أفيكم زاجر ؟ قالوا : نعم ، فأرشدوه إلى شيخ منهم فأثاه فقصَّ عليه القصة ، فقال :
قد ماتت أو خلف عليها رجل من بنى عمها . فلما انصرف وبعدها قد تزوجت فقال :

تيممت ليما أطلب العلم عندهم * وقد رُدَّ علم العائفين إلى لُهب
فقال جرى الطير السنيح بيدها ^(١) * فدوتك فاهيل جد منهي سكب
فإلا تكن ماتت فقبه حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كعب

حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثني خالد بن يزيد الصَّفا قال حدثنا همام بن
يحيى عن قتادة عن حَضْرَمِ بْنِ لَاحِقٍ أَوْ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كُتِبَ إِلَى أَسْرَائِهِ : « إِذَا أَبْرَدْتُمْ إِلَى بَرِيدٍ فَاجْلُوه حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْإِسْمِ » .
[خرج عمر إلى حرة وأقام ثلثي رجلا من جُهينة فقال له : ما أسمىك ؟ قال :
شهاب . قال : ابن من ؟ قال : ابن بجمرة . قال : ومن أنت ؟ قال : من الحرقة .

(١) كذا بالأصل وقد حذف من الشرح بيان اتصالهما المعنى وهما :

فيمت شجيتا منهم ذا أمانة * بصيرا بزجر الطير منقح الصلب
فقلت له ماذا ترى في مسوايح * وصوت غراب يعض الأرض بالتراب
(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

ثم قال : بمن ؟ قال : من بنى ضَرَامَ . فقال له عمر : أدرك أهلك وما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا ، فأتاهم وقد أحاطت النار بهم] .

خرج ابن عامر إلى المدينة فإذا هو في طريقه بنعامات خمس ، فقال لأصحابه : قولوا في هذه . فقال بشر بن حسان : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة » ومن علم شيئاً فليقله ولكني أقول : فتنة خمس سنين .

- قرأت في كتب العجم أن كسرى بعث وهرز إلى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفوا قال وهرز لغلام له : أخرج إلى من الجُعْبَةِ نُسَابَةٌ وكان الأسوار يكتب على كل نُسَابَةٍ في جعبته ، فنها ما يكتب عليه اسم الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه ، ومنها ما يكتب عليه اسم ابنه ، ومنها ما يكتب عليه اسم أمهاته . فأدخل العبيده فأنخرج له نُسَابَةً عليها اسم امرأته تطير وقال : أنت المرأة وعليك طائر السوء . ردّها وهات غيرها . فردّها وضرب بيده فأنخرج تلك النشابة بعينها ففكر وهرز في طائرته ثم أتبه فقال : زنان . وزنان بالفارسية : النساء . ثم قال : زن آن ، فإذا ترجّتها اضرب ذلك قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها في كبد قوسه ثم قال : صفوا لي ملكهم ، فوصفوه بياقوتة بين عينيه . ثم إنه مَفَط في قوسه حتى إذا ملأها سرحها فأقبلت كأنها رِشَاء منقطع حتى قَضَت ^(١) البياقوتة فطار فضاءها ثم فلقّت هامته وهُزِم القوم . وقال المعلّوط :

تَنَادَى الطَائِرَانِ بَيْنَ سَلْمَى * على غصنين من حَرْبٍ وِيان
فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتْ سَلْمَى * وفي القَرْبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِ

أخذ معناها أبو الشَّيْخ فقال :

- أَشَاقَكَ وَاللَّيْلَ مُلِقَى الْحِرَانِ * غِرَابٌ يَنُوحُ عَلَى غَضَنِ بَانِ
أَحْصُ الْحَنَاحَ شَدِيدَ الصَّبَاحِ * يَبْكِي بَعِينٌ مَا تَدْرُفَانِ
وَفِي نَمِيَّاتِ الْغِرَابِ اغْتِرَابٌ * وَفِي الْبَانِ بَيْنَ بَعِيدِ التَّدَانِ

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد الفرس . (٢) في الفتنوغرافية « أيه » .

(٣) في الفتنوغرافية : « حتى صَلَّتْ البياقوتة فطارَتْ مُضَامًا » .

وقال الطائي:

أَتَضَعُ عِبْرَاتُكَ أُنَدَعْتُ * ورقاء حين تضعض الإظلام
لَا تَنْتَحِجْ لَهَا قَارِبَ بَكَاهَا * ضحك وإن بكاهك استفرام
مَنْ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسِرَتْ عِيَاةٌ * مِنْ حَائِثٍ فَإِنَّهُمْ حِمَام

٥ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ
إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَّا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَزَلْنَا حَارًا فَكَثُرَ فِيهَا عِدْدُنَا وَكَثُرَتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا ثُمَّ
تَحَوَّلْنَا مِنْهَا إِلَى أُخْرَى فَقُلْتُ فِيهَا أَمْوَالُنَا وَقُلْتُ فِيهَا عِدْدُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذُرُوهَا وَهِيَ ذَمِيمَةٌ» .

١٠ بَلَغَنِي عَنْ أَبِي نُكَاسَةَ عَنْ مَبَارَكِ بْنِ سَعِيدٍ أُنْحَى سَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ: بَلَّغْنَا أُنْ
أَعْرَابِيَا أَضَاعَ ذُودَالَهُ فَنَجَرَ فِي الطَّلَبِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، فَوَزَّاعَرَابِي يَحْتَلِبُ نَاقَةً
فَنَشْدَهُ ضَالَّةً فَقَالَ لَهُ: مَتَى خَرَجْتَ فِي الطَّلَبِ؟ أَدْنَى مَنَى حَتَّى أَسْقَيْكَ لَبْنَا وَأَرْشِدَكَ .
قَالَ: قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . قَالَ: فَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: عَوَاطِيسٌ حَوْلِي: نُفَّاءُ الشَّيْءِ
وَرُغَاءُ الْبَعِيرِ وَنَبَاحُ الْكَلْبِ وَصِيَاخُ الصَّبِيِّ . قَالَ: عَوَاطِيسٌ تَهَاكَ عَنِ الْغَدَقِ . قَالَ:
فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ عَرَّضَ لِي ذَنْبٌ . قَالَ: كَسُوبٌ ذُو ظَفَرٍ . قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَتْ
١٥ الشَّمْسُ لَقِيتُ نَمَلَةً . قَالَ: ذَاتُ رِيَشٍ وَاسْمُهَا حَسَنٌ ، هَلْ تَرَكْتُ فِي أَهْلِكَ
مَرِيضًا؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ ضَالَّتَكَ فِي مَتْرَكَ .

٢٠ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ الْخَطَّابِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ يَحْيَى بْنُ أَبِي
عَمْرٍو السَّيَّابِيُّ عَنْ يُلَيْعَ عَنْ كَثْبٍ قَالَ: كَانَتِ الشَّجَرَةُ تَتَبَتُ فِي مَحْرَابِ سَلْيَانَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكَلَّمَتْ بِلِسَانٍ ذَلِيلٍ فَنَقُولُ: أَنَا شَجَرَةٌ كَذَامِقِي دَوَاءُ كَذَا .
فِيَأْمُرُ بِهَا سَلْيَانُ فَيُكْتَبُ اسْمُهَا وَمُغْتَمَتُهَا وَصَوْدَتُهَا وَتَقَطَّعُ وَتَرْفَعُ فِي الْخِزَانِ حَتَّى كَانَ
(١) فِي الْأَمَلِ «الشَّيْبَانِ» بِالشَّيْنِ الْمَجْهُمَةِ وَهِيَ تَحْرِيفُ وَالصَّوْبِ وَالضَّبَطِ عَنْ تَقْرِيبِ الْهَذِيبِ .

أحرما جاء منها الخزوبة فقالت: أنا الخزوبة . فقال سليمان : الآن نُعِيْتُ إِلَى نَفْسِي
وَأُذِنَ فِي خِرَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . قَالَ الطَّائِيُّ يَصِفُ عَمُورِيَّةَ :

بِكُرْفَا اقْتَرَعَتْهَا كُفْ حَادِثَةٌ * وَلَا تَرَقَّ إِلَيْهَا هِمَّةُ الثُّوبِ

جَرَى لَهَا الْفَالُ بَرَحًا يَوْمَ انْقَسَرَا * إِذْ غَوْدِرَتْ وَخَشَّةَ السَّاحِلَاتِ وَالرَّحَبِ

لَمَّا رَأَتْ اخْتَبَا بِالْأَمْسِ قَدْ نَحِرَتْ * كَانَ الْخِرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْحَرْبِ ٥

مذاهب العجم في العِافَةِ والاستدلال بها

قُرأت في الآيِن : كانت العجم تقول : إِذَا تَحَوَّلَ السَّبَاعُ وَالطَّيْرُ الْجَلِيَّةُ عَنْ

أَمَاكِنِهَا وَمَوَاضِعِهَا دَلَّتْ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمَشْتَى سَيَشْتَدُّ وَيَتَفَاقَمُ . وَإِذَا نَقَلَتْ الْجُرْذَانُ

بُرًّا وَشَعِيرًا أَوْ طَعَامًا إِلَى رَبِّ بَيْتِ رُزْقِ الزَّيَادَةِ فِي مَالِهِ وَوَلَدِهِ ، وَإِنْ هِيَ قَرَضَتْ شَيْبَاهُ

دَلَّتْ بِذَلِكَ عَلَى تَقْصُرِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ ، فَيُنْبَغِي أَنْ يُقَطَعَ ذَلِكَ الْقَرْضُ وَيُصْلَحَ . وَإِذَا ١٠

شَبَّتِ النَّارُ شَبُوبًا كَالصَّخَبِ دَلَّتْ عَلَى فَرَحٍ شَدِيدٍ ، وَإِذَا شَبَّتْ شَبُوبًا كَالْبُكَاءِ دَلَّتْ

عَلَى حُزْنٍ ، وَأَمَّا النَّارُ الَّتِي تَشْتَمَلُ فِي أَسْفَلِ الْقُدُورِ فَلِئِذَا تَمَلَّتْ عَلَى أَمْطَارٍ تَكَثَّرَ أَوْ ضِيفَ

يُحْمَرُ . وَإِذَا فَشَا الْمَوْتُ فِي الْبَقَرِ وَقَعَ الْمَوْتَانُ فِي الْبَشَرِ ، وَإِذَا فَشَا الْمَوْتُ فِي الْخِلَازِيرِ

عَمَّ النَّاسُ السَّلَامَةُ وَالْعَافِيَةُ ، وَإِذَا فَشَا الْمَوْتُ فِي السَّبَاعِ وَالْوَحُوشِ أَصَابَ النَّاسَ

ضَيْقَةٌ ، وَإِذَا فَشَا الْمَوْتُ فِي الْجُرْذَانِ أَخْضَبَ النَّاسُ . وَإِذَا أَكْثُرَتِ الضَّفَادِعُ ١٥

الْبَقِيْقُ دَلَّتْ عَلَى مَوْتَانٍ يَكُونُ . وَإِذَا أُنْذِرَكَ فِي دَارِ فَشَا فِيهَا مَرَضُ الرِّجَالِ ، وَإِذَا

أُنْتُ دَجَاجَةٌ فَشَا فِيهَا مَرَضُ النِّسَاءِ ، وَإِذَا صَرَخَتْ دِيوْلُكَ صُرَاخًا كَالْبُكَاءِ فَشَا الْمَوْتُ

فِي النِّسَاءِ ، وَإِذَا صَرَخَ الدَّجَاجُ مِثْلَ ذَلِكَ الصَّرَاحِ فَشَا الْمَوْتُ فِي الرِّجَالِ . وَإِذَا تَعَبَ

غُرَابٌ أَسْوَدَ بِلَا وَبَنَهُ دَجَاجَةٌ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى نَحْرَابٍ يُصْمَرُ . وَإِذَا قَوَّقَتْ دَجَاجَةٌ وَجَآوَهَا

غُرَابٌ دَلَّ عَلَى عُمُرَانٍ يَحْرَبُ . وَإِذَا غَطَّ الرَّجُلُ الْحَسِيْبُ فِي نَوْمِهِ بِلُحْزَةٍ وَرَقْعَةٍ ، ٢٠

وَمَنْ نَفَخَ فِي نَوْمِهِ أَفْسَدَ مَالَهُ ، وَمَنْ صَرَّتْ أَسْنَانُهُ فِي نَوْمِهِ دَلَّ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى نِعْمَةٍ ،

- وينبني أن يضرب على فيه بخف متخرق . ومن سقطت قدامه حية من مجرأ صابته
 معزة ومضرة . وإذا رى في الهواء دُخنة وظلمة من غير علة تُخَوِّف على الناس الوباء
 والمرض . وإذا رى في آفاق السماء في ليلة مصحبة كاختلاف النيران عَشِيَّ البلاد
 التي رى ذلك فيها عدو ، فإن رى ذلك وفي البلاد عدو انكشف عنها . وإذا نبح
 ٥ كلب بعد هذاية نجمة بنته دل على أن السراق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما في
 تلك الدار أو ما جاورها . وإذا صفق ديك بجانبه ولم يصرخ دل على أن الخبير
 محتبس عن صاحبه . وإذا أكثر اليوم الصراخ في دار برى مريض إن كان فيها .
 وإذا سُمع لبيت تنقُص تنقُص من فيه عنه ، وإذا عوت ذئب من جبال وجاوبتها
 كلاب من قرى تفاقم الأُمر في التعارب وسفك الدماء . وإذا عوت كلاب
 ١٠ وجاوبتها ذئب كان وباء وموتان جارف ، وإذا أكثر الكلاب في البقعات الهرير
 دلت بذلك على إتيان العدو البلاد التي هي فيها ، وإذا صرخ ديك في دار قبل وقت
 صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بلية قد شارفت تلك الدار ، وإذا صرخت دجاجة
 في دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيرا لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . وإذا أكثر
 ديك التزوان على تكأة رب الدار نال شرفا ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله نحول
 ١٥ وضعة . وإذا ذرق ديك على فراشه نال مالا رغبيا وخيرا كثيرا وذلك إذا كان
 من غير تضييع من حشمه لفراشه ، فإن ذوقت دجاجة على فراشه نالت زوجته
 منه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب
 وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبني مبادئه . وينبني أن يعرف
 كُنه من كان منطيقا لعله لا يبيد العمل ، وحال من كان سيكينا مترمنا لعله
 ٢٠ بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخلق
 فإن بليته وأفته قد صارتا على نفسه ، ويكرهون استقبال الزَّمن والكره الاسم والجارية

- البكر والغلام الداهب إلى المكتب ، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بقران والحيوان الموثق والدابة المقودة وحاملة الشراب والحطب والكلب ، ويستحيون الصحيح البدن الرضى الاسم والمرأة الوسيمة الثيب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التي عليها حمولة من طعام أو تبن أو زيل . وكانوا لا يُحسِّنون عن سماع الملك ألعان المغنيات ويقيض الصوارى وصهيل الخيل والبراذين ويخضون في ميته ديكاً ودجاجة . وإذا أهديت له خيل سُئِنح بها عليه من يساره إلى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُرَّح بها من يمينه إلى يساره .

باب في الخليل

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن شبيب بن غَرَفْدَةَ ^(١) عن عُرْوَةَ [البارقي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «الخليل مقودون بأصحابها الخيل إلى يوم القيامة» .

- حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني أشهل بن حاتم قال حدثني موسى بن علي بن رباح الحمصي عن أبيه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أعد فرساً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فاشتره إذا أدهم أو كُنيتا أفرح أرتم أو محجلاً مُطلقَ اليمين» وفي حديث آخر «فإنها ميامين الخليل ثم أغر تسلم وتتم إن شاء الله» .

- حدثني سهل بن محمد قال أخبرني أبو عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «عليكم بإنات الخليل فإن ظهورها حرز وبطونها كثر» قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب من الدواب الشُّقْر ويقول : «لو جمعت خيل العرب كلها في صعيد (١) زيادة لازمة عن التسعة الألمانية لأن المنسوب إلى بارقي - وهو كما قال السعفي جبل يربط الأزد

فيما نزل يبلد اليمن - عروة بن الجعد بن أبي الجعد البارقي الصماني .

واحد ماسبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المسال خير . قال «سكة مأبورة» يعنى النخل ^(١) «ومُهْمرة مأبورة» يريد كثيرة التاج . قال : وكان يكره الشَّكَّال فى الخليل . [قال أبوذر ^(٢) : ما من ليلة إلا والقوس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم مخزنى لأبْن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحبَّ إليه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدي مطر بن دزاج : أى الخليل أفضل ؟ قال : الذى إذا استقبلته قلت نافر ، وإذا استعرضته قلت زافر ، وإذا استدبرته قلت زاجر . قال : فأى البراذين شر ؟ قال : الغليظ الرقة الكثير الجلبة الذى إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسلنى . قال : فأى البراذين خير ؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عتانه .

١٠ [وصف رجل برذونا فقال : إن تركته نَفس وإن حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخليل الذى إذا استقبلته ألقى وإذا استدبرته جنى وإذا استعرضته استوى وإذا مشى ردى وإذا عدا دسا .

محمد بن سلام قال : أرسل مسلم بن عمرو ابن عم له إلى الشام ومصر يشتري له خيلا فقال : لا علم لى بال خليل قال : ألسنت صاحب قنص ؟ قال : بلى . قال :

- ١٥ (١) أن تكون ثلاث نواتم محبلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضا . قاموس .
(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى القصد القريد « زاجر » ولا معنى له ، ولعل المراد بالزافر عظم الزفرة بالنم وهو وسط القوس ويكون كآلة زافر أبدا من عظم جوفه وإيفارجيته وذلك مما يمدح فى الخليل .

(٤) كذا بالنسخين وفى القصد القريد « زاجر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيت عظم الكفل معه وذلك مما يمدح فى الخليل أيضا .

٢٠ (٥) بجي : انكب على وجهه وقد أوردته فى الأمال « جَنَّا » وهو أيضا بمناء . وقال أبوعل القائل الرديان أن يرحم الأرض رجما بين المشى الشديد والمدح . واللسوان رعى بيديه وبيا لا يرفع سنبكه عن الأرض .

فانظروا، كل شيء تستحسنه في الكلب فاطلبه في الفرس . تقدم بحيل لم يك في العرب مثلها . وقالوا : تميمت خيلا لاختيالها .

وذكر أعرابي فرسا وسرعه فقال : لما نرجعت الخيل جاري بشيطان^(١١) في أشطان فلما أرسلت لآلح لمة صحاب فكان أقربها إليه الذي تقع عينه عليه .

- وسئل رجل من بني أسد : أتعرف الفرس الكريم قال أعرف الجواد المرمي من المبطي^(١٢) المرفوف . أما الجواد المرفوف الذي لمز العرب وأنتف تأنف السيرة الذي إذا عدا أسهل^(١٣) وإذا قيد أجلب وإذا انتصب أتلأب . وأما البطي المرفوف فالمملوك المجبة الضخم الأزنية الغليظ الرقية [الكثير الجلبة] الذي إن أرسلته قال : أمسكني وإن أمسكته قال : أرسلني وأشد الرياضي :

- ١٠ كهر سوء إذا سكنت شربه * رام الحماح فإن رفته سكا
حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أن عمر بن الخطاب شك في العتاق والمهجن ، فدعا سلمان بن ربيعة الباهل فأخبره ، فأمر سلمان بطست فيه ماء فوضع في الأرض ثم قدمت الخيل إليه فرسا فرسا فاستنى منها سنبك فشرب منه ، وما شرب ولم يثن سنبك عربيه . وذلك لأن
- ١٥ (١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفتوغرافية هكذا (جاو الشيطان) الخ في لسان العرب : وومف أعرابي فرسا لا يسمى فقال كأنه شيطان . ولعل أصل عبارة النسخة الفتوغرافية «جا» كأنه شيطان في أشطان» لحرفها التامع كما ترى . (٢) كذا بالفتوغرافية مضبوطا . وفي القاموس : المهور المضرب الخلق والتضير اكتناز الهيم فكانه يريد أن يمدسه بأنه مكتر الخلق كالسير الوحشي ورواقه ما في اللسان ولكه مضبوط بالباء للفاعل ولعله خطأ . وفي الألمانية والعقد الفردي "تيز تيز لير" . وفي اللسان تيزت الدابة إذا نهضت ببدنها للسير . ولعل معناه أنه يتدفع في السير كالدفع العير الوحشي .
- ٢٠ (٣) في اللسان : وإذا أنتف السير وهو يتحرك دفع إليه توم أن السير هنا بمعنى المشي لأن المؤنف هو المهدد من كل شيء ومنه سير (جلد) مؤنف أي مقدود على قدر واستواء والمراد أنه قد حق استوى كما يستوى السير المقدود . (٤) أسهل : مضى . وأجلب : امتد على الأرض . وأتلأب : استوى . (٥) حجة الفرس ما أشراف على صفاق البطن من وركيه ، ومملوكها الذي ليس لحجه إشراف فهي طسا . مستوية . (٦) الأزنية الأثف . (٧) في الأصل الكثير والتصويب عن العقد الفردي .
- ٢٥

في أعناق المَجْنُ قَصراً فهي لا تتال الماء على تلك الحال حتى تتى سناكبها وأعناق العناق طوال .

وحدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعيّ قال : ذكروا أن كسرى كان إذا أتاه سائسه فقال : الفرس يشكى حافره، قال : المطبخ . وإذا قال : يشكى ظهره، قال : البيطار .

وأنشدني أبو حاتم لأبي ميمون العجليّ وهو النضر بن سلمة في شعر طويل له يصف الفرس، وقال قرأته على أبي عبيدة وعلى الأصمعيّ :

الخليل متى أهل ما أن يُدَيَّنَ * وأن يُقَرَّبَ وأن لا يُقَصِّينَ
وأن يُيَايَأَنَّ وأن يُفَدِّينَ * وأن يكون المحصُّ مما يُسْقِينِ
وأهل أن يُعْلِنَ أو يُطْلِنَ * بالطرف والتلد وأن لا يُفْنِنَ
وأهل ما مَحْنِنًا أن يُقْنِنَ * وأهل ما أعْقَبْنَا أن يُجَزِّينَ
أليس عزّ الناس فيما أُلْبِنَ * والحسب الزاكي إذا ما يُقْنِنَ
والأجر والزَّين إذا رَمَّ الزَّين * كم من كريم جدّه قد أعلِنَ
وكم طريد خائف قد أُنْجِمِنَ * ومن فقير عائل قد أَعْنِنَ
وكم برأس في لبان أُنْزِمِنَ * وجسد للعافيات أَعْرِنَ
وأهل حصن ذي امتناع أُرْدِنَ * وكم لها في الغنم من ذى سهمين
يكون فيما اقتسموا كلُّ رُلِينِ * وكم أنْكَحَنَ من ذى طمرين
بغير مهر عاجل ولا دير * والخليل والخيرات في قرينين
لا تشكّين عملاً ما أُنْقِنَ * ما دام عَجٌّ في سُلْحَى أو عين
ما بلل الصوفة ماءً البحرِينِ

(١) يقال لما باي أند، كتابة عن الاحتفاظ بها . (٢) يُؤَرَّن . (٣) في اللسان : وصوف البحرش، على شكل هذا الصوف الحيواني واحدة موفة وفي الأبديات : لا آتيك ما بلّ بحر موفة .

وأُشْدنى أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال : وقال لى أبو عبيدة لا أعرف قائل
هذا الشعر وعرضه لا يخرج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخُزاعي
ذلك وقد أذعر الوحوشا * بَصَلَتِ الخَدْرَجَ لَبَّأَهُ يُجَفِّرُ^(١)
طَوِيلُ نَحْسٍ قَصِيرُ أَرْبَعَةٍ * عَرِيضُ سِتِّ مَقْلُصٍ حَشُورُ^(٢)
حَسَّتْ لَهُ تَسْمَعَةٌ * وَقَدْ عَرِيَتْ * تَسْعُ فُفْيَةٍ لِمَنْ رَأَى مِنْظَرُ^(٣)
ثُمَّ لَهُ تَسْمَعَةٌ كُسِينُ^(٤) * وَقَدْ * أَرْحَبَ مِنْهُ اللَّبَّانُ وَالْمُنْتَقَرُ^(٥)
بَعِيدَ عَشْرِ * وَقَدْ قُرِبَتْ لَهُ * عَشْرٌ وَخَمْسٌ طَالَتْ وَلَمْ تَقْصُرْ^(٦)

- (١) اللَّبَّانُ بالصدر ويجوز فتح الفاء واسع الجفرة وهي من القوس وسطه .
(٢) قمر أبو صفوان الأسدي في قصيدة له إلى مدح فرس وذكر أن ما طال منه تسع وفرسها
ابن الأعرابي بالمتى ووطيخ الرجلين والبطن والذراعين والفخذين . قال أبو علي القتال : وتفسيره غير
موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسمة وتقل عن أبي العباس أن هذا خطأ من
الشاعر ثم ذكر أن الذي يستحب طوله في القوائم ثمانية : وطيخا الرجلين والذراعين والثنى وهي الشعر الذي
في مؤخر الرسع ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب إلى هذا وأراد منها المتى جازو مع قوله .
(٣) عندها صاحب القصيدة السابقة الذكر تسمة فقال ابن الأعرابي في تفسيرها هي أربعة : أرساغه
وروطيخا يديه وعصبيه وساقاه . (٤) حدث في القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الأعرابي في تفسيرها
هي الفخذان والوركوان والأوتظفة . (٥) حَشُورٌ : متضخم الجنتين .
(٦) ذكرت في تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الأعرابي : حديد الخمان : حرقوا به وأذناه وقلبه ومكباه .
كما في أمال أبي علي القتالي ولم يذكر الثامن .
(٧) حدث في تلك القصيدة سبعة . قال ابن الأعرابي السبعة العارية : خذاه وجهه والوجه كله وقوائمها
فكل هذا يستحب فيه أن يكون طاريا من اللحم .
(٨) حدث في تلك القصيدة سبعة وقال ابن الأعرابي السبع المكسوة : الفخذان وحاميتاه . ووركاه
وحصيراجنيه وتهدتاه وهما في الصدر . وغير ابن الأعرابي يقول تهدتاه بالقفا . قال أبو علي القتالي والصحيح
تهدتاه وهما الحصانان اللذان في الزور كالقهلين .
(٩) عند في تلك القصيدة ما قرب منه سيما وما بعد سيما وقال ابن الأعرابي السبع التي قربت يريد بها سبع
شمال حالقة قرب من راسه وسبع شمال رديئة بعدن منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التضميل .
(١٠) راجع قصيدة أبي صفوان الأسدي وشرحها في الأمالي من صفحة ٢٤ - ٢٥٣)

تُفْقِه بِالْحَضِ دُونَ وَلَيْتَا * وَغَضَه فِي آرِيَه ^(١) يُنْشَر
نَصْبَهُ تَارَةً وَتَبْقَهُ * أَلْبَابَ كَوْنٍ رَوَائِمُ أَطْوَر
حَتَّى شَتَا بَادِنًا يُقَالُ أَلَا * يَطْلُونَ مِنْ بَدْثِهِ وَقَدْ أُخْصِرَ ^(٢)
مُوقُّ الْخَلْقِ جَوْشَعٌ عَجِدٌ * مُنْضَجُ الْحَضَرِ حِينَ يُسْتَحْضَرُ
حَاطِي الْحَمَاتَيْنِ لَهُ زَيْمٌ * نَهْدٌ شَدِيدُ الصِّغَاقِ وَالْأَهْوِ ^(٣)
رَقِيقٌ نَحْسٌ غَلِظٌ أَرْبَعَةٌ * نَائِي الْمَعْدِنِ لَيْنَ الْأَشْعَرِ ^(٤)

وقد فسرت هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المعاني في خلق الفرس .

أَشْدُنَا أَبُو سَعِيدٍ لِبَعْضِ الضَّيِّينِ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :

مُتَقَاذِفٌ عِلَّ الشَّوْى شَنِجَ النَّسَا * سَبَاقُ أُنْدِيَةِ الْجِيَادِ عَمِيشِلَ ^(١)
وَإِذَا تَمَلَّلَ بِالسَّيَاطِ جَبَادُهَا * أَحْطَاكَ نَائِلَهُ وَلَمْ يَتَعَلَّ ^(٢)

قِيلَ لَهَا وَضَعْتَ حَرْبَ صِفِّينَ أَوْ زَارَهَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ :

شَبَّتَ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا * مُقَرَّعَ الْحَارِكِ مَرُوءِي النَّبِيجِ ^(٣)

(١) البُضْ : العيين تَفَقَّهَ الْإِيْلُ ، وَالْقَت ، وَالشَّيْرُ وَالْحَنَقَةُ لَا يَشْرِكُهُمَا غَيْرُ . . (٢) الْأَرَى : الْأَخْيَةُ وَهِيَ عَجَسُ الدَّابَّةِ . (٣) يُقَالُ ضَرَّ الْخَيْلَ تَضْمِيرًا : عَلَقَهَا الْقَوْتُ بَعْدَ السَّهْلِ كَأَتَمَرِهَا . قَامُوس .

(٤) الْجَرْشَعُ كَقَفْزَةِ الْعَظِيمِ الصَّدْرِ الْمُتَخَنِّجِ الْبَنِينِ . وَمُنْضَجُ الْحَضَرِ : شَدِيدُ الْعَدُوِّ . (٥) هَكَذَا فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَالْقَوَاعِدُ غَرِيبَةٌ وَذَكَرَ فِي أَسْفَلِ النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ أَنَّ فِي بَعْضِ النُّسخِ خَاطِئًا . وَكِلَاهُمَا غَيْرُ مَنَاسِبٍ لِمَنْ وَلَعَلَّهُ خَاطِئًا بِالْخَاءِ وَالطَّاءِ الْمَجْمُوعَيْنِ فَإِنَّ الْحَمَاتَيْنِ مِنَ الْفَرَسِ الْحَمَتَانِ الْمَجْمُوعَتَانِ فِي ظَاهِرِ السَّابِقِينَ مِنْ أَعْلَاهُمَا وَتَحْتَ خَاطِئًا كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ تَالِمْ كُنْزُ الْهَمِّ أَوْ التَّلِيطُ الصَّلْبُ . وَلَهُ زَيْمٌ : مَكْنَزٌ .

وَالصِّغَاقُ فَهْرُ الْأَصْحَى فِي كِتَابِ الْفَرَسِ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْجِلْدُ الْأَسْفَلُ الَّذِي تَحْتَ الْجِلْدِ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّعْرُ وَالْأَهْوِ : عَرَقٌ فِي الظَّهْرِ . (٦) الْمَدَانُ : مَوْضِعٌ دَقِيقُ السَّرِجِ . وَالْأَشْعَرُ : مَا اسْتَدَارَ بِالْخَافِرِ مِنْ مَتْنِ الْجِلْدِ .

(٧) مُتَقَاذِفٌ : مَرِيعٌ . وَعِلَّ الشَّوْى : غَلِظَ الْقَوَائِمُ . وَالنَّسَا : عَرَقٌ مِنَ الْوَلَكِ إِلَى الْكَلْبِ . وَشَنِجَ النَّسَا مَعْنَاهُ وَهُوَ مَدْحُ الْفَرَسِ لِأَنَّهُ إِذَا شَنِجَ نَسَاهُ لَمْ تَسْرُخْ رِجْلَاهُ . وَالْعَمِيشِلُ : التَّشْيِيطُ . (٨) فِي الْقَوَاعِدِ غَرِيبَةٌ وَمَا يَتَمَلَّلُ وَهَذَا إِذَا صَبَحَ إِذَا كَانَتْ الْقَائِمَةُ مَرْفُوعَةً . عَلَى أَنَّهُ فِي الْعَدِّ الْفَرِيدُ أَوْ رَدَّ هَذَا الشَّرْعُ عَلَى نَحْوِ مَا فِي الصَّلْبِ . (٩) الْحَارِكِ تَاجِلُ الْكَاهِلِ ، وَالنَّبِيجُ بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظَّهْرِ .

بُرْشَعًا أَعْظَمَهُ جُفَسَرَتُهُ * فَإِذَا ابْتَسَلَ مِنَ الْمَاءِ حَرَجٌ
يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدِّ فَإِذَا * وَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَصِجٌ^(١)

ووجدت في كتاب من كتب الروم أن من علامة قرأة المهر الحولى صغر رأسه
وشدة سواد عينيه وأن يكون مُحَدَّ الأذنين أبعد باطنها كثيف العُرف، في عرفه ميل
من قِبَل يمين راحته عريض الصدر مرتفع الهادى معتدل العضدين مكتنزا للجنين
طويل الذنب عريض الكفَل مستدير الحوافر صحيح باطنها، ومن علامة قرأة المهر
الآ يكون نفورا [ولا يقف عند دابة إلا مع أمته] وإذا دفع إلى عين أو نهر ماء لم يقف
لتجاوزه دابة فيسير بسيروا ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا: وما يسم الله به الخيل من العين وأشباه ذلك أن يُحْمَل في أعناقها خرزة
من قرون الأيائل .^(٢)

١٠

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سفيان عن حصين بن عبد الرحمن
عن هلال بن إساف وعن محمد بن نوفل قالا : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود
ونحن نعرض المصاحف، بغامت جارية إلى سيدها فقالت : ما يجلسك؟ قم فابتنق لنا
راقيا فإن فلانا لقع مهرك بعينه فتركت يدور كأنه فلك . فقال عبد الله : لا تبتنق راقيا
ولكن اذهب فأقيت في متخره الأيمن أربعا وفي الأيسر ثلاثا ثم قل : بسم الله لا بأس
لا بأس اذهب الباس رب الناس وأشف أنت الشافي لا يكشف الضراء إلا أنت .
قال : فما قمنا حتى جاء الرجل فقال : قد فعلت الذي أمرتني به فبال وراث وأكل .

١٥

حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة أنه قال : إذا كان الفرس صالوا لا يبرق سقيته
ماء قد دُفَّت فيه نخيرة أو طفتة ضفتنا من هندباء فإن ذلك يكثر عرقه ، فإن حمرأ دخلته^(٣)

٢٠

(١) في الفهرستانية «فإذا وت الخيل من الشج» . والثد : العدو . ومع كنع : أسرع . (٢) الأيائل
جمع أيال وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا يمينه : أسابه بها . (٤) حر الفرس كفرح : سقى (نحم)
من أكل الشعر أو قنعت راحة فيه اه قاموس .

الحمام وأشمه عذرة . قتل لأبي عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا ؟ فقال : خبرني به جل الهندى وكان بصيرا . قال : فإن أصابته مقله وهى وجع البطن من أكل التراب أخذله شىء من بوريق فلق ونحل بفعل فى ريع دورق من نجر حفن به وبلى تراب طبب ببول أتان حتى يصير طينا ثم نطخ به بطن الدابة . قال : ومما ينهب العرن دماغ الأرنب .

وقف الهيثم بن مطهر على باب الخيزران على ظهر دابته ، فبعث إليه الكاتب فى دارها : أنزل عن ظهر دابتك فقد جاء فى الأمر : لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس . فبعث إليه : لى رجل أعرج وإن خرج صاحي خفت ألا أدركه . فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حبيس إن أنزلنى عنه إن أقصمته شهرا فانظر أيا خير له ، راحة ساعة أو جوع شهر ؟ فقال : هذا شيطان ، أتركوه .

باب البغال والحير

قال مسلمة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العذار طويلة العنان . وكتب رجل إلى وكيله : أغنى بغلة حصاء الذنب طويلة العنق سوطها عنانها وهوأها أمامها . عاتب الفضل بن الربيع بعض بنى هاشم فى ركوبه بغلة ، فقال له : هذا مركب تطاطأ عن خيلاء الخيل وأرضع عن ذلة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمى قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سيرة بأهل المزدلفة أربعين سنة على حمار لا يعتل ، فقالت العرب : « أصم من عير أبى سيرة » . قال رجل للفضل القاشى وهو جد معتبر لأئمة : إنك لتؤثر الحير على جميع المركوب ، فلم ذلك ؟ قال : لأنها أكثرها مرفقا . قال : وما ذاك ؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأبسرها دواء وأسلم صريعا وأسهل نصريفا
وأخفص مهوى وأقل جحاسا وأشهر قاريها وأقل نظيرا ويزي راكمه وقد تواضع
بركوبه، ويكون مقتصدًا وقد أسرف في ثمنه . وقال خالد بن صفوان في وصف
حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكدّاد ^(١) أخضر السريال ^(٢) مملج القوائم يحمل الرجلّة ويبلغ
العقبه ويعتني أن أكون جبارا عنيدا .

وقال رجل لنخاس : اطلب لي حمارا ليس بالكبير المشتهر ولا القصير المحترق
ولا يقدّم تمحّا ولا يحجم تبلا ^(٣) يتجنب بي الزحام والرّحام والإكام خفيف اللجام إذا
ركبته هام وإذا ركبته غيرى قام، إن علقته شكر، وإن أجمته صبر. فقال له النخاس :
إن مسخ الله القاضي زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله. وقال
رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن
الغراب كتمان له للسفاد .

جرير بن عبد الله ^(٤) عن أبيه قال : لا تركب حمارا فإنه إن كان فارها أتعب يديك
وإن كان بيذا أتعب رجليك .

باب في الإبل

الميثم قال قال ابن عياش ^(٥) : لا تشتري خمسة من خمسة : لا تشتري فرسا من أسدى ولا
جملا من نهدي ولا عيرا من تميمي ولا عبدا من بجلي . ونسي الميثم الخامس، يريد
أن أهل هذه القبائل عظام الجلود في هذه الأشياء . قيل لبني عيس : أي الإبل

- (١) خلل ثقب إليه الحر - فاموس . (٢) كذا يهاش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما
في القنوغرافية «يغيب» . (٣) في النسخة القنوغرافية «عبدالجيد» وهما واردان مما في كتب التراجم .
(٤) كذا في القنوغرافية وفي الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية القنوغرافية أصح إذ لم تقف في ترجمة
ابن عباس على أن الميثم روى عنه، ولعل ههنا هو الميثم بن خارجة الخراساني فقد روى عن إسماعيل بن عياش
كما في تهذيب التهذيب لابن حجر المسلق .

أصبر عليكم في محاربتكم ؟ قالوا لعلكم الجهاد . قيل : فأى الخليل وجدتم أصبر ؟ قالوا : الكنت الحو . قيل : فأى النساء وجدتم أصبر ؟ قالوا : بنات العم .

المدايني قال قال شبة بن عقال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتني الحج ، ومعى ثلاثة أجمل فررت برجل من أهل اليمن على ناقه له فطويته فلما جُرته قام بي بغير لي ثم أتمر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتني فتر بي اليماني فقال :

مررت بنا ولم تسلم ولم تعرض . فقلت : أجل يرحمك الله . قال : أطيعت نساً عما أرى ؟ قلت : نعم . فترل فارخى أنساع رحله ثم قدمه فكاد يضعه على عنقه ثم شدته وقال لي : لولا أنك لا تضبط رأسها لقدمتك . ثم قال لي : خذ حرمناك إن لم تطب نساً به ففعلت ، ثم ارتدت فجعلت نعوذ صوما ثم انسلت كأنها ثعبان يسيل

سيلا كالسقاء فما شعرت حتى أراى الأعلام وقال : أسمع ؟ فسمعت أصوات الناس فاننا نحن يجمع ، ففضيت يميني ، وكان قال لي : حاجتي إليك ألا تذكر هذا فإن هذه

عندى أثر من ولاية العروض معنى مكة والمدينة ، أدرك عليها الثاروهى ثمّال العيال وأصيد عليها الوحش وأوافى عليها الموسم فى كل عام من صنعاء فى أقل من غيب الحمار فسألته : من أين هى ؟ قال : بُجَاوِيَّة من هَوَايِ نتاج [بدو] بَيْجِلَة الأولى وهى من المهاوى التى يذكر الناس .

[وكتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله : أصب لي نجائب كراماً . فقدم رجل على جمل سباعي عظيم الهامة له خلق لم يروا مثله قط فساموا ، فقال : لا أبيعهم . قالوا : لا تدعك ولا نغصبك ولكننا نكتب إلى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا من هذا ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : معكم نجائب كرام وخيل ساقية ، فدعوني أركب

(١) فى القترغرافية "قد كان ذلك رحل الله" . (٢) هى المزدلفة وصيت بذلك لاجتماع الناس بها (٣) زيادة فى النسبة الألمانية .

جعل وأتبعوني فإن لحقتهموني فهو لكم خير من . قالوا : نعم . فذنا منه فصاح في أذنه ثم آثاره فوثب وثبة شديدة فبكا ثم أنبعث وأتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يروا له أثرا فجعل أهل اليمن علما على وثبته يقال له : الكفلان .

أخبار الجبناء

- حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعي قال : أرسل عبيد الله بن زياد رجلا في ألفين إلى مرداس بن أدية وهو في أربعين فهزمه مرداس فغفاه ابن زياد وأغفل له فقال : يستغنى الأمير وأنا حي أحب إلي من أن يدعوني وأنا ميت . فقال شاعر الطوارج :

ألفا مؤمن منكم زعتم * وهزمهم بأسك أربعونا

- ١٠ كذبتم ليس ذلكم كذاكم * ولكن الطوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة ينصروننا

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عون عن الحسن قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ألتقت فتتان قط إلا وكف الله بينهما فإذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفّه عليهما » . [ورفع معاوية شُدُوته بيده وقال : لقد علم الناس أن الخليل لا يجرى بمثل ، فكيف قال النجاشي :

- ١٥

ويحى ابن حرب سابق ذو علالة * أجش هزيم والرماح دَوّاني [

ابن دأب قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعاني أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟ فقال :

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة * ولّا تكن لي فرصة لجبان

شهد أبو دلالة حرباً مع رَوْح بن حاتم فقال له : هتَم فقاتل . فقال :

إني أعود بِرَوْح أن يقدمني * إلى القتال فتخزي بي بنو أسد
إن المهلب حبّ الموت وزنكم * ولم أُوْث^(١) حبّ الموت عن أحد

أبو المنذر قال ، حدثنا زيد بن وهب قال ، قال لي علي بن أبي طالب رضى الله
• عنه : عجباً لابن النابغة ! يزعم أنى تطابة أعافيس وأماريس ! أما وشتر القول أكذبه ،
إنه يسأل فيلحيف ويسأل فيبخل ، فإذا كان عند البأس فانه أمرؤ زاجر مالم تأخذ
السيوف مأخذها من هام القوم ، فإذا كان كذلك كان أكبرهم أن يُرْفِطَ ويمسح
الناس أسنانه . قبحه الله وترحه . وقال الفرار السلى :

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى إذا التبت نفضت بها يدي
وتركتهم تحصّ الرماح ظهورهم * من بين منجبل وآثر مسند
ما كان ينبغي مقال نسايمهم * وقُلت دون رجالهم : لا تبعيد

وقال آخر :

أضحت تشجني هند وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب
ولا والذي حجت الأنصار كعبته * ما ينشئ الموت عندي من له أرب^(٢)
للحرب قوم أضل الله سعيهم * إذا دعهم إلى حوْبائها وشبوا^(٣)
ولست منهم ولا أبني فعالمهم * لا القتل يعجبنى منها ولا السلب
وقال أيمن بن حريم :

إن للفتنة ميّطاً ينسأ^(٤) * فزويد الميّط منها يستدل

(١) كما بالنسخين ، وفي الأصل : « وما وُثت اختيار الموت عن أحد » .

(٢) رواه في العقد الفريد « لا والى مع الأبطال روية » . (٣) في النسخة الألمانية « نيرانها » .

(٤) هكذا في النسخين الألمانية والقنوغرافية ، وفي العقد الفريد « ما جلا » .

فإنّا كلّ عطاء فاتهم * وإذا كانت قتال فاعتزل

إنما يُسرّها جُهاًلها * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر :

كلّني الأعتة من كفّه * وقاد الجياد بأذنانها

وقال جرّان القودفي النهش :

يوم ارتحلت برجل قبل تودعني * والقلب مستوهلّ بالين مشغول

ثم اعتضضتُ على نضوى لأدفعه * إثر الحول التّوادي وهو معقول^(١)

كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة [من] الرافضة وهو من بجيلة فقال من النهش : أطعموني ماء . فذكره بعضهم فقال :

عاد الظلوم ظليماً حين جدّ به * واستطعم الماء لما جدّ في الحرب

وقال عبيد الله بن زياد إما للكنة فيه أو لبلن أودهشة : اقتحوا سيوفكم .

وقال ابن مفرغ الحميري :

ويوم فصحت سيفك من بعيد * أضعت وكلّ أمرك للضباع

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيراً :

أكل الجبان يرى أنه * سيقتل قبل انقضاء الأجل

قد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطّل

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه

طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي ، فلا نأمت أعين الجبناء .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفي القنوغرافية « اغترزت » بالراء المهملة وهو محرف عن

« اغترزت » بإزاي المحجمة وبمهاء ركبت وأصله وضع الرجل في الفرز وهو الركاب . (٢) في النسخة

الألمانية « وهو مول لبجيلة » . (٣) كذا بالنسخة القنوغرافية ، وفي النسخة الألمانية « أموت

على فراشي كما يموت البير » وفي العقد الفريد « ثم هاأنذا أموت حتف قسي كما يموت البير » .

[^(١)قيل لأعرابي : ألا تنزوي إن الله قد أنذرك . قال : والله إلى لأبغض الموت
على فراشي فكيف أمضي إليه ركعاً !] وقال قرواش بن حوط وذكر رجلين :
ضُبّاً بجَاهِرَةٍ وليتا هُدنة * وتُجِيلَا نَحْرَانَا مَا أَظْلَمَا

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله بن خالد :
إذا صَوَّتَ الصُّفُور طَارَ فُؤَادُهُ * وليتُ حَلِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
ويحويه قول الآخر^(٢) :

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسُومَةٌ تَقْعُو عَيْدًا وَأَزْمًا .
وقال الله جل وعز : (يَحْسِبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ) .
ومن أشعار الشُّطَار في الجلبان :

رأى في النوم إنساناً * فَوَارَى نَفْسَهُ أَشْهَرُ
قال ابن المقفع : الجبن مَقْتَلَةٌ والحرص مَحْرَمَةٌ فانظر^(٣) (فما رأيت وسمعت) : من قُتِلَ
في الحرب مقيلاً أكثر أم من قُتِلَ مدبراً ؟ وانظر من يطلب إليك بالإجمال والتكريم أحق
أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب إليك بالشره والحرص ؟ وقال حنشل^(٤)
ابن عمرو :

وأتم سماء يسحب الناس رِيْزَهَا * لها زَجَلٌ باقٍ شَلِيدٌ وَيَبْدُهَا
تَقَطَّعَ أَطْنَابُ الْبُيُوتِ بِمَاصِبِ * وأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرَقَها ورعودها
فويلُها خَيْلاً تَهَاوَى شِرَارُهَا * إذا لاقَتِ الأعداءَ لولا صدودُها

(١) زيادة في النسخة الألمانية - (٢) هو النوام بن شاذب الشيباني - (٣) هكذا في النسختين
المتفرغتين والألمانية وفي المقد القرطيد "صغورا" .

(٤) نسب هذه الأبيات في الحاشية لفراد بن حنشل الصاردي وروى البيت الأول :

وأتم سماء يسحب الناس رِيْزَهَا * أبْدَةٌ تَحْيَى شَلِيدٌ وَيَبْدُهَا
فويلُها خَيْلاً يَهْأَنُ وَشَارَةً * إذا لاقَتِ الأعداءَ لولا صدودُها

وقال الفرزدق أو البيهقي :

سائل سَلِيْطًا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَفْرَعَهَا * مَا بِالْ خَيْلِكُمْ نَفْسًا هَوَايَهَا

لا يرفعون إلى داغ أَعْتَبَهَا * وفي جَوَاشِيْهَا دَاءٌ يُخَايَهَا

كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عمرو بن مرثد ويكنى أبا الأغرة يتزل

بني أخته له في سكة بني مازن، وبني أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم

في شهر رمضان وخرج النساء يصلين في مسجدهم فلم يبق في الدار إلا الإمام فدخل

كلب يمتس فرأى بيتا فدخله وأنصفق الباب فسمع الحركة بعض الإمام فظنوا أن لصا

دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأغرة فأخبرته، فقال أبو الأغرة: ما يبتغي اللص؟ ثم

أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا ملأمان، أما والله إنك في لعاف

فهل أنت إلا من لصوص بني مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت القلوح

في رأسك منتك تفسك الأمانى وقلت: أطرق ديار بني عمرو والرجال خُوف والنساء

يصلين في مسجدهم فاسرقهم . سوء لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله

لتخرجن أولاهن هتمة مشؤومة يلتقي فيها الحيان عمرو وحظلة ونجى سعد بعدد

الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود .

فلما رأى أنه لا يحميه أحد أخذ باللين فقال : انخرج يا بني وأمي، أنت مستور، إني

والله ما أراك تعرفني ولو عرفني لقتعت بقولي وأطمانت إلى . أنا — قد بشك —

أبو الأغرة التهلى، وأنا خال القوم وجدة بين أعينهم لا يعصوني، ولن تضار الليلة

فأخرج فأت في دمتي وعندى قوصرتان أهداهما إلى ابن أختي البازر الوصول فخذ

إحداهما فانقذها حلالا من الله ورسوله . وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا

سكت وتب يربغ المخرج، قتهاق أبو الأغرة ثم تضاحك وقال : يا ألام الناس

وأوضعم، لا أرى إلا أني لك الليلة في واد وأنت لي في واد، أظن السوداء

والبيضاء فُصِيخٌ وَطَرِقٌ ، وإذا سَكَتُ عَنْكَ وَثَبْتَ تُرِيعَ المَخْرَجُ ، والله لصُخْرَجٍ
أَوْ لَأَبْلَجٍ عَلَيْكَ الْبَيْتُ . فلما طَالَ وَقُوفُهُ جَاءَتْ إِحْدَى الإِمَاءِ فَقَالَتْ : أَعْرَابِي
مَجْنُونٌ ، والله مَا أَرَى فِي الْبَيْتِ شَيْئًا ، فَدَفَعَتْ الْبَابَ فَخَرَجَ الْكَلْبُ شَدًّا وَحَادَ عَنْهُ
أَبُو الْأَعْرَضِ سَاقِطًا عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا اللَّهَ مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ ! والله مَا أَرَاهُ إِلَّا كَلْبًا ،
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتَ بِجَلَالِهِ لَوَلَّيْتُ عَلَيْهِ .

وشبهه بهذا حديث لأبي حية التميمي ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ،
وكان يسميه لُعَابَ الْمَنِيَةِ . قال جاره له : أَشْرَفْتَ عَلَيْهِ لَيْلَةً وَقَدْ أَتَتْهُ وَشَمَّرَ وَهُوَ
يَقُولُ : أَيُّهَا الْمَغْتَرَّبُ بَنَاهُ وَالْمَجْتَرِي عَلَيْنَا ، بئسَ والله مَا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ ، خَيْرٌ قَلِيلٌ وَسَيْفٌ
صَقِيلٌ ، لُعَابَ الْمَنِيَةِ الَّذِي سَمِعْتَ بِهِ ، مشهور ضَرْبَتُهُ لَاتَخَافُ نَبُوتهُ ، أَخْرَجَ بِالْعُقُوفِ
عَنْكَ وَإِلَّا دَخَلْتُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَيْكَ ، إِنِّي وَاللَّهِ إِنِّي أَدْعُ قَيْسًا تَمْلَأُ الْأَرْضَ خَيْلًا
وَرَجُلًا . يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا أَكْثَرَهَا وَأَطْلِيهَا ! ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ فَإِذَا كَلْبٌ قَدْ خَرَجَ ،
فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَكَ كَلْبًا وَكَفَانِي حَرْبًا .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ : يَخَافُ غَيْرَ الْمَخُوفِ طَائِرٌ يَرْفَعُ رَجْلَيْهِ خَشْيَةَ السَّمَاءِ
أَنْ تَسْقُطَ ، وَطَائِرٌ يَقُومُ عَلَى إِحْدَى رَجْلَيْهِ حِذَارَ الْخَسْفِ إِنْ قَامَ عَلَيْهِمَا ، وَدَوْدَةُ تَأْكُلُ
الْتَرَابَ فَلَا تَشْفَعُ خَوْفًا أَنْ يَفْنَى إِنْ شِيعَتْ فَتَجُوعُ ، وَالْخَفَافِيشُ تَسْتَبْرِئُ النَّهَارَ حِذَارَ
أَنْ تُصْطَادَ لِحَسَنًا .

يُنَادِي عَبْدُ اللَّهِ بْنِ خَازِمِ السُّلَمِيِّ عِنْدَ عِيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ بِجُرْحٍ أبيضَ
فَصَجَبَ مِنْهُ وَقَالَ : يَا أَبَا صَالِحٍ ، هَلْ رَأَيْتَ أُعْجِبُ مِنْ هَذَا ؟ وَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ قَدْ تَضَاعَلَ
حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ فَرْخٌ وَأَصْفَرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ جَرَادٌ ذَكَرٌ . فَقَالَ عِيْدُ اللَّهِ : أَبُو صَالِحٍ يَعْصِي
الرَّحْمَنَ وَيَتَهَوَّنُ بِالشَّيْطَانِ وَيَقْبِضُ عَلَى الثَّعْبَانِ وَيَمْسِي إِلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ وَيَلْقَى الرَّمَاحَ
بِوَجْهِهِ قَدْ اعْتَرَاهُ مِنْ هَذَا الْجُرْحِ مَا تَرَوْنَ ! إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ !

(١) كَذَا بِالسَّخِينِ ، وَفِي الْمَقَدِّ التَّرِيدِ : « وَيَتَهَوَّنُ بِالشَّيْطَانِ » .

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانهمز، فقال فيه حسان :

إن كنت كاذبة الذي حدثني * فنجوت مني الحارث بن هشام
ترك الأجابة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طيمسرة وبلام
فاعتذر الحارث من فراره وقال :

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا قريش بأشقر منهد
وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يضر عدوي مشهدي
فصدت عنهم والأجابة فيهم * طمعا لم يعقاب يوم مفسد^(١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، وخرج في زمن عمر من مكة الى الشام بأهله وماله ، فاتبعه أهل مكة فيكون ، فرق ويكي ثم قال : أما إنا لو كنا نستبدل دارا ١٠ بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا ، ولكنها الثقلة الى الله ، فلم يزل هنالك مجاهدا حتى مات .

المداخني قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له : ثم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك ؟ قال : أضحك من حضور ذهتك عند إبدائك ١٥ سوءتك يوم ابن أبي طالب ، أما والله لقد وافقته منانا كرماء ، ولو شاء أن يقتلك لقتلك . قال عمرو : يا أمير المؤمنين أما والله إنى لمن عيبك حين دناك الى البرأز فاحولت عينك ورأى تحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أودع .

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكفانة ، فبعثت اليه أم البتین بنت عبد العزيز بن مروان فقالت : من هذا الأعرابي المستلم في السلاح عندك وأنت في غلالة ؟ فبعث اليها أنه الحجاج ، فأعادت ٢٠

(١) هكذا في النسخين الألمانية والفرنسية ، والتي في المعارف للصف " يوم سرمد " .

الرسول إليه، فقال: تحول لك والله لأن يغلوبك ملك الموت أحياناً أحب إلى من أن يغلوبك الجحاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال: يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزعر القول فإنما المرأة رِيحانة وليست قَهْرَمَانَةٌ فلا تُطْلِمها على شرك ومكايبة عدوك . فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الجحاج فقالت: يا أمير المؤمنين حاجتي أن تأمره غداً بأن يأتيني مستلماً، ففعل ذلك وأنها الجحاج فحجبت فلم يزل قائماً، ثم قالت: إيه يا جحاج، أنت المتهن على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برى الصكبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الإسلام، وأما نبيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فإن كنت ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نفّض نساء أمير المؤمنين الطيب من غداثرهن فيعنه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن قد أظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجباك الله من عدو أمير المؤمنين بمحبهم إياه، قاتل الله القاتل حين نظر إليك وستان غزالة بين كفتيك:

أسد حل وفي الحروب نعامه * قَتَّخَهُ تَتَفَر من صغير الصافر

هلا كررت على غزالة في الوعى * بل كان قلبك في جوائنخ طائر
وغزالة امرأة شبيب الخارجي . ثم قالت: أنزعج، نخرج .

وكان في بني ليث رجل جبان بجيل فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناساً من بني سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعروا الرجل إلا بجيل قد أحاطت بهم فذهب يفر فلم يجد مقراً، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم تشل كنانته وأخذ قوسه وقال:

(١) في النسخة القترغرافية "القوت" . (٢) هو عامر بن ثابت كما في اللسان مادة (عبل) ورواه

ماطى وأما طب خاتل * والقوس فيها وتر خاتل

* نزل من صفحة المائل *

ما عَسَى وَأَنَا جَدُّ نَابِلٍ * وَالْقَوْسُ مِنْ نَبْعٍ لَهَا بَلَّالٌ
يَرِزُ فِيهَا وَتَرَعَاتِيسٌ * إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ غَاتِي هَامِلٌ
أَكُلُّ يَوْمٍ أَنَا عَنْكُمْ نَاكِلٌ * لَا أُطِيعُ الْقَوْمَ وَلَا أَقَاتِلُ
* الموت حق والحياة باطل *

- ثم جعل يرميهم حتى رذهم ، وجاءهم الصريح وقد منع الحى ، فصار بعد ذلك شجاعا سمعا معروفا .

- ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وجه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجهه معه روح بن زنباع الجندى كالوزير ، وكان روح رجلا عالميا داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارا أو تخوفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا في إخراجهم عنهم فكتبوا ليلا على بابهم :
١٠ إِنْ ابْنُ مَرْوَانَ قَدْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ * فَاحْتُلْ لِنَفْسِكَ يَا رُوحُ بْنُ زَنْبَاعٍ

- فلما أصبح ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه في الشيوخ فاذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك ؟ قال : يا أمير المؤمنين تركت أخاك مقتولا أو مغلوبا . قال : كيف عرفت ذلك ؟ فأخبره الخبر فضحك
عبد الملك حتى خَصَّ برجليه ، ثم قال : احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم .
١٥ كان أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ بْنُ أَسِيدٍ وَجَّهَهُ إِلَى أَبِي قُدَيْكٍ فَلَانْهَزَمَ وَأَتَى الْجَبَاجِ
بِدَوَابٍّ مِنْ دَوَابِّ أُمَيَّةٍ قَدْ وُسمَ عَلَى أَنْفَازِهَا "مُدَّة" فَأَمَرَ الْجَبَاجِ فَكَتَبَ تَحْتَ ذَلِكَ : "لِلْفَرَارِ" .

- [وقال عمر رضى الله عنه : إِنْ الشَّجَاعَةُ وَالْجَبْنُ غَرَّازَتِ فِي الرِّجَالِ ، تَجِدُ الرِّجُلَ
يُقَاتِلُ عَمَّنْ لِيَايَالَى أَلَا يُؤَوِّبُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَتَجِدُ الرِّجُلَ يَفِرُّ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَتَجِدُ الرِّجُلَ
يُقَاتِلُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ فَذَلِكَ هُوَ الشَّهِيدُ] .
٢٠

وقال الشاعر:

يفتر الجبابرة عن أبيه وأمه * ويحيى شجاعُ القوم من لا يناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدثني أبو حاتم قال حدثني الأصمعي قال سمعت الحرملي يقول: رأيت من الجبل والشجاعة عجبا . استترت^(١) من مزرعة في بلاد الشام رجلين يُدريان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمس، والآخر مثل الجبل عظماء، قاتلتا الأصيفر بالمدري لا تدنو منه دابة إلا تخس أهنها وضربها حتى شق علينا قتل، ولم تصل إلى الآخر حتى مات فرقا فامرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجبل يشخض في مثل كوز من ماء .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصقار قال : حاصر مسلمة حصنا فندب الناس إلى نقب منه ، فادخله أحد . فجاء رجل من عراض الجيش فدخله ففتح الله عليهم ، فنادى مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد ، فنادى : إني قد أمرت الأذن بإدخاله ساعة يأتي ، فمزمت عليه إلا جاء . فجاء رجل فقال : استأذن لي على الأمير . فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا : ١٥ ألا تسودوا اسمه في صحيفة [إلى الخليفة] ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو . قال : فذاك له . أنا هو . فكان مسلمة لا يصل بملها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

(١) كذا بالألمانية ، وفي الفوتوغرافية "أخيس" ولعله "أحيش" معمر أحسن وهو دقيق الساقين .

(٢) في الألمانية "عائز" ولم نشرطه في كتب التراجم ، ولعله حماد بن واقد أبو عمرو الصقار كما في كتب التراجم . (٣) زيادة في الألمانية .

حدثني محمد بن عمرو الجرجاني قال كتب أنوشروان إلى مرازبته : عليكم بأهل
الشفاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابي قوماً تحاربوا
فقال : أقبلت الفحول تمشي منى الوُعرول ، فلما تصالحوا بالسيف ففرت المنايا
أفراعها . وذكر آخر قوماً اتبعوا قوماً أغاروا عليهم فقال : آحتشوا كلَّ جمالية عيرانية
فازالوا يَحْصِفُونَ أخفافَ المطيِّ بموافر الخليل حتى أدركهم بعد ثلاثة بلغلوا المرائن
أرضية الموت واستقوا بها أرواحهم .

حدثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهمنا من قَطْرَى
وأصحابه فأدركني رجل على فرس فسمعت حساً منكراً خلفي ، فالتفت فإذا أنا بقَطْرَى
فبست من الحياة فلما عرفني قال : أشدُّ عنانها وأوجع حاصرته قطع الله يدك .
قال : ففعلت فنجوت منه .

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال : لما غرق شبيب ^(١) [قالت امرأة : الفرق
بأمر المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال فـ] أخرج فشُق بطنه وأُخرج فؤاده
فإذا مثل الكوز ، بلغلوا بضر يون به الأرض قيترو .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا صاحب لنا عن أبي عمرو بن العلاء
قال : لما كان يوم الكلاب نرج رجل من بني تميم ، أحسبه قال : سَعْدِي ، فقال :
لو طلبت رجلاً له فداء ! قال : نفرجت أطلبه ، فإذا رجل عليه مقطعة يمانية على
فرس ذئوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يساري أقصد لي . قلت : أيها
منك المين . قال : العراق مني أبعد . قلت : وتالله لا ترى أهلك العام . قال
لا والله ولا أهلك لا أراهم . قال : قتركتك ولما كان بعد أيام ونعت فتته بعد ذلك ،
فقبل لي : هو وطلّة الجرحى .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

حدثنا محمد بن عيسى عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قبل خراسان فيهم المدؤ ليلاً وقرقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففزع الناس وكان أول من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول :

إني على كل رئيس حقاً * أن يَحْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَدَقَّ

ثم حل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحاب الطبل الصوت انهزموا . ثم حمل على الكردوس^(١) الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم المدؤ فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مَرُورُ الرُّودِ .

١٠ سأل ابن هُبيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل من حضر : سألنا وكيع ابن الدَّورِيقَةَ كيف قتلته ؟ قال : غلبته بفضل فتاء كان لى عليه فصعته وجلس على صدره وقلت له : يا لأرأتِ دَوِيلَةَ . يعنى أخاه من أبيه . فقال من نحى : قتلك الله ! قتل كهش مضر بأخيك وهو لا يساوى كف نوى ! ثم تنعم فلأ وجهى تُنْخَامة ، فقال ابن هُبيرة : هذه والله البسالة ! استدل عليها بكثرة الرقيق في ذلك الوقت .

١٥ قال هشام لمسلمة : يا أبا سعيد هل دخلك دُعر قط لحرب [أو عدو] قال : ما سلبت في ذلك من دعر ينه على حيلة ولم يَفْشَى فيها دعر سلبنى رأى . قال هشام : هذه البسالة .

(٣) خرج رُهم بن حَزَم الهلالي ومعه أهله وماله يريد الثُقلة من بلد إلى بلد فلقبته ثلاثون رجلاً من بنى تَغْلِبَ فعرفهم ، فقال : يا بنى تغلب ، شأنكم بالمسال وخلوا

(١) الكردوس : الكتبة من الخيل في الحرب . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في النسخة الألمانية « زعيم » ولم تشر على ما يرجح إحدى الروايتين .

الظليعة . فقالوا : رضىنا إن ألقيت الرمح . قال : وإن رمى لى !! وحمل عليهم
فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال :

رُداً على آخرها الأثاليا * إن لها بالمشرق حداً
* ذكّرتنى الطعن وكنتُ نأباً *

قال الزبيرى : ما استحيا شجاع أن يفتر من عبد الله بن خازم السلمي وقطري
ابن الفجاعة .

أبو البقطان قال : كان حبيب بن عوف العبدي فاتكاً، فلقى رجلاً من أهل الشام
قد بعثه زياد ومعه ستون ألفاً يتجربها فسايره، فلما وجد غفلة قتله وأخذ المال فقال
يوماً وهو يشرب ^(١) [على لذته] :

- ١٠ يا صاحبي أقلاً اليوم والمذلاً * ولا تقولاً لشيء فات ما فعلنا
رُداً على كُبت اللون صافية * إني لقيت بأرض خالبا رجلا
ضخم الفرائض لو أبصرت قته * وسط الرجال إذن شبهته بجلا
ضاحكته ساعة طورا وقلت له * أنفقت ببعك إن ريتنا وإن عجلنا^(٢)
سايرته ساعة ما بي عفاقه * إلا التلفت حولي هل أرى دغلا
١٥ ظدرته بين أجرام ومُسبحة * لم يدْرِ غيري بعد ما فعلنا
يدعو زيادا وقد حانت منيته * ولا زياد لمن قد وافق الأجلنا

- المفضل الضبي : كان سُلَيْك بن سُلَيْكة التيمي من أشد فرسان العرب وأذكهم
وأذل الناس بالأرض وأجودهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل وكانت أمه سوداء
وكان يقول : اللهم إنك تهبي ما شئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت
ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في المتنوغرافية : « إن زينا وإن صلا » .

فأما الهيبة فلا هيبة ، وأملق حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجله رجاء أن يصيب
غيرة من بعض من يتز عليه فيذهب بإبله ، حتى إذا أمسى في ليلة باردة مقمرة
واشتمل الصباء ونام إذا هو رجل قد جثم على صدره وقال : استأسر . فرفع سليك رأسه
وقال : « إن الليل طويل وأنت مُقِمِر » بغرى مثلا ، وجعل الرجل يلهمزه ويقول :
استأسر يا خبيث ، فلما آذاه ضمه إليه ضمةً ضرط منها وهو فوقه ، فقال له سليك :
« أصرطاً وأنت الأعلى » بغرى مثلا ، ثم قال له : ما أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت ،
قلت : لا تخرجن ولا أرجع حتى أستغنى . قال : فاطلقت معي ، فضيأ فوجدنا رجلا
قصته مثل قصتهما ، فأتوا جوف مُرَاد وهو واد باليمن فإذا فيه نَم كثيرة ، فقال لها
سليك : كونا قريبا حتى أتى الرءاء وأعلم لكَا عِلْم الحى أقرب هو أم بعيد ، فإن
كانوا قريبا رجعت إليكَا ، وإن كانوا بعيدا قلت لكَا قولاً أُحى^(١) به لكَا فَاغِيْرَا .
فاطلقت حتى أتى الرءاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فإذا هم بعيد ،
فقال لهم سليك : ألا أغيتكم ؟ قالوا : بلى . فتغنى بأعلى صوته ليُسمع صاحبيه :
يا صاحبيّ الألاحى بالوادى • إلا عيبُ وأُم بين أذواد
أستفكران قليلا ريت غفلتهم * أم تمدوان فإن الرخ للعادى
فلما سمعا ذلك أتيا السليك فاطردوا الإبل ونهبوا بها .

حدثني سهل بن محمد عن الأعمشى قال : كان سليك يُحضّر فقع السهام من مكانته
قترن في الأرض من شدة إحضاره . وقال له بنو كنانة حين كبر : أرايت أن تربنا
بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم ، اجمعوا لى أربعين شابا وأبنوى درعا ثقيلة .
فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضّر فلات المدو
لوتا^(٢) واهتمصوا في جنبنيه فلم يصحبوه إلا قليلا فجاء يُحضّر مُتَبِرا من حيث لا يرونه
وجاءت الدرع تحفّق في عنقه كأنها خرقة .
(١) من رعى يسى إذا أوما . (٢) عدنا .

- قال سهل وحديثي العُتي قال حدثني رجل من بني تميم عن بعض أشياخه من قومه
قال : كنت عند المهاجرين عبد الله وإلى اليمامة فأتى بأعرابي قد كان معروفا بالسرق
فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بعر
لا يُسبق وكانت لي خيل لا تُلحق ، فكنت لا أنرج فأرجع خائبا فخرجت يوما
فاحتسنت ضبا فملقته على قتي ثم مررت بخباء سرى ليس فيه إلا محجوز ، فقلت :
أخافني هذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها
شيخ عظيم البطن مثدن اللحم ومعه عبد أسود وغد ، فلما رأني رحب بي ثم قام إلى ناقة
فاحتلبها وناولني العلبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي ففرض به جبهته ثم
احتلب تسع أتق فشرب ألبانهم ثم نحر حوارة فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحشا
كومة من بطحاء وتوسدها وغط غطيط البكر ، فقلت : هذه والله الفئيمة . ثم قت
إلى خل إبله فخطمته ثم قرنته إلى بصيري وحمضت به فأتبعني الفصل وأتبعته الإبل
إربابا به ، فصارت خلفي كأنها جبل ممدود ، فمضيت أبادر ثنية بني وبنيها مسيرة
ليلة للسرع ، فلم أزل أضرب بصيري بيدي مرة وأقرعه برجلي أخرى حتى طلع
الفجر ، فأبصرت الثنية فإذا عليها سواد فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعدا وقوسه في حجره
فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم . قال : أفسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا .
فانخرج سهما كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصريين أذنني الضب ، ثم رماه
فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأيي الأول . قال :
انظر هذا السهم الثاني في ققرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدّره بيده ثم
وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا
السهم الثالث في عكوة ذنبه والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، فقلت :
(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفهرغرافية « عن بعض أهل » وفي المقد القريد « وحدث العتي عن
بعض أشياخه قال كنت عند المهاجرين الخ » . (٢) في الأصل « تخلف » والنصوب عن المقد القريد .

أَنْزَلَ آمَنًا قَالَ : نَم . فَتَرَلْتُ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ حِطَامَ خَلْفِهِ وَقُلْتُ : هَذِهِ إِبْرَاقٌ لَمْ يَنْهَبْ مِنْهَا وَبِرَّةٌ وَأَنَا أَنْتَظِرُ مَتَى يَرِيئُنِي بِسَهْمٍ يَنْظُمُ بِهِ قَلْبِي ، فَلَمَّا تَحَيَّيْتُ قَالَ لِي : أَقْبِل . فَأَقْبَلْتُ وَاللَّهُ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِ لَا طَعْمًا فِي خَيْرِهِ ، فَقَالَ : أَيُّ هَذَا ، مَا أَحْبَبَكَ جِشِمَتْ اللَّيْلَةُ مَا جِشِمْتَ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ . قُلْتُ : أَجَل . قَالَ : فَاقْرَأْ مِنْ هَذِهِ الْإِبْرَاقِ بَعِيرِينَ وَأَمِضْ لَطِيفِكَ ، قُلْتُ : أَمَّا وَاللَّهِ حَتَّى أَخْبِرَكَ عَنْ نَفْسِكَ قَبْلًا . ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْرَابِيَا قَطُّ أَشَدَّ ضَرْمًا وَلَا أَعْدَى رَجُلًا وَلَا أَرْمَى يَدًا وَلَا أَكْرَمَ عَفْوًا وَلَا أَجْعَى نَفْسًا مِنْكَ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ سِيرِ الْعَجَمِ أَنَّ بَهْرَامَ جُورَ نَجْرَاجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ لَهُ فَعَرَضَتْ لَهُ ظَبَاءٌ ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ تَرِيدِينَ أَنْ أَضَعِ السَّهْمَ مِنَ الْوَحْشِ ؟ فَقَالَتْ أُرِيدُ أَنْ تُشَبِّهَ ذُكْرَانَهَا بِالْإِنَاثِ وَإِنَاثَهَا بِالذُّكْرَانِ ، فَرَمَى تَيْسًا مِنَ الظَّبَاءِ بِنُشَابَةٍ ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ فَاقْتَلَعَ قَرْنَيْهِ وَرَمَى عَنَّا مِنْهَا بِنُشَابَتَيْنِ فَأَثْبَتَهُمَا فِي مَوْضِعِ الْقَرْنَيْنِ . ثُمَّ سَأَلَتْهُ أَنْ يَجْمَعَ أُذُنَ الظَّبْيِ وَظَلْفَهُ بِنُشَابَةٍ وَاحِدَةٍ فَرَمَى أَصْلَ أُذُنِ الظَّبْيِ بِنُشَابَةٍ فَلَمَّا أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى أُذُنِهِ لِيَحْتَكَّ رِمَاءَ بِنُشَابَةٍ فَوَصَلَ ظَلْفُهُ بِأُذُنِهِ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْقَيْنَةِ فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ وَقَالَ : شَدَّ مَا اسْتَنْطَلْتُ عَلَى^(١) وَأَرَدْتُ إِظْهَارَ عَجْزِي !

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ كَسْرَى اسْتَعْمَلَ قَرَابَةَ لَهُ عَلَى الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ الْمُرَوَّزَانُ ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ خَالَفَهُ أَهْلُ الْمَصْنَعِ — وَالْمَصْنَعُ جَبَلٌ بِالْيَمَنِ يَمْتَنِعُ طَوِيلٌ وَوَرَاءَهُ جَبَلٌ آخَرُ بَيْنَهُمَا فُصْلٌ إِلَّا أَنَّهُ مُتَقَارِبٌ مَا بَيْنَهُمَا — فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمُرَوَّزَانُ فَنَظَرَ إِلَى جَبَلٍ لَا يَطْمَحُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ إِلَّا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ يَمْنَعُ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ وَاحِدٌ . فَلَمَّا رَأَى أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِمْ صَعَدَ الْجَبَلَ الَّذِي هُوَ وَرَاءَ الْمَصْنَعِ مِنْ حَيْثُ يُحَاذِي حَصْنَهُمْ فَنَظَرَ

(١) فِي الْأَمَلِينَ «أَشَدَّ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

إلى أضيق مكان فيه وتحته هواء لا يُقدر قدره، فلم ير شيئا أقرب إلى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوموا به صقين ثم يصيحوا به صيحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى إذا استجمع حُضرا رمى به أمام الحصن وصباح به أصحابه فوثب الفرس الوادى فإذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت إليه جُمير قالوا : هذا أيم. والأيم بالحيرية شيطان، فاتهمهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضا ففعلوا واستترلم من حصنهم فقتل طائفة وسبي طائفة وكسب بما كان منه إلى كسرى، فتمتجب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم إليه وأراد أن يُسمى به أساورته، فاستخلف المروزان ابنه ثم توجه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعه في تابوت ثم حملوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوضع في خزائنه فكان يُخرج في كل عام إليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كذا وكذا .

وروى أبو سؤدة التميمي عن أبيه عن جده عن أبي الأغر التميمي قال : بينا أنا واقف بصقين مر بي العباس بن ربيعة مكفرا بالسلاح وعيناه تبصان من تحت المغفر كأنهما عينا أرقم وبيده صفيحة له وهو على فرس له صعب يتمسه ويلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم : يا عباس هلم إلى البراز . قال العباس : فالتزول إذا فإنه إياك من اللقول . فقتل الشامى وهو يقول : إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تزلزلونا معشر زل
وثى العباس وركبه فقتل وهو يقول :

وتصدت عنك نخيلة الرجل السعريض موضحة عن العظم
بحسام سيفك أو لسانك والسكلم الأصيل كأرغب الكلم

٢٠

(١) عبارة الفتوغرافية « وبيده صفيحة له يمانية يقلها وهو على فرس له صعب فينتاهو يقلها (وليتنه ؟) ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ » .

ثم غَضَّنَ فَصَلَاتِ دَرَعِهِ فِي مُجِزَّتِهِ وَدَفَعَ قَوْسَهُ إِلَى غَلَامٍ لَهُ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ : أَسْلَمَ
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَلَانٍ شَعْرُهُ ثُمَّ دَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَذَكَرَتْ بِهِمَا قَوْلَ
أَبِي نُزَيْبٍ :

فَتَنَازَلَا وَتَوَاقَفَتْ خِيَلَاهُمَا ۖ وَكَلَاهُمَا بَطْلُ اللَّقَاءِ مُحَدِّعٌ

- ٥ وكف الناس أَعَنَّةَ خِيُولِهِمْ يَنْتَظِرُونَ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلَيْنِ فَتَكَلَّفَا بَيْنَهُمَا مَلِيًّا مِنْ
نَهَارِهِمَا لَا يَصِلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ لِكَالِ لَأَمَتِهِ إِلَى أَنْ لَحِظَ الْعَبَّاسُ وَهِيًّا فِي دَرَعِ
الشَّامِيِّ فَأَهْوَى إِلَيْهِ بِيَدِهِ فَهَتَكَ إِلَى سُتُودَتِهِ ثُمَّ عَادَ لِمُجَاوَلَتِهِ وَقَدْ أَصْفَرَ لَهُ مِفْتَاحُ الدَّرَعِ
فَضْرَبَهُ الْعَبَّاسُ ضَرْبَةً انْتَضَمَ بِهَا جَوَانِحُ صَدْرِهِ وَنَزَلَ الشَّامِيُّ لَوَجْهِهِ وَكَبَّرَ النَّاسُ تَكْبِيرَةً
ارْتَحَمَتْ لَهَا الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَأَنْشَأَ الْعَبَّاسُ فِي النَّاسِ [وَأَنْشَأَ أَمْرَهُ] وَإِذَا قَائِلٌ
يَقُولُ مِنْ وَرَائِي ﴿قَاتِلُوهُمْ بِمَدِينِهِمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُجْزِمُهُمْ وَيَصْرُفُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ صُدُورَ
١٠ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيَذْهَبُ غِيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فَالْتَفَتَ
وَإِذَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْأَعْرَجِ، مِنَ الْمُنَازِلِ
لَعَدُونَا؟ فَقُلْتُ : هَذَا ابْنُ أَخِيكَ، هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ رِيْمَةَ. فَقَالَ : إِنَّهُ لَهُو، يَا عَبَّاسَ
أَلَمْ أَنْهَكَ وَأَبْنَ عَبَّاسَ أَنْ تَخْلَا بِمَرْكَزِكَ أَوْ تَبَاشِرَ حَرْبًا؟ قَالَ : إِنْ ذَلِكَ . بِعْنِي نَعَمْ .
١٥ قَالَ : لِمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ؟ قَالَ : فَأُدْعَى إِلَى الْبَرَازِ فَلَا أُجِيبُ؟ قَالَ : نَعَمْ، طَاعَةُ إِمَامِكَ أَوَّلَى
بِكَ مِنْ إِجَابَةِ عَدُوِّكَ . ثُمَّ تَغَيَّظَ وَأَسْتَشْطَاطٌ حَتَّى قُلْتُ : السَّاعَةُ السَّاعَةُ، ثُمَّ تَطَامَنَ
وَسَكَنَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَبْتَلًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَشْكُرُ لِلْعَبَّاسِ مَقَامَهُ وَاعْفُ لَهُ ذَنْبَهُ، اللَّهُمَّ
إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَاعْفُ لَهُ . قَالَ : وَتَأَسَّفَ مَعَاوِيَةَ عَلَى عِرَارٍ وَقَالَ: مَتَى يَنْطَفُئُ خُلُوفُ
بَنْتَلِهِ! يُطَلَّلُ دَمُهُ! لَاهَا اللَّهُ ذَا. أَلَا لَتَجْرُلَ بَشِيرَى نَفْسِهِ يَطْلُبُ بِدَمِ عِرَارٍ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ
٢٠ رَجُلَانِ مِنْ خَلْمٍ . فَقَالَ : اخْذِيهَا فَأَيُّكَا قَتَلَ الْعَبَّاسَ بَرَاذًا فَلَهُ كَذَا . فَأَتِيَاهُ وَدَعُوهُ إِلَى
الْبَرَازِ فَقَالَ : إِنْ لِي سَيِّدَا أُرِيدُ أَنْ أَؤَامِرَهُ . فَأَتَى عَلِيًّا فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ، فَقَالَ عَلِيٌّ : وَاقِعْ

- لود معاوية أنه ما بقي من هاشم نافعٌ ضَرْمَةٌ إِلَّا طَعْنٌ فِي نَيْطِهِ لَاطَفَاءُ لِنُورِ اللَّهِ وَيَأْبَى
 اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، أما والله يهلككم منا رجال، ورجال يسومونهم
 الخسف حتى يتخفروا الآبار ويتكففوا الناس . ثم قال : يا عباس تأقننى سلاحك
 بسلاحى ، فثاقله ووثب على فرس العباس وقصد التميمين . فلم يسكنا أنه العباس
 فقال له : أذن لك صاحبك؟ فخرج أن يقول نعم ، فقال : (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ
 ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكانما أخطاه ،
 ثم برز له الآخر فالحقه بالأول ، ثم أقبل وهو يقول : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشُّهُرِ الْحَرَامِ
 وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنۢ أَخْدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاغْتُوبُوا عَلَيْهِ مِثْلَ مَا أَخْدَىٰ عَلَيْكُمْ) ثم قال :
 يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى ، فإن عاد لك أحد فمُدْ إِلَى ، وعى الخبر إلى
 معاوية فقال : قبح الله البلاج إنه لقعود ما ركبته قط إِلَّا خَذِلْتُ . فقال عمرو
 ابن العاص : المخذول والله التميميان لا أنت . قال معاوية : اسكت أيها الرجل
 فليس هذه من ساعتك . قال : وإن لم تكن ، رحم الله التميمين وما أراه يفعل . قال :
 ذاك والله أخسر لصفتك وأضيق بمحرك . قال : قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت
 المنجاة منها . قال : هى أعمتك ولولا هى لألفيت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية :
 معاوى لا أعطيك دينى ولم أتل = به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
 فإن تعطنى مصرا فأرجع بصفقة = أخذت بها شيئا يضر وينفع^(١)
 نخرج الأخيـس الجـهـى فلقى الحـصـين العـمرى ، وكانا جميعا فاتكين ، فسارا حتى
 لثيا رجلا من كندة فى تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فنزل تحت شجرة

(١) كتب فى النسخة الجغرافية بعدها (أى فى نفسه) . وقال فى اللسان بعد أن أورد هذه الجملة
 فى مادة "نيط" معناه : إلّا مات . ثم قال : وقيل النيط نياط القلب وهو الرق الذى القلب متعلق به ٥١٥ .
 (٢) فى النسخة الألمانية : "شيئا" . (٣) كذلك فى النسخة الجغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن
 عمرو بن كلاب كفى لسان العرب فى الألفاظ "العمرى" بإلها . وفى اللسان ويجمع الأماثل بروية الحصين الكلابي .

يأكل، فلما اتبها إليه سألها . قال الكندي : ألا تضحيان؟ ^(١) فترلا . فينهما يأكلون
مرّ ظلم فتنظر إليه الكندي ^(٢) وأيده بصره فبدت له لبتة، فاعتره الحصين فضرب بطنه
بالسيف فقتله، وافتسما ماله وركباً، فقال الأخينس : يا حصين ما صعلكة وصل؟
قال : يوم شرب واكل . قال : فأتيت لي هذه العُقَاب . فرفع رأسه لينظر إليها
فوجأ بطنه بالسيف فقتله مثل قتله الأول . ثم إن أختا للحصين يقال لهما صخرة
لما أبطلا عليها خرجت تسأل عنه في جيران لها من مراح وجرم . فلما بلغ ذلك
الأخينس قال :

وكم من فارس لا تزيديه * إذا تحصنت لموقفه العمون
ينزل له السزير وكل لث * شديد المحصر مسكنه العرين
علوت بياض مقرقه بعصب * ^(٣) يتوه لوقعه الهام السكون
فأست عرسه ولما عليه * ^(٤) هدوه بعد ليلة أين
كصخرة إذ تسأل في مراح * وفي جرم، وعلهما طنون
تسأل عن حصين كل ركب * وعند جبهة النهر اليقين
فذهبت مثلاً

١٥ [خرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصيد ومعهما أبو دلّامة الشاعر، فسبحت
لهم ظباء فرمى المهديّ ظلياً فأصابه ، ورمى عليّ بن سليمان كلباً فمقره ، فضحك
المهديّ وقال لأبي دلّامة : قل في هذا، فقال:

ورمى المهديّ ظلياً * شكّ بالسهم فؤادة

٢٠ (١) في النسخة الفوتوغرافية : "صطحبان" . (٢) كذا في الأصل والصواب أبد بالياء الموحدة
يقال أبد النظر أي أعلاه أبد من النظر أي حظه . (٣) في الفوتوغرافية «تق» وهو من تق يق
بمعنى صوت . (٤) كذا في الأصل وفي أمثاله الميداني :
وأضحت عرسه ولما عليه * بميد هدوه ليتها زين
(٥) زيادة في النسخة الألمانية .

وعلى بن سليما * نرى كلبا فصاده

فهيتا لهما صكل امرئى يا كل زاده

قال أبو دلامة: كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى شبيب الخارجي، فلما التقى
الزحفان نرج منهم فارس ينادى: من يبارز؟ فجعل لا يخرج إليه إنسان إلا أعجله
ولم ينتهه، فغاض ذلك مروان، فجعل يندب الناس على خمسة، فقتل أصحاب خمس^(١)
المائة، وزاد مروان على ثدبته فبلغ بها ألفا، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالندبة
خمسة آلاف درهم، وتحق فرس لا أخاف حوته، فلما سمعت بخمسة الآلاف تزقته^(٢)
واقترحت الصف. فلما نظر إلى [الخارجي] علم أني نرجت للطمع، فأقبل يتهاى
وإذا عليه قزوله قد أصابه المطر فارمعل ثم أصابته الشمس فاقفل وعيناه تذران^(٣)
كلهما في وقين، فذا متى وقال:

١٠

خارج أنجحه حب الطمع * قرمن الموت وفي الموت وقع

* من كان ينوى أهله فلا رجع *

فلما وقرت في أذنى انصرفت عنه هاربا، وجعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟

أتسوى به. ودخلت في غمار الناس فنجوت

كان خالد بن جعفر ندما للثمان، فبيضا هو ذات يوم عنده وقد دعا الثمان بتمر
ورُبْد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال الثمان: أدنُ إحارث
فكل، فذا. فقال خالد: من ذا أبيت اللعن؟ قال: هذا سيد قومه وفارسهم
الحارث بن ظالم. قال خالد: أما إن لي عنده دينا. قال الحارث: وما تلك اليد؟
قال: قتلتُ سيد قومك فتركتك سيدهم بعده. يعني زهير بن جذيمة، قال الحارث

(١) في الأصلين الخمس مائة وثمنا بالخمسة آلاف، ولم يقل بصبته إلا تليل من العلماء كما في شرح المرادى
على التسهيل (٢) ابتل. (٣) تقيض. (٤) كتب في الفتنوغرافية تحبها كالنفس لها
«فترسان». (٥) الوقت تفرق في الصخرة يتجمع فيه الماء.

أما إني سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزمّع وأرعدت يده ، فأخذ يعبث بالقر فقال له
 خالد : أيتن تريد فأنا وليكها ؟ قال الحارث : أيتن تهلك فأدعها ؟ ثم نهض مغضبا ،
 فقال النعمان لخالد : ما أردت بهذا وقد عرفت فكك وسفقه ؟ فقال : أبيت اللعن ،
 وما تخوف على منه ؟ فوالله لو كنت نائما ما أيقظني . فأنصرف خالد فدخل قبة له من
 أدوم بعد هذه من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس نرجح الحارث
 حتى أتى القبة من مؤخرها فشقها ثم دخل فقتله ، فقال عمرو بن الإطنابة :

مَلَّلَانِي وَطَلَّا صَاحِيَا * وَأَسْقِيَانِي مِنَ الْمَرْقُوقِ رِيَا

إِنَّ فِينَا الْقِيَانِ يَعْزِفُ بِالضَّر * ب لَقِيَانَنَا وَصِيَا رَحِيَا

يَنْتَاهِيَنِ فِي النِّعَمِ وَيَضُرُّ بَشْنَ خَلَالَ الْقُرُونِ مَسْكَ ذِكَا

أَلْبِلْنَا الْحَارِثَ بِنَ ظَالِمِ الرَّعْدِ ^(١) يَدِ وَالنَّاذِرِ التُّنُوزِ عَلِيَا

إِنَّمَا تَقْتُلُ النَّيَّامَ وَلَا تَهْتَكُلُ يَقْطَانِ ذَا سَلَاخٍ كِيَا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعو رجلا بلسل إلا أجابه ولم يسأله عن اسمه . فأتاه
 الحارث ليلا فهتف به ، فخرج إليه ، فقال : ما تريد ؟ قال أعتني على أبل لبني فلان
 وهي منك خير بعيد فلها غنيمة باردة . فلما عمرو بفرسه وأراد أن يركب جاسرا .
 فقال له : البس عليك سلاحك فإني لا آمن امتناع القوم ، فاستلّم وخرج معه ، حتى
 إذا برزا قال له الحارث : أنا أبو ليلى نفذ حذرَكَ يا عمرو ، فقال له : آمنٌ عليّ . فغزّ
 ناصيته . وقال الحارث :

عَلَّلَانِي بِلَاقِي قَيْسَتِيَا * قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعَيُونُ عَلِيَا

قَبْلَ أَنْ تَذْكُرَ الْعَوَاقِلَ أُنَى * كُنْتُ قَدْ مَالَا مَرْهَنَ عَصِيَا

مَا أَبَالِي إِذَا اصْطَبَحْتَ ثَلَاثَا ^(٢) * أَرَشِيدَا دُمُوتِي أَمَ غَوِيَا

(١) في القنطرة ائبة « المرعد » ولله عزوف عن « الموط » كما قل في هامش النسبة الألمانية عن
 نسخة أخرى . (٢) في الألمانية : أصبت .

غيرَ آلَا أَسِرَّهٖ إِثْمًا * فِي حَيَاتِي وَلَا أُخَوِّنَ صَفِيًّا

بلغتني مقالة المرء عمرو * بلغتني وكلف ذلك يديا

ففرجنا لموعد فالتقينَا * فوجدناه ذا سلاح كَيَّا

غيرَ مَا نَأْتِمُّ رُوعَ اللَّيْلِ^(١) مِعْدًا بِكَفِّهِ مَشْرِفًا

فرجعتا بالئنَّ مِنَّا عَلَيْهِ * بعدَ مَا كَانَ مِنْهُ مِنَّا بِدِيَا^(٢)

وفدَّ عَمِّ بْنِ مُرٍّ وَبَكْرَيْنِ وَاتَّلَ عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ، وَكَانَا يَتَادَمَانِهِ بِغَرَى يَنْهَمَا تَفَاخُرَ

فَقَالَا: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْطِنَا سَيْفَيْنِ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِسَيْفَيْنِ مِنْ عَوْدَيْنِ فُتِحَتَا وَمَوَّهَا بِالْفِضَّةِ

وَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُمَا، فَخَمَلَا يَضْطَرِبَانِ بِيَمَا مَلَيَا مِنْ نَهَارِهِمَا، فَقَالَ بَكْرٌ:

* لَوْ كَانَ سَيْفَانَا حَدِيدًا قَطَعْنَا *

وَقَالَ تَمِيمٌ:

* أَوْ نُحِثَا مِنْ جَنْدَلٍ تَصِيدُنَا *

فَفَزَقَ الْمَلِكُ يَنْهَمَا، فَقَالَ بَكْرٌ تَمِيمُ:

* أَسَاحِجُكَ الْعِدَاوَةَ مَا بَقِينَا *

وَقَالَ تَمِيمٌ:

* وَإِنْ مَتْنَا نَوْرَثُهَا بَيْنَنَا *

فَأَوْرَثَاهَا بَيْنَهُمَا إِلَى الْيَوْمِ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ خَلْفِ الْأَحْمَرِ قَالَ: كَانَ أَبُو عُرْوَةَ السَّبَّاحُ يَصْبِحُ

بِالسَّبَّاحِ وَقَدْ أَتَحَمَلُ الشَّاةَ فَيَسْقُطُ فَيَمُوتُ فَيُشَقُّ يَطْنُهُ فَيُوجَدُ فَوَّادُهُ قَدْ أَنْخَلَ . وَهُوَ

مِثْلُ فِي شِدَّةِ الصَّوْتِ . قَالَ الشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ:

(١) في النسخة النونوغرافية "بالقتل". (٢) كذا بالنسخة الألمانية، وفي النسخة النونوغرافية:

«بعد من قد كان متا يديا» ولعل كلمة «متا» هذه محروقة عن «مه» فيستقيم المعنى .

(٣) هو النابذة الجملدي كما في اللسان مادة (مرا) .

زَجْرَ ابْنِي عُرْوَةَ السَّبَاعَ إِنْ * أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبَسَنَّ بِالْقَتْمِ

قال : وأبو عطية عفيف النصرى نادى فى الحرب التى كانت بين عَفِيفٍ وبين
بن نصر لما رأى أنجيل^(١) بمقوته : يا سوء صباحاه، أَيْتِمَ يا بنى يربوع ! فألقت الحبال
أولادها، فقليل فى ذلك :

وَأَسْقَطَ أَجْبَالَ النِّسَاءِ بِصَوْتِهِ * عَفِيفٌ لَدُنْ نَادَى بِنَصْرِ فُطْرَبَا

فى أخبار وهب بن منبه أن يهوذا قال ليوسف : لتكفّن أولاً صيحت صبيحة لاسحق
حامل بمصر إلا ألفت ما فى بطنها .

محمد بن الضحاك عن أبيه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سلع
فينادى غلصانه وهم بالغابة فيسمعهم وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع
ثمانية أميال ، وسلع جبل وسط المدينة . وكان شبيب بن ربيعة يتنحج فى داره
فيسمع تنحجه بالكساسة ، ويصبح براعيه فيسمع ندائه على فرسخ وكان هذا مؤذن
يحيى التى تنبأت [ذكر هذا خالد بن صفوان ، وسمعه أبو الهيثب النهدي فقال :
ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها معنى يحيى] .

ثم رجل الأشتر فقال له قائد : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته
هزمت أهل العراق .

المداخنى قال : أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجل يستحم له ، فقال له :
خذ بعيراً من إبل الصدقة . فتناول ذنب بعير مصعب فجذبه فاقتلعه ، فعجب عمر
وقال له : هل رأيت أشد منك ؟ قال : نعم ، نحرجت بامرأة من أهل أريد بها

(١) القوة : ما جرد الله أرواحها .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى القوتوغرافية : « الحسين بن علي طهها السلام » وفيها بدل « قائد » « زيد » .

زوجها فترلا منزلا أهله حُلُوفٌ فُقِرْتُ من الحوض فينا أنا كذلك إذ أقبل رجل
ومعه ذودُ والمرأة ناجيةً فسرَّب ذوده إلى الحوض ومضى إلى المرأة فساورها ونادته،
فما انتهت إليها حتى خالطها، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسي فوضعه بين عضديه
وجنبه لما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلقى . فقالت المرأة : أيتها
خل هذا ! لو كانت لنا منه سَخْلَةٌ ! وأمهتته حتى امتلأ نوما فقممت إليه بالسيف .
فضربت ساقه فأبنتها، فأنبته وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرماني برجله وأخطأني
وأصاب عني بعيرى فقتله . فقال عمر : ما فعلت المرأة ؟ قال : هذا حديث الرجل .
فكرر عليه مرارا لا يزيد على هذا، فظن أنه قد قتلها .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا أنس بن حاتم قال حدثنا ابن عوف عن عُمَيْرِ

- ابن إسحاق قال : كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين
ويعملون . وأبو عَجْجَنٍ في الوثاق عند أم ولَدٍ لسعد فأخشا يقول :

كفى حَزْناً أَنْ تَلْتَقِيَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا ^(١) * وَأَتْرَكَ مَشْدُودًا عَلَى وَثَاقٍ

إِذَا شَلَّتْ غَنَائِي الْحَدِيدُ وَظَلَّتْ * مَغَالِيقُ مَنْ دُونِي تُصِمْ الْمَادِيَا

فقالت له أم ولد سعد : أتجمل لي إن أنا أطلقتك أن ترجع إلي حتى أعيدك

- في الوثاق ؟ قال نعم ، فأطلقتته فركب فرسا بقاء لسعد وحمل على المشركين فلهل سعد
يقول : لولا أن أبا عَجْجَنٍ في الوثاق لظننت أنه أبو عَجْجَنٍ وأنها فرسى . فانكشف
المشركون وجاء أبو عَجْجَنٍ فأعادته في الوثاق وأتت سعدا فأخبرته ، فأرسل إلى أبي عَجْجَنٍ
فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا . يعني النحر ، فقال أبو عَجْجَنٍ : وأنا واقه
لا أشربها بعد اليوم أبدا . وقال الشاعر ^(٢) :

- سَأَغْسِلُ عَنِ الْعَارِ السِّيفَ جَالِيَا * عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ مَا كَانَتْ جَالِيَا

(١) في النسخة الألمانية « تلمن » . (٢) هوسد بن ناشد المازني كما في اللسان والجماعة .

وأذهل عن دارى وأجعل هدماً * لعرضى من باقى المذمة حاجبا
 ويصغر فى عيني تلالى إذا تئنت * يعنى بإدراك الذى كنت طالبا
 فياً لِرَزامٍ رَغَمُوا^(١) مَقْلَمًا * إلى الموت خَوَاضاً إليه الكواثبا^(٢)
 إذا هم لم يردع كريمة هم * ولم يات ما يأتى من الأمر هاتبا
 أخوا غمرات لا يريد على الذى * بهم به من مُقْطِع الأمر صاحبا
 إذا هم ألقى بين عينيه عزمه * وتكب عن ذكر العواقب جانباً
 ولم يستشرف رأيه غير نفسه * ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا
 عليكم بدارى فأهدموها فإنها * تراث كريم لا يضاف العواقبا
 وقال رجل من بني العتير :

لو كنت من مازن لم تَسْتَبِخْ إلى * بنو اللَّقِيْطَةِ من دُهل بن شَيْبانا
 إذَنْ لَقَامَ بنصرى مَمَشَرُ حُشْنٍ * عند الكريمة إن ذو لَوْثَةٍ لَنَا
 قوم إذا الشر أبدي فاجذبه لهم * طاروا إليه زَرَافَاتٍ ووَحْدانا
 لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشرقي شيء وإن هانا
 يَحْزُونُ من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل السوء إحساناً^(٣)
 كأن ربك لم يخلق نخشيتيه * سواهم من جميع الناس إنسانا
 فليت لي بهم قوما إذا ركبوا * شنوا الإغارة قُرسانا ورُكَّباناً
 لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى الثابتات على ما قال برهانا
 لكن يطهرون أشنانا إذا فرعوا * وينفرون إلى الغارات وحْدانا

(١) فى الحماسة "الكثابا". (٢) فى الحماسة "لم تردع عزية هم".

(٣) كذا فى الحماسة والذى فى الأصل «التي بهم بها من مقطع الأمر».

(٤) هو قريط بن أنيف كما فى الحماسة. (٥) كذا فى الحماسة وفى الأصل «غفرانا».

وقال آخر :

ولئن عَمِرْتُ لِأَشْفِيَنَّ النَّصَّ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاعِي
وَلَأَعْلَمَنَّ الْبَطْنَ أَنَّ الزَّادَ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعٍ
أَمَّا النَّهَارُ فَرَأَى أَصْحَابِي بِمَرْقَبَةٍ يَفَاعُ
أَثْرُ الشَّجَاعِ بِهَا كَثُرَ * دِ الْخُرُزِيِّ سَيَرُ الصَّنَاعِ
تَرْدُ السَّبَاعِ مَعِيَ فَأَلْثَمْتُ كُلَّيْلَ مِنَ السَّبَاعِ

وقال آخر :

إِنَّا مَحْيُوكَ يَا سَلْمَى خَيْنَا * وَإِنْ سَقَيْتِ كَرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
إِنَّا لَنُخْصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا * وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أُغْلِينَا
بِيضُ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَايِلُنَا * نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

وقال المعلوط :

أَلَمْ تَرَى خُلِقْتَ أَخَا حُرُوبٍ * إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتَ يَحْمَى جَانِي

وقال آخر ^(١) :

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ * نَبِيُّ سُوَيْدٍ أَنْتَ فَارَسَ كُمْ هَوَى
أَجَلٌ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْقَاعِلُ الَّذِي * إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى
فَقَبْلَ لَمْ تَعْنَسِ السَّنُّ وَجْهَهُ * سَوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى

(١) هو سُوَيْدُ الْمُرَائِدِ الْحَارِثِيُّ كَأَفِي الْحِمَاسَةِ وَاللَّسَانِ فِي مَادَةِ «عَنْسٍ» .

(٢) كَذَا بِالْحِمَاسَةِ ، وَفِي الْقَتَرِ غَرَابِيَّةُ «نَبِيٌّ جَوِيٌّ» ، وَفِي الْكَامِلِ «نَبِيٌّ حَيٌّ» . (٣) لَمْ تَعْنَسِ :

لَمْ تَغْفِرْ . (٤) كَذَا بِالْحِمَاسَةِ وَاللَّسَانِ ، وَفِي الْأَصْلِ «شَبَّ» . وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّسَانُ فِي مَادَةِ «خُلْسٍ»

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَخْلَسَ رَأْسَهُ فَهُوَ خُلْسٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ إِذَا أَيْضًا بَعْضُهُ فَإِذَا غَلَبَ بِيَاضُهُ سَوَادَهُ فَهُوَ أَعْمَى .

أشارت له الحرب السَّوَانُ بِفَامِهَا * يُقْعِقُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى
ولم يُنْجِهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَبَلْسَهُ * فَاتَى فَأَدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى
وقال بِسَامَةُ :

إِنَّا بَنَى نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ * عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
إِنْ يُتَدَرَّ غَايَةً يَوْمًا لَمْ كُرْهُ * تَلَقَّى السَّوَابِقِ مِنَّا وَالْمَصَلِينَا
إِنَّا لَبَيْنَ مَعِشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ * قِيلُ الْحُكَاةِ أَلَا أَيْنَ الْحَامُونَا
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا * مَنْ فَارِسٌ ؟ حَالِمٌ لِمَا يَمُونَا

وقال زهير :

يَطْعَمُهُمْ مَا أَرْمَوْا حَتَّى إِذَا أَطْعَمُوا * ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَقُوا
وقالت امرأة من كِنْدَةَ :

أَبَا أَنْ يَفْرَزُوا وَأَلْقَنَا فِي نَحْوِهِمْ * وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمَا
ولو أَنَّهُمْ فَزَوْا لَكَانُوا أَعِزَّةً * وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمَا
وقال آخر :

بَنَى عَمَّتًا رَدُّوا فُضُولَ دِمَائِهَا * بَيْنَ لَيْلِكُمْ، أَوْ لَا تَلْبُنَا اللَّوَائِمُ
فَإِنَّا وَلِيَاكُمْ وَلِأَنْ طَالَ تَرْكُكُمْ * كَذَى الدِّينِ يَنَاقِي مَا نَأَى وَهُوَ غَارِمُ
وقال أبو سعيد الخُزُومِيُّ وَكَانَ شَجَاعًا :

وَمَا يَرِيدُ بَنُو الْأَعْيَارِ مِنْ رَجُلٍ * بِالْجُرْمِ مُكْتَمِلٍ بِالنِّيلِ مُشْتَمِلٍ
لَا يَشْرِبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ يَدِهِ * وَلَا يَهْتِ لَهْ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ

(١) فِي الْأَصْلِ «فِي الْأَقْرَابِ» وَالْقِي فِي الصَّلْبِ عَنِ الْحَمَاةِ

(٢) كَذَا بِالْحَمَاةِ وَفِي الْأَصْلِ «حَالِمٌ» .

وقال عبد القدوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بشير :
نَدَى تَحْكُمُ الْأَمَالَ فِيهِ ، وَنَبْدَةً * تَحْكُمُ فِي الْأَعْدَاءِ بِالْأَسْرِ وَالْقَتْلِ
وقال آخر :

ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ * ضَرَبْنَا الْعِدَا عَنْكُمْ بِأَبْيَضِ صَارِمٍ
تمثل زيد بن علي يوم قُتِلَ بقول القائل :

أَذَلَّ الْحَيَاةَ وَعِزَّ الْمَوْتَ * وَكَلَّا أَرَاهُ طَعَامًا وَيَسِيلًا
فَإِنْ كَانَ لَا يُدَّ مِنْ وَاحِدٍ * فَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا جَمِيلًا

وقال قيس بن الخطيم
أَبْلَحُ لَا يَهْمُ بِالْفِرَارِ * قَدْ طَابَ نَفْسًا بِدُخُولِ النَّارِ
وقال آخر :

وَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ * فَأَيُّ رَجَالٍ بَادِيَةٍ تَرَكَانَا
وَمَنْ رَبطَ الْخَمَاشَ فَإِنْ فِينَا * قَنَّا سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حَسَنًا
وَكُنْ إِذَا أَعْرَنَ عَلَى قَبِيلٍ * فَأَعُوذْهُمْ كَوْنٌ حَيْثُ كَانَا^(١)
أَعْرَنَ مِنَ الْقَبَائِلِ عَلَى حِلَالٍ * وَضَبَّةٌ لَهُ مِنْ حُلْنِ حَانَا^(٢)
وَأَجْبَانَا نَصَرَ عَلَى أَخِينَا * إِذَا مَالَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

وقالت الخنساء :

تَرَقَّى الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَرًّا * وَأَوْجِنِي الدَّهْرَ قَرْمًا وَغَمْرًا

(١) هو القطاعى كما في الحماسة . (٢) في الحماسة :

وَكُنْ إِذَا أَعْرَنَ عَلَى جَنَابٍ * دَاعُوذْهُمْ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا

(٣) جمع جِهَةٍ بكسر أوله بمعنى كما في القاموس القوم التزول ، وفي ديوان الحماسة : « حلول » جمع حال .
والجى الحلول الذين يكونون في مكاتب واحد .

وأفنى رجالى فبادؤا معا * فأصبح قلبي بهم مستفرا
ومن ظن بمن يلاقي الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا
وفيها قول :

وتلبس للحرب أثوابا * وتلبس في الأمن حرا وقرا
وهنا كقولهم : التبس لكل حالة لبوسها .

وقال عبد الله بن سبرة الحرشي حين قطعت يده :

وَيْلٌ جَارِ غَدَاةِ الْجَسْرِ فَارَقْنِي * أَعِزَّزْ عَلَىَّ بِهِ إِذَا بَانَ فَاَنْصَدَا
يُمْنِي يَدِيَّ غَدْتُ مَتَى مَفَارِقَةُ * لَمْ أَسْتَطِعْ يَوْمَ خِلَاطِاسٍ لَهَا تَبَا .
وما ضَيَّيْتُ عليها أن أصحابها * لقد حرصت على أن نستريح معا
وقاليل غاب عن شأني وقائلة * أَلَا اجْتَنَبْتُ عَدُوَّ اللَّهِ إِذْ حُرِمَا
وكيف أتركه يمشي بمنصله * نحوى وأجبنُ عنه بعدما وقعَا
ما كان ذلك يوم الرُّوعِ من خُلُقِي * وإن تقارب مني الموت واكْتَمَا
وبلَّهه فارسا ولت كَتِيبَتُهُ * حَامِي وَقَدْ ضَيَّعُوا الْأَصَابَ فَارْتَجَمَا
يمشي إلى مُسْتَمِيتٍ مثله بَطْلِي * حتى إذا مَكَثَا سَيْفِيهِمَا أَمْتَصَمَا
كلُّ نَبْوَةٍ بِنَاضِي الْحَدِّ ذِي شُطْبٍ * بَلَى الصَّيَاقِلُ عَنْ دُرِّيهِ الطَّبَا
حاشيته الموت حتى أَشْتَفَ آخَرُهُ * فَا اسْتَكَانَ لِمَا لَاقَى وَمَا جَرَا

- (١) كذا في النسخة الفوتوغرافية وهو الموافق لما في الكامل للبرد ، وفي النسخة الألمانية « يقاسي » .
(٢) في الأصل الفوتوغرافي « الجرشى » ورواقفه ما في الأمل ج ١ ص ٩٩ وروايه « الحرشي »
قال ابن تيمية في المعارف وأما الحرشي بن كعب فنهج مطرف بن عبد الله بن التميمي وزيراً بن أوفى وعبد الله
ابن سبرة الحرشي الذي قطع يده لطر بانوس الروي اد . (٣) في الأمل « قطاس » . (٤) في النسخة
الفوتوغرافية « أكنه » . (٥) كذا بالأصل يمتي ثلاثه وإشراقه ، ورواه في اللسان وفي الأمل « ذرية »
والذرية فريد السيف ومازه . (٦) كذا بالأصل وهي محرقة من « حاسيه » بالسين المهملة .

كَانَتْ لَيْتَهُ مُدَابُّ حُمْلَةٍ * أَحْمَرُ أَرْزُقٍ لَمْ يَسْمُكْ وَقَدْ صِلَا
فَإِنْ يَكُنْ أَطْرُبُونَ الرُّومَ قَطْعَهَا * قَدْ تَرَكْتُ بِهَا أَوْصَالَه قَطْعًا
وَأَنْ يَكُنْ أَطْرُبُونَ الرُّومَ قَطْعَهَا * فَإِنَّ فِيهَا بِمَسَدِ اللَّهِ مُتَفَعًا
بَنَاتَانِ وَجُدُورُ أَقِيمُ بِهَا * صَدْرُ الْقَنَا إِذَا مَا آنَسُوا قَرَعَا
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنْ لَنَا مِنْ قَوْمِنَا نَاصِرَةٌ * بِيضُ الطُّبَا شُمْرُ الْقَنَا شُجْبُ اللَّيْمِ
يَسْتَفِرُّونَ الْمَوْتَ مِنْ تَحِيْمِهِ * وَيَسْتَفِرُّونَ الْحَرْبَ مِنْ عَقْدِ السَّلَمِ^(١)
أَوْلَاكَ قَيْسُ قَوْمُنَا أَكْرَمُ بِهِمْ * قَيْسُ الْبَنْدِيِّ قَيْسُ الْعُلَا قَيْسُ الْكُرَمِ
وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُجَلَّةٍ الْجَارِيُّ :

لَيْتَنِي جَيْلًا أَتَيْتُ قَدْ تَرَكْتُهَا * بَنُوهُ يَقْتُلُهَا الذَّابُّ الْمَوَامِلَ^(٢)
لَمْ يَدْرُسْنِي يَوْمَ بَرْقَةِ تَحْيَلِي * وَلِي مِنْهُ مَا شِئْتُ عَلَيْهِ الْإِثْمَالُ
إِذَا الْقِيَمُ سَدُوا مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمَا * بِأَيْمَانِنَا يَبِضُّ جَلَّتْهَا الصَّيَافِلُ
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ :

أَبَايِلُ يَسْكُنُنِي بَرَى وَرَعَى * وَصَكْلُ مَقْلُصٍ سَلِمَ الْفِيَادِ
أَبَايِلُ إِنَّمَا أَتَيْتُ شَبَابِي * رَكُوبٌ فِي الصَّرِيحِ إِلَى الْمُنَادَى
وَقَالَ أَبُو ذَكْوَانَ :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَاللَّيْلِ أَتَيْتُ * تَجَوَّضِي الْحُتُوفِ غَدَاةَ الْجَنُوفِ
وَلَا تَقْلِبْ بِزَخْفِ الْخَيْبَرِارِ * إِذَا مَا الصَّفُوفُ أَنْبَرِيَتْ لِلصَّفُوفِ

- (١) كَذَا بِالْأَصْلِ فِي هَذِهِ مِنْ «أَجْمَعُ» وَالْحَقُّ كَمَا قَالَ ابْنُ سِيدَةَ لَوْ أَنَّ الدُّمَّةَ وَالْكَلْبَةَ .
(٢) الْمَعْدُورُ هَذَا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَدُهَا قَطْعَهَا . (٣) فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ «يَحْتَرُونَ» .
(٤) فِي الْأَصْلِ : * تَبِيحُ يَقْتُلُهَا هَذَا هَوَامِلُ * وَهَذَا أَخَذْتُ مَا فِي الْأَصْلِ عَنْ هَامِشِ النُّسَخَةِ
الْأَلْمَانِيَّةِ .

ويوم أقامت لنا خيلنا * لدى جبل الديلمى المنيب
 طسوّال الفتى بطوال القنا * وبيض الوجوه ببيض السيوف
 وكلّ حصان بكلّ حصان * أمين شفاها سليم الوطيف
 ألا نسماني لها نعتي * برادعي عن ركوب الخوف
 لى الصبر عند حلول البلا * إذا زلت بي إحدى الصروف
 وإن تسألني تخبرني أنني * أتى حسبي بألوف الألوف
 وألم حتى يقولوا ضيف * وما أنا - قد علموا - بالضعيف
 خفيف على فرسي ما ركبت * ولست على ظمالي بالخفيف

باب الحيل في الحروب وغيرها

- ١٠ قال ابن إسحاق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، مرّ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال الشيخ : لا أخبركم حتى تخبروني من أتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أخبرتنا أخبرناك » . فقال الشيخ : خُبرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا ، فإن كان الذي خُبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا ، للوضع الذي به قريش . وخُبرت أن عبدا خرج من المدينة وقت كذا ، فإن كان الذي خُبرني صدق فهو اليوم بمكان كذا ، للوضع الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول : نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

حدثني مهمل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال حدثني شيخ من بني المنبر قال : أسرت

- ٢٠ بنو شيخان رجلا من بني المنبر فقال لهم : أرسل إلى أهل ليفتدوني ، قالوا : ولا تكلم

- الرسول إلا بين أيدينا ، فجاءوه برسول فقال له : آئت قومي فقل لهم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد آشتكت ، ثم قال له : أتعقل ما أقول لك؟ قال : نعم أعقل .
- قال : فما هذا؟ وأشار بيده ، قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلي فقل لهم : عروا جملي الأصهب وأركبوا ناقتي الحمراء وسلوا حارثا عن أمرى . فاتاهم الرسول فأنبأهم ، فأرسلوا إلى حارث فقص عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم :
- ٥ . أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا . وقوله : «إن النساء قد آشتكت» فإنه يريد أنها قد انخضت الشكاه للنزوة ، وهي أسقية ، ويقال للسقاء الصغير شكوة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم باتونكم مثل الليل أو في الليل . وقوله : «عروا جملي الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصمان . وقوله : «أركبوا ناقتي الحمراء» يريد أركبوا البهائم . قال فلما قال لهم ذلك تمحلوا من مكانهم ، فاتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .
 - ١٠ . أرسل علي بن أبي طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال : أنت الزبير ولا تأت طلعة فإن الزبير ألين وأنت تجد طلعة كالنور عاقصا قرنه ، يركب الصعوبة ويقول هي أسهل ، فأقرته السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرضى بالجهار وأكرتني بالعراق ، فما عدا بما بدأ ؟ قال ابن عباس : فاتيته فأبلغته . فقال :
 - ١٥ . قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وأفراد واحد ، وأم مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، نحمل ما أحلت ونحرم ما حرمت .
- الهيثم بن عدى قال : مرّ شبيب الخارجي على غلام في الفرات يستنقع في الماء ، فقال له شبيب : اخرج إلى أسائك . قال : فانا آمن حتى ألبس ثوبى ؟ قال : نعم . قال : فوالله لا ألبسه .
- ٢٠ . قال الهيثم : أراد عمر رحمه الله قتل الهرمزان . فأستسقى فألقى بماء فأمسكه بيده وأضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إني غير قاتلك حتى تشربه . فألقى القلح

من يده وأمر عمر بقتله، فقال : أُولَمْ تَوَدِّي ؟ قال كيف أمتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه ، ولا بأس أمان ، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله ! أخذ أمانا ولم تشربه . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

المتنبى : بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عصفاه الأشعري إلى ابن الزبير فقال له : إن أول أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست في عنقي بيعة يزيد . فقال عبيد الله : يا مشرك قريش ، قد سمعتم ما قال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائني قال : أقبل واصل بن عطاء في رُقعة فلقهم ناس من الخوارج، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قال لهم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله، فاعترضوا علينا . فرضوا عليهم فقال واصل : قد قتلنا . قالوا : فأمضوا راشدين . قال واصل : ما ذلك لكم حتى تبلغوا أماننا . قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فاصرفه حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فأبلغوا أماننا . بغاءوا معهم حتى بلغوا ما منهم .

وقال معاوية : لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد ولا الأموي غير حليم ولا الزبير غير شجاع ولا الخزومي غير تيار . فبلغ ذلك الحسن بن علي فقال : قاتله الله ! أراد أن يعود بنو هاشم فيقتل ما بأيديهم ، ويمحُ بنو أمية فيتحببوا إلى الناس ، ويتشجع آل الزبير فيفتنوا ، ويقيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن هريرة بن اليهودي وهم يجرؤون فقال : هل نخرج إليكم في اليهود شيء ؟ قالوا : لا . قال : فأمضوا راشدين .

المدائني قال : لما بلغ فتية بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن خراسان واستعمال يزيد بن المهلب كتب إليه ثلاث عائف ، وقال للرسول : ادفع إليه هذه ، فإن دفعها

إلى يزيد فادفع إليه هذه ، فإن شئتى عند قرأتها فادفع إليه الثالثة . فلما صار إليه الرسول دفع إليه الكتاب الأول وفيه : يا أمير المؤمنين ، إن من بلائى فى طاعة أهلك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه إلى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثانى وفيه : يا أمير المؤمنين ، تأمن ابن دحمة على أمرارك ولم يكن أبوه بأمنه على أمهات أولاده ! فشم قتيبة ، فدفع إليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك ، سلام على من أتبع الهدى أما بعد فوالله لأوثقن لك أخية لا يتزعها المهر الأبرن . قال سليمان : عجلنا على قتيبة . يا غلام ، جد له عهده على خراسان .

لما صرف أهل مزة الماء عن أهل دمشق ووجهوه إلى الصحرى كتب إليهم أبو الهيثم^(١) : إلى بنى أستا أهل مزة ، يمسق الماء أو تصبحتكم الخليل . فوافهم الماء قبل أن يعتموا فقال أبو الهيثم : «الصدق يئى عنك لا الوعيد» .

ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلكن والتربص ، فكتب إليه يزيد : أما بعد فإنى «أراك تهدم رجلا وتؤخر أخرى» فإذا أذاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام .

ولما هزم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لم يدر الناس كيف يعزونه ، فدخل عليه عبد الله بن الأعمش فقال : [مرحبا بالصابر المخذول] الحمد لله الذى نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا ، قصد تعرضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام إليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك . فصدر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومى — وكان عامل يزيد بن معاوية على مكة — إلى مسلم بن عقبة المرمى ، فأتاه الكتاب وهو بأمر رمق ، وفى الكتاب : أصلى الله

(١) فى النسخة القزوينية : أبو الهيثم . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

الأمير، إن ابن الزبير أثنى بما لا يقبل لي به فأنجزت. فقال : يا غلام أكتب إليه :
أنا بعد فقد أثنى بكائك تذكر أن ابن الزبير أنك بما لا يقبل لك به فأنجزت . وآيم الله
ما أبالي على أي جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبهما إلى ، وبالله لئن بقيت
لك لأنزلك حيث أنزلت نفسك والسلام .

٥ أبو حاتم قال، حدثنا العتيبي قال حدثنا إبراهيم قال : لما أسن معاوية اعتراه
أرق فكان إذا هوم أيقظته نوافيس الروم، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال :
يا معشر العرب، هل فيكم قتي فعل ما أمره وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين
إذا رجع؟ فقام قتي من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . قال : تنهب بكتي^(١) إلى
ملك الروم، فإذا صرت على بساطه أذنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال
١٠ لقد كلمت صغيرا وآتيت كبيرا . فكتب له ونرج، فلما صار على بساط قيصر أذن،
فناجزت البطارقة وأخترطوا سيوفهم فسبق إليه ملك الروم فجنا عليه وجعل يسألهم
بحق عيسى وبحقهم عليه لما كفوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين
رجليه، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسن وقد أرق وقد آذته^(٢)
النوافيس، فأراد أن تقتل هذا على الأذان فيقتل من قبله متا ببلاده على النوافيس،
١٥ والله ليرجعن إليه بخلاف ماظن . فكساه وحمله فلما رجع إلى معاوية قال : أوقد
جفتني سالي ؟ قال : نعم، أما من قبلك فلا .

وكان يقال : ما ولي المسلمين أحد إلا ملك الروم مثله إن حازما وإن عاجزا .
وكان الذي ملكهم على عهد عمر هو الذي دون لهم الدواوين ودوخ لهم الصدوق،
وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال :
٢٠ كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتي من قبلهم الدناير، وكان

(١) لعلها تنهب بكتي الخ . (٢) في النسخة الألمانية : يديه .

عبد الملك أول من كتب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الطَّوَامِيرِ، فكتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم تكبره فأنه عنه وإلا أناكم في دنائيرنا من ذكره ما تكرون. فكَبُرَ ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدع شيئاً من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدناير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم ٥ إحدى بنات طَبِيق، وأخبره الخبر. فقال : لِيُفْرِخْ رُوعُكَ، حَرِّمَ دَنَائِيرَهُمْ وَأَضْرَبَ لِلنَّاسِ سِكَكًا وَلَا تُعْفِهِمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ . فقال عبد الملك : فَرَجَّتْهَا عَنِّي فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ .

حَنَّتْهَا الرِّاشِيَّ قَالَ : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم : إنك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقاً فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلاً فقد خالفته . فكتب إليه الوليد: (وَدَاوُدَ وَسَلَمَانًا إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ) إلى آخر القصة .

حَنَّتْهَا الزِّيَادِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ حَنَّتْهَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَنَّتْهَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ يَوْسُفَ بْنِ مَهْرَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كتب قيصر إلى معاوية : سلام عليك، أما بعد: فأنبئني بأحب كلمة إلى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ومن أكرم عباده إليه وأكرم إمامه، وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم يرتكضن في رحم، وعن قبر يسير يصاحبه ومكان في الأرض لم تعبه الشمس إلا مرة واحدة، والمخيرة موضعها من السماء، وقوس قُزَح وما بده أمره ؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم آلهة! ما أدري ما هذا! . فأرسل إلى يسأني فقلت : أنا أحب كلمة إلى الله فلا إله إلا الله لا يقبل عملاً إلا بها وهي المنجية، والثانية سبحان الله وهي صلاة الخلق، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر، والرابعة الله أكبر فوائح الصلوات والركوع والسجود، والخامسة ٢٠

لاحول ولا قوة إلا بالله . وأما أكرم عباد الله إليه فأدم خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها ، وأكرم إمامه عليه مريم التي أحصنت فرجها . والأربعة التي فيهن روح ولم يرتكفن في رحم فأدم وحواء وعصا موسى والكهش . والموضع الذي لم تصببه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انفاق لموسى وبني إسرائيل . والقبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس .

أبو حاتم عن النبيّ عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمر بن العاص من مصر على عمر فأقصدهما بين يديه وجعل يسألها عن أعمالها إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية ، فقال له معاوية : أعلّ تعيب وإليّ تقصد؟ فلمّ حتى أخبر أمير المؤمنين عن عمك وتغيره عن عمل ، قال عمرو : فعلمت أنه بعمل أبصر مني بعمله وأنّ عمر لا يدع أوّل هذا الحديث حتى يأتي على آخره ، فاردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفقت يدي فلطمّت معاوية ، فقال عمر : تالله ما رأيت رجلا أسفه منك ، يا معاوية أطمه . فقال معاوية إنّ لي أميرا لا أقضي الأمور دونه . فارسل عمر إلى أبي سفيان فلما رآه ألقى له وساده ثم قال معتذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت إليّ؟ أخوه وأبن عمه وقد أتى غير كبير، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال ذكر بشر بن أرطاة عليا فقال منه فضرب زيد بن عمر — وأمه ابنة عليّ بن أبي طالب — على رأسه بعضا فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر : أتدري ما صنعت؟ وثبتت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعضا ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى بشر فقال أتدري ما صنعت؟ وثبتت على ابن الفاروق وأبن علي بن أبي طالب تسبّه وسط الناس وتزدره ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا بشيء .

المدائني قال : كان ابن المقفع محبوبا في نِجَاح كان عليه وكان يعذب ، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعيين من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به لإبقاء على ماله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال المختار : ادعوا إلى المهدي محمد بن الحنفية . فلما خشي أن يميء قال : أما إن فيه علامة لا تخفى ، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تسمل فيه . قال الأصمعي عرضة لأن يجزب به .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عوانة بن الحكم الكلبي قال : ولّى عليّ رضي الله عنه الأشرم مصر فلما بلغ العريش أتى بطراً مصر فقال له مولى لثمان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر . هل لك في شربة من مويق أجدها لك ؟ قال : نعم . فجدها له بعل وجعل فيها سماً قاضياً فلما شربها يئس ، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردها على الكبد ! « إن الله جنوداً منها العسل » . وقال عليّ : « للبيدين والقم » .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد ^(١) قال نظر عليّ إلى ولد عثمان كأنهم مستوحشون فسألهم فقالوا رُمي بالليل ، فقال : من أين يأتيكم الرمي ؟ قالوا : من ههنا . فصعد عليّ ولّف رأسه ثم جعل يرمي وقال : إذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمي . قال محمد بن كعب القرظي : جاء رجل إلى سليمان النبي عليه السلام فقال يا نبي الله : ١٥ إن لي جيرانا سرقوا إوزتي فنأدى : الصلاة جامعة . ثم خطبهم فقال في خطبته : وأحكم يسيق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فسح رجل على رأسه ، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

(١) القين والبيّة الرياء وعين التاجر وتعين أخذ بها .

(٢) في النسخة الفوتوغرافية "أبي الزناد" .

أخذ الحكم بن أيوب التقي عامل الججاج إياس بن معاوية في ظنة الخوارج ، فقال له الحكم : إنك خارجي مناق وشتمه ، ثم قال آتني بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بي منك . قال : وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إياس : نفيم هذه الشهادة منذ اليوم . فضحك وختل سبيله .

٥ دخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيريا ، فقال له عبد الملك : أليس قد ردك الله على عقيبك ؟ قال : ومن ردك عليك فقد ردك على عقيبه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف إلى الضحاك بن مزاحم فقال له يوما : لو أسلمت ! قال : يعني من ذلك حيي للحر . قال فأسلم وأشربها . فأسلم ، فقال له الضحاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حددناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك .

١٠ فحسن إسلامه .

دخلت أم أئمة البديعة على عائشة رضي الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابنا لها صغيرا ؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكبر عشرين ألفا ؟ قالت : خذوا بيد عدوة الله .

١٥ العتي قال كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة : أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سويا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . إني والله قد لبستم فاختتمكم ورفقت بكم فآخترتكم ثم وضعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني . وآيم الله لن وضعتكم تحت قدمي لأطأكم وطأة أقل بها عددكم وأذل غابركم وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود . ثم تمثل

٢٠ لعل الحلم دل على قومي * وقد يستضعف الرجل الحليم

ومارست الرجال وما رسوني * فموج على ومستقيم

أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سُرَاقَة بن مِرْدَاس البارقي أسيرا يوم جَبَانَة السَّيِّح ، فقدم في الأسرى فقال :

أَمِنُّ عَلَى الْيَوْمِ يَا خَيْرَ مَعَدٍّ • وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِصَحْرَاهُ الْجَنْدُ^(١)

• وَخَيْرَ مَنْ لَبَّى وَصَلَّى وَعَبَّجَدَّ •

- فمما عنه المختار ثم خرج مع إصحاق بن الأشعث عليه بغية بسرقة أسيرا فقال له المختار : أَلَمْ أَعَفْ عَنْكَ ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُكَ • قَالَ : إِنَّ أَبِي أَخْبَرَنِي أَنَّ الشَّامَ مَسْتَفْتَحٌ لَكَ حَتَّى تَهْدِمَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ حِجْرًا حِجْرًا وَأَنَا مَعَكَ فَوَالله لَا أَقْتُلُكَ • ثُمَّ أَتَنَّهُ

أَلَا أُلْبِغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَا • نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا

نَحْرُجْنَا لَا نَرَى الضَّمْفَاءَ شَيْئًا • وَكَانَ نَحْرُجُنَا بَطْرًا وَحَيْنًا

- نَزَاهُمْ فِي مَصَفِّهِمْ قَلِيلًا • وَهُمْ مِثْلُ الدَّبَابِ لَمَّا أَتَيْنَا^(٢)

فَأَصْبَحَ إِنْ قَدَرْتُ فَلَوْ قَدَرْنَا • جُرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَأَحْتَدِينَا

تَقْبَلُ تَوْبَةً مِنِّي فَإِنِّي • سَأُشْكِرُ إِنْ جَعَلْتَ الْقُدْرَةَ دِينًا

نَخْلُ سَبِيلَهُ ثُمَّ نَخْرُجُ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَرَاقَةٌ فَأَخَذَ أَسِيرًا فَقَالَ : الْحَمْدُ لله الَّذِي

أَمَكَّنَنِي مِنْكَ يَا صَدِيقَ اللهِ ، فَقَالَ سَرَاقَةٌ : مَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخَذُونِي ؟ فَأَيْنَ هُمْ ؟ لَا أَرَاهُمْ !

- إِنَّمَا أَلْتَقَيْنَا رَأَيْنَا قَوْمًا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضٌ عَلَى خَيْلٍ بُلُقٌ تَطِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ •^(٣)

فَقَالَ الْمُخْتَارُ : خَلُّوا سَبِيلَهُ لِيخْبِرَ النَّاسَ • [ثُمَّ حَادَ لِقَاتِلَهُ وَقَالَ :

أَلَا مَنَ غَيْرِ الْمُخْتَارِ عَنِّي • بِأَنَّ الْبُلُقَ بَيْضُ مَصْمُتَاتِ^(٤)

(١) في النسخة الفقهريّة "بشجر الجند" وهو محرف وصوابه كما في الطبري "بشجر الجند" .

(٢) في النسخة الفقهريّة "عبد الرحمن" وقد مرّ به في حاشيا بأنه إسحاق ويرجمه ما في الطبري والقفار القريد .

(٣) في النسخين «إن» وفي ابن جرير «فأصبح إذ ملكت» وهو الأنسب • (٤) زيادة في النسخة

الألمانية • (٥) في الطبري :

أَلَا أُلْبِغُ أَبَا إِسْحَاقَ إِنِّي • رَأَيْتُ الْبُلُقَ دِهْمًا مَصْمُتَاتِ

أرى عيني ما لم ترأياه • كلانا عالم بالترهات
كفرتُ بدينكم وجعلتُ نذرا • على قالكُم حتى المات]

خرج المخيرة بن شعبة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وكانت له عترة يتوكل عليها فربما أنقلته فيرى بها قارعة الطريق فيمزم بها المار فيأخذها ، فإذا صار إلى المنزل عرفها فأخذها المنيرة ففطن له على رضى الله عنه فقال : لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لئن أخبرتُه لأترد بعدها ضالة أبدا • فأمنك على •

باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن سمالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان إذا سمعهم يقولون : يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة ، قال : ما أحقكم ! إن بعد الانبياء عشر ثلاثة منا : السفاح والمنصور والمهدي يسلمها إلى الدجال • قال أبو أسامة : تأويل هذا عندنا أن ولد المهدي يكونون بعده إلى خروج الدجال •

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيهم : أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب • وأما البصرة فعثمانية تدعى بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل • وأما الجزيرة فخروية مارقة وأعراب يكأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى • وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، عداوة لبنا راسخة وجهلا متراكما • وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراستان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تنورعها النحل ولم تسفلها ديانة ولم يتقدم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فهم كتب حزب

الأتباع بالسادات وكتتالف القبائل وعصبية العشائر ، ولم يزالوا يذأون ويُمتهنون ويُظلمون ويكظمون ويختون الفرج ويؤملون [الدول] وهم جند لم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولبى وشوارب وأصوات هائلة ولغات نفحة تخرج من أفواه منكرة ، وبعد فكانى أنقال إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

- وقال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي : كنت مع مروان بن محمد بالزأب
- فقال لى : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه ؟ قلت : نعم ، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفراً رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع فى عبد الله بن معاوية ؟ فقال : بلى قد عرفته والله ، يا بن جعدة ليت على بن أبى طالب [فى الخليل] يقابلنى . إنك عليا وأولاده لا حظ لهم فى هذا الأمر ، وهذا رجل من بنى العباس ومعه ربح خراسان ونصر الشام ، يا بن جعدة أنتدرى لم عقدت لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما ؟ قلت : لا أدرى . قال : لأنى وجدت الذى بلى هذا الأمر بمدى عبد الله أو عبيد الله ، فكان عبيد الله أقرب إلى عبد الله من عبد الملك .

- وكتب مروان إلى عبد الله بن على : إنى لا أظن هذا الأمر إلا صاراً إليكم ، فإذا كان ذلك فاعلم أن حرمنا حرمكم . فكتب إليه عبد الله إن الحق لنا فى دمك وإن الحق علينا فى حرمك .

- سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكانت همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصبة الشهوات وإثارة اللذات والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلاً منهم باستدراج الله وأماً لمكره ، فسلبهم الله العزّ وقتل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على :

يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن معه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب إلى عبد الله فكلبه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزججه عن بلده ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من المجلس بمحضرتي في هذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سليم لي فافترشته بها وأتت ثلاثا ، فأتاني ملك النوبة وقد خُبر أمرنا ، فدخل على رجل طوال ألقى حسن الوجه فقعده على الأرض ولم يقرب الثياب ، قلت : ما يملك أن تقعد على ثيابنا؟ قال : لأني ملك ، وحق على كل ملك أن يتواضع لمظلة الله إذ رفعه . ثم قال لي : لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ؟ قلت : أجترأ على ذلك عيبدنا وأتباعنا لأن الملك زال عنا . قال : فلم تطاون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهالنا . قال : فلم تلبسون السباح والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم ؟ قلت : ذهب الملك منا وقتل أنصارنا فاتصروا يقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فأطرق مليا وجعل يقلب يديه وينكت في الأرض [ويقول :^(١) عيبدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا ! يردده مرارا] ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أتم قوم استحلتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتهم فسلبك الله العز والبسك الذل بذنوبكم ، والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحل بكم العذاب وأتم بيلدى فيصلي بكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتروودوا ما أحسبتم إليه وآرأتحلوا عن بلدى ، ففعلت ذلك .

ولما أفتتح المنصور الشام وقتل مروان قال لأبي عون ومن معه من أهل نحرسان : إن لي في بقية آل مروان تديرا فتأهبوا يوم كذا وكذا في أكل مدة ، ثم

(١) في الفتوغرافية « عيبد الله » . (٢) في الفتوغرافية بدل هذه الجملة « وينكت في الأرض ويرد كلاً ثم قال الخ » . (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آثار الحكاية لا يؤيده ما في الكامل للبرد أنها وقعت مع عبد الله بن علي وقد كان أميراً على الشام من قبل المنصور .

- بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم بقمعوا وأصلبهم أنه يفرض لهم في العطاء، فغضروا منهم ثمانون رجلا فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد وألدهم ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي: من أنت؟ قال: من كلب وقد ولدتهم. قال: فانصرف ودع القوم. فإني أن يفعل وقال: إني خالهم ومنهم. فلما استقر بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟ ليدخل، فإين القوم بالهلكة، ثم خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن علي؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى: أين زيد بن علي بن الحسين؟ ثم خرج الرابعة فقال: أين يحيى بن زيد؟ ثم قيل: ائذنوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقا فأوما إليه: أن ارتفع. فأجلسه معه على طغسته وقال للباقيين: اجلسوا. وأهل خراسان قيام بأيديهم العمدة فقال: أين العبدى الشاعر؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها:
- أما الدعاة إلى الجفان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار
فلما أنشد أبياتا منها قال الغمر: يابن الزانية. فاقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال: امض في نسيذك. فلما فرغ رعى إليه بصره فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثل بقول الفائل:

- ولقد ساءنى وساء مسواى * قريهم من منابر وكراى^(٤)
أنزلوها بحيث أنزل الله بدار الهوان والإتساع
[لا تحيل عبد شمس عتارا * وأقطعوا كل نخلة وفراس^(٥)]
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقبلا بجانب المهراس

- (١) ربهم. (٢) في القنطرة «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين.
(٣) في القنطرة «هشام» ولكنه النسر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.
(٤) كذا بالنسخة الألمانية، وفي القنطرة «غمارق» ولعله في الكامل البرد.
(٥) زيادة في النسخة الألمانية. (٦) كذا بالأصل، وفي الكامل البرد «كل رقة وأراسى» وقال: الرقة النخلة الطويلة والأراسى جمع آسية، وهي أصل البناء بمنزلة الأساس.

ثم قال لأهل نخراسان : دَهِيد . فشدخوا بالعمد حتى سالت أدمعتهن وقام الكلي^(١)
فقال : أيها الأمير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال :
ومُدْخِلَ رَأْسِهِ لَمْ يَدْخِ أَحَدٌ * بين القرينين حتى لَزَّ الْقَرْنُ

ثم قال : دَهِيد . فشدخ الكلي معهم ثم التفت إلى الغمر فقال : لا خير لك في الحياة
بعدم . قال : أجل ، فقتل ثم دعا يبرأذع فألقاها عليهم وبسط عليها الأقطاع ودعا
بشدها فاكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يبدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تنهات بطعام
منذ عقلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم بجرؤا بأرجلهم وأغم أهل
نخراسان أموالهم ثم صلبوا في بستانه . وكان يأكل يوما فأمر بفتح باب من الرواق
إلى البستان فإذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، فقيل له : لو أمرت أيها الأمير بريد هذا
الباب ! فقال : والله لرائحتها أحب إلى وأطيب من رائحة المسك . ثم قال :

حسبت أمة أن سترضى هانم * عنها ويذهب زبيها وحسينها
كلا ورب محمد ولمه * حتى تُباح سُهولها وحزونها
وتبدل ذل حليلة لجليها * بالمشرف وتُسترد ديونها

وأنى المهدي^(٢) برجل من بنى أمة كان يطلبه فتمتل بقول سديف شاعرهم
جرد السيف وأرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويًا
لا يغترتك ما ترى اليوم منهم * إن تحت الضلوع داء ديويًا
فقال الأموى : لكن شاعرنا يقول :

شمس العداوة حتى يُستفاد لهم * وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

فقال المهدي^(٣) : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به فقتل .

(١) كلمة فارسية بمعنى اضربوا . (٢) في النسخة الجغرافية «المصورة» .

وقال رجل: تكا جالوسا مع عمرو بن عبيد في المسجد، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعو إلى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب، فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دعنا نجلس في هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا في مافية .

- وكان عمرو بن عبيد إذا رأى المنصور يطوف حول الكعبة في قُرْطَيْن يقول: إن يُرِدَ الله بامة محمد خيرا يُولِّ أمرها هذا الشاب من بني هاشم . وكان له صديق فلما دخل عليه بعد الخلافة وكتبه وأراد الانصراف، قال: يا أبا عثمان سَل حاجتك . قال: حاجتي ألا تبعث إلى حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك . ثم نهض فقال المنصور:
كَلِّمْ مَا شِئَ رُوَيْدٌ * كَلِّمْ خَائِلُ صَيْدُ

١٠ * غير عمرو بن عبيد *

فلما مات عمرو زناه المنصور فقال:

صَلِّ إِلَهَهُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْتِهِ * قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانٍ
قَبْرًا تَضْمَنُ مَوْمِنًا مَتَحَنَّنًا * صَدَّقَ الْإِلَهَ وَدَانَ بِالْقُرْآنِ
وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي سُنَّةٍ * فَصَلِّ الْحَدِيثَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانٍ
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَتَى صَالِحًا * أَتَى لَنَا حَيًّا أَبَا عَثَمَانَ

١٥

قال الوضاح بن حبيب: كما إذا خرجنا — يعني أصحابه — من عند المنصور صرنا إلى المهدي وهو يومئذ ولي عهده ففعلنا ذلك يوما فبرز إلى يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكبت عليها فقبلتها وضرب بيدي إلى يده، ثم عالت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده، فوضع في يدي كتابا صغيرا أستره بالكف، فلما خرجت فتحتة فإذا فيه: يا وضاح، إذا قرأت كتابي فاستأذن إلى ضياعك بالري، فرجعت فقلت للربيع: ٢٠ استأذن لي. فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعي بالري

قد اختلّت وبى حاجة إلى مطالعتها فقال : لا ، ولا كرامة ، فخرجت . ثم عدت إليه اليوم الثانى والقوم معى فدخلنا فاستأذنته ، فردّ الى مثل الجواب الأول . فقلت : يا أمير المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك . فُسرّى عنه ، ثم قال : إذا شئت فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولى حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج إلى خلوة . فنهض القوم وبى الرّيسع قلت : أخلى . قال : ومن الرّبيع وبينكما ما بينكما ! قلت : نعم . فتنهّى الرّبيع ، فقال : قد خلوت فقل إن جدت لى بمالك ودمك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهل أنا ومالى إلا من نعمتك ، حققت دعى ودم أبى ورددت على مالى وآثرتى بصحبتك . قال : إنه يهيجس فى نفسى أن جهورا على خلع وليس له غيرك لسا أعرفه بينكما ، فاطهر إذا صرت إليه الواقعة ^(١) فى والتقصّ لى حتى تعرف ما عنده ، وإن رأيتهم يخلع فاكذب إلى ، ولا تكنن على يد يريد ولا مع رسول ولا يفوتى خبرك فى كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطان فى دار القطن فهو يوصل كتبك فى كل يوم إلى . قال : فمضيت حتى أتيت الرى فدخلت على جهور فقال : أفلت ؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أوأاسه بالواقعة فيه حتى أظهر ما ظنّ به المنصور فكتبت إليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبيّ على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم القليل وعبد الملك بن حميد الشامى الكاتب ، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فغم ذلك المنصور ، فلما خرج عبد الله قال : يا غلام رتبه . فلما رجع قال : يا أبا محمد إن إسحاق بن مسلم حدثنى أن رجلا هلك بدمشق وترك نأصًا كثيرا وأرضا وريقا وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكاتبه . فقال المنصور : يا إسحاق ، أعجبك كلامه فأجبت أن تعرفه .

(١) فى النسخة الألمانية : « جوهر » وهو تحريف لاذ هو جهور بن مرار العبل أحد قواد المنصور .

أبو الحسين المدائني قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأبواب قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى ؟ فتمثل عبد الله فقال :

ألم تر حَوْشِيَا أُمِّى يَتْنِي * قصورا تَعْمَهَا لَبْنِي بِقَيْسِلَه
يُؤْتِلُ أَنْ يَمُرَّ عَمْرُ نُوْح * وأمر الله يحدث كُلُّ لَيْلَه

- ثم أنبّه فقال : أفتلّى [أفالك الله] ^(١) . قال : لا أفتلّى الله إن بَتَّ في عسكرى ، فأنخرجه إلى المدينة . [حَشْنُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قال : جُثْتُ وَأَبُو ذَرٍّ أَخَذَ بِحَقْلَةٍ بَابِ الْكُتْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا أَبُو ذَرٍّ الْفَقَارِيُّ ، مَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا جُنْدَبُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَّى»] .

- حدثنا خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ .
ابن سالم عن الشعبي قال ، قيل لابن عمر : إن الحسين قد توجه إلى العراق ، فليحمله على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائبا في مال له فقال : أين تريد ؟ قال : العراق . وأنخرج إليه كتباً وطوابعاً قال : هذه كتبهم وبيعهم . فنادى الله أن يرجع فإني فقال : أما إني سأحدثك حديثاً : إن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فغيره بين الدنيا والآخرة فأختر الآخرة ، وإنكم يَضَعُوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، والله لا تُلْهِمُا أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فأرجع . فإني فأخضعه وبكى وقال : أستودعك الله من قتيلى .

- حدثني القاسم بن الحسن عن علي بن محمد عن مُتَمَلِّمَةَ بْنِ مُجَارِبٍ عَنْ السَّكَنِ قَالَ :
كتب الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى الأخنف يدعو إلى نفسه فلم يرثه الجواب وقال : قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إِلَّا لَلَّةً لِلَّكْ وَلَا جَمَا لِلَّالِ وَلَا مَكِيدَةَ .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

في الحرب . وقال الشعبي : ما لقينا من آل أبي طالب ؟ إن أحببناهم قتلونا ، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولما قتل مُصعب بن الزبير خرجت سُكينة بنت الحسين تريد المدينة فاطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله محابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدِّي وأبِّي وعمِّي وزوجي مُصعباً ، أئتموني صغيرة وأرملثموني كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء :

إِلَيْكَ حَسِينًا لِيَوْمٍ مَّضَرَعَهُ * بِالطُّفِّ بَيْنَ الْكَاتِبِ وَالْخُرُسِ

أَمْضَتْ بَنَاتُ النَّبِيِّ إِذَا قُتِلُوا * فِي مَاتَمِّ السَّبَاعِ فِي عُرْسِ

روى سَيِّدُ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : اتَّهَبَ النَّاسُ وَرَسَا فِي عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ فَمَا تَطْلَيْتُ مِنْهُ أَمْرًا إِلَّا بَرَصَتْ . ولما قتل حسين قالت بنت لَعْلَعٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ :

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ * مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ أَفْضَلُ الْأُمَمِ

بِئْسَتْ بَنَاتُ بَاهِلٍ بَعْدَ مَنْطَلَقِي * مِنْهُمْ أُسَارَى وَقَتْلُ ضُرُجٍ بِدَمِ

[مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي أَنْ نَصَبْتُ لَكُمْ * أَنْ تَحْتَفُونِي بِقَتْلِ ذِي رَحْمِي]

فَأَسَمَّهَا أَحَدٌ إِلَّا بِكِي .

[دخل زيد بن عليّ على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقراً وتسميه بقرة ! لقد اختلفنا .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا جابر إنك ستعمر بعدى حتى يولد لي مولود أسمه كَأَسْمَى يَبْقَرُ الْعِلْمَ بَقْرًا فَإِذَا لَقِيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ » فكان جابر يتردد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادي : يا باقر ، حتى قال

(١) كذا بالألمانية في التوغرافية «سيارين الحكيم» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

الناس : قد جئ جابر . فبينما هو ذات يوم بالبلّاط إذ بصّر بجارية يتوّكها صبي فقال لها : يا جارية ، من هذا الصبي ؟ قالت : هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . فقال : أدنيه مني فأدنته منه فقَبِلَ بين عينيه وقال : يا حبيبي ، رسول الله يقرئك السلام . ثم قال : نُصِيتَ إليّ قمى وربّ الكعبة . ثم انصرف إلى منزله وأوصى فمات من ليلته .

[قال هشام بلقي أنك تَرِصُ نفسك للخلافة وتطمع فيها وأنت ابن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم في أولاد السراير ههصيرا عن بلوغ غاية ما أعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم نرج زيد وبعث إليه بهذه الأبيات]

مهلا بنى عمنا عن نحت أُنَلَّتْنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تُهينونا ونُكرِمكم * وأن نَكْفُ الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نَحِبكم * ولا نلوهمكم ألا نَحِبونا
[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقى هشاما إلا في كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطعم بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله]

ذكر الأمصار

قالت الحكماء : المدائن لا تبني إلا على ثلاثة أشياء : على الماء والكلأ والمُحْتَطَب .
قال ابن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عُوفى من وائها . وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من خُأ^(١) أرضنا فقلما أكل قوم من خُأ أرض فضرهم ماؤها .

(١) هكذا في الأصل ، وفي الجلة حذف . ولعل أصل الكلام : قال هشام يزيد بن علي ، كما يدل عليه باقي القصة ورواية العقد الفريد ، وقد وردت القصة كاملة هكذا في النسخة الألمانية ، وانصرفت التوضيحية على قوله « كتب زيد بن علي بن الحسين إلى هشام بن عبد الملك » ثم ساق الأبيات .
(٢) القضا : توأبل القندور كالقفل والكور ونحوهما . لسان العرب .

حدثني الرياشي قال حدثني الأصمعي قال، قال معاوية: أغبط الناس عندي سعد مولاى، وكان على أمواله بالبحار، يترج جنة ويتقطط الطائف ويتشقى مكة، حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن: الخطر والكندر والمصب والورس.

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: اليهود لا تأكل من بقل سورى ويقول: هى مفيض الطوفان. قال وقال الأصمعي عن ميمر^(١) قال: سبع محفوظات وسبع ملعونات، فن محفوظات تجران ومن الملعونات أأف^(٢) [وبرذعة^(٣)]. وأأف^(٤) باليمن. وقتت باليمن على قرية فقلت لامرأة: ما تسمى هذه القرية؟ فقالت ويحك! أما سمعت قول الشاعر:

أحب أأف^(٥) عند القفّاط * وعند عصارة أعتابها

[قال الأصمعي: سواد البصرة الأهواز ودس^(٦) فارس، وسواد الكوفة كسكر^(٧) إلى التراب إلى عمل حلوان إلى القادسية، وعمل العراق هيت إلى الصين والسند والهند ثم كذلك إلى الرى ونهرسان إلى الديلم والجلال كلها، وأصبهان صرة العراق افتتحها أبو موسى الأشعري، والجزيرة ما بين دجلة والفرات، والموصل من الجزيرة، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل في عمل العراق].

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال: أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقردي تسمى سوق ثمانين، كانت فوج لما خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين فهى اليوم تسمى

(١) فى النسبة الألمانية «متمر» وهو تحريف إذ هو أبو ميمدة ميمر بن الحنفى القنوى النوى وقد كان حاصرا للأصمعي. (٢) زيادة فى النسبة الألمانية. (٣) كما فى الأصل دى بحرة عن «الزب» كما فى ياقوت.

سوق ثمانين . قال : وحران سميت بهاران بن آزر أخى إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لوط .

(١١) [قال النبي صلى الله عليه وسلم لبريدة : « يا بريدة إنه سيبعث بعدى بُعُوثٌ فإذا بُعِثَ فكن في أهل بَعث المشرق ثم في بَعث خراسان ثم في بَعث أرض يقال لها : مَرُوء ، فإذا أتيتها فأنزل مدينتها فإنه بناها ذوالقرنين وصلى فيها ، غزيرة أنهارها تجري بالبركة ، في كل نقب منها ملكٌ شاهر سيفه يدفع عنها السوء إلى يوم القيامة » فقدمها بريدة فأت بها] .

حدثني أحمد بن الحليل قال حدثني الأصمعي قال أخبرني الثوري بن هلال الحطيلي عن قتادة عن أبي جعدة (٣) قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فلك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ . وأرض العرب ألف فرسخ .

(١١) [وقال أبو صالح كما عند ابن عباس فأقبل رجل فجلس ، فقال له : من أنت ؟ قال من أهل خراسان ، قال : من أى خراسان ؟ قال : من هَرَاة . قال : من أى هَرَاة ؟ قال : من بُوَشْنَج ، ثم قال : ما فعل مسجدها ؟ قال : عامرٌ يُصلى فيه . قال : ابن عباس كان لإبراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بُوَشْنَج . ثم قال : ما فعلت الشجرة التي عند المسجد ؟ قال : يحالها . قال : أخبرني العباس أنه قال في ظلها] .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « يزيد » وهو تحريف .

(٣) كذا بالألمانية ، وفي النسخة الجغرافية « أدب الجبل » ولم نعرف في كتب التراجم على من نكث بهذه

الكنية . على أن من شيوخ قتادة « إيا بريدة بن أبي موسى » فليحرف عنه .

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الحنظلي (١) عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة (٢) يا أتباع البهيمة ، رغا فأتبعتم وعقر فأنهزتم . أما إني لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم ، غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تَفْتَحُ أَرْضُ يَاقِلَ لها البصرة أَقْوَمُ الْأَرْضِينَ قَبْلَهُ ، قَارِئُهَا أَقْرَأُ النَّاسِ ، وَعَابِدُهَا أَعْبَدُ النَّاسِ ، وَعَالِمُهَا أَعْلَمُ النَّاسِ ، وَمُتَصَدِّقُهَا أَكْثَرُ النَّاسِ صِدْقًا ، وَتَاجِرُهَا أَكْثَرُ النَّاسِ تِجَارَةً . مِنْهَا إِلَى قَرْيَةٍ يَقَالُ لَهَا الْأُبْلَةُ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخٍ . يُسْتَشْهَدُ عِنْدَ مَسْجِدِ جَامِعِهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، الشَّهِيدُ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَأَنَّ شَهِيدَ مَعَى يَوْمٍ بَدْرٍ » .

حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا أبو سلمة قال أخبرني أبو المهيمن عن أبي هريرة قال : مُثِّلَتِ الدُّنْيَا عَلَى مِثَالِ طَائِرٍ ، فَالْبَصْرَةُ وَمِصْرُ الْخَنَازِيرِ فَإِذَا خَرَبْنَا وَفَعِ الْأَسْرُ . وحدثني أيضا عن هارون بن معروف عن صفرة عن ابن شاذب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشد الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال ابن شاذب عن يزيد الرُّشد (٣) : قُتِلَتِ الْبَصْرَةُ فِي وَلايَةِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُسَيْرِيِّ فَوُجِدَتْ طَوِيلًا فَرَضِيضِينَ غَيْرَ دَائِقِي .

وقال محمد بن سلام عن شعيب بن محضر : تَلَا كُرُوا عِنْدَ زِيَادِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ قَتَالَ زِيَادٌ : لَوْ ضَلَّتِ الْبَصْرَةُ بَلَعَتْ الْكُوفَةَ لَمَنْ دَلَّنِي عَلَيْهَا . قال [محمد بن سيرين] كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ : غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكَ كَمَا غَضِبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمَنْفَةِ ، عَزَلَهُ عَنِ الْبَصْرَةِ

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفهرست « يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون المرقى » ولم نذكر في كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة « حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون المرقى » إذ الاسمان موجودان معا في كتب التراجم . (٢) ينى بها طائفة أم المؤمنين رضى الله عنها وبالبهيمة الجمل الذى ركبه ، وبه سمي هذا اليوم وهو معروف مشهور . (٣) كذا بالألمانية ، وفي الفهرست « الرشيد » وكلاهما محرف عن الرشك بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبي يزيد النخعي .

وَأَسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْكَوْفَةِ . [وَقَالَ عَلَى حِينِ دَخَلَ الْبَصْرَةَ : يَا أَتْبَاعَ الْبَيْمَةِ وَيَا جُنْدَ الْمَرْأَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعُفِّرَ فَانْهَزْتُمِهِمْ ، دِينَكُمْ يَفَاقُ وَأَخْلَافَكُمْ يَفَاقُ وَمَاؤُكُمْ زُطَاقُ ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَالْبَصِيرَةَ [وَالسَّيِّئَةَ وَالْخَرِيْبَةَ ، أَرْضَكُمْ أَبْعَدُ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَسْرَعُهَا خَرَابًا وَغَرَقًا .

- مر حُتَيْبَةُ بْنُ عَزْرَوَانَ بِمَوْضِعِ الْمَرْبِدِ فَوَجَدَ فِيهَا الْكَذَّانَ الْفَلِيطَ فَقَالَ : هَذِهِ الْبَصْرَةُ
فَاتَزَلَوْا بِسَمِ اللَّهِ . وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ : اخْتَطَّ النَّاسُ الْبَصْرَةَ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةٍ .

- نَفَرْنَا مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَسْبٍ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ لِحَالِدِ بْنِ
صَفْوَانَ : أَلَا تَكْتُمُ يَا خَالِدُ ؟ قَالَ : أَخْوَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلُهُ . قَالَ : فَاتَمَّ أَعْمَامُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ . قَالَ خَالِدٌ : مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ بَيْنَ نَاصِحٍ بَرٍّ وَدَائِغٍ جَلِدٍ
وَسَائِسٍ قَرْدٍ ، دَلَّ عَلَيْهِمْ هَدْمُهُ وَغَرَقَتِهِمْ فَأَرَاهُ وَمَلِكَتِهِمْ أَمْرًا .

[سَمِعْتُ خَالِدَ عَنِ الْكَوْفَةِ فَقَالَ : نَحْنُ مُتَابِقَتَا قَصَبٍ ، وَأَنْهَارُنَا عَجَبٌ ، وَثَمَارُنَا رُطْبٌ ،
وَأَرْضُنَا ذَهَبٌ . قَالَ الْأَحْنَفُ : نَحْنُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ سَرِيَّةً وَأَعْظَمُ مِنْكُمْ بَحْرِيَّةً وَأَعْدَى مِنْكُمْ
بَرِيَّةً . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ : نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْكُمْ سَاجِدًا وَعَاجِدًا وَدِيْبَاجًا وَنَرَا جَا وَنَهْرًا عَجَّاجًا] .

وَقَالَ الْحَلِيلُ فِي ظَهْرِ الْبَصْرَةِ بِمَا عَلَى قَصْرِ أَوْسٍ مِنَ الْبَصْرَةِ :

- زُرْ وَادِيَ الْقَصْرِ نَمِ الْقَصْرِ وَالْوَادِي * لَا بَدَّ مِنْ زَوْرَةٍ عَنْ غَيْرِ مِيعَادٍ
تُرْقُبُهُ الشُّفْنُ وَالْقُلُوبَانِ وَاقِفَةٌ * وَالْعُشْبُ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي
وَقَالَ ابْنُ أَبِي صِيْنَةَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

يَا جَنَّةَ فَاتَتْ الْحَنَانَ فَا * تَبْلُغُهَا قِيَمَةٌ وَلَا تَمُوتُ
أَلْقَتْهَا فَاتَخَذَتْهَا وَطَنًا * إِنْ فَوَادِي لِحَبِطٍ وَطَنُ

- (١) زِيَادَةُ فِي النُّسْخَةِ الْأَسَانِيَةِ . (٢) فِي الْبَيَانِ وَالْبَيِّنِ « وَأَعْظَمُ مِنْكُمْ بَحْرِيَّةً » .
(٣) هَكَذَا فِي الْأَسْلَى ، وَفِي تَخَابِ الْبَيَانِ لِمَا حَظَّ أَطَى بِالْبَيِّنِ الْهَيْمَلَةُ وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الْعُرَابِ فَقَالَ عَذَا
الْبَلَدِ يَسْمُو : طَابَ مَرَاوُهُ . (٤) كُنَّا فِي الْأَسْلَى ، وَفِي الْأَغْنَى : فَاتَتْ .

زَوْجَ حَيْثَانِهَا الصَّبَابِ بِهَا * فَهَذِهِ كَيْتُهُ وَذَا خَتَنُ
فَانْظُرْ وَفَرَّغِيَا تُطِيفُ بِهِ * ^(١) إِنْ الْأَرِيبَ الْمُفَكَّرَ الْفِطْنُ
مِنْ سَفْنٍ كَالنَّعَامِ مُقْبِلَةً * وَمِنْ نَعَامٍ كَأَنَّهَا سَفْنُ
أَنْشُدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ابْنِ كُكْسَةَ فِي ظَهْرِ الْكُوفَةِ :

وإن بها لو تعلمين أصابلا * وليلا وقيقا مثل حاشية البرد

بلغني عن إبراهيم بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التيمي
قال: لما أسرت الأرض أن تنفض غاضت إلا أرض الكوفة فلمنت، فجمع الأرض
تُكْرَبُ على ثورين وأرض الكوفة تُكْرَبُ على أربعة ثيران . وكان يقال: إذا كان علم
الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شامية فقد كل .

١٠ [لما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب ، كتب عمر
إلى سعد في بعثة رواد يرتادون منزلا برّيا فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل
والشاء . فسأل من قبله عن هذه الصفة فيما يليهم ، فأشار عليه من رأى العراق من
وجوه العرب باللسان . وظهر الكوفة يقال له اللسان ، وهو فيما بين النهرين إلى
عين بنى الحذاء ، وكانت العرب تقول: أدلّع البرّ لسانه في الرّيف ، فما كان على الفرات
منه فهو المِطَاط ^(٢) وما كان على الظهر منه فهو النّيف ، فكتب إلى سعد يأمره به] . ١٥

وقال التابعة الجعدي يمدح الشام :

جاعلين الشام حَمَلَهُمْ ^(٣) * وَلَئِنْ هَمَّوْا لَنَمِ الْمَتَقَلُّ

مَوْتُهُ أَجْرٌ وَعَيْاهُ غَنَى * وَإِلَيْهِ عَنْ أَنَاهُ مَعْتَرَكُ

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نظقت به» كما في الأغاني . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في معجم ياقوت في الكلام على اللسان «وما كان على البطن به فهو النيف» .

(٤) يقال حمّمتى قصد قصده .

وقال أيضا :

ولكن قومي أصبحوا مثل خيبر * بها دأؤهم ولا تضر الأعادي
قال الأحمسي : لم يولد بقدر خيبر مولود فاض إلى أن يحتلم إلا أن يعحول
عنها . قال : وحرّة لئلي ربما مرّ بها الطائر فيسقط ريشه . قال عمرو بن بحر : يزعمون
أن من دخل أرض تُبت لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عجب حتى يخرج منها ،
ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا
تفقد عقله وجد نقصان فيه يتنا . والناس يقولون : خيبر وطعّال البحرين
ودمايل الجزيرة وطوامين الشام .

- قالوا : من أطال الصوم بالمصيبة في الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة
الأهواز فتقلب كل من يزورها من الأشراف إلى طبائع أهلها ، ووباؤها ومأها يكون
في وقت انكسار الوباء وزرع الحنّ عن جميع البلدان ، وكل محوم فإن حمّاه إذا قلعت
عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة إلى أن يعود إلى التخليط وإلى أن يجمع في جوفه
الفساد لا محوم الأهواز فإنها تعاود من فارقة لغير علّة حدثت ، ولذلك جمعت سوق
الأهواز الأفاعي في جبلها المطل عليها والجزارات في بيوتها ومن ورائها سباح ومتاقع
مياه غليظة وفيها أنهار تشقها مسابيل كنفهم وبياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال
مقامها واستقرت مقابلتها لذلك الجبل قبل الصخرية التي فيها الجرارار ، فإذا امتلأت
يبسا وحرّا وادت حمرة واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السباح
وتلك الأنهار ، فإذا التقي عليهم ما بخرت به السباح وما قذفته ذلك الجبل فسد الهواء

(١) البرارة بكجاة : عقرب قتالة تخرج منها إذا مشت لا ترضه كما فعل سائر العقارب .

(٢) في الأصل « ظالت مآقاتها بذلك الجبل » والقصوب عن سمع ياقوت .

(٣) هكذا في الأصل . وفي سمع البلدان « قيل تسبب الصخرية التي فيها تلك الجرارار الخ » ولعل
صواب العبارة « قيل بسبب الصخرية التي فيها تلك الجرارار فإذا امتلأت الخ » .

6

10

30

7.

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأى التمر تحملون إليه ؟ قال : التَّيْسِيَّان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : ثم أية ؟ قال : الهَيْرُونُ أَزَاد . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأى النَّسَبِ تحملون إليه ؟ قال : قَسَبَ العَبْرِ . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال ابن هيرة لخالد : ادعى عليك نحسا فشاركته في واحدة وسأمت له أربعا، ما أراه إلا قد غلبك .

٥

دخل قتي من أهل المدينة البصرة ثم انصرف، فقال له أصحابه : كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس : أما الجائع فيا كل خبز الأرز والصُّعْخَاءُ^(١) لا ينفق في الشهر درهمين، وأما العزب فيترجى بشق درهم، وأما المحتاج فلا عيلة عليه ما بقيت عليه أسرته يخرأ ويبيع .

أبو الحسن المدائني قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية :
أما والله لو كنا بمكة على السواء لمأمت . قال معاوية : إنا كنا ككنا أكون ابن أبي سفيان منزى الأبطح ينشق عنه سيله، وكنت ابن خالد منزى أجياد أعلاه مدرة وأسفله عذرة .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رثة ، فقال عنه فقالوا : من بنى تغلب . فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رجلين قتما وطثا البطحاء . قال له
التغلي : البطحاء ثلاث : بطحاء الجزيرة وهي لى دوك ، وبطحاء ذى قار وأنا أحق بها منك ، وهذه البطحاء ، وسواء العاكف فيه والبادي .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تُتركني ماء سسوء فأكون أمرا سوء . قال خالد ابن صفوان : ما رأيت أرضا مثل الأبلّة أقرب مسافة ولا أعذب نطفة ولا

أوطأ مطية ولا أريج لتاجر ولا أخفى لعايد . وقال ابن أبي عيينة يذكر قصر أنس بالبصرة :

فيا حسنَ ذاك القصر قصرًا ونزهة * بأفصح سهل غير وعر ولا ضنك
بغرس كأبكار الجسوارى وتربة * كأن ترأها ماء ورد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرون حوله * إلى ملك مؤوف على منبر الملك
يُبدلُ عليها مستطيلًا بحسنه * ويضحك منها وهي مُطرقة تبيكي

قال جعفر بن سليمان : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، وقَارِئُ عينِ المربد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الخصب من شق العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشام كان الخصب بالشام ، وإذا عم جوانب البيت كان المطر عامًا . قال : [وذرع الكعبة أربعمئة وتسعون ذراعًا] .

المدائني قال قال الجحاج : لما نبؤات الأمور منازلها قالت الطاعة : أنزل الشام ، قال الطاعون : وأنا معك . وقال التفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك . وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشَّقوة : [وأنا معك] .

(١) في القنوغرافية «سلم» وفي الألمانية «سليان» و يوافقه ما في لطائف المعارف للتتائي .

(٢) زيادة في النسبة الألمانية .

كتاب السُّودد

مخايل السُّودد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعي قال : أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخاً مُسْتَأْمِلاً من أهل البادية وكان من ولد الزُّبَيْرِ بْنِ بَدْرٍ من قبل النساء، قال : كان الزُّبَيْرَان يقول :
• أبْضُ صَبَانِنَا إِلَى الْأَقْيَمِ الْذَكَرِ الَّذِي كَأَنَّمَا يَطْلُعُ فِي حَجْرِهِ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ، هَمَزَ فِي وَجْهِهِمْ وَقَالَ : مَا تَرِيدُونَ مِنْ أَبِي، وَأَحَبُّ صَبَانِنَا إِلَى الطَّوِيلِ الْفَرْقَلَةُ السَّبْطُ الْهَزَّةُ الْعَرِيضُ الْوَرَكُ الْأَبْلَهُ الْعَقُولُ الَّذِي يَطْلُعُ عَمَهُ وَيَسْمَعِي أُمَّهُ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ، قَالَ : مَعَكُمْ .

- ١٠ قال وقال الأصمعي قال معاوية : ثلاث من السُّودد : الصَّلَعُ، وَانْدِحَاقُ الْبَطْنِ، وَتَرْكُ الْإِفْرَاطِ فِي الشَّيْءِ .

قال وقيل لأعرابي : بيم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الفَتَّةَ طَوِيلَ الْفَرْقَلَةِ مُلْتَمِثَ الْإِزْرَةِ وَكَانَتْ فِيهِ لَوْمَةٌ فَلَسْنَا نَشْكُ فِي سُودْدِهِ . وقيل لآخر : أَيْ الْغُلَامَانِ أَسْوَدَ ؟ قال : إذا رَأَيْتَهُ أَتَقَتَّقُ أَشَدَّ قُرْبٍ أَمْحَقُ قُرْبٍ بِهِ مِنَ السُّودد .
١٥ وكان يقال : إذا رَأَيْتَ الْغُلَامَ غَاثَ الْعَيْنَيْنِ ضَبِيقَ الْجَبْهَةِ حَنِيدَ الْأُرْبَةِ كَأَنَّمَا جِئْتَهُ صَلَاةً فَلَا تَرْجُهُ، إِلَّا أَنْ يَرِيدَ اللَّهُ أَمْرًا فَيُلْقِيَهُ .

حَلَّتْنا الرِياثِيَّ عَنِ الْأَمْعَى قال : قَرِيشٌ تَمْدَحُ بِالصَّلَمِ . وَأَنشد :

إِنْ سَعِيدًا وَسَعِيدٌ فَرْعٌ * أَصْلَحَ نَفْسِهِ رِجَالُ صُلَحْ

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إني أظن هذا الغلام سيسود قومه . فقالت هند : تَكَلَّمْهُ إِنْ كَانَ لَا يَسُودُ إِلَّا قَوْمَهُ .

قال شيب بن شيبه لبعض فرسان بني منقر : مَا مَطَلَتْ مَطْلَ الْفُرْسَانِ وَلَا قُتِيتَ فَتَى السَّادَةِ . وقال آخر لِسَيِّدَانِ بَنِ مَسْلَمَةَ الْهَدَلِيِّ : مَا أَنْتَ بِأَرْسِخٍ فَتَكُونُ فَارِسًا وَلَا عَظِيمَ الرَّأْسِ فَتَكُونُ سَيِّدًا . وقال بعض الشعراء :

فَقَبِلْتُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ * وَكَفًّا كَتَفَ الضُّبِّ أَوْهَى أَحَقَرِ
وقال آخر :

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْيَّاعِ بِفَتْحِهِ * إِلَى بَيْعَةِ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ الْكَافِ
فَنَاوَلَنِي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا * بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخَلَائِفِ

وقرأت في كتاب للهند أنه قد قيل في الفراسة والتَّوَسُّمِ : إنه من صغرَتْ عينه [و] دام اختلاجها وتنازع طرفها وميالُ أُنْفِهِ إِلَى أَيْمَنِ شَقِيهِ وَبُعد ما بين حاجبيه وكانت مابِتْ شعره ثلاثًا وثلاثًا وطال إكبابه إذا مشى ، وتلقَّتْ نَارَهُ بعد أخرى ، غَلَبَتْ عَلَيْهِ أَخْلَاقُ السُّوءِ .

كان يقال : أَرِيعٌ يُسَوِّدَنَّ الْعَبْدَ : الْأَدَبُ ، وَالصَّبْرُ ، وَالْعِفَّةُ ، وَالْأَمَانَةُ . وقال بعض الشعراء في النبي صلى الله عليه وسلم :

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيَّنَةٌ * كَانَتْ بَدَاهَتُهُ تُشِيرُ بِالنَّجَرِ

وقال معاوية : إني لأكره البكارة في السيد وأحب أن يكون غافلًا متغافلًا .

(١) قليل لم الميز والخذل .

(٢) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ولعلها محرفة عن «البكارة أو البلاهة» كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر في هذا المعنى :

ليس النبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتخاني

ويقال في مثل : « ليس أمير القوم بالتجلب الخدع » . وقال الفرزدق :

لاخير في خب من تري فواضله * فاستطروا من قريش كل منخدع

كانت فيه إذا حاولته بلكا * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقال إلياس بن معاوية : لست يحبب وأنجب لا يخذني . وقال مالك بن أنس

عن ابن شهاب : الكريم لما تحمكه التجارب .

قال بعض الشعراء

غير أني أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يسودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : السيد الجواد حين يسأل ، الحليم حين

يستجمل ، البارز حين يماشر . قال حدي بن حاتم : السيد القليل في نفسه ، الأحمق

في ماله ، المطروح لحقه ، المعنى بأمر عاقته . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بن ساد ،

فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقيس بن عاصم : بم سدت قومك ؟ فقال :

ببذل القرى وترك المراء ونصرة المولى . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس

في الدنيا الأحمقاء وفي الآخرة الأتقياء . وقال سلم بن قتيبة لولده : إنكم لن تسودوا

حتى تصبروا على سرار الشيوخ البخر . وقال : الدنيا هي العافية ، والصحة هي

الشباب ، والمروءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هذلب : كنا نعرف سؤدد سلم

ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد

عبيه : بم سدت قومك ؟ قال : بتركي من أمرك ما لا يمتني كما عناك من أمري

مالا يمتنيك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العتري : أخبرني عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وهو في النسخة التونسية غير واضح ، وذكر في القد الفردي في باب

السؤدد هذه القصة وقال إنه روح بن زنياع .

ابن مِسْمَعٍ . فقال له : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أى شئ .
غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السوداء ، ولم يَلِ شيئا قط . وكذلك أسماء .
ابن خارجة لم يَلِ شيئا قط . قيل لعزابة الأوسى : بم سُدَّتِ قوبك ؟ فقال بأربع :
أُتخِذَ لهم عن مالى ، وأُذِلَّ لهم في عِرْضى ، ولا أَحْقِرَ صغيرهم ، ولا أَحْصِدَ رقيقهم .
وقال المُقَنَّن الكِنْدِيُّ وهو محمد بن حمزة :

ولا أَحِلُّ الحِقْدَ القديم عليهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقد
وليسوا الى نَصْرِ سِرَاعًا وإن هُم * دعونى إلى نصر أُنَيْتُهُمْ شَدَا
إذا أكلوا لِمِى وَقُرْتُ لِحَوْمِهِمْ * وإن هدموا عِجْدَى بَيْتِ لِمِى مجدَا
بُعِثْنِى بِالذِّبِّ قَوِى وَإِنَّمَا * دِيُونِى فى أَشْيَاءَ تَكْسِبُهُمْ حَدَا
وقال آخر :

هَيُونٌ لَيَنُونُ أَيْسَارُ ذَوِى يَمِير * سُوَاسَ مَكْرُمَةِ أَبْنَاءِ أَيْسَارِ
لا يَنْطَقُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا * وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِأَكْثَارِ
مَنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ قَتْلَ لَاقِيَتِ سَيِّدِهِمْ * مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِى يَسْرِى بِهَا السَّارِى
وقال آخر .

وإن سيادة الأقبام فأعلم * لها صُعدَاءَ مَطْلَعُهَا طَوِيلُ
وقال رجل من العرب : نحن لا نُسَوِّدُ إِلَّا مَنْ يُوطِئُنَا رَحْلَهُ وَيُقَرِّشُنَا عِرْضَهُ
وَيُمْلِكُنَا مَالَهُ . وفى الحديث المرفوع : « مَنْ بَذَلَ مَعْرُوفَهُ وَكَفَّ أَذَاهُ فَذَلِكَ السَّيِّدُ » .
ويقال : لَأَسُوِّدُ مع انتقام . والعرب تقول « سَيِّدٌ مَعَمٌ » يريدون أَن كل جَنَايَةٍ
يَعْنِيهَا أَحَدٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَعْصُوبَةٌ بِرَأْسِهِ . ويقال : بَلَ السَّيِّدِ مِنْهُمْ كَانَ يَتِمُّ بِعِلَامَةٍ
صَفْرَاءَ لَا يَتِمُّ بِهَا غَيْرُهُ . وإِنَّمَا سُمِّيَ الزُّبَيْرَانُ بِصَفْرَةٍ عِمَامَتِهِ . يقال : زَبَّرْتُ الشَّيْءَ
إِذَا حَصَرْتُهُ ، وَكَانَ اسْمُهُ حُصْنَيْنَا . قيل لابن هُبَيْرَةَ : مَنْ سَيِّدُ النَّاسِ الْيَوْمَ ؟
قال : الْفَرَزْدَقُ ، هِجَانِى مَلِكًا وَمَدْحِى سُوْقَةٌ . وقال عامر بن الطَّفِيلِ :

إني وإن كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثته * أبي الله أن أسمو بأب ولا أب
وليكنتني أحمي حماها وأتقى * أذاها وأرمي من دماها بمنكب

هذا نحو قول الآخر:

- نفس عصام سودت عصاما * وعلمته العكر والإقداما
• وصبرته ملكا هماما •

وعصام عبد كان للنعان بن المنذر . وله يقول النابغة :

فلما لا ألوم على دخول * ولكن ما وراثة يا عصام ؟

الكال والتمهي في السؤدد

- حدثني أبو حمزة الأنصاري عن العتيبي قال ، قال الأحنف : الكامل من
عُلت هفواته . وكتب معاوية إلى زياد : انظر رجلا يصلح لشرف الهند فوله ،
فكتب إليه : إن قبلي رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قيس ، وسنان بن سلمة
الهملي . فكتب إليه معاوية : بأى يومى الأحنف تكافيه : أتخذه لأنه أم المؤمنين ، أم بسمة
علينا يوم صقين ؟ فوجه سنانا ، فكتب إليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف
والعلم والسؤدد ما لا تتفقه الولاية ولا يضره العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا :
أوحده الله فما مثله • لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمُستكبر • أن يجمع العالم في واحد

وقال أيضا في نحو هذا :

- يا ناك لا تسأى أو تبلى رجلا • تقيل راحته والركن سنان
• متى تحلى إليه الرمل سالمة • تستجيب الخلق في تمثال إنسان

محمد خير من يمشي على قَدَم * ممن برا الله من إنس ومن جان
تنازع الأحمدان الشَّبه فاشتبه * خلقا وخلقاً كما قُدَّ الشراكان
سيان لافرق في المعقول بينهما * معانها واحد والعلة اثنان

وقال الطائي

لو أن إجماعنا في فضل سُوْدَه * في الدين، لم يختلف في الملة اثنان

وقال أيضا

فلو صوّرت فسك لم تَردها * على ما فيك من كرم الطباع

وقال خالد بن صَفْوَان : كان الأحنف يفتر من الشرف والشرف يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأَصْمَعِي قال : وفد الأحنف والمنذر بن الجارود إلى

١٠ معاوية، فتبنا المنذر وخرج الأحنف على قعود وعليه بَتٌ، فكلمنا من المنذر قال

الناس : هذا الأحنف، فقال المنذر : أراي تزيئت لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم

للأحنف : ما أعظم متبنا عليك ! فضلتك وسودناك، فقال : هذا شبل بن معبد، من

سُوْدَه وليس بالحَصْرَة بحلّ غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبد الأعلى الشاعر الشَّيبَانِي : من أكرم

١٤ العرب أو من خير الناس ؟ قال : من يحبُّ الناس أن يكونوا منه، ولا يحبُّ أن

يكون من أحد، يعني بنى هاشم . قال : من أكرم الناس ؟ قال : من يحبُّ أن

يكون من غيره، ولا يحبُّ غيره أن يكونوا منه . قال رجل من أشراف العجم لرجل

من أشراف العرب : إن الشَّرَفَ نسب مفرد، فالشريف من كل قوم نسيب . وكان

يقال : أكرم الصَّفَايا أشتها وحمّا إلى أولادها، وأكرم الإبل أحثها إلى أوطانها،

٢٠ وأكرم الأتلاء أشتها ملازمة لأمهاتها، وخير الناس أَلَفُ الناس للناس .

(١) جمع قُرْب الكسر أو كنهذ وكنّ، وهو الجش أو المهر إذا ضلأ أربطها السنة .

المَيَادَة وَالْكَال فِي الْحَدَاثَة

قال الأحنف : السؤدد مع السواد ، يريد أنه يكون سيدا من أئمة السيادة في حدائمه وسواد رأسه وحيته ، وقد يُذهب بعماء إلى سواد الناس وغاقتهم يُراد أن السؤدد يكون بتسويد العامة . وقال أبو اليقظان ولّى الجمّاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحكم الثقفى قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولّاه السند فافتتح السند والهند وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إن السباحة والمروءة والندى * لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * ياقرب ذلك سؤودنا من مولد !

ويروى : ياقرب ذلك سُورَة من مولد « السورة المنزلة الرفيعة . قال أبو اليقظان : وهو

- جعل شيراز معسكرا ومنزلا لولاء فارس . وقال حمزة بن بيض لمحمد بن يزيد بن المهلب :
بلغت لعشر مضت من سنيك ما يبلغ السيد الأشيب
فهمك فيها جسام الأمور * وهم لدايك أن يلعبوا

نظر الخطيئة إلى ابن عباس يتكلم في مجلس عمر ، فقال : من هذا الذى نزل عن الناس في سنه وعلاه في قوله ! وقال ابن مسعود : لو بلغ أسناننا ما عشرة منا

- رجل . ونظر رجل إلى أبي ذؤلف في مجلس المأمون فقال : إن همت ترى به وراء سنه ، وولى عبيد الله بن زياد نراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، ولها معاوية .
وقيل لزياد عند موته : استخلف عبيد الله ، فقال : إن يك فيه خير فسيوليه عمه ، فلما مات زياد شخص عبيد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أباك أن يوليكَ ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين ، لا يقولها أحد

(١) قال ابن برى هو بكسر اليا لا غير ، وضبطه الحافظ بالفتح .

(٢) هكذا بالأصل وبعبارة القاسم عشرة وقال في بيانها : لو كان في السن مثلا ما بلغ أحد منا عشرة عليه .

بعدك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعماله، فرغب فيه فاستعمله على خراسان .
 وولى معاذالين وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة
 وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناس عن إبراهيم النخعي وهو ابن ثمانين
 عشرة سنة . وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد مكة وهو ابن
 خمس وعشرين سنة . وسوّدت قريش أبا جهل ولم يطعوا شاربته فأدخلته مع الكهول
 دار الندوة . قال الكيت :

رُفِعَتْ إِلَيْكَ وَمَا تُفَرِّجُ^{١١} * تَ عِوُنُ مُسْتَمِيعٍ وَنَاطِرٍ
 وَرَأَوْا عَلَيْكَ وَمِنْكَ فِي السَّجْدِ الْهَيْ ذَاتِ الْبَصَائِرِ

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحوز يريد
 الكلام ، فقال عمر : كبروا كبروا، فقال الفتى : يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس
 بالنس، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسن منك، قال صدقت فتكلم .
 قال الشاعر في خلاف هذا المعنى :

إِنَّمَا الْهَلَكُ أَنْ يُسَاسُوا بِفَرٍّ * لَمْ تُعْرِهِ الْأَيَّامُ رَأْيَا وَثِقًا

وقال آخر :

أَلَا قَالَتِ الْحَسَنَاءُ يَوْمَ لَقِيَهَا * كِبَرَتْ، وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ جُزْعًا
 رَأَتْ ذَا عَصَا يَمْشِي عَلَيْهَا وَشَيْبَةً * تَقَعُّعٌ مِنْهَا رَأْسُهُ مَا تَقَعُّعًا
 فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَهَزِّي بِي فَقَامَا * يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا
 وَلِلْقَارِحِ الْيَبُوبُ خَيْرٌ عِلَالَةً * مِنَ الْجَذَعِ الْمَجْرَى وَأَبْعَدُ مَرْتَبًا
 رَأَى بُكَيْرِ بْنِ الْأَخْنَسِ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ غِلَامٌ فَقَالَ :

خَذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يُسَدِّ سَرَوَاتِهِمْ * وَيَرِيعَ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

(١) يخال نفرا الغلاب إذا سقطت أسنانه الرواضع .

الهمة والخطر بالنفس

- قال أخبرنا خالد بن جويرية عن محمد بن ذؤيب الفقي^(١) وهو الباقى الرابض عن
 ذكين الرابض قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استخلف أستعجز منه وعدا كان
 وعدنيه وهو وإلى المدينة، فقال لى : يا ذكين إن لى نفسا تواقفة، لم تزل تنوق إلى
 الإمارة، فلما تلتها تأقت إلى الخلافة، فلما تلتها تأقت إلى الجنة . وما رزأت من
 أموال المسلمين شيئا، وما عندى إلا ألفا درهم، فاختراهما شئت، وهو يضحك .
 فقلت : يا أمير المؤمنين، قليلك خير من كثير غيرك ، ويقال قليلك خير من كثير
 غيرك، فاخترتلى أنت، فدفع إلى ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها، فابتعت بها
 إبلا وسقتها إلى البادية، فرمى الله فى أذنانها بالبركة بدعوته حتى رزقنى الله مازون .
- قال معاوية لمعمرو بن العاص حين نظر معسكر على عليه السلام : من طلب
 غفليا خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول : عليكم بكل أمر مزلة مهلكة . أى عليكم
 بحسام الأمور . وقال كعب بن زهير :

وليس لمن لم يركب الهول بُقية ۞ وليس لرجل حظ الله حاصل

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والحنأ ۞ أصبت حلما أو أصابك جاهل

- وفى كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر : عمل
 السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدو . وفيه أيضا : لا ينبغي أن يكون الفاضل من
 الرجال الا مع الملوك مكرما أو مع الناسك متبتلا ، كالليل لا يحسن أب يرى إلا
 فى موضعين : فى البرية وحشيا أو للولك مريجا . وفيه أيضا : ذو الهمة إن حط نفسه
 تأبى إلا علوا كالشعلة من النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . وقال الباقى :
- تولم على ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنها كل طرف وتالد

(١) نسبة إلى قديم دارم ، قال فى القاموس : والنسبة إلى قديم كناية قديم كبرنى رهم نساء الشيوعى فى الجاهلية ،
 وإلى قديم دارم قديمى ۞ .

يسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى * مقصهما بالمشرقات البوارد؟
ذريتي تجشنى بيتى مطمئنة * ولم أتحكم هولك تلك الموارد
فإن كرمات المعالي مشوبة * بمستودعات فى بطون الأساود

وقال الطائي :

وأخرى لحنى يوم لم أمنع النوى * فيأدى ولم ينقض زيماعى ناقض
أرادت بأن يحوى الغنى وهو وادع * وهل يرئس الليث الطلأ وهو رابض؟

وقال أيضا :

فاطلب هدوءا فى التقلقل وأستر * بالعيس من تحت الشهاد هجودا
ما إن ترى الأحساب يعضا ومحقا * إلا بحيث ترى المنايا سودا

وقال آخر :

* ما المر إلا تحت ثوب الكد *

وقال آخر :

اللؤلؤ فى دمة النفوس ولا أرى * عز المعيشة دون أن يُشقى لها

وقال بعض المحدثين وأظنه البهترى :

فاطلبا ثالثا سواى فإنى * رابع العيس والدجى والبيد
لست بالواهن المقيم ولا القا * ثل يوما إن التقي بالجدود
وإذا استصعبت مقادة أمة * سهلتها أيدى المهاري القود

وقال عبد الله بن أبي الشيص :

أظن الدهر قد آلى فبرا * بأن لا يكسب الأموال حرا
لقد قصد الزمان بكل حرا * ونقض من قواه المستعرا
كان صفائح الأحرار أردت * أباه لخارب الأحرار طرا

(١) فى النسخة الألمانية : القله ، وفى القنطرة : القله ، والتصويب عن الديوان .

فأصبح كل ذي شرف زكوبا * لأعناق الدجى برا وبحرا
فهنك جيب درع الليل عنه * إذا ماجب درع الليل زرا
راقب للننى وجها تحسوكا * ووجها للنينة مكفها
ومن جعل الظلام له قودا * أصاب به الدجى خيرا وشرا

- وكان يقال : من سره أن يعيش مسرورا فليقتع ، ومن أراد الذكر فليجهده . قيل
للعناني : فلان بعيد الهمة ، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة . وقيل لبعض الحكماء :
من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من أسمعته معرفته وضائقته مقدرته وبعدت همته .
وقال عدي بن الرقاع :

والمرء يورث جوده أبنائه * ويموت آخر وهو في الأحياء

- ١٠ أبو اليقظان قال : كان أول عمل وليه الحاجب تبالة ، فسار إليها فلما قرب منها
قال للدليل : أين هي وعلى أى تمت هي ؟ قال : تسرها عنك هذه الأكمة . قال
لا أراى أميرا إلا على موضع تستر منه أكمة ! أهون بها ولاية ! وكر راجعا . فقيل
في المثل : «أهون من تبالة على الحاجب» . وقال الطائي :

وطول مقام المرء في الحى مخلق * ليساجتبه فأعترب نتجند

- ١٥ فإني رأيت الشمس زيدت محبة * إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال رجل لآخر : أبوك الذى جهل قدره وتعدى طوره فشق العصا وفرق
الجماعة ، لا جرم لقد هزم ثم أسر ثم قُتل ثم صلب . قال الآخر : دعنى من ذكر
هزيمة أبى ومن صلبه ، أبوك ما حدث نفسه بشئ من هذا قط . قال حاتم طي :

لحى الله صعلوكا مناه وهمه * من العيش أن يلقى أبوسا ومطما

- ٢٠ يرى الخمص تمذيبا وإن يلقى شعبة * يبت قلبه من قلة الهم مبهما
ولله صعلوك يساور همه * ويمضى على الأهوال والدهر مقديما

يرى قوسه أورمحه ويحتمه * وذا شطّيب لَدَنَ المَهْرَةَ مُخْدَمَا
وأحناء سرج قاتِرٍ ولجامه * مُعَدَّا لدى الهيجا وطرفا مُسَوِّمَا
فذلك إن يهلك حتى ثأؤه * وإن يحى لا يقعد لثيا مَدَمَّا

وقال آخر :

لا يمتنعك خَفَصَ العيش تطلبه * نزاعُ شوقٍ إلى أهل وأوطانٍ
تلقى بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها * أهلا بأهلٍ وجيرانا يجيران

ويقال : ليس بينك وبين البلدان نسبٌ غير البلاد ما حلك . وقال عروة بن الورد :

لحى الله صعلوكا إذا جَنَّ ليله * مُصافى المشاش ألفا كلَّ مجزِرٍ
يبدُ النوى من دهره كلَّ ليلة * أصاب قِراها من صديق مُبَسِّرٍ
ينام عِشاءً ثم يُصبحُ قاعدا * يَحْتِ الحِصَا من جنبه المُتَعَفِّرِ
يُعينُ نساءَ الحى لا يَسْتَعِنَهُ * ويُسمى عليهما كالبعير المُحْصَرِ
ولله صعلوكٌ صَفِيحَةٌ وجهه * كضوء شهاب القابِسِ المُتَوَرِّ
مُطِئِّلٌ على أعدائه يزجرونه * بساحتهم زجر المنيح المشهر

وقال آخر :

قول سُلَيْمَى : لو أَقَمْتَ بأرضنا ! * ولم تَدْرِ أنى اللُقَامُ أطوفُ

وقال الطائي في نحوه :

أَلَيْسَةَ النَّحِيبِ كم افتراقٍ * ألم فُكَّانِ داعيةِ اجتناعِ
وما إن فرحة الأوباءِ إلا * لموقوفٍ على تَرَحِّ الوَدَاعِ

(١) القاتِر والمُتَعَفِّر من الرجال والسروج الجيد الوقوع على الظهر أو العليق منها . قاموس .

(٢) المشاش جمع شاشة وهي رأس النظم المحسّن مضه . (٣) كذا في الأصول والأغاني ،

وفي الحاشية : « ولكن صعلوكا الخ » . (٤) في الأصول اطل ، والتصويب عن الديوان .

نظر رجل إلى روح بن حاتم واقفا في الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال وقُوفك في الشمس . فقال روح : لِيَطْلُوَ مُقَامِي فِي الظِّل . وقال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ :
وَلَنْ أَكُونَ كَنَ أَلْفِي رِحَالَتِهِ * عَلَى الْحَمَارِ وَخَلَّ صَهْوَةُ الْقَرَسِ

وقال آخر:

لَا أَنْتَ قَصَّرْتَ عَنْ مَجْدٍ وَلَا أَنَا ، إِذْ * أَتَمُّوْا إِلَيْكَ بِنَفْسِي ، قَصَّرْتُ هِمَمِي
قال عمر بن الخطاب : أَشْتَمُوا بِالْكُفَى فَإِنَّهَا مَنِيَّةٌ . دخل عبيد الله بن زياد بن طليان
التيمنى على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له : أَلَا أَوْصِي بِكَ الْإِمِيرَ ؟ فقال عبيد الله :
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِحَيٍّ إِلَّا وَصِيَّةُ الْمَيِّتِ فَالْحَيُّ هُوَ الْمَيِّتُ . وقال الشاعر في نحوه :
إِذَا مَا الْحَيَّ عَاشَ بِعَقْلٍ مَيِّتٌ * فَذَلِكَ الْعَظْمُ حَيٌّ وَهُوَ مَيِّتٌ

وقال معاوية لمعمر بن سعيد وهو صبي : إِلَى مَنْ أَوْصِي بِكَ أَبُوكَ ؟ قال :
أَوْصِي إِلَى وَلَمْ يَوْصَ بِي . نظر أبو الحارث حمير إلى رِثْوَيْنِ يُسْتَقَى عَلَيْهِ ، فقال : الْمَرْءُ
حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ، لَوْ هَمَّ لَجَّ هَذَا لَمْ يُبَيِّلْ بِمَا تَرَوْنَ . قال الطائي :

وَقَلَقَلْنَا بَنِي مِنْ خِرَاسَانَ جَاشَهَا * قَلَقَلْتُ أَطْمَنِي أَنْضُرُ الرُّؤُوسِ غَازِبُهُ
وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا * عَلَى مِثْلِهَا ، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهُ
لَأَمْرِ طَلِيهِمْ أَنْتَ تَمَّ صَدُورُهُ ، * وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ عَوَاقِبُهُ

وقال آخر:

وَعِشْ مَلِكًا أَوْ مَتَّ كَرِيمًا ، وَإِنْ تَمَّتْ * وَسَيُفْكَ مَشْهُورٌ بِكَفْكَ تُعَذِّرُ
وَالْمَشْهُورُ فِي هَذَا قَوْلُ اِمْرَأِ الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ * كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِجَنْدٍ مَوْثِلٍ * وَقَدْ يَدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتِلَ أَمْثَالُ

وقوله :

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه * وأيقنَ أَنَا لاحقَاتَ بقيصرا
فقلت له : لا تيك عينك ، إنما * نحاول مُلكاً أو نموتُ فُتَعَدراً
وقال أبو نُوَاس :

سأبغى النقي إذا جلسَ خَلِيفَةً * تقومُ سَوَاءً ، أو تُخِيفَ سَبِيلَ
وقيل ليزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ! فقال : متري دارُ الإمارة أو الحليس .
والمشهور في سقوط الهمة قولُ الحُطَيْثَةِ :
دَعِ المَكَارِمَ لا تَرَحَّلْ لُبَيْتِهَا * وأَقْعُدْ فَانَكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي .
وقال مالك بن الرِّبِّ :

فإن تُصِفُونَا آلَ مروانَ تَقْتَرِبْ * إليكم وإلَّا فَأَذْنُوا بَتَعَادِي^(١) ١٠
فإن لنا عنكم مَرَامًا ومرحلاً * يهيس إلى ربحِ الفَلَاةِ صَوَادِي
وفي الأرض عن دارِ المَلَذَّةِ مَذْهَبٌ * وكلُّ بلادٍ أُوطِنَتْ بِلَادِي
فإننا عسى المِجَاجَ يَبْلُغُ جَهْدُهُ * إذا نَحْنُ جَاوِزْنَا حَفِيرَ زِيَادِ
فَيَأْسَتْ أَيْ المِجَاجِ وَأَسَتْ عَجُوزُهُ * عَتِيدٌ^(٢) بِهِمْ يَرْتَعَى بُوَهَادِ
فلولا بنو مروانَ كَانُوا بَنُيُوسُفَ * كما كَانَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِ إِيَادِ ١٥
زَمَانٌ هُوَ الْمُقَرَّى^(٣) الْمُقَرَّبُ بَذَلَةٍ * يُرَاجِحُ غُلَامَانِ الْقُرَى وَيُنَادِي
بعث ليخاطب خليفتها إلى ابن عائشة المحدث وهو عبيد الله بن محمد بن حفص
التيمي ، فأناء في خلقته في المسجد فقال له : أبو من ؟ قال : هلا عرفت هذا قبل مجيئي !

- (١) في الكامل لبرد طبع ليخرج : « يباد » بدل « تصادى » وهو الأنثب لحيات .
(٢) التمدد صغير عتود وهو كافي لسان العرب من أرلاد المزمز مازمى وقوى وأق طيه حول ، بصفة بالضعف .
(٣) القرى لطلب الضيافة ، وفي الحاشية والكامل : « العبد » . (٤) كذا بالأصل ؟

قال: أريد أن تُخَيِّقَ . قال : في حاجة لك أم في حاجة لي ؟ قال : في حاجة لي .
قال : فَالْتَقَيْ في المنزل . قال : فإن الحاجة لك . قال : مادون إخواني سرّ .

وقال بعض لصوص همدان وهو مالك بن حريم :

كذبتُم وبيتِ الله لا تأخذونها * مرأعتمَ ما دام للسيف قائمُ
متى تجيع القلب الذكي وصارما * وأثقا حياءَ تجنّبك المظالمُ
ومن يطلب المال المنع بالقتا * يمش مؤثراً أو تحترمه الحارمُ
وكنتم إذا قومٌ غزّوئي غزّوئهم * فهل أنا في ذا يالَ همدان ظالمُ

وقال أبو النّشاش، من اللصوص :

إذا المرء لم يّرح سَواً ولم يّرح * سَواً ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خيرٌ للقي من حياته * فقيرا ومن مولى تدب عقاربه
وسائلٌ بالغيث عني وسائل * ومن يسأل الصّملوك أين مذهبهُ ؟
وطامسة الأعلام ماثلة الصّوى * سرّت بأبي النّشاش فيها ركائبه
فلم أرمثل الفقر ضاجعه الفتى * ولا كسواد الليل أخفق صاحبه^(١)

وقال آخر من اللصوص :

وإني لأستحي من الله أن أرى * أطوف بأرض ليس فيه بصيرُ
وأن أسأل المرء اللّثيم بصيره * وبُعرانُ ربي في البلاد كثيرُ
فليل إن وارايني الليلُ حكمة * وللشمس إن غابت على تدورُ
صوى النّسب فاستأنت للذّئب إذعوى * وصوتُ إنسانٍ فككتُ أطيرُ
رأى الله إني للأنيس لسانِي * وتبغضهم لي مقلّة وصميرُ

(١) في الحاشية : « طالع » . أي اللالاب فيه .

وقال البر بن تَوَلَّب :

خاطرِ نفسك كَي تُصِيبَ غَنِيَةً * إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ الْعِيَالِ فَيَسُحُ
فَالْمَالُ فِيهِ تَحِيلَةٌ وَمِهَابَةٌ * وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقُبُوحُ

وقال آخر :

تَقُولُ ابْنِي : إِنَّ انْطِلَاقَكَ وَاحِدًا * إِلَى الرُّوْعِ يَوْمًا تَارِكِي لَا أَبَالِيَا
ذَرَيْنِي مِنَ الْإِشْفَاقِ أَوْ قَدِي لَنَا * مِنْ الْحَدَثَانِ وَالْمَنِيَةِ وَاقْبَا
سَتَتَلَفُ نَفْسِي أَوْ سَأَجْعُ هَيْجَةً * تَرَى سَاقِيهَا يَأْمَانُ التَّرَاقِبَا

وقال أوس بن حجر :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرًا * مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيُثَلِّبَ عُذْرًا أَوْ لِيَبْلُغَ حَاجَةً ، * وَمُيْلُغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنِجِحِ

وقال آخر :

رَمَى الْفَقْرُ بِالْأَقْوَامِ حَتَّى كَانَتْهُمْ * بِأَطْرَافِ آفَاقِ الْبِلَادِ نَجُومُ

قال كسرى : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، والليم إذا شبع . وقال الشاعر :

خُلُقَانٍ لَا أَرْضَى اخْتِلَافَهُمَا : * تَيْسُهُ الْغِنَى ، وَمَذَلَّتُهُ الْفَقْرُ
فَإِذَا غَنَيْتَ فَلَا تَكُنْ يَطْرَا * وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَتَهْ عَلَى الدَّهْرِ
وَأَصْبِرْ ، فَلَسْتَ بِوَاجِدٍ حَقًّا * أَدْنَى إِلَى فَرْجٍ مِنَ الصَّبْرِ

كان أعرابي يمنع ابنه من التصرف إشفاقا عليه ، فقال شعرا فيه :

إِذَا مَا الْفَقْرُ لَمْ يَسْخُجْ إِلَّا لِإِيَّاسِهِ * وَمَطْعَمُهُ ، فَالْخَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ
يَذْكُرُنِي خَوْفُ الْمَنَايَا ، وَلَمْ أَكُنْ * لِأَهْرَبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ مَحِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقَرَّبْتُ مَجْلِسِي * وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ
رَأَيْتُ الْغِنَى قَدْ صَارَ فِي النَّاسِ سُودَدًا ، * وَكَانَ الْفَقْرُ بِالْمَكْرُومَاتِ يَسُودُ

وإن قلت لم يُسمع مقال وإني * مُبِيدٌ حَقَّ بينهم ومُعِيدُ
فَذَرْنِي أُجَوِّلُ فِي الْبِلَادِ لَمَلَهُ * يُسِرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُبَايِعُ حَسُودُ
أَلَا رُبَّمَا كَانَ الشَّفِيقُ مَضَرَّةً * عَلَيْكَ مِنَ الْإِشْفَاقِ وَهُوَ وَدُودُ
وقال أعرابي من باهلة :

سَأَعْمَلُ نَصْرَ الْعَيْسِ حَتَّى يَكْفَنِي * غَنَى الْمَالِ يَوْمَا أَوْغَى الْحَدَثَانِ
فَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يَرَى لَهَا * عَلَى الْحَزَنِ الْإِقْلَالُ وَسَمُ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمُ بُلُغَ حُسْنِ كَلَامِهِ * وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا : عَدِيمُ بَيَانِ
كَأَنَّ الْغَنَى عَنْ أَهْلِهِ - بُورِكَ الْغَنَى - * بَنِي لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

الشريف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابي :

وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ بِحَيْدِ الْغَنَى * وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَاجِدُ الْعَمِّ مَحْوِلًا
يَمْنُونُ إِنْ أَعْطَوْا وَيَحْجِلُ بَعْضُهُمْ * وَيَحْسَبُ عَجْزًا سَكُنُهُ إِنْ تَجَلَّلَا
وَيُزِي بِسَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةَ مَالِهِ * وَإِنْ كَانَ أَهْوَى مِنْ رِجَالٍ وَأَحْوَلَا

وقرأت في كتاب للهند : ليس من خَلَّةٍ يَمْنَحُ بِهَا الْغَنَى إِلَّا ذَمُّ بِهَا الْفَقِيرُ ، فإن
كان شجاعاً قيل أَهْوَجُ ، وإن كان وقوراً قيل بَلِيدٌ ، وإن كان كسياً قيل مِهْنَارٌ ،
وإن كان زَمِيناً قيل عَيٌّ . وقال آخر :

الْفَقْرُ يُزِي بِأَقْوَامِ ذَوِي حَسَبٍ * وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ
وأنشد ابن الأعرابي :

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أَرْزَقْ مَرْوَنَةً * وَمَا الْمَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً يُقَعِّدُنِي * عَمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي رِقَّةُ الْحَالِ

وقال آخر :

يُغَطِّي عِوَبَ الْمَرْءِ كَثْرَةُ مَالِهِ • يُصَدِّقُ فِيمَا قَالَ وَهُوَ كَذُوبٌ
وَيُزَيِّرُ بِعَقْلِ الْمَرْءِ قَلَّةُ مَالِهِ • يُحَقِّقُ الْأَقْوَامُ وَهُوَ لَيِّبٌ

وقال آخر :

• كَمَ مِنْ لَيْسِ الْجُدُودِ سَوْدَهُ الشَّمَالُ، أَبَوُهُ وَأُمُّهُ الْوَرَقُ
وَكَمْ كَرِيمِ الْجُدُودِ لَيْسَ لَهُ • عَيْبٌ سِوَى أَنْ تُوبَهُ خَلَقُ
أَذْبَهُ سَادَةٌ كَرَامٌ فَمَا • ثُوبَاهُ إِلَّا الْعَفَافُ وَالْخُلُقُ

وَأَشَدُّ الزَّيَاشَى :

(١) غَضَبَانِ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ سَاقٍ لَهُ • مَا لَمْ يُسْقِفْهُ لَهُ دِينٌَّ وَلَا خُلُقُ
لَوْلَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا سَقَفَتْهَا بَطَرًا • إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ضَاقَتْ الطَّرِيقُ
فَنَ يَكُنْ عَنْ كَرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي • فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرَقُ

وقال أُحِيْمَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ :

اسْتَغْنَى أَوْمَتْ وَلَا يَفْرُكُ ذَوْنُ شَب • مِنْ أَبٍ عَمٍ وَلَا عَمٍ وَلَا خَالَ
يَلُودُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ حَقٍّ أَقْرَبِهِمْ • وَعَنْ صَدِيقِهِمْ وَالْمَالُ بِالْوَالِي
وَلَا أَزَالُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا • إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ
كَلَّ النَّدَاءَ إِذَا نَادَيْتُ يَحْدُلُنِي • إِلَّا نَدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي

وقال حَصَان :

رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ • لَوْ وَجَّهْتُ عَلَيْهِ النِّعَمُ

وقال الْهَدَلِيُّ :

رَأَيْتُ مَعَاشِرًا يُنْتَقِ عَلَيْهِمْ • إِذَا شَبِعُوا وَأَوْجَهُهُمْ قِيَابُ

(١) في القصد القريد «سيران» . (٢) في الأصل «قلت له الناس انزع» والتصويب عن القصد القريد .
(٣) في الأصول يتركز بالعين والواو ، والتصويب عن الأغاني . (٤) في القاموس : الزوراء مال لأحيمة .

يَظَلُّ الْمُصْرِمُونَ لَمْ يَجُودُوا * وَلَوْ لَمْ يَسْقَ عِنْدَهُمْ ضِيَاخٌ^(١)

ويروى يُلَفُّ. وقال بعضهم: وددت أن لي مثل أحد ذهباً لا أُنْتَفِعَ منه بشيء. قبل له: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمني عليه. قال الصلتان:

إِذَا قَلَّتْ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى: * أَرُونِي السَّيْرَى، أَرَوْكَ الْفَتَى

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي * وَسِرِّ النَّسْلَةِ غَيْرُ الْخَفَى

وقال آخر:

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ: مَا جَدَى وَمَا شَرَفِي، * الشَّانُ فِي فِضْقِي وَالشَّانُ فِي ذَهَبِي
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مَالٌ لَمْ يَطَّرْ أَحَدٌ * بَابِي وَلَمْ يَعْرِفُوا جَدَى وَجَعْدَ أَبِي

وقال آخر:

- ١٠ أَجَلْتُ قَوْمَ حِينَ صِرْتُ إِلَى الْفَتَى، * وَكُلُّ غِنَى فِي الْعِيُونَ جَلِيلٌ
وَلَوْ كُنْتُ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ تَوُتْ ثَرْوَةٌ * ذَلَّتْ لِسِيهِمُ وَالْفَقِيرُ ذَلِيلٌ
إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ وَغَبَّتْ * إِلَيْهِ وَمَالُ النَّاسِ حَيْثُ يَمِيلُ
وَلَيْسَ الْفَتَى إِلَّا غِنَى زَيْنِ الْفَتَى * عَشِيَّةٌ يَقْرَى أَوْ غَدَاةٌ يُفِيلُ

وقال آخر:

- ١٥ وَكُلُّ مُقِيلٍ حِينَ يَنْسِلُو لِحَاجَةٍ * إِلَى كُلِّ مَنْ يَعْلَمُونَ النَّاسَ مُذْنِبٌ^(٢)
وَكَانَ بَنُو عَمِي يَقُولُونَ مَرْحَبًا * فَلَمَّا رَأَوْنِي مُعْذِمًا مَاتَ مَرْحَبٌ

وقال آخر:

أَبَا مَصْلَحٍ أَصْلَحَ وَلَا تَكُ مَفْضِلًا * فَإِنَّ صِلَاحَ الْمَالِ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمُسْرَةَ يَزْدَادُ عِزَّةً * عَلَى قَوْمِهِ إِنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مُغْرَى

وقال عُروَةُ بْنُ الْوَرْدِ:

- ٢٠ ذَرَيْنِي لِلْفَتَى أَسْمَى فُلَانِي * رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

(١) المصرم: الفقير الكبير العيال. (٢) الضياخ: اللبن الرقيق المزوج بالماء.

(٣) كذا بالأصول، وفي البغد القريض: «يقطع».

وَأَعْلَمُ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ * وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرٌ
وَيُقَصِّمُهُ التَّدْيُّ وَتَزِدُّهُ * حَلِيلُهُ وَيَهْرُهُ الصَّغِيرُ
وَتُلْفِي ذَا النِّفَى وَلَهُ جَلَالٌ * يَكَادُ قَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ * وَلَكِنْ لِلْفَنَى رَبٌّ غَفُورٌ

وقال زيد بن عمرو بن نُهَيْل :

وَيَكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ تَسَبُّ يُحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَفْتَقِرْ عَيْشَ ضَرٍّ
وَيُحْتَسِبُ سِرَّ النِّجَى وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحْضَرُّ كُلِّ سِرٍّ

وقال آخر :

أَلَمْ تَرَيْتَ الْفَقْرُ يُهْجِرُ أَهْلَهُ * وَبَيْتَ الْغِنَى يُهْدِي لَهُ وَيُرَارُ .

وقال آخر :

إِذَا مَا قُلَّ مَالُكَ كُنْتَ فَرْدًا * وَأَيُّ النَّاسِ زُؤَارُ الْمُقَلِّ ؟

وقال عبد العزيز بن زُرَّارَةَ :

وَمَا لُبُّ اللَّيْبِ يَهْدِي حِظَّ * بَاغِي فِي الْمَعِيشَةِ مِنْ قَبِيلِ
رَأَيْتُ الْحِظَّ يَسْتَرْعِبُ قَوْمَ * وَهَيْمَاتِ الْحِظْوَةِ مِنَ الْعُقُولِ

وقال الطائي :

الصَّبْرُ كَالسَّيْفِ وَبَطْنُ الْكَفِّ عَارِيَةٌ * وَالْعَقْلُ عَارٍ إِذَا لَمْ يُكَمَّسْ بِالنَّشَبِ
مَا أَضْيَعَ الْعَقْلَ إِنْ لَمْ يَرَّحْ ضَبْعَتَهُ * وَفَرٌّ وَأَيُّ رَحَا دَارَتْ بِلَا قَطْبِ ؟

وقال آخر :

عِشْ بِجِدٍّ وَلَا يَضُرْكُ تَوَكُّؤُكَ * إِمَّا عِشْ مِنْ تَرَى بِالْجُلُودِ
عِشْ بِجِدٍّ وَكُنْ هَبْنَقَةً تَقِي * فَوَكَا أَوْ خَالَهَ بَنُ يَزِيدَ

(١) في الأصول «نم» ، والتصويب عن البيان لما حاط .

(٢) في البيان لما حاط «شبية بن الوليد» ، وهو الموافق لما في اللسان في مادة هبت .

وقال الطائي:

يَسْأَلُ النَّفْيَ مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ * وَيُكِدِّي النَّفْيَ فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
وَلَوْ كَانَتِ الْأَرْضُ زَائِقًا تَجْرَى عَلَى الْحِجَا * هَلَكَنَ إِذَا مِنْ جِهْلِهِمْ الْبِهَائِمُ

وقال المُرَّار:

إِذَا لَمْ تُرَافِدْ فِي الرَّفَادِ وَلَمْ تَسْقِ * صَدَقُوا وَلَمْ تَسْتَفِنْ فَلَمُوتِ أَرْوَحُ

وقال ابن السَّمِينَةِ التَّفَقَّى:

أَطْعَمْتُ الْعِرْسَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى * أَعَادَتْنِي عَيْشِيًّا عَبْدَ عَمِيدٍ
إِذَا مَا جِئْتُهَا قَدْ بَسْتُ عَنَقًا * تُعَارِقُ أَوْ تُقْبِلُ أَوْ تُهْدِي

وقال الأشعر الجُفِيُّ:

وَحَصَاصَةُ الْجُفِيِّ مَا دَانِيَتْهُ * لَا يَنْقُضِي أَبَدًا وَإِنْ قِيلَ أَقْضَى
إِخْوَانُ صَدِيقٍ مَا رَأَوْكَ بِفِطْلَةٍ * فَإِنْ انْتَقَرَتْ فَقَدْ هَوَى بِكَ مَا هَوَى

وقال آخر:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَكْسِبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ * شَكَاهُ الْفَقْرُ أَوْلَاقَ الصَّدِيقِ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الْأَذْنَيْنِ كَلًّا وَأَوْشَكَا * صِلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَسْكُرَا
قَسِرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالْتَمَسَ النَّفْسُ * تَعِيشُ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ تَحْصُرَا
وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ يُبْتَنَى * مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ أَجَدٍ وَشَمْرَا
فَلَا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بِدُونِ وَلَا تَمُتْ * وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلُ مَنْ كَانَ مُعْصِرَا

وقال آخر:

مَنْ يَجِيعُ الْمَالَ وَلَا يُتَبَّ بِهِ * وَيَتْرِكُ الْعَامَ لِعَامٍ جَدِّهِ

٢٠ * يَهِنُ عَلَى النَّاسِ هَوَانٌ كَلْبِهِ *

قال أبو اليَقْظَانِ : مَا سَادَ مُمْلِكٌ قَطُّ إِلَّا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن حماد بن سلمة عن عبيد الله بن العزير
عن عبد الله بن عمرو أنه قال: احثرتُ لَدُنْكَ كأنك تعيش أبداً وأحثرتُ لا تحرك كأنك
تموت غداً .

قال حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثني أصحاب أيوب عن أيوب
قال : كان أبو قلابَةَ يُحْثِي على الاعتراف ويقول : إِنَّ الْغَنَى مِنَ الْعَافِيَةِ .

قال وقال الأصمعي : سأل أعرابي عن رجل فقالوا : أحقُّ مرزوقٌ ، فقال :
ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : الذين
والعرض . ويقال في بعض كتب الله : أظنني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يفعله
وأمدد بك لباب من العمل أفتح لك باباً من الرزق . وكان يقال : من غلَى دماغه
في الصيف غَلَّتْ قِدرُهُ في الشتاء . ويقال : حفظُ المال أشدُّ من جمعه . وقال
الحسن : إذا أردتم أن تصاموا من [أين] ^(١) أصاب المال فانظروا فيم ينفعه فإن الخبيث
يُنْفِقُ سِرّاً . ونحوه قولهم : من أصاب مالا من نَهاوش ^(٢) أخذه الله في نَهاير . ويُقال في
مثل « الكَذَّ قبل المَدَّ » يراد الطلبُ قبل المجابة والعجز . وقال لقيط ^(٣) « الغزو أدز ^(٤)
للقحاح وأحد للسلحاح » . وقال أبو المعافى :

وإن التواني أنكح العجزَ بَشَه * وساق إليها حين زوجهها مهراً

فراشاً وطيباً ثم قال لها آتكي * قصارهما لا بد أن يلبدا الفقرا

(١) زيادة يفتننها السياق . (٢) في الأصل « مهاوش » بالميم ، والتصحيح من لسان العرب
في مادة نهير . (٣) هكذا بالأصول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) في النسخة الألمانية هكذا :
« وقال لقيط الفرزاري دز لقحاح وأحد للسلحاح » وفي القترغرافية « الفرز » بنير وار ، والتصويب عن جمع
الأشكال ليداني .

وقال زيد بن جبلة : لا تقير أفقر من غني أمن الفقر . وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلاف درهم نفقة ، وما فوقها كثر . ويقال : القبر ولا الفقر . ويقال : ما سبق عيالاً مالا قط إلا كان صاحبه فقيراً . وقيل لرجل من البصريين : مالك لا ينبغي مالك؟ قال : لأني اتخذت العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال . ويقال : العيال سوس المال .
 وقيل لمديني : كيف حالك؟ قال : صكف يكون حال من ذهب ماله وبقيت مادته . ويقال : الفقى فى الغربة وطن والفقر فى الوطن غربة .

حدثني محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكاني من الأنبياء إلى الله شدة الفقر فأوحى الله إليّ : هكذا جرى أمرك عندى أفريد من أجلك أن أعيده الدنيا .

- قال أبو حاتم قال حدثنا العتي قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجذب أهل البادية قط حتى تسويهم السنة ثم جاءهم الحصب إلا عاد الفنى إلى أهل الفنى .
 قال الأصمعي رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل ربى فقلت : يا أمة الله تسألين ولك هذا الجمال ! قالت : قدر الله فما أصنع؟ قلت : فمن أين معاشكم؟ قالت : هذا الحاج تنقمهم ونسل ثيابهم . فقلت : فإذا ذهب الحاج فمن أين؟ فنظرت إلى وقالت : يا صلب الجبين ! لو كا إنما نعيش من حيث تعلم لما عشنا . وقال الشاعر
 أتراني أرى من الدهر يوما * لي فيه مطية غير رجلى
 وإذا كنت في جميع فقالوا * قروا للرجل قدست نعل
 حينما كنت لا أخلف رجلا * من رآني فقد رآني ورجلي

- قيل لمديني : ما عندك من آلة الحج؟ قال : التلية . وقيل لآخر : ما عندك من آلة المصيدة؟ قال : الماء . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القريس؟ قال : الشتاء .

ذم الغنى وممدح الفقر

قال شريح : الجدة كنية البهل . وقال أكرم بن صبيح : ما يسرى أنى مكنتى كل أمر الدنيا . قيل : وإن أسمنت وألبنت ؟ قال : نعم ، أكره عادة العجز . وكان يقال : عيب الغنى أنه يورث البله ، ونفسيه الفقر أنه يورث الفكرة . وقال محمد بن حازم الباهلي :

• ما الفقر عار ولا الغنى شرف • ولا سخاء في طاعة سرف
مالك إلا شيء تهشمه • وكل شيء أثمرته تلف
تركك مالا لوارث يتهناه وتوصل بجره أسف

وقال ابن مناذر :

رَضِينَا قِسْمَةَ الرَّحْمَنِ فِينَا • لَنَا عِلْمٌ وَلَتَغْنَى مَالٌ
وَمَا التَّغْنَى إِنْ جَادَتْ كُسَاهُ • وَرَاعَكَ تَخْصُمُهُ إِلَّا خِيَالٌ

وقال أنس بن مالك : لما خرج مروان من المدينة مر ببلاله بنى خُشَيْب فلما نظر إليه قال : ليس المال إلا ما أُشْرِجَتْ عليه المناطق . ورؤي عن المسيح أنه قال : في المال ثلاث خصال ، قالوا : وما هي يا رُوح الله ؟ قال : لا يكسبه من حله قالوا : فإن فعل قال : يعمه من حقه ، قالوا : فإن لم يفعل ، قال : يستغله لإصلاحه عن عبادة ربه . قيل لأبن عمر : توفي زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم ، قال : لكنها لا تتركه . وقال الملووط :

ولا مسود المال الذي ولادنا • لئذاك ولكن الكرم يسود
مضى ما ير الناس الغنى وجاره • فقيرا يقولوا عاجز وجليد

- (١) في النسخة الألمانية : «ميسوط» . وهو خطأ .
(٢) في القاموس : وعشبت بكعب راد بالجماعة وباد بالمدية ، وفي المرضي فشرح القاموس وابن الأثير في النهاية أنه راد على مسيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير في الأحاديث والحناوي ويقال له ذو عشب .
(٣) كذا بالأصل ، وفي الحاشية : «وجاره فقير» بالرفع على أن الواو لعل .

وليس النقي والفقر من حيلة النقي * ولكن أحاط قسَمَتْ وجُودُ
فكم قد رأينا من غنى مُدْمَم * وصُلوٰك قوم مات وهو حميدُ
إذا المرء أعينته المُرودة ناشئا * فقلُّها كهلا عليه شديدُ
وقال آخر :

ولا يُبينَ الفقيرَ طَلَكُ أن * تَرَكَّ يوماً والدهرُ قد رَفَعَهُ .
الأخفش قال : قال المبرد : أريد النونَ الخفيفةَ في ولا تَينَ فأسقط التنوين لسكونه
وسكون اللام . وقال آخر :

ولستَ بنظارٍ إلى جانبِ النقي * إذا كانتِ العلياءُ في جانبِ الفقرِ
وإني لصَبَّارٌ على ما يُسَوِّبُنِي * لأنِّي رأيتُ الله أتَى على الصبرِ

وقال أعرابي يمدح قوماً :

إذا انتقروا عَضُوا على الصبرِ حَسْبَةً * وإن أيسروا عادوا سِرَاعاً إلى الفقرِ
يقول : يُعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : عيرت اليهود عيسى بن
مريم بالفقر فقال : من النقي أُتَيْتُمْ ، وقال : حسبك من شرف الفقر أنك لا ترى
أحدًا يمضي الله ليفتقر . أنشد ابن الأعرابي :

المال يمضي رجلاً لا طَبَاحَ بِهِمْ * كَالسَّيْلِ يَمْضِي أَصُولُ الدُّنْيَانِ الْبَالِي
وقال الطائي :

لا تَتَكَبَّرْ عَطَلُ الْكَرِيمِ مِنَ النِّقَى * فَالَسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْكَانِ الْعَالِي

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال

أعرابي : النقي من كُثِرَتْ حسناته والفقير من قَلَّ نصيبه منها . وقال ذوالأصبع

(١) عبارة المبرد في الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولا تَينَ بالنون الخفيفة لحذفها لالتقاء الساكنين
فقل ما هنا محرف عن « فأسقط النون لسكونها وسكون اللام » . (٢) عزاء في اللسان إلى حسان
ابن ثابت ، ثم قال وورد هذا البيت في شعر لحيمة بن خلف الطائي . (٣) الطباح : القوة ، قال في اللسان
ومناه في البيت : لا عقل لهم . (٤) ما يلي وعطف من أصول الشجر .

لِي أَبْنُ عَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي * غَضَّافٌ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِي
أُزْرِي بَنَاتِنَا شَالَتْ تَعَامُنَا * نَخَالِي دُونَهُ بَلْ خُلِّهِ دُونِي

وقال آخر :

إِنَّ الْحَرَامَ غُرُورٌ حَلَبَاتُهُ * وَوَجَدْتُ حَالَةَ الْحَلَالِ مَصُورًا

٥ قيل لأعرابي : إن فلانا أفاد مالا عظيما قال : فهل أفاد معه أيا ما يُنفقه فيها ؟
وفي كتاب للهند : ذو المروءة يكرم مُعِيْمًا كَالْأَسَدِ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا ، وَمِنْ لَامِرُوهُ
لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا كَالْكَلْبِ وَإِنْ طَوَّقَ وَحُلِيَ . وقال خُذَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ :

أَغَاذِلْ إِنْ الْمَالُ أَعْلَمُ أَنَّهُ * وَجَامِعُهُ لِلْعَائِلَاتِ النَّوَائِلِ
مَنْ تَجَمَّلَنِي فَوْقَ نَعَشِكَ تَعْلَمِي * أَبْنِي مَكَانِي أَبْكُرِي وَأَقَايِلِي

وقال آخر :

١٠ إذا المرء أثرى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ * أَنَا السِّدُّ الْمُقْضَى إِلَيْهِ الْمَعْظُمُ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ خَيْرًا إِلَّا أَنْ يَسُودَهُمْ * وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ

وقال زَبَّانُ بْنُ سَيَّارٍ :

١٥ وَلَسْنَا كَقَوْمِ مُحَدِّثِينَ سِيَادَةَ * يُرَى مَالُهُمْ وَلَا يُحْسُ فَعَالُهُ
مَسَاعِيهِمْ مَقْصُورَةٌ فِي بَيْوتِهِمْ * وَنَسَمَاتُنَا دُبْيَانُ طُرًّا عِيَالُهُ

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصبر على حقوق المروءة أشد من الصبر على ألم الحاجة ، وَذَلِكَ الْفَقْرُ مَانِعَةٌ مِنْ عَزِّ الصَّبْرِ كَمَا أَنَّ عَزَّ الْغِنَى مَانِعٌ مِنْ كَرَمِ الْإِنْصَافِ .
وقال بعض المتكلمين فذم الغنى : ألم تر ذا الغنى ما أَدْوَمَ نَصْبِهِ ، وَأَقْلَ رَاحَتِهِ ، وَأَخْسَ
من ماله حفظه ، وَأَشَدَّ من الأيام حَذَرَهُ ، وَأَغْرَى التَّهَرُّ بِثَلَمِهِ وَهَضَبِهِ ، ثُمَّ هَوَيْنِ
٢٠ سلطان بَرْعَاهُ ، وَحَقَّقَ تَسْتَرِيهِ ، وَأَكْفَاءَ يَتَنَافِسُونَهُ ، وَوَلَدٍ يُوَدُّونَ فِرَاقَهُ ، قَدْ بَعَثَ
غَلِيهِ الْغِنَى مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَنَاءَ ، وَمِنْ أَكْفَائِهِ الْحَسَدَ ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْبَغْيَ ، وَمِنْ ذَوِي

الحقوق اللهم، ومن الولد الملامة، لا تَكُنْى الْبُلْغَةُ قَنِيعَ فِدَامٍ لَهُ السُّرُورُ، وَرَفُضُ الدُّنْيَا
فَسَلِّمْ لَهُ الْجَسَدُ، وَرَضَى بِالْكَفَافِ فَتَنَكَبْتَهُ الْحَقُوقُ . خَيْرُ أَعْرَابِي بِكَفَرَةِ الْعِيَالِ وَالْوَلَدِ
مَعَ الْفَقْرِ وَبَلْغَهُ أَنَّ الْوَبَاءَ بِخَيْرٍ شَدِيدٍ نَفْرَجَ إِلَيْهَا بَعِيَالَهُ يُعْرِضُهُمُ الْوَلْتُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

قُلْتُ لِحُمَى خَيْرِ أَسْعَدَى * هَاكِ عِيَالِي وَأَجْعِدْهُ وَجْدَى

وَبَارِكْهُ بِصَالِبٍ وَوَرِدٍ * إِعَانِكَ اللَّهُ عَلَى ذَا الْجَنْدِ

فَاخَذَتْهُ الْحُمَى فَهَاتَ هُوَ وَبَقِيَ عِيَالُهُ . وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ :

يَا بَنِي، أَتَقَى اللَّهَ، فَإِنَّهُ مَنْ أَتَقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ شَكَرَ زَادَهُ، فَتَكُنْ

التَّقْوَى عِمَادَ عَيْنِكَ وَجِلَاءَ قَلْبِكَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ وَلَا أَجْرَ لِمَنْ

لَا حِسْبَةَ لَهُ ، وَلَا مَالَ لِمَنْ لَا رِيقَ لَهُ ، وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ . وَقَالَ عِمْرُو الْوَزَّاقُ :

يَا عَائِبَ الْفَسَقِ أَلَا تَزْدَحْرُ * عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَتَنَبَّرُ

مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ * عَلَى الْغِنَى إِنْ مَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ

أَنْتَ تَعْمَى اللَّهُ تَبْنَى الْغِنَى * وَلَسْتَ تَعْمَى اللَّهُ كَيْ تَفْتَقِرُ

وَقَالَ آخَرُ :

لَيْسَ لِي مَالٌ مِثْلُ مَوَى كَرَمِي * فِيهِ لِي أَمْنٌ مِنَ السُّلَمِ

لَا أَقُولُ : اللَّهُ أَعْدَمَنِي * كَيْفَ أَشْكُو غَيْرَ مَتَّهِمِ

قِنَعْتُ بِنَفْسِي بِمَا رَزَقْتُ * وَتَحَلَّيْتُ بِالْمُسْلِ هِمَمِي

وَجَمَلْتُ الصَّبْرَ سَابِقَةً * فَهِيَ مِنْ قَرْنِي إِلَى قَدَمِي

فَالِذَا مَا التَّهْمُ طَلَبْنِي * لَمْ يَجِدْنِي كَافِرًا يَتَعَمَى

التجارة والبيع والشراء

- ٢٠ قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ حَذَفَةَ بَرَضَةَ
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بُعِثْتُ مَرْغَمَةً وَمَرْحَمَةً وَلَمْ أَهْبَتْ تَابِعًا
وَلَا زَرَأًا وَإِنَّ شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّجَارُ وَالزَّرَاعُونَ إِلَّا مَنْ تَفَقَّحَ عَنْ دِينِهِ » . وَفِي حَدِيثٍ

أخبرناه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جبيرة: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الكسب أطيب قال : « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عون بن عمارة عن هشام بن حسان عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : من تجرّ في شيء ثلاث مرات فلم يُصب فيه فليتحل منه إلى غيره . وقال : ^(١) تفرّقوا بين المنايا ، وأجعلوا الرأس رأسين ولا تكثرُوا بدار معجزة . وقال : إذا اشتريت بغيراً فاشتره عظيم الخلق فإن أخطأك خيرٌ لم يُخطئك سوقٌ . وقال : بيع الحيوان أحسن ما يكون في عينك . وقال الحسن : الأسوأ موائد الله في الأرض فمن أتاها أصاب منها . ابن المبارك عن معمر عن الزبير قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شئاً ، فقال : « عليك بالسوم أول السوق فإن الريح مع الساج » . وكان يقال : اسمحْ لسمعك . وفي بعض الحديث المرفوع : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج » . وقيل للزبير : لم بلغت ما بلغت من اليسار ؟ قال : لم أرد ربحاً ولم أسترعياً . دخل ناسٌ على معاوية فسألهم عن صنائعهم ، فقالوا : بيع الرقيق . قال : بئس التجارة ضمان نفيس وموتة ضرس .

باع رجل ضيعة فقال للشرى : أما والله لقد أخذتها حقيلة المسونة قليلة المنفعة ، فقال : وأنت والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفريق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير في النهاية وابن منظور في اللسان « فترّوا عن النية واجعلوا الرأس رأسين الخ » وقال في تفسيره : إذا اشتريت الرقيق أرغبه من الحيوان فلا تتلوا في الثمن واشترها بجن الرأس الواحد رأسين فإن مات الواحد بن الآخر فكأنك فرقت مالك من النية اه ولا تلوا بدار معجزة أى لا تتبعوا بدار يجرّك فيها طلب الرزق وتحولوا عنها إلى غيرها .

رجل داراً فقال له المشتري: لو صبرتَ لاشتريتُ منك الذراعَ بعشرة، فقال: وأنت لو صبرتَ بعتك الذراعَ بدرهم.

- حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي أن أبا مفيان بن العلاء باع غلاماً له بثلاثين ألفاً فقال عمر بن أبي زائدة: هذا أحق، قالوا: كيف؟ قال: لأنه لم يبلغ ثلاثين ألفاً حتى أعطى قبل ذلك عشرون ألفاً فكيف أنتظر ولم يبتئنها. ورؤي عبد الله بن جعفر يُمَكِّس في درهم فقيس له: أُمَّا كَس في درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالي جدتُ به وهذا عَقْلِي ^(١) يَحْتَلُّهُ. ابتاع ابن عمر شيئاً لَحْتاً له البائع على المكيال فقال له ابن عمر أرسل يدك ولا تُمِصْكَ على رأسه فأتى ما يحمله المكيال. كان جرير بن عبد الله إذا اشترى شيئاً قال لصاحبه: إن الذي أخذنا منك خيرٌ مما أعطيناك إذ أُخِطَ أنه كذلك فأتى بالخيار. اشترى عمرو بن عبيد إزاراً للحسن بستة دراهم ونصف فاعطاه سبعة دراهم فقال الرجل: إنما بعته بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إني اشتريته لرجل لا يقاسم أخاه درهما.

- قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الزناد قال: إذا عَزَبَ المالُ قَلَّتْ فواضله، لا بلعة ولا بُسرة ولا رُطبة ولا كُرْثافة. ونحوه قول بعض المجازيين: سأُفِيضُكَ مالاً بالمدينة إني * أرى طازبَ الأموال قَلَّتْ فواضله.

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَمَ سهيلُ بن حَنَفٍ بيلنا أموالنا وقال لي: يا ابن أخي إني أُؤثِرُكَ بالقرابة، أعلمُ أنه لا مالَ لأخوتي ولا عيلةَ على مُصلح، وخيرُ المال ما أطعمك لا ما أطعمته، وإن الرقيقَ جَمالٌ وليس بهال. قال زياد: ليس لدى ضَعْف

مثل أرض عُشِيرٍ وليس لذي جَاهٍ مثلُ نَرَّاجٍ وليس لثاجرٍ مثلُ صَامِتٍ . قال رجل
لآخر: بكم تبيع الشاة؟ قال: أَخَذْتُهَا بِسِتَةٍ وَهِيَ خَيْرٌ مِنْ سَبْعَةٍ وَقَدْ أُعْطِيتُ بِهَا ثَمَانِيَّةً
فَإِنْ كَانَتْ مِنْ حَاجَتِكَ بِتِسْعَةٍ فَرَنْ عَشْرَةً . كَانَ يُقَالُ : خَيْرُ الْمَالِ عَيْنُ نَرَّارَةٍ ،
فِي أَرْضِ خَوَارَةَ ، تُفَجِّرُهَا الْفَارَةُ ، تَسْهَرُ إِذَا نِمْتَ ، وَتَشْهَدُ إِذَا غَيْبَتْ ، وَتَكُونُ عَقِبًا
إِذَا نِمْتَ . عبد الرزاق عن مَعْمَرٍ عن الزهري عن سعيد بن المسيَّب قال : إن الله
إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا جَعَلَ رِزْقَهُ فِي الصَّبَاحِ . وقال الفُضَيْلُ مثلُ ذَلِكَ وقال : أَمَا سَمِعْتَ
إِلَى أَهْلِ دَارِ الْبَطِيخِ وَالْمَلَّاحِينَ وَدَوِيهِمْ .

قال حدثنا أحمد بن الحليل قال حدثنا أحمد بن الحارث المُنَجِّمِيُّ قال حدثنا
المُبَارَكُ بن سعيد عن بُرْدِ بْنِ سِنَانٍ عن نَافِعٍ عن ابن عمر أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بِالْمَكَّةِ
وَالْمَكَّةِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ بَأْسًا .

قال حدثني محمد قال حدثني الأصمباني عن يحيى بن أبي زائدة عن مُجَالِدٍ عن
أبي بُرْدَةَ . قال : أَتَى عُمَرُ غُلَامًا لَهُ بَيْعُ الْحَلَلِ ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا كَانَ الثَّوْبُ حَاجِرًا فَأَنْشِرْهُ
وَأَنْتَ جَالِسٌ وَإِذَا كَانَ وَاسِعًا فَأَنْشِرْهُ وَأَنْتَ قَائِمٌ . قال ، فَقُلْتُ لَهُ : اللَّهُ اللَّهُ يَأْخُذُكُمْ
قال : إِنَّمَا هِيَ السُّوقُ . قال عبد الله بن الحسين : غَلَّةُ الدَّوَرِ مُسَكَّةٌ وَغَلَّةُ النَّخْلِ
كَفَّافٌ وَغَلَّةُ الْحَبِّ الْيَقِي . قال أعرابي :

زِيَادَةُ شَيْءٍ تُلْحِقُ النَّفْسَ بِالْمَتَى * وَبَعْضُ الْغَلَاءِ فِي التَّجَارَةِ أَرْجَى
وَلَمَّا بَلَغَ حُبَّةُ بْنُ غَزْوَانَ أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ قَدْ اتَّخَذُوا الصَّبِيَّاعَ وَعَمَرُوا الْأَرْضِينَ
كَتَبَ إِلَيْهِمْ : لَا تَنْهَكُوا وَجْهَ الْأَرْضِ فَإِنْ شَعِمَتْهَا فِي وَجْهِهَا . قال أعرابي :
وَفِي السُّوقِ حَاجَاتٌ وَفِي التَّقْدِ قِلَّةٌ * . وليس يُقْفَضُ الْحَاجُّ غَيْرُ التَّارِهِيمِ .

قال ميمون بن ميمون : مَنْ اشْتَرَى الْأَشْيَاءَ بِتَمَتِّ أَهْلِهَا فُتِنَ .
(١) كَذَا بِالْأَسْلِ . وَلَمْ نَجِدْ فِي الْقَامُوسِ أَرِ السَّانِ أَضْمَى بِمَنْى قَضَى . وَلَهُ : وَلَيْسَ مُقْفَضٌ الْخ .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي . قال : حدثني شُكْرُ الحَرِثِيِّ ^(١) قال : جاء الحسن بشاة فقال لي فيها وأبرأ من أنها تَهْلِبُ المَلْفَ وتَرِيعُ الوَيْدَ من قِبَلِ البَيْعِ لئلا يقولوا ندم . قال الشاعر :

إذا ما تاجر لم يُوفِ كِلًّا * فصُبَّ على أنامله الجُدَامُ

ابن الزيات في الطائي :

رَأَيْتُكَ سَهْلَ الْبَيْعِ سَمْعًا وَإِنَّمَا * يُعَالِي إِذَا مَا طَلَّقَ بِالشَّيْءِ بِالْعَمَةِ
هو الماء إن أحيتَه طاب شُرْبُهُ ۝ وَيَكْدُرُ يَوْمَا أَنْ تُبَاحَ مَشَارِعُهُ

حدثت عن شَيْبَانَ بن قَرُوح عن أَبِي الْأَشْهَبِ عن الحسن قال : كان رجل يُعْجِرُ في البحر ويحمل الخمر يأتي بها قوماً ، فصحَد إليها فزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصَّرْفِ واشترى قردًا لحمله معه في السفينة ، فلما جَلَّجَ في البحر لم يَسْعُرْ إِلَّا وقد أخذ القردُ الكَيْسَ وعلا على الصَّارِي وجعل يُلقِي دِينَارًا في البحر ودِينَارًا في السفينة حتى قسمه قِسْمَيْنِ . قال رجلٌ من الحُلَّاجِ : أَنَا رجلٌ من الأعراب بالزبل في طريق مكة يفرار فيهما كجأة ، فقلنا له : بِكُمُ الْفِرَارَةُ ؟ فقال : بدرهمين ، فقلنا : لك ذلك ، فاخذناها ودفعنا إليه اثني عشر ، فلما نهض قال له رجل منا : في آسَتِ المَغْبُوبُونَ عودُ ، فقال : بل عودان وضرب الأرض برجله فإذا نحن على الكجأة قِيَامٌ . قيل لأعرابي : أَلَا تَشْتَرِي لَابَنِكَ وَطَيْخَةً . فقال : لا ، أَوْ يَبْلُغُ من كساده أَنْ يَكُونَ إِذَا سَأَلَ من يَنْ يَدَى الْبَقَالِ وأخذه وعدًا رماه بأخرى ولم يَمُدْ خَطْفَهُ . اشترى أعرابي غلامًا فقال للبائع : هل فيه من عيب ، فقال : لا ، غيرَ أَنَّهُ يَبُولُ في الفُرَاشِ . فقال : ليس هذا بعيب ، إن وجدَ فِرَاشًا فَلْيَبُلْ فيه .

(١) في الألمانية «الحافى» .

(٢) هكذا بالأصل غلظ بالفاء . والله منقذ بالضاد المعجمة بمعنى يجل .

الدين

قال ثابت قُطْنَةُ : الدين عَقْلَةُ الشريف . وقال دُلَيْم :

اللهُ لَقِيَ مِنْ عَرَابَةٍ بَيْعَةً * عَلَى حِينِ كَادَ التَّقْدُ يَسْمُرُ عَاجِلَةً
وَلَوْى بَنَانَ الْكَفِّ يَحْسُبُ رَجْمَهُ * وَلَمْ يَحْسُبِ الْمَطْلُ الَّذِي أَنَا مَاطِلُهُ
مَيْرِضِي مِنَ الرَّيْحِ الَّذِي كَانَ يَرْجِيهِ * أَسَ الَّذِي أَعْلَى وَهَلْ هُوَ قَائِلُهُ

عبد الرزاق عن ابن جريج قال : رَأَى عمرو أَنَا مُتَقَنَّعٌ ، فقال : يَا أَبَا خَالِدٍ ، إِنَّ لَهْمَانَ
كَانَ يَقُولُ : الْقِتَاعُ بِاللَّيْلِ رِيَّةٌ وَبِالنَّهَارِ مَنَلَةٌ ، فَقُلْتُ : إِنَّ لَهْمَانَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ دِينَ .
كتب يعقوب بن داود إلى بعض البُيَّاد يسأله القُدُومَ عليه ، فَأَتَى مُحَمَّدُ بْنُ النُّضَرِ
الْحَارِثِيَّ فَاسْتَشَارَهُ وَقَالَ : لَعَلَّ اللَّهَ يَقْضِي دِينِي ، فقال محمد بن النضر : لَأَنْ تَلْقَى اللَّهَ
وَعَلَيْكَ دِينَ وَلَكِ دِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ وَقَدْ قَضَيْتَ دِينَكَ وَذَهَبَ دِينُكَ ، . قال
عِيَّاضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : الدِّينُ رَابِعَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُبَدِّلَ عِبْدًا جَعَلَهَا طَوَاقًا
فِي عَقَبِهِ . دخل عُتْبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ خَالِدٍ الْقَسْرِيُّ . فقال خالد يُعْرَضُ بِهِ : إِنَّ هَهُنَا
رِجَالًا يَدَّانُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا فَنِيَتْ آذَانُوا فِي أَعْرَاضِهِمْ . فقال عتبَةُ : إِنَّ رِجَالًا
تَكُونُ مَرْوَةً أَكْثَرُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَدَّانُونَ عَلَى سَعَةِ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَخَجَلَ خَالِدٌ وَقَالَ :
إِنَّكَ مِنْهُمْ مَا عَلِمْتُ . وقال أعرابي يذُكُرُ غَرَمَاءَهُ لَهُ :

جَاءُوا إِلَى غَضَبًا يَلْعَطُونَ مَعًا * يَشْفِي أُنْثَاهُمْ أَنْ غَابَ أَنْصَارِي
لَمَّا أَبَوَا جَهْرَةً لَمَّا مَلَازِمِي * أَجْمَعْتُ مَكْرًا بِهِمْ فِي غَيْرِ انْكَارِ
وَقُلْتُ إِنِّي مَسِيئَتِي غَدًا جَلِي * وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ دَارُ آبِ بْنِ هَبَّارِ
وَمَا أَوْاعِدُهُمْ إِلَّا لِأَرْبَعِهِمْ^(١) * عَنِّي فَيُحَرِّجُنِي تَقْضِي وَإِمْرَارِي

(٢) في العقد الفريد : لأدراهم .

(١) في الألسنية عمير بالصغير .

وما جلبتُ إليهم غيرَ راحلةٍ * تحمدي برجلٍ وسيفٍ جفنه عاري
 إن القضاء سيأتي دونه زمنٌ * فاطلو الصحيفة وأحفظوها من النار^(١)
 وقال آخر لفرماته:

ولو علقتموني كلَّ يومٍ * برجلٍ أويدي في المعجنيق
 لما أعطيتكم إلا تراباً * يطير في النياشيم والخلوق

وقال آخر:

إذا جئت الأمير قتل سلامٌ * عليك ورحمة الله الرحيم
 وأما بعد ذلك فلي غريمٌ * من الأعراب قُبِع من غريم
 له ألف على ونصف ألف * ونصف النصف في صك قديم
 دراهم ما آتفت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بني عم

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي . قال : جاء رجل من بني مخزوم إلى الحارث بن
 عبد الله بن نوفل وهو يقضي عن أخيه ديناً فقال : إني لي على أخيك حقاً ، قال :
 ثبت حقك تعطه . قال : أفني ملاءة أخيك ووفائه ندعي عليه ما ليس لنا ؟ فقال :
 أئمن صدقك وبرك تقبل قولك بغير دينه ؟ . لزم سهل بن هارون دين كثير ، فقال
 أعرابي يوصيه بالتواري عن غرماه:

انزل أبا عمرو على حدة قرية * ترجع إلى سهل كثير السلاطين
 وخذ نفق البريوع فأسلك طريقه * ودع عنك إني ناطق وأبن ناطق
 وكن كأبي قطب على كل رافع * له باب دار ضيق العرض سامق
 وأبو قطبة خناق كان بالكوفة مولى لكتنة .

حدثني محمد بن عبيد . قال : حدثني سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن
 عبيد بن عمير أن رجلاً كان يبيع الناس ويذاينهم ، وكان له كاتب ومتجر ، فأتته

(١) في المقدم الفرید : النار .

المُحْسِرُ وَالْمُسْتَظَرُّ فَيَقُولُ لِكَاتِبِهِ : أَكَلْتُ وَأَسْتَظَرُّ وَتَجَاوَزُ لِيَوْمٍ يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنْهُ ،
فَمَا لَا يَعْمَلُ عَمَلًا غَيْرَهُ فَغُفِرَ اللَّهُ لَهُ . قَالَ شُقْرَانُ الْقُضَائِي :

لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عِيلَانَ لَمْ تَجِدْ * عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ النَّاسِ دَرَاهِمًا
وَلَكِنِّي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا * فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أَدِينَ وَتَقْرَمَا

٥ بلغني عن يحيى بن أيوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر إلى
عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربعمائة درهم ، فقال عبد الرحمن : أَسْتَسْلِفُنِي وَعِنْدَكَ
بَيْتُ الْمَالِ ، أَلَا تَأْخُذُ مِنْهُ ثُمَّ تَرُدُّهُ ، فقال عمر : إِنْ أَتَخَوَّفُ أَنْ يَصِيبَنِي قَدْرِي ،
فَقُولِ أَنْتِ وَأَصْحَابُكَ : اذْكُرُوا هَذَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى يَرْخُذَ مِنْ مِيزَانِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
وَلَكِنِّي أَسْتَسْلِفُكَ مَا أَعْلَمُ مِنْ تَحْتِكَ فَإِذَا مِتَّ حُثَّتْ فَاسْتَوْفَيْتَهَا مِنْ مِيزَانِي .

١٠ كَتَبَ أَبُو عِبَادٍ الْمُهَلَّبِيُّ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مُكْتَرٍ يَسْتَسْلِفُهُ مَالًا ، فَأَعْتَلَّ عَلَيْهِ بِالْعَمَلِ
وَضِيقِ الْحَالِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبْنُ عِبَادٍ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا بَخْلُكَ اللَّهُ صَادِقًا وَإِنْ كُنْتَ
مَوْلًيًا بَخْلُكَ اللَّهُ مَعْدُورًا . أَبُو الْيَقْظَانِ قَالَ : كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الْعِيَّاسِ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ
أَبِي لَهَبٍ الشَّاعِرُ يُعَيِّنُ النَّاسَ فَإِذَا حَلَّتْ دِرَاهِمُهُ رَكِبَ حِمَارًا لَهُ يَقَالُ لَهُ شَارِبُ الرِّيحِ
فَيَقِفُ عَلَى غَرْمَانِهِ وَيَقُولُ :

١٥ بَنِي عَمْنَا رُدُّوا الدِّرَاهِمَ إِنَّمَا * يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدِّرَاهِمِ

وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الدَّبِيلِ عَسَرَ الْقَضَاءُ فَإِذَا تَعَلَّقَ بِهِ غَرْمَاؤُهُ فَرَمَهُمْ وَقَالَ :

فَلَوْ كُنْتُ الْحَلِيدَ لَكُحْرُوفِي * وَلَكِنِّي أَشَدُّ مِنَ الْحَسِيدِ

فَعَيَّنَهُ الْفَضْلُ فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ الْحِلِّ جَاءَ فَبَنَى مَعْلَقًا عَلَى بَابِ دَارِهِ ، وَكَانَ يَقَالُ
لِلرَّجُلِ تَقَرَّبْ فَلَقِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ شِدَّةً ، فَهَجَاهُ الْفَضْلُ فَقَالَ :

٢٠ (١) فِي الْأَثْنَايَةِ الْمُحَلَّى دَلَّمْ قَفَّ عَلَ مِنْ اِشْتَهَرَ بِأَبِي عِبَادٍ وَهُوَ ابْنُ عِبَادٍ سَوَى أَبِي عِبَادٍ يَحْيَى بْنِ عِبَادٍ
الضُّبِيِّ الْبَصْرِيِّ وَلَكِنْ الْمَقْسُوبُ إِلَى الْمُهَلَّبِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عِبَادٍ بْنِ حَبِيبِ الْمُهَلَّبِيِّ .

قد تجرّوت في دارنا عقرب * لا مرحباً بالمعقرب التاجر
إن عادت المعقربُ عدنا لما * وكانت التعلُّ لما حاضره
كُلَّ عدوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا * وعقربٌ تُخَفَى من النازره
إنا عدوًّا جكيده في آهته * لنغيرُ ذى كيدٍ ولا نازه

- قال بعضهم : ثلاثة من نمازهم عادت عزّته ذلّة : السلطان ، والوالد ، والغريم .
وفي الحديث المرفوع : « لصاحب الحق اليد واللسان » . المياثبي قال : ما يربصُّ خلفاء
بنى أمية رجلاً وهو يحادثه ثم قطع حديثه وأصفقوا له ، فقال له الرجل : ما هذا
الذى رأيت منك ؟ قال : رأيت غريباً لي ، قال الشاعر :
- إذا ما أخذت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرماً على غرم

- وقال آخر :
- أخذت الدين أدفع عن تِلَادِي * وأخذُ الدين أهلك للتِلَادِ
كان لرجل من يحصب على رجل من باهلة دين ، فلما حل دينه هرب الباهلي
وأنا يقول :

- إذا حل دينُ اليحصبِي^(١) فقل له : * تزود بزاد وأستعين بدليل
سيصبح فوق أقم الرأس واقعاً * بقالي قلاً أو من وراء ديسل

- قال المحدث بهذا : فخذني من رآه بقالي قلاً أو بدليل وهو مصلوب وقد وقعت
عليه عقاب . وقف أبو فرعون الأعرابي على باب قوم يسألهم ، خلفوا له : ما عندهم
شيء يُعطونه ، فقال : استقرضوا لنا شيئاً ، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شيئاً ، فقال
أبو فرعون : ذلك لأنكم تأخذون ولا تُعطون ، أو قال ولا تُقضون . أتى قومٌ عبادياً
فقالوا : نحب أن تُسَلِّفَ فلانا ألف درهم وتؤخرها بها سنة ، قال : هاتان حاجتا ،

(١) الذي في اللسان : سيصبح فوق أقم الریش واقعا .

وسأقضي لكم أحداهما، وإذا أنا فعلت فقد أنصفت، أنا أو غيره ماشاء . كتب عمر ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دين : قد آن للحق الذي عندك أن يرجع إلى أهله ، وتستغفر الله تعالى من حبه .

اختلاف المهمل والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ومُصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بقاء الكعبة ، فقال لهم مصعب : تمتوا فقالوا : أبدأ أنت . فقال : ولاية العراق وتزوج سَكينة ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فقال ذلك وأصدق كل واحدة خمسمائة ألف درهم وجهزها بمثلها . وتمنى عروة بن الزبير الفقه وأن يحمل عنه الحديث فقال ذلك . وتمنى عبد الملك الخلافة فناها . وتمنى عبد الله بن عمر الجنة .

قال قتيبة بن مسلم لحُصَيْن بن المنذر : ما السرور ؟ قال : امرأة حسناء ، ودار قوراء ، وفوس مرتبطة بالفناء . وقيل لضرار بن الحسين : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجولوس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير . وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ فقال :

كل الكرامة ينتها * إلا التحية بالسلام

يريد أنه لم يُسلم عليه بالخلافة . وأخذه من قول الآخر :

من كل ما نال التقي * قد ينته إلا التحية

يريد الملك . قيل لعبد الملك بن الأهم : ما السرور ؟ فقال : رفع الأولياء ، وحط الأعداء ، وطول البقاء ، مع القدرة والثناء . وقال آخر :

أطيب الطيبات قتل الأعادي * واختيال على متون الحياض

وأياي حيوتن ككرما * إن عند الكرم تركو الأيادي

(١) في النسخة الألمانية : «واللهي» .

- قيل للفضل بن سهل : ما السرور ؟ فقال : توقع جازوا أمرًا نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أي شيء أسسر للقلوب ؟ فقالوا : رجل هوى زمانا ثم قدر ، فقال : إن هذا السرور . وقال آخر : رجل طلب الولد زمانا فلم يولد له ثم بشر بسلام ، فقال يزيد : أمر من هذا كله ففلة على غفلة . قيل لبعض الحكماء : تمن ، فقال : محادثة الإخوان ، وكفّاف من عيش يسد خفي ويسترعوقي ، والانتقال من ظل إلى ظل . قيل لآخر : ما يقي من ملائكة ؟ قال : مناقلة الإخوان الحديث على التلاع العُرفى البلى القمر . قيل لامرئ القيس : ما أطيب عيش الدنيا ؟ فقال : بيبضاء رُعبوبة ، بالطيب مشوبة ، بالشحم مكروبة ، وقيل لطفرة مثل ذلك فقال : مطعم شهى وملبس دقي ، ومركب وطي . وقيل للأعشى مثل ذلك ، فقال : صباه صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية . وقال طرفة :

١٠

ولولا ثلاث هن من عيشة الفقى * وجدك لم أحفل متى قام عؤدى
فهن سبق العاذلات بشربة * كبت متى ما فعل بالماء تزد
وقصير يوم الدجن والدجن مسج * يهكتة تحت الطراف المتمد
وكرى إذا نادى المضاف محبا * كسيد الغضا نبتته المتورد

١٥

وقال أبو نواس :

قلت بالقص ليحي * وندامى نيام
بارضىي ندى أم * ليس لي عنه فطام
أعما العيش سماع * ومدام وندام
فلذا فاك هذا * فلي العيش السلام

٢٠

وقال نعيم :

قول حذراء : ليس فيك سوى الشخمر معاب يمينه أحد

(١) كذا بالأصل وله « مشيرة » .

قُلْتُ: أَخْطَأْتُ، بَلْ مَعَاقِرَى الشَّخْمَرِ وَبَذَلِي فِيهَا الَّذِي أَجِدُّ
هُوَ السَّنَاءُ^(١) الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ * لَا سَبْدٌ مَحْتَدِي وَلَا لَبْدٌ^(٢)
وَيْحِكَ لَوْلَا الْجَمُورُ لَمْ أَحْفِلِ الشَّعِيشَ وَلَا أَنْ يَضْمَنِي لَحْدٌ
هِيَ الْحَيَا وَالْحَيَاةُ وَاللَّهُوَلَا * أَنْتَ وَلَا تَرْوَةٌ وَلَا وَلَدٌ
وقال أبو الهندي

تَرَكْتُ الْجَمُورَ لِأَرْبَابِهَا * وَأَصْبَحْتُ أَشْرَبُ مَاءَ قَرَّاحَا
وقد كُنْتُ حِينَا بِهَا مُعْجَبًا * كَحَبِّ الْغَلَامِ الْفَتَاةَ الرَّدَّاحَا
وما كَانَ تَرَكِي لَهَا أَتْنِي * يَخَافُ نَدِيمِي عَلَى اقْتِضَاعَا
ولَكِنِّي قَوْلِي لَهُ مَرَحَبًا * وَأَهْلًا مَعَ السَّهْلِ وَأَنْتُمْ صَبَّاحَا

وقال آخر:

إِسْقِنِي بِالْكَبِيرِ إِنِّي كَبِيرٌ * إِنَّمَا يَشْرَبُ الصَّغِيرَ الصَّغِيرُ
لَا يَنْسَرُّكَ يَا عَيْدُ خُشُوعِي * تَحْتَ هَذَا الْخُشُوعِ فَسَقُ كَثِيرُ
كَانَ ابْنُ عَائِشَةَ يُنْشِدُ

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَفْظَ حَفْظَ الْجَاهِلِ * وَلَمْ أَرِ الْمُتَبَوَّنَ غَيْرَ الْعَاقِلِ
رَحَلْتُ عَنْنَا مِنْ كُرُومِ بَابِلِ * فَبَلَّغْتُ مِنْ عَقْلِ عَلَى مَرَاهِلِ

وقال آخر:

شَرِينًا مِنَ السَّادَى حَتَّى كَانُنَا * مَلُوكٌ لِمَنْ بَرَّ الْمَرَاقِبِينَ وَالْبَحْرُ
فَلَمَّا أَتَجَلَّتْ شَمْسُ النَّهَارِ ابْتَدَأَ * تَوَلَّى الْغَنَى عَنَا وَعَاوَدَنَا الْفَقْرُ

قال بعضهم: العيش كله في كثرة المال وصحة البدن ونحو ذلك. وكان

يقال: ليس السرور للنفس بالحدة، إنما سرور النفس بالأمل. قال يزيد بن معاوية:

(١) في النسخة الألمانية: التنا. (٢) في النسخة الألمانية: غلبي.

ثلاث تُخْلِقُ الْعَقْلَ وفيها دليلٌ على الضعف : سرعة الجواب ، وطول التثني ، والاستغراب في الضحك . وكان يقال : المني والحلم أخوان . وسئل ابن أبي بكرة : أي شيء أَدومُ إيماناً ؟ فقال : المني . وقال الشاعر :

إِذَا تَمَيَّنْتُ بِتُّ اللَّيْلَ مُتَغَيِّطًا * إِنَّ الْمَنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْفَالِيسِ

وقال آخر :

مَا فَاتَنِي مِنْكَ فَلَكَ الْمَنَى * تَدْنِيهِ مَنَى فَكَأَنَّا مَعَا ^(١)

وقال آخر :

وإِنْ لَوَّالِيسِ شَيْئًا سَوَى * تَسْلِيَةِ الْوَلَوَّاءِ بِالْبَاطِلِ

وقال بعض الأعراب :

مَنْ إِنْ كَانَ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى * وَإِلَّا فَتَنْدِ عِشْنَا تَهْمًا زَمَنًا رَغَدًا ^{١٠}
أَمَانِي مِنْ سَعْدِي حِدَابًا كَأَمْنِي * مَقَّتْكَ بَهَا سَعْدِي عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا

وقال بشار :

كُرَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّتِي مَضَى * فَلَدَّ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمُّهَا

وقال المجنون :

أَيَّ حَرِيحَاتٍ الْحَيَّ حَيْثُ تَحَلَّوْا * بَذَى سَلَمٌ لَا جَادَ كُنَّ رِيحُ ^{١٥}
وَحَيَاتِكَ اللَّاتِي بِمُتَمَرِّجِ اللَّوَى * لَيْلِي يَلِي لَمْ تَبْلَهَنَّ رُبُوعُ
فَقَدْ تَكُ مِنْ نَفْسِ شَمَاعٍ فَطَلَمَا ^(٢) * نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتِ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتِ * إِلَيْكَ شَنَايَا مَا لَهْفَ طُلُوعُ ^(٣)

(١) في الأصل « يدني » . (٢) كذا في الأغاني واللسان . وفي الأصول « قلب » .

(٣) في الأصول « مثال شَنَايَا الخ » . والتصويب عن الأغاني .

وقال ابن أبي التَّمِينَةِ ^(١) :

يَالْتِنَا قَرْدًا وَحِشٌ تَعُورُ مَعًا * نَرَعَى الْمَتَانَ وَنَحْفَى فِي نَوَاحِيهَا *
أَوَلَيْتَ كُذِّرَ الْقَطَا حَلَقْنَ بِي وَبِهَا * دُونَ الْمَاءِ قَعَسْنَا فِي خَوَافِهَا
أَكْثَرْتُ مِنْ لَيْتِنَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي * وَمِنْ مَنَى النَّفْسِ لَوْ تَعَطَى أَمَانِيهَا
وقال مُكْتَبِرٌ :

فِيالَيْتِنَا يَا عَزَّ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ * بَعِيرَانِ تَرَعَى فِي الْقَلَاةِ وَتَعَزَّبُ
تَكُونُ لَدَيَّ مَالٍ كَثِيرٌ يُضْمِعُنَا * فَلَا هُوَ رِيثَانَا وَلَا نَحْنُ نُطَلِّبُ
وقال بِرَّاءُ الْعَوْدِ :

أَلَا لَيْتِنَا طَارَتْ عُقَابٌ لَنَا مَعًا * لَهَا سَبَبٌ عِنْدَ الْهَجْرَةِ أَوْ وَكُرُ
وقال مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ :

وَلَسَا نَزَلْنَا مَتَرًا لَطَلَّ النَّدَى * إِنِّي قَامًا وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
أَجَدُّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ * مَنَى قَتَمِينَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
وَأُنْشِدُ الرِّيَاشِيَّ :

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا * لِيَ اللَّيْلِ مَلْتَنِي هُنَاكَ الْمَضَاجِعُ ^(٢)
أَقْبَضَى نَهَارِي بِالْحَلِيتِ وَبِالْمَنَى * وَيَجْعُنِي وَالْمَمَّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
وَأُنْشِدُ أَبُو زَيْدٌ :

كَأَنِّي إِذْ أَسْعَى لِأُظْفَرَ طَائِرٌ * مَعَ النِّجَمِ فِي جَوْ الْمَاءِ يَطِيرُ
فَتَى مُتَلَهًى بِالْمَنَى فِي خِلَالِهِ * وَهَنْ وَإِنْ حَسَسْتَهُنَّ غُرُورُ

(١) كذا بالأصول بزيادة أَيْ، والصواب ابن التَّمِينَةِ .

(٢) المتان جمع متنعير ما صلب من الأرض وارتفع .

(٣) في ديوان ابن التَّمِينَةِ : « هَزَنَ بِيكَ » بدل « مَلْتَنِي هُنَاكَ » .

- أبو حاتم عن الأصمعي قال : زعم شيخ من بني القُصَيْف قال : تَحَنَّتْ دارا فكَثُتْ أربعة أشهر مُقَمَّاً للدرجة ابن أضعها . قال الوليد بن عبد الملك بُدِّعَ المُغْنَى : خذ بنا في التمتي فوالله لأغلبك . قال : والله لا تغلبني أبدا . قال : بلى . قال بُدِّعُ : فإنني أتمتي كغلبين من المذاب ، وأن يلعنني الله لعنا كثيرا نخذ ضِعْفَ ذلك . قال : غلبتني لعناك الله . قيل لِمُزَيْدٍ : أيسرك أن هذه الجنة لك ؟ قال : وأضربُ عشرين سوطا . قالوا : ولم نقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

- الأصمعي عن مُبَشَّرِ بْنِ بَشِيرٍ أن رجلا كان يطلبه الجحاج فترس بسابط فيه كلب بين جُبَيْنٍ يَقَطُرُ عليه ماءهما . فقال : يا ليتني مثلُ هذا الكلب ، فما لبث ساعة أن مرَّ بالكلب في عقبه حبيلٌ ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كلبُ الجحاج يأمر فيه بقتل الكلاب . قال مَدِينَةُ لَكُوفٍ : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ١٠ وَدِدْتُ أَنِّي وَقَيْتُهُ ولم يكن وصل إليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شيء من المكروه إلا كان بي دونه . قال المديني : وَدِدْتُ أن أبا طالب كان أسلمَ فسرَّبه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنى كافرٌ .

- تَمَّتْ ابن أبي عتيق أن يُسَدَّى له مسلوخٌ يَخِيذُ منه طعاما ، فسمعته جارة له ١٥ فظننت أنه قد أمر أن يُسْتَرَى له ، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تدقُّ الباب ، وقالت : تَحِيَّمْتُ رِيحَ قُدُورِكُمْ بَفَتْ لِنِطْعِمُونِي ، فقال ابن أبي عتيق : جيرانى يَسْمُون رِيحَ الْأَمَانِي .

- وفي كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن في بكرة ، ففكر يوما فقال : أبيعُ ٢٠ البكرة بعشرة دراهم ، وأشتري خمسة أَعْرَ فَأُولِئُهَا في كلِّ سنةِ مرتين ، ويبلغ النَّسَاجُ في سنينِ مائتين ، وأتباعُ بكلِّ أربعِ بكرةٍ ، وأصيب بئرا فازدح ، ونجى المسأل في يدي ، فَأَخَذَ المساكينَ والعبيدَ والإماءَ والأهلَ ويؤلُدُ لي ابنٌ فاسميه كذا وأخذه

بالأدب ، فإن نغو عصافى ضربت بعصافى رأسه وكانت في يده عصافى فرفعها حاكيا للضرب . فأصابته الحفرة فأنكثرت ، وانصب العسل والسمن على رأسه .

ابن الكلبي قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان معرورا قال :

لَيْتَ أَيْمَانًا بِرُقَّةِ خَاحٍ * وَلِيَالِكَ يَاطْوِيْلُ تَعَوْدُ

وإذا كان معتمًا قال :

تَرَى الشَّيْءَ مَا تَتَّقِي فَخَافَهُ * وَمَا لَا تَرَى مَا يَتَّقِي اللَّهَ أَكْثَرُ

الأصمعي عن أبيه قال قال زياد : أى الناس أنتم ؟ قالوا : معاوية . قال :

فَأَيْنَ مَا يَلْقَى مِنَ النَّاسِ ! قالوا : فانت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والخراج !

قالوا : فمن ؟ قال : شاب له سداذ من عيش ، وأمرأة قد رضىها ورضيته ، لا يعرفنا

ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه وديناه .

التواضع

قال حدثني محمد بن خالد بن خنّاش قال حدثنا مسلم بن قتيبة عن شيخ من

أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حيوة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصبلح من

السراج فقلت : يا أمير المؤمنين لم لا أصرقي بذلك ، أودعوت له من يصلحه ؟

فقال : قمت وأنا عمر ومعبث وأنا عمر .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كتب محمد بن كعب فانقلب وقال : القُرطبي ،

فقال له : أو الأنصاري . فقال : أكره أن أؤمن على الله بما لم أفضل .

قال حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا عبد الله بن مسلمة عن يعقوب بن حماد

المدني عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب إذا سافر

لا يقيم في الظل ، وكان يراحمنا رحالنا ويُرمل رحله وحده . وقال ذات يوم

لا يأخذ الليل عليك بالهم * وليس له التميمص وأعم^(١)
وكن شريك نافع وأسلم * ثم آخذهم الأثوام حتى تحنم

وروى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصابته رعدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «هون
عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جلس الأحف على باب دار ، فمزت به
سافية فوضعت قيرتها وقالت : يا شيخ ، احفظ قيرتي حتى أعود ومضت ، فأنابه الأذن
وقال : انفض . فقال : إن معي وديعة ، وأقام حتى جاءت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جرير بن حازم عن الزبير بن الحارث عن
أبي لبيد ، قال : مر بنا زياد وهو أمير البصرة ومعه رجل أوردجلان وهو على بغلة
قد طوق الحبل في عنقه تحت اللجام .

الأصمعي قال ، قال يحيى بن خالد : الشريف إذا نقر تواضع والوضيع إذا نقر^(٢)
تكبر . الأصمعي قال : لا أراه أخذه إلا من كيس غيره .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن
أيوب عن عمار بن غزينة عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال : إلى الله أشكو
حمدي مالا آتي ، وذمي مالا أترك .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن أبي نعيم عن منديل عن حميد عن أنس قال :
مر النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في غلمان فسلم علينا .

وحدثني أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شعبة عن جابر عن طارق التيمي
عن جرير بن عبد الله البجلي قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسوة فسلم عليهن .

(١) كما ورد هذا الشطر في الأصول وهو مختل الوزن . (٢) يقال قر إذا نودي باسمه من بين الأسماء .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرني معمر قال : قلت لجار لعطاء السلمي : من كان يخدم عطاء ؟ قال : عُثْتُون كانوا في الدار يستقون له وضوءه . فقلت : أيؤثنته عُثْتُون ! فقال : هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعي عن رجل عن النبي قال : أدى ابن محمد بن واسع رجلا ، فقال له محمد : أنؤذيه وأنا أبوك وإنما اشتريت أمك بمائة درهم .

قال عامر بن القريب العدواني : يامعشر عدنان ، إن الخير ألوف عرووف عرووف ، وإنه لن يُهَارِقَ صاحبه حتى يفارقه ، وإن لم أكن حكيما حتى صيبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تمبدت لكم . قال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصابيد الشرف . كان يقال : سمان متضادان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقال بزرجمهر : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقال الوليد : خدمة الرجل أخاه شرف . وقال عبد الله بن طاهر :

أميل مع اللدماغ على ابن عمي * وأحمل الصديق على الشقيق
واب القيتي ملكا مطاعا * فإنك واجدى عبد الصديق
أفرق بين مصروفي ومنى * وأجمع بين مالى والحقوق

وقال آخر :

وإن لعبد الضيف من غير ذلة * وما في إلا تلك من شجة العبد^(١)

ويقال : كل نعمة محسود عليها إلا التواضع . قال المسيح عليه السلام لأصحابه : إذا اتخذكم الناس رءوسا فكونوا أذنانا . اعتم هشام بن عبد الملك فقام الأبرش ليسوى عمامته ، فقال هشام : مه إنا لا نتخذ إلاخوان خولا . كان عمر بن الخطاب يلقط النوى ويأخذ النكت من الطريق ، فإذا مر بدار رى بها فيها وقال : انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت في الحاشية من أبيات مفتوحة الروى لفتح الكنى هكذا :

وإن لعبد الضيف مادام غزلا * ولا شجة لي فيها شبه العبد

- قال يوسف بن أسباط : يَمْزِي قَلِيلُ الْوَرَعِ مِنْ كَثِيرِ الْعِلْمِ ، وَيَمْزِي قَلِيلُ التَّوَضُّعِ مِنْ كَثِيرِ الْاجْتِهَادِ . وقال بكر بن عبد الله : إِذَا رَأَيْتَ أَكْبَرَ مِنْكَ قُلًّا : مَبْقَى بِالْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْفَرَ مِنْكَ قُلًّا : مَبْقَى بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ اخْوَانَكَ يُكْرِ مُوَلِّكَ قُلًّا : نِعْمَةٌ أَحَدُتُوهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ هَضِيحًا قُلًّا : بِذَنْبِ أَحَدِهِمْ . قال عبد الملك بن مروان : أَفْضَلُ الرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رُفْعَةٍ ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ . قال ابن السكَّك لعيسى بن موسى : تَوَاضَعُكَ فِي شَرْفِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ شَرْفِكَ . وقال عبد الملك بن مروان : ثَلَاثَةٌ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ : جُودٌ لغيرِ ثَوَابٍ ، وَنَصَبٌ لغيرِ دُنْيَا ، وَتَوَاضَعٌ لغيرِ ذُلٍّ .
- قال إبراهيم النَّخَعِيُّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَرِكَبَ الْحِمَارِ رِدْفًا . الْأَعْمَشُ عَنْ أَنَسٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى ١٠ إِلَى خُبْرِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السِّنَّةِ ^(١) فَيُجِيبُ . قَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ لَا يَأْكُلُ مَتَكًا وَلَا كَلًّا بِالْحَضِيضِ ، دَهْرَ الْأَرْضِ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ . قَالَ أَوْسُ بْنُ الْحَدَّادِ : رَأَيْتُ أَبَا هُبَيْرَةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ رَأْبَا عَلَى حِمَارٍ عُرِّي يَقُولُ : الطَّرِيقُ الطَّرِيقُ ، قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ . قَالَ حَقَّصُ بْنُ قِيَاثٍ : رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ خَارِجًا إِلَى الْعِيدِ عَلَى حِمَارٍ مَقْطُوعٍ الذَّنْبُ قَدْ سَدَّلَ رِجْلِيهِ مِنْ جَانِبٍ . الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : بَيْنَا عُمَرُ بْنُ ١٥ الْخَطَّابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَنَبْرِ إِذْ أَحَسَّ مِنْ قَسَمِهِ بَرِيحٌ نَجَرَتْ مِنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ مَلِيتُ بَيْنَ أَنْ أَخَافَكُمْ فِي اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ ، فَكَانَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ فَسَوْتُ ، وَهَآنَذَا أَنْزِلُ لِأَعِيدَ الْوُضُوءَ . كَانَ يَقَالُ : مَنْ لَمْ يَسْتَعِجْ مِنَ الْحَلَالِ قَلَّتْ كِبَرُؤُهُ وَخَفَّتْ مُوَازِينُهُ . قَالَ معاوية :
- مَامَنَا أَحَدٌ إِلَّا قَفَّشَ عَنْ جَانِفَةٍ أَوْ مُنْقَلَةٍ ^(٢) خَلَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ . الْمُتَقَلَّةُ الشَّجَةِ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا ٢٠

(١) الإِهَالَةُ : مَا يُقَدِّمُ بِهِ مِنَ الْأَدْعَانِ ، وَالسِّنَّةُ : الْمُتَبَرِّجَةُ لِلرَّجُلِ .

(٢) يَرِيدُ : لَا يَسِيْرُ أَحَدٌ إِلَّا وَفِيهِ جِبٌّ عَظِيمٌ ، فَاسْتَبَارَ الْجَانِحَةُ وَالْمُنْقَلَةُ قَبْلَهُ .

الغلام، والجماعة التي تبلغ جوف الدماغ . يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبي حمزة قال [قال] إبراهيم : لقد تكلمتُ ولو وجدتُ بداً ما تكلمتُ، وإن زماناً تكلمتُ فيه لزمانٌ سوء . كان رجلٌ من خَتَمِ رَدَى فقال في نفسه :

لو كنتُ أصعدُ في التَّكْرُمِ والعُلَا * كنتُ حُدْرِي أصبحتُ سيدَ خَتَمِ
فبادِ أَهْلَ بَيْتِهِ حَتَّى سَادَ فَقَالَ :

خَلَبَ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرُ مُسَوِّدٍ * وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ
أَنَسْدُنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْحَمِيِّ فِي مِثْلِهِ :

إِنِّي بِقَوْمٍ مَسْذُوكٍ لِحَاجَةٍ * إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَنْظُرُونَ بِسَيِّدٍ

- قال يحيى بن خالد : لستَ ترى أحداً تكبرُ في إمارته إلّا وهو يعلم أن الذي نال
فوق قُدْرِهِ، ولستَ ترى أحداً يضعُ نفسه في إمارة إلّا وهو في نفسه أكثرُ مما نال
في سلطانه . ومثله، قيل لُمَيْدِ اللَّهِ بْنِ بَسَّامٍ : فلانَ غَيْرُهُ الْإِمَارَةُ، فقال : إذا وَلِيَ
الرَّجُلُ وِلَايَةً فَرَأَاهَا أَكْثَرَ مِنْهُ تَغْيِيرٌ، وإذا وَلِيَ وِلَايَةً يَرَى أَنَّهُ أَكْثَرُ مِنْهَا لَمْ يَتَغَيَّرْ .
ويقال : التَّوَضَّعُ مَعَ السَّخَافَةِ وَالْبُخْلِ أَحْمَدُ مِنَ السَّخَاةِ وَالْأَدَبِ مَعَ الْكِبَرِ، فَاعْظِمْ
بِنِعْمَةِ عَفَتْ مِنْ صَاحِبِهَا بَسِيتَيْنِ، وَأَقْبَحُ بَسِيتَةٍ حَرَمَتْ صَاحِبَهَا حَسَنَتَيْنِ . وفي بعض
كتب العجم : علامةُ الْأَحْرَارِ، أَنْ يُلْقَوْا بِمَا يُحِبُّونَ وَيُحَرِّمُوا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُلْقَوْا
بِمَا يَكْرَهُونَ وَيُعْطَوْا؛ فَانْظُرْ إِلَى خَلَةٍ أَفْسَدَتْ مِثْلَ الْجُودِ فَاجْتَنِبْهَا، وَانْظُرْ إِلَى خَلَةٍ
عَفَتْ مِثْلَ الْبُخْلِ فَالْزِمْهَا . كَانَ يَقَالُ: الشَّرْفُ فِي التَّوَضُّعِ، وَالْعِزُّ فِي التَّقْوَى، وَالنِّقَى
فِي الْقَنَاعَةِ . أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: حَظَّبَ سَلْمَانَ إِلَى عَمْرِ فَاَجْمَعَ عَلَى تَرْوِيحِهِ، فَشَقَّ ذَلِكَ
عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَشَكَاهُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ : أَنَا أَرَدْتُ عَنْكَ، فَقَالَ: إِنْ رَدَدْتَهُ
بِمَا يَكْرَهُ أَغَضِبْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ : عَلَى أَنْ أَرَدَهُ عَنْكَ رَاضِيًا، فَاتَى سَلْمَانَ فَضَرَبَ
بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: هِنَيْتَا لَكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَتَوَضَّعُ بِتَرْوِيحِكَ،

فالتفت إليه مُغَضَّبًا وقال، أبا يتواضع ! والله لا أتزوجها أبداً . وقال المزاري بن مُعْقَدِ الْعَدَوِيِّ^(١) :

يا حَبِذا حين تُمَسِّي الرِّيحُ باردةً^(٢) . وادى أُنثى، وفتان به هُضمٌ
يُحْدِثُونَ، كرامٌ في مجالسهم، * وفي الرجال إذا لاقيتهم خَدَمٌ
وما أوصاحبٌ قوماً ثم أذكُرهم * ألا يزيدُهم حُباً إلى هُم

- ابن المبارك عن ذَرٍّ عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت، فدنا عبد الله بن عباس ليأخذ بركابه ، فقال : لا تفل يابن عم رسول الله ، فقال : هكنا أمرنا أن نعمل بعلاننا . فقال زيد : أرى يدك، فانخرج يده فقبلها زيد، ثم قال : هكنا أمرنا أن نعمل بأهل بيت سينا عليه السلام . قال عبد الله بن مسعود : رأس التواضع أن تبدأ من لقيت بالسلام، وأن ترضى بالذنوب من المجلس . ابن أبي الزناد ١٠ عن أبيه أن العباس بن عبد المطلب لم يقطع بصمر ولا بثمان وهما راكبان إلا ترعلا حتى يجوزهما إجلالا له أن يمزوهما راكبان وهو يمشي . كان سلمان يتعوذ بالله من الشيطان والسلطان والمُلج إذا استعرب . المدائني قال : سلم رجل على حسان ابن أبي سنان فدعا له ، فقيل : أمدعوا لعل هذا ! فقال : إن مما يفضِّلني به أن يرى أتى خير منه . قال عبد الله بن شداد : أرفع من سكن فيه فقد برئ من الكبر : من ١٥ اعتقل المعتز، وركب الحمار، ولبس الصوف، وأجاب دعوة الرجل الذنون .

باب الكبر والعجب

حدثني إبراهيم بن مسلم قال حدثنا أبو السكين قال حدثني عم أبي زحر بن حصين قال، قال رجل للحجاج : اسلمح الله الأمير، كيف وجدت متلك بالعراق ؟

- (١) جاءت هذه الآيات في الحمار من نصيحة موزونة إلى ياد بن حل بن سعد بن عبيدة بن حوث ٢٠
قال البربري : ويقال زياد بن معقل . (٢) كذا في الأصل، وفي الحاشية «بادرة» .

قال : خيرٌ منزل لو كان الله يقبض أربعة فتقرَّبَتْ بدمائهم إليه . قال : ومن هم ؟
 قال : مُقَاتِلُ بْنُ مِسْمَعٍ ، وَابْنُ حِصْتَانٍ فَأَنَاهُ النَّاسُ فَأَعْطَاهُمُ الْأَمْوَالَ ، فَلَمَّا عَزِلَ
 دخل مسجد البصرة فبسط النَّاسُ لَهُ أَرْدِيَّتَهُمْ فَشَيَّ عَلَيْهَا ، وَقَالَ لِرَجُلٍ يَمَاشِيهِ : لِمَ لَئِلَ
 هذا فيعمل الماملون . وعُيِدَ اللهُ بِنِ زِيَادِ بْنِ ظَلِيَّانِ التَّمِيمِيِّ ، حَزَبَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ
 أَمْرٌ لَخَطْبِ خُطْبَةٍ أَوْجَزَ فِيهَا ، فَنادى النَّاسُ مِنْ أَعْرَاضِ الْمَسْجِدِ : أَكْثَرَ اللهُ فِينَا
 أمثالكَ . فقال : لقد كلَّمْتُمُ اللهَ شَطَطًا . وَمَعْبَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا
 فِي طَرِيقٍ ، فَتَرَتْ بِهِ أَمْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا عَبْدَ اللهِ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا ،
 فقال : لِمَ عَبْدُ اللهِ ! أَنَا هَذَا ؟ أَرَادَ كُنَى بِي أَنَا ، يَرِيدُ الْفَخْرَ . وَأَبُو سَمَّاكٍ الْأَسَدِيُّ ،
 أَضَلَّ رَاكِبَتَهُ فَأَتَمَّهَا النَّاسُ فَلَمْ يَجِدُوهَا ، فقال : والله لئن لم يَرُدُّ عَلَيَّ رَاكِبَتِي
 لَا صَبِئْتُ لَهُ أَبَدًا ، فَأَتَمَّهَا النَّاسُ حَتَّى وَجَدُوهَا ، فَقَالُوا : قَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ رَاكِبَتَكَ
 فصلٌ ، فقال : إِنْ يَمْنَى كَانَتْ صَرِيًّا .

قال أبو حاتم عن الأصمعي عن كُرْدَيْنِ الْمِسْمَعِيِّ . قِيلَ لِرَجُلٍ مُتَكَبِّرٍ : هَلْ مَرَّتْ
 بِكَ أَحْمَرَةٌ ؟ فقال للسائل : تلك دواب لا يراها عَمَلُكَ . قال وقال كُرْدَيْنِ : رَأَى
 ابْنُ مِيَادَةَ الشَّاعِرَ فَأَعْجَبَتْهُ لِمَا رَأَى مِنْ جَلَدِيٍّ وَبَيَانِي . فقال : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قُلْتَ :
 مِنْ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ ، فقال : وَفِي أَى الْأَرْضِ يَكُونُ بَكْرُ بْنُ وائِلٍ ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جبَّير بن مُطْعِمٍ فِي حَلْقَةِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 الْحَرَقِيِّ وَهُوَ يَقْرَأُ النَّاسَ . فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : أَتَدْرُونَ لِمَ جَلَسْتُ إِلَيْكُمْ ؟ قَالُوا :
 نَسْمَعُ ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ التَّوَضُّعَ قَبْلَ الْجُلُوسِ إِلَيْكُمْ . قَالَ : وَمَرَّ مُحَمَّدُ

(١) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ، وفي المقتد الفريد الجزء الأول صفحة ٢٤٤ — : فقال : لِمَ يُقَالُ
 يَا عَبْدَ اللهِ ! وَبِكَ ! (٢) كذا بالأصول ، وفي المقتد الفريد : «وَأَبُو سَمَّاكٍ الْحَنْظَلِيُّ» وَفِي السَّانِقِ فِي مَادَةِ
 صَرِي : «أَبُو سَمَّاكٍ الْأَسَدِيُّ» . (٣) كذا بالقنطرة خرافية ، وفي الألمانية «صُرِيَا» وَالَّذِي فِي السَّانِقِ
 وَالصَّاحِ «عَلِمَ رَبِّي أَنَهَا بَنِي صُرِي» . بِكسر الصاد وضع الراء المشددة ، أَيْ عَزِيزَةٌ قَاطِعَةٌ وَبَيْنَ لَازِمَةٍ .

ابن المنذر بن الزبير بن العوام في حاجة له، فاقطع قبالة نعله، فترج الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يرج عليهما . قال بعض الشعراء:

وأعيرض عن ذي المال حتى يقال لي * قد أحدث هذا نحوه وتعلما
وما بي كبر عن صديقي ولا أخ * ولكنه فعل إذا كنت معلما

- قيل لبعضهم : ما الكبر . قال : حقي لم يدرب صاحبه أين يضعه . قال معاوية بن أبي سفيان : قديم عاقمة بن وائل الحضرمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني رسول الله أن أطلق به إلى منزل رجل من الأنصار أنزله عليه ، وكان منزله في أقصى المدينة ، فأطلقت معه وهو على ناقة له وأنا أسشى في ساعة حارة وليس علي حذاء ، فقلت : احملني يا عم من هذا الحر فإنه ليس علي حذاء ، فقال : لست من أراذيل الملوك ، قلت : إني ابن أبي سفيان ، قال : قد سمعت رسول الله عليه السلام يذكر ذلك ، قال ١٠ قلت : فأني إلى نعلك ، قال : لا تقبلها قدماك ولكن أمش في ظل ما تحي فكفأك بذلك شرقا ، وإن الظل لك لكثير . قال معاوية : فما مر بي مثل ذلك اليوم قط ، ثم أدرك سلطاني فلم أواخذه بل أجلسه معي على سريري هنا . قال ابن يسار :
- ولو لحظ الأرض لي والد * تطاطات الأرض من لحظتي

وقال آخر :

- أني على جح البلاد وإنها * ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسي
أني فما أدري من الله من أنا * سوى ما يقول الناس في وفي جنبي
فان زعموا أني من الإنس مثلهم * لما لي عيب غير أني من الإنس
وكان عند الرستم قوم من التجار حضرت الصلاة فنهضوا فقال :
٢٠ ما لكم ولما وما أتم منه ! الصلاة ركوع وسجود وخضوع ، وإنما فرض الله هذا

(١) يقال النمل : زمام بين الأصبع الوسطى والى ظميا .

- يريد به المتكبرين والمتجبرين والملوك والأعظم مثلي ومثل فرعون ذى الأوتاد
ومُمرود وأتوشروان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه .
قال الحسن : ليس بين العبد وبين ألا يكون فيه خير إلا أن يرى أن فيه خيراً .
رأى رجل رجلاً يختال في مشيته ويتلفت في أعطافه ، فقال : جعلني الله مثلك
في نفسك ولا جعلني مثلك في همتي . قيل لعبد الله بن المبارك : رجلٌ قتل رجلاً
فقلتُ إنى خيرٌ منه ، فقال : ذنبك أشد من ذنبه . قال الأحنف : عجبْتُ لمن جرى
في مجرى البؤل مرتين كيف يتكبر . ابن عُلَبة عن صالح بن رُسَم عن رجل عن
مُطَرَف ، قال : لأن أبيت نائمًا وأصبح نادماً أحبُّ إلى من أن أبيت قائماً وأصبح
مُعجباً . وقال هشام بن حسان . سيئة تسوئك خير من حسنة تُعجبك . قال أبو حازم :
١٠ إن الرجل ليعمل السيئة ما عمل حسنةً قط أنفع له منها وإنه ليعمل الحسنة ما عمل
سيئةً قط أضر عليه منها . قال الشاعر :
- أما ابنُ قُروة يؤنسُ فكأنه * من كبره أُرُّ الحمار القائم
ما الناسُ عندك غير نفسك وحدها * والناسُ عندك ما خلاك بهائم
- قال المسعودي :
- ١٥ مُسا ترابُ الأرض منها خُلِقنا * وفيها المعاد والمصيرُ إلى الحشر
ولا تعجبا أن ترجعاً قُتِلتما * فما خشي الأقوامُ شرَّاً من الكبر
ولو شئتُ أدلُّ فيكما غير واحد * علانية أو قال عندي في سترٍ
فإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما * ضحكْتُ له حتى بَلَغَ ويستشيري
- الأصمعي قال قال رجل : ما رأيتُ ذا كبرٍ قط إلا تحوَّل دأؤه في ، يريد أنى أن تكبر عليه .
وقال آخر : ما تاه أحد قط على مرتين ، يريد إذا تاه مرة لم أعوده . قال الشاعر :
- ٢٠ بِأَمْظَهَرِ الكِبَرِ إعجاباً بصورته * أنظرَ خلأكَ إن التَّنَّ تريب

لو فكر الناس فيا في بطونهم * ما استشعر الكبر شبا ولا شيب
هل في ابن آدم غير الرأس مكرومة * وهو يحس من الانذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سبك * والعين مرمصة والتغر ملعوب
يابن التراب وما كول التراب غذا * أقصر فأنك ما كول ومشروب

- دفع أردشير الملك إلى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً، وقال له : إذا رأيتني قد
أشدت غضبي فادفعه إليّ، وفي الكتاب : أمسك فلست بالله إنما أنت جسد يوشك
أن يأكل بعضه بعضاً ويصير عن قريب للودود والتراب . كان للسندي وإلى الحسر
غلام صغير قد أمره بأن يقوم إليه إذا ضرب الناس بالسياط فيقول له : ويلك
ياسندي، أذكر القصاص . كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك :

- أبا جعفر عرج على خلطانكا * وأقصر قليلاً عن مدى علوانكا
فإن كنت قد أعطيت في اليوم رفعة * فإن رجائي في غد كرجانكا
قال لي بعض أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعت رجلاً يشد :
ألا رب ذي أجل قد حضر * طويل التني قليل الفكر
إذا هز في المشي أعطافه * تينت في منعيه البطر

- قال : فندوت عليه لأكتب تمام القصيدة فوجدته قد مات . المداخني قال :
رأيت فلاناً مولياً باهلاً يطفو بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته بعد ذلك راكباً
في سقر، فقلت له : أراجل في هذا الموضع ؟ قال : نعم، إني ركبت حيث يمشي
الناس فكان حقاً على الله أن يرحلني حيث يركب الناس . وقال أبو نواس في جعفر
ابن يحيى البرمكي :

- وأعظم زهواً من ذباب على نحره * وأجمل من كلب عقر على عرق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر * لما وضعوه الناس إلا على حق

(١) هذا وارد على لغة من يلحق القمل علامة الفاعل قبل ذكره وهي لغة أزدشنة .

وقال آخر :

أَجُّ لِحَايَا^(١) مِنْ الْخُفْصَاءِ * وَأُزْهِى إِذَا مَا مَنِي مِنْ غِرَابِ

قبل لرجل من بني عبد الدار : ألا تأتي الخليفة ، قال : أخشى ألا يَجِلَّ الحُسْرُ شرفي . وقيل له : اليأس شيئاً فإن البرد شديد ، فقال : حسبي يَدْفِنُنِي . قال أبو اليقظان : كان المجتاج أستمعل بلالاً الضبي على جيش وأغزاه قلاع فارس ، وكان يقال لذلك الجيش . يبيي ، سُمي بذلك لأنه فرض فرضاً من أهل البصرة فكان أهلهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : يبيي . وفي جيشه قال الشاعر :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي بَثٌّ حَارِماً * قَامَ بِلَالٌ فَبَالَ عَلَى رَجُلِي

فَقَلْتُ لِأَصْحَابِي أَقْطَعُوهَا فَإِنِّي * كَرِيمٌ وَإِنِّي لَنْ أَبْلُغَهُ رَحْلِي

١٠ مد أعرابي يده في الموقف وقال : اللهم إن كنت ترى يداً أكرم منها فاقطعها .

قال نوح : سمعت المجتاج بن أرملة يقول : قتلت حُبَّ الشرف . وقيل له : مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال : أكره أن يزحمي البقالون . كان جذيمة الأبرش — وهو الوضاح سُمي بذلك لبرص كان به — لا يُتَادِمُ أحداً ذهاباً بنفسه ، وقال : أنا أعظمُ من أن أنادِمَ إلا الفرقدين ، فكان يشرب كأساً ويصب لكل واحد منهما في الأرض كأساً ، فلما أتاه مالك وعقيل بآبن أخته الذي أسبوه الشياطين قال لهما : احتكما ، فقالا له : متادمتك ، فنادماه أربعين سنةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حديثاً . وفيهما يقول مُثَمَّمُ بن نويرة :
وَكَا كُنْتُمْ مَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةَ * مِنْ التَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ تَنْصَدَمَا

(١) كذا بالأصل وفي لسان العرب في مادة زها . وأورد الميداني المثل هكذا « أُلخ من الخفصاء » . بالحاء المهملة ولم يشرحه ، وعطاه في كتاب فرائد اللآل بأن الخفصاء إذا وقعت عن موضع عادت إليه .

٢٠ (٢) أصله بآبي ، أبدلت الحزة فيه ياء ، انظر اللسان في مادة آبي . وفي الأغاني ج ٢ ص ١٥٥ أن المجتاج ضرب البعث على المحتلطين ونز أنبت من الصبيان فكانت المرأة تنجي . إلى ابنها وقد بُرد نفسه إليها وتقول له بآبي جزا طبع فسمي ذلك الجيش جيش بآبي .

وقال الهذلي :

ألم تَلَيْبِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ بَيْنَنَا • خَلِيلًا صَفَاءً مَالِكٌ وَحَقِيلُ

قيل لإياس بن معاوية : ما ليك عيب إلا أنك مُحَجَّبٌ ، قال : أَفَأَعْيَبُكُمْ ؟ قالوا : نعم

قال : فانا أحق أن أعجب بما يكون مني . ويقال : للمادة سلطانٌ على كل شيء ،

- وما استنبط الصوابُ بمثل المشاورة ، ولا حُصِنَتِ التَّمُّ بمثل المواصاة ، ولا اكتسبت
الْبَغْضَةُ بمثل الكِبَرِ .

باب مدح الرجل نفسه وغيره

قال الله عز وجل حكايةً عن يوسف : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَصِيظٌ

عَلِيمٌ) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" ، وقال للأَنْصَارُ :

- "والله ما علمتكم إلا تَقُولُونَ عند الطمع وتَكْتُمُونَ عند الفزع" . وذَكَرَ أَعْرَابِي قَوْمًا ١٠

فقال : والله ما نالوا بأطراف أُناملهم شيئاً إلا وقد وُطِئَتْهُمُ بِأَخَامِصِ أَقْدَامِنَا ، وإن

أَفْصَى مُتَاهِمٍ لَأَدْنَى فَعَالِنَا . ابن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : كنتُ

أَمْشِي مع الشَّعْبِيِّ وَأَبِي سَلَمَةَ ، فسأل الشَّعْبِيُّ أَبَا سَلَمَةَ : مَنْ أَعْلَمُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ؟ فقال :

الَّذِي يَمْشِي بَيْنَكُمَا ، يعني نفسه . وقال الشَّعْبِيُّ : ما رأيتُ مثلي ، وما أشاء أن أُلْقَى رَجُلًا

- أَعْلَمُ مِنِّي بِشَيْءٍ إِلَّا لِقِيْتَهُ . قال معاوية لرجل : مَنْ سَيِّدُ قَوْمِكَ ؟ قال : أنا . قال : ١٥

لو كنتُ كذلك لم تُقَلِّ . الوليد بن مسلم عن خلود عن الحسن قال : ذَمَّ الرَّجُلُ نَفْسَهُ

فِي الْعِلَانِيَةِ مَدْحٌ لَهَا فِي السِّرِّ . كان يقال : مَنْ أَظْهَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ فَقَدْ زَكَّاهَا ، الْأَعْمَشُ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : إِذَا أَثْنَيْتَ عَلَى الرَّجُلِ بِمَا فِيهِ فِي وَجْهِهِ لَمْ تُزَكَّهُ .

قال عمر بن الخطاب : المَدْحُ ذَنْبٌ . ويقال : المَدْحُ وَاقِدُ الْكِبَرِ . وقال علي بن الحسين :

- لَا يَقُولُ رَجُلٌ فِي رَجُلٍ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَقُولَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ مَا لَا يَعْلَمُ ، ٢٠

وَلَا يَصْطَلِحُ أَثْنَانِ عَلَى غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَفْتَرِقَا عَلَى غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .

قال وهب بن منبه : إِذَا مَمَعَتْ الرَّجُلُ يَقُولُ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيكَ فَلَا تَأْمَنْ

أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك . ويقال في بعض كتب الله عز وجل : عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ! ولمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يفتصب !
واعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض الناس على الظنون ! . وكان يقال :
لا يظن جهلٌ غيرك بك علمك بنفسك . وقال أعرابي : كفى جهلاً أن يمدح المادح بخلاف ما يعرف الممدوح من نفسه ، وإني والله ما رأيتُ أعشق للعروف منه . قال ابن المقفع : إياك إذا كنت والياً أن يكون من شأنك حبُّ المدح والتركية وأن يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلثة من التلم يتحيمون عليك منها ، وبأبأ يفتحونك منه ، وغيبة يتناوبون بها ويضحكون منك لها . وأعلم أن قائل المدح كإدح نفسه ، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده ، فإن الراد له ممدوح والقابل له معيب . وقال البيهقي :

ولست بمفراح إذا التهرمتي * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أمتي الشر والشر تاركي * ولكن متى أحل على الشر أركب
ويستده قومٌ كثير تجارة * ويمتنع من ذلك ديني ومنصبي
فإن مسيري في البلاد ومتزلي * لبالمزلة الأقصى إذا لم أقرب

قول الممدوح عند المدحة

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان أبو بكر يقول عند المدحة : اللهم أنت أعلم بي مني بنفسي وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم أجعلني خيراً مما يحسبون وأنفعلي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون . قال حدثنا الراشي عن الأصمعي عن حماد بن سلمة قال : أثنى رجلٌ على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في وجهه ، وكان همةً ، فقال علي : أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك .

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ، وكأنه سقط من تمام الجملة ما ينظم به السياق ، ففى العقد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابي رجلاً فقال : ما رأيت أعشق للعروف منه . وفى الصحيفة نفسها : ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : إن جهلاً أن يقول المادح بخلاف ما يهره من الممدوح وإني والله ما رأيت أعشق للكلام في زمان اليوم منك .

قيل لأعرابي : ما أحسنَ الثناءَ عليك ! فقال : بلاءُ الله عندي أحسنُ من وصفِ
المساكين وإن أحسنوا ، وذنوبي إلى الله أكثر من عيبِ الذماتين وإن أكثرُوا ،
فيا أسفاً على ما فرطتُ وبأسوء ما قَدِمْتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الثناءَ إلا من مكافئ^(١) . وبين أحسن ما قيل في مدح الرجل نفسه قولُ أعشى بن ربيعة :

- ما أنا في أهل ولا في عشيرتي * بمهتِمْ حق ولا فارح سِنِي
ولا مُسليم مولاى عند جنابة * ولا خائف مولاى من سوء ما أُجنى
وإن قواداً بين جنبي ما لم * بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلتني في الشعر واللب أتني * أقول على علم وأعلم ما أُعني
فأصبحتُ إن فضلتُ مروان وأبنته * على الناس قد فضلتُ خير أب وأبن

وقال آخر :

إذا المرء لم يمدحه حسنُ فصاله * فادحه يهذي وإن كان مفصلاً
وقال آخر :

لعمري أبوك انلخبر إلى لخادم * لصحبي وإن ركبْتُ لقارص
وقال آخر :

- ونحن ضيأُ الأرض ما لم نَسْرِ بها * غصاًباً، وإن تَغَصَّبَ فتحن ظلامها
وأشَد الحسن البصري قول الشاعر :

لولا جبر هلكت بجيلة * نعم التقى وبُسَّت القبيلة

- (١) في اللسان مادة كفاً بعد أن أورد الحديث : قال النبي ص : إذا أُنِمَ على رجل نعمة فكافاه بالثناء .
عليه قبل ثناء . وإذا أُنِمَ قبل أن ينعم عليه لم يقبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأبارى هذا غلط إذا كان أحد لا ينفك
من إتمام النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله يشه رحة الناس كافة فلا يخرج منها مكافئ ولا غير مكافئ . والثناء عليه
فرض لا يتم إلا به وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل
عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم . قال وقال الأزهري وفيه قول ثالث : إلا من
مكافئ أي مقارب غير مجاور . حدث مثله ولا مقصر عما رُفِعَ الله إليه . وعنه بالحرف في ابن الأثير .
(٢) في الأصل « الحسن بن البصري » وظاهر أن لفظة « ابن » من زيادات النسخ .

قال الحسن : ما مَدَحَ رجلٌ هُجِيَ قَوْمُهُ . وقال أبو الهيثم :
يقولون : الحديدُ أشدُّ شيءً * وقد بُنيَ الحديدُ وما بُنِيَ
تَحْرُ الأَرْضُ إنْ نُودِيَْتُ باسمي * وتَهْدُ الجبالُ إذا كُنِيَْتُ
ومَدَحَ النفسُ في الشعرِ كثيرٌ وهو فيه أسهلُّ منه في الكلامِ المنثور .

باب الحياء

حدثني أبو مسعود البزازي ، قال : حدثني جدِّي خراش عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : «الحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» . وروى ابنُ عُمرٍ عن الأَحْوَصِ
ابنِ حَكِيمٍ ، قال : حدثني أبو عَوْنُ المَدَنِيُّ قال : سمِعْتُ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ يقول :
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «قِلَّةُ الْحَيَاءِ كُفْرٌ» . وروى جريرُ بْنُ حَازِمٍ عن يَعلَى
ابنِ حَكِيمٍ عن رجلٍ عن ابنِ عمر ، قال : الحياءُ والإيمانُ مقرونانِ جميعاً فإذا رُفِعَ
أحدهما أَرَفَعَ الآخَرُ . وكان يقال : أَحْيُوا الْحَيَاءَ يَحْالِسَ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ . ذكر
أعرابيٌّ رجلاً فقال : لا تراه الدَّهْرُ إلا وكأنه لا عَنَى به عَنكَ وإن كنتَ إليه أحوَجَ ،
فإن أذنبْتَ غَفَرَ وكأنه المَذْنُوبُ ، وإن أسأتَ إليه أحسنَ وكأنه المَسِيءُ . وقالت
ليلي الأَخِيلَةُ :

ومُقَدِّرٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ نَحَالُهُ * وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيَا
حتى إذا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ * تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الْمَجْلِسِ زَعِيَا
ونحوه قول الآخر ألا أنه في التواضع :

يَدُو فَيَدُو ضِعْفًا مِنْ تَوَاضَعِهِ * وَيَكْفَهُزُ قُبْلَى الْأَسْوَدِ الْمِثْلَا
وقال أبو دَهْلِيلٍ الْجَمْعِيُّ :

إن البيوتَ معادِنَ فَنِصَارُهُ ^(٢١) * ذَهَبٌ وَكُلُّ جُدُودِهِ تَحْقَمُ ^(٢٢)

(١) يمدح النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) في الأصول . «ضجارة» وهو تحريف والتصويب
عن الحامسة . (٣) في الحامسة «يومته» يعني القبائل التي اكتنفت من أخواله وأعمامه .

مَهْلِكٌ نَسَمٌ لِلَّهِ مُجَانِبٌ * سَيِّانٌ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْمُدْمُ
نَزَّرَ الْكَلَامَ مِنَ الْحَيَاءِ تَحَالَهُ * صَمِيًّا وَلَيْسَ بِجَسَمِهِ سُمْ
عُقْمُ النِّسَاءِ فَلَا يَلِدَنَّ شَبِيهَهُ * إِنَّ النِّسَاءَ يَمْشِلُهُ عَقْمُ

حدثنا أبو الخطّاب قال : حدثنا المعتمر ، قال : سمعتُ ليثَ بنَ أبي سليمٍ يحدثُ

- عن واصل بن حيان عن أبي وائل عن ابن مسعود ، قال : كان آخر ما حفظ
من كلام النبوة « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » . قال الشاعر :

تَحَاكُمُ لِلْهَلْمِ صُمًّا عَرَبَ الْخَنَاءِ * وَتُتْرَمَا عَنْ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَابِرِ
وَرَضَى إِذَا لَوْقُوا حَيَاءً وَعِصَةً * وَعِنْدَ الْخِفَافِ كَاللَّيْثِ الْخَوَادِرِ

وقال آخر :

- ١٠ عليه من التقوى رداءً سَكِينَةً * وَلِلْحَقِّ نَوْرٌ مِنْ عَيْنِهِ سَاطِعٌ

وقال الشعبي : تمايش الناس زماناً بالذين والتقوى ، ثم رُفِعَ ذلك فتمايشوا بالحياء
والتدبّر ، ثم رُفِعَ ذلك فما يتمايش الناس إلا بالرغبة والرغبة ، وأظنّه سيجيء ما هو
أشدّ من هذا .

باب العقل

- ١٥ حدثني إسماعيل بن إبراهيم الشيبدي ، قال : حدثنا الحارث بن النعمان ، قال : حدثنا
خالد بن دعلج عن معاوية بن قرة رَفِيعُهُ ، قال : « إن الناس يعملون الخير وإنما
يُطْفَوْنَ أجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم » . مهدي بن غيلان بن جرير قال :
سمعت مطرفاً يقول : عقول الناس على قدر زمانهم .

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : وجدتُ

- ٢٠ في حكمة داود : ينبغي للعاقل أن لا يسْغَلَ نفسه عن أربع ساعاتٍ ، ساعةٌ يُتَأَجَّى فيها
ربه ، وساعةٌ يُجَاسِبُ فيها نفسه ، وساعةٌ يَخْلُو فيها هو وإخوانه والذين يتصحبون له

في دينه وَيَصْدُقُونَهُ عَنْ عيوبه ، وساعة يُحِلُّ بين نفسه وبين لذاتها فيما يَحِلُّ وَيُحْسَدُ
فإن هذه الساعة عَوَّلَ لهذه الساعات وَفَضَّلَ بُلْغَةَ واستِجَامَ للقلوب . وينبئ للعافل
أَن لا يَرَى إِلَّا في إحدى ثلاثِ خِصَالٍ : تزوُّد لمعاد ، أو مَرَقَة لمعاش ، أو لَذَّة ،
في غير محزم . وينبئ للعافل أَن يكون عارفاً بزمانه ، حافظاً للسانه ، مُقْبِلاً على شأنه .
٥ قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا هلال بن حَقَّ قال ، قال عمرو بن
العاص : ليس العافل الذي يَعْرِفُ الخيرَ من الشرِّ ولكنه الذي يَعْرِفُ خَيْرَ الشرِّينَ ،
وليس الواصل الذي يَصِلُ مَنْ يَصِلُهُ ولكنه الذي يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . وقال زياد :
ليس العافل الذي يَحْتالُ للأمر إذا وقع ولكنه الذي يَحْتالُ للأمر أَلَّا يَقَعَ فيه .
قال معاوية لعمرو : ما بلغ من دَهَانِكَ يا عمرو ؟ قال عمرو : لم أَدْخُلْ في أمرٍ قَطَّ
فَكَرِهْتُهُ إِلَّا نَجَرْتُ مِنْهُ . قال معاوية : لكنِّي لم أَدْخُلْ في أمرٍ قَطَّ فَأَرَدْتُ الْخُرُوجَ
١٠ مِنْهُ . وقرأت في كتاب للهند : النَّاسُ حَازِمَانٍ وَعَاجِزٌ ، فَأَحَدُ الْحَازِمِينَ الذي إذا نزل به
البلاءُ لم يَنْظُرْ به وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يَخْرُجَ مِنْهُ ، وأَحْزَمُ مِنْهُ الْعَارِفُ بالأمر إذا
أَقْبَلَ فَيَدْفَعُهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ ، وَالْعَاجِزُ في تَرْدِيدِ وَتَنْتِجِ حَازِمٌ بَازِلٌ لَا يَأْتِمُرُ رَشْداً وَلَا يُطِيعُ
مُرَشِداً . وقال أعرابي : لو صُوِّرَ الْعَقْلُ لَأُظْلِمَتْ مَعَهُ الشَّمْسُ ، ولو صُوِّرَ الْحَقُّ
لَأَضَاءَ مَعَهُ اللَّيْلُ . ١٥ قال بعض الحكماء : ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ
وما عُبِيَ اللهُ بشيءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السَّوْرِ . أبو رَوْقٍ عن الضحاك في قول الله عز
وجل (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قال : مَنْ كَانَ عَاقِلاً . ذكر المغيرة بن شعبه عمر بن الخطاب
فقال : كَانَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُخَدَعَ وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخَدَعَ .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قُرَيْشِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ حَبِيبِ
ابن الشهيد قال ، قال إياس : لَسْتُ بِحَبِّ وَاتَّحَبُّ لَا يُخَدَعُنِي وَلَا يُخَدَعُ ابْنُ سَيْرِينَ ٢٠
وَيُخَدَعُ أَبِي وَيُخَدَعُ الْحَسَنُ . قال غيره : وَكَانَ كَثِيراً مَا يُنْشَدُ :
أَبِي لِي الْبَلَاءُ وَأَبِي أَمْرُهُ * إِنْ مَا سَتَيْتُ لَمْ أَرْتَبْ

وفي كتاب كيلة ودمنة : الأذنب يُذهبُ عن العاقل السكرَ ويزيدُ الإحمقُ سُكراً، كما أن النهارَ يزيدُ كُلَّ ذِي بصيرٍ بصراً ويزيدُ الخفايشُ سوءَ بصيرٍ . وفيه : ذو العقل لا يُطِرُهُ المتزلةُ والعزَّ كالجبل لا يتزعزعُ وإن أشتتت عليه الرياحُ، والسَّخيفُ يَطرُهُ أدنى منزلةٍ كالخشيش يُحرِّكه أضعفُ ريحٍ . وقال تأبط شراً في هذا المعنى :

ولستُ بمفراج إذا الدهرُ سَرَى * ولا جازعٌ مِنْ صَرْفِهِ المتقلبِ
ولا أتمنى الشرَّ والشرَّ تاركى * ولكن متى أُثْمِلُ على الشرِّ أركبِ

وفي كتاب كيلة : رأسُ العقل التمييزُ بين الكائن والممتنع، وحسنُ الغزاةِ عما لا يُستطاعُ . وفيه : العاقلُ يُقِلُّ الكلامَ ويُباليغُ في العملِ ويعترفُ بزلةِ عقله ويستقبلُها كالرجلِ يَتَعَرَّضُ بالأرضِ وبها ينتمشُ . ويقال : كُلُّ شَيْءٍ محتاجٌ إلى العقلِ، والعقلُ محتاجٌ إلى التجاربِ . قال يحيى بن خالد : ثلاثةُ أشياءَ تدُلُّ على عقولِ الرجالِ : الكتابُ ، والرسولُ، والهديةُ . وكان يقال : دَلَّ على عقلِ الرجلِ اختيارُهُ، وما تَمَّ دِينُ أَحَدٍ حتى يَتِمَّ عقلُهُ، وأفضلُ الجهادِ جهادُ الهوى . سُمِّلَ أنوشروانُ : ما الذي لا تَعْلَمُ لَهُ، وما الذي لا تَغَيِّرُ لَهُ، وما الذي لا مَدْفَعَ لَهُ، وما الذي لا حِيلَةَ لَهُ . فقال : تَعْلَمُ العقلُ، وتَغَيِّرُ العُنصرُ، ودَفْعُ القَدَرِ، وحِيلَةُ الموتِ . وكان يقال : كِتَابُكَ عقلُكَ تَضَعُ عليه خَاتَمَكَ .

وقالوا : كِتَابُ الرجلِ مَوْضِعُ عقله، ورسولُهُ مَوْضِعُ رأيهِ . كان الحسنُ إذا أُخْبِرَ عن رجلٍ بصلاح قال : كيف عقلُهُ . وفي الحديث " أن جبريلَ عليه السلام أتى آدمَ عليه السلام فقال له : إني أتيتُكَ بثلاثٍ فاخترْ واحدةً، قال : وما هي يا جبريلُ ؟ قال : العقلُ والحياءُ والدينُ . قال : قد اخترتُ العقلَ فخرج جبريلُ إلى الحياءِ والدينِ فقال : ارجعَا فقد اختارَ العقلَ عليكما، فقالا : أمرنا أن نكونَ مع العقلِ حيث كان "

٢٠ (١) تَفَسَّهَ هَذَانِ الْبَيَانِ يَتِمُّلُ بِمَا يَتَنَبَّأُ أَتْرَانُ فِي بَابِ مَدَحِ الرَّجُلِ قِصَّةً ص ٢٧٦ والأدبَةُ

منسوبةً هناك للبحث .

كان يقال : العقل يظهر بالمعاملة ويشم الرجال تظهر بالولاية . ويقال : العاقل يقي ما له سلطانة ، ونفسه بماله ، ودينه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعاً عقولٌ لخربت الدنيا . خير رجل فإني أن يختار وقال : أنا يحظى أوثق مني بعقلي فأقرعوا بيننا .

باب الحلم والغضب

قال حدثني الزبائدي قال : حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَيَحْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي صَخْمٍ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَتَرِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِمَرْضَى عَلَى عِبَادِكَ" .

حدثنا زياد بن يحيى قال : حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تَوْقُدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنِهِ وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ" . قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال ، قال رجل : يا رسول الله أوصني ، فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدثني أحمد بن الخليل قال ،

حدثني عبد الله بن نافع عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عَنِ الْغَضَبِ" . قال : حدثنا حسين بن الحسن المروزي ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : حدثنا حبيب بن حجر القتيبي قال ، كان يقال : ما أحسن الإِعَانِ يَزِينُهُ الْعِلْمُ وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمُ يَزِينُهُ الْعَمَلُ وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلُ يَزِينُهُ الرِّفْقُ ، وَمَا أَضْيَفَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزَيْنَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى مَقْدَرَةٍ . وكان يقال : مَنْ حَلِمَ سَادَ وَمَنْ تَفَهَّمَ أَزْدَادَ . والعرب تقول : أَحْلَمَ تَسُدَ . وقال : سَمِيَ اللَّهُ يُحْيِي

(١) هكذا بالنسخ التي بين أيدينا ، ولعل الصواب "قللت". (٢) في النسخة الفنوغرافية يا أبا الجهم.

تَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا * إِذَا مِلْنَا تَمِيلُ عَلَى أَيْتَانَا

فَقَلْبُهُ لِنَحْبِرَ حَالَتَيْهِ * فَتَحْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا

سَمِعَ الْأَحْنَفُ رَجُلًا يَنَازِعُ رَجُلًا فِي أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ الْأَخْنَفُ : حَسْبُكَ إِلَّا ضَعِيفًا
فِيَا تُعْمَلُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا عَلَى ظَنِّكَ نَحْبِرُكَ مِنْ غَدِ أَهْلِي ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ لِأَمْرٍ مَا
قِيلَ : أَحْذَرُوا الْجَوَابَ ، جَعَلَ رَجُلٌ جُعْلًا لِرَجُلٍ عَلَى أَنْ يَقُومَ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْعَاصِ يَسْأَلُهُ
عَنْ أُمِّهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى مَنبَرٍ ثَنِيْسٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ أَخْبِرْنَا مَنْ أُمُّكَ ،
فَقَالَ : كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ عَتَرَةِ أَصَيْبٍ بِأَطْرَافِ الزَّمَاخِ فَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ الْفَاكِهَ بْنِ
الْمُعْتِرَةِ فَاشْتَرَاهَا أَبِي فَوْقَ طَبِيعَا ، انْطَلَقَ وَخَذَ مَا جُعِلَ لَكَ عَلَى هَذَا . قَالَ الشَّاعِرُ :
قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ * حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمٍّ

نَظَرَ مَعَاوِيَةَ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ وَهُوَ يَضْرِبُ غِلَامًا لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتُغِيدُ أَدَبَكَ بِأَدَبِهِ
فَلَمْ يَرْضَإِيًّا غِلَامًا لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ . قِيلَ لِيَجِيَّ بَنُ خَالِدٍ : إِنَّكَ لَا تُؤَدِّبُ غِلَامَانِكَ
وَلَا تُضَرِّبُهُمْ ، قَالَ : هُمُ امْتَاؤُنَا عَلَى أَهْمَتَانَا فَوَإِذَا نَحْنُ أَخْفَانَهُمْ فَكَيْفَ نَأْتِيهِمْ . وَكَانَ
يَقَالُ : « الْحَلِيمُ مَطِيئَةُ الْجُهُولِ » . وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ أَحْلَمَ مِنْ قَرْنِ طَائِرٍ .
وَفِي الْإِنْجِيلِ : كُونُوا حُلَمَاءَ كَالْجِبَالِ وَلَيْسَاءَ كَالْحُلَامِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنِّي لِأَعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ اسْمُهَا * حَتَّى يَقُولَ رَجُلٌ إِنِّي مُحَقَّقٌ

أَتَخَشَّى جَوَابَ سَفِيهِ لَا حَيَاةَ * فَسَلِّ ، وَظَنَّ أَنَا أَنَّهُ صَدَقًا

قَالَ الْأَحْنَفُ : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةِ سَمِيعِ كَلِمَاتٍ وَرُبَّ غِيْظٍ قَدْ تَجَرَّعَتْهُ خُفَافَةٌ
مَالَهُ أَشَدُّ مِنْهُ . قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى : الْعِزُّ وَالْعَلِيَّةُ لِلْعِلْمِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

(١) مَكَّنَا بِالْأَسْوَلِ . رُلَهُ « لَا أَحْسَبُ » . (٢) فِي النَّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ : « الْجُود » ، وَفِي الْقَوَارِغِ : « الْجَوْل » . وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ جَمْعِ الْأَمْثَالِ الْإِيتَانِي .

(٣) بِهَامِشِ النَّسَخَةِ الْقَوَارِغِيَّةِ : الْفَسَلُ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ . وَفِي الْقَامُوسِ : الرِّذَالُ الَّذِي لَا مَرُوءَةَ لَهُ .

(٤) فِي الْأَسْلِ الْأَلْمَانِي « أَخَافَ » وَفِي الْقَوَارِغِ : « خِيفَ » وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْعَدِّ الْفَرِيدِ .

عليه السلام : أَوَّلُ عَرَضِ الحِلْمِ مِنْ حِلْيَةِ أَتِ النَّاسِ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَهْلِ . وقال المنصور : عقوبةُ الحُلَمَاءِ التَّعْرِضُ ، وعقوبةُ السفهاءِ التَّصَرُّعُ .

قال حذيثُ سُهَيْلٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : بلغني أن رجلا قال لآخر : والله لئن قلت واحدةً لَتَسْمَنَّ عَشْرًا ، فقال له الآخر : لكلك إن قلت عَشْرًا لم تَسْمَعْ واحدةً . قال : وبلغني أن رجلا شتم عمر بن ذَرَّ فقال له : يا هذا لا تُفْرِقْ في شتمنا ودَعْ للصِّلحِ موضعا ، فَإِنِّي أَمْتُ مُشَاطِمَةَ الرِّجَالِ صَغِيرًا وَلِنِ أَحْيِيَا كَبِيرًا ، وَإِنِّي لَا أَكْفَى مَنْ عَصَى اللَّهَ فِي بَأْكَثَرٍ مِنْ أَنْ أُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ . وقال بعضُ المحدثين :

وَأَنَّ اللَّهَ ذُو حِلْمٍ وَلَكِنْ * يَقْدِرُ الحِلْمُ يَنْقِمُ الحِلْمُ
لَقَدْ وَثَّ يَدُوكَ اللَّيَالِي * وَأَنْتَ مُعَلَّقٌ فِيهَا ذَمٌّ
وَزَالَتْ لَمْ يَعْشَ فِيهَا كَرِيمٌ * وَلَا أَسْتَفْنِي يَرَوْتَهَا عَدِيمٌ
فَبَعْدًا لَا اقْتَضَاهُ لَهُ وَحَقًّا * فَنَغِيرُ مُصَابِكَ أَلْحَدْتُ العَظِيمُ

المداخني قال : كَانَ شَيْبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ يَقُولُ : مَنْ سَمِعَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَسَكَتَ عَنْهَا انْقَطَعَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا سَمِعَ أَكْثَرَ مَا يَكْرَهُ ، وَكَانَ يَمْتَلِكُ هَذَا الْبَيْتَ :

وَيَجْزِعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ شَيْئَةٍ * وَيُسْتَمُّ الْقَلْبُ بَعْدَهَا ثُمَّ يَصْبِرُ
قَائِلُ الْإِحْتِفِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا بَجْرٍ ، أَيْنَ الحِلْمُ قَالَ : عِنْدَ الْحَيِّ . وقال مسلم بن الوليد :

حَيٌّ لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي جَنَابَاتِهَا * إِذَا هِيَ حَلَّتْ لَمْ يَقُتْ حُلَاهَا دَحْلُ
أَغْضَبَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ الْإِحْتِفَ ، فَوُثِبَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِعِمَامَتِهِ وَتَنَاصَبَا ، فَقِيلَ لِلْإِحْتِفِ : أَيْنَ الحِلْمُ الْيَوْمَ ! فَقَالَ : لَوْ كَانَ مِثْلِي أَوْ دُونِي لَمْ أَقْصَلْ هَذَا . كَانَ يُقَالُ : آفَةُ الحِلْمِ الضَّعْفُ ، وقال الجعدي :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ * بَوَادِرُ تَحْيَى صَفْوُهُ أَنْ يَكْذَرَا

وقال إياس بن قتادة

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَعْلَمُ رَأْيُنَا * وَتَسْتَمُّ بِالْأَفْهَالِ لَا بِالنَّكَمِ

وَأَتَشَدُّ الرِّيَاسَى

إِنِّي أَمْرٌ يُدْبُ عَنْ حَرِيمِي * حِلْمِي وَتَرِكِي اللَّوَمِ لِلنِّمِ *
وَالْعِلْمِ أَيْمِي مِنْ يَدِ الظُّلُمِ *^(١)

وقال الأحنف : أَصَبْتُ الْحِلْمَ أَتَصَرَّى مِنَ الرِّجَالِ . قَالَ أَبُو الْيَقْطَانِ : كَانَ
الْمُنَشِّسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَمُّ الْأَحْنَفِ يُفْضِلُ فِي حِلْمِهِ عَلَى الْأَحْنَفِ قَبْلَ ، فَأَمَرَهُ أَبُو مُوسَى
أَنْ يَقْسِمَ خَيْلًا فِي بَنِي تَمِيمٍ فَقَسَمَهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ : مَامَنْكَ أَنْ تُعْطِيَنِي
فَرَسًا وَوَيْبَ عَلَيْهِ فَرَسٌ وَجْهَهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ قَوْمٌ لِيَأْخُذُوهُ ، فَقَالَ : دَعُونِي وَإِيَّاهُ ، إِنِّي
لَا أَطَاقُ عَلَى وَاحِدٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مُوسَى سَأَلَهُ عَمَّا بَوَّجَهُ
فَقَالَ : دَعَّ هَذَا وَلَكِنْ أَبْنُ عَمِّي سَاخَطَ فَأَخْبَلَهُ عَلَى فَرَسٍ ، فَعَمِلَ .

قِيلَ لِلْأَحْنَفِ : مَا أَحْبَبْتَ قَالَ : قَلِمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمِثْقَرِيِّ ، بَيْنَا
هُوَ قَاعِدٌ يَفْنَانُهُ مُحْتَبٍ بِكَسَائِهِ ، أَنْتَهُ بَجَاعَةٌ فِيهِمْ مَقْتُولٌ وَمَكْتُوفٌ وَقِيلَ لَهُ : هَذَا
أَبْنُكَ قَتَلَهُ ابْنُ أَخِيكَ ، فَوَاللَّهِ مَا سَأَلَ حُبُّوتَهُ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ ، ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى أَبْنِ لَهُ
فِي الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ لَهُ : قُمْ فَاطْلُقْ عَنْ أَبْنِ عَمِكَ وَوَارِ أَخَاكَ وَأَجِئْ إِلَى أُمِّهِ مَائَةً مِنْ
الْإِبِلِ فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

إِنِّي أَمْرٌ لَا شَائِنٌ حَسْبِي * دَنْسٌ يَنْفِيهِ وَلَا أَفْرُبُ
مِنْ مِتِّ مِتْقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ * وَالْفَضْنُ يُنْبِتُ حَوْلَهُ النَّصْنَ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَهُ: «وَالْحِلْمُ» . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ «عَرَبِيَّةٌ» وَهُوَ تَحْوِيفٌ وَالصَّوْبُ عَنْ

الْبَقْدِ الْفَرِيدِ - (٣) رَوَاهُ فِي الْفَقْدِ الْفَرِيدِ :

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَطْلِي حَسْبِي * دَنْسٌ يَنْفِيهِ وَلَا أَفْرُبُ

خُطْبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَاتِلُهُمْ * بِبُضِّ الْوُجُوهِ، أَعَفَّةٌ لَسُنُ
لَا يَقْطُنُونَ لِمَيْبِ جَارِهِمْ * وَهُمْ يُلْفِظُ جَوَارَهُ قُطُنُ

ثم أقبل على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرَابَتَكَ ، وَقَطَعْتَ رَحِمَكَ ، وَأَقْلَلْتَ عَدَدَكَ ،
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَكَ . وفي قيس بن عاصم يقول عَيْلَةُ بْنُ الطَّبِيبِ ، إسلامي :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * وَرَحْمَةُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْجَمَا
نَجِيَّةً مَنْ أَلْسَنَتْ مِنْكَ نِعْمَةً * إِذَا زَارَ عَنْ قَطِيطٍ بِإِلَادِكَ سَلَامًا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلْكَ هَلْكَ وَاحِدٍ * وَلَيْكِنَّهُ بَيَانُ قَوْمٍ تَهْدِمَا

وقال الأحنف : لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحِلْمِ كما تَخْتَلِفُ إلى الفقهاء
في الفقه . شتم رجلُ الأحنف وجعل يتبعه حتى بلغ حَيْهَ ، فقال الأحنف : يا هذا
إِنْ كَانَ بَنِي فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهَاتِهِ وَأَنْصِرِفْ لَا يَسْمَعُكَ بَعْضُ سُفَهَاءِنَا فَتَلْقَى مَا تُكْرَهُ .
شتم رجلُ الحسن وأرْبَى عليه ، فقال له : أَمَا أَنْتَ فَا أَهَيْتَ شَيْئًا ، وما يعلم الله أكثر .
قال بعضُ الشعراء :

لَنْ يُدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا * حَتَّى يَذْلُوا - وَإِنْ عَزَّوَابَ لِأَقْوَامٍ
وَيُسْتَمَوُا قَتَرَى الْأَلْوَانِ مُشْرِقَةً * لَا صَفْعَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْعَ أَحْلَامٍ

قال [حدثني] أبو ساتم عن الأصمعي قال : لَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ عَشْرَةٌ إِلَّا وَفِيهِمْ مُقَاتِلٌ
وَأَكْثَرُ ، وَيَجْتَمِعُ أَلْفٌ لَيْسَ فِيهِمْ حَلِيمٌ . ابن عِينَةَ قال : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا
أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُسَمِّي أَوْ قَوْلِي سَيِّءٌ لَمْ يُجِيبْهُ وَقَالَ : إِنِّي أَتْرَكَكَ رَفْعًا لِنَفْسِي عَنْكَ ، بِغَيْرِ
بَيْنَةٍ وَبَيْنَ عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامٌ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلَى : خَفِّضْ عَلَيْكَ أَيُّهَا
الرَّجُلُ فَإِنِّي أَتْرَكَكَ الْيَوْمَ لِمَا كُنْتَ تَهْرُكُ لَهُ النَّاسَ .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال رجل : لَمَثَلِ هَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ أَدْعُ
الْفُحْشَ عَلَى الرِّجَالِ ، فَقَالَ لَهُ خَصْمُهُ : فَإِنِّي أَدْعُ التَّحَشُّشَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ لِمَا تَرَكْتَهُ

أنت له قبل اليوم . وأغلظ عبدٌ لسيده ، فقال : إني أُصيرُ لهذا الغلام على ما ترون
لأروضَ ههنا بذلك ، فإذا صَبَرْتُ للملوك على المكره كانت لغير الملوك أُصبر .

كلم عمر بن عبد العزيز رجلاً من بني أمية وقد ولدته نساء بني مرة فغاب عليه جفاءً
رأه منه ، فقال : قبح الله شيئاً [غلب] عليك من بني مرة ، وبلغ ذلك عَقِيلَ بن عُلْفَةَ
المُرِّي وهو يجفأ من المدينة على أميال في بلد بني مرة ، فركب حتى قدم على عمر
وهو بدير سَمْعَانَ ، فقال : هيه يا أمير المؤمنين ! بلغني أنك غضبت على قتي من بني
أبيك ، قلت : قبح الله شيئاً غلب عليك من بني مرة ، وإني أقول : قبح الله الأم
طرفيه ، فقال عمر : دَعْ ويحك هذا وهات حاجتك . فقال : والله مالي حاجة غير
حاجته ، وولِّي راجعاً من حيث جاء ، فقال عمر : ياسبحان الله ! من رأى مثل هذا
الشيخ ؟ جاء من جفأ ليس إلّا يَسْتَمْتَنَا ثم أنصرف ! فقال له رجل من بني مرة : إنه
والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه ، نحن والله الأم طرفيه .

المدائني قال : لما عزل المجاج أمية بن عبد الله عن خراسان أمر رجلاً من بني
تميم فعابه بخراسان وشنع عليه ، فلما قفل لقيه التميمي فقال : أصلح الله الأمير
لا تلمني فإني كنت مأموراً ، فقال : يا أبا بني تميم أوحَدْتُكَ نفسك أتى وَجَدْتُ
عليك ؟ قال : قد ظننتُ ذلك ، قال : إن لنفسك عندك قدراً ! . كان يقال : ظمروا
دماء الشباب في وجوههم . ويقال : الغضب عُولُ الحِم . ويقال : القدرة تُذهب
الحَفِيظَةَ . وكتب كِسْرَى أبرويز إلى ابنه شيرويه من الحبس : إن كلمة منك
تُسِفُكَ دماً ، وإن كلمة أخرى منك تَحْقِنُ دماً ، وإن مَخْطَلَكُ سِيوُكُ مسلوطةٌ على
من مَخِطَّتْ عليه ، وإن رضاك بركة مستفيضة على من رَضِيت عنه ، وإن نَفَادَ

(١) زيادة في العقد الفريد .

(٢) رسم في النسخة الجغرافية هكذا «حاجه» ولعل الناصح رفعها عن «هذه» كما يقتضيه السياق .

(٣) لعله «وان مخطك سيوف مسلوطة الخ» بالتكرير لتناسب في السياق مع ما بعده .

أمرك مع ظهور كلامك ، فاحترس في غضبك من قولك أن يُحيطَ ومن لوثك أن
يُتغيرَ ومن جسدك أن يُتخفَ ، وإن الملوكة تُعاقبُ قدرةً وحزماً ، وتعفو تفضلاً وحلماً ،
ولا ينبغي للقادر أن يُستخفَ ولا للجليم أن يزهو ، وإذا رُضيتَ فأبلغَ بمن رُضيتَ عنه
يُحْرِضُ من سواه على رضاك ، وإذا سخطتَ فضعْ من سخطتَ عليه يُزبُ من سواه
من سخطك ، وإذا عاقبتَ فأنكُ لئلا يُتعرضَ لعقوبتك ، وأعلم أنك تَجِلُّ عن
الغضب وأن غضبك يصغرُ عن ملكك ، فقدّر لسخطك من العقاب كما تقدّر
لرضاك من الثواب . قال محمد بن وهيب :

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلم لاني * إلى الجهل في بعض الأحيان أُحرجُ
ولي فرسٍ للحلم بالحلم مُلجِمٌ * ولي فرسٍ للجهل بالجهل مُسْرِجُ
من رام تقويمي فإني مُقسومٌ * ومن رام تمويحي فإني مُعوجُ
وما كنتُ أرضى الجهل خدناً وصاحباً * ولكنني أرضى به حين أُخرجُ
ألا ربما ضاق الفضاءُ بأهله * وأمكن من بين الأسنة حرجُ
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا ، والذلُّ بالحرِّ أسمعُ

وقال ابن المقفع : لا ينبغي للوك أن يفضب لأن القدرة من وراء حاجته ، ولا
يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد ، ولا يتجمل لأنه لا يخاف الفقر ،
ولا يتحقد لأن خطره قد جَلَّ عن المجازاة . قال سويد بن الصامت^(٢) :
إني إذا ما الأمرُ بين شكٍّ * وبدتُ بصائرُه لمن يتأملُ
أدعُ التي هي أرفق الحلات بي * عند الحفيظة التي هي أجملُ

أبي عمرو بن عبد العزيز رجل كان واجداً عليه ، فقال : لولا أنني غضبان لما قبتك ،
وكان إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيام ، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه ،
(١) نيك السلطان : بالغ في العقوبة . (٢) في الأغاني ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام .

كرهة أن يَسْجَلَ عليه في أوَّل غضبه . وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردت أن يستغفرني الشيطان بِعِزِّ السلطان فأناَل منك اليوم ما تاله متى غداً ، انصرف رحلك الله . قال لقمان الحكيم : ثلاث من كنَّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضى لم يُخرجه رضاءه إلى الباطل ، وإذا غضب لم يُخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا فلدعه .

خطب معاوية يوما فقال له رجل : كذبت ، قتل مُغضباً فدخل منزله ، ثم خرج عليهم تَهْطُرُ لحيته ماءً ، فصعد المنبر فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان من النار ، فإذا غضب أحدكم فليطهه بالماء ، ثم أخذ في الموضوع الذي بلغه من خطبته . وفي الحديث المرفوع : «إذا غَضِبَ أحدكم فإن كان قائما فليَقْعُدْ وإن كان قائما فليَضْطَجِعْ» . وقال الشاعر :

احذر مَغَافِقَ أَقْوَامَ ذَوَى أَتَفٍّ * إن المَغِظَ جهول السيف مجنون
وقال عمر بن عبد العزيز : متى أَشْغَى غيظي ؟ أحينَ أَقْدَرُ فيقال لي : لو عفوت ، أوحينَ أَعْجَزُ فيقال لي : لو صبرت . والعرب تقول : «إن الرثيئة مما يفشا الغضب»^(١)
والرثيئة اللبن الحامض يُصبُّ عليه الحليب ، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولَّى سلم بن قتيبة البصرة وولى مولى له كُورَ البصرة والأبله ، فورد كتاب مولاة أت ساما ضربه بالسياط ، فاستشاط المنصور وقال : على تجزأ سلم ! لأجله نكلا ، فقال ابن جاش — وكان جريئا عليه — يا أمير المؤمنين ، إن سلمًا لم يضرب مولاك بقوته ولا قوة أبيه ، ولكك قلده سيفك وأصعدته متبرك ، فأراد مولاك أن يطأطئ منه مارفت وُفِصَدَ ما صنعت ، فلم يحتمل ذلك ، يا أمير المؤمنين
(١) في الأصل «الرثية» وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل ، وهو نيل . ونسبه كما في البيان وجمع الأثال ليدانى «إن الرثية هنا الغضب» وفقا للغضب سكه وكسر حذته .

إِنْ غَضِبَ الْعَرَبِيَّ فِي رَأْسِهِ فَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَهْدَأْ حَتَّى يُجَرِّمَهُ بِلِسَانٍ أَوْ يَدٍ، وَإِنْ غَضِبَ النَّبْطِيُّ فِي آسَتِهِ فَإِذَا غَضِبَ [و] تَرَى ذَهَبَ غَضِبُهُ، فَضَحَكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ :
فَعَلَ اللَّهُ بِكَ يَا مُتَوَفٍّ وَفَعَلَ، فَكَفَّ عَنْ سَلَمٍ .

كَانَ يُقَالُ : إِيَّاكَ وَعِزَّةُ الْغَضَبِ فَإِنَّهَا مُصِيبَتُكَ إِلَى ذَلِّ الْإِعْتِزَارِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :
النَّاسُ بِعَدْلِكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ * كَأَنَّمَا تَفَحَّثَتْ فِيهَا الْأَعْمَاسِرُ

أَبُو بَكْرٍ عِيَّاشٌ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَجُلٍ فَوَقَعَ فِي إِبْرَاهِيمَ ، فَأَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ
فَأَخْبَرْتُهُ وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ بِهِ ، فَقَالَ : لِمَلِّ الَّذِي غَضِبْتَ لَهُ لَوْ سَمِعَهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

بَابُ الْعِزِّ وَالذَّلِّ وَالْهَيْبَةِ

- أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ السُّكَنِ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
لِزَيْدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ : فِيمَنِ الْعِزُّ بِالْبَصْرَةِ ؟ فَقَالَ : فِينَا وَفِي حُلَفَائِنَا مِنْ رِبْعَةٍ ، فَقَالَ
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعِزُّ فِيمَنْ تُحُولَفُ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قَالَتْ قَرْيَبَةُ : إِذَا كُنْتُ فِي غَيْرِ قَوْمِكَ فَلَا تَنْسَ نَصِيحَتِكَ مِنَ الذَّلَّةِ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لَشَيْخٍ مِنْهُمْ : صَلَّيْنِي الْحِلْمَ ، قَالَ : هُوَ يَا بْنَ أُنَيْسٍ الذَّلَّةُ ، أَتُصْبِرُ عَلَيْهِ ؟ . وَقَالَ
الْأَحْمَفُ : مَا يَسْرَعُ بِنَصِيحِي مِنَ الذَّلَّةِ حُرُّ النَّعَمِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَنْتَ أَعَزُّ
الْعَرَبِ ، فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ يَرَوْنَ الْحِلْمَ ذَلًّا ، فَقُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ .

وَقُرَأَتْ فِي كِتَابِ الْهِنْدِ أَنَّ الرِّيحَ الْعَاصِفَ تَحْطِمُ دَوَّحَ الشَّجَرِ وَمُشِيدَ الْبَنَانِ وَيَسْلُمُ
عَلَيْهَا ضَعِيفُ الثَّبَتِ لِيلِنَةِ وَتَثْبِيهِ . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ : « تَطَاطَأَ لَهَا تَحْطِيطُكَ » . وَقَالَ
زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ حِينَ نَزَحَ مِنْ عِنْدِ هِشَامٍ مُقْضِبًا : مَا أَحَبُّ أَحَدٍ قَطَّ
الْحَيَاةَ إِلَّا ذَلًّا ، وَتَمَثَّلَ :

- شَرُّهُدِهِ الْخُوفُ وَأَزْرَى بِهِ * كَذَلِكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجَلَادِ

منخرفاً الخقيين يشكو الوحي * تسجّه أطراف مَرِّوحَداد
قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد
وقال المتلمس :

إن الهوان، حمار البيت يعرفه * والمرء ينكره والجسرة الأجد^(١)
ولا يُقيم بدار النذل يعرفها * إلا الحمار حمار الأهل والوتد
وقال الزبير بن عبد المطلب :

ولا أُقيم بدار لا أئشدُّ بها * صوتي إذا ما أعتزني سورة الغضب
وقال آخر :

إذا كنت في قوم عدا لست منهم * فكل ما علفت من خبيث وطيب
وقال العباس بن مرداس :

أبلغ أبا سلم رسولاً نصيحة * فإن مشرّجاً دوا بعرضك فابخل
وإن يؤعوك متراً غير طائل * غليظاً فلا تنزل به وتحول
ولا تطعمن ما يعلفونك إنهم * أتوك على قربانهم بالتمل
أراك إذن قد صرت للقوم ناعماً * يقال له بالغرب أدبر وأقبل
وقال آخر :

فأبلغ لديك بني مالك * على نايها ومرة الرّباب
بأن أماً أتم حوله * تحفون قُبته بالقياب
يبن سرائكم عامدا * ويقتلكم مثل قتل الكلاب
فلو كنتم إبلا أملت^(٢) * لقد نعت للبياء العذاب
ولكنكم غم تصطنى * ويترك سائرها للذئاب

(١) ناقة أجد : قوية موقفة الخلق متصلة بفقر الظهر، خاص بالاناث . تاموس .

(٢) يقال : أملت الإبل أي وردت ماء ملها وفي الأصل أملت بالجم ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال آخر:

تافه لولا أنكسار الرُح قد علموا • ما وجدوني ذليلا كالذي أجد
قد يُعظم القملُ قسرا بعد عزته • وقد يُردُّ على مكروهه الأسد
وقال بعض العبدین:

- ألا أُلِفنا حُلِّي راشدًا • وصنوى قديما إذا ما اتصل
بان الدقيق يبيحُ الجليل • وأن العزيز إذا شاء ذلَّ
وأن الحزامة أن تصيرفوا • حتى يسوانا صدور الأسفل
فإن كنت سيدنا سُدتنا • وإن كنت لخال فانهب نفل

وقال البعبع:

- ١٠ ولو تُرى بلّوم بنى كليب • نجوم الليل ما وحتّ لساوى
ولو لیس النهار بنو كليب • لدنس لؤمهم وفتح النهار
وما يقدو عزير بنى كليب • ليطلب حاجة إلا يجار

جاور ابنُ سيابة مولى بنى أسد قوما فازعجوه، فقال لهم: لم تُرجعوني من جواركم؟
فقالوا: أنت مُريب، فقال: فمن أذلُّ من مُريب ولا أحسنُ جوارا. أبو عبيدة
عن عوامة قال: إذا كنت من مُضر ففانر بكثانة وكثير عقيم وألق بقیس، وإذا كنت
من قحطان فكثّر بقضاعة وفانر بمدح وألق بكلب، وإذا كنت من ربيعة ففانر
بشيان وألق بشيان وكثير بشيان. كان يقال: من أراد عزرا بلا عشيرة وهيبة بلا
سلطان فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عز طاعة الله. قيل لرجل من العرب: من
السيد عندكم؟ قال: الذى إذا أقبل هبناه وإذا أدبر أغتبناه. ونحوه قول مسلم:

- ٢٠ وكم من مُعدٍّ فى الضمير لى الأذى • رآنى فالقى الرعب ما كان أضمر
وقال أيضا:

يا لها الشايمى عِرْضى مُسارقة • أعلن به، أنت إن أعلته الرجل

ومن أحسن ما قيل في الهيبة :

في كفه خَيْرُ رَأْيٍ رِيحُهَا عَيْقٌ * من كف أرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمٌ
يُفِضُ حَيَاءً وَيُخْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ * فإ يكلم إلا حين يَتَسَمُّ

وقال ابن هُرْمَةَ في المنصور :

له لَحَظَاتٌ عَنْ حِقَاقِي سَرِيرِهِ * إذا كَرَّهَا فِيهَا عَقَابٌ وَنَائِلٌ
فَأَمَّ الذِي أَمَنْتُ أَمْنَهُ الرَّدَى * وأَمَّ الذِي أَوَدَعَتْ بِالْكُلِّ ثَاكِلٌ
كريم له وجهان وجه لدى الرضا * أَسِيلٌ، ووجه في الكريمة بَاسِلٌ
وليس يُعْطَى المغفور عن غير قدرة * ويعفو إذا ما أَمَكْتَهُ الْمُقَاتِلُ

وقال آخر في المغفور بعد القدرة :

أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ * ما إن يَكِلُ ولا يَهُونُ
فإذا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ * فهناك أحلم ما يكون

وقال آخر في مالك بن أنس :

يَأْبَى الْجَوَابَ فإ يُرَاجِعُ هَيْبَةً * والسائلون نَوَاسِ الْأَذْفَانِ
هَذَى التِّيَّ^(١) وَعِزُّ سُلْطَانِ التِّيَّ * فهو الْمُطَاعَ وليس ذا سُلْطَانِ

وقال آخر :

وإذا الرجالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ * خُضِعَ الرِّقَابُ نَوَاسِ الْأَبْصَارِ

وقال أبو نواس :

أَخِمْرُ فِي الْقَلْبِ عَنَابًا لَهُ * فإن بدا أُنْسِيْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ

أَلْمَدَائِي قَالَ : قال ابن شُبْرُمَةَ القاضى لابنه : يَأْبَى لَا تُمَكِّنَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ،

فإن أجراً الناس على السباع أكثرهم لها مُعَانِيَةً . قيل لأعرابي : كيف تقول :

استخذأتُ أو استخذيتُ ؟ قال : لا أقوله ، قيل ، ولم ؟ قال : لأن العرب لا تستخذى .

وكان يقال : اصقَّحْ أو اذْبَحْ .

(١) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٢ : هَذَى الرِّقَابِ .

باب المروءة

- في الحديث المرفوع : قام رجل من مُجاشيع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله ، ألسنتُ أفضل قومي ؟ فقال : « إن كان لك عقل فلك فضل ، وإن كان
لك خلق فلك مروءة ، وإن كان لك مال فلك حَسَب ، وإن كان لك نَفَق فلك
دين » وفيه أيضا « إن الله يُحِبُّ مَعَالِي الأمور ويكره سَفَافَها » . روى كثير بن هشام
عن الحكم بن هشام التَّمَنِّي قال : سمعت عبد الملك بن عُمر يقول : إن من مروءة
الرجل جلوسه ببابه . قال الحسن : لا دين إلا بمروءة . قيل لابن هبيرة : ما المروءة ؟
قال : إصلاح المسال ، والزَّانَةُ في المجلس ، والغناء والعشاء بألفناء . قال إبراهيم :
ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق ولا سرعة المشي . ويقال : سرعة المشي
تُكْهِبُ بَهَاءَ الْمُؤْمِنِ .
- قال معاوية : المروءة ترك اللذنة . وقال عمرو : ما أَلَذُّ الأشياء ؟ فقال عمرو : مُرُّ
أَحْدَاثٍ قَرِيشٍ أن يقوموا ، فلما قاموا قال : إسقاطُ المروءة . قال جعفر بن محمد
عن أبيه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَزُّوا النِّوَى المروءات عن عَثَرَاتِهِنَّ ،
فوالذي نفسى بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لفي يد الله » . كان عمرو بن الزبير يقول
لولده : يَا بُنَى اَلْعَبَا ، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب . قيل للأحنف : ما المروءة ؟
فقال : الْعَمَّةُ والجُرْفَةُ . قال محمد بن عِمْرَان التَّمَنِّي : ما شيء أشدَّ حَمَلًا على من المروءة ،
قيل : وأى شيء المروءة ؟ قال : لا تعمل شيئا في السر تستحي منه في العلانية .
وقال زهير في نحو هذا :

السُّرْدُونُ الفاحشات ، ولا • يلقاك دون الخير من سِرِّ

وقال آخر :

فَسِرَى كَاعْلَانِي ، وَتَكَ خَلِيقِي * وَظَلَمَةُ لَيْلٍ مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِي

قال عمر بن الخطاب : تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة ، وتعلموا النسب فربّ رَجِمَ بجهولة قد وُصِلَتْ بنسبها . قال الأصمعي : ثلاثة تحكّم لم بالمروءة حتى يعرفوا : رجل رأيتُه راجيا ، أو سمعته يُعَرِّبُ ، أو سمعت منه رائحة طيبة . وثلاثة تحكّم عليهم بالدانة حتى يعرفوا : رجل شممت منه رائحة نبيذ في تحفيل ، أو سمعته يتكلم في مصر عريّة بالفارسية ، أو رأيتُه على ظهر الطريق ينازع في القدر . قال ميمون ابن ميمون : أول المروءة طلاقة الوجه ، والثاني التوقّد ، والثالث قضاء الحوائج . وقال : من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه . قال مسامة بن عبد الملك : مروءتان ظاهران : الرّئاسة والفضاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة . قالوا : كان الرجل إذا أراد أن يشين جاره طلب الحاجة إلى غيره . وقال بعض الشعراء :

نَوْمُ الْفَدَاةِ وَشُرْبُ الْعِشِيَّاتِ * مَوَكَّلَانِ بِهَدِيمِ الْمُرُودَاتِ

باب اللباس

حدثني محمد بن عبيد قال ، حدثنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طلوس عن ابن عباس ، قال : كُلُّ مَا شَتَّ وَالْبَسَ مَا شَتَّ إِذَا مَا أَخْطَاكَ شَيْئَانِ : سَرَفٌ أَوْ حَيْلَةٌ .

قال حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المنهال بن حماد عن خارجة بن مُصْعَب عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانت مِلْحَفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَلِيسَ فِي أَهْلِهِ مُوَرَّسَةٌ حَتَّى إِنَّمَا لَتَرُدَّ عَلَى جِلْدِهِ .

(١) مصبوغة بالورس وهو زيت أصفر باين . وفي الأصول : "مورثة" بالثين المعجمة وهو نحر يرف .
(٢) تنفض صبتها .

حدثني أبو الخطاب ، قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا المختار بن نافع عن ^(١) إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما إزارا فيه إحدى وعشرون رقعة من آدم ورقعة من ثيابنا .

حدثنا الزيادة قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الحريري عن ابن عباس ، قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرفوع بآدم . نظر معاوية إلى النخار السدري^(١) الناسب في عباءة فازدراه في عباءة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . قال مجيم بن وئيل :

ألا ليس زينُ الرجلِ قطعاً يَزِقُ * ولكن زينُ الرجلِ ياتمُّ رابكة

وقال آخر :

- ١٠ لئالك أنت تزدري الرجالَ فما * يُدريك ماذا يُكِنُّه الصدِّفُ
نفسُ الجوادِ العتيقِ باقيةٌ * يوماً وإن مَسَّ جسمه الحَجَفُ
والحرُّ حرٌّ وإن ألمَّ به الضرُّ وفيه العَفافُ والأَنَفُ

وقال آخر من المحدثين :

- تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا * لَا تَعَجِّي قَدْ يُلَوِّحُ الْفَجْرُ فِي السَّنَفِ
وزادها عجباً أَنْتِ رُحْتُ فِي سَمَلِي * وَمَا دَرْتُ دُرّاً أَتِ الدَّرُّ فِي الصَّنَفِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي أن ابن عون اشترى برئسا من عمر بن أنس بن سيرين فمز على معاذة المدوية ، فقالت : أمثلك يلبس هذا ! قال : فذكرت ذلك لابن سيرين فقال : ألا أخبرتها أن ثيابا الداري اشترى حلة بألف يوصل فيها .

(١) كذا في النسختين .

- حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا مُصعب بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرني إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصوغان بالزعفران: رداءً وعمامةً.
- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا علي بن عاصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشَّيْبَانِيُّ قال: رأيت محمد ابن الحنفية واقفا بهرقات على رُذونٍ عليه مُطَرَفٌ تَرَأَّصُفُ.
- حدثني الرِّبَاسِيُّ عن الأَصْمَعِيِّ عن حَفْص بن القُرَافِصَةِ ^(١) قال: أدركت وجوه أهل البصرة، شقيق بن ثور من دونه وآبئهم في بيوتهم الخفاف والسَّيِّسَةَ فإذا قعدوا بأفئتهم لبسوا الأكسية وإذا أتوا السلطان ركبوا ولبسوا المطاريف.
- قدم حماد بن أبي سليمان البصرة بغلاء فرقد السَّجْنِيِّ وعليه ثياب صوف فقال حماد: ضحك نصرانيك هذه عنك، فلقد رأيتنا ننظر إبراهيم فيخرج علينا وعليه مُعَصَّرَةٌ ونحن نرى أن الميتة قد حلت له.
- وروى زيد بن الحباب عن الثوري عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يرتدي رداءً باليف. قال معمر: رأيت قميص أيوب يكاد يمس الأرض، فكلتني في ذلك فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنما اليوم في تسميره.
- حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا قال: جاء سيَّار أبو الحَكَم إلى مالك بن دينار في ثياب أشهرها مالك ^(٢)، فقال له مالك: ماهذه الشهرة؟ فقال له سيَّار: أضعفني عندك أم ترفعني؟ قال: بل تضعفك، قال: أراك تنهاني عن التواضع، فقل مالك فقمع بين يديه.
- (١) في لسان العرب: كل ما في الرب فراضة بضم الفاء إلا فراضة أبا ناقة امرأة عات بن ربحه الله فانه بفتح الفاء لا غيره. (٢) أشهرها: شغ بها.

- قال أبو يعقوب الخواري : أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأعمى فندفع إلى خادم كيسا فيه ألف دينار وقال : إني سأزل في رجعتي إلى الأعمى وسبحتني ويضحكني فإذا ضحكك فضع الكيس بين يديه، فلما رجع ودخل عليه رأى حيا مكسورا للرأس وبجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة أعشارا ورأه على مصبل بال وعليه بركان^(١) أجرد فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه ولم يدع الأعمى شيئا مما يضحك الكلال إلا أورده عليه فالتهم وتخرج، فقال لرجل كان يسأله : "من أسترعى الذنب ظلم" ومن زرع سبعة حصص الفقراء، فإني واثق لو علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل لما حلفت نشره له باللسان، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الفتي، لأن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب . وفيه ذكر نصيب حيث يقول :

- فما جئوا فأتوا بالذي أنت أهله • ولو سكتوا ألفت عليك الحفائب
ثم قال له : أعلمت أن ناووس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن : رأيت مشيخة بالمدينة في زي الفتيان لم الفئاض
وعليهم المورد والمصفر وفي أيديهم القاصير وبها أثر الحناء، ودين أحدهم أبعد من
الثرى إذا أريد دينه . ذم ابن التوم رجلا فقال : رأيت مشيخة التل دين الجورب
مفضن الخلف دقيق الخزامة . أشهد ابن الأعرابي :

- فإن كنت قد أعطيت نرا تجمزه • تبدلت من فروة وإهاب
فلا تأيسن أن تملك الناس إني • أرى أمة قد أدبرت لئساب
قال أيوب يقول التوب : أطوف أهلك . هشام بن عروة عن أبيه قال، يقول
المسال : أرى صاحبي أعمر، ويقول التوب : أشكرني داخل أكرمك خارجا .

(١) في اللسان وغيره : الحب الخاطبة فارسي مريب . (٢) كماء أمدود

ويقال : لكل شيء راحة ، فراحة البيت كنفه ، وراحة الثوب طيه . قيل لأعرابي :
إنك تُكثِرُ لُبْسَ الْعِلْمَةِ ، فقال : إن عِفْلًا فِيهِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ لَجَدِيدٌ أَنْ يُكُنَّ مِنَ الْحَزْ
وَالْقَسْرِ . ويقال : حَجِيَ الْعَرَبُ حَيْطَانَهَا ، وَعَمَائِهَا تَيْحَانَهَا . وَذَكَرُوا الْعِمَامَةَ عِنْدَ
أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ فَقَالَ : جُنَّةٌ فِي الْحَرْبِ ، وَمَكْنَتُهُ فِي الْحَزِّ وَالْقَسْرِ ، وَزِيَادَةٌ فِي الْقَامَةِ ،
وَهِيَ بَعْدُ عَادَةٌ مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ . وَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ : الدَّهْنُ يُنْهَبُ الْيَوْمَ ،
وَالْكِسْفَةُ تُظْهِرُ الْغَنَى ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْخَادِمِ مِمَّا يَكُونُ اللَّهُ بِهِ الْعَبْدُ .

أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَتَبِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : لَقَدْ رَأَيْتُ بِالْبَهْرَةِ
بُرُودًا كَأَنَّهَا تُصْنَعُ^(١) بِأَنْوَارِ الرِّيحِ وَهِيَ تَرُوعُ ، وَالْأَلْبَسُومَا أَرْوَعُ . قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ
لِلْعَتَبِيِّ فِي لِبَاسِهِ - وَكَانَ لَا يُبَالِي مَا لَيْسَ - : يَا أَبَا عَلِيٍّ أَنْزِلْ أَمْرًا رَضِيَ أَنْ يَرْفَعَهُ
هَيْئَتَهُ مِنْ جِهَالِهِ وَمَالِهِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ حِفْظُ الْأَدْنِيَاءِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَرْفَعَهُ
أَكْبَرَاهُ : هِمَّتُهُ وَنَفْسُهُ ، وَأَصْغَرَاهُ : قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ . وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : "إِنَّ اللَّهَ
إِذَا أَنْهَى عَنْ شَيْءٍ نَعِمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَهَا عَلَيْهِ" . قَالَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ : أَنْ
تَمَرَّزَ فِي خَصْفَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَمَلَّزَ فِي مُطَرَفٍ ، وَمَا اقْتَرَضْتُ مِنْ أَحَدٍ خَيْرًا مِنْ أَنْ
اقْتَرَضْتُ مِنْ هَاشِمٍ . قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُسْتَرٍ * فَأَعْلَمُ وَإِنْ رَدَيْتُ بُرْدًا
إِنَّ الْجَمَالَ مُضَادٌّ * وَمَوَارِثُ أَوْرَثَنَ جَمْدًا

وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :

لَوْ كَانَ حَوْلِي بَشَوِ أُمِيَّةٍ لَمْ * يَنْطِقْ رَجُلٌ إِذَا هُمْ نَظَفُوا
إِنْ جَلَسُوا لَمْ تَنْفَسْ بِجَالِئِهِمْ * أَوْ رَكِبُوا ضَاقَ عَنْهُمْ الْأَفْقُ

كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَخٍ وَذِي ثِقَةٍ * عَنْ مَنِيَّهِ الْقَتِيبُ مُنْخَرِقٌ
تَجْهَتُهُمْ عُوْدَ النَّسَاءِ إِذَا * مَا أَحْمَرَتْ تَحْتَ الْقَوَانِسِ الْحَنَقُ
فَرِيحُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أُنْدَى مِنْ أَلْسَمِكَ وَفِيهِمْ لِحَاظُ وَرَقٍ

قال حدثني أحمد بن إسماعيل قال : رأيت على أبي سعد الخزرجي الشاعر

- كردوانيا مصبوغا بسواد ، فقلت له : يا أبا سعد، هذا خر؟ قال : لا ، ولكنه
دَعِيَ على دَعِيٍّ ، وكان أبو سعد ذعيا في بني غزوم، وفيه يقول أبو البرق:

لَمَّا تَاهَ عَلَى النَّاسِ * شَرِيفٌ يَا أَبَا سَعْدِ

فِيهِ مَا شِلَّتْ إِذْ كُنْتُ * بِلَا أَصْلِي وَلَا جَدِّ

وإِذْ حَقَّقْتُ فِي أَلْسِنَةِ بَنِي الْحَزْ وَالْعَبِيدِ

- ١٠ وَإِذْ قَاذَفْتُكَ الْمُفَحِّشُ فِي أَمْنٍ مِنَ الْحَدِّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه : كيف كانت طاعتي لربك وأنت تؤذيني ؟ قال :

أَحْسَنَ طَاعَةٍ ، قَالَ : فَأَطِئْنِي الْآنَ كَمَا كُنْتُ أَطِيعُكَ ، خَذَ مِنْ شَارِبِكَ حَتَّى تَبْدُو

شَفْتَاكَ ، وَمِنْ ثَوْبِكَ حَتَّى يَبْدُو عَقِيَابُكَ . وكيع قال : راح الأعمش إلى الجمعة وقد

قَلَبَ فِرْوَةً جِلْدَهَا عَلَى جِلْدِهِ وَصَوَّفَهَا إِلَى خَارِجٍ ، وَعَلَى كَتِفَيْهِ مِئْدِيلُ الْحِوَانِ مَكَانَ

- ١٥ الرِّدَاءِ . قال حدثني أبو الخطاب عن أبي داود عن قيس عن أبي حصين قال : رأيت

أَلْسَمِي يَقْضِي عَلَى جِلْدِي . قال الأحنف : أَسْتَجِيبُوا النَّعَالَ فَإِنَّهَا خَلَاخِيلُ الرِّجَالِ .

أبو الحسن المدائني قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم في مِرْعَةٍ

صَوَّفَ فَقَالَ لَهُ قُتَيْبَةُ : مَا يَدْعُوكَ إِلَى لُبْسِ هَذِهِ ؟ فَسَكَتَ ، فَقَالَ لَهُ قُتَيْبَةُ : أَتَكَلِّمُكَ

فَلَا تَجِيبُنِي ! قَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ زُهْدًا فَأُزَكِّيَ نَفْسِي ، أَوْ أَقُولَ فَقْرًا فَأَشْكُرَ رَبِّي .

(١) في الأصول : " سعيد " والصواب عن الأغانى وهو المراق لما في البيت الأول . ٢٠

قال ابن السَّكِّ لا مَحْجَابَ الصَّوْفِ : والله إن كان لباسكم هذا موافقا لسرايركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم . وقال بعض المحدّثين يعتذر من أطيار عليه :

فأنا إلا السِّيفُ يأكلُ جفنه * له حليةٌ من نفسه وهو عايلٌ

المختصم

قال حدثني أبو الخطاب زياد بن يحيى الحَسَّاني قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم تمتم في يمينه .

قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سهل بن حماد قال حدثنا أبو حنيفة خالد بن دينار قال : سألت أبا العالية ما كانت نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : **«صَدَقَ اللهُ»** قال : فألقى الخلقاء بعد صدق الله **«محمد رسول الله»** .

قال أبو الخطاب حدثنا عتاب قال حدثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يذكر الشيء أوثق في خاتمه خيطا .
حدثني أبو الخطاب قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علي كان من ورق هَشْهَشَ **«نعم القادر الله»** . كان على خاتم علي بن الحسين بن علي **«وَعَلَيْتُ فَأَعْمَلُ»** . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علي **«تبارك من**

(١) زيادة لم توجد بالأصل ولعلها سقطت من النسخ . وفيه ما في «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني في رواية ابن سعد عن أبي العالية : أن نقش خاتم «صدق الله» ثم الحق الخلقاء **«محمد رسول الله»** . انظر ج ٤ ص ٤٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فإنما لم نجد في شيخ أبي الخطاب إلا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد الله كورأقا . وقد جاءت الرواية عنه في أوّل سطر من صحيفة ٢٩٧ بكتبه أبو عتاب .

نَقَرِي بِأَنِّي لَهُ عَبْدٌ وَهَشُّ خَاتَمٍ شَرِيحٌ «الْخَاتَمُ خَيْرٌ مِنَ الظَّنِّ» . وَهَشُّ خَاتَمٍ طَاهِرٍ
 «وَضَعُ الْخَلْدَ لِلْحَقِّ عِزًّا» . وَكَانَ لِأَبِي نَوَاسٍ خَاتَمَانِ : أَحَدُهُمَا حَقِيقٌ مَرِيحٌ وَعَلَيْهِ
 تَعَالَى ذِيهِ فَلَمَّا عَدَّتْهُ • بِفُوكَ رَبِّي كَانَ عَفْوَكَ أَعْقَلًا
 وَالْآخَرُ حَمِيدٌ صَبِيٌّ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : «الْحَسَنُ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا»
 فَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُقْلَعَ الْقَبْصُ وَيُسَلَّ وَيُجْعَلَ فِي فَمِهِ .

بَابُ الطَّبِيبِ

- قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ قَالَ حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ بْنُ عَيْنَةَ عَنْ عَاصِمِ الْأَحُولِ عَنْ
 أَبِي عَثْمَانَ التَّهْدِيَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «خَيْرُ طَبِيبٍ الرَّجُلُ مَا ظَهَرَ
 رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَخَيْرُ طَبِيبٍ النِّسَاءُ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ» .
- ١٠ حَدَّثَنَا الْقُطَيْبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَسْرُ عَنْ أَبِي نَجِيعةٍ قَالَ حَدَّثَنِي بُكَيْرٌ عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ أَبَانَ
 عَمْرُكَانَ يَسْتَجْمِرُ بِعُودٍ غَيْرِ مُطَرَّى وَيَجْعَلُ مَعَهُ الْكَافُورَ وَيَقُولُ : هَكَذَا كَانَ رَسُولُ
 اللَّهِ يَسْتَجْمِرُ .
- قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ يُونُسَ ، قَالَ قَالَ أَبُو قِلَابَةَ :
 كَانَ أَبَانُ مَسْعُودٌ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ جِيرَانَهُ ذَلِكَ بِطَبِيبِ رِيحِهِ .
- ١٥ حَدَّثَنِي الْقُومِيٌّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ عَنْ شَقِيقٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ قَالَ أَبُو الضَّحَى :
 رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ أَبَانَ الزُّبَيْرِ مِنَ الْمَسْنَكِ مَا لَوْ كَانَ لِي كَانَ رَأْسُ مَالٍ .
- قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو قَتِيبةٍ وَأَبُو دَاوُدَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ الْهَاشِمِيِّ
 عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَانَ عِمَاسَ حِينَ أَرْمَ وَالتَّالِيَةَ عَلَى صَلْبَتِهِ كَأَنَّهُا الرَّبُّ .
- قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ عَوْنٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ يَحْيَى عَنْ
 مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانٍ قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ يَخْتَلِقُ بِالْخَلْقِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجْلِسِ .
- ٢٠

وحدثني أيضا عن سويد بن سعيد عن ضمام بن إسماعيل عن عُمارة بن غَزِيَّة قال :
لما أولم عمر بن عبد العزيز فاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة
الغالية .

قال وحدثني عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله
ابن أبي جعفر عن الأعرج ، قال : قال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لَا تَرُدُّوا الطَّيِّبَ فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ خَفِيفُ الْحِمْلِ » .

قال حدثني زيد بن أنعم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أنس بن مالك قال حدثنا
عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كَانِي أَنْظُرُ إِلَى وَبِصِ الطَّيِّبِ
فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحَرِّمٌ . إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ
[قَالَ] عِكْرَمَةُ : كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَطْلِي جَسَدَهُ بِالْمَسْكِ إِذَا مَرَّ بِالطَّرِيقِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
أَمَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ أُمَّ مَرَّ الْمَسْكُ ؟ . قَالَ الْمُسَيَّبُ بْنُ عَلْسٍ يَمْدَحُ بَنِي شَيْبَانَ :

تَيَّبْتُ الْمَلُوكَ عَلَى عَثْبِهَا * وَشِيَانُ إِنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ
وَكَاثِنُهَا بِالرَّاحِ أَحْلَامُهُمْ * وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهَا أَعْدَبُ
وَكَاثِنُهَا رُبُّ مَقَامَتِهِمْ * وَتَرْبُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ

أَخَذَهُ الْبَعَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فَقَالَ :

وَأَنْتِ إِذَا مَا وَطِئْتَ التُّرَا * بَبَّ صَارَ تَرَابُكَ لِلنَّاسِ طِيْبَا

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ يَمْدَحُ قَوْمًا :

الْمُطْعِمُونَ إِذَا مَا أَرْمَتْ أَرْزَمَتْ * وَالطَّيِّبُونَ شِيَابًا كُلَّمَا عَمِرُوا

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، ونظام السياق يقتضي « بن » أما النسخة الفرغرافية فالقفل فيها
عذوف ميو .

(٢) هكذا بالأمل ولعلها قال الناس .

وَأَشَدَّ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ:

خَوْدٌ يَكُونُ بِهَا الْقَلِيلُ تَمَسُّهُ * مِنْ طَيْبِهَا عَمَقًا يَطِيبُ وَيَكْثُرُ
شُكْرُ الْكَرَامَةِ جَلْدُهَا فَصَفًا لَهَا * إِنَّ الْقَبِيحَةَ جَلْدُهَا لَا يَشْكُرُ

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: ذَكَرَ لَا يُؤَبِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَقَشَّفُونَ فَقَالَ:

مَا عَلِمْتُ أَنْ الْقَدَرَ مِنَ الدِّينِ .

باب المجالس والجلساء والمحادثة

قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ
عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ لِحَاجَةٍ ثُمَّ رَجَعَ» .

- وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ إِصْحَاقَ بْنِ يَحْيَى عَنْ الْمُسَبِّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّسِيبِ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«الْمَرْءُ أَحَقُّ بِصَدْرِ بَيْتِهِ وَصَدْرِ دَابَتِهِ وَصَدْرِ فِرَاشِهِ، وَأَحَقُّ أَنْ يُؤْمَ فِي بَيْتِهِ» .

- قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ
مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: أُلْقِيَ لِعَلَى وَسَادَةٍ جُلُوسٌ عَلَيْهَا وَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَأْبَى الْكَرَامَةَ إِلَّا حِمَارًا .
وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ
الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الدَّارِيقِ إِنْ لَمْ يُحْدِثْكَ مِنْ طَيْبِهِ حَلَقَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ
السَّوِّءِ مَثَلُ الْكَبِيرَانِ لَمْ يَحْرِقْكَ بِشَرِّ نَارِهِ حَلَقَكَ مِنْ نَفْسِهِ» . قَالَ أَبُو إِدْرِيسَ الْحَوْلَانِيُّ:

(١) فِي النُّسَخَةِ الْأَلَمَانِيَّةِ: النَّبِيلُ وَفِي الصُّوَرِ الْغَرَابَةِ: الْعَلِيلُ، وَكَلَامُهُا مَعْرُوفٌ عَنْ «الْقَلِيلِ» إِذَا هُوَ الْبَدَنُ

يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) أَطْلَاهُ: أَطْلَاهُ .

المساجدُ مجالسُ الكلام . قال الأحنف : أطيَّبُ المجالس ما سافرَ فيه البصرُ وأندع^(١) فيه البدنُ ، فأخذه عليُّ بنُ الجهم فقال :

صُحُونٌ كُـسَافِرُ فِيهَا الْعْيُونُ * وَتَحْصِرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا

وقال المهلب : خيرُ المجالس ما بَعَدَ فيه مَدَى الطَّرْفِ وكثرت فيه فائدةُ الجليس .
 قيل للأوسية : أى مُنْظَرٍ أَحْسَنُ ؟ فقالت : قصورٌ يَصُفُّ في حدائقِ خُضِرٍ . ونحوه
 قول عدي بن زيد :

كَدُمَى الْعَاجِ فِي الْحَارِيبِ أَوْ كَالشَّبِيصِ فِي الزُّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنْدِرٌ

حدثنا سهل بن محمد قل حدثنا الأصمعي قال : كان الأحنف إذا أتاه إنسان أوسع له ، فإن لم يجد موضعا تحرك ليريه أنه يُوسِعُ له . وكان آخرُ لا يُوسِعُ لأحد ويقول «ثَلَانٌ ذُو الْمَهْضَبَاتِ مَا يَتَحَلَّلُ» .

قال ابن عباس : بجليس على ثلاث : أن أَرِيَهُ بطرفي إذا أقبل ، وأن أوسِعَ له إذا جلس ، وأُصْنِي إليه إذا تحللت . وقال الأحنف : ما جلستُ مجلساً نخفت أن أقامَ جنبه لنفري . وكان يقول : لَأَنْ أُدْعَى مِنْ بَعِيدٍ فَأُجِيبَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْصَى مِنْ قَرِيبٍ .

كان القعقاع بن شُورٍ إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في ماله ، وأعانته على مدوّه ، وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا . وقسم معاوية يوماً أتيةً فضيةً ودفع إلى القعقاع حطّله منها ، فأثر به القعقاعُ أقربَ القوم إليه فقال :

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سكن .

(٢) هذا شرطيت من نصبة للفردق بقرينة في الأصل وفي معجم البلدان هكذا : «ثَلَانٌ ذُو الْمَهْضَبَاتِ بِالْفُحْ . وقال ابن بري في حكاية صاحب اللسان : صوابه «ثَلَانٌ ذَا الْمَهْضَبَاتِ» بالنصب لأن صدره :
 * فَارِغْ بِهَكَذَا إِنْ أَرَدْتَ بِأَمَانَةٍ *

وكنْتُ جليْسَ قَمَاقِ بنِ شَوْر * ولا يَسْقَى بِقَمَاقِ جليْسُ
ضُحُوكُ السَّقِّ إِنْ نَفَلُوا بِخَيْرِ * وعند الشَّرِّ مطْرَاقُ عَبَّوسُ

كان يقال : إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قُلة . قيل لمحمد بن واسع : ألا
تجلسُ متكئاً ! فقال : تلك جلسة الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أمْلَهُمْ :
جليس ما فهم عني ، وثوبى ما سترني ، وداجي ما حلت رجلي . وزاد آخر : وأمرأتى .
ما أحسنت عِشْرَتِي .

ذكر رجل عبد الملك بن مروان فقال : إنه لا يَخْدُ بَارِع ، تَارِكٌ لِأَرِيع : آخِذٌ
بِأَحْسَنِ الْحَدِيثِ إِذَا حَدَّثَ ، وَبِأَحْسَنِ الْإِسْمَاعِ إِذَا حَدَّثَ ، وَبِأَحْسَنِ الْبَشَرِ إِذَا لَبَّى ،
وَبِأَيَّامِ الْمَثُونَةِ إِذَا خُولِفَ . وكان تاركاً لمحادثة اللئيم ، ومنازعة الجبوج ، ومصاراة
السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند انقضاء مجلسه قال : إنك جلستَ
إلينا على حين قيامٍ منّا أفأذن ؟ . قال الفضيل بن عياض للثوري : دُلْنِي عَلَى مَنْ
أَجْلَسَ إِلَيْهِ ، قَالَ : تِلْكَ حَالَةٌ لَا تُوجَدُ . قَالَ مُطَرِّفٌ : لَا تُطْعِمُ طَعَامَكَ مَنْ
لَا يَسْتَبِيهِ ، يُرِيدُ : لَا تُقْبِلْ بِحَدِيثِكَ عَلَى مَنْ لَا يُقْبِلُ عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ . وقال سعيد بن
سَلَمٍ : إِذَا لَمْ تَكُنِ الْمُحَدَّثَ أَوِ الْمُحَدِّثَ فَانْهَضْ . ونحوه قول ابن مسعود : حَدِّثْ
الْقَوْمَ مَا حَاجَّوْكَ بِأَبْصَارِهِمْ .

قال زياد مولى عياش بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما
رأني رَحَلَ عَنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ رَجُلٌ لَا تَرَى لَكَ عَلَيْهِ فَضْلاً فَلَا
تَأْخُذْ عَلَيْهِ شَرْفَ الْمَجْلِسِ . وقال ابن عباس : مَا أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى مَنْ جَلِيسِي ، إِنْ

(١)

الذباب يقع عليه فيشق على . ذكر الشعبي قوما فقال : ما رأيت مثلهم أشدّ تناوبا في مجلس ولا أحسنَ فهمًا عن محدث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفسارَ ووطننا الحسنةَ وليتنا اللينَ وأكلنا الطيبَ حتى أجمنا ، ما أنا اليومَ إلى شيءٍ أحوجُّ مني إلى مجلسٍ أضعُ عنِّي مؤنةَ التحفظِ فيما بيني وبينه .

روى ابن أبي ليل عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال ، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أسيرَ في سبيل الله أو أضعَ جبهتي في التراب لله أو أجالسَ قوماً يلقطون طيبَ القول كما يلقط طيبُ الثمر لأحببت أن أكونَ قد لحقتُ بالله . قال عامر بن عبد قيس : ما آسى على شيءٍ من العراق إلا على ظمأِ الخواجر ، ونجاوب المؤمنين ، وإخوان لي منهم الأسودُ بن كَثُوم . وقال آخر ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : قصبِ التبرك^(٣) ، وليل الخويز^(٤) ، وحديث ابن أبي بكرة . وقال المغيرة : كان يحالِس إبراهيمَ صيرفيَّ ورجلَ متهمٍ برأى الخوارج ، فكان يقول لنا : لا تذكروا الربا إذا حضر هذا ، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَلَبٍ) إلا عند ختم القرآن في شهر رمضان من أجل اللهيّتين .

كان يقال : معادنة الرجال تُلقيحُ ألبابها . كان بعض الملوك في مسيرله ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يُقَطَّعُ سرِّي الليل بمثل الحليث فيه فليَنفُضْ كل رجلٍ منكم بنا .

(١) في الأصول : تناهًا ، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجم الطعام ونحوه : كرهه ومه .

(٣) في الأصول : رطب والتصويب عن ثمار القلوب لثناي .

(٤) في الأصول : الخزين وهو تمر يصفه والتصويب عن ثمار القلوب ، قال الجلاحظ : في أصل جبانة البصرة موضع يقال له الخويز . يقال إن الناس لم يروا قط هواءً أعدل ولا نسياً أرق ولا أطيّب من ذلك الموضع .

جَوْشًا مِنْهُ . قال معاوية لعمر بن العاص : ما بقي من لذة الدنيا تَلَذُّه ؟ قال :
مَعَادِيَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَخَيْرُ صَالِحٍ يَأْتِينِي مِنْ ضَيْعَتِي . قال أَبُو مُسْهِرٍ : مَا حَدَّثْتُ رَجُلًا
قَطُّ إِلَّا حَدَّثَنِي إِصْغَاؤَهُ : أَفْهَمُ أَمْ ضَيْعٍ .

بَابُ التَّقْضَاءِ

قال إبراهيم : إِذَا عَلِمَ التَّقْبِيلُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ فَلَيْسَ بِثَقِيلٍ . كَانَ يُقَالُ : مَنْ خَافَ أَنْ
يُقْتَلَ لَمْ يُقْتَلْ . قِيلَ لِأَيُّوبَ : مَا لَكَ لَا تَكْتُبُ عَنْ طَاوُسٍ ؟ فَقَالَ : أَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ
يَيْنَ ثَقِيلَيْنِ : لَيْثَ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ ، وَعَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةٍ .

قال الحسن : قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ التَّقْبِيلَ فِي كِتَابِهِ قَالَ : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَأَنْشُرُوا) . كَانَ
أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا اسْتَقْبَلَ رَجُلًا قَالَ : اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لَهُ وَأَرْحَمْهُ مِنْهُ . وَكَتَبَ رَجُلٌ عَلَى
خَاتَمِهِ : أُرْبِتَ فَعَمٌ ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ ثَقِيلٌ تَأْوَلَهُ إِيَّاهُ . قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ :
لَا تُجَالِسِ التَّقْلَاءَ فَإِنَّهُ يُجَدُّ فِي الْعَطَبِ : مَجَالِسَةُ الثَّقِيلِ حُمَى الرُّوحِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنِّي أَجَالِسُ مَعْشَرًا * تَوَكَّى أَخْفَهُمْ ثَقِيلٌ

قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتَهُمْ * صَدَّتْ بِقَرِيبِهِمُ الْعُقُولُ

لَا يُفْهِمُونِي قَوْلَهُمْ * وَيَدُقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ

فَهُمْ كَثِيرٌ بِي وَأَعِيشْ لِمِ اتْنِي بِهِمْ قَلِيلٌ

أَخْبَرَنَا أَبُو نُؤَيْمٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ الْقُرَشِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ :

أَتَيْتُ الْكَوْفَةَ فَفَلَسْتُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ فَقَالَ :

فَا الْفِيلُ يَجْعَلُهُ مَيْتًا * بَأْتَلُ مِنْ بَعْضِ جُلَسَائِنَا

فَا جَلَسَتْ عَنْهُ شَيْئًا .

(١) فِي الطَّامُوسِ : الْخَوْضُ الْقَلِيلَةُ الطَّلِيمَةُ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ مِنَ النَّهْرِ . وَالْجَوْشُ بَزَادَةِ النَّوْنِ لَذَّةٌ فِيهِ .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل، فقال له : كيف حالك؟ فقال :

وقائل كيف أنت قلتُ له * هذا جليسي فما ترى حالي

وقال بشار:

ربما يتقل الحليس وإن كا * ن خفيفا في كفة الميزان

ولقد قلتُ حين وتد في الأذر * ض ثقيلٌ أربى على شعلان

كيف لم تحمِل الأمانة أرض * حلت فوقها أبا سفيان^(١) !

وقال آخر:

هل غربة الدار منك مُنجية * إذا أغتدت بي قلاص دمل

وما أغرت القلاص تبجي * منك ولا الفلك أيها الرجل^(٢)

ولو ركبْتُ البراق أدركني * منك على نأى دارك الثقل

هل لك فيما ملكت نافلة * تأخذه جملة وترتقل

وقال أعرابي:

كأني عند حمزة في مُعامي * ألا حيت عنا يا مدينا

ليتنا عنده حتى صكنا * ألا هي بصحك فاصبحنا

وقال آخر:

ثقل يطالينا من أم * إذا سرّ رغم أني ألم

لطلعت ونزة في ألحسا * كوخز المشارط في المحتجم

أقول له إذ بدا طالعا * ولا حمته إلينا قتم^(٣)

فقدت خيالك لا من عمي * وأذني كلامك لا من صم^(٤)

(١) في القيد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أباعران . (٢) هكذا بالتسخين الفوتوغرافية والألمانية

”تجني“ ولعلها ”منجني“ . (٣) في القيد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «إذ بدا لا بدا» وفي ديوان
نظمه أبي نواس لا آتي . (٤) في القيد الفريد والديوان : وصوت كلامك .

قال سهيل بن عبد العزيز: مَنْ ثَقُلَ عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ وَغَمَكَ فِي سْؤَالِهِ فَأَلْزَمَهُ أَذْنًا صَمَاءً وَعَيْنًا عَمِيَاءً .

وكتب بعض الكتاب في فصل من كتابه: ما آمنُ نزعُ مُستَمِيعِ حرمته، وطالب حاجة رددته، ومثارب قَبِيلِ حبيته، أو منبسط ناپ قبضته، ومُقِيلِ بِنَانِهِ عَلَى لَوِيْتِ عنه، فقد فعلت هذا بمستحقين ويتعذر الحال، فثبت رحك الله، ولا يُطْعَمُ كُلُّ حَلَّافٍ مَيِّينٍ .

وقال بعض المحدثين للخليل:

نرجنا نريد غُرَّةَ لنا ۝ وفيها زياد أبو صَمْعَمَةَ
فَسْتُهُ رَهِيطٌ بِهِ نَحْسَةٌ ۝ ونحسُهُ رَهِيطٌ بِهِ أَرِمَةُ

باب البناء والمنازل

١٠

المهيم بن عديّ عن مجالد عن الشعبي قال قال السائب بن الأقرع لرجل من العجم: أخبرني عن مكان من القرية لا يَحْرَبُ حَتَّى أَسْتَقْلِعَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ، فقال له: ما بين الماء إلى دار الإمارة، فاخْطِ لثَقِيفِ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ، قال المهيم بن عديّ: فَبِتُّ عَنْهُمْ فَإِذَا لَهُمْ بِمَنْزِلَةِ التَّهَارِ .

١٥

وقال قائل في الدار: لِيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَبْتَاعُ وَأَخْرَمَا تَبِيعُ .

وقال يحيى بن خالد لأبيه جعفر حين آخِطَ دَارَهُ لِيَهْنِهَا: هِيَ قَبِيضُكَ إِنْ شِئْتَ فَوْسَمَهُ، وَإِنْ شِئْتَ فَضَيَّقَهُ. وَأَنَاهُ وَهُوَ بَيْنِي دَارَهُ الَّتِي بِيغْدَادَ بِقَرَبِ الدُّورِ، وَإِذَا هُمْ يُبْضِضُونَ حِيظَاتَهَا فَقَالَ: أَعْلِمُ أَنَّكَ تُنْقَطِى الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ، فَقَالَ جَعْفَرُ: لَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَكُونُ الذَّهَبُ أَفْضَلَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى عِيَاءً؟ قَالَ: نَعَمْ، غَالَطْتُهَا دَوَّرَ السُّوقَةَ .

٢٠

دخل ابن التوم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرة الدرع ، واسعة الصحن ، رفيعة السمك ، عظيمة الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مشونة لا تطاق ، وعيالا لا يُحتمل مثلهم ، ولا بد لك من الخدم والستور والفرش على حسب ما أُتليت به نفسك ، وإن لم تفعل هجنت رأيتك .

وقرأت في كتاب "الآيين" أنه كان يُستقبل بفرش الملك ومجلسه المشرق ، أو يُستقبل به مهبط الصبا ، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والارتفاع ، وناحية الدور وناحية المغرب يوصفان بالفضيلة والانخفاض ، وكان يُستقبل بصدور إيوانات الملك المشرق أو مهبط الدور ، ويُستقبل بصدور الخلاء وما فيه من المقاعد مهبط الصبا ، لأنه يقال : إن استقبال الصبا في موضع الخلاء آمن من سحر السمرة ومن ريح الحفنة .

وكان عمر يقول : على كل خاتن أمينان : الماء والطين . ومر ببناء يُبنى بأجر ويصنّ فقال : لمن هذا ؟ قالوا : لفلان ، غليله ، فقال : تأبى الذراهم إلا أن تُخرج أعناقها ، وشاكره ماله .

أبو الحسن قال : لما بلغ عمر أن سعدا وأصحابه قد بنوا بالمدن قال : قد كنت أكره لكم البناء بالمدن ، فإما إذ قد فعلتم فمرضوا الحيطان ، وأطيلوا السمك ، وقاربوا بين الخشب . وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تبنى بالبصرة دارا ؟ فقال : لأني لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فإن كنت أسيرا فالسجن دارى ، وإن كنت أميرا فدار الإمارة دارى . وقال : الصواب أن تتخذ الدور بين الماء والبوق ، وأن تكون الدور شرقية والبساتين غربية .

قال بعض الشعراء :

بنو حمير جئتم دارهم * وكل قوم لم يجدوا

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال آخر لأبي محمد الزيدى:

قَوِيَّ خِيَارٌ غَيْرَ مَا أَنَّهُمْ * صَوَّلْتَهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
لَيْسَ لَهُمْ مَجْدٌ سِوَى مَسْجِدٍ * بِهِ تَصَدَّقُوا فَوْقَ أَطْوَارِهِمْ
لَوْ هَدِمَ الْمَسْجِدُ لَمْ يُعْرِفُوا * يَوْمًا وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ

وقال رجل من خُرَاعة:

نَغْرَ الْمَسِيبُ بِالْمَنَارِ * وَمَنَارُهُ بِرَحْمَةِ عَمَّارِهِ
فَإِذَا تَفَاخَرَتِ الْقُبَا * ثَلُ مِنْ تَحِمٍّ أَوْ فَوَارِهِ
حَفَلَتْ عَلَيْكَ شُيُوخٌ ضَبَّغَتْ بِالْمَسِيبِ وَالْمَنَارِ

مرَّ رجل من الخوارج بدار ثُبَيِّ فقال: مَنْ هَذَا الَّذِي يُقِيمُ كَيْفِيًّا؟ وقالوا:

كُلُّ مَالٍ لَا يَخْرُجُ بِخُرُوجِكَ وَلَا يَرْجِعُ بِرُجُوعِكَ وَلَا يَتَقَلُّ فِي الْوُجُوهِ بِانْتِقَالِكَ فَهُوَ
كَفِيلٌ .

وقالت الحكماء من أروم: أَصْلَحُ مَوَاضِعِ الْبَيَانِ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَلٍّ أَوْ كَيْسٍ وَثِيقٍ
يَكُونُ مُطْلَأًا، وَأَحَقُّ مَا جُعِلَتْ إِلَيْهِ أَبْوَابُ الْمَنَازِلِ وَأَفْتِنَتْهَا وَكَوَاؤُهَا الْمَشْرِقُ وَاسْتَقْبَالَ
الصُّبَا، فَإِنْ ذَلِكَ أَصْلَحَ لِلْأَبْدَانِ لِسُرْعَةِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَضَوْئِهَا عَلَيْهِمْ .

ومن حسن التشبيه في البناء قول علي بن أبي حمزة:

مُحَوَّرٌ مُسَاوِرٌ فِيهَا الْعِيُونُ * وَتَحْمِيرٌ عَنْ بَدَنِ أَقْطَارِهَا
وَقِيَّةٌ مَلِكٍ كَأَنَّ النُّجُومَ * مَمْ تُصْنِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
وَفَوَارَةٌ تَأْرُهَا فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ تَأْرِهَا
إِذَا أَوْقَدَتْ تَأْرَهَا بِالْمَرَاقِ * أَضَاءَ الْجَبَّارَ سَنَا تَأْرَهَا
تَرَدُّ عَلَى الْمَزْنِ مَا أُنْزِلَتْ * عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ أَقْطَارِهَا

(١) حلة بالكوفة تلج إلى غارة بن حبة بن أبي معيط . معجم البلدان .

لَهَا شُرُفَاتٌ كَأَنَّ الْرَيْسَ * صَكَّاهَا الْإِيَّاضَ بِأَنَارِهَا
فَهَرَّتْ كَصُطْحَابِ نَجْرٍ * لَفْصَحِ النَّصَارَى وَإِفْطَارِهَا
فِي بَيْنِ عَاقِصَةِ شَعْرِهَا * وَمُصْلِحَةِ عَقْدِ زُنَّارِهَا
وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ كَعْبٍ :

بَكَتْ دَارُ بَشِيرٍ شَجْوَهَا أَنْ تَبْذَلَ * هَبْلَالُ بْنُ عِيَادٍ بِبَشِيرِ بْنِ غَالِبٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ عَيْرٍ تَنْقَلَّتْ * عَلَى رَحْمَتِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي عُمَارِيبٍ
وَقَالَ آتَمُ :

أَلَمْ تَرَوْا حَوْشًا أَمْسَى يُبْنَى * قَصُورًا تَقْعُهَا ابْنِي بُقَيْلَةَ
يُؤْمَلُ أَنْ يُعْمَرَ عُمَرَا نُوْحٍ * وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ

١٠ كَانَ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ يَهْوَى جَارِيَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَكَانَتْ تَقُولُ خُصْبًا وَكَانَتْ دَارُ
مَالِكٍ مَبْنِيَةً بِأَجْرٍ فَقَالَ :

يَا لَيْتَ لِي خُصْبًا يُحَاوِرُهَا * بَدَلًا بِدَارِي فِي بَنِي أَسَدٍ
الْخُصْبُ فِيهِ تَقَرُّ أَعْيُنُنَا * خَيْرٌ مِنَ الْأَجْرِ وَالْكَدِ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ خِدَاشٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقُرَاتِ قَاضِي
١٥ مِصْرَ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لِابْنَتِهِ : يَا بَنِيَّ إِنْ
مِنْ ضَبَقِ الْغَيْشِ شِرَاهُ أَنْ لَظِمَ مِنَ السُّوقِ، وَالنَّقْلَةُ مِنْ مَنَزِلٍ إِلَى مَنَزِلٍ .

بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنَ الزَّهَادِ مَرَّ فِي زُورْقٍ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى بِنَاءِ الْمَامُونِ وَأَبْوَابِهِ صَاحَ :
وَأَعْمَرَاهُ ! فَسَمِعَهُ الْمَامُونُ فَقَدَا بِهِ فَقَالَ : مَا قُلْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ بِنَاءَ الْأَكْسَرَةِ فَقُلْتُ
مَا سَمِعْتُ . قَالَ الْمَامُونُ : أَرَأَيْتَ لَوْ تَحَوَّلْتُ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى إِيوَانَ كِسْرَى
٢٠ بِالْمَدَائِنِ هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَعِيبَ نَزْوِي هُنَاكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَرَاكَ إِذَا مَجِئْتَ إِسْرَافِي

في الثقة، قال : نعم، قال : فلو وهبت قيمة هذا ألباء لرجل أكنت تعيب ذلك؟
 قال : لا، قال : فلو بتي هذا الرجل بما كنت أهب له بناء أكنت تصيح به كما
 صحت بي ؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قصدتني لخاصتي في ضمي لا لسله هي
 في غري، ثم قال له : هذا ألباء ضرب من مكابذا نبيه وتغذ الجيوش وتعد
 السلاح والكراع وما بنا إلى أكثره حاجة، فلا تؤودت إلى فتمسك عقوبي، فإن
 الحفيظة ربما صرفت ذا الرأي إلى هواه، فاستعمله .

باب المزاح والرخص فيه^(١)

قال حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن هشام بن عروة عن
 أبي سامة قال : أخبرني عائشة أنها سابت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
 فسبقت، وسابته في سفر آخر فسبقتها وقال : «هذه بتلك» .

حماد بن سامة عن ثابت عن أبي رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفة
 لمروان، فرما ركب حمارا قد شد عليه برذعة وفي رأسه حيلة فلبق الرجل فيقول :
 الطريق، قد جاء الأمير، وربما دعاني إلى عشائه بالليل فيقول : دع العراق للأمير،
 فأظن فإذا هو ثريد يزيت .

قال حدثني محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصلت الطاحي عن سعيد
 ابن عثمان قال، قال الشعبي لحياط مرة به : عندنا حب مكسور تحببته ؟ فقال
 الحياط : إن كان عندك خبوط من ربح .

(١) كذا في الأصل، ولم يجد في التاموس ولا في اللسان الرخص، يعني الترخيص والتسهيل، والوارد في هذا
 المعنى إنما هو الرخصة بناءً على أن يثبت قبل التاء سقطت من قول التاموس .

(٢) المراق : العظم أكل لحمه أو العظم يلحمه .

(٣) في الأصل : الطاحي بالفتح وهو تحريف والتصويب عن تابع العروس .

وحدثني بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبي ومعه في البيت امرأة فقال :
أيكم الشعبي ؟ قال الشعبي : هذه . وسئل الشعبي عن لحم الشيطان فقال : نحن
نرضى منه بالكفاف ، قال : فما تقول في الذبآن ؟ قال : إن اشتبهته فكله .

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذي لمّا
رأيناه أكبرناه وقطننا أيدينا ، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه
الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

حماد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشام بن حسان قال :
توفي البارحة ، أما شعرت ؟ فجزع واسترجع ، فلما رأى ابن سيرين جرحه قرأ : (اللَّهُ يَتَوَفَّى
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) .

١٠ مرّ بالشعبيّ حمّالٌ على ظهره دَنٌّ خَلٌّ ، فلما رآه وضع الدنّ وقال : ما كان اسمُ
امرأةِ ابليس ؟ فقال الشعبي : ذاك نكاحٌ ما شهدناه .

حدثني محمد بن عبد العزيز عن الأصمباني عن يحيى بن أبي زائدة عن الأعمش
قال : عاذني إبراهيم فنظر إلى متري فقال : أما أنت فتعرف في متريك أنك لست من
أهل القرينتين عظيم .

١٥ وروى وكيع عن ربيعة عن الزهري عن وهب بن عبد بن زمة قال ، قالت
أم سلمة : خرج أبو بكر في تجارة ومعه نعيان وسويط بن حرملة ، وكانا شهدا بدرا ،
وكان نعيان على الزاد فقال له سويط وكان مزاحا : أطعمني ، فقال : حتى يحيي .
أبو بكر ، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمزوا بقوم فقال لهم سويط : أنشدتوني
عبدا لي ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام وهو قائل لكم : إني حرّ ، فإن كنتم
إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا على عبدي ، فقالوا : بل نشتره منك .

بعشر قلائص، ثم جاءوا فوضوا في عنقه جبلا وعمامة واشتروه، فقال نيمان : إن هذا يستهزئ بكم وإني حر، قالوا : قد أخبرنا بخبرك، وأنطلقوا به ، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبعهم فرد عليهم القلائص وأخذها ، فلما قلدوا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا .^(١)

- حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب المجبي عن أبي عوانة عن قتادة أن عدى بن أرطاة تزوج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : بعيد بصيقي ، قال : إني تزوجت امرأة ، قال : بالرفاء واليبين ، قال : وولدت غلاما ، قال : ليس لك الفارس ، قال : وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : اقض بيننا ، قال : قد قضيت ، قال :^(٢) رمة ؟ قال شريح : « حدثت امرأة حديثين فإن أبت فأربع » قال لي المحتث : فأربعة ، وإنما هو فأربع أى كُف وأمسك .

- وتقدم رجلان إلى شريح في خصومة فأقر أحدهما بما يدعى الآخر عليه وهو لا يعلم ، فقضى عليه شريح ، فقال الرجل : أقتضى عليّ بخير بينة ؟ قال : قد شهد عندي ثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك .

كان ابن مبرين يُشيد :

تُبْتُ أَنْ قَاتَا كُنْتُ أَخطِئُهَا * عُرْفُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطُّولِ

(١) في القاموس في مادة نم أن نيمان هو المزاح وأنه هو الذي باع سوطا وبعد نحو صفحتين من هذا الكتاب مسجد ذكر نيمان بأنه هو المزاح .

- (٢) روى الميبداني « حدثت امرأة حديثين فإن لم تفهم فأربعة وقسره بقوله أى زد ثم قال : وأراد بالحدثين حديثا واحدا تكرر مرتين فكأنك حديثها حديثين ، والمعنى كره لها الحديث لأنها أضغف فهمها فأنلم تفهم فأجعلها أربعا . ورواه في اللسان كما في الأصل وقال في معناه أى كف واقتصر وهو من ربع يربع إذا كف وأمسك .

وقال أيضا :

لقد أصبحت عرس ألفوزدق ناشرا * ولو رضيت ربح آسته لاستغثرت
وكان ابن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

ألبدائي قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : إني رأيت ألبارحة في المنام كأن
القيامة قد قامت ووُضعت أبلوازين وأحضر الناس للحساب ، فنظرت إليك وأنت
واقف قد أهلك العرق ، وبين يديك صحف كأمثال ألبجبال ، فقال معاوية : فهل
رأيت شيئا من دنائير مصر !

كان ممن بن زائدة طعينا في دينه ، فبعث إلى ابن عياش المتوفى بآلف دينار ،
وكتب إليه : قد بعثت إليك بآلف دينار اشتريت بها دينك ، فاقبض المال
وأكتب إلى بالتسلم ، فكتب إليه : قد قبضت الدنانير وبعثت بها ديني خلا التوحيد
ليأعرفت من زهدك فيه .

قال أكرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلقاء من ربيعة ! فقال يزيد : أجل ،
ولكن متابعهم الجنوع .

قال بلال بن أبي بردة لابن أبي علقمة : إنما دعوتك لأستغفر منك ، فقال له ابن
أبي علقمة : لئن قلت ذاك لقد حكم المسلمون رجلين سخر أحدهما من الآخر .

كان يقال : السباب مزاح التوكي^(١) . وقال الشاعر :

أخو أبلد إن جاددت أرضاك جده * وذو باطل إن شئت أهلك باطله
وقال مسعر بن كدام لابنه :

ولقد جوتك يا كدام نصيحتي * فاسمع لقول أب عليك شفيقي

أما المزاحمة والمراء فدعهما * خلقتان لا أرضاهما لصديق

ولقد بلوتهما فلم أحمدهما * فخاوير جاور ولا لرفيق

(١) كذا في الأصل . وفي جمع الأشكال اليداني : « المزاح سباب التوكي » .

وقال الكيت :

وفي الناس أقذاعٌ مَلَاهِيحُ بالحقِّ * متى يَبْلُغُ الحَدُّ الحَفِيظَةَ يَلْعَبُوا

وبما يقارب هذا قول بعض المحدثين :

أَرَأَيْتَ سَائِدِي عِنْدَ أَوَّلِ مَسْكَةٍ * هَوَى لِفَضْلِ فِي خَفَاءٍ وَفِي سِتْرِ

فَإِنْ رَضِيَتْ كَانَ الرِّضَا سَبَبَ الْهَوَى * وَإِنْ غَضِبَتْ حَمَلَتْ ذَنْبِي عَلَى النِّسْرِ

وقال الراعي - في نحو هذا يصف نساء -

يُنَاجِبُنَا بِالطَّرْفِ دُونَ حَدِيثِنَا * وَيَقْضِينَ حَاجَاتِ هُنَّ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عاملين ليختار أحدهما فيوليه ، فقال : « كلاهما

وتعمر » ، فقال : أعندي تمزح ! لا وَلِيَتْ لِي عَمَلَا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ . وقال علي : إِذَا ضَحِكَ الْعَالَمُ

ضَحَكَ نَجْمٌ مِنَ الْعِلْمِ بَجَّةً . وقال أكرم : « الْمُرَاحَةُ تُذْهِبُ الْمَهَابَةَ » .

الهيثمُ عن عوانة الكلبي قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو منموم

وعنده رجل كان يحسده الأخطل ويُقارضه ، فقال الأخطل : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدِي

بِأَبِي هَذَا الْفَتَى وَهُوَ سَيِّدُنَا مَعِشَرِي جُسْثَمَ ، وَشَيْخُنَا الَّذِي تَصَدَّرَ عَنْ رَأْيِهِ ، فَاهْتَرَأَ

لَهَا الْفَتَى وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ أَعْلَمُ بِنَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، قَالَ الْأَخْطَلُ : إِنْ أَبَاهُ

أَمَرْنَا ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَوَرَّتِ الرِّيَاضُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى رَوْضَةٍ فِي ظَهْرِ بَيْوتِ الْحَيِّ

فَتَصَحَّتْ فِيهَا ، نَفَرَجْنَا وَابْتَسَطْنَا لِعِبَا ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنَّا بِالْبِكْرَةِ الْكُومَاءِ وَالْخُرُوفِ

وَالْحَدَى ، وَقَامَ الْقَتَانُ فَاجْتَرَرُوا وَاشْتَوَوْا وَجَارَتْ السَّقَاءُ عَلَيْنَا ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَنَلَكِ

رُعُفَ أَبَوِهِ فَمَا تَرَكْنَا فِي الْحَيِّ رَوْثَةً حَمَارًا إِلَّا تَسَقَّنَاهُ إِيَّاهَا فَلَمْ يَرَقَّا دُمُهُ ، فَقَالَ لَنَا شَيْخُ :

(١) هكذا بالأصول ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا « ابسط » ، ولعله محرف عن « ابسطا » .

شَدُّوا خُصْبِي الشَّيْخَ عَصَبًا، فَعَمَلْنَا ذَلِكَ فَرَقًا دَمًا، فَوَاقَهُ مَا دَارَتْ الْكَأْسُ إِلَّا دَوْرَةً حَتَّى أَتَانَا الصَّرِيحُ عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا قَدْ رَعِفَتْ، فَبَادَرْنَا إِلَيْهَا، فَوَاقَهُ مَا دَرَيْنَا مَا نَعَصِبُ مِنْهَا حَتَّى نَخِرَتْ نَفْسُهَا، وَعَبَدَ الْمَلِكُ يَفْخَصُ بِرَجْلَيْهِ ضَحْكًَا، وَالْقَى يَقُولُ: كَذَبَ وَاقَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِقَدِيمِكُمْ وَحَدِيثِكُمْ!

• حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَرَأَى وَهُوَ مَحْرُومٌ يَرُودًا فَرَمَاهُ بِعَصَا كَانَتْ فِي يَدِهِ فَفَتَلَهُ، فَقَالَ الْجَمَالُ: أَلَسْتَ مُحْرَمًا؟ قَالَ: بَلَى وَمَا كَانَتْ بِي إِلَى رَمِيهِ حَاجَةٌ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ أَنْ إِحْرَامِي لَا يَمْنَعُنِي مِنْ ضَرْبِكَ .
قَالَ وَكَانَ الْأَعْمَشُ يَقُولُ: مِنْ تَمَامِ الْحَجِّ ضَرْبُ الْجَمَالِ .

المدائني قال: كَانَ نُعْمَانُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَشَهِدَ بِدِرَا وَجَلَدَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْخَمْرِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَتَرَ نُعْمَانُ بَحْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ وَقَدْ كُفَّ بِصَرِّهِ فَقَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَقُودُنِي حَتَّى أَبُولَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ نُعْمَانُ، فَلَمَّا [بَلَغَ] ^(١) مَوْئِلَ الْمَسْجِدِ قَالَ: هَاهُنَا فَبُئِلَ، فَبَالَ فَصَبَّحَ بِهِ، فَقَالَ: مَنْ قَادَنِي؟ قِيلَ: نُعْمَانُ، قَالَ: اللَّهُ عَلَى أَنْ أَضْرِبَهُ بِعَصَايَ هَذِهِ، فَبَلَغَ نُعْمَانُ فَأَنَاهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي نُعْمَانٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: قُمْ، فَقَامَ مَعَهُ فَأَتَى بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَهُوَ يَصِلُ، فَقَالَ: دُونَكَ الرَّجُلَ، فَجَمَعَ يَدَيْهِ فِي الْعَصَا ثُمَّ ضَرَبَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: مَنْ قَادَنِي؟ قَالُوا: نُعْمَانُ، قَالَ: لَا أَعُودُ إِلَى نُعْمَانٍ أَبَدًا .

• حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَعْمَشِيِّ عَنْ ابْنِ أَبِي الزَّنَادِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لَخَارِجَةَ بِنْتُ زَيْدٍ: هَلْ كَانَ الْفَنَاءُ يَكُونُ فِي الْمُرْسَاتِ؟ قَالَ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلَا يُحْضَرُ بِمَا يُحْضَرُ الْيَوْمَ

(١) زيادة في النسخة الألمانية وهي لازمة .

من السفه، دنا أخواننا بنو نبيط في مدعاة لهم فشهد المدعاة حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأما، وجاريتان تفتيان:

أنظر خليلي بياب جِلَقِ هل • تُؤْنِسُ دون البقاء من أحد

فبكي حسان وقد كُفَّ بصره، وجعل عبد الرحمن يُؤمُّ إليهما أن يزيدا، فلا أدري ماذا يُحِبُّه من أن تُبَكِّيا أباه، ثم جِءَ بالطعام، فقال حسان: أطلعُمُ يد أم طعامُ يدين؟ فقالوا: طعامُ يد، يريدون التريُّدَ فأكَل، ثم أتى بطعام آخر فقال: أطلعُمُ يد أم طعامُ يدين؟ قالوا: طعامُ يدين، يعنون الشواء فكُفَّ. حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: كان طُويْسٌ يتغنى في عرس، فدخل النعمان ابن بشير العرس وطويس يقول:

أَجَدَّ بَعْمَرَةَ غُنَيَانُهَا • فَتَهَجَّرُ أُمُّ شَانُهَا شَانُهَا^(١)

وعمرة أم النعمان، فقبل له: اسكت اسكت، فقال النعمان: إنه لم يقل بأما وإنما قال:

وَعُمْرَةُ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَاءِ • تَفْعُ بِالْمَسْكِ أُرْدَانُهَا

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا الجحاج بن نصير قال حدثنا شعبة عن قتادة عن

أبي العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم، فقال ابن عباس: ١٥
وَهُنَّ يَمْشِينَ بَنَاهِمِيَا • إِنْ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نَزَلَ لَيْسَا^(٢)
فقالوا: تقول الرفث وأنت محرم بآبن عباس! فقال: إنما الرفث عند النساء.

قال جابر الجعفي: رأيت الشعبي خارجا من الكوفة فقلت له: أين؟ قال:
أنظر إلى الفيل.

(١) كذا بالأسول ولسان العرب. وفي نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١: أم شأنها شأنها وهو أوجه.
(٢) كذا في الأصل نل باللام. وروى في شرح القاموس للرتضى والمقد الفريد بالكاف بدل اللام.

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا شريك عن جابر الجعفي عن عكرمة قال : ختن ابن عباس بنه فارسلني فدعوت اللّامين فلعبوا فأعطاهم أربع مائة درهم .^(١)

حدثني شيخ لنا من أهل المدينة قال : ولي الأوقص المخزومي قضاء مكة فما ربي مشله في العفاف والنبل ، فيينا هو نائم ذات ليلة في جناح له مر به سكران يتغنى ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربت حراما ، وأيقظت نوما ، وغيت خطأ ، خذ عني فاصلحه له . وقال الأوقص قالت لي أمي : يا بني إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجامعة الفتيان في بيوت القيان ، إنك لا تكون مع أحد إلا تخطفك إليه العيون ، فليك بالذين فإنه يرغب الحسيسة ويقيم القيسة ، فنحنى الله بكلامها فلبت القضاء .
قال عبدالله بن جعفر لرجل : لو غتكت فلانة جاري صوت كذا ما أدركت دكانك .

حدثني شيخ لنا عن سلم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مر بي عمر ، وأنا وعاصم بن عمر نتغنى غناء النصب ، فقال : أعبدا ، فأعبدا ، فقال : مثلكما مثل جاري العبادي ، قيل له : أي حمارك أشرف ؟ قال : هذا هم هذا .

وحدثني أيضا عن ابن عاصم عن ابن جريح قال : سألت عطاء عن القراءة على الحان الفناء والحلدا فقال : وما بأس ، لقد حدثني عبيد بن عمير الليثي قال : كانت لداود نجة الله مِعْرَفَةٌ يضرب بها إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجن والطير فبكي وأبكي من حوله . وقال لي غيره : ولهذا قيل : من أمير داود ، كأنه أغاني داود .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفنزغرافية " أربعة درهم " ولا ندري أسقط من النسخ كلمة مائة أم ألغت الجميع في دراهم . (٢) ضرب من أغاني العرب . (٣) كذا بالأصل ، وفي مجمع الأمثل « شر » وهو الاقصح .

نخرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال:

وَإِذَا الْمِعْدَةُ جَاشَتْ * فَأَرْمِهَا بِالْمَجْنُونِ

بِثَلَاثٍ مِنْ نَيْدٍ * لَيْسَ بِالْحُلُوِّ الرِّقِيقِ

النُّوْحِيَّانِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِقْوَلٍ عَنْ أَبِي حَصِينٍ

قَالَ : شَرِبَ الْأَسْوَدُ فَقَالَ : لَوْ سَقَيْتُمُونِي آخَرَ لَنَتَيْتُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ الْمَجَالِدِ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَمْرِو قَالَ :

صَحَبْتُ أَبْنَ مَسْعُودٍ حَوْلًا مِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ لَمْ يَصُمْ يَوْمًا وَاحِدًا ، [فَبَاهَنِي^(٢)

ذَلِكَ وَمَسَّأْتُ عَنْهُ ، وَلَمْ أَرَهُ صَلَّى الضُّحَى حَتَّى نَخْرُجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا .

قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ عَنْ مَهْدِيٍّ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ :

كَانَ أَبُو صَادِقٍ لَا يَتَطَوَّعُ مِنَ السَّنَةِ بِصَوْمِ يَوْمٍ ، وَلَا يَصِلُ رَكْعَةً سِوَى الْفَرِيضَةِ

قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا ، وَكَانَ بِهِ مِنَ الْوَرَعِ شَيْءٌ عَجِيبٌ .

حَدَّثَنِي الزَّيَّادِيُّ قَالَ قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ

الْفُقَهَاءِ وَهُوَ يَلْعَبُ بِالشَّطْرَنْجِ .

وَحَدَّثَنِي الزَّيَّادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ قَالَ : سَأَلَ ابْنَ

سِيرِينَ عَنِ الْقَلْبِ بِالشَّطْرَنْجِ فَقَالَ : لَا بَأْسَ بِهِ هُوَ رَفِيقٌ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ مِنَ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ مَعْتَمِرٍ قَالَ ، قَالَ أَبِي : تَرَوْنَ أَنَّ الشَّطْرَنْجَ

وُضِعَتْ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ ؟ ^(٣)

(١) كذا في الأصل بالتحريف والمعرف في كتب التراجم «مجالد» بدون ال، ودخول ال في مثل المتقول

عن اسم الفاعل للصفة موقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضيا سياق الكلام .

(٣) لم تقف في كتب اللغة على أَنَّ الشطرنج مما يصح تأنيده ولعل تأنيده هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحدَّثنا الإصمعي عن ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال : كان قيس ابن أبي حازم في مَنطاة فقال لصاحب المنزل : طير .

حدَّثني شُبابة قال حدَّثني القاسم بن الحكم العُرفي قال : حدَّثني سُلَيْمٌ مولى الشعبي أن الشعبي كان إذا اختَضِبَ ففَرَضَ لآبِئِهِ بِالزَّردِ حتى يَمَلُقَ الخَضابُ .

٥ حدَّثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا النضر بن شميل قال حدَّثنا شُعبة عن عبد ربه قال : سمعتُ سَعِيدَ بن المسيب وسُئِلَ عن اللَّعبِ بالزَّردِ فقال : إذا لم يكن قِماراً فلا بأس .

حدَّثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رِشْدِينِ بن كُرَيْبٍ قال : رأيتُ عِكْرِمَةَ أقيم قائماً على اللَّعبِ بالزَّردِ . قال إسحاق : إن كان لَعِبُهُ على غير معنى التَّيَّارِ يريد به التَّعلِيمُ والمُكَايِدَةُ فهو مكروه ، ولا يبلغُ ذلك إسقاطُ شهادته .

١٠ وروى عبد الملك بن عمر عن إبراهيم بن محمد قال أخبرني أبي قال : رأيتُ أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعة عشرَ على ظهر المسجد .

حدَّثني محمد بن عبيد قال حدَّثني علي بن عاصم عن أبي إسحاق الشَّيباني عن خَوَاتِ التَّيْمِيِّ عن الحارث بن سُوَيْدٍ قال : أتى عبد الله بن مسعود رجلاً فقال : يا أبا عبد الرحمن إن لي جاراً يرْبِي وما يتوزع من شيء أصابه ، وإنِّي أَعِسرُ فاستبلفهُ ، ويدعوني فأجيبه ، فقال : كُلُّ فلكٍ مَهْزُؤٌ وعليه وزرهُ .

١٥ كان أبو فضالة أسنً وشَقَّتْ عليه الصلاةُ ، فكان يقول : مُشَقِّيةٌ مُنْصِبَةٌ ، مُقِيمَةٌ مُقِيمَةٌ ، لا تزالُ بصاحبها حتى يضعَ أكرَمَهُ ويرفعَ أفضَلَهُ .

(١) غرض : أمابه اللال :

(٢) كذا يفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء ويدها هاء ساكنة شُبُهه في ابن خلكان ثم قال : وقيل له أيضاً رَاهُوِيَه بِضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء .

قال عبد الله بن القعقاع الأسدي :

أناها صغراء يزعم أنها * زبيب ، فصمتناه وهو كذوب
فهل هي إلا ليلَةٌ غابَ نجمُها * أصلى لربى بسدها وأتوب

وقال آخر :

- مَنْ ذَا يُجَرِّمُ مَاءَ الْمِزْنِ خَالِطُهُ * فِي جَوْفِ آتِيَةِ مَاءِ النَّاقِدِ
- إِنِّي لَا كَرِهَ تَشْدِيدَ الرُّوَاةِ لَنَا * فِيهَا وَيُجِئُنِي قَوْلُ أَبِي مَسْعُودٍ

وصيرون الأخبار ويختار الشعر في الشراب يقع في كتابي المؤلف في الأشربة ، ولذلك تركت ذكرها .

- وكتب بعض الكتاب إلى صديق له في فصل : ونحن نحمد الله إليك فإن عُقْدَةَ
- الإسلام في قلوبنا صحيحة ، وأواخيه ثابتة ، ولقد اجتهد قومٌ أن يُدْخِلُوا قُلُوبَنَا مِنْ
- مرض قلوبهم ، وأن يَلْبِسُوا بَيْنَنَا بِشَكْمَهُمْ ، فَمَنْعْنَا عِصْمَةَ اللَّهِ مِنْهُمْ ، وَحَالَ تَوَفُّقُهُ
- دُونَهُمْ ، وَلَنَا بَعْدَ مَذْهَبٍ فِي الدُّعَابَةِ حَيْلٌ ، لَا يَسُوبُهُ أَذَى وَلَا قَذَى ، يُجْرَحُ إِلَى
- الْأَسَنِ مِنَ الْمُبُوسِ ، وَإِلَى الْإِسْتِرْمَالِ مِنَ الْقُطُوبِ ، وَيُحَقِّقُنَا بِأَحْرَارِ النَّاسِ وَأَسْرَافِهِمُ
- الَّذِينَ ارْتَفَعُوا عَنْ لَيْسَةِ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ .

- ١٥ التَّوَسُّطُ فِي الْأَشْيَاءِ ، وَمَا يَكْرَهُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِيهَا وَالْغُلُوِّ
- باب التوسط في الدين

حدثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّرَّاءِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ طَحْلَاءَ
عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
” أَكْفَلُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ
أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ “ .

حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا محمد بن علي بن مكرم عن معني النخعي عن المقبري عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرُوْنَ يُسَادُّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا» .

حدثني القوميسي عن أحمد بن يونس عن زهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ الْحَسَنُ وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ وَالْاِقْتِسَادُ بَيْنُ مِنْ نَحْسَةٍ وَعَشْرِينَ جَزْأً مِنَ النِّيَّةِ» .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن مسلم بن يسار أن رُفْعَةَ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ فُلَانٍ، يَصُومُ النَّهَارَ، فَإِذَا زِلْنَا قَامَ يُصَلِّي حَتَّى نَزْهَلَ، قَالَ: «مَنْ كَانَ يَمُنُّ لَهُ أَوْ يَكْفِيهِ أَوْ يَعْمَلُ لَهُ»؟ قَالُوا: نَعْنُ، قَالَ: «كُلُّكُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ» .

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي عليه السلام قال: خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفْتَنٍ تَوَاقٍ . وقال علي أيضا: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّحُطُّ الْأَوْسَطُ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِهِمُ النَّالِي^(١) .

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرة قال، قال حذيفة: خِيَارُكُمْ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لِآخِرَتِهِمْ، وَمَنْ آخَرَتِهِمْ لِدُنْيَاهُمْ . وَكَانَ يَقَالُ: دِينَ اللَّهِ

(١) كذا في اللسان والبغداد الفريد وفي الأصل «الغالي» وهو تحريف، ورواه في نهج البلاغة «نحن المنزلة الوسطى يا يلحق الغالي والها يا يرجع الغالي» وفسره شارحه بأن آل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين كما يستند إلى الوصاة لراحة الظهور والمطمان الأعضاء ووصفها بالوسطى لاتصال سائر الناس بها فكان الكل يند عليا إما مباشرة أو بواسطة ما يجانبه وآل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر ويرجع إليهم من غلا وتجاوز ٥١ .

بين المقصر والغالى . وقال المطرف لأبنته : يا بُنىَّ، الحسنَةُ بين السيئتين، يعنى بين الإفراط والتقصير، وخير الأمور أوساؤها، وشُر السيِّر الحققة^(١)

وفى بعض الحديث المرفوع : «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه» . وقال : «إن الله يعنى بالخيقة السهلة، ولم يعنى بالعبانية المبتدعة، سُنِّي الصلاة والنوم، والإفطار والصوم، فمن رغب عن سُنِّي فليس مني» . وفى الحديث : «إن هذا الذين مَتِينُ فَاوِضٌ فيه يرفي، فإن الميت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» .

وكان يقال : طالب العلم وعامل البرِّ كما كل الطعام إن أخذ منه قوتا عصمه، وإن أشرَف في الأخذ منه بشمه،^(٢) ور بما كانت فيه مَنِيَّتُهُ، وكأخذ الأدوية التي قصدها شفاءً، ومجاوزة القدر فيها السَّمُ الميِّتُ .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبي حفصة أن ابن أبي نُعَيْم كان يُبَيِّل من السنة إلى السنة ويقول فى تلبينه : لييك، لو كان رياء لأضمحل .
حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبي إسحاق قال [قال] عمر بن ميمون : لو أدرك أصحابنا محمد بن أبي نُعَيْم لرجموه، كان يؤاخذ كذا وكذا يوماً ويُبَيِّل بالحج إذا رجع الناس من الحج .

وقال سلمان : الفصدة والدوام وأنت السابق الجواد . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم لقي رجلاً فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبد . قال : من يعود عليك ؟ قال : أخى، قال : أخوك أصد منك .

(١) كذا بالأصل والمعرف فى كتب التراجم «سؤدد» بدون آل . (٢) الحققة : أرفع السير وأتمه للظهور . (٣) فى الأصل «فنى» وهو تعريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشمة» بنبر ألف . وفى القاموس واللسان، يقال : شِمَّ الرجل وأبشمه الطعام .

رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ عَنْ الْحَجَّاجِ بْنِ الْأَسود قَالَ : مَنْ يَثْلَى عَلَى رَجُلٍ بَكَاً بِاللَّيْلِ بِسَامٍ
بِالنَّهَارِ ؟

وروى أبو أسامة عن حماد بن زيد عن إسحاق بن سويد قال ، قال مطرف :
انظروا قوما إذا ذُكِّروا بالقرامة فلا تكونوا منهم ، وانظروا قوما إذا ذُكِّروا ذُكِّروا
بالفجور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وهؤلاء .

باب التوسط في المداواة والحلم

قرأت في كتاب للهند : بعض المقاربة حزم ، وكل المقاربة عجز ، كالشبهة
المصوبة في الشمس ثمائل فيزيد ظلها ، ويفرط في الإبتالة فينقص الظل . ومن
أمثال العرب في هذا : « لا تكن حُلَواً قُسُطَراً ^(١) ولا مُراً قَلَقُطَ » وأبو زيد يقول :
ولا مُراً قُصْقِي ، يقال : أَعْقَى الشَّيْءُ إِذَا أَشَدَّتْ مَرَاتُهُ . وقال الشاعر :

• وَأَتَى لَصِيبُ الرِّأْسِ غَيْرُ جُمُوحِ •

وقال آخر في صفة قوس :

• فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعُ •

وقال آخر :

• شَرَّ مَا نَهَى تَمْنَعُ بَعْدَ الْإِيْنِ •

وقال أبرورز لأبيه : اجعل لأقتصادك السلطان على إفراطك ، فإنك إذا قُدِّرَتْ
الأمور على ذلك وَزَنَتْهَا بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ وَقَوِّمَتْهَا تَقْوِيمَ التَّقَافِ ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلتَّسَادُمِ
سلطاناً على الحلم .

(١) مرطه واسترطه : ابتله .

(٢) هذا يقتضى أن التقاف في قوله حق مكسورة ، ويقال : أَعْقَى الشَّيْءُ إِذَا قَطَعَهُ مِنْ فِيهِ لِمَرَاتِهِ ، وبهذا
يصح أن يكون القمل مبنياً بالجهول ، وقد روي المثل بالوجهين كما في اللسان .

وقال الأباينة الجعدي:

ولا خير في حلم انالم تكن له * بوادر تفي صقوه أن يكدرأ

وقال آخر:

ولا خير في عرض أمري لا يصونه * ولا خير في حلم أمري دل جانبه

وقال أكرم بن صيفي: الانقباض من الناس مكسبة للعداوة، وإفراط الأناس
مكسبة لقراءة السوء.

باب التوسيط في العقل والرأى

روى في الحديث أن زياد بن أبي سفيان كان كاتباً لأبي موسى الأشعري فعزله
عمر عن ذلك، فقال له زياد: أعن عجز عرتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة؟
فقال: لا عن ذلك ولا عن هذا، ولكني كرهت أن أحمل على العاتقة فضل عقلك.
ويقال: إفراط العقل مضر بالحد. ومن الأمثال المبتلة: استأذنت العقل على
الحد فقال: اذهب لا حاجة بي إليك. وقال الشاعر:

فعيش في جد أنوك حالفته * مقادير يساعدها الصواب

وقال آخر:

إن المقادير إذا ساعدت * ألحقت العاجز بالخازم

وقال آخر:

أرى زمناً نوكاه أسعد أهله * ولكنه يشقى به كل عاقل

وقال الحسن: تشبه زياد بعمر وأفراط، وتشبه الحجاج زياد فاهلك الناس.

وقالت الحكمة: فضل الأدب في غير دين مهلكة، وفضل الرأي إذا لم يستعمل
في رضوان الله ومنفعة الناس قائم إلى الذنوب، والحفظ أراكي الواعي لتغير العلم
النافع مضر بالعمل الصالح، والعقل غير المورع عن الذنوب شازن الشيطان.

تنازع أثنان : أحدهما سلطانٌ والآخَرُ سُوقِيٌّ ، فضربه السلطانُ فصاح :
وَأَمْرَاهُ ! وَرُفِعَ خَبْرُهُ إِلَى الْمَامُونِ فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ عَلَيْهِ ، قَالَ : ' مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ ' قَالَ : مِنْ
أَهْلِ قَامِيَّةٍ ، قَالَ : ' إِنَّ عَمْرَيْنَ أَخْطَابَ كَانَ يَقُولُ : مَنْ كَانَ جَارَهُ نَبِيًّا وَأَحْتَاجَ إِلَى
ثَمَنِهِ فَلْيَبِعْهُ ، فَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ سِيرَةَ عَمْرٍ فَهَذَا حَكْمُهُ فِيكُمْ ، وَأَمْرٌ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ .

باب ذم فضل الأدب وألقول

قِيلَ لِبَعْضِ الْحِكَمَاءِ : مَتَى يَكُونُ الْأَدَبُ شَرًّا مِنْ عَدَمِهِ ؟ قَالَ : إِذَا كَبُرَ الْأَدَبُ
وَقَصَّ الْقَلْبُ . وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ . وَيَقَالُ : مَنْ
لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِصَالِ أَخْبَرٍ عَلَيْهِ كَانَ حَقُّهُ فِي أَغْلَبِ خِصَالِ أَخْبَرٍ عَلَيْهِ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ • إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْتًا مُفِيرًا

وَقَالَ سَلِيحُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : زِيَادَةُ مَنْطِقٍ عَلَى عَقْلٍ خُدْعَةٌ ، وَزِيَادَةُ عَقْلٍ عَلَى
مَنْطِقٍ هُجْنَةٌ ، وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ مَا زَيْنَ بَعْضُهُ بَعْضًا .

قَالَ ضَرَارُ بْنُ عَمْرٍو لِابْنَتِهِ حِينَ زَوَّجَهَا : أَمْسِكِي عَلَيْكَ الْفَضْلَيْنِ : فَضْلَ الْعُلَمَاءِ
وَفَضْلَ الْكَلَامِ .

وَقَالَ عَمْرَيْنُ أَخْطَابَ رَحِمَهُ اللَّهُ : رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَسْكَلَ فَضْلَ الْقَوْلِ وَقَدَّمَ فَضْلَ
الْعَمَلِ .

نَزَلَ الْمُنْذَرُ بْنُ الْمُنْذَرِ فِي كَتِيبَةٍ مَوْضَعًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَبَيْتَ أَلَّا يَنْتَزِعَ إِنْ دُخِيَ رَجُلٌ
هَاهُنَا ، إِلَى أَيْ مَوْضِعٍ يَبْلُغُ دَمُهُ مِنْ هَذِهِ الرَّابِعَةِ ؟ فَقَالَ الْمُنْذَرُ : أَلَذَّبُوحُ وَاللَّهِ أَنْتَ ،
وَلَا تَنْظُرَنَّ أَيْنَ يَبْلُغُ دَمُكَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضَرٍ : « رَبُّ كَلِمَةٍ تَقُولُ [لصاحبها] دَغْنِي » .
(١) الذي في جميع الأمثال اليداني : أن القائل هو المنذَرُ نفسه .
(٢) الزيادة عن جميع الأمثال اليداني .

قال زياد على المنبر : إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها ذنب عتره مصور ولو
بلنت إمامه سفكت دمه . وقال أكرم بن صفي : مقتل الرجل بين فكيه .
وقال الأحنف : حنفت الرجل محبوه تحت لسانه .

باب التوسط في الجدة

- كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم إني أعوذ بك من غنى مبطر
ومن فقر ملب أو مريب" ، وكذلك "اللهم لا غنى يطغى ولا فقر يئس" .
وقال أبو المعتمر السامي : الناس ثلاثة أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط ، فالفقراء
موتى إلا من أغناه الله بجز القناعة ، والأغنياء سُكَّارَى إلا من عصمه الله بشوق
الفقر ، وأكثر أنلهم مع أكثر الأوساط وأكثر الشر مع الفقراء والأغنياء ليسخف
الفقر وبطر أئني . ومن أمثال العرب في هذا : « بين المِحْضَةِ والعِجْفَاءِ » .

باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء

- قال الله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) ،
وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .
حدثني أحمد بن الحليل عن مسلم بن إبراهيم عن سُكَيْنِ بن عبد العزيز عن إبراهيم
ابن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
"مَا عَالٍ مَقْتَصِدٌ" .

وحدثني أيضا عن مسلم قال حدثنا أبو قدامة الحارث بن عبيد قال حدثنا بُرْدُ بن
سَيَّان عن الزُّهْرِيِّ قال ، قال أبو الدرداء : حَسَنُ التَّقْدِيرِ فِي الْمَعِيشَةِ أَفْضَلُ مِنْ
نِصْفِ الْكَسْبِ ، وَقَطْعُ جَبَا مَثُورًا وقال : إن فقه الرجل وفقه في معيشته .

- (١) من ألب بالمكان وأرب به : أقام به وزمه .

قال أبو الأسود لولده: لا تُجَادُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ أَجُودُ وَأَجَدُّ، وإنه لو شاء أن يُوسِّعَ على الناس كلِّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لَفَعْلٍ، فلا تُجَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ فِي التَّوَسُّعِ فَتَهْلِكُوا هُزْلاً. قبلَ محمد بنِ عمران قاضي المدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله — : إِنَّكَ تُنْسَبُ إِلَى الْبِخْلِ، فقال : والله إِنِّي لَا أَجِدُ فِي الْخَلْقِ وَلَا أَذُوبُ فِي الْبَاطِلِ . وكان يقال : لَا تَقْصُرْ كَثِيراً عَنْ حَقِّ وَلَا تُفِيقْ قَلِيلاً فِي بَاطِلٍ . ومن أمثال العرب في ذلك ٥ : « لَا وَكْسَ وَلَا شَطَطَ » و « إِذَا جَدَّ السُّؤَالُ جَدَّ الْمَنَعُ » . وقال أشاعر :

إِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي * عَلَى الْأَزَادِ فِي الظُّلُمَاءِ غَيْرُ لَيْمٍ
وإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الشُّجَاعِ فَإِنِّي * أُرْدُ سِنَانَ الْأَرَحِ غَيْرَ سَلِيمٍ
وَقَدْ عَلِمْتُ عَلَيَا هَوَازِنَ أُنَى * فَتَاهَا وَسُفْلَى عَامِرٍ وَتَمِيمٍ
قال معاوية : مَا رَأَيْتُ سِرْفَا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَانِبِهِ حَقٌّ مُضِيعٌ . ١٠

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حدثني آرياشي قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن عمران قاضي المدينة أن طلحة كان يقال له : [طلحة] ^(١) الخفير، وطلحة أليفاض، وطلحة أطلحات وأنه فدى عشرة من أسارى بدر وجاء يمشي بينهم، وأنه سئل برحيم فقال : مَا سَأَلْتُ بِهِذِهِ الْرَّحِمِ قَبْلَ الْيَوْمِ، وقد بعتُ حائطاً لِي بِتِسْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَنَا فِيهِ بِالْخِلَارِ، فَإِنْ شِئْتَ أَرْتَجِعْتَهُ وَأَعْطَيْتَكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتُكَ مَنَّمَةً . ١٥

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرني شيخ من مشيختنا، — وربما قال : هارون الأعمور — أن قتيبة بن مسلم قال : أُرْسِلَنِي أَبِي إِلَى ضِرَارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ فَقَالَ : قُلْ لَهُ قَدْ كَانَ فِي قَوْمِكَ دِمَاءٌ وَجِرَاحٌ، وَقَدْ أَحْبَبُوا أَنْ تَحْضَرَ الْمَسْجِدَ فِيمَنْ يَحْضُرُ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فَأَبْلَغْتُهُ فَقَالَ يَاجَارِيَةَ : عَدَّيْنِي، بَخَاعَتْ بِأَرْغَفَةِ ٢٠

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

- خُسَيْنٌ قَرَدَتْنِ فِي مَرِيَسٍ ثُمَّ بَرَقَتْنِ فَاكَلْ، قَالَ قَتِيْبَةٌ : بِجَعْلِ شَانُهُ يَصْفُرُ فِي عَيْنِي وَنَفْسِي، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ، حِنْطَةُ الْأَهْوَاذِ وَتَمْرُ الْفَرَاتِ وَزَيْتُ الشَّامِ، ثُمَّ أَخَذَ نَعْلَيْهِ وَأَرْتَدَى، ثُمَّ أُنْطَلِقُ مَعِيَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ احْتَجَى، فَمَا رَأَاهُ حَلَقَةً إِلَّا تَقَوَّضَتْ إِلَيْهِ، فَاجْتَمَعَ الطَّالِبُونَ وَالْمَطْلُوبُونَ فَكَتَبُوا الْكَلَامَ، فَقَالَ : إِلَى مَاذَا صَارَ أَمْرُهُمْ؟ قَالُوا : إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ إِبِلٍ، قَالَ : هِيَ عَلِيٌّ، ثُمَّ قَامَ .
- الْحَمِيمُ عَنْ أَبِي عِيَّاسٍ قَالَ : كَانَ مَعْدِيكَرِبُ بْنُ أَرْبَعَةَ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى سَرِيرِهِ فَأَتَى بِقَتِيْبَيْنِ قَدْ شَرَبُوا الْخَمْرَ، فَقَالَ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، أَتَشْرَبُونَ الْخَمْرَ؟ فَقَالَ مَعْدِيكَرِبُ : أَسْتَشْكِلُ اللَّهَ أَنْ تَقْضَعَ هَؤُلَاءِ^(١)، فَقَالَ : إِنْ آلَحَتْ فِي هَؤُلَاءِ وَفِي غَيْرِهِمْ وَاحِدٌ، فَقَالَ مَعْدِيكَرِبُ : يَا غُلَامُ صُبِّ مِنْ شَرَابِهِمْ فِي الْقَدَحِ، فَصَبَّ لَهُ فَشَرِبَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا شَرَبْنَا فِي مَنَازِلِنَا إِلَّا هَذَا، فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : خَلَّوْا عَنْهُمْ، فَتَقِيلُ لَهُ .
- ١٠ حِينَ أَنْصَرَفُوا : شَرِبَتْ الْخَمْرَ! فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَيَعْلَمُ إِنِّي لَمْ أَشْرِبْهَا قَطُّ فِي سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَةٍ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يُقْضَعَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ بِمَحْضَرِي .

- وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا قَالَ : مَدَحَ شَاعِرُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ : احْتَكِمْ، وَظَنُّ أَنْ هَمَّتْهُ قَصِيدَةٌ، فَقَالَ : أَلْفَ نَاقَةٍ، فَوَجَّعَ الْحَسَنُ وَلَمْ يُكَيِّفْهُ، وَكَرِهَ أَنْ يُقْضَعَ .
- ١٥ وَقَالَ : يَا هَذَا إِنْ بِلَادِنَا لَيْسَتْ بِبِلَادِ إِبِلٍ، وَلَكِنْ مَا قَالُ أَمْرُ الْقَيْسِ :
- إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْرَى * كَأَنَّ قُرُونَ جَلَّتْهَا الْعِيَّ^(٥)
- قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِالْفِ شَاةٍ، فَأَلْقَى بِحِجْيِ بْنِ خَافَانَ، فَأَعْطَاهُ بِكُلِّ شَاةٍ دِينَارًا .

- (١) فِي هَامِشِ النُّسخَةِ الْفَتْوَرَاغِيَّةِ : « الْمَرِيَسُ تَمْرُوزِيَّةٌ » ، وَفِي الْقَامُوسِ أَنَّهُ التَّمْرُ الْمَرْسُ أَوْ الْقَبِي .
- (٢) بِرَقِ الْعِلْمِ بِزَيْتِ أَوْسَمِنْ : جَعَلَ فِيهِ مَاءَ ظِلِيلَا . قَامُوسٌ .
- (٣) هَكَذَا بِالنَّسخِ الَّتِي بِيَاذِيْنَا ، وَظَاهَرِ الْكَلَامِ يَتَوَقَّفُ عَلَى " لَا " النَّاقِيَةِ .
- (٤) فِي الْأَصْلِ مَعْرَى وَهُوَ مَحْرُوفٌ . (٥) فِي الْأَصْلِ عِيَّ . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الْهَيْوَانِ وَالْأَفْئَانِ .

قال : وقدم زائر على أبي دُلَيْف فأمر له بألف دينار وِكْسَمَهُ ثم قال - و يقال إن
الشعر لعبد الله بن طاهر -

أَعْجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ رَيْنَا * قُلْنَا وَلَوْ أَهْمَلْتَنَا لَمْ يَقْلِيلِ
نَفْذُ الْقَلِيلِ وَكَانَ كَأَنَّكَ لَمْ تَهْلُ * شَيْطَانًا وَنَحْنُ كَأَنَّنَا لَمْ نَهْلِ

وقال بعض الشعراء :

ليس جُودُ الْفَتَيَانِ مِنْ فَضْلِ مَالٍ * إِنَّمَا الْجُودُ لِلْقَلِّ الْمَوَاسِي

وقال دَعِيلٌ فِي نَحْوِهِ :

لئن كُنْتَ لَا تُؤَيِّ بِدَا دُونَ إِسْرَةٍ * فَلَسْتَ بِمُؤَيِّ نَائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ
فَأَيُّ إِيَاءٍ لَمْ يَفْضُ عِنْدَ مَلِكِهِ ! * وَأَيُّ بَخْسٍ لَمْ يُنَلِّ سَاعَةَ الْوَفْرِ !
وليس الفتى المعطى على اليسر وحده * ولكنه المعطى على العسر واليسر

١٠

ابن الكلبي قال : أخبرني غير واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله
ابنا العباس أن يقتسما ميراثهما من أبيهما بمكة ، فدعى القاسم ليقسم ، فلما مذ الحبل
قال له عبد الله : أقيم المِطْمَرُ ، بنى الحبل القى يده . فقال له عبيد الله : يا أخی ، الدارُ
دارك لا يُمدُّ والله فيها اليومَ مِطْمَرٌ . وكان يقال : مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالسَّخَاءَ وَالْجِسَالَ
فَلْيَأْتِ دَارَ الْعَبَّاسِ ، كَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَعْلَمَ النَّاسِ ، وعبيدُ اللَّهِ أَجْعَلُ النَّاسِ ، والفضلُ
أَجْمَلُ النَّاسِ .

١٥

باع عبد الله بنُ عتبة أرضاً بثمانين ألفاً ، فقيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا
المال ذُخْرًا ! فقال : أنا أجعلُ هذا المالَ ذخرًا لى عند الله ، وأجعلُ الله ذخرًا
لولدى ، وقسمَ المالَ .

٢٠

وقال : إنَّ أَوَّلَ مَا عُرِفَ بِهِ سُودُّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَنَّهُ مَرَّ بِبَعْضِ
طُرُقِ دِمَشْقَ وَهُوَ غَلَامٌ فَأَوْطَأَ فَرَسَهُ صَبِيًّا فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ لَا يَتَحَوَّكُ أَمْرَ غَلَامَةٍ

فعله، ثم انتهى به إلى أول مجلس مر به فقال : إن حدث بهذا النلاغ حدث الموت فانا صاحبه، أو طأته قرصى ولم أعلم .

قال عدي بن حاتم لابن له حديث : قُم بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف، فقال : لا والله، لا يكون أول شيء وليته من أمر الدنيا منع قوم من العلم .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ضاف بني زياد العيسيين ضيفاً، فلم يسعروا إلا وقد آخضن أنهم من خلفها، فرفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال : لا يضار الليلة عائد أي، إنه عاذ بحقونها .

المدائني قال : أحدث رجل في الصلاة خلف عمر بن الخطاب، فلما سلم عمر قال : أعزِمُ على صاحب الضرطة إلا قام فوضاً وصل، فلم يقم أحد، فقال جرير ابن عبد الله : يا أمير المؤمنين أعزِم على نفسك علينا أن نتوضأ ثم نعيد الصلاة، فأما نحن فنصير لنا نافلةً، وأما صاحبنا فيقضي صلاته، فقال عمر : رحمك الله، إن كنت لشرifa في الجاهلية فقيها في الإسلام .

كان عبد الله بن جُدعان التيمي حين كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يعطى شيئاً من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : ادنُ مِنِّي، فإذا داناه لمعلمه ثم قال : ١٥ اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى، فترضيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابن قيس الرقيات — حين غربة فريش —

والذى إن أشار نحوك لطمًا * تيح العلم نائل وعطاء

وآبن جُدعان هو القائل :

٢٠ إني وإن لم يتل مالى مدى خُلقى * وهابُ ما ملكك كفى من المال
لا أحيسُ المالَ إلا ريتُ ألقفه * ولا تُنيرنى حالٌ عن الحلال

المهين عن حماد الراوية عن مشايخ طلي قالوا : كانت عنبَةُ بنتُ عَفِيفٍ أمَ حاتمٍ لا تُليقُ شيئاً بمخاءٍ وجوداً، فمنعها إخوتُها من ذلك فأبَتْ، وكانت مُوسِرةً فحبسوها في بيتٍ سنةً يُطعمونها قوتَها رجاءً أن تكفَّ، ثم أخرجوها بعد سنة وظنوا أنها قد أقصرت ودفَعوا إليها صِرةً^(١)، فأثبتها امرأةٌ من هَوازَنَ فسألَتها فأعطتها الصِرةَ وقالت : والله لقد مسَّني من الجوع ما أليتُ معه ألا أمتنعُ سائلاً شيئاً، وقالت :

لعمري قَدِمَ ما عَضِي الجوعُ عَضَةً * قالتُ ألا أمتنعُ التهرَ جائعاً
قولاً لهذا الأَلمَى الآن أعفَى * فإن أنت لم تفعل فَعَضُ الأصابعِ
[لماذا عساكم أن تقولوا لا تختكم * سوى عدلكم أو عدل من كان مانعاً]^(٢)
ولا ما تروى التهرَ إلا طيعةً * فكيف يتركى يابنُ أم الطبايعِ^(٣)

١٠ ابن الكلبي عن أبيه عن رجال طلي قالوا : كان حاتم جواداً شاعراً، وكان حينما نزل عُمرُ ف مثله، وكان ظفيراً إذا قاتل غلبَ، وإذا غنمَ أَنتَبَ، وإذا سُيِّلَ وهَبَ، وإذا ضُربَ بالقداحِ سبقَ، وإذا أُسرَ أطلقَ، وكان أقسم بالله : لا يقتل واحداً منه .

(١) كذا بالنسخين بين مهمله ونون وباء موحدة بعدها . ورواقه مافي الشعر والشعراء للزلف وعق عليه فاشهر بأنه يروي «عنة» و«غنية» أنظر نسخة طيبة أرياس ١٢٣ و١٢٤ ، وفي الأغاني طبع بولاق ج ١٩ ص ٩٧ «عنة» . وكذا في شعراء النصرانية وعق عليه الناشر بأنه في رواية الميداني «غنية» . أنظر نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تُليقُ : لا تُمكن .

(٣) القطعة من الإبل واختلف في عددها من العشرة إلى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغاني وشعراء النصرانية .

٢٠ (٥) كذا بالنسخين . وفي الأغاني وشعراء النصرانية : «وماذا ترون اليوم» الخ، وفي هامش نسخة الشعر والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو ألقطان قال : أخذ عبيدُ الله بن زياد عروة بن أذينة ^(١) [أخا] أبي بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره ، فقال لأهله : أنظروا هؤلاء الموكلين بي فأحسبوا إليهم فإنهم أضيافكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يكُ عنده ماسأل قال : اكتب حلًّا بمسألك يحلُّ إلى أيام يُسرى .

باع أعرابي ناقه له من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فذرفت عيناه ، ثم قال :

وقد تزعج الحاجاتُ يا أمَّ معمرٍ • كرائمٍ من ربِّ بين ضيبي

فقال له مالك : خذ ناقك وقد سوَّغتك الثمن . اشترى عبيدُ الله بن أبي بكرة جارية نفيسة فطلبت دابةً تُحمل عليها فلم تُوجد ، فجاء رجل بداية فحملها ، فقال له عبيدُ الله : اذهب بالجارية إلى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبي بكرة دار الصفاق من مُقاتل بن مسعم نسيئةً ثم اقتضاه فلزمه في دار أبيه ، فأراه عبيدُ الله فقال : مالك؟ قال : حبسني ابنك . قال : بم؟ قال : بمن دار الصفاق ، قال : يا ثابتُ أما وجدتَ لغُرمانك محبسا إلا داري ، ادفع إليه صكَّه وأعوضك . قيل لرجل : مالك تنزل في الأطراف؟ فقال : منازلُ الأشراف في الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدره ويتناولهم من يريدهم بالحاجة . لما كبر عدي بن حاتم آذاه بردُ الأرض وكان رجلا

(١) كذا بالقنطين الألمانية والفتوغرافية وهو محرف عن "أذينة" ، وعروة بن أذينة هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبري طبع أوروبا المجلد الثاني من القسم الثاني من ١٨٥ و ١٨٦ والكامل طبع أوروبا من ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤

(٢) هذه القصة ساقطة بالأصلين سهوا من الناسخ لأن المكتبي باي بلال إنما هو أخوه مرداس بن أذينة لا هو . أنظر ابن جرير أيضا في ص ١٨٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٩

لِحَيَاةِ قَهَشِيتِ الْأَرْضُ نَفْذِيهِ جَمْعُ قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا بَنِي قَهْلٍ ، إِنِّي لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا
 ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ أَبِي بِمَكَانٍ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، بَنَى لَكُمْ الشَّرَفَ وَنَقَى عَنْكُمْ الْعَارَ
 فَأَصْبَحَ الطَّائِفُ إِذَا فَعَلَ خَيْرًا قَالَ الْعَرَبُ : مِنْ سَخَى لَا يُحَدُّونَ عَلَى الْجُودِ وَلَا يُعَذَّرُونَ
 عَلَى الْبُخْلِ ، وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السَّنِّ مَا تَرَوْنَ وَأَذَانِي بَرْدُ الْأَرْضِ فَأَذُنُوا لِي فِي وَطْءِ فَوَاقِهِ
 مَا أُرِيدُهُ نَفَرًا عَلَيْكُمْ وَلَا احْتِقَارًا لَكُمْ ، وَسَأَخْبِرُكُمْ : مَا عَلَى مَنْ وَضَعَ طَبَقَةً وَقَعْدَ
 حَوْلَهُ إِلَّا أَنْ الْحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَبْذُلَ فِي عَرْضِهِ وَيَتَخَدَّعَ فِي مَالِهِ وَلَا يَحْسَدَ شَرِيفًا وَلَا يَحْقِرَ
 وَضِعْمًا ، فَقَالَ الْقَوْمُ : دَعْنَا الْيَوْمَ ، ثُمَّ غَدَوْنَا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَرِيفِ ضِجُّ الطَّنْثَسَةِ
 وَالْبَيْسِ التَّاجِ ، فَبَلَغَ ابْنَ دَارَةَ الشَّاعِرَ فَأَتَاهُ وَقَالَ : قَدْ مَدَحْتُكَ ، فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ
 حَتَّى أَتَيْتُكَ بِمَا لِي تَمْدَحُنِي عَلَى حَسَبِهِ ، لِي أَلْفُ ضَائِسَةٍ وَأَلْفَا دِرْهَمٌ وَثَلَاثَةُ أَعْيَدٍ ،
 وَفَرَسِي هَذَا خَيْرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، هَاتِ الْآنَ فَقَالَ :

تَمِينَ قُلُوصِي فِي مَعَدٍّ وَإِنَّمَا * تَلَا فِي الرِّبْعِ فِي دِيَارِ بَنِي قَهْلٍ
 وَأَبَى اللَّيَالِي مِنْ عَدَى بْنِ حَاتِمٍ * حُسَامًا كَلَوْنَ الْمَلْعِ سَلٍّ مِنْ الْخِلَالِ
 أَبُوكَ جِسَادٌ مَا يُسْقَى غُبَارُهُ * وَأَنْتَ جَوَادٌ لَسْتُ تُعَذَّرُ بِالْعِلَالِ
 فَانْتَ تَفْعَلُوا شَرًّا فَتُلْكُمُ أَتَقِي * وَإِنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا فَتُلْكُمُ قَهْلٍ

فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ ، لَا يَبْلُغُ مَالِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَشَاطِرُهُ مَالَهُ .

جاء رجل إلى معن فاستحمه عيرًا فقال معن : يا غلام أعطه عيرًا وبغلا وبرذونًا وفرسا
 وسيرًا وجاريةً ، ولو عرفتُ مراكوبًا غيرَ هذا لأعطيتُكَه . وكان يقال : حَدَّثَ عَنْ
 الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ وَعَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَعَنْ مَعْنٍ وَلَا حَرَجَ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ
 لِلْحَكَمِ بْنِ عَوَانَةَ وَهُوَ عَلَى السَّنَدِ : إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ ، فَقَالَ الْحَكَمُ : وَاقِهِ لِأَعْطَيْتُكَ عَطِيَّةً

(١) فِي السَّنَدِ الْقَرِيدِ ، ج ١ ص ١١٧ زِيَادَةُ «وَتَلَاثُ إِهَادَ» .

(٢) رَوَايَةُ السَّنَدِ الْقَرِيدِ ، ج ١ ص ١١٧ «كَصَلِ السَّيْبِ» .

لَا يُعْطِيهِ الْعَبْدُ فَأَعْطَاهُ مَائَةَ رَأْسٍ مِنَ السَّبْيِ، وَتَرَأَتْ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْعَجَمِ أَنَّ جَامِاتٍ كَسَرَى الَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا كَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ، فَسَرَقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ جَامَاً وَكَسَرَى يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رُفِضَتْ الْمَوَائِدُ أَتَفَقَدَ الْعَبَّاحُ الْجَسَامَ فَرَجَعَ يَطْلُبُهَا، فَقَالَ لَهُ كَسَرَى : لَا تَتَمَنَّ أَنْ أَخْذَهَا مَنْ لَا يَرُدُّهَا وَرَأَاهُ مَنْ لَا يُقْبِضُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ حَلَّى سَيْفَهُ وَمِنْطَقَتَهُ ذَهَبًا ، فَقَالَ لَهُ كَسَرَى بِالْفَارَسِيَّةِ : يَا فُلَانُ هَذَا ، يَعْنِي السَّيْفَ ، مِنْ ذَلِكَ قَالَ : نَعَمْ وَهَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى مِنْطَقَتِهِ . قَالُوا : لَمْ يَكُنْ نِخَالِدُ بْنُ بَرَكٍ أَخُ الْآبِجِيِّ لَهُ دَارًا عَلَى قَدَرِ كِفَايَتِهِ وَوَقَفَ عَلَى أَوْلَادِ الْإِخْوَانِ مَا يُعِيشُهُمْ أَبَدًا وَلَمْ يَكُنْ لِإِخْوَانِهِ وَلَدٌ إِلَّا مِنْ جَارِيَةٍ هُوَ وَهَبَهَا لَهُ .

يَلْغُ آبَنُ الْمَقْفَعِ أَنْ جَارًا لَهُ يَبِيعُ دَارًا لَهُ لِدِينِ رَكْبِهِ وَكَانَ يَجْلِسُ فِي ظِلِّ دَارِهِ ، فَقَالَ : مَا قُمْتُ إِذَا بِحِمْرَةٍ ظَلَّ دَارُهُ إِنْ بَاعَهَا مَعْدَمًا وَبِثَّ وَاجِدًا ، فَعَمِلَ إِلَيْهِ مِمَّنِ الدَّارِ وَقَالَ : لَا تَبْسُخْ . قَالَ أَبُو الْيَقْظَانِ : بَاعَ تَهْيُكُ بْنُ مَالِكِ بْنِ مَعَاوِيَةَ إِبِلَهُ وَأَنْطَلَقَ يَتَمَنَّى إِلَى مَتْنِي فَعَمِلَ يُنْبِئُهُ ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : مَجْنُونٌ ، فَقَالَ : لَسْتُ بِمَجْنُونٍ وَلَكِنِّي سَمِعْتُ أَنَّهُمْ مَالِي إِذَا عَزَّ الْفَتْحُ . قَالَ : وَأَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ قَهْرْمَانُهُ بِحَسَابِهِ فَكَانَ فِي أَوَّلِهِ حَبْلٌ بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَقَدْ غَلَّتِ الْحِبَالُ ، فَقَالَ الْقَهْرْمَانُ : إِنَّهُ أَبْرَقُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنْ كَانَ أَبْرَقَ فَاِنَا أُجِيرُهُ ، فَهُوَ الْآنَ مِثْلُ مَضْرُوبٍ بِالْمَدِينَةِ . كَانَ أَبُو سَفْيَانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ جَارٌ قَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَنِي جَارًا بِخَنَائِيَّةٍ يَدُكَ عَلَى دُونِكَ ، وَإِنْ جَسَتْ عَلَيْكَ يَدُ فَاحِشِكَ عَلَى حَكْمِ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ — يُنْتَبِئُ عَلَى نَوْمِ بَحْسَنِ الْخَوَارِ —

هُمْ خُلُطُونِي بِالنَّفْسُوسِ وَدَانُوا * وَرَأَى بَرْكِي ذِي مَنَاكِبٍ مَذْفُوعٍ
وَقَالُوا تَعْلَمُ أَنَّ مَالِكََ إِنْ يُصَبَّبَ * يَعْدُكَ وَإِنْ تُحْبَسَ يَرُدُّكَ وَيَسْقَعُ

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرِ السَّهْمِيُّ عَنْ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَفِيْرَةَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ وَعِزَّةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِيْعَةَ تَرَجَعُوا يَوْمَ الْيَوْمُوكِ

حتى آتَبُوا، فعدا الحارثُ بنُ هشامِ بقاءَ ليشربهُ، فنظر إليه عكرمةُ فقال: ادفعه إلى عكرمةٍ
فنظر إليه عيَاشُ فقال عكرمةُ: ادفعه إلى عيَاشٍ، فلما وصل إلى عيَاشٍ حتى مات ولا عاد
اليهم حتى ماتوا، فُسِمَى هذا حديثَ الكرام. وهذا الحديث عندى موضوع لأن أهل
السيرة يذكرون أن عكرمةَ قُتِلَ يومَ أَجنادينَ، وعيَاشُ مات بمكة، والحارثُ مات
بالشَّامِ في طاعونِ عَمَواسٍ^(١).

أعطى رجلُ امرأةً سألته مالا عظيما، فلاموه وقالوا: إنها لا تعرفك وإنما كان
يُرضيها اليسيرُ، فقال: إن كانت ترضى باليسير فأني لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت
لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

قال بعض الشعراء:

وما خيرُ مالٍ لا يَبْقَى النِّدمُ رَبُّهُ ۝ ونفيسُ أمرٍ في حَقِّها لا يُبَيِّنها
وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِي تُنَوِّقُ إِلَى أُمُورٍ ۝ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَهِنَّ حَالِي^(٢)

نفسي لا تُطَاوِعُنِي بِبُخْلِ ۝ وَمَالِي لَا يُسَلِّفُنِي فَعَالِي^(٣)

وقال أيضا:

ولا أقولُ نَعَمْ يَوْمًا فَأَتِيهَا ۝ مَنَّمَا وَلَوْ ذَهَبَتْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ

ولا أَقُولُ نَعَمْ عَلَى سِرٍّ فَبُحْتُ بِهِ ۝ وَلَا مَدَدْتُ إِلَى غَيْرِ الْجَمِيلِ يَدِي

وقال كعب بن سعد الغنوي:

وذي تَدَبُّبٍ دَائِمِي الْأَطْلُ قَسَمْتُهُ ۝ مَحَافِظَةُ بَنِي وَهَبٍ زَمِيلِي^(٤)

(١) هكذا يفتح أوله وسكون ثانيه كما في التاج وكما نقل هو عن الروض الأنف السليل، ثم نقل
أن أصحاب الحديث يحركون الميم وأن الكوفي في مجيئه ضبطها كذلك. (٢) هو عبد الله بن جعفر كما

في العقد الفريد، ج ١ ص ١١٢ (٣) الذي في ديوان الحامدة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزي «مال».

(٤) في الأصول «ليس يلقه» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الحامدة مع شرح

التبريزي ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأطل بلن الأصعب من الإنسان، ومن الإبل باطن التمس.

وزاد رفعت الكف عنه تجللاً • لأوثر في زادي على أكيلي
وما أنا للشئ الذي ليس نافي • ويفضّب منه صاحبي بقول
وقال زهير:

وأبيض فياض يده غمامة • على متغيه ما تغب نوافله
غدوت عليه غدوة فوجدته • فعوداً لديه بالصريم عواذله
فأعرض منه عن كريم مرزاً • جموع على الأمر الذي هو فاعله
أحي ثقة لا تنهب الخمر^(١) ماله • ولكنه قد يهيب المال نائله
تراه إذا ما حشته مهتلاً • كأنك تعطيه الذي أنت سائله

المداخني قال: أضلّ فيروز بن حصين سوطه يوماً، فأعطاه رجل سوطاً فأمر له
بألف درهم، ثم أتاه بعد حول فقال: من أنت؟ قال: صاحب السوط فأمر له بألف
درهم، ثم أتاه بعد حول فقال: من أنت؟ قال: صاحب السوط، قال: أعطوه
ألف درهم ومائة سوطاً فأنقطع عنه • قال الشاعر:

إني حذت نبي شيطان إذ حدثت • نيران قومي فشبت فيهم النار
ومن تكرمهم في الخيل أنهم • لا يحسب الجار فيهم أنه جار

وقال آخر:

زلت على آل المهلب شاتياً • بعيداً قصي الدار في زمي محلي
فما زال في إطنافهم وأفقادهم • وإكرامهم حتى حبستهم أهلي

وقال آخر:

إذا كان لي شيطان يا أم مالك • فإني لجاري منهما ما تحب

(١) في الأصل «لا يذهب الخمر» وهو تحريف، والتصويب عن الديوان والشعر والشعراء لابن قتيبة

وقال عمرو بن الأهتم :

دَرَيْفِي فَأَتِ الشُّحَّ يَا أُمَّ هَيْثُمَ * لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوفُ
دَرَيْفِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَأَتَنِي * عَلَى الْحَسَبِ الْعَالِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ^(١)
وَمُسْتَنِيحٌ بَعْدَ الْمُدْوَى دَعْوَتُهُ * وَقَدْ كَانَ مِنْ سَارَى الشَّاءِ طُرُوفُ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا * فَهَذَا مَيْتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقُ
أَصَفْتُ فَلَمْ أُخِشْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ * لِأَحْرِمَهُ إِنْ الْفَنَاءَ مَضِيقُ
لَمْ حُرِّكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادُهُ بِأَهْلِهَا * وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ

كانت يقال : للعباس بن عبد المطلب ثوبٌ لِمَارِي بنِ هاشم، وَجَفَنَةٌ لِجَاهِرهِ^(٢)
وَمِقْطَرَةٌ لِجَاهِلِهِمْ. قال بكر بن النطاح :

وَلَوْ خَذَلْتُ أَمْوَالَهُ جَوْدَ كَفَةٍ * لَقَاسَمَ مَنْ رَجَّوَهُ بَعْضَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَحْدِثْ فِي الْعُمَرِ قِسْمًا لَزَائِرِ * بِلَادِهِ بِالشَّطْرِ مِنْ حَسَنَاتِهِ

وقال الفرزدق :

إِنَّ الْمَهَابَةَ الْكَرَامَ تَحْتَمِلُوا * دَفَعَ الْمَكَارَهَ عَنْ ذَوَى الْمَكْرَاهِ
زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسَنِ حَدِيثِهِمْ * وَكَرِهَ أَخْلَاقٍ بِحَسَنِ وَجْهِهِ

كان يقال : الشَّرَفُ فِي السَّرْفِ . قال عامر بن الطفيل :

إِذَا تَزَلَّتْ بِالنَّاسِ يَوْمًا مُلْبَسَةٌ * تَسُوِّقُ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةً إِذَا

(١) في الأصل «الشيخ» وهو تحريف والتصويب عن شرح ديوان الحماسة للبربري، ج ٤ ص ٩٤

(٢) في الأصل : حُطِّي بِالظَّاءِ الْمَجْمُوعَةِ، والتصحيح عن شرح ديوان الحماسة للبربري، ج ٤ ص ٩٤

وتاج العروس في مادة «حط» ويقال كما في أساس البلاغة : «حط في هواء وانحط فيه» أي اندفع فيه

والمراد منه في البيت مساعدته على الجود . (٣) التي في شرح ديوان الحماسة للبربري ج ٤ ص ٩٤

«الواك» . (٤) هي خشبة فيها ثروق كل ثروق على قدم مئة الساق يدخل فيها أربعون المحبوسين .

دَلَقْنَا مَا حَتَّى تُقَوِّمَ مِثْلَهُ * وَلَمْ تَهْدَ عَنْهَا بِالْأَسَنَةِ أَوْ تَهْدَا
وَكَمْ مُظْهِرٍ بِنُضَاءِ وَدَّ أَنَّهُ * إِنْ مَا التَّقِينَا كَلَّا أَخَى الَّذِي أَبَدَى
مَطَاعِمُ فِي اللَّأْوَاطَاعِينَ فِي الْوَعْدِ * شَمَاتْنَا تَنَكُّي وَأَيْمَانُنَا تَسْدَى
وَقَالَ حَاتِمٌ طَبِي:

أَكْفُ يَدِي مِنْ أَنْ تَبَالَأَ كُفَّهُمْ * إِنْ مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَتُنَا مَعَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى * مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا
وَقَالَ جَابِرُ بْنُ حَبَانَ:

إِنْ يَنْقَسِمُ مَالِي بَيْنِي وَنِسْوَقِي * فَلَنْ يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَعْلِي
وَمَا وَجَدَ الْأَضْيَافُ فَيَا يُنُوبُهُمْ * لَمْ عِنْدَ عَلَاتِ الْنفُوسِ أَبَا مِثْلِي
أَهْيَنُ لَمْ مَالِي وَأَعْلَمُ أَتَنِي * مَاؤَرِثُهُ الْأَحْيَاءُ سِيرَةً مِنْ قَبْلِي

كَانَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُوَاخِيَا لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، فَلَمَّا حَبَسَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَزِيدَ
وَمُنِعَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ، أَتَاهُ سَعِيدٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِي عَلَى يَزِيدَ نَحْصُونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ وَقَدْ حَلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَقْضِيهِ ؟ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
فَسَرَّ بِهِ يَزِيدُ، وَقَالَ: كَيْفَ وَصَلْتَ إِلَيَّ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ يَزِيدُ: وَاللَّهِ لَا تَخْرُجُ إِلَّا وَهِيَ
مَعَكَ فَأَمْتَعَ سَعِيدٌ خَلْفَ يَزِيدَ لِيَقْبِضَهَا، فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ

(١) هكذا في الأصل . ونزاهة الحامسة مع شرح التبريزي ج ٤ ص ١١٨

أَكْفُ يَدِي مِنْ أَنْ يَبَالَأَ الْتَمَاسَا * أَكْفُ صِحَّائِي حِينَ حَاجَتُنَا مَعَا

(٢) هكذا في الأصول «حَبَانَ» بالياء الواحدة . والقي في ديوان الحامسة مع شرح الخطيب التبريزي
ج ٤ ص ١١٦ «حَبَانَ» بالياء الثلاثة . (٣) في شرح ديوان الحامسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٦

«وَأُخْرَى» . (٤) الذي في شرح ديوان الحامسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٧ «عِلَاتِ الزَّيْنِ» .

لم أر محبوساً من الناس واحداً * حباً زائراً في السجن غير زيد
سعيد بن عمرو إذ أنه أجازته * بخسين ألفاً عجلت لسعيد

وقال بعض الشعراء

وإني لحلالٌ في الحق، أتقي * إذا نزل الأضياف أن أجهما
إذا لم تكد البائها عن حوسها * حلتنا لهم منها بأسيافا دما

دخل شاعر على المهدي فامتدحه، فأمر له بحال فلما قبضه فزقه على من حضر وقال
لمست بكفى كفه أبغني الفنى * وما خلت أن الجودين كفه بعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الفنى * أفدت وأعداني فبدت ما عدى

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون الهاشمي قال، أخبرني وكيع قال حدثني
أبو العيَّاء قال: كان بالبصرة لنا صديق يهودي وكان ذا مال وقد تأدب وقال للشعر
وعرف شيئا من العلوم وكان له ولد ذكر، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفزقه على
أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثا فعُوتِبَ على ذلك فقال:

رايتُ مالى أبز من ولدي * فاليوم لا تحلة ولا صدقة
من كان منهم لها فابعد الله * ومن كان صالحا رزقه

وحدثني الأخفش بهذا الخبر عن البرد عن الرياشي والله أعلم

نجز الجزء الثالث وبه ينتهى المجلد الأول ويتلوه في أول المجلد الثاني
الجزء الرابع وبه كُتِبَ الطبائع

عُبُونُ الْإِسْبَارِ

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيِّ

المُتَوَفَّى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثاني

كتاب الطبائع والأخلاق المضمومة - كتاب العلم واليان - كتاب الزهد



الهيئة الوطنية للأرشيف والمكتبات

فهرس

المجلد الثاني من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

صفحة	
١	تشابه الناس في الطبائع وذمهم
٥	رجوع المتخلف إلى طبعه
٧	باب الشيء يفرط فينتقل إلى غير طبعه
٨	باب الحسد
١٢	باب الغيبة والعيوب
٢٠	باب السعاية
٢٥	باب الكذب والفتنة
٣٠	باب سوء الخلق وسوء الحوار والسباب والشر
٣٧	باب الحق
٦٢	طبايع الإنسان
٦٩	ما نقص خلقه من الحيوان
٧٠	المشتركات من الحيوان
٧١	المتعديات
٧١	الأمثال المضروبة بالطبايع
٧٣	الأنعام
٧٨	السباع وما شاكلها

صحيحة

٨٢	الذئب ...
٨٣	الفييل ...
٨٣	الفهد ...
٨٣	الأرنب ...
٨٤	القرود والدب ...
٨٤	مسايد السباع العادية ...
٨٥	النعام ...
٨٨	الطير ...
٩٢	البيض ...
٩٢	الخفاش ...
٩٣	الخطاف والزرزور ...
٩٣	الغبياب والحدأة ...
٩٤	الغراب ...
٩٤	القطا ...
٩٤	باب مسايد الطير ...
٩٥	الحشرات ...
١٠٥	النبات ...
١٠٨	المجاعة ...
١٠٩	الجن ...

كتاب العلم والبيان

١١٧	العلم ...
١٣٠	الكتب والحفظ ...
١٣١	القرآن ...

صفحة	
١٣٤	الحديث
١٤٠	الأهواء والكلام فى الدين
١٥٢	الرد على الملحدين
١٥٥	الإعصاف والمنح
١٦١	التشادق والتزريب
١٦٦	وصايا المعلمين
١٦٨	اليانف
١٨١	الاستدلال بالعين والإشارة والنسبة
١٨٢	الشعر
١٨٦	حسن التشبيه فى الشعر
١٩١	الآيات التى لا مثل لها
١٩٧	التلطف فى الكلام والجواب وحسن التريض
٢١٥	مقطعات ألفاظ تقع فى الخطاب والكلام
٢٢٥	ألفاظ تقع فى كتب الأمان
٢٢٦	ألفاظ تقع فى كتب اليهود
٢٣١	الخطب
٢٣١	خطبة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه
٢٣٢	خطبة لأبى بكر أيضا
٢٣٣	خطبة أبى بكر رضى الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة
٢٣٤	خطبة لأبى بكر رضى الله عنه
٢٣٤	خطبة لعمربن الخطاب رضى الله عنه
٢٣٥	خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه
٢٣٥	خطبة لعل بن أبى طالب رضى الله عنه
٢٣٦	خطبة على بعد مقتل عثمان

صفحة	
٢٣٦	خطبة أيضا لعل رضى الله عنه
٢٣٧	خطبة لمعاوية رحمه الله
٢٣٨	خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية
٢٣٩	خطبة لعتبة بن أبى سفيان
٢٣٩	خطبة لعتبة أيضا
٢٤٠	خطبة لعبد الله بن الزبير
٢٤١	خطبة زياد البراء
٢٤٣	خطبة للمهاج حين دخل البصرة
٢٤٤	خطبة للمهاج أيضا
٢٤٥	خطبة أخرى للمهاج حين أراد الحج
٢٤٥	خطبة للمهاج أيضا
٢٤٦	خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله
٢٤٦	خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد
٢٤٧	خطبة للمهاج
٢٤٧	خطبة سليمان بن عبد الملك
٢٤٨	خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد
٢٤٩	خطبة أبى حمزة الخاريجي
٢٥٠	خطبة لقطرى الخاريجي
٢٥١	وفى خطبة ليوسف بن عمر
٢٥١	وفى خطبة للمهاج
٢٥١	خطبة للنصور
٢٥٢	خطبة لداود بن علي
٢٥٢	خطبة لداود بن علي أيضا
٢٥٣	خطبة لأعرابي

صفحة	
٢٥٣	خطبة المامون يوم الجمعة...
٢٥٤	وفي خطبة المامون يوم الاثنين بعد التكبير الأول...
٢٥٥	وفي خطبة المامون يوم الفطر بعد التكبير الأول...
٢٥٦	كلام من أرتج عليه...
٢٥٨	المنابر...

كتاب الزهد

٢٦١	ما أوحى الله جل وعز إلى أنبيائه عليهم السلام
٢٧٧	الدعاء
٢٩١	المناجاة
٢٩٣	باب البكاء
٢٩٨	التهجد
٣٠٢	الموت
٣١٩	الكبر والمشيب
٣٢٧	الدنيا

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

٣٣٣	مقام صالح بن عبد الحليل بن يدي المهدي
٣٣٣	مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور
٣٣٦	مقام آخر والمنصور يطلب
٣٣٧	مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور
٣٣٧	مقام أعرابي بين يدي سليمان
٣٣٨	مقام أعرابي بين يدي هشام
٣٣٨	مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

فهرس المجلد الثاني

صفحة	
٣٤١	مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام...
٣٤٣	مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز...
٣٤٣	مقام الحسن عند عمر بن هبيرة...

باب من المواعظ

٣٤٤	كلام للحسن
٣٤٤	كلام لبعض الزهاد...
٣٤٥	كلام لغيلان...
٣٤٦	كتاب رجل إلى بعض الزهاد
٣٤٦	وكتب رجل من العباد إلى صديق له ، وجواب صديقه عليه
٣٥٠	موعظة مستعملة
٣٥١	موعظة لعمر بن عتبة
٣٥١	صفات الزهاد
٣٥٨	كلام من كلام الزهاد

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابه الناس في الطبائع وذمهم

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يحيى بن هاشم النّسائي عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصمب بن سعد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناس بأزمانهم أشبهُ منهم بأبائهم . قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال قال أبو الدرداء : «وجدتُ الناسُ أخْبَرَقَهُ ^{وَالْأَقْرَبَهُ}» .
- قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا شريح بن النعمان عن المَعافى بن عمر أن عمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بقوم يَبْعُونَ رجلاً قد أُخِذَ في رِيَّةٍ فقال : لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في الشر .

قال وحدثني محمد بن داود قال ، حدثنا الصّلتُ بن مسعود قال حدثنا عثامُ ابن علي عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عبيدة أن الوليد السّوائي قال : لَقَدْ قَوْمٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : يا رسول الله لو نَبَّهْتَهُمْ ! فقال : «لَوْ نَبَّهْتُهُمْ أَنْ يَأْتُوا الْجَحْوَ لَأَمَاءَ بَعْضُهُمْ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَاجَةٌ» .

- (١) القلة البغض وهو من باب ضروري ورضي وإلها فيه للسكت إذ أصله أخير الناس يتعلمون خلف الضمير وحمل محله المماثلة وروى برفع الناس على الحكاية كقولهم * سميت الناس بضمير غيث * البيت . ومعناه وجدت : الناس مقول فهم ذلك . وروى أيضا بنصبه ، وتقديره وجدت : الناس أخبر قله أي وجدت الأمر كذلك ، وعلى كل حال فلفظه فقط الأمر ومعناه انظر ، يريد أنك إذا خبرتهم فليتهم ، وهو شغل يضرب في ذم الناس وسوء ما قرئتهم .

قال وحُذِّثنا عن عَفَّانَ عن مَهْدَى بن ميمون عن غِيلَانَ بن جرير قال قال مطرف:
 هم الناس وهم النَّسَناس وناسٌ عُجِسُوا في ماءِ الناس .
 قال يونس بن عُبيد : لو أُمِرْنَا بالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا .
 وكان يقال : لو نُهِى النَّاسُ عن قَتِّ الْبَحْرِ لَفَتُّوه ، وقالوا : ما نُهِيتُ عنه إلا وفيه
 شيء . وقال الشاعر :

ولما أن أتيتُ بنى جَوَيْنَ • جلوساً ليس بينهمُ جَلِيسُ
 يَتَسْتَمِنَ الَّتِي أَقْبَلْتُ أَبْنَى • لِسِيَمٍ ، إِنْنى رَجُلٌ يَثُوسُ
 إذا ما قُلْتُ أَيُّهُمْ لِيَأْنِي • تَسَاهَيْتِ الْمَنَاقِبُ وَالرَّهَوسُ
 ويقال : « لا يزالُ النَّاسُ يَخِيرُ ما تَبَايَنُوا فإِذا تَسَاوَوْا هَلَكُوا »^(١) .

وقال آخر :

النَّاسُ أَسْوَءُ وَشَقَّ في الشِّيمِ • وَكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُم بَيْتُ الْآدَمِ

وقال آخر - يذكر قوماً -

سِوَاهُ كَأَسْتانِ الْحَمَارِ وَلَا تَرَى • لِيَذِي شَيْئَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِئٍ فَضْلا

وقال آخر :

« سَوَاسِيَةُ كَأَسْتانِ الْحَمَارِ »^(٥)
 وكان يقال :

« الْمَرْءُ تَوَاقَى إِلَى ما لم يَسَلْ »^(٥)
 والحجيم يقول : كُلُّ عَرٍّ دَخَلَ تحتَ الْقَدْرِهْ فهو ذَلِيلٌ .

(١) أوردته المبدئي في جمع الأشكال بلفظ « لن يزال الناس » الخ وسأفه ابن الأثير في النهاية والمرغص
 في تاج العروس على أنه حديث وأورداه بلفظ « لا يزال الناس يخير ما تفاضلوا » الخ .

(٢) رواه في اللسان : الناس أحياف الخ ، والأحياف الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال .

(٣) كذا بالأصل . وفي اللسان « سواس » والبيت منسوب فيه لكثير .

(٤) كذا بالأصول . وفي اللسان « فاس » . وفي جمع الأشكال « غلا » ، ولا يخفى أنَّ الغاء هنا أحسن
 موضعاً من الرواد وأنسب للسباق . (٥) كلاماً مثل كافٍ في جمع الأشكال ولسان العرب .

وقالوا : كُلُّ مقدورٍ عليه تَمَلُّوْهُ مَحْقُوْرٌ .

وقال الشاعر :

وزاده كَلَّفَ بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ * أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا

وقال آخر :

تَرَى النَّاسَ أَسْوَاءَ إِذَا جَلَسُوا مَعَا * وَفِي النَّاسِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ
وَيَقَالُ : النَّاسُ سَيْلٌ وَأَسْرَابٌ طَيْرٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

وقال طَرْفَةُ :

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَتُهُ * لَا تَرَكَ اللَّهُ وَاحِدَهُ
كُلُّهُمْ أَرْوَعٌ مِنْ قُلُوبٍ * مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

وقال آخر :

فَإِنَّكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ حَوْلٍ * أَطْلَى كَانَ أَمَّكَ أَمْ خَسِرَ
فَقَدْ لَحِقَ الْأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي * وَمَا جِئْتُ لَكُمْ وَأَخْتَلَطُ النَّجَارُ
وَعَادَ الْبِدْءُ مِثْلَ أَبِي قَيْسٍ * وَسِيقَ مَعَ الْمُطْلَهَةِ الْعِشَارُ^(١)
يقول : سِيقَتِ الْإِبِلُ الْحَوَامِلُ فِي مَهْرِ اللَّثِيْمَةِ .

(١) كما بالأصول . وفي لسان العرب في مادة «حب» :

* وَحَبَّ شَيْئًا إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا *

وأصله حَبَبٌ بِضَمِّ الْبَاءِ ثُمَّ أَكْسَنْتُ وَأَدْخَمْتُ فِي الثَّانِيَةِ ، وَمَا فِي قَوْلِهِمَا مُنَعَانِي مَوْضِعَ الرِّفْعِ يَجِبُ .

(٢) وفي رواية حكاهما صاحب خزانة الأدب في ج ٣ ص ٢٣١ «القتد» بكسر القاف، وسكون النون بدل البعد، وقصره بأنه قطعة من الجبل طولاً، وقيل بالجبل العظيم . وأبو قيس جبل بمكة والمراد به الرجل الشريف كما يراد بالقتد الرجل الوضع .

(٣) المطلهية : المرأة القليلة الأصل الفاسدة النسب . ورواه سيوري في كتابه عن خدائش بن زهير

ج ١ ص ٢٢ * وصار مع المطلهية المشار *

قال أبو محمد: بلغني عن إسماعيل بن محمد بن محمد بن محمد عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: اسمع حسيسا ولا أرى أنيسا، صبيان حيارى ما لم تهاقدوا^(١) [عقولهم] وفرأش نار وذي بأن طمع.

وقال أبو حاتم عن الأصمعي: لو قسمت في الناس مائة ألف درهم كان أكثر^(٢) للآتيي من لو أخذتها منهم.
ونحوه قول محمد بن الجهم: منع الجميع أرضى للجميع.

وقال ابن بشير:

سَوْدَةُ النَّاسِ كُلُّهُمْ * أَنَا فِي هَذَا مِنْ أَوْلِيهِمْ
لَسْتُ تَدْرِي حِينَ تَلْسِيهِمْ * أَيْنَ أَدْنَاهُمْ مِنْ أَفْضَلِيهِمْ

وقال نهار بن تَوَسَّعَة:

عَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا قَدَدْتُهُ * وَجَرْتُ أَقْوَامًا يَكِيْتُ عَلَى سَلَمٍ
وهذا مثل قولهم: ما يكيْتُ من زمان إلا يكيْتُ عليه.

وقال الأحنف بن قيس:

وَمَا مَرَّ يَوْمٌ أَرَيْتِي فِيهِ رَاحَةً * فَأَخْبَرُهُ إِلَّا بِصَكِيْتُ عَلَى أَمْسٍ

وقال آخر:

وَنَسِيتُ أَحْيَانًا عَلَيْهِ وَلَوْ مَضَى * لَكَا عَلَى الْبَاقِي مِنَ النَّاسِ أُخْتَبَا

وقال آخر:

سَبَّكَاهُ وَنَحَسَّ بِهِ بُلَيْنَا * فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

قال، وحديثي أبو حاتم، قال حديثي الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال:

لَا يَزَالُ فِي النَّاسِ يَقِيَّةٌ مَا تُعْجَبُ مِنَ السَّجَبِ.

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ (٢) في النسخة القتوفرافية «أن» بدل من.

رجوع المتعلق إلى طبعه

بلغني أن أعرابياً ربى يرو ذئب حتى شب وظرب أنه يكون أغنى عنه من
الكلب وأقوى على الذئب عن الماشية فلما قوى وثب على شاة فقتلها وأكل منها
فقال الأعرابي:

أَكَلْتُ شُوتِي وَدَيْتُ فِينَا * قَا أَدْرَاكَ أَنَّهُ أَبَاكَ ذَيْبٌ
وَيُرْوَى:

* وَلِدَتْ بِقَفْرَةٍ وَنَشَأَتْ عِنْدِي *

إذا كان الطبايع طبايع سوء * فليس يتأفع أدب الأديب^(١)

وقال الخرمي:

يُلَامُ أَبُو الْفَضْلِ فِي جُودِهِ * وَهَلْ يَمْلِكُ الْبَحْرُ إِلَّا قِيَصًا
وقال أبو الأسد:

وَلَا تَمِمْ لَأَمَّاكَ يَا قَيْصُ فِي النَّدَى * فَكَلْتُ لَهَا هَلْ يَقْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
أَرَادَتْ لِيَتَغْنَى الْقَيْصُ عَنْ عَادَةِ النَّدَى * وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتْنَى السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الْقَيْصِ فِي كُلِّ بَلَدٍ * مَوَاقِعُ مَاءِ الْمُرْنِ فِي الْبَلَدِ الْفَقِيرِ
وقال كثير:

وَمَنْ يَتَدَعُ مَا لَيْسَ مِنْ مَوْسِمٍ نَفْسِهِ * يَذْمُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا
وقال زهير:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلْقِيَّةٍ * وَإِنْ خَالَهَا تَتَحَقَّى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

(١) كذا في الأسرل، وطبع يكون في البيت لقراء، وروى في حياة الحيوان ج ١ ص ٣١٢

٢٠ * ليس يتأفع فيها الأديب * وهذا يكون البيت سالماً من هذا العيب .

(٢) القى في اللسان : « ين يحيم » وانحيم بالطيحة والأمل كالسوس .

وَأَنْشَدَنِي أَبْنُ الْأَعْرَابِيِّ لَدَى الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِ :

كُلَّ أَمْرٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِنَيْبِهِ * وَإِنْ تَخَلَّقْ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ

وقال آخر:

ارْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدَنُهُ * إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْبَى دُونَهُ الْخُلُقُ

وقال كثير في خلاف هذا:

وَفِي الْحِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لِلرَّوَاغِ * وَفِي تَرْكِ أَهْوَاءِ الْفَوَادِ الْمَتَمِّ

بَصَائِرُ رُشْدٍ لِلْفَتَى مُسْتَبِينَةٍ * وَأَخْلَاقُ صِدْقٍ عَلَيْهَا بِالْعِلْمِ

وبحوه التلمس:

تَجَاوَزَ عَنِ الْأَدْنَى وَأَسْتَبَقَ وَدَعَمُ * وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمُ حَتَّى تَحْتَلِمَا

وقال الطائي:

لَيْسَ الشَّجَاعَةُ إِنَّمَا كَانَتْ لَهُ * قَدِيمًا تَسُوْعًا فِي الصَّبَا وَلَدُونًا

بَأْسًا قَبِيلِيًّا وَبَأْسَ تَكْرُمٍ * فِينَا وَبَأْسَ قَرِيْبَةٍ مَوْلُونَا

وقال أبو جعفر الشُّطْرَنْجِيُّ مَوْلَى الْمُهَدِّيِّ فِي مَوَدَّاءَ:

أَشْبَهَكَ الْمَسْكُ وَأَشْبَهَنِي * قَائِمَةً فِي لَوْنِهِ قَائِعِدَةً

لَا شَكَّ لِيْذُنُوكُنَا وَاحِدٌ * أَنْكُمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

وقال أبو نُوَاسَ:

تَلَقَّى النَّدَى فِي غَيْرِهِ عَرَضًا * وَتَرَاهُ فِيهِ طَبِيعَةً أَهْمَلًا

وَإِذَا قَرَنْتَ بِسَاقِلِ أَمَلًا * كَانَتْ نَتِيجَةُ قَوْلِهِ فِعْلًا

وَأَنْشَدَنَا الرَّيَّاشِيُّ:

لَا تَصْحَبَنَّ أَمْرًا عَلَى حَسَبٍ * إِنِّي رَأَيْتُ الْأَحْسَابَ قَدْ خَلَّتْ

(١) القى في اللسان في مادة «حلم» وكتب سيوه ج ٢ ص ٢٤٠ «نحلم» .

(٢) القى في الديوان «حَمَّ» بدل «فينا» .

مَالِكٌ مَنْ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لَهُ * أَبَا صَكْرِيَا فِي أُنْثَى سَلَفَتْ
بَلْ أَصْحَبْتُهُ عَلَى طَبَائِعِهِ * فَكُلُّ نَفْسٍ تَجْرِي كَمَا طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس :

إِنَّكَ لَمْ تَكْ كَابْنِ الشَّرِيدِ * وَلَكِنْ أَبُوكَ أَبُو سَالِمٍ
حَمَلْتَ الْمَيْتَ وَأَتَمَّلَا * عَلَى أَذُنِي فَعُذِيَ رَأِيمِ
وَأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شَرَّ الْجَدِّ * دِ الْعِرْقُ يَسْرِي إِلَى النَّائِمِ

وقال بعض العبدین :

وَمَا يَسْتَوِي الْمَرْءُ هَذَا أَبْنُ حُرَّةٍ * وَهَذَا أَبْنُ أُخْرَى ظَهَرُوا مُتَشَرِّكُ
وَأَدْرَكَهُ خَالَاتُهُ خَفَلَانَهُ * أَلَا إِنَّ عِرْقَ السُّوءِ لَا يَذْهَبُ بِدُرِّكَ

باب الشيء يفرط فيثقل إلى غير طبعه

قرأت في كتاب للهند : لا ينبغي الخلاج في إسقاط ذى الهمة والراى وإذاته فإنه
إنما شرس الطبع كالحية إن وطئت فلم تلتع لم يفتربها فيماد لوطتها ، وإما مبيح
الطبع كالصندل البارد إن أفرط في حكة عاد حارًا مؤذيا . وقال أبو نواس :

قُلْ لِهَيْبِرِ إِنَّا حَادٍ وَشَدَا * أَقِيلٌ وَأَكْثَرُ غَانَتْ مِهْدَارُ
تَغْنَّتْ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى صِرَتْ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
لَا يَجِبُ السَّامِعُونَ مِنْ صَفْقِ * كَذَلِكَ الشَّلَجُ بَارِدٌ حَارٌ

وقال : إنما ملح القرد عند الناس لإفراط قبعه . قال الطائي :

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكَرِهِ مِنْ تَجْبِيته * وَالنَّارُ قَدْ تَنْتَفَى مِنْ نَاضِرِ السَّلَمِ

(١) في الأصل: «تفتى» والصواب من الحيوان .

أَمِنْ عَمِّي نَزَلَ النَّاسُ الرَّبِّي فَتَجَوَّا * وَأَتَمُّ نَضْبُ سَيْلِ الْفِتْنَةِ الْعَرِمِ
أَمْ ذَلِكَ مِنْ هَيْمٍ جَاشَتْ فِكْمُ صَعَةٍ * حَذَا إِلَيْهَا غُلُو الْقُومِ فِي الْهَيْمِ
وَكَانَ يُقَالُ : مِنْ التَّوَقُّى تَرَكُ الْإِفْرَاطُ فِي التَّوَقُّى

باب الحسد

- ٥ قال حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أُمَيَّة
قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلُمُ مِنْهُمْ أَحَدُ الطَّيْرِ وَالْطَّنِّ
وَالْحَسَدِ" قيل : فما المخرجُ منهم يا رسول الله ؟ قال : "إِذَا تَطَلَّيْتُ فَلَا تَرْجِعْ وَإِذَا ظَنَنْتَ
فَلَا تُحَقِّقْ وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَتَّبِعْ" . وقال بكر بن عبد الله : حَصَّتْكَ مِنَ الْبَاغِي حَسَنُ
الْمُكَاشَرَةِ ، وَذُنُوبُكَ إِلَى الْحَاسِدِ دَوَامُ النِّمَمِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْكَ . وقال زَوْجُ بْنُ زَيْنَبٍ الْجَدَائِي :
كُنْتُ أَرَى قَوْمًا دُوِّي فِي الْمَتَلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ يَدْخُلُونَ مَدَاخِلَ لَا أَدْخُلُهَا فَلَمَّا
أَذْهَبْتُ عَنِّي الْحَسَدُ دَخَلْتُ حَيْثُ دَخَلُوا . وقال ابنُ حُمَامٍ :
تَمَّتْ لِي الْمَوْتُ الْمَعْبُولُ خَالِدٌ * وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدَهُ
وقال الطائي :

وإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ * طَوَّيْتُ أُنَاحَ لِسَانٍ حَسُودٍ
لَوْلَا أَشْتِمَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرْتُ * مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرِفِ الْعُودِ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْمَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ * لِلْحَاسِدِ التُّنْمَى عَلَى الْحَسُودِ

- وقال عبد الملك للحجاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه فعب نفسك
قال : أَعْفَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : لَتُفْعَلَنَّ . قال : أَنَا بِلُجُوحِ حَقُودِ حَسُودٍ ، قال عبد الملك :
مَافِي الشَّيْطَانِ شَرٌّ مِمَّا ذَكَرْتَ . قال بعض الحكماء : الحسدُ من تَعَادَى الطَّيَاحِ وَخْتِلَافِ
التَّرَكِيبِ وَفَسَادِ مِزَاجِ الْيَقِينِ وَضَعْفِ عَقْدِ الْعَقْلِ وَالْحَامِدُ طَوِيلُ الْحَمَرَاتِ .

قال ابن المقفع : أقل ما تترك الحسد في تركه أن يصرّف عن نفسه عذابا ليس
يُذكر به خطأ ولا غافظ به عدوّ ، فإنما لم تَرَ ظالماُ أشبه بمظلوم من الحاسد ، طولُ
أسف ومخالفةُ كآبةٍ وشدةُ محرق ، ولا يرجح زاريا على نعمة الله ولا يحد لها حزا إلا
ويكدر على نفسه ما به من النعمة فلا يحد لها طعنا ولا يزال ساخطا على من لا يترضاه
ومستخطا لما لن يتأل فوجه ، فهو منغص المعيشة دائم السخطة عروم الطلبة ، لا بما قسم
له ينعى ولا على ما لم يقسم له يغلب ، والمحسود يتقلب في فضل الله مباشرة السرور
متنعبا به ممهلا فيه إلى مئة ولا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص .

قيل للسن البصرى : أئحسد المؤمن أخاه ؟ قال : لا أبأ لك ، أنسيت إخوة
يوسف . وكان يقال : إذا أردت أن تسلم من الحاسد فقم عليه أمورك . ويقال :
إذا أراد الله أن يسلب على عبده عدوا لا يرجمه سلط عليه حاسدا . وقال المتني
— وذكر ولده الذين ماتوا —

وحتى يَكسى لي حاسدهم * وقد أفرحوا بالدموع العيون

وحسبك من حاديت بأمرئ * يرى حاسديه له راجين

قيل لسفيان بن معاوية : ما أسرع حسد الناس إلى قومك ! فقال :

إك العرائس تلقاها محسنة * ولا ترى ليطام الناس خادا

وقال آخر :

وترى اللبيب محسنا لم يحترم * شتم الرجال وعرضه مشنوم

حسدوا القوي إذ لم يتألوا سعيه * فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسنة قلن لوجهها * حسدا وظلما إنه لديم

(١) في النسخة الأصلية «أترعوا» . (٢) هكذا في النسختين بالذال المعجمة وهي رواية

تليق ، قال صاحب السان : وقد رد ذلك عليه . والأصح رواية : «إنه لديم» بالذال المهملة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدو مهين لا يترك وتره إلا بالتمنى . قيل لبعضهم :
أى الأعداء لأتحب أن يعود لك صديقا ؟ قال : من سبب عداوته النعمة . وقال
الأحنف : لا صديق لمأول ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لبخيل
ولا مؤدب لسيئ الخلق . وقال معاوية : كل الناس أستطيع أن أَرْضِيَهُ إلا حاسد نعمة
فإنه لأَرْضِيَهُ إلا زوالها . وقال الشاعر :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا * إِلَّا عِدَاوَةَ مَنْ عَادَلَكَ مِنْ حَسَدٍ

وفى بعض الكتب يقول الله : الحاسد مدو ليمتى متسخط لقضائى غير راض
يقسمى بين عبادى . وكان يقال : قد طلبك من لا يقصر دون الظفر وحسدك من
لا ينأى دون الشفاء . وخطب المجاهج يوما يستقبأذ بقول سويد بن أبي كاهل :

كَيْفَ يَرْجُونَ مِيقَاتِي بَعْدَ مَا * جَلَّ الرَّاسُ بِيَاسٍ وَصَلَّ

رُبَّمَا أَنْضَجَتْ خَيْطًا صَدْرُهُ * قَدْ غَنَى لِي مَوْتًا لَمْ يَطْلُعْ

وِرَائِي كَالشَّجَا فِي حَلْفِهِ * عَمِرًا مَحْرَجُهُ مَا يُنْتَرَعُ

مُزِيدًا يَحْطِرُ مَا لَمْ يَرِنِ * فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي أَتَمَمَ

لَمْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسَدَنِي * فَهُوَ يَزُقُّ مِثْلَ مَا يَزُقُّ الضُّوْعُ^(١)

وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ * وَإِذَا يَحْلُوهُ لَحْمِي رَتَعَ

قَدْ كَفَّانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ * وَإِذَا مَا يَكْفُ شَيْئًا لَا يَضَعُ^(٢)

وقال آخر :

إِنْ تَحْسَدُونِي فَلَيْ لَا أَلُومُكُمْ * قَبْلَ يَنْ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا

(١) الضوع : طائر ليل .

(٢) كذا بالأصول . وفى الشعر والشراء لابن تيمية * وفى ما يتبين شيئا لم يضع *

فَدَامَ لِي وَلَكُمْ مَا فِي وَمَا بِيكُمْ * وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا بِيَدِي
أَنَا الَّذِي تَجِدُونِي فِي حُلُوقِكُمْ * لَا أُرَتِّي صُعْدًا فِيهَا وَلَا أَرُدُّ

وقال بعضهم : الحسدُ أوَّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به في السماءِ ، يني حسدُ إيليسَ آدمَ ، وأوَّلُ
ذنبِ عُصِيَ اللهُ به في الأرضِ ، يني حسدُ ابنِ آدمَ أخاهِ حتى قتله . وأنشدني شيخُنا عن
أبي زيد الأعرابي :

لَا يَهْبِلُ الرُّشْدَ وَلَا تَرْعَوِي * ثَانِيَ رَأْسِ كَابِرٍ عَسَوَاءِ
حَسَدَتْنِي حِينَ أَقْنَعْتُ التُّنْي * مَا كُنْتُ إِلَّا كَابِرَ حَسَوَاءِ
عَادَى أَخَاهُ مُحَرِّمًا مُسَلِّمًا * بَطْنِيَةِ فِي الصُّلْبِ تَجَلَاءِ
وَأَنْتَ تَقْلِبُنِي وَلَا ذَنْبَ لِي * لِكَيْفِي حَالِ أَجْبَاءِ
مَنْ يَأْخُذُ النَّارَ بِأُطْرَافِهِ * يَنْتَضِعُ عَلَى النَّارِ مِنَ الْمَاءِ

مرَّ قيسُ بنُ زُهَيْرٍ ببلَدٍ غُطْفَانٍ فرأى ثَرَوَةً وَجَمَاعَاتٍ وَعِدَدًا فَكَّرَهُ فَلَكَ ، قَالَ
لَهُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ : إِنَّهُ يَسُوءُكَ مَا يَسُرُّ النَّاسَ ! فَقَالَ لَهُ : يَا أُنْحَى إِنَّكَ لَا تَدْرِي ، إِنَّ
مَعَ الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ التَّجَاسَدَ وَالتَّخَالَفَ ، وَإِنَّ مَعَ الْقِلَّةِ التَّحَاشُدَ وَالتَّنَاصُرَ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا قَدْ أَتَتْ لَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، فَقُلْتُ لَهُ :
مَا أَطْوَلُ عَمْرُكَ ! فَقَالَ : تَرَكْتُ الْحَسَدَ فَبَقِيتُ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْحَكَمِ التُّفَيْفِيُّ :

تَمَلَّأْتُ مِنْ غِيظٍ عَلَى فَلَمْ يَزَلْ * بِكَ التَّيْظُ حَتَّى كَدْتُ بِالْقَيْظِ تَلَشُّوِي
وَمَا يَرَحْتُ نَفْسُ حَسُودٍ حَسِيَّتَهَا * تُنْبِئُكَ حَتَّى قِيلَ هَلْ أَنْتَ مُكْتَوِي
وَقَالَ النَّطَّاسِيُّونَ إِنَّكَ مُشْعَرٌ * سَلَا أَلَا بَلْ أَنْتَ مِنْ حَسِيدِ جَوِي^(١)

(١) في النسخة الألمانية : ما أطول .

(٢) في الأصل : «ذَرَى» والتصريح عن خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٩٧ و «جَوِي» من
الجَوَى وهو السَّلَّ وِدَاءُ في الصدر .

بدا منك غش طالبا قد كتمته * كما كتمت داء أبنا أم مئوي
جمعت وحشا غيسة ونيمحة * خللا ثلاثا لست عنها يمرعوي
وكان يقال : سئة لا يتلون من الكتابة : رجل أفتقر بعد غنى ، وغنى يخاف على
ماله التوى ، وحفود ، وحسود ، وطالب مرتبة لا يبلغها قدره ، ومخالط الأدباء
بغير أدب .

باب الغيبة والعيوب

قال حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء عن ابن حشيم^(٢)
عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
«ألا أخبركم شراكم» قالوا : بلى ، قال : «من يشارك المشاءون بالتيمة المفلسون بين
الأحبة الباغون البراءة لست» .

قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
الأجلع عن الشعبي قال : سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر : يا أيها الناس خذوا
على أيدي سفهائكم ، فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنا قوم ركبوا
البحر في سفينة ، وأقسموها فأصاب كل واحد منهم مكان ، فأخذ رجل منهم الفأس
فنقر مكانه ، فقالوا : ما تصنع ؟ فقال : مكاني أضنع به ما شئت ، فإن أخذوا على
يديه تجأ وتجأ ، وإن تركوه غرقوا وغرق» .

بلخى عن حماد بن زيد عن ابن عون قال ، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أصبح
فيه لا يرميني الناس بداهية إلا كان نعمة من الله علي . وقال حسان : قلت شعرا
لم أقل مثله :

وإن أمرأ أمتى وأصبح سالما * من الناس إلا ما جنى لسييد

(١) في النسخة التنويرية «ومخالطة» .

(٢) في الأصل : «عطاء» بالترخيص والصوب عن تهذيب التهذيب .

وبلغني عن ابن عينة قال، قال مسعر : ما نصحتُ أحدا قط إلا وجدته يفتش عن عيوبي . وقال بعضهم : مَنْ عَابَ سَفَلَةً^(١) قَدْ رَفَعَهُ ، وَمَنْ عَابَ شَرَفًا قَدْ وَضَعَهُ نَفْسَهُ . وقال عمر بن الخطاب : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي

أحمد بن يونس عن الضَّحِيلِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : إِنْ الْفَاحِشَةُ لَتَشِيعُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا حَتَّى إِذَا صَارَتْ إِلَى الصَّالِحِينَ صَارُوا مَا خُرُفَاتُ^(٢) . قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ أَيْضًا : حَسَنَاتُكَ مِنْ عَدْوِكَ أَكْثَرُ مِنْهَا مِنْ صَدِيقِكَ ، لِأَنَّ عَدْوَكَ إِذَا ذُكِرْتَ عَنْهُ يَتَابُكَ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ إِلَيْكَ الْمُسْكِينُ حَسَنَاتِهِ

محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثنا ابن عون قال : مرَّ ابن سيرين بقوم فقام إليه رجل فقال : يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَدْ نَلْنَا مِنْكَ خَلْلًا^(٣) ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَهْلُ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَأَمَا مَا كَانَ إِلَيَّ فَهُوَ لَكَ .

محمد بن مسلم الطائفي^(٤) قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : بلغني أنك نلتَ مِنِّي ، فقال : نَعِمَی أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ .

الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال : أَخُ لَكَ كُلُّمَا لَقَيْكَ أَخْبِرَكَ بِسَبِّكَ خَيْرُكَ مِنْ أَخٍ لَكَ كُلُّمَا لَقَيْكَ وَضَعَ فِي كَفِّكَ دِينَارًا .

شريك عن عَقِيلٍ قَالَ ، قَالَ الْحَسَنُ : لَا غِيَةَ إِلَّا لِلثَّلَاثَةِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ بِالْفَسَقِ ، وَبَدَأَ بِدَعْوَةٍ ، وَإِمَامٌ جَائِرٌ . وَكَانَ يُقَالُ : [مَنْ أَغْتَابَ^(٥)] خَرَفَ وَمَنْ أَسْتَغْفَرَ اللَّهَ رَفَأَ .

(١) كذا في الأصل ، وفي لسان قلا عن الجوهري : يقال : هُوَ مِنَ السَّفَلَةِ وَلَا يُقَالُ : هُوَ سَفَلَةٌ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْعَامَّةُ يَقُولُ : رَجُلٌ سَفَلَةٌ مِنْ قَوْمٍ سَفَلٍ . قَالَ ابْنُ الْأَثَرِ : وَلَيْسَ بِهَرَبٍ . ثُمَّ أورد صاحب لسان الحكاية وقال : ظاهراً هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال لفراد سَفَلَةٌ .

(٢) في الأصول «سالم» والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ ويؤيده أن الموجود في كتب التراجم «محمد بن مسلم الطائفي» ولم يوجد فيها من يسمى «محمد بن سالم» منسوباً إلى الطائف .

(٣) الزيادة من لسان العرب في مادة «رأ» .

وفي بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إِذَا عَابَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَسْتَفْرِ اللَّهَ» . كان يقال : لِمَا لَكَ وَمَا يُعْمُ الْأَذَنُ . العتيق قال : قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : كنت أسأري أبي ورجل يقع في رجل ، فالتفت إلى أبي فقال : يَا بُنَيَّ تَرَهُ سَمِعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَلْقِ كَمَا تُنْقَرُ لِسَانُكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَاتِلِ ، وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى أَخِيهِ مَا فِي وَعَائِهِ فَافْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةُ جَاهِلٍ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهَا كَمَا شَقِيَ قَاتِلُهَا .

فُضِّلُ بْنُ عِيَاضٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ عَنْ مَوْسَى بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا زَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا وَفَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَبَصَّرَهُ عِيَاذَهُ . قال فضيل : وربما قال الرجل : لا إله إلا الله ، أو سبحان الله فأخشى عليه النار ، قيل : وكيف ذلك ؟ ، قال : يُتَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُجَبِّهُ ذَلِكَ فَيَقُولُ : لا إله إلا الله ، وليس هذا موضعه ، إنما موضع هذا أَنْ يَنْصَحَ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ .

في الحديث المرفوع أن أمرأتين صامتا على عهد النبي عليه السلام وجعلتا تغتابان الناس ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : «صَامَتَا عَمَّا أُحِلَّ لهما وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عليهما» . وقال حماد بن سلمة : ما كنت أقوله للرجل وهو حاضر فقلت له مِنْ حَقِّهِ فَلَيْسَ بِزَيْنَةٍ .

عاب رجل رجلاً عند بعض الأشراف فقال له : قد استدللت على كثرة عيوبك بما تُكْثِرُ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ، لَأَقِ الطَّالِبَ لِلْعُيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدَرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . قال بعض الشعراء :

وَأَجْرُ مَنْ رَأَيْتُ يَظْهَرُ عَيْبٌ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذَوُو الْعُيُوبِ

وأشدد ابن الأعرابي:

اسْكُنْ وَلَا تَتَّقِنِ فَانْتَ خَيَابٌ ١١ ، كُلُّكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيَّابٌ

وأشددني أيضا :

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحٍ الْغَيْبِ ١٢ : وَأَبْنِ أَبٍ مُتَّهِمٍ الْغَيْبِ

وَكُلُّ عَيَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ ١٣ ، مُسْتَمِلُ الثَّوْبِ عَلَى الْغَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يفتاب الناس ولا يصبر، ثم ترك ذلك، فقبل له :

أَتَرَكْتَهَا ؟ قَالَ : نِمَ ، عَلَى أَتَى وَاقِهِ أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَهَا .

أَتَى رَجُلٌ عَمْرُو بْنَ مَرْثَدٍ فَسَأَلَهُ أَنْ يُكَلِّمَ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَعَدَهُ أَنْ يَفْعَلَ ، فَلَمَّا

قَامَ قَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : إِنَّهُ لَيْسَ مُسْتَحِقًّا لِمَا وَعَدْتَهُ ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنْ كُنْتُ

صَدَقْتُ فِي وَصْفِكَ إِيَّاهُ فَقَدْ كَذَبْتُ فِي أَذْعَانِكَ مَوَدَّتًا ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مُسْتَحِقًّا كَانَتْ

الْبِدُ مَوْضِعَهَا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا لِمَا زِدْتَ عَلَى أَنْ أَعْلَمْتَنَا أَنَّ لَنَا بِغَيْبِنَا عَنْكَ مَثَلُ

الَّذِي حَضَرْتَ بِهِ مَنْ ظَلَمَ مِنْ إِخْوَانِنَا .

وفي الحديث : " إِنَّتِ الْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا " . قيل : كيف ذلك ؟ قَالَ :

"لَأَنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي فَيَتُوبُ ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَصَاحِبُ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ

صَاحِبُهَا" ١٤ .

قال رجل لمحسن : يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنِّي اغْتَبَيْتُ رَجُلًا وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَحْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ :

لَمْ يَكُنْكَ أَنْ اغْتَبَيْتَهُ حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ تَبْهَتَهُ . اغْتَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ قَتِيْبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ

فَقَالَ لَهُ قَتِيْبَةُ : أَمْسِكْ أَيْهَا الرَّجُلُ ، فَوَاقَهُ لَقَدْ تَلَمَّظْتَ بِمُضْغَةٍ طَالَمَكَ لَفَظَهَا الْكَرَامُ .

(١) في النسخ التي بأيدينا « حباب » بالحاء المهملة والياء الموحدة وهو تحريف عن التصويب عن اللسان

فإنه ذكر هذا البيت في ماقص « غاب » و « غاب » وقال في تحصيل « غَيَّاب » — بعد أن ذكر أن

الغيب الفتح الذي لا يورى — يجوز أن يكون فعالا من الغيبت ويجوز أن يفتى به أنه مثل هذا الفتح

الذي لا يورى . (٢) في الإحيا، ج ٣ ص ٩٩ « صاحب » .

مرَّ رجلٌ بِجَارَيْنِ لَهُ وَمَعَهُ رِيَّةٌ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَفَهَمْتَ مَامَعَهُ مِنَ الرِّيَّةِ؟
فَقَالَ الْآخَرُ: غُلَامِي حُرُّ لَوْجِهِ اللَّهُ شَكَرًا لَهُ إِذْ لَمْ يُعَرِّفْنِي مِنَ الشَّرِّ مَا عَرَفْتُكَ .

شعبةٌ عن يحيى بن الحصين عن طارق قال : دارَيْنِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَبَيْنَ
خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كَلَامٌ ، فَهَضَبَ رَجُلٌ لِيَقَعَ فِي خَالِدٍ عِنْدَ سَعْدٍ ، فَقَالَ سَعْدٌ : مَهْ إِنْ
مَا بَيْنَنَا لَمْ يَنْتَلِغْ دَيْقَنَا . أَيْ عداوةٌ وشرٌّ . وقال الشاعر :

وَلَسْتُ بِذِي نَيْبٍ فِي الْكِرَامِ * وَمَتَاعَ خَيْرٍ وَسَبَابِهَا
وَلَا مَنْ إِذَا كَانَ فِي جَانِبِ * أَضَاعَ الْعَشِيرَةَ وَأَغْنَاهَا
وَلَكِنْ أَطْلَوْعُ سَادَاتِهَا * وَلَا أَتَمَلُّمُ الْفَقَاهَا
وقال آخرُ :

لَا يَأْمَلُ الْجَارُ خَيْرًا مِنْ جَوَارِمِهِ * وَلَا مَحَالَةً مِنْ هُزْءٍ وَأَقَابِ
وقال الفرزدق :

تَصَرَّمَ بَنِي وَدٍّ بِكَرْبٍ وَائِلٍ * وَمَا خِلْتُ عَنْهُمْ وَدَّعَهُمْ يَتَصَرَّمُ
قَوَارِصُ تَائِبِي وَيَحْتَرُونَهَا * وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطَرُ الْإِنَاءَ فَيَقْصَمُ
أَتَشُدُّ أَبُو سَعِيدٍ الضَّرْبَ بِبَعْضِ الضَّيَّيْنِ :

أَلَا رُبَّ مَنْ يَتَسَاءَلُنِي وَدَّ أَنْتَنِي * أَبُوهُ الَّذِي يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ
عَلَى رِشْتِهِ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لَعْنَةٍ * فَيَغْلِبُهَا خُلٌّ عَلَى النَّسْلِ مُنْجِبُ
فَيَنْجَلِيهِ لَا يَالِشَّرَّ فَاطْلُبُ مَوَدَّتِي * وَأَيَّ أَمْرِي يُغْتَالُ مِنْهُ التَّرْهَبُ

(١) في الأصول «حين» بدون ال . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في الأصول . وفي السان: «في الصديق» . ثم قال قال ابن بري : وصراب انشاده

ولست بذى نيب في الكلام * ومتاع هوى وسبابها

واظن السان في مادة «نرب» .

وقال آخر في نحوه :

(١) وَلَمَّا عَصَيْتُ الْعَازِلِينَ وَلَمْ أُبَلِّ = مَلَأْتَهُمُ الْقَوَا عَلَى غَارِبِي حَبْلٍ
وَهَازِنَةٍ مِثْقَى تَوَدُّ لَوْ أَبْنَاهَا = عَلَى شَيْئِي أَوْ أَنَّ قِيَمَهَا مِثْلِي

قيل لِبُزْجِهْر : هل من أحد ليس فيه عيب؟ قال : لا، إن الذي لا عيب فيه
لا ينبغي أن يموت . وقال في مثل هذا مومي شهورات :

ليس فيما بدا لنا منك عيب • عابه الناس غير أنك فاني
أنت غير المتاع لو كنت تنقي • غير أن لا بقاء للإنسان

وقال أبو الأسود الدؤلي :

(٢) وَتَرَى الشَّقِيَّ إِنَّا تَكَلَّمْ عَيْبُهُ • يُرْمَى وَيُحَرَّفُ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلْ

- ١٠ لَبَّى بِكَرْبُنُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَا لَهُ فَقَالَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَلْقَى مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ أَعْظَمُ مِنْهَا
عَلَيْهِ وَهُوَ أَشْكُرُ لِلنِّعْمَةِ لَقَيْتَهُ ، وَإِنَّا شِئْتُ أَنْ تَلْقَى مَنْ أَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ جُرْمًا وَهُوَ أَخَوْفُ
لِلَّهِ مِنْكَ لَقَيْتَهُ . أَرَأَيْتَ لَوْ صَحَبَكَ رَجُلَانِ : أَحَدُهُمَا مَهْتَوِكُكَ لَكَ سِتْرُهُ وَلَا يُكَلِّبُ ذَنْبًا
إِلَّا رَأَيْتَهُ وَلَا يَقُولُ هَجْرًا إِلَّا سَمِعْتَهُ فَانْتَ تُحِبُّهُ عَلَى ذَلِكَ وَتُؤَاقِفُهُ وَتَكْرَهُ أَنْ تُفَارِقَهُ ،
وَالْآخَرُ مَسْتُورٌ عَنْكَ أَمْرُهُ غَيْرَ أَنَّكَ تَنْظُرُ بِهِ السُّوءَ فَانْتَ تُبْغِضُهُ ، أَعْدَلْتَ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ :
- ١٥ لَا ، قَالَ : فَهَلْ مَتَلِي وَمَتَلَّكَ وَمَتَلَّ مِنْ أَنْتَ رَأَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَذَلِكَ ؟ إِنَّا نَعْرِفُ الْحَقَّ
فِي الْغَيْبِ مِنْ أَنْفُسِنَا فَنَحْبِسُهَا عَلَى ذَلِكَ ، وَتَتَنَظَّرُ الظُّلُومُ عَلَى غَيْرِنَا فَنُفِضُكُمْ عَلَى ذَلِكَ .
ثُمَّ قَالَ : أَنْزِلِ النَّاسَ مِنْكَ ثَلَاثَ مَنَازِلَ ، فَاجْعَلْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ مَنَازِلَةً أَيْلَكَ ،
وَمَنْ هُوَ تَرِكَ مَنَازِلَةً أَخِيكَ ، وَمَنْ هُوَ دُونَكَ مَنَازِلَةً وَلِلدَّكَ ، ثُمَّ أَنْظِرْ أَيُّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّ
أَنْ تَهْتِكَ لَهُ سِتْرًا أَوْ تُبْدِي لَهُ عَوْرَةً !

(١) كذا بالنسخة الألمانية تعرف النسخة الفترغرافية «رجل» • (٢) يعرف : أي يُبَابُ وَبِهِمْ • ٢٠

سعيد بن واقد المزني قال حدثنا صالح بن الصقر عن عبد الله بن زهير قال :
وقد علاء بن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «اقرأ من القرآن شيئاً؟»
فقرأ «عبس» وزاد فيها من عنده : وهو الذي أخرج من الحبل ، نسمة نسي ، من
بين شراسيف وحشي ، فصاح به النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : «كف فإن
السورة كافية» . ثم قال : «هل ترى من الشعر شيئاً؟» فأنشده :

حَيَّ دَوَى الْأَضْغَانِ نَسِبَ قُلُوبُهُمْ * تَحِيَّتَكَ الْقُرْبَى فَقَدْ تَرَفَّعَ النَّعْلُ
وإِنْ دَحَسُوا بِالْكِرْهِ قَاعُفٌ تَكْرُمًا * وَإِنْ خَنَسُوا عَنْكَ الْخَلِيَّتَ فَلَا تَسْلُ
فَإِنَّ الْأَذَى يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ * وَإِنَّ الْأَذَى قَالُوا وَرَاعَكَ لَمْ يُقْلُ
فقال النبي عليه السلام : «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمًا وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ بَحْرًا» .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال رجل لبركين محمد بن علقمة : بلغني أنك
تقع في ؟ [قال] : أنت إذا أكرمك على من نفسي ! . وقال بعض الشعراء :
لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَسْتَقْرًا * فَيَكْشِفُ اللَّهُ مِسْتَرًا عَنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ حَمِينَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا * وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
وقال أبو الدرداء : لا يُحْرَزُ الْإِنْسَانُ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ إِلَّا قَبْرُهُ .

قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم مولاة : إن الولاء جعلوا الميوت على العوام وأنا
أجعلك عني على هوى ، فإن سمعت مني كلمة تريباً بي ضنا أو قعلاً لا تحبها فمظني
عنده وأنتني عنه .

المتني قال : شقص ابن لعامر بن عبد الله بن الزبير على بن أبي طالب عليه السلام ؛
فقال له أبوه : لا تنقصه يا بني ، فإن بني مروان ما زالوا يستنمونه ستين سنة فلم

- ٢٠ (١) دس بين القوم : أفسد بينهم . (٢) هكذا بالأصل . وفي اللسان في مادة دس «بالشر» .
(٣) خنسا : أعفوا . (٤) زيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ يرتفع عليها سياق الكلام .
(٥) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «لا تهنكن» ، وفيه أيضاً : «فهنك» بدل «فكشف» .

يَزِدُّهُ اللهُ إِلَّا رَفْعَةً، وَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنِ شَيْئًا فَهَدَمْتَهُ أَلَدُنْيَا، وَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَبْنِ شَيْئًا إِلَّا عَادَتْ عَلَى مَا بَنَتْ فَهَلَمْتَهُ . وقال بعض الشعراء :

أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَاهَا عَنْ عَمَلِهَا * فَلِذَا أَتَيْتَ مِنْهُ فَانْتَ حَكِيمٌ
فَهَذَاكَ تُعَذِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَتُقَدِّدِي * بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَتُقَبِّلُ الْعَلِيمُ
لَا تَنْتَهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ * عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
وقال آخر :

وَأَخْذُ عَيْبِ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِي * مُرَادٌ لِعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبُ
وقال آخر :

لَكَ أَنْ تُخْلِعَ، لَمْ تُنْصَأْ عَلَيْكَ ذُنُوبُهَا * وَدَعَّ لَوْمْ نَفْسٍ مَا عَلَيْكَ تَكْلِيمُ^(١)
وَكَيْفَ تَرَى فِي عَيْنِ صَاحِبِكِ الْقَذَى * وَيَخْفَى قَذَى عَيْنِكَ وَهُوَ عَظِيمُ
كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَرَمِّمِينَ^(٢) لَا يَزَالُ يَعْيبُ النَّبِيذَ وَشَرَابَهُ إِذَا وَجَدَهُ سِرًّا شَرِبَهُ، فَقَالَ
فِيهِ بَعْضُ جِرَانِهِ :

وَعِبَايَةَ لِلشَّرْبِ لَوْ أَنَّ أُمَّهُ * تَبُولُ نَبِيذًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا

قال رجل لعمر بن عبيد : إني لأرحمك مما تقول الناس فيك؛ قال : أقسمني
أقول فيهم شيئا؟ قال : لا؛ قال : لَأُفَاهِمَ فَارْحَمَ .

قال أعرابي لأمرأته :

وَأَمَّا هَلَكْتُ فَلَا تَسْجِي * ظُلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَادَهَا

بَرَى جَعْدَهُ ثَلَبَ أَعْرَاضَهَا * لَدَيْهِ وَيَتَغَنَّصُ مَنْ سَادَهَا

(١) تليم : من الأم الرجل إذا أتى ذنبا يلزم عليه .

(٢) من ترمت إذا توقرفى جملة ، ومنه التريت كأمير ، أى الوقور الساكن القليل الكلام ، والزييت

كيتين أو قرنه .

باب السَّعْيَةِ

روى وكيع عن أبيه عن عطاء بن السائب قال : قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ فَلَقْنِي الشَّعْبِيُّ فَقَالَ : يَا أَبَا زَيْدٍ أَطَرَفْنَا مَا سَمِعْتَ ؟ قُلْتُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ يَقُولُ : لَا يَسْكُنُ مَكَّةَ مَا فَكُّ دِمٍّ ، وَلَا آكُلُ رِبَاً ، وَلَا مَشَاءُ نَجْمٍ ؛ فَسَجِئْتُ مِنْهُ حِينَ عَدَلَ النِّيمَةَ بِسَفْكِ الدَّمَاءِ وَأَكَلِ الرَّبَا ؛ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : وَمَا يُسَجِّجُكَ مِنْ هَذَا ! وَهَلْ تُسَفِّكُ الدَّمَاءَ وَتُرَكِّبُ الْعَقَائِمُ إِلَّا بِالنِّيمَةِ !

عَاتَبَ مُصْعَبُ بْنُ الْزَّيْرِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى شَيْءٍ يُلْفَهُ عَنْهُ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ مِنْ ذَلِكَ وَدَفَعَهُ ؛ فَقَالَ مُصْعَبٌ : أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الثَّقَةُ ؛ فَقَالَ الْأَحْنَفُ : كَلَّا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ الثَّقَةُ لَا يُسَلِّحُ . قَالَ الْأَعْمَشِيُّ :

وَمَنْ يَطْلُعُ الْوَائِسِينَ لَا يَتَرُكُوهُ * صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْخَبِيبَ الْمُقَرَّبَا

وَذَكَرَ السَّعَاءُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضَرٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أَبْغَضُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اللَّهِ لَكَفَّاهُمْ^(١) .

سَعَى رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ بِرَجُلٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : انصَرِفْ حَتَّى أَسْأَلَ عَمَّا ذَكَرْتَ ، وَبَعَثَ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنِ السَّاعِي فَإِذَا هُوَ لِفِرْأَبِيهِ الَّذِي يُدْعَى لَهُ ، فَقَالَ بِلَالٌ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " السَّاعِي النَّاسُ لِفِرْشَةٍ"^(٢) . وَقَالَ الشَّامِيُّ :

إِذَا الْوَائِسِيُّ نَى يَوْمًا صَدِيقًا * فَلَا تَدْعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلٍ وَإِشَى

(١) حَاتَنُ الْكَلْبَانِ (إِلَّا أَنَّهُمْ) لَيْسَا بِالْأَصْلِ ، وَقَدْ قَلَبْنَاهُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ ، وَفِي الْأَصْلِ «إِلَى النَّاسِ» .

(٣) يُقَالُ : هَذَا وَلَدُ رِشْنَةٍ إِذَا كَانَ زَوْجًا صَحِيحًا ، وَجَاءَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ وَلِسَانُ الْعَرَبِ فِي مَادَّةِ «رِشْد» يَقُولُ «السَّاعِي لِلْفِرْشَةِ» .

أَتَى رَجُلٌ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ عَلَى دِمَشْقَ لَا يَبْهَ . فَقَالَ : لِلْأَمِيرِ عِنْدِي نَصِيحَةٌ ؛ فَقَالَ : إِنْ كَانَتْ لَنَا فَاعْظِمُوهَا ، وَإِنْ كَانَتْ لغيرنا فلا حاجة لنا فيها ؛ قَالَ : جَارِي عَصَى [وَفَرَّ^(١) مِنْ بَيْتِهِ] قَالَ : أَمَا أَنْتَ فَخَبِرْ أَنَّكَ جَارٌ سُوءٌ ، فَإِنْ شِئْتَ أَرْسَلْنَا مَعَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَقْصِيْنَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ كَذَابًا عَاقِبْنَاكَ ، وَإِنْ شِئْتَ تَارَكْنَاكَ ؛ قَالَ : بَلِ تَارَكْنِي .

وَقَالَ عَبْدُ بْنُ الطَّيِّبِ :

- وَأَعِصُوا الَّذِي يُسَدِّي الْقِيَمَةَ بَيْنَكُمْ * مُتَّصِحًا وَهُوَ الْيَوْمُ الْمُتَّقِعُ^(٢)
يُزِيحُ عَقَارِبَهُ لِيَمِيتَ بَيْنَكُمْ * حَرًّا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقُ الْأَخْذَعُ^(٣)
حَرًّا لَا يَسْنِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ * عَسَلُ بَمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مَشْعُشُ^(٤)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَسْبُبُ صَبِيحَهُمْ * بَيْنَ الْقِبَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُلْبِسُ^(٥)
إِنَّ الْذَبِيبَ تَرُونَهُمْ حُلَاتَكُمْ * يَسْنِي صُدَاعُ رُءُوسِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا^(٦)
فَضَلَّتْ مَدَاوِيَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ * وَأَبَتْ ضَبَابُ صُدُورِهِمْ لَا تُنَزِعُ^(٧)
قَوْمٌ إِذَا دَسَّ الظُّلَامُ عَلَيْهِمْ * حَلَجُوا قَتَاغِدَ بِالْجِيَمَةِ تَمَزَعُ^(٨)

(١) في النسخة الفوتوغرافية «من يته» وفي الألمانية «من يته» . وما روضناه وأزادناه عن

- الغدة القروية ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رواه صاحب المفضليات : يزجي الغمام ، أي يسوقها .
(٣) رواه صاحب المفضليات : ذلك السام . (٤) الأخدع : عرق في الحنق موضع
الجمامة . (٥) مشعشع : مزروع . (٦) يسع : يزدي جيرانه ، وروى الشطر الأخير من هذا
البيت في المفضليات هكذا : * بين القوايل بالمداوة يفتح *
ويشع من شمع فلائ بكذا : أولع به . (٧) كذا في الأصل . وروى في المفضليات وشواهد المستد
اليه " من تلخيص المختار :

- ٢٠ . إنَّ الْقَيْنَ تَرُونَهُمْ إِخْوَانَكُمْ * يَسْنِي ظِلُّ صُدُورِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا
(٨) الضباب جمع صَبٍّ ، والمراد به : الغل الغمين في الصدر إيمان الضب في جحره . (٩) دس :
اشتد ظلمه . (١٠) حذجوا قتاغذ : رحلوا ، أراد أنهم يهرون بالقيمة والاحتيال في الشراكا
يسهر القنقذ ، لأنه يسهر ولا ينام له أجمع . كذا في شرح المفضليات . (١١) تززع : تفرع .

وقال أبو تَمَبَلٍ الْجَحِيَّ :

وقد قَطَعَ الوائِشُونَ ما كانَ بيننا * ونحن إلى أن يُوصَلَ الجبلُ أَحوجُ
رَأَوْا عورةً فاستقبلوها بِالْيَهِيمِ^(١) * فراحُوا على ما لا يُحِبُّ وأَذِلُّوا
وكانوا أَناساً كُنْتُ آمِنُ غِيهِم * فلم يَنْهَهُمْ حِلْمٌ ولم يَحْجُرْجُوا

وقال بَشَّار :

تَسْتَهِي قُرْبَكَ الْوَيْلُ وَتَحْشَى * عَيْنَ وائِشٍ وَتَنْقِي أَسْمَاعَهُ
أَنْتَ مِنْ قَلْبِهَا حَمَلٌ شَرَّابٍ * تَسْتَهِي شُرْبَهُ وَتَحْشَى صُدَاعَهُ

وقال أَبُو نَوَّاس :

كُنْتُ مِنَ الْحَبِّ فِي ذُرَى نَيْقٍ^(٢) * أَرُوْدُ مِنْهُ مَرَادٌ مَوْمُوقٍ^(٣)
حَتَّى شَانِي عَنْهُ تَخْلُقُ وَا * مِنْ كِبْدَةٍ لَهَا يَتَرَوِقِي
جُبْتُ قَفَا مَا يَمْتَحُهُ مَعْدِنًا * مِنْهُ وَقَدْ فُزْتُ بَعْدَ تَحْرِيقِ^(٤)
كَقَوْلِ كَسْرَى فَيَا تَحْتَلِّهِ * مِنْ فُرْصِ اللَّصِّ حَبَّةُ السُّوقِ

وقرأت في كتاب للهند: قلما يمتنع القلب من القول إذا تردد عليه، فإن ألباء ألبين
من القول والجمر أصلب من القلب، وإذا انحدر عليه وطال ذلك أثر فيه، وقد تقطع
الشجرة بالقوس فتنبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان لا يندمل جرعه،
والنصoul تنيب في الجوف فتترع والقول إذا وصل إلى القلب لم يترع، ولكل حريق
مطفئ: للنار الماء، وللمسم الدواء، ولحزن الصبر، وللعشق الفرقة، وغار الحقد لا تحبوا.

(١) بالهم : يجههم . (٢) نيق : مرتفع .

(٣) في النسخة الجغرافية «فيه» .

(٤) في الأصلين ونسختي الديوان المطبوعة والمخطوطة * وقد فزت منه بعد تحريق * وما أثبتناه
رداً في هامش النسخة الألمانية . وبها يستقيم الوزن .

وقال طرفة بن العبد :

وتصدُّ عنك حيلة الرجل السعيرِ يض مُوحيةً عن العليم
يُحسام ميفك أو لسانك والشكُّ الأصيل كأوسع الكلام

ونحوه قوله :

« والقول ينفذ ما لا يتقدُّ الإبر »

وقال امرؤ القيس :

« وجرح اللسان يجرح اليد »

سأل رجل عبد الملك بن مروان أنخلوة فقال لأصحابه : إذا شتمتم [تخوفاً] ؟ فلما
تهدأ الرجل للكلام قال له : إياك وأن تمدحني فإنني أعرف بنفسى منك ، أو تكذبني
فإنه لا رأى للكذوب ، أو تسمى بأحد إلى ، وإن شئت أن أقيلك أقلتك ؟ قال : أقلني .

وقال ذو الرياستين : قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة
والقبول إجازة ، وليس من ذلك على شيء كمن قيل وأجاز ، فامقت الساعي على سعايته
وإن كان صادقاً للؤيمه في هتك العورة وإضاعة الحرمه ، وعاقبه إن كان كاذباً لجمعه
بين هتك العورة وإضاعة الحرمه مبارزة لله بقول البهتان والزور .

وقال بعض المحدثين لعبد الصمد بن المعذل :

لعمرك ما سب الأمير عدوه * ولصكتنا سب الأمير المبلغ

وقال رجل للوليد بن عبد الملك : إن فلاناً شتمك ، فأكتب ثم قال : أراه شتمك .
وأتى رجل ابن عمر فقال له : إن فلاناً شتمك ، فقال له : إني وأنتي عاصماً لا تسأب أحداً .
عوانة قال : كان بين حاتم طي وبين أوس بن حارثة الطلف ما يكون بين اثنين ؛

فقال النعمان بن المنذر لجلسائه : والله لأفسيده ما بينهما ؛ قالوا : لا تقدر على ذلك ؛

(١) في كتاب الشعر والشعراء : « ورثة » ، واليريض : الرجل الذي يتبرع الناس بالشر .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

قال : بلى قَدْ جَرَبْتُ الرِّجَالَ فِي شَيْءٍ إِلَّا بَلَعْتَهُ؛ فَنَدَخِلُ عَلَيْهِ أَوْسٌ؛ فَقَالَ : يَا أَوْسُ مَا الَّذِي يَقُولُ حَاتِمٌ ؟ قَالَ : وَمَا يَقُولُ ؟ قَالَ : يَقُولُ إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْكَ وَأَشْرَفُ؛ قَالَ : أَيُّ بَيْتِ الْإِنْسَانِ، صَدَقَ! وَإِنَّهُ لَو كُنْتُ أَنَا وَأَهْلِي وَوَلَدِي لِحَاتِمٍ لَأَنْتَهَبْنَا فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ نَخْرُجُ وَهُوَ يَقُولُ :

يَقُولُ لِي التَّمَانُ لَا مِنْ نَصِيبِي * أَرَى حَاتِمًا فِي قَوْلِهِ مُتَطَاوِلًا

لَهُ فَوْقَنَا بِأَعْيُنِ كَمَا قَالَ حَاتِمٌ * وَمَا التَّضَحُّعُ فِيمَا بَيْنَنَا كَانَ حَاوِلًا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثل مقالته لأوس؛ قال : صَدَقَ، أَيْنَ عَمِي أَنْ أَقَعَ مِنْ أَوْسٍ! لَهُ عَشْرَةُ ذُكُورٍ أَحْسَنُهُمْ أَفْضَلُ مِنِّي، ثُمَّ نَخْرُجُ وَهُوَ يَقُولُ :

بُسَائِلِي التَّمَانُ كَيْ يَسْتَرْثِي * وَهَبَاتِي لِي أَنْ أُسْتَضَامَ فَأُصَرَّعَا

كَفَافِي قَصَا أَنْ أَضَيِّمَ عَشِيرَتِي * يَقُولُ أَرَى فِي غَيْرِهِ مَتَوَسِّمًا

فَقَالَ التَّمَانُ : مَا سَمِعْتُ بِكَرَمٍ مِنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ .

ذَكَرَ يَقُوبُ بْنُ دَاوُدَ أَيَّامَ كَانَ مَعَ الْمُهَلْدِيِّ أَنَّهُ وَافَاهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَانُونَ رُقْعَةً كُلُّهَا سَعَابَةٌ، مِنْهَا سِتُونَ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَعَشْرُونَ لِسَائِرِ الْبِلَادِ .

وَمَنْ وَاشَ بِرَجُلٍ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ؛ فَقَالَ لَهُ : أَتُحِبُّ أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ مَا قُلْتَ فِيهِ عَلَيَّ أَنْ تَهْبِلَ مِنْهُ مَا قَالَ فِيكَ ؟ قَالَ : لَا؛ قَالَ : فَكُفَّ عَنِ الشَّرِّ بِكَفِّ عَنِ الشَّرِّ .

كَتَبَ بَعْضُ إِخْوَانِنَا مِنَ الْكُتَّابِ إِلَى عَامِلٍ وَكَانَ سُمِّيَ بِهِ إِلَيْهِ : لَسْتُ أَنْفَكُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ أَحَدٍ أَرِيعَ : إِمَّا كُنْتُ مُحْسِنًا وَإِنَّكَ لَكُنْتَكَ فَارْبُبٍّ، أَوْ مُسِيئًا وَلَسْتُ بِهِ فَأَنْتِي، أَوْ أَكُونُ ذَا ذَنْبٍ وَلَمْ أَعْمَدْ تَعْمُدًا، أَوْ مَقْرُوفًا وَقَدْ تَلَحَّقَ بِهِ حِيلُ الْأَشْرَارِ تَلَبَّثْتُ، (وَلَا يُطِيعُ كُلَّ حَالِيفٍ مَهِينٍ مِمَّا زِيَّاءُ مَتَمِّمٍ)

باب الكذب والفتنة

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا سليمان بن داود عن مسامة بن طعنة عن داود بن أبي هند عن شهر بن حوشب عن الزريقان عن التماس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ الْحَرْبِ فَإِنَهَا خُدْمَةٌ وَالرَّجُلُ يَصْلُحُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَالرَّجُلُ يُرْضَى أَمْرَاهُ» .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا بربر بن هارون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن الزهري عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَمْ يَكْذِبْ مَنْ قَالَ خَيْرًا وَأَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ» .

قال : حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا أبو داود عن عمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤلي : إِذَا سَرَّكَ أَنْ تُكْذِبَ صَاحِبَكَ فَلَقْنَهُ .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ قال : «نعم» قال : أَيْكُونُ بَغِيلاً ؟ قال : «نعم» قال : أَيْكُونُ كَذَابًا ؟ قال : «لا» . قال حدثني سهل بن محمد عن الأعمشى قال : عاتب إنسان كذاباً على الكذب ؛ فقال : يَا بَنِي أُمِّي لَوْ تَفَرَّغْتَ بِهِ مَا صَبَرْتُ عَلَيْهِ . قال : وَقِيلَ لِكَذُوبٍ : أَصَدَقْتَ قَطُّ ؟ قال : أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ لَا فَأَصْطَقُ .

وقال ابن عباس : الْحَدِيثُ حَدَّثَانِ : حَدَّثٌ مِنْ فَيْكَ وَحَدَّثٌ مِنْ فِرْجِكَ . وقال مدني : مَنْ قُتِلَ عَلَى صَدِيقِهِ خَفَّ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَمَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ . ومثله قول الشاعر :

(١) وفي رواية : «مواطن» . (٢) كذا في الأصول ولم تقف في كتب التراجم على من يسمي بربر

ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٠٨

(٣) تفرغرت به : رقدته في حلقه .

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ * ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا * أَسْرَعُ مِنْ مُنْصَحِرِ سَبَائِلِ

- بلغنى عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: [كل] ما أصاب البصائم شوى
 ما خلا الغيبة والكذب. وقال سليمان بن سعد: لو سمعنى رجلٌ فقال: أشرتْ خصلةٌ
 واحدة لا يزيد عليها، لقلتُ لا تكذبى. كان ابن عباس يقول: الكذبُ حُورٌ، والغيبة
 ٥ سمحٌ، فمن كذب فقد فجر، ومن تم فقد سحر. وكان يقال: أسرع الاستماع وأبطئ التحقيق
 قال الأحنف: ما خان شريفٌ ولا كذب عاقلٌ ولا اغتاب مؤمنٌ. وكانوا يلقفون
 فيحثون ويقولون فلا يكذبون. ذم رجل رجلاً فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعة
 العفوق ^(١) يعنى السُّرْق، وروغانُ الثلب يعنى الخُب، ولَمَانُ البرق يعنى الكذب. و يقال
 الإثْلَاءُ أربعة: التَّسَامُ والكَذَابُ والمُذْنِبُ والفقير. قال ابن المقفع: لا تَأَوَّنْ بِإِرْسَالِ
 ١٠ الكِذْبَةِ فِي الْهَزْلِ فَإِنَّهَا تُسْرِعُ فِي إِطْطَالِ الْحَقِّ. وقال الأحنف: أَشَانُ لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا:
 الكَذِبُ والمُرُوءَةُ. وقالوا: من شرف الصَّدَق أن صاحبه يُصَدِّقُ على عدوه. وقال
 الأحنف لابنه: يَا بُنَى اتَّخِذِ الْكِذْبَ كِتَابًا؛ أَى لَا تُخْرِجْهُ. وقيل لأعرابي كان
 يُسَبِّحُ في حديثه: أَمَا لِحَدِيثِكَ هَذَا آخِرٌ؟ فقال: إِذَا أَقْطَعَ وَصْلَتَهُ. وقال ابن
 ١٥ عمر: «زَعُوا» زَامِلَةُ الْكِذْبِ. كان يقال: عِلَّةُ الْكُذُوبِ أَقْبَحُ عِلَّةٍ، وَزَلَّةُ الْمُتَوَقِّ
 أَشَدُّ زَلَّةً. كان المهلبُ كَذَابًا وكان يقال له: رَاحَ يَكْذِبُ. وفيه يقول الشاعر:

(١) الزيادة عن اللسان في مادة «شوى». (٢) أى: شىء يسرهين. وأصل الشوى الأطراف
 ومعنى الحديث أن كل شىء أصابه الصائم حين لأنه بمنزلة الأطراف التي هي ليست مقاتل، ما عدا الغيبة
 والكذب فإنهما في تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان. (٣) العفوق: طائر على قدر
 ٢٠ الحمامة وهو على شكل الغراب، ويقال له: القفص، والغرب تشام به وتضرب به المشل في السرعة
 والنجاة والخلب. (٤) الزاملة: الدابة التي يحمل عليها، يريد أن لفظ «زَعُوا» معية الكذب
 ومركبه.

تبدلت المنابر من قُرَيْش * مَزُونِيًا بَفَقَحَتِهِ الصَّلِيبُ
فَأَصْبَحَ قَافِلًا كَرَمٌ وَجُودٌ * وَأَصْبَحَ قَادِمًا كُتُبٌ وَحُوبٌ

- قال رجل لأبي حنيفة : ما كذبتُ كَذْبَةً قَطُّ ؛ قال : أَمَا هَذِهِ فَوَاحِدَةٌ يُشْهَدُ بِهَا عليك . قال ميمون بن ميمون : مَنْ عُرِفَ بِالصِّدْقِ جَازَ كَذْبُهُ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يَحْزِ صِدْقُهُ . قال أبو حَيَّةَ التَّمِيمِيُّ - وَكَانَ كَذَّابًا - : عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قُرَيْشِيَّةٍ فَرَاغَ عَنْ سَهْمِي .
فَعَارَضَهُ وَاللَّهِ السَّهْمُ ، فَرَاغَ فَرَاغَهُ السَّهْمُ حَتَّى صَرَعَهُ بِيَمَضِ انْتِبَارَاتٍ ^(١) . وَقَالَ أَيْضًا : رَمَيْتُ ظُلَيْمَةً فَلَمَّا نَفَذَ السَّهْمُ ذَكَرْتُ بِالظُّلَيْمَةِ حَيَّةً لِي فَشَدَنْتُ وَرَأَى السَّهْمُ حَتَّى قَبِضْتُ عَلَى قُلْدِيهِ ^(٢) . وَصَفَ أَعْرَابِيَّ أَمْرَاءَ فَقِيلَ : مَا بَلَغَ مِنْ شِدَّةِ حَبْكِهَا ؟ قَالَ : لِمَا لَازَمَتْهُمَا وَيْنِي وَبَيْنَهَا عَقِبَةُ الطَّائِفِ فَأَجِدُ مِنْ ذِكْرُهَا رِيحَ الْمَسْكِ .

- ١٠ . أَنَسِدَ الْفَرَزْدَقُ سُلَيْمَانَ بْنِ صَيْدِ الْمَلِكِ :

ثَلَاثٌ وَأَنْتَانِ فَوَيْلٌ لِمَنْ نَحْسُ * وَسَادَسَةٌ تَمِيلُ إِلَى شِمَامِ
فِي تَنْتِجٍ مِجَازِيٍّ مُصَرَّحَاتٍ * وَبِثِّ أَفْضَلِ أَغْلَاقِ الْخِلَامِ
كَأَنَّ مَفَالِقِي الرَّمَانِ فِيهِ * وَجَمْرَ غَضَا قَعْدَنَ عَلَيْهِ حَامِي

- فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : وَيْحَكَ يَا فَرَزْدَقُ ، أَحَلَّتْ بِنَفْسِكَ الْعُقُوبَةَ ، أَقْرَبْتَ هُنْدِي بِالزَّنَا وَأَنَا إِمَامٌ وَلَا يَدُّ لِي مِنْ أَنْ أَحُلَّكَ ؛ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : يَا شَيْءُ أَوْجِبْتَ عَلَيَّ ذَلِكَ ؟ قَالَ : بَكَلِّبَ اللَّهُ ؛ قَالَ : فَإِنْ كَلَّمَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَدْرَأُ عَنِّي الْحَدَّ ؛ قَالَ : وَأَيْنَ ؟ قَالَ : فِي قَوْلِهِ : (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) فَا نَا قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَمْ أَفْعَلْ ؛ وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَأَمَّا الشَّاعِرُ بِمَجْنُونٍ كَلْبٌ * أَكْثَرُ مَا يَأْتِي عَلَى فِيهِ الْكَذِبُ

- ٢٠ . (١) كَذَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي مَادَّةِ «مَزَنَ» وَالتَّى فِي الْأَصْلِ : «الْمُتَاوَلِدُ» .
(٢) فِي الْأَصْلِ «الْحَيَارَاتُ» وَفِي الْأَغَانِي : «الْجَبَابَاتُ» وَفِي الْيَانِ وَالتَّبِينِ «الْجَبَابَاتُ» وَالصَّوْبُ مِنَ الشَّرِّ وَالشَّرُّ لَا يَنْفِيهِ . وَالْخِيَارَاتُ جَمْعُ خَيْرٍ وَهُوَ مَا لَا يَنْوَسْتِي مِنَ الْأَرْضِ وَصَاعَتْ فِيهَا الْقَوَائِمُ وَفِي الْخَزْنِ «مَنْ تَحْبَبَ انْتِبَارَاتٍ قَلَّةً» . (٣) الْقُلْدُ جَمْعُ قُلْدَةٍ : رِيشُ السَّهْمِ .

وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ مِنَ البَلِيَّةِ بَعْضُ مَا يُحْكِي عَلَيْهِ
مَهْمَا سَمِعْتَ بِكَذِبَةٍ • مِنْ غَيْرِهِ تُسَبِّتُ إِلَيْهِ

وقال بشار :

وَرَضِيتُ مِنْ طَوِيلِ الْعَتَاءِ بَيَاسِهِ • وَالْيَأْسُ أَيْسَرُ مِنْ عِدَاتِ الكَاذِبِ

والعرب يقول : « أَكْذَبُ مِنْ سَالَةِ »^(١) وهي تكذب خافة العين على سَمْنِهَا . و« أَكْذَبُ مِنْ مُجْرَبٍ » لأنه يخاف أن يُطَلَّبَ مِنْ هِنَاتِهِ . و« أَكْذَبُ مِنْ بَلْعٍ » وهو السراب . منصور ابن سلمة الخزازي قال حلتشا شبيب بن شذبة أبو معمر الخطيب قال : سمعت ابن سيرين يقول : الكلام أوسع من أن يكذب ظريف . وقال في قول الله عز وجل : (لَا تُؤْخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ) لم ينس ولكنها من معارضض الكلام . وقال الثقي : أَصْلَقُ فِي صِفَارِ مَا يَضُرُّهُ لِأَصْلَقُ فِي كِبَارِ مَا يَنْفَعُنِي . وكان يقول : أنا رجل لا أبالي ما استقبلت به الأحرار . نافر رجل من جرم رجلا من الأنصار إلى رجل من قريش ، فقال للجرمي : أيا جاهلية تُفانحه أم بالإسلام ؟ فقال : بالإسلام ؛ فقال : كيف تُفانحه وهم آووا رسول الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلام ؟ قال الجرمي : فكيف تكون قلة الأحياء . وقال ابن جرير : إنما قويت على خصومي يأتي لم أستر قط بشيء من القبيح . وذكر أعرابي رجلا فقال : لو دق وجهه بالبحارة لرضها ، ولو خلا باستار الكعبة لمرقها . قيل لرجل من بني أسد : بأي شيء غلبت الناس ؟ قال : أتهت الأحياء وأستشهد الموتى . وقال طريح الثقى يذم قوما :

إِنْ يَبْلُغُوا الخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ عَلِمُوا • شَرًّا أَذِيعَ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَّبُوا

(١) في جميع الأمثال "السائلة" بالتريف ، وهي التي تسلا السمن أو تلتطخه وتعالجه ، قال الميداني في جميع الأمثال : وكذا أنها تقول : قد ارتحن ، قد احترق . والارتحن ألا يخلص منها .
(٢) الهاء : القطران .

وكان يقال : أثنان لا يفتقان أبداً : القناعة والحسد، وأثنان لا يفتقان أبداً : الحِرص والقبحة، وقال الشاعر :

إِن يَحْضَرُوا أَوْ يَفْدِرُوا * أَوْ يَفْعَرُوا لَا يَحْفَلُوا
يَفْدُوا عَلَيْكَ مُرَجِّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا^(١)
كَأَنِّي بَرَأَقَشُ كُلُّ لَوْ * إِن لَّوْنُهُ يَفْقِلُ^(٢)

هَجَا أَبُو الْهَوَلِ الْحَمِيرِيُّ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى ثُمَّ أَنَاهُ رَاغِبًا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : وَيْلَكَ بَأَى وَجْهَ تَلْقَانِي ! قَالَ : بِالْوَجْهِ الَّذِي أَلْقَى بِهِ رَبِّي وَذَنُوبِي إِلَيْهِ أَكْثَرُ؛ فَضَحَكَ وَوَصَلَهُ .

ومن أمثال العرب في الوَلَّاحِ «رَبَّتْنِي بَدَائِثًا وَأَنْسَلَتْ» . وقال الشاعر :

أَكُوْلُ لِرَازِقِ الْعِبَادِ إِذَا شَتَا * صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الشَّاءِ وَقَاحُ^(٣)

- ١٠ قال رجل لقوم يَتَابُونَ وَيَكْذِبُونَ : تَوَضُّعُوا فَإِن مَاتُمْ لَوْنُ شَرٍّ مِنَ الْحَدَثِ . وبلغني عن حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ : قُلْتُ لَمَيْسَدَةَ : مَا يُوجِبُ الْوَضُوءَ؟ قَالَ : الْحَدَثُ وَأَذَى الْمُسْلِمِ . رَوَى الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ عَنْ عُقْبَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : بَعَثَنِي أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى عَمْرِءَ فَسَأَلَنِي عَنْ أَحْوَالِ النَّاسِ ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ يَصْلُحُ أَهْلُ بِلَادِ جُلٍّ أَهْلُهُ هَذَانِ الْحَيَّانِ : بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَبَنُو تَيْمٍ ، كَذَبَ بَكْرٌ وَيَحِلُّ تَيْمٌ . ذَكَرَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ أَعَاجِيبَ الْبَحْرِ وَزَيْدُ الْبَحْرِيِّينَ فَقَالَ : الْبَحْرُ كَثِيرُ الْعَجَائِبِ ، وَأَهْلُهُ أَصْحَابُ تَرْيَدٍ ، فَانْسَدُوا بِقَلِيلِ الْكَذِبِ كَثِيرَ الصَّدْقِ ، وَأَدْخَلُوا مَا يَكُونُ فِيمَا يَكَادُ لَا يَكُونُ ، وَجَعَلُوا تَصْدِيقَ النَّاسِ لِمَنْ فِي غَرِيبِ الْأَحَادِيثِ سُلْماً إِلَى أَدْعَاءِ الْخُفَالِ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاسِمٍ عَنْ الْأَعْمَشِيِّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ : الصَّدْقُ أَحْيَانًا مُحَرَّمٌ .

- (١) بَزِمَ « يَنْدَرُ » لِأَنَّهُ يَدُلُّ مِنْ « لَا يَحْفَلُوا » فَإِنَّ غُلَامَ مُرَجِّلِينَ حَوْفِي مَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَحْفَلُوا . كَذَا يُؤْخَذُ مِنَ السَّانِ . وَالرَّجِيلُ : مَشَطُ الشَّعْرِ وَإِسَالَهُ . (٢) أَبُو بَرَأَقَشٍ : طَائِرٌ يَتَوَلَّى أَوَانَا شَيْءٍ بِأَقْفُذِهِ أَمْلَ رِيشَةٍ أُخْبِرَ وَأَوْسَعَهُ أَحْمَرًا وَسَفَّهُ أَسْوَدَ فَذَا انْتَفَشَ تَبَيَّرَ لَوْنُهُ أَوَانَا شَيْءٍ . كَذَا فِي السَّانِ . (٣) كَمَا يَسْتَعْمَلُ النَّفَاةُ فِي ذِكْرِ الْمَرْءِ بِالْغَيْرِ يَسْتَعْمَلُ فِي ذِكْرِ الشَّرِّ .

حدثني شيخنا عن أبي معاوية قال حدثنا أبو حنيفة عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : ما كذبت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذبة واحدة ، كنت أرحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الطائف فقلت : هذا يغيبني على الرجال ؟ فقال : أي الرجال أحب إلى رسول الله ؟ فقلت : الطائفة المكية ، فرحل بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ رَحَلَ لَنَا هَذَا» فقالوا : الطائفة ، فقال : «مُرُوا عَبْدَ اللَّهِ فَلْيُرَحِّلْ لَنَا» فعدت إلى الرجال .

باب سوء الخلق وسوء الجوار والنسب والشر

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خَصِمَتَانِ لَا تَجْعِمَانِ فِي مَوْمِنٍ سَوْءُ الْخُلُقِ وَالْبُخْلُ» .

قال وحدثني أحمد بن الخليل عن أزهر بن جميل عن إسماعيل بن حكيم عن الفضل بن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر [قال] : قيل : يا رسول الله ما الشؤم ؟ قال : «سَوْءُ الْخُلُقِ» .

قال وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا مَا لَمْ يَمْتَدِ الْمَظْلُومُ» .

قال وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : حدثني شيخ يعني قال : صحب أيوب رجل في طريق مكة فأذاه الرجل بسوء خلقه ، فقال أيوب : إني لأرجمه لسوء خلقه .

- قال وحديثي عبدالرحمن عن الأصمعي قال : قال أبو الأسود : لو أطمعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم . وأوصى بنيه فقال : لا تحياؤوا الله فإنه أجد وأجود ، ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج ففعل ، فلا تجهلوا أنفسكم في التوسع قبلكموا حزلا . قال : وسمع رجلا يقول : من يئس الخائف ؟ فقال : على به ، فعتاه ثم ذهب ليخرج ؛ فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أهل ؛ قال : هيات ، على .
 ألا تؤذي المساكين اليلة ، ووضع في رجله الأدم حتى أصبح . قال : وا كل أمراي معه تمرا فسقطت من يده الأمراي تمرة فأخذها وقال : لا ادعها للشيطان ؛ فقال أبو الأسود : لا والله ولا لجبريل . نظر ابن الزبير يوما إلى رجل وقد دق في صدور أهل الشام ثلاثة أرماج فقال : اعتزل حربنا فإن بيت المال لا يقوم لهذا . وذكر أبو عبيدة أنه كان يأكل في كل سبعة أيام أكلة ويقول في خطبته : انما بطني شبر في شبر وما عسى أن يكفيني . وقال أبو وجرة مولى آل الزبير :
 لو كان بطنك شبرا قد شيمت وقد . أفضلت فضلا كثيرا للساكين
 فإن نصبتك من الأيام جاحدة * لآتيتك منك على دنيا ولا دين
 وفيها يقول :
 ما زلت في سورة الأعراف تدرسها * حتى فؤادك مثل الخز في اللين
 وفيها يقول :
 إك أمرا كنت مولاه فضيي * يريو الفلاح لعندي حق مقبول
 وفيه يقول آخر :
 رأيت أبا بكر - وربك غالب * على أمره - يبغي الخلافة بالمر

هنا حين قال : أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي . وقال بعض الشعراء :

مِنْ دُونَ سَيْكِ لَوْ لَيْلٌ مُظْلِمٌ * وَحَفِيفٌ نَابِلَةٌ ^(٢) وَكَلْبٌ مُوسَدٌ ^(٣) وَ
وَإِخْوَكُمُ حَمِيلٌ عَلَيْكَ ضَبِينَةٌ ^(٤) * وَسَيْفٌ قَوْمِكَ لَا تَمُّ لَا يَمْسُدُ ^(٥)
وَالضَّبِيفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ مَانِخٍ * لَا بَلْ أَحْبَبْتُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ
وَمَدَحَ أَعْرَابِي سَعِيدَ بْنِ سَلَمٍ فَقَالَ :

أَيَا سَارِيًّا بِالْبَلِّ لَا تَحْشَ ضَلَّةً * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ
لَنَا سَيِّدٌ أَرَبَى عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ * جَوَادٌ حَنَّ ^(٦) فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ
فَلَمْ يَعْطِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ يَهْجُوهُ :

لِكُلِّ أُنْثَى مَدِجٌ ثَوَابٌ يُمْلَأُ * وَلَيْسَ لِمَدِجِ الْبَاهِلِ ثَوَابٌ
مَدَحْتُ أَبْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِجُ مَهْمَةٌ * فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ
وَقَالَ فِيهِمُ الْمُتَزَكِّي الْحَضَرِيُّ :

إِذَا وَلَدَتْ حَلِيلَةٌ بَاهِلٌ * غَلَامًا زَيْدٌ فِي صَدَدِ النَّشَامِ
وَعِرْضُ الْبَاهِلِ وَإِنْ تَوَقَّ * عَلَيْهِ مِثْلُ مَنَدِيلِ الطَّلَامِ
وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ بَاهِلِيًّا * لَقَصَرَ عَنْ مُسَامَاةِ الْكَرَامِ

وَدَخَلَ قُدَامَةُ بْنُ جَعْدَةَ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، بِالْبَابِ الْأَحْمَرِ
الْعَرَبُ ؛ قَالَ : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ مُحَارِبِي إِلَى بَاهِلٍ ، فَضَحِكَ قُتَيْبَةُ . وَقَالَ آخَرُ

(١) السبب : الطاء ، وفي النسختين القنوغرافية والألمانية : « شيك » بالشين المعجمة وهو تحريف

(٢) النابغة بالهم (كما في الألمانية) وبالحاء (كما في القنوغرافية) : الرمح الشديدة فكلاهما صحيحة .

(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ماله فانقر .

(٥) الأسود السانخ : الأنثى ، ووصف بالسانخ لأنه يسلخ جلده كل عام . (٦) في النسخة

الألمانية « جني » والقنوغرافية « حني » وكلاهما تحريف عن التصويب عن المقدفريدج ١ ص ١٠٧

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخَفُوا كَلَامَهُمْ * وَأَسْتَوْثِقُوا مِنْ رَبَائِحِ الْبَابِ وَالْقَارِ
لَا يَقِيْسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ * وَلَا تُكْثِفُ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائي من أهل حمص :

سَمْتُ الْمَدِيحِ رَجَالًا دُونَ قَدِيرِهِمْ * صَدٌّ قَبِيحٌ وَلَفْظٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزِ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا سَمَّيْتُ * رَجُلٌ الْبَعُوضَةُ مِنْ نَخَّارَةِ اللَّيْلِ

وقال آخر :

أَلَا أَمْ وَأُعْطِيَ وَالْبَخِيلُ مُجَاوِرِي * إِلَى جَنْبِ بَيْتِي لَا يَلَامُ وَلَا يُعْطَى

ونحو هذا قولهم : مَنَعَ الْجَمِيعَ أَرْضَى الْجَمِيعِ . وقال بشار :

أَعْطَى الْبَخِيلُ فَمَا أَنْتَفَعْتُ بِهِ * وَكَذَلِكَ مَنْ يُعْطِيكَ مِنْ كَدِّهِ

- ١٠ قيل لخالد بن صفوان : ما لك لا تُسَفِّقَ فَإِنَّ مَالَكَ عَرِيضٌ ؟ قال : الدهرُ أَعْرَضُ
منه ، قيل له : كأنك تأملُ أن تعيش الدهر كله ؟ قال : ولا أخافُ أن أموتَ في أوله .

قال الجاحظ : قلتُ مرَّةً لِحِرَازِي : قد رَضِيتَ بِقَوْلِ النَّاسِ : عَبْدُ اللَّهِ بَخِيلٌ ، قال :

لَا أَعْدَمُنِي اللَّهُ هَذَا الْأَسْمَ ، قلتُ : كيف ؟ قال : لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ فَلَانٌ بَخِيلٌ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ ،

فَسَلَّمَ لِي الْمَالَ وَأَدْعَيْ بَأَى أَسْمٍ شَتَّيْتُ ، قلتُ : وَلَا يُقَالُ بَحِيٌّ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ ، فَقَدْ

- ١٥ جَمَعَ هَذَا الْأَسْمُ الْمَالَ وَالْحَمْدَ وَجَمَعَ هَذَا الْأَسْمُ الْمَالَ وَالذَّمَّ ، قال : بينهما فرقٌ ؟

قلتُ : هاتِهِ ، قال : في قولهم بَخِيلٌ ثَبِيْتُ لِإِقَامَةِ الْمَالَ فِي مِلْكِهِ ، وَفِي قولهم بَحِيٌّ

إِخْبَارٌ عَنْ خُرُوجِ الْمَالَ عَنْ مِلْكِهِ ، وَأَسْمُ الْبَخْلِ أَسْمٌ فِيهِ حَزْمٌ وَذَمٌّ ، وَأَسْمُ السَّخَاءِ أَسْمٌ

فِيهِ تَضْيِيعٌ وَحَمْدٌ ، وَالْمَالَ رَاهَنٌ نَافِعٌ وَمُكْرِمٌ لِأَهْلِهِ مُعِزٌّ ، وَالْحَمْدُ رِيحٌ وَمُخَفِّرَةٌ ، وَأَسْمَاعُهُ

ضَعَفَ وَفَسَلَهُ، وَمَا أَقَلَّ^(١) وَاللَّهُ غَنَاءَ الْحَمْدِ عَنْهُ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ وَعَرِيَ جِلْدُهُ وَضَاعَ عِيَالُهُ وَتَمَتَّ عِلْوُهُ^(٢) .

وكان محمد بن الجهم يقول : مِنْ شَأْنٍ مَنْ أَسْتَفْتَى عَنْكَ أَلَا يُقِيمَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْكَ أَلَا يَتَهَبَّ عَنْكَ ، فَمَنْ ضَنَّ بِصَدِيقِهِ وَأَحَبَّ^(٣) الْأَسْتِغْنَاءَ مِنْهُ وَأَحَبَّ التَّمَتُّعَ بِهِ أَحْتَاطَ فِي دَوَامِ رَغْبَتِهِ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَا يَقُوتهُ وَيَمْتَنِعَهُ مَا يُفْنِيهِ عَنْهُ ، فَإِنَّ مِنَ الزُّهْدِ فِيهِ أَنْ تُقْنِيَهُ عَنْكَ وَمِنْ الرِّغْبَةِ فِيهِ أَنْ تُحَوِّجَهُ إِلَيْكَ ؛ وَإِقْرَافُكَ مَعَ الضَّنِّ بِهِ أَكْرَمُ مِنْ إِغْنَاؤِكَ لَهُ مَعَ الزُّهْدِ فِيهِ ؛ وَقِيلَ فِي مِثْلِ : « أَجْعَلْ كَلْبُكَ يَتَبَلَّكَ » . فَمَنْ أَغْنَى صَدِيقَهُ قَدْ أَعَانَهُ عَلَى الْفَقْرِ وَقَطَعَ أَسْبَابَهُ مِنَ الشُّكْرِ وَالْمَعِينِ عَلَى الْفَقْرِ شَرِيكَ الْفَادِرِ ، كَمَا أَنَّ مُرَيَّنَ الْفُجُورِ شَرِيكَ الْفَاجِرِ . قَالَ : وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ وَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ : يَرْغُمُونَ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الثَّلَاثُ ، وَالثَّلَاثُ كَثِيرٌ » ؛ وَأَنَا أَرْغُمُ أَنْ ثَلَاثَ الثَّلَاثِ كَثِيرٌ ، وَالْمَسَاكِينُ حُقُوقُهُمْ فِي بَيْتِ الْمَسَالِ ، إِنْ طَلَبُوا طَلَبَ الرِّجَالِ أَخَذُوهُ ، وَإِنْ جَلَسُوا جَلَسَ النِّسَاءُ مِنْعُوهُ ، فَلَا يَرْغُمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْفَهُمْ وَلَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ يَرْحَمُهُمْ .

تقدم رجلان من قريش إلى سوار أحدهما يئازع موثق له في حد أرض أقطعها أبوه مولاه ، فقال سوار : أثناع مولاك في حد أرض أقطعها أبوك إياه ؛ فقال : الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ الظَّالِمِ ؛ فرفع سوار يده ثم قال : اللَّهُمَّ ارْدُدْ عَلَى قُرَيْشٍ أخطارها

(١) كذا في النسخة الألمانية ، والنسوة : النذالة وقلة المودة ، وفي القنوغرافية "منسولة" وهو تحريف .
(٢) كتب بهامش الأصل القنوغرافي بمثابة الهذيان عن البخل ما نصه : « سبحان الله ! ما رأيت أنهن جانيا للبخل والبخل . وأين كلاهما وأصدق جهة وأبعد من التقدسات الواجبة للقضايا المردودة من هذا الرسل ولولا [أن] السخاء محبة من السجايا الراضية في أخس الأحياء كاد واقع بهدم ركة ويميل عماده ويكدر موده بل وينع السحاب من المطر والبحر من زخم القطر وإن هذا لمن إحدى الكبر » .
(٣) في النسختين « تصديقه » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . (٤) الأخطار جمع خطر وهو الشرف ، وبهامش الأصل القنوغرافي هذه الجملة : « إنما قال ذلك حتى لا يظنوا الناس قلقة ما يديهم » .

وقال الخَزَرَجِيُّ :

إِنَّ جُودَ الْمَكِّيِّ جُودٌ حِجَازِيٌّ وَجُودُ الْحِجَازِ فِيهِ اقْتِصَادٌ
كَيْفَ تَرِجُو النَّوَالَ مِنْ كَفِّ مُعِيطٍ * قَدْ غَذَّه الْأَقْرَاصُ وَالْأُمْدَادُ

نظر سليمان بن مَرْحَمٍ إلى درهم فقال : في شِقِّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»
وفي وجه آخر «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» ، ما يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا إِلَّا
مَعَاذَةً وَقَذْفَةً فِي الصُّنْدُوقِ . أُنْشَدَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هَانٍ صَاحِبُ الْأَخْفَضِ عَنْ
الْأَخْفَضِ لِلْخَلِيلِ :

كَفَّاهُ لَمْ تُحَقِّقْ^(٢) لِلنَّدَى * وَلَمْ يَكُ يَجْلُهَا بِدَعَةٍ
فَكَفَّ عَنْ الْطَيْرِ مَقْبُوضَةً * كَمَا قَصَبَتْ مِائَةً تِسْعَةً^(٣)
وَصَكَّفَتْ ثَلَاثَةَ آلَافَهَا * وَسَمِعْتِهَا لَهَا شِرْعَةً^(٤)

(١) في الأصلين بدل قوله القِيَوْمُ كلمة «قَالَ» والسياق يأبى وجودها ، وقد وُثِّقَت هذه الحكاية في نهاية
الأربع ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكرها هذه الكلمة . (٢) كذا في اللسان
مادة شرع . وفي الأصلين «يَحَقِّقًا» والكف وثبت لا مذكر . وفي المصباح مادة كف :
«قال ابن الأنباري» : وزعم من لا يروق به أَنْ الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يروق بلمه .

(٣) في ناسخ العروض واللسان مادة شرع : * كَأَحَدٍ عَنْ مِائَةٍ سَجَةٍ * .

وقد قيل : إنَّ العرب حسابًا عامًّا غير ماهٍ بمهود اليوم وهو حساب تقوُّد الأصابع ، وقد وضعوا كلاً منها
بإزاء عدد مخصوص ثم تَرَبَّعُوا لأوضاع الأصابع أساداً ومشرات ومئات والوفا ، فيشار من الواحد مثلا قبض
الخنصر وعن الاثنين قبض البصر وهكذا ، فالعدد الذي أَرَادَهُ الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى قواعدهم
في هذا الحساب بأن قبض الخنصر والبصر والوسطى من اليد اليمنى لذل على عدد ثلاثة وتجهل سبابة حلقة
غير مجوّزة لذل على عدد تسعين ، ولهذا نرجح رواية اللسان على رواية الأصل . وكذلك تقضى قواعدهم في عدد
الآلاف بأن قبض من اليد اليسرى الخنصر والبصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجهل سبابة اليسرى
حلقة غير مجوّزة لذل على عدد تسعين . انظر «بلوغ الأرب في أسواق العرب» ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٩

(٤) يقال : أَخَذْنَا شِرْعَةً ذَلِكَ أَيْ مِثَالَهُ ، عَنْ اللِّسَانِ .

قال أبو علي الضرير :

لعمركم أياكم ما نُسِبَ المَلَأُ * إلى كرم وفي الدنيا كرمٌ
ولكن البلاد إذا أفسحت * وصَوَّحَ نَبْهَا رعى الهشيمُ

وقال آخر :

أَمِنَ خوف فقير، تَجَلَّتْ * وَأَنْتَ إِضْأَقَ مَا تَجْعُ
فَصِرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ * وهل كنتَ تملؤ الذي تصنعُ

خوف رجل رجلا جوادا الفقر وأمره بالإبقاء على نفسه، فكتب إليه : إنى أكره
أن أترك أمرا قد وقع، لأمر لعله لا يقع. وقال أبو الشَّمْقُوق :

رَأَيْتُ الْخَطْبَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى * حَسِبْتُ الْخَطْبَ قِيَّ جَوَّ السَّحَابِ
وَمَا رَوْحَتَنَا إِسْدَبُ عَنَا * وَلَكِنْ خِفْتُ مَرِزَةَ الْأَبَابِ

وقال دَعْلُج :

صَلَّقُ أَلَيْتَهُ إِذْ قَالَ مُجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفَ، فَذَاكَ الْبُرْهُنُ قَسَمُهُ
قَدْ كَانَ يُعِجُّنِي لَوْ أَنَّ خَيْرَهُ * عَلَى جَرَادِهِ كَانَتْ عَلَى حَرَمِهِ
فَإِنْ هَمَمْتُ بِهِ فَأَقْبِكَ مُجْبِرَتِهِ * فَإِنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ

وقال الشاعر :

أُرْفِقُ بِمَقْصُودٍ حِينَ تَأْ * كُلُّ بَامَلَاوِيٍّ مِنْ طَعَامِهِ
السُّوْتُ أَيْسَرُ عِنْدَهُ * مِنْ مَضْغِ ضَيْفٍ وَالتَّقَامَةِ
وَتَرَاهُ مِنَ خَوْفِ التَّرِيشْلِ بِهِ يُرْوَعُ فِي مَنَامِهِ
بِمَيَّانٍ كَسَرُ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسَرُ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِهِ

(١) كذا في النسخة الألمانية، وفي التتوغرافية "الخبر" بدل "الخبز".

(٢) جمع جرادة أو جرذة، وهو الرغيف، وفي النسخة الألمانية «جراده» وهو الفلأ الأصلية فيه.

لَا تَكْمِرَنَّ رَغِيفَهُ • إِنَّ كُنْتَ تَرَعْبُ فِي كَلَامِهِ
وَلِذَا مَرَرْتَ بِيَابِهِ • فَاحْفَظْ رَغِيفَكَ مِنْ غُلَامِهِ

وقال أبو نواس :

خُبِرُ إِسْمَاعِيلَ كَالْوُشْحَى إِذَا مَا أَلْتَسَّقُ بِرَقَا
عَجِبًا مِنْ أَثَرِ الصَّنَمَةِ فِيهِ كَيْفَ يَنْقَى
إِنَّ رَقَاءَكَ هَذَا • أَحَدُنَا الْأَمَةِ كَفَا
فَإِذَا قَابِلٌ بِالنَّصْفِ مِنَ الْجُرْدِ نِصْفًا
أَحْكَمَ الصَّنَمَةَ حَتَّى • لَا تَرَى مَوْضِعَ إِنْشَى
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ التَّنْشُورِ مَا غَادَرَ حَرَقًا
وَلَهُ فِي الْمَاءِ أَيْضًا • عَمَلٌ أَبْدَعُ ظَرَقًا
مَنْزِلُهُ الْمَذْبُوءَ بِمَاءِ الْكُثْبِ كَيْ يَزْدَادَ ضَعْفًا
فَهُوَ لَا يَشْرَبُ مِنْهُ • مِثْلَ مَا يَشْرَبُ صَرَفًا

باب الخمر

قال الشعبي رجلاً استجعله : مَا أَحْوَجَكَ إِلَى مُحَدِّثٍ شَدِيدِ الْقَتْلِ جَيْدِ الْجِلَازِ
عَظِيمِ الثَّمَرَةِ لَذِينَ الْمَهْمَةُ يَأْخُذُ مِنْكَ فَيَا بْنَ عَجَبِ الذَّنْبِ وَمَغْرِزِ الْحَقِّ فَكَكُرْ لَهُ رَقَصَاتَكَ
مِنْ غَيْرِ جَمَلٍ ؟ فَقَالَ : وَمَا هَذَا ؟ فَقَالَ : بَعْضُ الْأُمْرِ •

- (١) في النسخة الفوتوغرافية : « أَدْرَقِي » • (٢) في ديوان أبي نواس " مفرز " .
(٣) الإشقي : الحَقَب (٤) في ديوان أبي نواس : " لا يسفك " ، وفي هامش النسخة الفوتوغرافية
ما يوضح الرواية التي هنا ، وهو أن يقدَّر مفعول لقتل الثاني هو ماء البئر ويصير الحق : لا يشرب من
الزَّوْجِ مِثْلَ مَا يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ الْبُئْرِ ، لِأَنَّ فِي الزَّوْجِ مِنَ الْمَذْبُوءِ مَا يَجْلِهْ عَلَى الْحَرَمِ وَالْقَضِيرِ .
(٥) في هامش النسخة الفوتوغرافية " المحذرج : الوسط ، والجلاز : جودة القتل ، ولذن ، أي لئن " .
(٦) ثمرة الوسط : عقد أطرافه • (٧) عجب القتب : العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز •

قال حدثني القومسي عن محمد بن الصلت الأسدي عن أحمد بن بشير عن الأعمش عن سامة بن كهيل عن عطاء عن جابر قال : كان في بني إسرائيل رجل له حمار ، فقال : يا رب لو كان لك حمار لعلفته مع حماري هذا ، فهم به نبي ، فأوحى الله إليه : إنما أُتِيبَ كل إنسان على قدر عقله .

حدثني محمد بن خالد بن خنّاش عن أبيه عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين أن رجلا رأى في المنام أن له غنما ، وكأنه يعطى بها ثمانية ثمانية ، ففتح عينه فلم ير شيئا ، فمضّ عينه ومدّ يده وقال : هاتوا أربعة أربعة .

مر رجل من العباد وعلى عنقه عصا في طرفيها زبيلان قد كادا يحيطانه ، في أحدهما برؤوف الأتراب ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : عدلت البر بهذا التراب ، لأنه كان قد ألمّاني في أحد جانبي فأخذ رجل زبيل التراب فقلّبه وجعل البر نصفين في الزبيلين وقال له : أجيل الآن ؛ فخلطه ، فلما رآه خفيضا قال : ما أعفلك من شيخ ! خسر أعرابي قوم قبرا في أيام الطاعون بدرهمين ، فلما أعطوه الدرهمين قال : بأبي دعوها عندكم حتى يجتمع لي ثمن ثوب . كانت أم عمرو بنت جندب بن عمرو بن جماعة السدوسي عند عثمان بن عفان ، وكانت حقا فعمل الخنساء في فيها ثم تقول : حاجيتك ما في في ؟ وفي أم عمرو وأبان أبي عثمان

إبراهيم بن المنذر قال حدثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : رأيت طارقا وهو وال لبعض الخلفاء من بني أمية على المدينة يدعو بالهداء فيفتدي على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكون فيه العظم المصح فينكته على رقعة المنبر فيأكله .

قالت أم غَزَوَانُ الرَّقَاشِيَّ لَكُنْهَا — ورأته يقرأ في المصحف — : يا غَزَوَانُ، أما تجدُ فيه بعيراً لنا ضَلَّ في الجاهليَّةِ ؟ فما كَهَرَهَا ^(١) وقال : يا أمَّه، أجدُ والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً .

سفيان بن عُيينة عن أيوب بن موسى قال : قال ابن أبي عتيق لرجل : ما اسمُك ؟ قال : وثَّابٌ ، قال : فما كان اسمُك ؟ قال : عمرو ، قال : واخْلَافاه !

قال أبو الدرداء : علامةُ الجاهل ثلاثٌ : المُجَبُّ ، وكثرةُ المنطق فيما لا يعنيه ، وأن يَنْهَى عن شيءٍ ويأتيه . أُنْغِي على رجل من الأزد فصاح النساءُ واجتمعَ الجيرانُ وبعثَ أخوه إلى غاسلِ الموتى بفاء فوجده حياً بعدُ ، فقال أخوه : اغسِله فإنك لا تَفْرُغُ مِنْ غَسِلهِ حتى يَقْضَى . وقال أَرْدَشِيرُ : بِحَسْبِكُمْ دَلَالَةٌ عَلَى عَيْبِ الْجَاهِلِ أَنْ كُلَّ إِنْسَانٍ يَنْتَهِي مِنْهُ وَيَقْضُبُ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ . وكان يقال : لا يَفْرُتُكَ مِنْ الْجَاهِلِ قَرَابَةٌ وَلَا أُخُوَّةٌ وَلَا لَفٌّ فَإِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِتَحْرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُهُمْ مِنْهَا .

قال عمر بن عبد العزيز : خَصَلَتَانِ لَا تُعَدُّ مَانِكَ مِنَ الْجَاهِلِ : كَثَرَةُ الْكَلَفَاتِ وَسَرْعَةُ الْجَوَابِ . وقال عمر بن الخطاب : لِمَاكَ وَمَوَاحَاةُ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرُّكَ . وقال بعضهم : لِأَنَّ أَوَّلَ أَحْمَقٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنَّ أَوَّلَ نَصَفٍ أَحْمَقٌ ، يعني الْأَحْمَقُ الْمُتَعَاوِلُ . وقال هشام بن عبد الملك : يُعْرِفُ حَقَّ الرَّجُلِ بِأَرْبَعَةٍ : بِطَوْلِ لِحْيَتِهِ ، وَبِشِنَاعَةِ كُنْيَتِهِ ، وَبِقَشِّ خَاتَمِهِ ، وَبِإِفْرَاطِ شَهْوَتِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ شَيْخٌ طَوِيلُ الشُّنُونِ ، فَقَالَ هِشَامُ : أَمَا هَذَا فَقَدْ جَاءَ بِوَاحِدَةٍ ، فَانْظُرُوا أَيْنَ هُوَ مِنَ الثَّلَاثِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا كُنْيَتُكَ ؟ فَقَالَ : أَبُو الْيَاقُوتِ ، وَقَالُوا : مَا قَشِّ خَاتَمِكَ ؟ قَالَ : (وَجَاءُوا عَلَى

(١) كهرتج : اتهم . (٢) في النسخة الألمانية : " لا تمد مايك " ، وفي الفهرغرافة

" لا يمد مايك " ، ولعل ما أتيتاه أقرب إلى الصواب .

فَقِيصِهِ يَدِيمُ كَذِبٍ . وفي حكاية أخرى (وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى أَكْهَدَهُ) ،
فَقِيلَ لَهُ : «أَيُّ الطَّعَامِ تَسْتَهَيِّ ؟ قَالَ : جَلْتَجِيحِينَ ، وفي حكاية أخرى مصابة .^(١)

سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادى رجلاً : يا أبا العُمرين ، فقال : لو كان له عقل
كفاه أحدُهما ، وقال أبو العَاج يوماً بلُحْسائه - وكان على واسط - : إن الطويل لا يخلو
من أن يكون فيه إحدى ثلاث : أن يفرق الكلاب ، أو يكون في رجله قُرْعة ، أو يكون
أحمق ، وما زلت وأنا صغير في رجل قُرْعة ، وما فرّق الكلاب أحد فرقي ، وأما الحمق
فأتم أعلم بالكم . وقال : الأحمق أعلم بشأنه من العاقل بشأن غيره . وقال بشار :
خَلِيلُ إِنْ الْعَمْرُ سَوْفَ يُفِيقُ * وَإِنْ يَسَارًا فِي غَدٍ نَخْلِقُ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّيْمَانِ إِذَا صَحَا * صَحَّوتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّيْمَانُ أَمُوتُ
فَرَيْبِي أَشْبَهَ هُمَى رَاجٍ فُاتِي * أَرَى الدَّهْرَ فِيهِ مُرْبَةً وَمَضِيْقُ

وقال رجل : فَلَا أُنْجِي إِلَى مَنْ يُلَاوِي عَقْلَهُ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى مَنْ يُلَاوِي بَدَنَهُ . قيل لبعض
الحكماء : متى يكون الأدب شراً من عذمه ؟ قال : إذا كثُرَ الأدبُ ونقصَ العقلُ .

وقرأت في كتاب للهند : من الحمق أتمسَّس الرجل الإخوانَ بغير وفاء ، والأجر
بالرياء ، ومودة النساء بالغلظة ، ونفع نفسه بضر غيره ، والعلم والفضل بالدعة
والحق بغيرهم . وفيه : ثلاثة عِزَّاء بهم : مدعى الحرب ولقاء الخوف وشدة التَّكَايَةِ
في الأعداء وبَدَنُهُ سَلِيمٌ لَا أَرْبَهُ ، ومُتَّحِلٌ عِلْمِ الدِّينِ والاجتهاد في العبادة وهو غليظ

(١) في مفردات ابن الجوزي ص ١٦٦ أنه ورد مراراً بالصل أو بالسكر . وفي أقرب الموارد أنه
سبوت يصل من الورد والصل ، فارسي مؤنث من «كل» و«متاه» و«انكبين» و«متاه» وصل .

(٢) لها محزنة عن مصوص فتح الميم وضم الصاد وهو كما في القاموس طعام من لحم وبلغ وبيع
في التل أو يكون من لحم الطير خاصة .

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، ولها : «العاقل بشأن غيره أعلم من الأحمق بشأنه» لأن الكلام
في ذم الحمق .

- الرفقة أسمن من الأئمة، والمرأة الخلية تسيب ذات الزوج . وفيه : مَنْ يَعْمَلُ بِجَهْلٍ
نَحْسَةً : مُسْتَعْمِلُ الرِّمَادِ فِي جَنْبِهِ بَدَلًا مِنَ الزَّيْلِ ، وَمُظْهِرُ مَسْتَوْرِ عَوْرَتِهِ ، وَالرَّجُلُ
يَتَرَيَا زَيْءَ الْمَرْأَةِ وَالْمَرْأَةُ تَتَرَيَا زَيْءَ الرَّجُلِ ، وَالْمُتَمَلِّكُ فِي بَيْتٍ مُضِيفُهُ ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِمَا
لَا يَنْبَغِيهِ وَلَا يُسَالُّ عَنْهُ . وفيه : الْأَدَبُ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ السُّكْرَ وَيُزِيدُ الْأَخْمَقَ سُكْرًا ،
كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ بَصَرًا وَيَزِيدُ الْخَفَافِيضَ سُوءَ بَصَرٍ . وَكَانُوا يَكْرَهُونَ
أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى فِقْلِهِ .

قال الشاعر في جاهل :

مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَسْتَمْتِعُونَ بِالنَّشَبِ
وَأَنْتَ مِثْلُ الْحَجَارِ أَهْمُ لَا هـ تَشْكُو جِرَاحَاتِ السِّنِّ الْعَرَبِ

- ١٠ سمع الأحنف رجلا يقول : مَا أَبْلَى أُمُيِّحَتْ أُمُ هَيْجِتْ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ :
أَسْتَرَحْتُ مِنْ حَيْثُ تَبَّ الْكَرَامُ .

- كَانَ عَامِرُ بْنُ كُرَيْزٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ مِنْ حَقِّ قُرَيْشٍ ، نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ
يَخْطُبُ فَأَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَ : إِنَّهُ وَاللَّهِ نَخَرَجَ مِنْ هَذَا وَأَشَارَ إِلَى ذِكْرِهِ .
وَمِنْ حَقِّ قُرَيْشٍ الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ أَخُو أَبِي جَهْلٍ وَكَانَ أَبُو هَلْبٍ قَامَرَهُ
فَقَمَرَهُ مَالَهُ ثُمَّ دَارَهُ ثُمَّ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ وَأَهْلَهُ وَنَفْسَهُ فَأَتَّخَذَهُ عَبْدًا وَأَسَامَهُ قَيْئًا^(١) ، فَلَمَّا كَانَ
يَوْمٌ بَدَرَ بَعَثَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ فَقَتَلَ بَيْدَرَ كَافِرًا ، قَتَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ خَالَ عُمَرَ .
وَمِنْ حَقِّ قُرَيْشٍ الْأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ حُرَيْثٍ ، قَالَ لَهُ يَوْمًا جُلُسُوه :
مَا بَالُ وَجْهِكَ أَصْفَرًا أَتَشْتَكِي شَيْئًا ؟ وَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ يَأْمُرُهُمْ
وَيَقُولُ لَهُمْ : أَنَا شَاكٍ وَلَا تُعْلِمُونَنِي ! أَلْقُوا عَلَى الْبَابِ وَابْعَثُوا إِلَى الطَّبِيبِ . وَتَمَارَضَ
مَرَّةً فَمَادَهُ أَحِبَّاهُ وَجَعَلَ لَا يَتَكَلَّمُ ، فَدَخَلَ شُرَاعَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْدِ بُوذُ وَكَانَ أَمْلَحَ
٢٠

(١) عبارة الأغانى: «فأسلمه قتيلا وكان يأخذ منه خرية» ج ٤ ص ١٩

أهل الكوفة، فصرّف أنه مقارض فقال : يا فلان كذا أميس بالحيرة فآخذنا الخمر ثلاثين قَيْنَةً بدمهم، والخمر يومئذ ثلاث قَنَائِي بدمهم، فرفع الأصوص رأسه وقال : كذا مني في كذا من أم الكاذب، وأستوى جالسا، فشر أهله على شُراعة السكر، فقال له شراعة : اجلس لا جلست وهات شرابك، فشر يا يومهما .

ومن حمق قريش بَكَارُ بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبوه ينهاه أن يجالس خالد بن يزيد بن معاوية لِمَا يعرف من حمق ابنه، فجلس يوما إلى خالد، فقال بَكَارُ : أنا والله كما قال الأول :

• مُرَدَّدٌ في بنى الحِمْيَرِ تَزِيدًا •

وكان له بَارِ فقال لصاحب الشرطة : أغلق أبواب المدينة لئلا يخرج البازي .

ومن حمق قريش معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينما هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان فظفر إلى حمار الطحان يَدُورُ الرجا وفي عنقه جُلُجُلٌ، فقال للطحان : لم جعلت في عنق الحمار جُلُجُلًا؟ فقال : ربما أدركني سائمة أو نَمْسَةٌ فإذا لم أسمع صوت الجُلُجُلِ علمت أنه قام فصَحْتُ به؛ فقال معاوية : أرايت إن قام وحرك رأسه ما علمك أنه قائم؟ قال الطحان : ومن لحماري يمثل عقل الأمير! .

وقال معاوية هذا لأبي أمرأته : ملأتنا أبنك البارحة بالدم؛ فقال : إنها من نسوة يَحْبَنُ ذلك لأزواجهن . وقال له أيضا يوما آخر : لقد نكحت أبنك بعصبة ما رأيت مثلها قط؛ قال : لو كنت عيتنا ما زوجناك .

ومن حمق قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، قال يوما : لعن الله الوليد أخى فإنه كان فاجرا، والله لقد أرداني على أن يفعل بي؛ فقال له قائل : أسكت فوالله لئن كان هم لقد فعل .

خطبَ سعيدُ بنَ العاصِ عائشةَ بنتَ عثمانَ على أخيه ، فقالت : هو أحمق
لا أتزوجُه أبداً ، له برذونانِ أشبهانِ فهو يحتملُ مِثْلَ مِثْلَيْنِ وهما عندَ الناسِ واحدٌ .
وأخبرني رجلٌ أنه كانَ له صديقٌ له برذونانِ في شِيشَةٍ واحدةٍ فكلا لا يَنْظُرُ إلا أنَّ له
برذونا واحداً ، وغلامانِ يُسمَّيانِ جِيعاً بفتح ، وكانَ إذا دعا واحداً قال : يا فَتْحُ الكَبِيرُ ،
وإذا دعا الآخرَ قال : يا فَتْحُ الصَّغِيرُ .

قال أبو عبيدة : أرسلَ ابنُ ليَجْلٍ بنَ لَئِمٍ رسالةً في سَلَبَةٍ بقاء سابقاً ، فقال لأبيه :
يا أبتُ ، بأي شيء أُسمِّيه ؟ فقال : أفقاً إحدى عينيه وسمِّه الأعورَ . وقال الشاعر :
رَمَنِي بنو عِجْلٍ بَداءِ أَيُّسُمُ * وأى عِبادِ اللَّهِ أَنوَكُ مِنْ عِجْلٍ !
أليس أبوهُم عارِ عَيْنِ جَوادِهِ * فاصْحَتْ بِهِ الْأَمْثالُ تُضْرَبُ فِي الْجَهْلِ

ومن عِجْلٍ "دُفَّةٌ" التي يُضْرَبُ بِهَا الْمُثَلُّ فِي الْجَهْلِ ، فيقال : هِيَ دُفَّةٌ بِنْتُ مَغْنَعٍ ؛
ويقال : دُفَّةٌ لَقَبٌ ، واسمُهَا مَارِيَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ . قال أبو اليقظان : ومن عِجْلٍ حَيَّانُ
أَبْنِ غَضَبانٍ وَرِثَ نَصْفَ دارِ أَبِيهِ فقال : أريدُ أنْ أبيعَ حَصَصِي مِنَ الدارِ وَأُشْتَرِيَ
النَّصْفَ الْباقِي فَتَصِيرَ كُلُّهُا لِي .

ومن القبائل المشهورِ فيها الحقُّ "الأَزْدُ" . قال رجلٌ منهم في المَهْلَبِ بنِ أَبِي صُفْرَةَ :

نِمَ أَمِيرُ الرُّقْبَةِ المَهْلَبُ * أبيضُ وضاحٌ كَتَيْسُ الحَلَبِ^(١)
* يَنْقُصُ بِالْقَوْمِ اقْتِصَاصُ الكَوَكَبِ *

(١) يقال : "أحمق من دفة" أوردته الميداني في جميع الأمثال وقال في شرحه : إنها مارية بنت معن
بالعين المهملة ورواه صاحب اللسان في مواد : «غنج ودغا وحجر» بالعين المهملة ، وفي شرح القاموس
مادة جسر مثلاً عن البكري في شرح أمالي القائل أن الفضل بن سلمة قال : من أجم العين فضع الهمز ومن
أصلها كسر الهمز . ولما قصته مشهورة أوردتها الميداني في جميع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٣
(٢) يقال تيسٌ حَلَبٌ وتيسٌ ذو حَلَبٍ . والحَلَبُ بقلة جلد غيرة ، في حفرة تنبسط على الأرض يسيل
منها اللبن إذا قطع منها شيء ، وهي تنبت في القريظ بالقيطان وشيطان الأودية .

فلما أُنشده المهلب، قال : حسبك رحك الله ! .

ومن أشعارهم :

يأربُّ جارية في الحى حالية * كأنها عومة في جوف راقود

وقال آخر منهم :

زياد بن عمرو عيَّنه تحت حاجبه * وأسنانه بيض وقد طرَّ شاربه

وقال صربن بلياً يصف إبلاً :^(٢)

تمصَّطك الحيا على دلائبها * تلاحم الأزد على عطائها

وقال أبو حجة الثمري :^(٣)

وكأنَّ غلَّ دنانيم في دؤرم * لفظ العتيك على خوان زياد

١. كتب مسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب : والله ما أنت بصاحب هذا الأمر، صاحب هذا الأمر مغمور مغمور وأنت مشهور غير مغمور؛ فقام إليه رجل من الأزد فقال : قدَّم ابنك غلداً حتى يقتل قصير مغموراً .

قام رجل من الأزد إلى عبيد الله بن زياد فقال : أصلىح الله الأمير، إن أمرأتى هلكت وأردت أن أتزوج أمتها وأزوج أبى أبتها وهذا عريفي، فأعني في الصداق؛ فقال : في كم أنت من العطاء؟ قال : في سبعمائة؛ قال : خطأ عنه أربعائة، يكفيك ثلثائة .

(١) قدسية تسج في الماء . (٢) ورد بالأولين «عمرو» والتصويب عن الكامل للبرذص ٣٢٤، ٥٦٣ طبع ليسج وأمال القال ج ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع يولاق واللسان مادة «جلا» . (٣) ألتها جمع لتي على أفضل، وكسرت الحاء لمناسبة الياء، وألحى : منبت الحمرة .

٢٠ (٤) العتيك بالالف واللام : تلخ من الأزد والنسبة إليها حكي .

(٥) العريف : القيم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس على أمورهم ويعترف الأمير به أحوالهم .

ومن حق الأزد قَيْصَةُ بن المهلب ، رأى جرادا يطير فقال : لا يهولكم ما ترون
فإنه حاتمها موتى . وقال يوما : أَيْتُ غُرْفَةً فَوْقَ بَيْتٍ . وقال لغلامه : اذهب إلى
بَيَاضِ الْمَلَاءِ .

ومن حق العرب كِلَابُ بن صَعَصَعَةَ ، خرج إخوته يَسْتَرُونَ خَيْلاً ونرج معهم
كِلابٌ بغاء يَجْعَلُ يَهْوُهُ ؛ فقال له إخوته : ما هذا ؟ قال : فرسٌ أَشْرَيْتُهُ ؛ قالوا :
يا مائق ، هذه بقرةٌ أَمَا تَرَى قَرْنَيْهَا ! فرجع إلى بيتِه ففقطع قَرْنَيْهَا ، فأولاده يُدْعَوْنَ
« بَنِي فَارِسِ الْبَقَرَةِ » . قال الْكَيْتُ :

ولولا أمير المؤمنين وذِبْهُ • يَحْتَلِ عن الْعِجْلِ الْمَرْقِجِ مَاصِلٌ^(١)

وكان شَدْرَةُ بنُ الزُّبَيْرِ قَانِ من الْحَقِيقِ ، دخل يوم الجمعة المسجدَ فَأَخَذَ بَعْضَادِي الْبَابِ^(٢)
ثم قال : السلامُ عَلَيْكُمْ ، أَلَيْسَ شَدْرَةُ ؟ فقالوا له : هنا يومٌ لَا يُسْتَأْذَنُ فِيهِ ؛ قال : أَفَلَيْسَ
مثلُ كلِّ جماعةٍ مثلُ هؤلاءِ وَلَا يُعْرَفُ مَكَانُهُ !

عَوَانُهُ قال : اسْتَعْمَلَ معاويةُ رجلاً من كَلْبٍ ؛ فذكر المجوسَ يوماً فقال : لَمَنْ
اللهُ المجوسَ يَنْكُحُونَ أمهاتهم ، والله لو أُعْطِيتُ عَشْرَةُ آلَافٍ مَا نَكَحْتُ أُمِّي ؛ فبلغ
ذلك معاويةَ ، فقال : قَبِحَهُ اللهُ ! أَتَرُونَهُ لَوْ زَادُوهُ فَعَلَ ! وعَزَلَهُ .

حدثني أبو حاتم عن الْأَصْمَعِيِّ قال : سَأَلَ القَوْمُ الْحَارِثَ بنَ جِرَّانٍ أَنْ يُعَيِّنَهُمْ فِي تَأْمِينِ
مَسْجِدٍ ؛ فقال : قَبِرُوهُ وَعَلَى الْوَدْعِ .

خطب والى الإمامة فقال : إن الله لَا يُقَارِعُ عَلَى الْمَعَاصِي عِبَادَهُ ، وقد أَهْلَكَ أُمَّةً
عَظِيمَةً فِي نَافَةِ مَا كَانَتْ تُسَاوِي مَائَتِي دَرْهَمٍ ؛ فَسُمِّيَ مُقَوِّمُ النَّاقَةِ .

شَرْدٌ بَعِيرٌ بِطَبَقَةٍ ، وأَسْمُهُ يَزِيدُ بنُ ثُرَوَانَ ، فقال : مَنْ وَجَدَ بَعِيرِي فَهَوَلِهِ ؛ ففعل
له : وما يَنْفَعُكَ مِنْ هَذَا ؟ إنكم لَا تَكْتُرُونَ مَا حَلَاؤُهُ الْوِجْدَانِ .

(١) المَرْقِجُ : الذي أَخَذَتْ غُرْبَتُهُ جَمِيعَ وَجْهِهِ . (٢) ضَادَةٌ الْبَابِ : الْخَشْبَتَانِ الْمُصَوَّبَتَانِ
عَنْ يَمِينِ الدَّخْلِ مِنْهُ وَشِمَالِهِ .

وقال المنصور للربيع: كيف تصرف الربيع؟ قال: أنظر إلى خاتمي فإن كان سليماً فهي تيمالٌ وإلا فهي جنوبٌ؛ فسأل القاسم بن محمد الطلحي عن ذلك؛ فقال: أضرب بيدي إلى خُصيتي فإن كانت قد قَلَصَتْ فهي تيمالٌ وإن كانتا مُتَدَلِّيَتَيْنِ فهي جنوبٌ.

قال أبو كعب القاص في قصصه: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كَيْدِ حمزة ما قد علمتم فادعوا الله أن يُطْعِمَنَا مِنْ كَيْدِ حمزة، وكان يقول في قصصه: ليس في خير ولا فيكم، فنبَلُّوا بي حتى تجدوا خيراً مِنِّي. وقال هو أو غيره في قصصه: كان آدم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا؛ قالوا: فإن يوسف لم يأكله الذئب؛ قال: فهذا آدم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال: كان قاصُّ يقصُّ في المسجد فيقول: مثل الكافر مثل قصر الإسكاف خارجُه حسنٌ وداخلُه حمرٌ؛ ومثل المؤمن مثل قصر زربي جدارُه كالخ وداخلُه زهرٌ. ويقول: وما الدنيا! أنزى الله الدنيا! إنما مثلها مثل أير حمار، بيتا هو قد أنظر إذ طفي. وقال: المؤمن غداؤه فلةٌ وممكته شلقةٌ ودواؤه علةٌ ومرفته سلةٌ.

أصابته داود المصاب مصيبةً فاعتم؛ فقال له صاحب له: لا تبه الله في قضائه؛ فقال داود: أقول لك شيئاً وتكتمه؟ قال: نعم؛ قال: والله ما صاحبي خيرٌ. واستشاره رجل في حمل أتمه إلى البصرة، وقال: إن حملتها في البر خفت عليها اللصوص، وإن حملتها في الماء خفت عليها الغرق؛ فقال: خذ بها سفينةً.

(١) قصر البصرة في سكة اليريد لمسلم بن عمرو بن الحصين بن قتيبة بن مسلم، وكان يليه غلام يقال له: زربي. (٢) الفلة: الكسرة، والشلق: شيء على خلفة السمكة صغير له رجلان عند ذنبه كرجل الضفدع لا يدين له يكون في أنهار البصرة وليست بهريّة. كذا في اللسان. والطفة: فيهرين في الشتاء تنقل به الإبل حتى تترك الربيع. والسقة: الجردة، لعله يريد أنه يجزئ من المرق بالقليل مع سقائه ليكفيه مرق جردة واحدة. (٣) السفينة: أن تملأ مالا لريل له مال في يد تريد أن تسافر إليه فأنخذ من غطائه المال في ذلك البلد أن يطيلك مثل مالك الذي دفعته إليه قبل سفرك، وهو عرب سفة بالقارصة وسماها الشيء المحكم حتى به هذا القرض لإحكاك أمره.

دعا بعض السلاطين مجنونه ليضحك منهما ، فاسمعه فغضب فعدا بالسيف ؛ فقال أحدهما للآخر : كنا اثنين وقد صرنا ثلاثة . قال رجل لابن سيابة مولى بني أسد : ما أراك تعرف الله ؛ قال : أتراني لا أعرف من أجاعني وأعراني وأمزاني . قيل لأعرابي : كيف ترك بأك ؟ قال : ما قرعتها سوطاً قط . وقيل لآخر وهو يضرب أمه : ويحك ! تضرب أمك ! فقال : أحب أن تنشأ على أدبي . وقال بعض الشعراء :

جُنُونُكَ مجنونٌ ولست بواجِدٍ * طبيباً يداوي من جُنُونِ جُنُونٍ

وقال آخر :

وكيف يُضيقُ الدهرَ كعبُ بنِ نَاشِبٍ * وشيطانُهُ مِن الأهلَةِ يصرَعُ
وقال أعرابيٌّ وذكر الله عزَّ وجلَّ :

خلقَ السماءَ وأهلها في جمعة ^(١) * وأبوك يمدُّ حَوْضَهُ في عامٍ

كان أبو العاج والي واسط ، وأتاه صاحبُ شرطته قَوَادِيةً فقال : أصلى الله الأميرَ هذه قَوَادِيةٌ ؛ قال : وأى شيء تصنع ؟ قال : تجمع بين الرجال والنساء ؛ قال : لماذا ؟ قال : للزنا ؛ قال : وإنما أيتنى بها لتمرَّفها متى ! خلَّ عنها لعنك الله . وأتاه يوماً مجنَّحٌ ؛ فقال له : ما هذا ؟ قال : مجنَّحٌ ؛ قال : وما يصنع ؟ قال : يَكْحُكُ كَمَا تَكْحُكُ المرأةُ ؛ قال : يَبْدُلُ هذا أَسْتَه وأحظُّرُ أنا عليه ! أذهب يا بنِ أمي فأرَدَ لها ^(٢) .

خطبَ ويكيعُ بنُ أبي سُويدٍ بِجُرَّاسَانَ فقال : إن الله خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستة أشهرٍ ؛ فقيل له : إنما ستة أيام ؛ فقال : والله لقد قُلْتُها وأنا أستَقِلُّها .

(١) مددت الحوض أمدده ، أى أصلحته بالمَدَدِ وهو قطع العين اليائس .

(٢) كذا في الأصل القنغراني ، وفي النسخة الألمانية : « فأردت لها » .

تقدى رجلٌ عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذٍ وليُّ عهدٍ وقُدَّامَه جَدَى، فقال له سليمان : كُلْ من كُتَيْبَةٍ فَإِنَّا نَرِيدُ فِي الدِّمَاغِ؛ فقال : لو كان هذا هكنا كان رأس الأُمير مثل رأس البغل .

أبو عبيدة : أُجْرِيَتْ الخليلُ فُطِّلَ مِنْهَا فَرَسٌ سَابِقٌ بِجُفَلٍ رَجُلٍ مِنَ النَّظَّارَةِ يُكْرَهُ وَيَتَّبُ مِنَ الفَرَحِ؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه : يَا قَتِي، هذا الفَرَسُ فَرَسُكَ؟ قال : لا وَلَكِنِّي الْبَلَامُ لِي . دخل أبو عتابٍ على عمرو بن هذَّابٍ وقد كُفَّ بَصَرُهُ والنَّاسُ يُعْزُونَهُ، فقال : يَا أَبَا زَيْدٍ، لَا يَسُوءُكَ ذَهَابُهُمَا، فَإِنَّكَ لَوِ رَأَيْتَ نَوَاهِمَا فِي مِيزَانِكَ تَمَتَّتَ أَنْتَ اللَّهُ قَطَعَ بِدَيْكَ وَرَجُلِيكَ وَدَقَّ ظَهْرَكَ . كان رجلٌ يَقُولُ أَعْمَى يَكْرَهُ، فكان الأَعْمَى ربما عَثَرَ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي بِهِ قَائِدًا خَيْرًا مِنْهُ؛ ويقولُ القَائِدُ : اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي أَعْمَى خَيْرًا مِنْهُ .

أَدْعَى أَبُو بَكْرٍ الشَّيْبَانِيَّ إِلَى الْعَرَبِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَصْبَحَ مِنَ الْغَدِ عَلَى الشَّمْسِ فَقَعَدَ فِيهَا فَتَارَتْ بِهِ مِرَّةٌ، فجعل يَمُكُّ جِسْمَهُ بِأُظْفَارِهِ تَمَشُّا وَيَقُولُ : إِنَّمَا نَحْنُ إِبِلٌ؛ فقال له قَائِلٌ : وَاللَّهِ إِنَّكَ تُشَبِّهُ الْعَرَبَ؛ فغَضِبَ وقال : أَيْقَالَ لِي هَذَا ! أَنَا وَاللَّهِ حِرَابٌ تَنْضَبِيَّةٌ يَنْشَبُدُ لِي سَوَادُ لَوْنِي وَغُورُ عَيْنِي وَجِيَّ لِلشَّمْسِ .

قِيلَ لِأَبِي السَّفَّاحِ عِنْدَ مَوْتِهِ : أَوْصِ؛ فقال : إِنَّا لِكِرَامٌ قَوْمٌ طَحْفَةٌ^(١)؛ قالوا : قُلْ خَيْرًا يَا أَبَا السَّفَّاحِ؛ فقال : إِنْ أَحْبَبْتَ آمَرَائِي فَأَعْطَوْهَا بَعِيرًا؛ قالوا : قُلْ خَيْرًا؛

(١) كذا في القند الفريد ج ٣ ص ٣٠٩ وفي الأصلين «عمر بن هزَّاب» وهو تحريف .

(٢) في الأصلين «مُنْبِيَّةٌ» والصحيح عن لسان العرب في مادة «نضب» «وحياة الحيوان ج ١ ص ٢٠١ والنَّضْبَةُ واحدة النَّضْبِ وهو شجر له شوك فصار تألقه الخراش .

(٣) طحفة بالكسر والفتح : جبل أحمر طويل حذاء أبار ومنبل . ومه يوم طحفة لبقى يربوع على نابوس بن المنذرين ماء الماء .

- قال : إِذَا مَاتَ غُلَامِي فَهُوَ حَرٌّ . وَقِيلَ لِرَجُلٍ عِنْدَ مَوْتِهِ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَأَعْرَضَ ، فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَارًا ، فَقَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ أَبِي طَالِبٍ أَقَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ ؟ قَالُوا : وَمَا أَنْتَ وَأَبُو طَالِبٍ ! قَالَ : لَا أَرْغَبُ بِنَفْسِي عَنْهُ . وَلَمَّا اخْتَضَرَ السُّجَيْرُ السَّلُولُ قَالَ لِقَوْمٍ عِنْدَهُ : أَنَا فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهِ لَئِنْ وَجَدْتُ لِي عِنْدَ اللَّهِ مَوْضِعًا لِأَكْمَلَتِهِ فَيَكُنْ . وَقِيلَ لِأَوْسَ بْنِ حَارِثَةَ عِنْدَ مَوْتِهِ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : لَمْ يَأْنِ لَهَا بَعْدُ . وَقِيلَ لِأَخْرَعٍ عِنْدَ مَوْتِهِ : أَلَا تُوصِي ؟ قَالَ : أَنَا مَغْفُورٌ لِي ؛ قَالُوا : قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ : قَدْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ ، قَالُوا : لَا تَدَّعِ الْوَصِيَّةَ ، فَقَالَ لِبَنِي أَخِيهِ :

بَنِي حُرَيْثٍ أَرْضُكِ وَسَادِي * وَأَحْتَفِظُ بِالْجَلَّةِ الْجَلَادِ

- ١٠ * فَإِنَّمَا حَوْلَكُمُ الْأَعَادِي *
- قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ : ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمَجَانِينِ وَإِنْ كَانُوا عِقْلَاءَ : الْغَضِبَانُ وَالْقَسِيرَانُ وَالسَّكَرَانُ ؛ قَالُوا : فَمَا تَقُولُ فِي الْمُنْعِطِ ؟ فَضَحِكَ وَقَالَ :
- وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ عَمْرٍو * بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِيحِنَا
- قَالَ الْوَلِيدُ : أَلَا إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ كَانَ يَقُولُ : إِنْ الْمَجْحَاجُ جَلَدُهُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْ ، أَلَا وَإِنْ الْمَجْحَاجُ جَلَدُهُ وَجْهِي كُلُّهُ .
- ١٥
- خَطَبَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ حَتَّى عَلَى الْجِهَادِ وَقَالَ : هَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
- كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا * وَعَلَى الْعَانِيَاتِ بَحْرُ الدُّيُولِ
- وَقَالَ آخِرُ فِي الرَّبِيعِ وَالِي الْإِمَامَةِ :
- شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ * وَأَنَّ الرَّبِيعَ الْعَامِرِيَّ رَقِيعٌ^(١)
- ٢٠ أَقَادَ لَنَا كَلْبًا يَكْلِبُ وَلَمْ يَدْعُ * دِمَاءَ كَلَابِ الْمُسْلِمِينَ تَضِيعُ

(١) كذا بالنسخة الألمانية وهو الموافق لما في القند القريدج ٣ ص ٣١٢ والبيان والتبيين لم يلاحظ
ص ١٧ طبع المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ ، وفي الأصل القندغرافي : «رفع» بالفاء. وهو تحريف .

دخل شاب على المنصور فسأله عن وفاة أبيه ، فقال : مات رحمه الله يوم كذا وكذا ، وكان مرضه رضى الله عنه كذا وكذا ، وترك عفا الله عنه من المال كذا وكذا ؛ فأتته الربيع وقال : أين يدعى أمير المؤمنين تُوَالِي الدماء لأبيك ! فقال الشاب : لا أُوَلِّمُكَ ، إنك لم تعرف حلاوة الآباء ؛ فما علم أن المنصور ضحك مثل ضحك يومئذ . وكان الربيع لقيطاً .

دخل رجل من بنى هاشم على المنصور فاستجلسه ودعا بقدائه فقال للفقى : أدته ؛ فقال : قد تغدبت ؛ فلما خرج استخف به الربيع ودفع في قفاه ، وقال : هذا كان يُسَلَّمُ من بعيد ويتصرف ، فلما استدناه أمير المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه إلى طعامه تبدل بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المنزلة التي صبره فيها أن قال : قد تغدبت ، وإذا ليس عنده لمن تغدئ مع أمير المؤمنين إلا سد حلة الجوع .

يونس المحجري قال : مات رجل من جند أهل الشام فحضر الجنازة ، وكان عظيم القدر ، فصلى وجلس على قبره وقال : لِيَتَرَلَّ قبره بعض إخوانه ؛ فنزل فمر منهم ، فقال أحدهم وهو يسوي عليه : رحلك الله أبا فلان ! إن كنت ما علمت لك تجيد اليناء وتسرع رب الكاس ، ولقد وقعت في موقع سوء لا تخرج منه إلى الذكة ؛ فما تمالك الجناح أن ضحك فأكثر ، وكان لا يكتر الضحك في جِدٍّ ولا هزلٍ ، ثم قال له : لا أم لك ! هذا موضع هذا ! قال : أصلح الله الأمير ، فريسي حبيس لو سمعته يتغنى : * يَا بَيْتِي أَوْقِدِي النَّارَ * لا تنتشر الأمير على سعة ، وكان الميت يلقب سعة ، وكان من أوحش خلق الله صورة وأدمهم ؛ فقال الجناح : إنا لله ! أخرجه عن القبر ، ثم قال : ما أين نجمة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشام . ولم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ ضحكاً .

(١) في الأصلين : « وتبدل » والبيان يقتضى حذف الواو .

تبع داودُ بنُ الْمُعْتَمِرِ امرأةً ظَنَّ أنها من الفوائد، فقال لها : لولا ما رأيتُ عليك من سِمْيَا الخيرِ لم أَتَبَيْكَ ؛ فَضَحَكَتِ المرأةُ وَأَسْنَدَتْ ظهرها إلى الحائطِ ثم قالت : إِنَّمَا يَتَّصِمُ مِثْلِي مِنْ مِثْلِكَ سِمْيَا الخيرِ ، فَلَمَّا صَارَ سِمْيَا الخيرِ هو الدَّالُّ لِمَلَكَ عَلَى مِثْلِي فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ . كَانَتْ يَهْوَى جَارِيَةً تَخْتَلِفُ فِي حَوَائِجِ أَهْلِهَا ، وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى السُّوقِ وَلَمْ يَلَمْ بِخُرُوجِهَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَرَأَاهَا قَالَ وَهُوَ يُسَمِعُهَا : (لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ أَخِيرٍ) ، وَإِنْ وَعَدْتُهُ شَيْئًا فَاخْلَعْتُ قَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) ، فَإِنْ تَقَضَّيْتُ لَشَيْءٍ بَلَّغْهَا عَنْهُ قَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَلِيغٌ فَتَبَيَّنُوا) .

١٠ مرَّ بَعْضُ الْحَقِيقِيِّ بِأَمْرَأَةٍ قَاعِيَةٍ عَلَى قَهْرٍ وَهِيَ تَبْكِي ، فَرَفَّقَ لَهَا وَقَالَ : مَنْ هَذَا الْمَيْتُ ؟
قالت : زوجي ، قال : لِمَا كَانَتْ عَمَلُهُ ؟ قالت : يَحْفِرُ الْقُبُورَ ؛ قال : أَبْعَدَهُ اللهُ
أَمَّا لَمْ أَنْ مَنْ حَفَرَ حُفْرَةً وَقَعَ فِيهَا ! أَحَدَتْ رَجُلٌ مِنَ الْحَقِيقِيِّ لَيْلَةً عَلَى بَابِ رَجُلٍ ،
فَلَمَّا نَزَجَ الرَّجُلُ ذَلَّقَ وَوَقَعَ عَلَى ذِرَاعِهِ فَأَنكَسَرَتْ ، وَأَجْتَمَعَ الْجِيرَانُ وَجَعَلُوا يَخْتَصِمُونَ
وَيُوقِعُونَ الظُّنُونَ وَهُوَ نَاحِيَةٌ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا قَالَ :

١٥ رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَحْنِيهَا رَجُلًا * وَيَصْطَلِي حَرْهَا قَوْمٌ بَرَاءً
فَأَخَذُوهُ وَقَالُوا : أَنْتَ صَاحِبُنَا . قَالَ دَاوُدُ الْمَصَابِ : رَأَيْتُ رُؤْيَا نَصَفُهَا حَقٌّ
وَنَصَفُهَا بَاطِلٌ ، رَأَيْتُ كَأَنَّ عَلَى عُنُقِي بَذْرَةً ^(٢) فَمِنْ تَقْلَاهَا أَحَدْتُ فَاَسْتَقْلْتُ فَرَأَيْتُ
الْحَسَنَةَ وَلَمْ أَرِ الْبَسَدَةَ . رُئِيَ أَعْرَابِيٌّ يَبْكِي بَكَاءً شَدِيدًا ، فَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ
فَقَالَ : بَلَّغْنِي أَتَى جَالُوتٌ قَتَلَ مَظْلُومًا . رَأَى رَجُلٌ أَحْمَقُ شَيْخًا فِي الْحَمَامِ ^(٣) أَعَنَّ

٢٠ (١) القيراط : نصف الدائق ، والدائق سدس الدينار . (٢) البذرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . لسان العرب . (٣) أعَنَّ البطن ، أى في بطنه عكن وهي ثأياها .

البطن، فقال له : يا عم إني أشتي أن أصنع هذا - يعني ذكرك - في سرك؛ فقال له الشيخ : يا بن أخي فإين يكون أسنك حينئذ، نزل يهودى على أعرابي فأتاه عنده، فقام الأعرابي يُصَلِّى عليه فقال : اللهم إنه ضيفٌ وحقُّ الضيف ما قد علمت، فأَمَهَلْنَا إلى أن تَقْضَى ذِمَامَهُ ثم شَأْنُكَ والكلب .

وحدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان بين اثنين عيد فقام أحدهما بفعل يضرُّ به فقال له الآخرُ شريكه : ما تصنع ! قال : إنما أضربُ حصيتي . قال أعرابي : لرجل : ما أسنك؟ قال : عيِّد الله، قال : ابنُ مَنْ؟ قال : ابنُ عبيد الله، قال : أبو مَنْ؟ قال : أبو عبد الرحمن، قال : أشهدُ إنك لتلوذُ باللهِ لو أذِ يَمَ جِبان . قال بعضهم : رأيتُ رجلين بالبصرة على باب مؤنس يتنازعان في العنب التبروزي والرازيقي : أيهما أطيب، فخرى بينهما كلامٌ إلى أن تَوَافَا، ففُطِعَ الكوفي فصاحَ البصريُّ وفقاً البصريُّ عَيْنَ الكوفي، ثم لم أَلْبَثْ إلا يسيراً حتى رأيتُهما مُتَصَافِيَيْنِ مُتَنَادِمَيْنِ .

قال : وقال مُتَمَامَةٌ : مررتُ في غَيْبِ سَمَاءٍ والأَرْضُ نَدِيَةٌ والسَّمَاءُ مُتَغِيمةٌ والريحُ شَمَالٌ وإذا شيخٌ أَصْفَرُ كأنه جُرَادَةٌ، وقد قعد على قارعة الطريق وَتَحَامٌ يَحْجُمُهُ على كاهله وَأَخْذَعِيهِ بِحَاجِمٍ كأنها قَعَابٌ وقد مَصَّ دَمَهُ حتى كَادَ يَسْتَفْرِغُهُ، فَوَقُفْتُ وقلتُ : يا شيخُ لِمَ تَحْجِمُ؟ قال : لِمَكَانِ الصَّقَارِ الذي بي . أتَى الطَّمَحَانُ قَوْمًا يَمُودُ عَلَيَّاهُمْ فَعَزَّاهُمْ بِهِ قَالُوا : إنه لم يَمُتْ، فَرَجَعَ وهو يقول : يموت إن شاء الله، يموت إن شاء الله .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال : كان النَّاضِرِيُّ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ فَقِيلَ لَهُ : مَا حَقُّهُ ؟ فَعَمِلَ يَتَرَبَّثُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَالَ : قَالَ لِي مَرَّةً : الْبَحْرُ مَنْ حَقُّهُ ؟ وَهَذَا حِفْرٌ فَإِنْ نَيْتُهُ ؟ أَتَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَحْفَرَ مِثْلَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ؟

(١) في النسخة الألمانية : « من » . (٢) يَرَبَّتْ : يَبْلُتْ .

(٣) النَيْجَةُ : تَرَابُ الْبُزْءِ وَالْأَثَرِ .

دخل رجلٌ من الحمقى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقالُ في نسبه، فقال:
إني قد امتدحتك بشعرٍ لم تُمدح قطُّ بأفنع لك منه؛ قال: ما أحوَجني إلى المنفعة
فهاتيه؛ فقال:

سألتُ عن أصلك فيما مضى * أبناء سبيعٍ وقد نيفوا
فجكُّهم يحسِرُنِي أَنَّهُ * مهذبٌ جوهره يعرفُ

فقال له: قُم في لعنة الله وفي سُخطه! لعنك الله ولعن من سالتَ ومن أجابك.
وحدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمه فقال:
يا عمّ، إن ولَدَ جارِيَةِ آلِ فلانٍ مِنِّي فاقْتَدِه، ففعل؛ ثم جاءه مرّةً أخرى فقال له مثل
ذلك؛ فقال له عمه: لو عَزَلْتُ! قال: بلغني أن العَزْلَ مكروهٌ.

قال: وحدثنا الأصمعيّ قال: بلغني عن شيخٍ جَزَعَ على مِيتٍ جَزَعًا شديدًا؛ فقيل
له في ذلك؛ فقال: نحن قومٌ لم نَتَعَوَّدِ الموتَ.

أبو الحسن الجعفری قال: قيل لكَرْدِمِ السُّلُومِيِّ: كُلْ؛ قال: ما أريدُ؛ قيل:
ولِمَ؟ قال: أَكَلْتُ قَلِيلَ أَرزِ فَأَكْثَرْتُ مِنْهُ. ضَلَّ بَعِيرٌ لَأَعْرَابِيٍّ بِفَعْلٍ يَشُدُّهُ إِلَى أَنْ
دخلَ الإِمَارَةَ فَأَخَذَ مِنْهَا بَعِيرًا؛ فقيل له: إِنْ بَعِيرُكَ كَانَ أَعْرَابِيًّا؛ قال: إِنَّهُ لَمَّا
أَكَلَ مِنْ مَالِ الإِمَارَةِ تَجَبَّأُ.

الهيثم عن ابن عباس قال: لما وَلِيَ مَرْوَانُ وَجْهَ جَيْشِ بَنِي دُبَلَّةِ الْقَيْسِ إِلَى الْمَدِينَةِ
وكان يصعدُ المَنبَرَ ومعه الكَلْبَةُ مِنَ التَّمْرِ فَيَأْكُلُهَا ثُمَّ يُلْقِي التَّمْرَ عَلَى وَجْهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
يَمِينًا وَشِمَالًا، ثم يقول: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ فِي حَرَمَةٍ وَمَوْضِعَةٍ

(١) تَجَبَّأَ صَارَ يَجْتَنِي جَمْعَهُ بِجَنَى وَهِيَ الْإِثْلُ الْفَرَّاسَانِيَّةُ.

ليس موضع أكل ولا شرب، ولكني أحب أن أرىكم هوانكم على الله . قيل لمعلم بن معلم : مالك أحق ؟ قال : لولم أكن أحق كنت ولد زنا . قال بعض الشعراء :
 فإن كنت قد باعت مروان طائفا • فصرت إذا بعد المشيب معلما
 وقال آخر :

وكيف تُرجى العقل والرأى عند من • يروح على أنى ويدعو على طفل
 ابن المذاتى قال : تحول أبو عبد الله الكرخي^(١) إلى الخريبة فادعى الفقه وظن أن
 ذلك يجوز لمكان لحيته وسميته ، فأتى على باب داره البواري وجلس بفلس إليه قوم^(٢)
 فقال له رجل منهم : يا أبا عبد الله ، رجل في الصلاة أدخل إصبعه في أنفه فخرج
 عليها دم ، أى شئ يصنع ؟ قال : يحتجهم رحمك الله ، فقال له السائل : فلننت أنك
 فقيه ولم أدر أنك طبيب . قال رجل للشعي : إني أجد في فقاهي حكمة فترى لي أن
 أحجهم ؟ فقال الشعي : الحمد لله الذي قلنا من الفقه إلى المجامعة . وقال له آخر :
 رجل استمنى في يوم من شهر رمضان هل يؤجر ؟ قال : أوما يرضى أن يُفلى رأسا
 برأس . نازع التبعي رجل من بنى عمه في حائط بينهما فبعث إلى قوم يُشهدهم ،
 فأتاه جماعة من القبائل ، فوقف بهم على ذلك الحائط وقال : أشهدكم جميعا أن
 نصف هذا الحائط لي . وقسم آخر رجلا إلى القاضي في شئ . يدعيه عليه ، فأنكر الرجل ،
 فقال : أيها القاضي أكتب إنكاره ، فقال القاضي : الإنكار في يدك متى شئت .

قال مسعدة بن طارق الدُّرَّاع^(٣) : إنا لو وقف على حدود دار لنقسمها ونحن في خصومة ،
 إذ أقبل سيدي بنى تميم وموئمرهم والمصل على جنازتهم ، فأمسكا عن الكلام ، فقال :

(١) الخريبة : موضع بالبصرة . (٢) البواري جمع بارية : الحصير المتسوج .

(٣) في الأصل : الزارع . ولعل الصواب ما أتبعناه هنا قلا عن المقد القرط فإنه منسوب إلى القرع
 وهو القياس بالزارع .

حَدَّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضًا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا؟ ^(١) قَالَ مَسْعَدٌ: فَإِنَّا مِنْذُ سِتِّينَ سَنَةً أَفَكَّرْنَا فِي كَلَامِهِ مَا أَدْرَى مَا عَنَى. أَنْتَ جَارِيَةٌ أَبَا حَمَّيْمٍ فَقَالَتْ: إِنَّ هَذَا قَبْلِي، فَقَالَ: يَا قَتْنِي، أَذْغَرْنَا لَهَا بِحَقِّهَا، قَبْلِيهِ عَافَاكَ اللَّهُ كَمَا قَبْلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) .

- حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أُلْقِيَتْ عَلَى رَجُلٍ فَرِيضَةٌ فَأَشْتَدَّتْ عَلَيْهِ بِفَعْلٍ يَحْسَبُ غَيْرَهَا؛ فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: عَمِي أَنْ يَكُونَ تَرَكَ غَيْرَ مَا ذَكَرُوا.

- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي نَكَّاسَةَ قَالَ: قَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ لِأَشْعَبَ: لَوْ رَوَيْتَ الْحَدِيثَ وَتَرَكْتَ النُّوَادِرَ كَانَ أَنْبَلُ لَكَ؛ قَالَ: وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ وَرَوَيْتُهُ؛ قَالَ: فَحَدَّثْنَا؛ قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَلَّتَانِ مِنْ كَانَتَا فِيهِ كَانَ مِنْ خَالِصَةِ اللَّهِ؛ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ مَا هُمَا؟ قَالَ: نَسِيَ نَافِعٌ وَاحِدَةً وَنَسِيتُ أَنَا الْآخَرَى . وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ مِنْ وَلَدِ عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ كَانَ أَحَدُهُمْ يَمُجُّ عَنْ حِمَزَةٍ وَيَقُولُ: أَسْتَشِيدُ قَبْلَ أَنْ يَمُجَّ، وَكَانَ الْآخَرُ يُضْحَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَيَقُولُ: أَخْطَأَ السَّنَةَ فِي تَرْكِ الْأُصْحِيَةِ، وَكَانَ الْآخَرُ يُفْطِرُ عَنْ عَائِشَةَ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَيَقُولُ: غَلَطْتُ فِي صَوْمِهَا أَيَّامَ الْعِيدِ، فَمَنْ صَامَ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَإِنَّا أَفْطَرْنَا عَنْ أُمِّي عَائِشَةَ.

١٥

قَالَ ثُمَامَةُ: كَفَّا فِي مَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الدُّهَاقِينَ وَفِينَا شَيْخٌ مِنْهُمْ، فَأَتَى رَبُّ الْبَيْتِ يَدُهُنَّ طَيِّبَ فِدَهْنٍ بَعْضُهُمَا رَأْسَهُ وَبَعْضُهُمَا لِحْيَتَهُ وَوَسَحَ بَعْضُهُمَا شَارِبَهُ وَبَعْضُهُمَا يَدَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَدْهَنُوا أَسْنَاهُمْ تَأْمِنُوا الْحَزَّازَ، وَأَمِرُوهَا عَلَى وَجْهِكُمْ؛ فَأَخَذَ شَيْخٌ

(١) في القصد للفريد ج ٣ ص ٣١٣: هل ضمَّ منها بعضها إلى بعضٍ أحدًا.

٢٠

(٢) الدهاقين جمع دُهْقَانٍ: دُخَانٍ الْإِثْمِ.

(٣) الحزاز: حَبْرِيَّةٌ فِي الرَّأْسِ كَأَنَّهَا حَفَاةٌ، وَاسْتَعْمَلَهَا حَزَازَةٌ.

منهم بطرف أصبعه فأدخله في أنفه ومسح حاجبيه، فعمد الشيخ إلى بقية الدهن فصبه في أذنه، فقال له: ويحك! هل رأيت أحدا أقر بدهن طيب فصبه في أذنه؟ قال: إنه مع هذا يضئني.

قال عبد الله بن المبارك: كان عندنا رجل يُخَيَّ أباً خارجة، فقلت له: لم كنوك أباً خارجة؟ قال: لأني ولدت يوم دخل سليمان بن علي البصرة. قال عمرو بن بحر: ذكر لي ذاكر عن شيخ من الإباضية أنه جرى ذكر الشيعة عنده فأنكر ذلك وأشتد غضبه، فقلت له: ما أنكرت؟ قال: أنكر مكان الشين في أول الكلمة لأني لم أجدها قط إلا في مسخوط عليه مثل شؤم وشر وشيطان وُخَّ وشَغِب وشَيْب وشك وشرك وشم وشيعة وشطرنج وشاكي وشاني وشجع وشوصة وشابشي وشكوى؛ فقلت: ما تقوم هؤلاء قائمة أبداً. قال: وسمعت رجلاً يقول: عجب لمن يأخذه النوم وهو لا يزعم أن الاستطاعة مع الفعل؛ فقلت له: ما الدليل على ذلك؟ فقال: سبحان الله! الأسماء الصالح، قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل قول روبة:

« ما إن يقمن الأرض إلا وقفاً »

وقوله: « يويرن شئ ويقمن وقفاً »

وقوله: « مكر مفر مقبل مذر ممأ »

وقولهم في المثل: « وقفاً كمكئ صير »، ثم قال: هل في هذا مقنع؟ قلت: بلى وفي دون هذا.

(١) في الأصلين: « في أول كلمة » بالتكرير وتظاهر أن السياق يأباه؛ فظل الصواب ما ذكرناه أو أن في الكلام حلقاً.

(٢) كذا بالأصلين ولم نجده في مادة « شجع » في اللسان والقاموس مصدرًا أرضه. ولله عوف عن « تنجيج » وهو أثر الشبهة في الجبين.

(٣) كذا في النسخة الأصلية، وفي الأصل المتنوع في « يدها » بدل « أبداً ».

(٤) كذا بالأصلين، وفي اللسان في مادة عكم: « مما كمكئ المير » والميم: الدبل مادام فيه المتاع.

وَدَّ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ الْحَقِيقِ أَنْ يُهْدِيَ لَهُ مِنْ مَكَّةَ نَعْلًا، فَعَالَ عَلَيْهِ الْاِسْتِظَارَ،
فَاخَذَ قَارُورَةً فَبَالَ فِيهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا الطَّيِّبَ ثُمَّ قَالَ : أَنْظُرْ فِي هَذَا الْمَاءِ هَلْ يُهْدَى لِي
بَعْضُ إِخْوَانِي نَعْلًا حَضْرَمِيَّةً ؟ . وَقَالَ الزَّيَادِيُّ : مَرَّ أَشْعُبُ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ طَبِّقًا وَقَالَ
لَهُ : زِدْ فِيهِ طَوْقًا، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لَعَلَّهُ يُهْدَى لِي فِيهِ شَيْءٌ .

- أبو حاتم عن الأحمسي قال حدثنا إبراهيم بن القفصاق قال : رأيت أشعب بسوق
المدينة معه قطيفة قد ذهب تحملها وهو يقول : مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي الرَّيْدَةَ^(١) فَأَنَا رَجُلٌ
فَسَاوِمَةٌ قَالَ : أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَيْبٍ فِيهَا قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَحْتَرِّقُ إِنْ أَنْتَ لَيْسَتْهَا .
سقط أعرابي من بئر له ، فَأَنْكَسَتْ ضِلْعٌ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَتَى الْجَاهِلِيَّ بِسُوقِهِ
فَقَالَ : خُذْ تَمْرًا جَدِيدًا فَاتْرَعْ أَفْصَاعَهُ وَنَوَاهُ وَأَعِجْنِهِ بِسَمْنٍ ثُمَّ اخْصِدْهُ عَلَيْهِ ؛ قَالَ : أَيْ
يَأَيُّ أَنْتَ مِنْ دَاخِلِي أَمْ مِنْ خَارِجٍ ؟ قَالَ : مِنْ خَارِجٍ ؛ قَالَ : لَا أَبَا لَشَائِكَ هُوَ مِنْ
دَاخِلِ أَنْعُ لِي ؛ قَالَ : جَعَلَهُ حَيْثُ تَعْلَمُ أَنَّهُ أَنْعُ .
مات ابنٌ صغير لأعرابي ، فَقِيلَ لَهُ : تَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَكَ شَفِيعًا ؛ فَقَالَ :
لَا وَكَفَّلَنَا اللَّهُ إِلَى شَفَاعَتِهِ ، حَسْبُهُ الْمُسْكِينُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ نَفْسِهِ .

- جاء أعرابي إلى المسجد والإمام يُخْطَبُ ، فَقَالَ لِبَعْضِ الْقَوْمِ : مَا هَذَا ؟ قَالَ :
يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الطَّعَامِ ؛ قَالَ : فَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْمَنْبَرِ ؟ قَالَ : يَقُولُ مَا يَرْضَى
الْأَعْرَابُ أَنْ يَأْكُلُوا حَتَّى يَجْلُوا مَعَهُمْ ؛ فَتَخْطِئُ الْأَعْرَابُ النَّاسَ حَتَّى دَنَّا مِنْ الْوَالِي
فَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنْ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مَا تَقُولُ سَهَّلْنَا .

أخذ الججاج ليصا أعرابيا فضربه سبعة سوط فكلما قرعه بسوط قال : أَلْتَهْمُ
شُكْرًا ؛ فَأَنَاهُ ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ : وَاقِلْهُ مَا دَعَا الْجَجَّاجَ إِلَى التَّهَادِي فِي ضَرْبِكَ إِلَّا كَثْرَةُ

(١) كذا في النسخة الألمانية وفي الأصل الفتح رافعي : «الريدة» والريدة : الكثرة التي صارت كلون
الرماد . (٢) في الأصلين «أد» وسباق الكلام يقتض «أم» .

شكركَ، لأن الله يقول : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ؛ فقال : إن هذا في كتاب الله؟
فقال : اللهم نعم ؛ فأنشأ الأعرابي يقول :

يَا رَبِّ لَا شُكْرَ فَلَا تَزِدْنِي * أَسْرَفْتُ فِي شُكْرِكَ فَأَعْفُ عَنِّي
بِإِحْدِ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

فبلغ المبحج غلى سبيله . جاء أعرابي إلى صيرفي بدرهم ؛ قال : هذا سُتُوقٌ ؛ فقال
الأعرابي : وما هو السُّتُوقُ بأبي أنت ؟ قال : داخلُه نُمَّاسٌ وسارجه فضة ؛ قال :
ليس كذلك ؛ قال : أَكْبَرُهُ فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ ؟ قال : نعم ؛ فكسره فلما
رأى النحاس قال : بأبي أنت ، متى أموتُ ؟ فأنا أشهد أنك تعلم النيب .

لما حضرت الحطينة الوفاة قال : أحملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم قط
فلعل أن أبقى ، ثم تمثّل :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَنَّةٌ غَيْرَ انِّي * رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَدِيدِ

المدايني قال : دما رجل بمكة لأتمه ؛ فقال له قائل : فما بالُ أبيك ؟ قال : هو
رجلٌ يَحْتَالُ لنفسه . قيل لأشعب : أَرَأَيْتَ أَحَدًا قَطُّ أَطْمَعَ مِنْكَ ؟ قال : نعم
خرجتُ إلى الشام فزلتُ أنا ورفيقي لي بدُفْرِفيه راهبٌ ، فتلاحينا في أمرٍ فقلتُ :
الكاذبُ مِنَّا كذا من الراهب في كذا مِن أتمه ، فأتى الراهبُ وقد أنظف وهو يقول :
بأبي من الكاذبُ منك ؟ . مرَّ إسحاقُ بنُ سليمانَ بنِ عليّ الهاشمي بِقَاصٍ وهو يقرأُ :
(يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) ، فتنفَسَ ثم قال : اللهم أجعلنا من يَجْرَعُهُ وَيُسِيغُهُ .

الأصمعي عن أبيه : قلتُ لأعرابي : أفبكم زنا ؟ قال : بالحرار ؟ ذاك عند الله
عظيمٌ ، ولكن مُسَاعَدَةً بهذه الإماء . موسى بن طلحة قال : جاءنا عليّ بن أبي طالب
رحمه الله ونحن في المسجد شَبَابٌ من شَبَابِ قريش ، فتحننا له عن الأسطوانة

وقلنا : هاهنا يا عم ؛ فقال : يا بني أنسى ، أتمم لشيخكم خير من مهرة فإنه إذا كبر الشيخ فيهم شكوه عقالاً ثم يُقال له : شِب فيه ، فإن وثب خلوا سيده وقالوا : فيه بقية من علالة ، وإن لم يثب قدموه فضرروا علالوته وقالوا : لا يصيبك عندنا بلاء^(١).

قيل لبحر بن الأحنف : ما يمتنع أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل . وقال

يوماً لزبارة جارية أبيه : يا زانية ؛ فقالت : لو كنت كذلك جئتُ أباك بمنلك .

أبو الحسن قال : جاء قوم إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارك فلان .

فمرلنا بكفني ؛ فقال : ما عندنا اليوم شيء ولكن تمزودون ؛ قالوا : أفتعني إلى أن

يتسمر عندك شيء ؛ وأنى رجل رجلا فقال له : أصلحك الله ، تُعيرنا ثوبا نكفن فيه

ميتا ؟ قال قاسم التمار في كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .

وقال أيضا : رأيتُ إيوان كسرى فإذا هو كأنما رُفعت اليد عنه أوّل من أسس .

كان عبد الملك بن هلال الهينابي له زبيل مملوء حصبا للتسييح ، فكان يُسبح

بواحدة واحدة ، فإذا ملّ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا ، فإذا زاد ملأه طرحه

قبضة قبضة وقال : سبحان الله عندك ، فإذا صجر أخذ يجرى الزبيل وقال : الحمد لله

بعد هذا كله . دخل قوم منزله الرُسني لأمر وقع ، فحضر وقت صلاة الظهر فقالوا :

كيف التيلة في دارك هذه ؟ فقال : إنما زلناها منذ شهر .

المدائني عن علي بن مجاهد عن حميد بن أبي البختري^(٢) أن الشعبي قال : مررتُ

فلقيت ابن الحر فامرني أن أمشي كل يوم إلى التوتية ، فكنت أغدو كل يوم إليها ،

(١) مهرة : حى من العرب وإليه تنسب الإبل المهرية .

(٢) العلالة : أعل الرأس والحق .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد لهذه النسبة أصلا في أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا في الأصل الفوتوغرافي وتؤيده كتب اللغة والأنساب ، وفي الأمانة « البصري » بإزاء المهمة .

فانصرفت ذات يوم فلما كنت في جُؤنة الظاهرة إذا شيخٌ منهم قاعد على طنفسة متكى على وسادة ، فسلمت ثم ألتفت نفسي على الرمل ؛ فقال : لقد جلست جلسة عاجز أو ضعيف ؛ قلت : قد جمعتهما ؛ قال : أدام الله لك ذلك . ثم قال : إن أهل كانوا يخفون على ثلاثا : قصمان البصر وترك النساء والقطاف في المشي ، فوالله إنهم ليرون الشخص واحدا وأراه اثنين ، ولقد تركت النساء فألى فعين من حاجة ، وإنى لأمشي فأصلح ؛ قلت : أدام الله لك ذلك .

قال المدائني : ركب يزيد بن تَهْشَل النهشل بعبدا وقال : اللهم إني قلت : (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِينَ) وإنى لبعيرى هذا المُقْرِن ؛ ففقر به فطرحة وبقيت رجله في الغرز ، فجعل يضرب برأسه كل حجر ومدى حتى مات .

١٠ حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : أختصمت الطفاوة وبنو راسب في رجل يدعيه الفريقان إلى ابن عرياض ، فقال : الحكم بينكم أيُّ من ذلك ، يُلقَى في النهر فإن طفا فهو لطفافة ، وإن راسب فهو لبني راسب .

المدائني قال : لما حضرت الحطيفة الوفاة قيل له : أوص ؛ قال : يم أوصي ! مالي للذكور دون الإناث ؛ فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا ؛ فقال : لكني أمر به ، ثم قال : ويأى للشعر من راوية الشعر ؛ ف قيل له : أوص يا أبا مليكة للساكنين بشئ ؛ قال : أوصيهم بالمسالة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور . قيل : أعتق عبدك يساراً ؛ قال : أشهدوا أنه عبد مابق . قيل : فلان اليتيم ما أوصى فيه ؟ قال : أوصي أن تأكلوا ماله وتبيكوا أمه ؛ قالوا : ليس إلا هذا ! قال : أحلوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لئلا أنجو ، ومات مكانه .

٢٠ (١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل القنغري : «الظاهرة» .

(٢) الطفاوة وبنو راسب : حيّان من العرب .

لما حضرت سعد بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بني أوصيك بالناس شراً ،
كلهم تزراً ، وأنظروا إليهم شراً ، ولا تقلوا لهم عُذراً ، قَصِّروا الأَعْيَةَ ، واشتدوا الأَسِنَّةَ ،
تاكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد . ولما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال : يا بني
إني لأعلم أن قوماً سيأتونكم قد أفرحوا بجاههم وعرضوا لحسامهم ، يدعون أن لهم على
أبيكم ديناً فلا تقضوهم ، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضره ،
والآفهى مع ما تقدم .

تقدم رجل من بني العنبر إلى سوار فقال : إن أبي مات وتركني وأخاً لي ، وخطأ
خطئين ناحية ، ثم قال : وهيتنا لنا ، ثم خطأ آخر ناحية ، ثم قال : كيف ينقسم
المال بيننا ؟ قال : المال بينكم أثلثا إن لم يكن وارث غيركم ، فقال له : لا أحسبك
فهمت ، إنه تركني وأخى وهيتنا لنا ؟ فقال سوار : المال بينكم سواء ، فقال الأعرابي :
أياخذ المحبين بما أخذ ويأخذ أختي ؟ قال أجبل ! فغضب الأعرابي وقال : تعلم والله
أنك قليل الخالات بالأنهاء ؟ فقال سوار : إذا لا يضرك [ذلك] عند الله شيئاً .
قال بعض المال لأعرابي : ما أحسبك تدري كم تصلى في كل يوم وليلة ؟ فقال :
أرايت إن أنبأتك بذلك تجعل لي عليك مسألة ؟ قال : نعم ، قال الأعرابي :

١٥ إن الصلاة أربع وأربع • ثم ثلاث بصلح أربع
• ثم صلاة التجر لا تُصَبِّح

قال : قد صدقت ، فسئل قال : كم تقار ظهرك ؟ قال : لا أدري ، قال : انتحكم
بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك !

أخبرني رجل حضر مجلس محمد بن الجهم البرمكي أنه دخل عليه رجل يكتب
في حوائج له ، فقرأها ووعده قضاءها ، فتهنأ وهو يدعو له وقال : أباك الله وحفظك
وأتم نعمته عليك ؟ فقال له محمد بن الجهم : كتابي إليك وأنا في عافية .

طبائع الإنسان

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه أنه وجد في التوراة:
 إني حين خلقت آدم ركبته جسده من أربعة أشياء ثم جعلتها وراثته في ولده تمي
 في أجسادهم ويموتون عليها إلى يوم القيامة: رطب وبابس وشحن وبارد، وذلك لأنني
 خلقتهم من تراب وماء ثم جعلت فيه نفسا وروحا، فيبوسة كل جسد من قبل التراب،
 ورطوبته من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قبل الروح، ثم خلقت
 الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق الآخر وهي ملك الجسد بإذني
 وقوامه، لا يقوم الجسد إلا بهن ولا تقوم واحدة إلا بهن، الميزة الصفراء والميزة السوداء
 والدم والبلغم، ثم أسكنت بعض هذه الخلق في بعض فجعلت مسكن البيوسة في الميزة
 السوداء ومسكن الرطوبة في الدم ومسكن البرودة في البلغم ومسكن الحرارة في الميزة
 الصفراء، فأما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع فكانت كل واحدة منهن ربما
 لا يزيد ولا ينقص كلت صحته واعتدل بتيانه، وإن زادت واحدة منهن غلبتهن
 وقهرتهن ومالت بهن ودخل على أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت
 ناقصة تقل عنهن^(١) ملن بها وعلوها وأدخل عليها السقم من نواحيهن لقلتها عنهن حتى
 تضعف عن طاقتهن وتميز عن مقاربتين^(٢)، قال وهب: وجعل عقله في دماغه وشعره
 في كليته، وغضبه في كبده، وصرامته في قلبه، ورعبه في رثته، وحنكه في طحاله،
 وحزته وفرحه في وجهه، وجعل فيه ثلثائة وستين مفصلا.

(١) في الألمانية: «وإذا كانت ناقصة قلن عنها وملن...»

(٢) كذا في المقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ وفي الأصلين: «عن مقاربتين» والنعلان فيها (تضعف وتميز).
 بالياء والسايق يخضع ثاء التأنيث كما وضعتا.

(٣) في الأصلين وسره. وما ذكرناه عن المقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١

- قال : حدثني زيد بن أنعم^(١) قال : حدثنا بشر بن عمر عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعمش عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كُلُّ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضَ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خَلَقَ فِيهِ رُكْبٌ". وقالت الحكماء : انلثت يترى الأعراب والأكراد والزنج والمجانين وكل صنف إلا الخصبان فإنه لا يكون خصىً مخنث.
- وقالوا : كل ذى ربح مئنة وذفر كالتيث وما أشبهه ، إذا خصى نقصتته وذهب صنانه غير الإنسان فإن نتته يشتد وصنانه يحد وعرقه يجث وريحه^(٢) وكل شيء من الحيوان يخصى فإن عظمه يدق ، فإذا دق عظمه استترى لحمه وتبرأ من عظمه خلا الإنسان فإنه إذا خصى طال عظمه وعرض. وقالوا : الخصى والمرأة لا يصلحان ، والخصى تطول قدمه وتعظم . وبلغني أنه كان لمحمد بن الجهم رذون رقيق الحافر نفصاه بفاد حافره ، اعتبر ذلك بالإنسان إذا خصى عظمته رجله . قالوا : والخصى يشتد وقع رجله لأن معاقده عصبه تسترعى ، ويتره الأعوجاج والقدح في أصابعه ، وتسرع دمعته ، ويتخذ جلده ، وتسرع غضبه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السر . ويضم قوم أن أعمارهم تطول لترك الجماع ، قالوا : وتلك علة طول عمر البغل . وقالوا : علة قصر عمر المصفور كثرة سقاده . قالوا : وشأن النريق إذا كان رجلا ثم ظهر على الماء أن يظهر على قفاه ، وإن كان امرأة أن تظهر على وجهها . والرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه ثم يقليه ذكراه إذا انتفخ . قالوا : وفي الغلمان من لا يحنم أبدا ، وفي النساء من لا تحيض أبدا ، وذلك عيب . وفي الناس من لا يسقط قفوه ولا يستبدل منه ، منهم عيد الصمد بن علي ذكروا أنه دخل قبره بروضه .

(١) في الأصل : أنعم . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في النسخة الجغرافية ، وفي النسخة الألمانية أربعة أصفار بدقوله وريحه ، وكتب في التعليق

بأنه باللغة الألمانية : سقطت كلمة . وفي النقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ : ونبت عرقه وريحه .

والصَّبَّ لا تسقط له سنٌ . وكذلك الخنزير لا يُلقِي شيئاً من أسنانه . ولذلك تقول العرب في مثيل لها : « لا آتِيكَ سِنَّ الحِجَلِ »^(١) يريدون لا آتِيكَ أبداً . وتقول الأطباء : إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء إلا الإنسان ، وذلك لكرامته على الله . وقول بعضهم : إن الجنين يتغذى دم الحيض يسيل إليه من السرة بغذائه ؛ وقالوا : لذلك لا تحيض الحوامل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض . والعرب تقول : حملت فلانة سهوا ، إذا حاضت على الحمل . قال المذنب يمدح رجلا :^(٢)

ومُبرّاً من كلِّ غُبْرٍ حَيْضِيَّةٍ • وَرَضاعٍ مُفِيلَةٍ وداءٍ مُمِيزِلِ^(٣)

فأعلمك أنها لم تر طيه دم حيض في حملها ، ودلّ على أنه قد يكون . قالوا : فإذا خرج الجنين من الرحم دفعت الطبيعة ذلك الدم الذي كان يتغذيه إلى الثديين ، وهما عضوان تاهدان عَصِيَّان فَنِعْرَاه وجعلاه لبناً . يقول الله عز وجل : (وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّئَلَّا تُكْفِرُوا بِآيَاتِنَا فَتَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) . قالوا : والإنسان يعيش حيث تحيا النار ويتلف حيث لا تبقى النار . وأصحاب المعادن والحفائر إذا هموا على نفق في بطن الأرض أو مغارة قنموا شمعة في طرف قناة فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا في طلب ما يريدون وإلا أمسكوا . والعرب تشامم بذكر ولد الرجل إذا كان ذكراً . وكان قيس بن زهير أزرق يكره أن يكره .

(١) في الأصلين : « وكذلك ... » وظهر أن ما ذكرناه هو الأنسب بالسياق . (٢) الحسل : ولد الصَّبَّ . (٣) هو تأبط شراً . (٤) كذا في الأصل ، وفي اللسان في مادة « غبر » والقند الفريديج ص ٣ ص ٣٥٢ ، وشرح الحاشية للبريزي ج ١ ص ٤٣ .

• وفساد مرضة وداء منيل • وقد أوردته صاحب اللسان هكذا مجروراً وقال هو مملوء على قوله : • ولقد سررت على الظلام بمنتم • وهو صدر بيت مقدم في القصيدة . وفي شرح الحاشية للبريزي : يروى مبراً بالنصب ومبراً بالجر ، فالنصب على قوله « خير مهيل » والجر صلف على قوله جلد من الثنيتين . والتبر بما في الحيض : المنقبة : الحيل أو التي تفتش وهي ترضع ؛ ولكن الذي ورد في اللسان والقاموس : أغلقت المرأة فهي منيل . (٥) كذا في الألمانية ، وفي الفترغرافية « بادات » .

حدثني محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : يُكرّ
اليكرين شيطان عتله لا يموت إلى يوم القيامة ؛ يعني من الشياطين . قالوا : وابن المذكّرة
من النساء والمؤنث من الرجال أحبُّ ما يكون ، لأنه يأخذ بأحبّ خصال أبيه
وخصال أمّه . والعرب تذكّر أن الفئري لا تُحب . قال عمرو بن معد يكرب :

أَلَسْتُ تَصِيرُ^(١) إِنْ مَا تُسِيدُ^(٢) بَيْنَ الْمَفَارَةِ^(٣) وَالْأَحْمَقِ

وقال بعض الحكماء : كلّ امرأة أودابة تُبطئ عن الحبل ، إذا واقعها الفحل في الأيام
التي يجرى الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله . قال عبيد الله بن الحسن : إذا أردت
أن تُذكر المرأة فأغضبها ثم قمع عليها . وقال الحارث بن كلدة : إذا أردت أن تحبل المرأة
فمشها في عرصة الدار عشرة أشواط فإن رجمها يزل فلا تكاد تُحبل . والعرب
تقول : إن المرأة إذا لقيعت في قُبُل الطهر في أوّل الشهر عند تبليغ الفجر ثم أذكرت
جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعاني :

لَقِيعَتْ فِي الْهَلَالِ عَنْ قُبُلِ الطُّهُرِ وَقَدْ لَاحَ لِلصَّبَاحِ بَشِيرُ

ويقولون : إذا أكره الرجل المرأة وهي مذعورة ثم أذكرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلي :

حَمَلْتُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَرْبُودَةٍ * كَرَهَا وَعَقْدُ نَظَاقِهَا لَمْ يُحْلَلْ^(٤)

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْجَنَانِ مُبَطَّنًا * سُهْدًا إِنْ مَا نَامَ لَيْلُ الْمَوْجِلِ^(٥)

وَمُبَرِّأٌ مِنْ كُلِّ غَيْرِ حَيْضِيَّةٍ * وَرَضَاعٍ مُثْلِيَّةٍ وَدَاءٍ مُعِضِلِ

(١) في الأصل : قصيرا ، والتصويب عن العقد الجديد ج ٣ ص ٣٥٢ (٢) المفارة : من أغاوها
زرجها بترزجه عليها . (٣) قبل الطهر : أوله . (٤) مَرْبُودَةٌ : مضمومة ، وفي تعليقات الشيخ
الشافعي على أشعار الهذليين المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش : كان أبو عبيدة ينصب
مَرْبُودَةً وَالْأَصْمَى يمجّزها بجمل الزّود ليلية . وساق هذا البيت صاحب معني اللب في أواخر الكتاب وقال :
يرى بالمرصة اليلة والنصب حالا من الضمير في حملت . وضمف هذا الوجه بأن ذكر اليلة حيث لا كبير
فائدة فيه . (٥) حُوشُ الْجَنَانِ : حنيدة . وميطان : ضامر البطن تحميمه . وسهد : قليل النوم .
والجوجل : البلى ، التّقليل . وقد روى في الأصل التتوغياني : * إذا ما قام ليل الجوجل * وهو
محريف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب في مادة «حوش» .

يقول : لم ترعليه في حملها دما باقيا من حيضه ولا حملته وهي ترضع ولا أرضعته وهي حامل ، فكانت العرب تذكر ذلك وتسببه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **”لقد هممت أن أنهي عن النبيلة^(١) ثم ذكرت أن فارس والروم يفعلونه فلا يضرمهم“** وفي حديث آخر : **”إنه ليدرك الفارس فيدثره“** أي يطرحه .

• حدثني إسحاق بن راهويه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جنة أبنه إحدى وعشرين سنة . قال : وأوّل أوقات حمل المرأة تسع سنين ، وهو أوّل وقت الوطء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعاشته وهي بنت تسع . وقال عبد الله ابن صالح : حدثني الليث عن ابن جحّيل أن أمراة حملت له مرّة وأقامت نحس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرّة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال الليث : وحملت مولدة لعمر بن عبد العزيز ثلاث سنين حتى خافت أن يكون في جوفها داء • ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتي أهلنا . وفي بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أمّه ثمانية أشهر ، ولذلك لا يولد مولود ثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحباب عن ابن سنان قال : حدثني ثابت بن جابر العجليّ أن الضحّاك بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهرا . فاما يزيد بن هارون فإنه روى عن جوير أن الضحّاك ولد لستين . وولد شعبة لستين . حدثنا الرياشي • أو رجل عنه قال حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مؤمل عن ابن أبي مليكة أن عمر رحمه الله قال : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم^(٢) فأنجسوا في الزنازع^(٣) . قال : وقال

(١) ورد هذا الحديث في طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة ليدن وفيه تحالفة غير جوهرية لرواية الأصل ، وفيها : **”قال مالك بن أنس : النبيلة أن يمس الرجل أمراة وهي ترضع“** .

(٢) أضوى الرجل : وله له غلام ضاوى ، والضاوى : الضعيف . (٣) الزنازع جمع زينة وهي المرأة التي تزوج في غير عيبتها .

الأصمعيّ قال رجل : بنات العم أصبر، والفرائب أنجب، وما ضرب رموس الإبطال
كأبن عجمية . والعرب تقول : آغثروا لا تُضوّوا ، أى أنكحوا فى الفرائب فإن
الفرائب يُضوين الأولاد . قال الشاعر :

إكّ يلاً لم تسيته أمّه * لم يتناسب ظله وعمّه

وقال آخر :

تجبّها للنسل وهى غريبة * بغاعت به كالبيدر نرقاً وممّا^(٢)

فلو شاتم الفتيان فى الحى ظالمنا * لما وجدوا غير التكذب ممّامّا

وكان يقال : أنجب النساء الفروك، لأن الرجل يفلها على الشبه زهدا فى الرجال.

وحديث أبو حاتم عن الأصمعيّ أن المنجبة التى تزوّج بولدها إلى أكرم الجدين .

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : حدثنا حرب بن قطن قال : يقال : إن الرجل يسفرغ^{١٠}
ولد امرأتين ، يؤلد له وهو ابن تسعين سنة . وقالت طائفة : لا تلد امرأة بعد خمسين

سنة . قالت الحكماء : الزنج شرار الخلق وأردؤهم تركيا لأن بلادهم سخفت فأحرقتهم
الأرحام، وكذلك من بردت بلاده فلم تطبخه الأرحام، وإنما فضل أهل بابل لعلّة
الاعتدال ؛ قالوا : والشمس شيطنت شعورهم فقبضتها، والشعر إذا أدنيه إلى النار

تجمد، فإن زده تغلغل، فإن زدته أحرق . وقالوا : أطيب الأم أفواها الزنج وإن لم^{١٥}
تستن^(٤)، وكل إنسان رطب الفم كثير الريق فهو طيب الفم، وخولوف فم الصائم يكون
نخشورة^(٥) الريق، وكذلك الخولوف فى آخر الليل . وقالت الحكماء : كلّ الحيوان إذا أنقى^(٦)
فى الماء سبّح إلا الإنسان والفرّد والفرس الأعسر، فإن هذه تفرّق ولا تسبّح إلا أن

(١) كما بالأملين ، وأزده صاحب النباية واللسان على أنه حديث . (٢) المرق : القى الحسن

الكرم الخليفة . (٣) الفروك : المرأة تبيض زوجها . (٤) تستن : تنكح .

(٥) النخشورة شدة الرقة . (٦) الأعسر : القى يعمل بالتهال دون الجين .

يَتَعَلَّمُ الْإِنْسَانُ السَّباحَةَ . قالوا : والرجل إذا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ قَالَتْ فِي الْمَاءِ قَامَ فِي وَسْطِ الْمَاءِ وَاتَّصَبَ وَلَمْ يَلْزَمْ الْقَعْرَ جَارِياً كَانَ الْمَاءُ أَوْ سَاكِئاً ، حَتَّى إِذَا جِئَفَ آتَقَلَبَ وَظَهَرَ بَدَنُهُ كُلَّهُ مُسْتَلْقِياً إِلَّا الْمَرْأَةَ فَإِنَّهَا تَظْهَرُ مُنْكَبَةً عَلَى وَجْهِهَا . وقالوا : كُلٌّ مِنْ قُطِعَتْ يَدَاهُ لَمْ يُجِدْ الْمَدْوَى ، وَكَذَلِكَ الطَّائِرُ إِذَا قُطِعَتْ رِجْلَاهُ لَمْ يُجِدِ الطَّيْرَانَ . قالوا : وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ هَارِبٌ مِنْ حَرْبٍ أَوْ غَيْرِهَا يَسْتَعْمِلُ الْحُضْرَ إِلَّا أَخَذَ عَنْ يَسَارِهِ إِلَّا أَنْ يَتْرَكَ عِزْمَهُ أَوْ سَوْمَ طَبِيعَتِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالُوا : جَاعِلٌ عَلَى وَحْشِيهِ ، وَأَعْنَى عَلَى شَوْحَى يَدَيْهِ .^(٢) وقالوا : كُلُّ ذِي عَيْنٍ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِنَ السَّبَاعِ وَالْبَهَائِمِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ فَإِنَّمَا الْأَشْفَارُ لِحَفْنِهِ الْأَعْلَى إِلَّا الْإِنْسَانَ فَإِنَّ الْأَشْفَارَ — نَعْنَى الْمُدْبَبَ — لِحَفْنِهِ : الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ . قالوا : لَيْسَ فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ يَطْرَبُ مِنْ صَوْتِ نَفْسِهِ وَيَعْتَرِيهِ الْفَلَطُ فِي شَعْرِهِ وَوَلَدِهِ . قال الطائي :

وَيْسَىءَ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَأَكُنَّ * هُوَ بَابِنِهِ وَبِشَعْرِهِ مَفْتُونٌ

وقالوا : كُلُّ ذِي جِلْدٍ فَإِنْ جِلْدُهُ يَنْسَلِخُ إِلَّا جِلْدَ الْإِنْسَانِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْسَلِخُ كَمَا يَنْسَلِخُ جِلْدُ الْأَنْعَامِ وَلَكِنْ الْحَمُّ يَتَبَعُهُ .

حدثني أَبُو جَاهِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ ابْنِ أَبِي طَرَفَةَ الْمُذَلِّيِّ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ : إِذَا رَأَيْتَ الْمَوْلُودَ قَبْلَ أَنْ يَفْتَنَى مِنْ لَبَنِ أُمِّهِ فَعَلَى وَجْهِهِ مَصْبَاحٌ مِنَ الْبَيَانِ ؛ يَرِيدُ أَنْ أَلْبَانَ النِّسَاءَ تُغَيِّرُهُ ؛ وَلِذَلِكَ قَوْلُهُمُ : اللَّبَنُ يُسْتَبَّهِ عَلَيْهِ ؛ يَرَادُ أَنَّهُ يَتَرَعَّ بِالْمَوْلُودِ فِي شَبِّهِ الظُّفْرِ . قال الشاعر :

لَمْ أَرْضَعْ الدَّهْرَ إِلَّا تَدْنَى وَاحِدَةً * لَوَاضِعِ الْوَجْهِ يَحْيِي سَاحَةَ الدَّارِ

(١) الحضر : ارتفاع الفرس في عدوه . (٢) وحشى كل شيء شقه الأيسر وفي الأصلين «وحشة» وما وضعا هو الذي يناسب السياق . (٣) أعنى على شَوْحَى يَدَيْهِ : احدهما عليها ، وشَوْحَى الْيَدَيْنِ هِيَ الْيَسْرَى ، وفي الأصلين «أعنى» بدل «أعنى» . (٤) في الأصل «كل من» والتصور يبينه عن الديوان . (٥) المراد من البيان هنا الصفة والإشراق .

وحَدَّثَنِي الزَّيَادِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ يُونُسَ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ عُمَرَ أُنِيَ
بِامْرَأَةٍ وَلِدَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فَهَمَّ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : قَدْ يَكُونُ هَذَا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
(وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) وَقَالَ : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) .
أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : اخْتَصَمَ رَجُلَانِ فِي غُلَامٍ كَلَاهُمَا يَتَعْبَهُ ، فَسَالَ عَمْرُ
أُمُّهُ ، فَقَالَتْ : غَشِيَنِي أَحَدُهُمَا ثُمَّ هَرَقْتُ دَمًا ، ثُمَّ غَشِيَنِي الْآخَرُ ، فَلَمَّا عَمِرَا قَامَتَيْنِ فَسَالَهَا ،
فَقَالَ أَحَدُهُمَا : أَمَلِنُ أَمْ أُسِرْتُ ؟ قَالَ : أُسِرْتُ ، قَالَ : أَشْتَرِكَا فِيهِ ، فَضَرِبَهُ عَمْرُ حَتَّى أَضْطَجَعَ
ثُمَّ سَالَ الْآخَرَ ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ . وَقَدْ عَلِمْتُ
أَنَّ الْكَلْبَةَ يَسْقِدُهَا الْكَلَابُ فَتَقْدُزِي إِلَى كُلِّ فِخْلٍ نَجَلَةٍ . وَرَكِبَ النَّاسُ فِي أَرْجُلِهِمْ
وَرَكِبَ ذَوَاتُ الْأَرْبَعِ فِي أَيْدِيهَا ، وَكُلُّ طَائِرٍ كَفَّهُ فِي رَجْلَيْهِ .

مَا نَقَصَ خَلْقُهُ مِنَ الْحَيَوَانِ

١٠

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : الْقَرَسُ لَا يَطْلُعُ لَهُ ، وَالْبَعِيرُ لَا سَرَّارَةَ لَهُ ،
وَالظَّلِيمُ لَا نَحْجَ لِمَعْظَمِهِ . قَالَ زُهَيْرٌ :

كَانَ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ (١) • مِنَ الظُّلُمَانِ جُوجُوهُ هَوَاءَ (٢)

وَكَذَلِكَ طَيْرُ الْمَاءِ وَحَيْثَانُ الْبَحْرِ لَا أَلْسِنَةَ لَهَا وَلَا أَدْمَغَةَ . وَصَفَّنَ الْبَعِيرَ لَا بَيْضَةَ

١٥

فِيهِ . وَالسَّمَكَةُ لَا رِثَةَ لَهَا وَلِذَلِكَ لَا يُنْتَفَسُ ، وَكُلُّ ذِي رِثَةٍ يُنْتَفَسُ .

(١) القائف : الذي يتبع الآثا ويرسها ويرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

(٢) كذا في النسخة القنوغرافية وهو المراق لما في العقد الفريد . وفي الألبانية : ركه .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) الصل : الطويل . وفي القنوغرافية «مقل» .

(٥) الجؤيق : البدر .

(٦) الصفن : وطاء الخصى .

المشترَكَاتُ من الحيوان

الرَّاعِي ^(١) بين الوردان ^(٢) والجماعة ^(٣) . والبَحَاقِ ^(٤) من الإبل بين العَرَابِ ^(٥) والفَوَاحِ ^(٦) . والحَمِيرِ
 الأَخْدَرِيَّةِ ^(٧) من الأَخْدَرِ وهو فرس كان لأردشير توحشَ حَمَى عَانَتٍ ^(٨) من الحَمِيرِ
 فضرب فيها ، وأعمارها كأعمار الخيل . والزَّرَافَةِ ^(٩) بين الناقة من نوق الوحوش وبين
 البقرة الوحشية وبين الضَّبَعَانِ ^(١٠) ؛ وأسمها اشترَكَوْ بِلْكَ ^(١١) أى بين الجمل والكَرْبَدِ ، وذلك
 أن الضَّبَعَانِ ببلاد الحيشة يسفد الناقة فتجىء بولد خلقه بين الناقة والضَّبَعِ ، فإن كان
 ولدُ الناقة ذَكَراً عَرَضَ لِلْهَاءِ فَالْقَحْهَا ^(١٢) زَرَّافَةٌ . وسُميت زرافة لأنها جماعة وهى واحدة
 كأنها حمل وبقرة وضبَعٌ ؛ والزَّرَافَةُ فى كلام العرب الجماعة . وقال صاحب المنطق :
 الكلاب قسَمَها الذَّنَابُ فى أرض سَلَوِيَّةٍ ^(١٣) فيكون منها الكلاب السَلَوِيَّةُ .

- ١٠ (١) الراعى : طائر متولد بين الوردان والحمام كثير النسل يعيش طويلا . (٢) الوردان : ذكر
 القارئ كما فى حياة الحيوان . (٣) فى الأصل : « الجماعة » وما أُثبتناه من العقد الفريد ج ٣
 ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البَاقِ جمع بَاقٍ وهى الإبل النمراسية .
 (٥) العَرَابِ : إبل خلاف البَاقِ كما فى اللسان . (٦) جمع فاح وهو جمل ضخم ذو سنامين يحمل
 من السد لقحمة . (٧) جمع عانة وهى القطيع من حمر الوحش . (٨) هو الذكر من الضباع وهو
 مفرد . (٩) كلمة فارسية كما فى القاموس والصالح مركبة من اشترأى البعير وكأى البقر وبلك أى انفر
 وفى حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ وبلك الضبع ؛ والأثول هو المعروف فى الفارسية . (١٠) فى النسخة
 الألمانية « الكركى » وهو قريب مما أُثبتناه وفى النسخة الفتوغرافية « الكركى » وهو طائر كبير معروف .
 والكركد كما فى حياة الحيوان حيوان طوله مائة ذراع فأكثر وسماء الجاحظ الكركد ، ومعادته بلاد
 الهند والثوبى وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والبقيل . وتفسير المؤلف لكلمة (اشترَكَوْ بِلْكَ)
 يختلف بعض المتألفة تفسير القاموس ، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) الهاء : البقرة
 الوحشية ، وفى الأصلين : « المهرة » والباقي يحتم ما رُسِمنا . قلل ما فى الأصل تحريف من النسخ .
 (١٢) نسبة إلى سَلَوٍ وهى غيرة بالين تسبب إليها الدروع والكلاب . (١٣) فى الأصل « بينا »
 وما أُثبتناه من العقد الفريد .

المتعاديات

- بين البوم والغراب عداوة . وبين الفأرة والعقرب عداوة . وبين الغراب وآبن عرس عداوة . وبين الحِدَادَة والنَّدَاف عداوة . وبين العنكبوت وبين السَّعَّاءَة عداوة . وبين الحَيَّة وبين آبن عرس عداوة . وبين آبن آوى والذَّجَاج عداوة . وبين السنور والحمام عداوة . وبين البوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البومة رديّة البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يَفْقَ عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهي بالنهار تضربها وتنتف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصبها للطير . وبين الحمار وبين عُصْفُور الشوك عداوة ، ومتى تَرَقَّى الحمار سقط بيض عُصْفُور الشوك . وبين الحمار وبين الغراب عداوة . وبين الحية والخنزير عداوة . والغراب مصادق للثعلب . والثعلب مصادق للحية . واجمل يَكُوه قُرب الفرس أبداً ويقاتله . وبين الأسد وبين الفيل عداوة . ويقال : إنا الأسد والتمر مختلفان ، والأسد والبير متفقان .

الأمثال المضروبة بالطباع

- يقال : فلان « أسمع من قُرَاد » ، والقُرَادان تكون عند المساء فإن قُرِمَت الإبل منها تحوَّكت وانتعشت ، فيستدلون بذلك على إقبال الإبل . و« أسمع من فرس » . و« أحزم من فرخ السُّقَاب » ، وذلك أنه يكون في عُرض الجبل فلا يتحرك فيسقط . و« أحلم من

(١) النَّدَاف : الغراب وخص بعضهم به غراب القبط الضخم الراغر الجناحين . لسان العرب .

(٢) هذه لغة أهل العالية ، ولغة بني تميم «الظاية» بالياء ، قال صاحب حياة الحيوان قلا عن الأزهري :

هي دويّة ملساء ، تعدو وتتردّد كثيرا تشبه سائمة أبيض إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى ، وتسمى شحمة الأرض

ورحمة الرمل . (٣) ابن آوى : حيوان طويل الخالب والأظفار ، يأكل الطيور ، وخوف

الذجاج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر التبري أن ابن آوى إذا مر تحت الذجاج وهى على الشجرة

أو الجدار تساقطت وإن كانت عددا كثيرا . (٤) البير مضبوط في اللسان والقاموس فتح البلاء الأول

وسكون الثانية وصرح في حياة الحيوان أنه فتح الأول وكرر الثانية : فوج من السباع شبيه بآبن آوى .

(٥) القُرَاد واحد قرادة وهى دويّة تنلق بالبير ويجوه .

حَيَّةٌ . وَ «أَهْدَى مِنْ قَطَاةٍ وَحَمَامَةٍ» . وَ «أَخَفَ رَأْسًا مِنَ الذَّنْبِ» . وَ «أَنُومَ مِنْ قَهْدٍ» .
 وَ «أَظْلَمَ مِنْ حَيَّةٍ» ، وَ «لَأَنَّهُ تَدْخُلُ بِحَجَرَةِ الْحَشَرَاتِ وَتُخْرِجُهَا . وَ «أَحْذَرُ مِنْ
 غُرَابٍ» . وَ «أَصْنَعُ مِنْ سَوَاطِئَ» ، وَهُوَ طَائِرٌ يَصْنَعُ عُشًا مُدَلِّلٌ مِنَ الشَّجَرِ . وَ «أَصْنَعُ
 مِنْ سُرْفَةٍ» ، وَهِيَ دُوِّيَّةٌ تَعْمَلُ بَيْتًا مِنْ قِطْعِ الْعِيدَانِ . وَ «أَسْرَقَ مِنْ زَبَابَةٍ» ، وَهِيَ
 فَارَةٌ بَرِّيَّةٌ . وَ «أَسْرَقَ مِنْ كُنْدُشٍ» وَهُوَ الْمُقَقَّقُ ، وَيُقَالُ أَيْضًا : «أَحَقُّ مِنَ عَقَقِي»
 لِأَنَّهُ مِنَ الطَّيْرِ الَّذِي يُضَيِّعُ فِرَاحَتَهُ . وَ «أَحْرَقُ مِنْ حَمَامَةٍ» ، وَ «لَأَنَّهُ لَا تُجِيدُ
 عَمَلَ الْعُشِّ فَرِمًا وَقَعَ الْبَيْضُ فَانْكَسَرَ» . قَالَ عَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ :
 عَيَّوَا بِأَمْرِهِمْ كَمَا * عَيَّتْ بَيَضَتِهَا الْحَمَامَةُ
 جَسَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ * نَسَمٍ وَآخَرَ مِنْ ثَمَامَةٍ^(١)

١٠ يقول : قَرَنْتِ النَّثْمَ بِالنَّثْمِ وَهُوَ ضَعِيفٌ فَتَكَسَّرَ وَقَعَ الْبَيْضُ فَانْكَسَرَ . وَفِي الْإِنْجِيلِ
 أَنَّ الْمَسِيحَ طَلِبَهُ السَّلَامَ قَالَ لِقَوَارِيْنِ : كُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُلْهًا كَالْحَمَامِ . وَ «أَعَقَّ
 مِنْ صَبٍّ» ، لِأَنَّهُ يَأْكُلُ وَلَدَهُ مِنَ الْجُوعِ . وَ «أَبْرَزَ مِنْ هِرَّةٍ» ، وَهِيَ تَأْكُلُ وَلَدَهَا مِنْ
 شِدَّةِ مَحَبَّتِهِ . وَ «أَرُوغُ مِنْ تَعَلِّبٍ» . وَ «أَمَوَّقُ مِنْ رَنَمَةٍ»^(٢) . وَ «أَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ»
 لِأَنَّهُ يَقَعُ عَلَى أَنْفِ الْمَلِكِ وَتَاجِهِ . وَ «أَصْنَعُ مِنَ الدَّرْبِ» ، وَهِيَ النَّحْلُ . وَ «أَسْمَعُ مِنْ
 لَانِظَةٍ» ، وَيُقَالُ : هِيَ الْعَتَرُ تَسْمَعُ بِالْحَلِيبِ ، وَيُقَالُ : الرَّحَا ، لِأَنَّهُا تَلْفِظُ مَا تَطْحَنُهُ
 لِاتْحَمِيسِ مِنْهُ شَيْئًا . وَ «أَصْرَدُ مِنْ عَيْنِ حِرَابٍ» . وَ «أَلَحُّ مِنَ الْخُنْفَسَاءِ»^(٣) . وَ «أَخْيَلُ
 مِنْ مُدَالَةٍ» ، وَهِيَ الْأَمَةُ تُهَانَ وَهِيَ تُبْتَخَرُ . وَ «أَحْلَمُ مِنْ فَرَخِ الطَّائِرِ» . وَ «أَكَيْسُ
 مِنْ قَشَّةٍ» ، وَهِيَ الْقَرْدَةُ . وَ «أَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ» ، وَهُوَ مَا صَفَرَ مِنَ الطَّيْرِ ، وَيُقَالُ : هُوَ

(١) النثم بالضمريك : هجر جليلي تخلف عنه القسي ، وإثامة واحدة الختام : ثبت ضعيف .
 (٢) أموق : أحق ، من الموق وهو الحق . (٣) في جميع الأمثال البدائي : الحرباء . بالصريف ، وبالله
 بأن الحرباء تستقبل الشمس أبداً بينما تستجلب إليها الهدف . وورد فيه بعض هذه الأمثال بالصريف أيضاً .

الصّافر بالمرأة للرّية .^(١) و «أتمّ من صُبح» . و «أبعد من بيض الأتوق»، والأتوق: الرّنحة تبيض في أعالي الجبال والشواحق حيث لا يبلغه سَج ولا طائر. و «أشجع من ليث عِفْرين»، قال بعضهم: هو الأسد، كأنه قال: أشجع من ليث لُوث تغير من نازعها وتصرّعه، وقال الأصمعيّ: هو دابة مثل الحرّباء يتحدّى الراكب ويضربه بدّنّه. و «أحنّ من شاريّف»، وهي الناقة المُستنة . و «أسرع من عدوى الثّوباء» .
و «أروى من النّقاّة»، وهي الضّفادع . و «أزنى من قرد»، ويقول بعضهم: إنه رجل من هذيل كان كثير الزّنا . و «أخدع من ضبّ» . و «أشام من الزّرقاء»^(٢) وهي ناقة .

الأنعام

- ١٠ حدثني يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهليّ عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جدّه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما خلق الله دابة أكرم عليه من النّعجة» وذلك أنه ستر حورتها ولم يستر عورة غيرها .

وقال: حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن إهاب بن حمير قال: كان لنا حمل يعرف كسّج الحامل من غير أن يُسمّها^(٣) . قيل لأبنة الحُسن^(٤): ما تقولين في مائة من المعزّ؟

- (١) وفي النسخة الألمانية: «بالمرأة المريّة» وبإشارة الأساس «هو الذي يصفر لونه فهو يزيل أن يُظهر عليه، وقيل: هو طائر ينكس رأسه ليلا ويتعلق برجليه وهو يصفر خيفة أن ينام فيؤخذ» .
(٢) في الأصلين «تقر» والسياق يقتضي ما وضعتنا إذ سبق القول لبيان الاشتقاق . (٣) في جميع الأمثال الليداني: «أشام من ودقاء» وقال: ينون الناقة وهي مشوبة وذلك أنها ربما قررت فذهبت في الأرض . وما في الأصل حكاه المبدئاني عن أبي الندى وقال: الزرقاء ناقة قررت براكمها فذهبت في الأرض . (٤) هكذا في القصد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وقد وردت هذه الكلمة في الأصل الفخرغرافي هكذا «بها» وفي النسخة الألمانية «بسي» . (٥) أبنة الحُسن: أمراء من إباد جاءت منها الأمثال وأسماءها هند وكانت معروفة بالقصاحة .

قالت : قنّى ؛ قيل : فأنه من الضأن ؟ قالت : غنّى ؛ قيل : فأنه من الإبل ؟
قالت : منى . والعرب تضرب المثل في الصرد بالمعزى تقول : « أصرّد من صتر
جرّاء » . وسئل دغفل عن بني مخزوم ، فقال : معزى مطيرة ، عليها قشعريرة ،
إلا بني المغيرة ؛ فإق فيهم تشادق الكلام ، ومصاهرة الكرام .

- ٥ وقالت العرب فيما تقول على السنة البهائم : قالت المعزى : الاست جهوى ،
والذئب أئوى ، والجلد رقاق ، والشعر دقاق . قالوا : والضأن تضع مرة في السنة
وتفرد ولا تنثم ، والماعز قد تلد مرتين في السنة ، تضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنباء
والبركة والعدد في الضأن ؛ وكذلك الخنازير تضع الأثنى منها عشرين خنوصاً ولا تنماء
فيها . ويقال : الجواميس ضأن البقر ، والنخض ضأن الإبل ، والبراذين ضأن الخليل ،
والحرذان ضأن الفار ، والنلثل ضأن القناذف ، والنمل ضأن اللز . ويقول الأطباء في لحم
١٠ الماعز : إنه يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويحبّل الأولاد ويفسد
الدم ، ولحم الضأن يضر بمن يصرع من المزة إضراراً شديداً حتى يصرعهم في غير
أوان الصرع . وأوان الصرع الأهلة وأنصاف الشهور ، وهذان الوقتان هما وقت مد
البحر وزيادة الماء والدم . ولزيادة القمير إلى أن يصير بدراً أثر في زيادة الدم والدماغ
١٥ وجميع الرطوبات ؛ قال الشاعر :

كأن القوم عشو لحم ضأن * فهم يمعجون قد مالت طلائهم

وفي الماعزة : إنها ترضع من خلفها وهي محفلة^(٤) حتى تأتي على كل ما فيه ؛ قال
أبن أحرر

(١) الصرد : البرد ، لأن المعزى لا تدفأ لفة شعرها . (٢) جهوى : مكشوفة . (٣) الرجل البع :

٢٠ الضيف المني كأنه مبرج البطن ، وفي النسفة الألمانية : « فهم يمعجون » بإياه المنة وهو يصرع .

(٤) الخلف بالكسر : حلة الضرع . (٥) المحفلة : التي تركب عليها أياها ليجمع اللبن في ضرعها .

إني وجدتُ نبيَّ أعيًا وجاملهم ^(١) * كالتصنُّعِطُفُ روقها فترتَّضِعُ ^(٢)

وإذا رعت الضائنة والماعزة في قصير نيت لم ينبت ما تأكله الماعزة لأن
الضائنة تحريسه بأسانها والماعزة تقتله وتجذبه فتخره من أصله . وإذا حمل على
الماعزة فحملت أنزلت اللبن في أول الحمل إلى الضرع ، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند
الولاد ، ولذلك تقول العرب : «رمدت المِعزَى فرَّقَ رَقٌّ» ^(٣) و«رمدت الضأن فرَّقَ رَقٌّ» ^(٤)
وذكور كل شيء أحسن من إناثه إلا الثيوس فإنها أقيح من الصفايا . وأصوات
الذكور من كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها .
فيل لأعرابي : بأي شيء تعرف حمل شاتك ؟ قال : إذا ودم حياؤها ورجت
شعرتها وأستفاضت خاضرتها .

قال الأصمعي : ليني عقيل ماعزة لا ترد ، تجري بأرطب . وقرأت في كتاب من
كتب الروم : إن أردت أن تعرف ما لو جين النجبة فانتظر إلى لسانها فإن الحنين
يكون على لونه . وقرأت فيه أن الإبل تنصاي أمهاتها وأخواتها فلا تسفدها .
قالوا : وكل ثور أفتس ، وكل بعير أعلم ، وكل دباب أفرح . وقالوا : البعير إذا صعب ^(٥)
وخافه الناس استعانوا عليه حتى يترك ويثقل ثم يركبه فقل أنحرفيل . والعرب تعرف

- (١) كذا في الأصل والصحيح والذي في اللسان في مادة «رضع» : * إلى رأيت بني سيم وعزم *
و«أعيًا» أي عظيم من أسد كما في اللسان . (٢) الجامل تطلع من الإبل معها رعياتها وأربابها .
(٣) الرق : القرن ، يريد أنهم لا يحيطون بواقعهم وإنما يرتضونها خشية أن يسمع الماعز صوت الحلب
فيطلبون اللبن منهم . (٤) التميد : أن تمط الضروع . والتزريق : الانتظار . والمعنى أن عظم
ضرع الماعزة لا يدل على قرب ولادتها . (٥) أي هي لأولادها الأدياق (جمع ديق) بالكسر
وهو حبل فيه عدة مرعى يشد به البهم . كل حررة دقة بالكسر والفتح) يعني أن عظم ضروع الفان يدل
على قرب ولادتها ، وهو مثل ضرب لما لا يخطر بقره انتظارا طويلا على عكس مثل الأول .
(٦) الأطلس : الذي تاملت قصبة آخه وانتشرت أو أشرم آخه في وجهه . (٧) الأظم :
المنشوق المنفر الأمل . (٨) الأفرح : الذي يريجه فرحة تظهر كالفرحة .

البعير المُنْعَدُ بسقوط الذباب عليه . ويقولون : بعير مَذْبُوبٌ إذا عَرَضَ له داء يدعو
الذباب إلى السقوط عليه . وقال بعض القصاص : بما فَضَّلَ الله به الكَبَشَ أن جعله
مستور العورة من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ ، وما أهان به التيس أن جعله مهتوك السَّتر
مكشوف القبل والذبر .

٥ حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أمية عن وهب بن منبه أنه قال : كان
في مناجاة عَزَّيْرٍ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ آخَرْتَ مِنَ الْأَعْمَامِ الضَّائِئَةِ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَامَةِ ، وَمِنَ النَّبَاتِ
الْحَبْلَةِ ، وَمِنَ الْبَيُوتِ بَكَّةً وَإِلْيَاءً ، وَمِنَ إِيْلَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وفي الحديث أن امرأة
أتت النبي عليه السلام فقالت : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، إني آتَمَخْتُ غَنًا ابْتَقَى
نَسْلَهَا وَرَسَلَهَا وَإِنِّي لَا تَمُوتُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” مَا أَلَوْنَهَا “ ، قالت :
سُودَ ، فقال : ” عَقَرِي “ ، وَبَعَثَ إِلَى الرُّعَيْنِ ” مَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ سُودٌ فَلْيَخْلُطْهَا بِعَقْرِ
فَالْتِ دَمَ عَقْرَاءَ أَرْكَى مِنْ دَمِ سَوْدَاوَيْنِ “ ، وقال : ” الْغَنَمُ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ وَإِذَا أُدْبِرَتْ
أَقْبَلَتْ . وَالْإِبِلُ إِذَا أُدْبِرَتْ وَأِذَا أَقْبَلَتْ أُدْبِرَتْ وَلَا يَأْتِي نَفْعُهَا إِلَّا مِنْ جَانِبِهَا
الْأَشَامِ “ (١) وَالْإِقْطُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمَعَزَى ؛ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

لَنَا غَنَمٌ تُسَوِّقُهَا غِزَارٌ * كَانَتْ قُرُونٌ جِثَّتْهَا عَيْصُ

فَتَمَلَأُ بَيْتَنَا أَقْطًا وَسَمْتًا * وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرَى

١٥ وقالوا : شَيْعَةُ الْبَعِيرِ : لَهَاتُهُ يُمَرِّجُهَا . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الْغَنَمِ قول مُحَارِقِ
أَبْنِ شِهَابٍ فِي تَيْسٍ غَنَمِهِ :

(١) أَعَدَّ الْبَعِيرُ : أَصَابَ بِالْمَنْدَةِ ، وَهِيَ طَاعُونُ الْإِبِلِ . (٢) فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ ” فِي مُنَاجَاةِ

عَزَّيْرَ اللَّهِ إِنَّكَ . “ وَظَاهِرٌ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ . (٣) الْحَبْلَةُ تَطْلُقُ عَلَى بَقْلَةٍ طَلِيَّةٍ مِنْ ذُكُورِ الْبَقْلِ

وَعَلَى الْكُرْمِ وَعَلَى شَجَرِ الْعِضَاءِ . (٤) بَكَّةٌ : مَكَّةٌ . وَإِلْيَاءٌ : اسْمُ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

(٥) الرِّسْلُ : الْهَيْزَلُ . (٦) عَقَرَى : مِنَ الْفَرَوِهِ وَالْيَاسِ . (٧) الْأَشَامُ : الشَّالُ .

وراحت أصيلاً كأنَّ ضروعها * دلاء وفيها وأند القرن ليل^(١١)
له رعشات كالشخوف وغرة^(١٤) * شديج^(٥) ولون^(٦) كالوذيلة^(٦) مذهب^(٦)
وعينا أحم^(٧) المفلتين وعصمة^(٧) * يواصلها دان^(٨) من الظلف مكنت^(٨)
إذا دوحة من مخرف الضال أذلت^(١٠) * عطاها كما يعطو ذرى الضال قهر^(١١)
أبو الحور والفقر اللواق^(١٢) كأنها * من الحسن في الأعناق يزع^(١٣) منقب^(١٣)
تري صيفها فيها بيت بنية^(١٤) * وضيف^(١٤) ابن قيس جائع^(١٤) تحوب^(١٤)

فوقد ابن قيس هذا على الثمان فقال: كيف أخارق فيكم؟ قال: سيد كريم من رجل
يمدح نيسه ويهجو ابن عمه. قال المبحج في وصف شاة حمره المقدم شمره المؤخر
إذا أقبلت حسبته نافرا، وإذا أدبرت حسبته ناثرا، أي كأنها تعطس، يريد من أي
أقطارها رأيته وجنتها مشرقة.

١٠

(١) وأند القرن: متصبه. (٢) قال صاحب اللسان: أراد بالليل شفقه على المعزى التي
أرسل فيها فهو ذليلة عليها أي ذوشفقة. (٣) رعشا الشاة: زنتها تحت الأذنين. وفي الأصل
الفتوغرافي: غرائث وهو مخريف. (٤) جمع شف وهو القوط، وفي الأصل الفتوغرافي
كالسيوف وهو مخريف. (٥) غرة شادحة وشديج: غشت الوجه من الناصية إلى الأنف.
(٦) المرأة أو فطمة من القصة مجلوة. (٧) العصمة: البياض في ذراعى النبي أو الوعل.
(٨) الظلف: نظركل ما أجتر، وهو ظلف البقرة والشاة والنطي وما أشبهها.
(٩) مكنت: غليظ، من الكتب وهو غليظ يد الرجل وأنف والمخافر واليد.
(١٠) المخرف: الذي حان تراه أي أقتطاف عمره.
(١١) من الطلو وهو التناول. (١٢) القهر من التبران: المسن الضخم.

٢٠

(١٣) الخزع بالفتح ويكسر: انخرز إلى ما يليق فيه سواد وبياض.
(١٤) يثوب: يتوسع. كذلك وردت في كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفي الفتوغرافية: «يحبوب»
ولم نجد هذا القليل وإنما ورد بالجرى: الجماعة.
(١٥) هكذا بالأصول، والذي في كتاب الحيوان لم يحفظ ج ٥ ص ١٤٠ «سيد شريف يمدح» الخ
بدون من رجل.

قال الأصمعي: قال أعرابي يهزأ بصاحبه: اشترى شاة فقهاء كأنها تضحك، مندقة^(٢) خاصرتها، لها ضريح أرقط كأنه جيب، قال: فكيف العطل؟ قال: أتى لهذه عطل! العطل: السق. يقول: من سمنها يحسب أنه لا عتق لها.

ومما تقوله العرب على السنة البهائم: قالت الضائسة: أولد رُخَّالاً وأبزر جُفَّالاً وأحلب كُثْبًا، وقالوا: لم ترمثي مالا حَفَّالاً^(٣). تقول: أبزر مرة وذلك أن الضائسة إذا بُزرت لم يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يؤتى عليه؛ والكثب جمع كُثبة وهي الدفعة من اللبن، تقول: أحلب دُفَّاً وقالوا من اللبن، وذلك لأن لبنها أدمم وأخثر من لبن المعز فهو أثل.

السباع وما شاكلها

١٠. يقال: إنه ليس شيء من السباع أطيب أفواهها من الكلاب، ولا في الوحوش أطيب أفواهها من القطباء. ويقال: ليس شيء أشدَّ بَجْراً من أسد وصقر، ولا في السباع أَسَج من كلب. وليس في الأرض خَلٌّ من جميع أجناس الحيوان لَدَرَه مَحْم ظاهراً إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحزاز ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع. وتقول الروم: إن الأسد يُدْعَر بصوت الذئب ولا يدنو من المرأة الطامث. والأسد إذا بال شغراً يشفر الكلب؛ وهو قليل الشرب الماء، ونحوه

(١) التهم: تقدم اثنا عشر طياً. (٢) في الأصل القنوغراف متلفة بالذال المحجمة والقاف وفي الألمانية «متلفة» بالذال المحجمة والقاف. ولعل الصواب ما أتيته: والاندلاق: الاسترخاء. (٣) الرخال: جمع دخل بالكسر وباء وكثف: الأنثى من ولد الضأن. (٤) الخفال كغراب: العظيم. (٥) كذا في المقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٦ وهي أنسب بالسياق. وفي الأصلين: «الكلب». (٦) كذا في المقد الفريد وفي الأصلين: «المحوسة». (٧) كذا في النسخة الألمانية، وفي القنوغرافية: من صوت «الذئب». وعبرة الصمعي «يفزع من صوت الذئب ونقر الطست». (٨) من الطمط وهو الحوض، وعبرة الصمعي: «ولا يدنو من المرأة الحامض ولو بلغ الجهد». (٩) شفر الكلب: رفع إحدى وجليه بال أول ميل.

يشبه نَجْو الكلب، ودواء عَضَّتْه دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب . وقالوا : العيون التي تضيء بالليل عيونُ الأَسَد والثَّوْر والسَّناير والآفَاعِي . والعرب تقول هو: «أَحْمَقُ من جَهَنَّم» وهي الذَّئْبَة لأنها تدع ولدها وتُرَضِع ولد الضَّبُع . ويقولون : الضَّبُع إذا صيدت أَوْقَلَّت حَال الذَّئْب أولادها وأناها بالحم . قال الكُتَيْب :

كما خَامَرَتْ في بيتها أُمُ حَامِرٍ * لدى الحبل حتى مَال أَوْسُ عِيَالَهَا

أَوْس : الذَّئْب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع في قَبْئِهَا : الأَسَدُ والكلب والسَّوْر ، ويقال : الضَّبُعُ أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكَلْب وهو جنون ، والذُّبُعَة والتَّعَرِس . والعرب تقول : دماء المملوك شِفاء من عَضَّة الكَلْب الكَلْب والجنون والتَّحَلِيل ؛ قال الفرزدق :

من الدارميين الذين دِمَاؤُهُم * شفاء من الداءِ المَجَنَّةِ والتَّحَلِيلِ

وبلغني عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب الذَّرَارِيحُ ^(٤) والعَدَس والشراب العتيق يُصنع ؛ وقد ذَكَر كيف صَنَعْتَهُ وكَم يُشْرَب منه وكيف يُعَالَج به ، والكَلْب الكَلْب إذا عَضَّ إنسانا فربما أحاله نَبَاحا مثله ثم أحبله وألقمه بأَجْرٍ صَغِيرٍ ^(٥) تراها علقا في صُور الكلاب .

(١) أم حامر : كنية الضبع .

(٢) الخليل حل هذه الرواية بحبل الزيل وروى «قلى الخليل» والمراد بذى الخليل الصائغ الذي يعلق الخليل في عروق الضبع .

(٣) كذا في الأصلين وفي لسان العرب في مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا في مادة أوس :

قال أرس بالعين المجعنة وقال في تفسيرها : معنى أكل جِراءها .

(٤) الذَّرَارِيح جمع ذَرَوْح وهي حورية حمراء مقطعة بسواد أعظم من الذباب شيئا .

(٥) جمع جرو .

قال أبو اليفطان : كان الأسود بن أوس بن الحجرة أقي النجاشي فملأه دواء الكلب ، فهو في ولده إلى اليوم . فمن ولده الحجل ، وقد داوى الحجل عتبة بن مرداس فأخرج منه مثل جرأ الكلاب علقاً ، قال ابن فسوة^(١) حين برأ :

ولولا دواء ابن الحجل وعلمه • هربت إذا ما الناس هرّ كلبيها
وأخرج بعد الله أولاد زارِع^(٢) • مؤلعة^(٣) أكتأفها وجنوبها^(٤)

الكلب : جمع كلب على غير قياس مثل عهد وعيد .

وعص رجلا من بني العنبر كلب كلب^(٥) قبل طلقا في صور الكلاب ، فقالت أمرأته :
أيا لك أدرأصا وأولاد زارِع^(٦) • وتلك تعمري^(٧) نية المتعجب

ويرضون أنه يطلب الماء أشد طلب ، فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد
لا أريد ، أو شيئا في معنى ذلك . قالوا : وتام حمل الكلبة ستون يوما ، فإن وضعت
في أقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش . وإناث الكلاب تحيض في كل سبعة أيام ،
وعلامة ذلك أن يرم^(٨) نحر الكلبة ولا تزيد السقاء في ذلك الوقت . وذكور السلوقية
تعيش عشرين سنة ، والإناث تعيش اثنتي عشرة سنة . وليس يلقى الكلب شيئا من
أسنانه سوى النابين .

قالوا : وعلامة سرعة الكلب أن يطول ما بين يديه ورجليه ويكون قصير الظهر .
ويوصف الكلب بصغر الرأس وطول العنق وغلظها وإفراط النضف^(٩) وزرق العينين

(١) ابن فسوة كنية عتبة بن مرداس ، وظاهر ما في الأصل أن البيتين لعتبة نفسه ولكن المؤلف
في كتابه الشعر والشعراء قال : فقال فيه الشاعر ، ثم ساق البيتين . (٢) زارع : اسم كلب ، ومنه
فيل للكلاب أولاد زارع . (٣) التوليع أن يكون في البداية ضروب من الألوان .
(٤) في النسخة الألمانية : « أكتأفها » . (٥) جمع درس — بافتح ويكر — وهو ذلك الضفد
والأرنب والبرج والفأرة والحرّة ونحوها . (٦) في النسخة الفتوح جرافسة « وأيام » .
(٧) النثر — بافتح ويضم — اللباغ والمخالب كالحياء لفاتة . (٨) النضف : استرخاء الأذن .

- وعِظَمُ الْمُتَلَبِّينَ وطولُ النَّظْمِ مع اللطافة وسعة الشَّدَقِينَ وتَوَهُ الجَبْهَةِ
وعِرْضُهَا، وأن يكون الشعر الذي تحت حَنَكِهِ طَاقَةً طَاقَةً ويكونَ غليظاً، وكذلك شعر
حَدْبِهِ، ويكونَ قصيرَ اليدين طويلَ الرجلين عريضَ الظهر طويلَ الصدر، في ركبته
أَمْعَاءٌ . ويكره للذكور طول الأذنان . ومن علامة الفَرَاهَةِ التي لا تكاد تَحْتَلِفُ أن
يكون على ساقيه أو على أحدهما أو على رأس الذنب عَجَبٌ ، وينبغي أن يُقَطَّعَ من
الساقين . وسودُّ الكلاب أحقرها، ولذلك أمر بقتلها .

- قالوا : وإذا هَرِمَ الكلبُ أُطِيعَ السَّمَنَ مراراً فإنه يعود كالشَّابِّ ، وإذا حَفِيَ
دُهِنَتْ أَسَنُهُ وَأَجِمَّ ^(١) وَيُسْحَ على يديه وربليه القِطْرَانُ . وإذا بلغ أن يَشْفِرَ فقد بلغ
الإِفْقَاحَ . والكلب من الحيوان الذي يحتمل . قالوا في الكلبة : إنه يسفدها كلب
أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدى إلى كلِّ سافِدٍ شَكْلُهُ وشَبْهِهِ .
١٠ .
قعد جماعة من أصحابنا يعتدون ما جاء في الكلب من الأمثال فحفظت منه : «الأمُّ
من كلبٍ على عَرَقٍ» و«أَجْعُ كَلْبِكَ يَتَبَعُكَ» و«نَعِيمُ كَلْبٍ فِي بُؤْسِ أَهْلِهِ» و«أَسَمِينُ
كَلْبِكَ يَا فَكَّكَ» و«أَحْرَصُ من كَلْبٍ على عَقِي صَبِيٍّ» و«أَجْوَعُ من كَلْبَةٍ حَوَمَلٍ»
و«أَبُولُ من كَلْبٍ» و«جلس فلان مَزْجِرَ الكلب» و«الكلاب على [البقر]»
و«الكلبُ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ الظَّاعِنُ» و«هو كالكلب في الأذى لا يستغف ولا يدع
الدَّابَّةَ تعتف» .

- (١) كذا في الأصل الفتوراني، وفي النسخة الألمانية : «ارجم» . وأجِمَّ : رَكَّ ليستعيد قوته .
(٢) في الأصلين : «قالوا في الكلبة» وظاهر أن الواو زائدة .
(٣) العرق : اللطم أكل لحمه ، أو اللطم بحم .
(٤) البقي : أتول حدث الصبي .
(٥) الزيادة من جميع الأمثال ، وهو مثل يضرب عند تحريض بعض القوم على بعض من غير مبالاة .

الذنب

الذنب إذا سفد الذئبة فاتحم الفرجان وهم عليهما حاجم قتلها كيف شاء، إلا أنها لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذنب إذا أراد السفاد تَوَسَّى موضعا لا يطرؤه أنيس خوفا على نفسه . وتقول الروم: إن الذنب إذا نهش شاة ثم أَفْلَتَتْ منه طاب لحها وخُفَّ وماليت من الفِرْدان . قالوا : والذنب إذا رأى إنسانا قبل أن يراه الإنسان أَمَجَ الذَّئْبُ صَوْتَ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ . وقالوا : في طبع الذنب حُبَّةُ الدَّمِ، ويبلغ به طبعه أنه يرى الذنب مثله قد دَمِيَ فينب عليه فِيمَزَقْهُ ؛ قال الشاعر ^(١) :

وكنْتُ كذَّابِ السُّوءِ لَمَّا رَأَيْتُهُ دَمًا * بصاحبه يوما أحال على الدَّمِ ^(٢)

قالوا : والفرس إذا وطئ أثر الذنب ثقلت قائمته التي وطئ بها . وفي كتاب علي رضي الله عنه إلى ابن عباس: لَمَّا رَأَيْتَ المدْعَى عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ حَرَبَ، والزمان قد كَلِبَ، قَلْبَتْ لَكِنْ عَمَّكَ ظَهْرُ الْحَيِّ بِفِرَاقِهِ مَعَ الْمَفَارِقِينَ، وَخَذَلَانَهُ مَعَ السَّالَافِينَ ، وَاسْتَخْطَفَتْ مَا قَدَّرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ اسْتَخْطَافَ النَّسَبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةِ الْمِعْزَى . ويقولون : إن الذنب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى ؛ وقال حميد بن ثور :

ينام بإحدى مقلتيه وَيَتَّقِي * بأخرى المنايا فهو يَقْظَانُ هَاجِمٌ ^(٣)

والذنب أشد السباع مطالبة، وإذا عجز حوى عواء استغاثه فتسامت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله ؛ وليس شيء من السباع يفعل ذلك .

(١) هو الفرزدق (رابع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(٢) أحال على الدم : أميل عليه .

(٣) الذنب الأزل : الأوج (النفيس الوديع) يتولد من اللصيح والذنب .

(٤) في العقد القرير وغيره :

* بأخرى الأحادي فهو يقظان تام

الفيل

- قالوا: لسان الفيل مقلوبٌ طَرَفُهُ إلى داخل . والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوبٌ
لنكَّم . والفيل إذا ساء خُلقه وَصِمَ عَصَبُوا رجليه فسَكَن . وليس في جميع الحيوان
شيءٌ لذكوره ثدى في صدره إلا الإنسان والفيل . والفيل المنطلي إن سمع صوت
يَخُونُ من الخنازير ارتاع ونفر . والفيل يَفْرَع من السَّوَر . وتزعم الهند أن تأتي
الفيل هما قرناء يجرَّان مستبطين حتى يفرقا الحنك ويخرجا أعقفين . وقال صاحب
المنطق : ظهر فيل عاش أربعمائة سنة . وقال حديثي شيخ لنا قال : رأيت فيلا
أيام أبي جعفر قيل : إنه سجد لسابور ذي الأكتاف ولأبي جعفر ، والفيلة تضعُ
في سبع سنين .

الفهد

١٠

- قالوا: السباع تشبه رائحة الفهد ، فإذا سَمِنَ الفهد عَرَفَ أَنَّهُ مطلوب وأنَّ حركته
قد ثقلت فأخفى نفسه حتى ينقضي الزمان الذي تسمَن فيه الفهود . ويعتري الفهد
داء يقال له خائصة الفهود ، فإذا أَمْتَرَاه أكل العذرة فبرأ . والوحشي المَسْن منها
في العبيد أضع من الجَرَو المُرَبِّب ^(٢) .

الأرنب

١٥

- قالوا : الأرنب تحيض ولا تسمَن إلا بزيادة اللحم . وقضيب الذَّكَر من الأرناب
ربما كان من عظم ، وكذلك قضيب الثعلب . والأرنب تأم مفتوحة العين . وإفحة
الأرنب إذا شربتها المرأة من بعد أن تطهر من الحيض مُنعت من الحمل . والكلف ^(٣)
إن طُلِيَ بدم الأرنب أذهبه .

- (١) بالأمسين : « وضعف » وظاهر أن ما أتيت به هو الذي يلازم البياض . (٢) المرَبِّب :
الذي يربونه . لأن الجرو يخرج نجا ويخرج السن على التأديب مسجورا غير خيب . كما في كتاب الحيوان
تباحث (ج ٦ ص ١٦٠) . (٣) الكلف بالتحريك : شيء يملأ الوجه كالسمم ويصرف بالنش .

القرَد والثَّب

قال : حدثني محمد بن خالد بن خَدَّاش قال : حدثني سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ حُصَيْنٍ وَأَبِي بَلْعٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ : زَنْتُ قِرْدَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَرَجَّحَهَا الْقُرُودُ وَرَجَّحْتَهَا مَعَهُمْ . قَالُوا : وَلَيْسَ شَيْءٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ الزَّوْاجُ وَالْفِرَّةُ إِلَّا الْإِنْسَانُ وَالْقِرْدُ ؛ قَالُوا : وَاللَّيْتُمْ جَرَّوْا الثَّبَّ نَضَعُهُ أُمَّهُ وَهُوَ كِفْدَرَةٌ لَمْ فَتَهْرُبْ بِهِ فِي الْمَوَاضِعِ الْعَالِيَةِ مِنْ الْقَرَدِ وَالنَّمْلِ حَتَّى تَسْتَدَّ أَعْضَاؤُهُ .

مصايد السباع العادية

السباع العادية : تُصطاد بِالزَّرِيِّ وَالْمَغْوِيَّاتِ وَهِيَ آبَارٌ تُخْفَرُ فِي أَنْشَازِ الْأَرْضِ ، فَلِذَلِكَ يُقَالُ : قَدْ « بَلَغَ السَّيْلُ الزَّرِيَّ » ، قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ : وَمَا تُصَادُ بِهِ السَّبَاعُ الْعَادِيَةُ ١٠
أَنْ يُؤْخَذَ سَمَكٌ مِنْ سَمَكِ الْبَحْرِ الْكِبَارِ السَّيَّانِ فَقَطْعُ قِطْعًا ثُمَّ تُسْرَحُ ثُمَّ تُكَلَّلُ كُكُلًا ثُمَّ تُؤَجَّجُ نَارٌ فِي غَائِطٍ مِنَ الْأَرْضِ يَقْرُبُ فِيهِ السَّبَاعُ ثُمَّ تَقْدَفُ تِلْكَ الْكُلَّةُ فِي النَّارِ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَنْتَشِرَ دَخَانُ تِلْكَ النَّارِ وَتَقَارُ تِلْكَ الْكُلَّةُ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ ثُمَّ تُطْرَحُ حَوْلَ تِلْكَ النَّارِ قِطْعٌ مِنْ لَحْمٍ قَدْ جَعَلَ فِيهَا الْخَرِيقَ الْأَسْوَدَ وَالْأَقْيُونَ وَتَكُونُ تِلْكَ النَّارُ فِي مَوْضِعٍ لَا تُرَى فِيهِ حَتَّى تُقِيلَ السَّبَاعُ لِرِيحِ الْقَتَارِ وَهِيَ أَمْنَةٌ فَمَا كُلُّ مَنْ قَطَعَ ١٥
الْحَمْلَ وَبُغِيَّتِي عَلَيْهَا فَيَصِيدُهَا الْكَامِنُونَ لَهَا كَيْفَ شَاءُوا .

(١) الْمَغْوِيَّاتُ بفتح الواو مشددة : جمع المغرأة وهي حفرة كاذبية تحضر للأسد

(٢) أَنْشَازٌ جمع شَرْز وهو المكان المرتفع .

(٣) الزَّيْ جَمْعُ زَبْية وهي الزابية لا يملؤها ماء ، وهي كذلك حفرة للأسد .

(٤) الْغَائِطُ : الطمئن الواسع من الأرض .

(٥) الْقَتَارُ : ريح الشتاء .

(٦) الْخَرِيقُ يكسفر : تبت كالم يمتلئ على آكله ولا يمتنع .

النعام

- قالوا في الظليم : إن الصيف إذا أقبل وأبتدأ البُسر في الحجرة آبسداً^(١١) لون وظيفيه بالحجرة ولا يزالان يتلونان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهي حمرة البسر، ولذلك قيل له : خاضب . وفي الظليم : إن كل ذى رجلين إذا أنكسرت إحدى رجليه قام على الأخرى وتحامل على ظِّلَعِ غَيْرِهِ فإنه إذا أنكسرت إحدى رجليه جَثَمَ ، ولذلك قال الشاعر :
- في نفسه وأخيه :

فإني وإياه كرجلي نعامٍ * على ما بنا من ذى غنى وفقير

يقول : لا غنى بواحد منا عن الآخر . وقال آخر :

إذا أنكسرت رجل النعام لم تجد * على أختها نهضاً ولا بإستها حبواً^(١٢) ^(١٣)

- قالوا : وعلة ذلك أنه لا تُخَّ له في ساقيه، وكل عظم فهو يجبر إلا عظماً لا تخ فيه ؛
وزمانير الشاء لا تجبر ؛ قال الشاعر :

أجلدك لم تظلع رجل نعامٍ * ولست بنهاض وعظمك زعمر

أى أجوف لا تخ فيه . والظليم يفتدى المرو والصخر قذبيه فانصته بطبعها حتى يصير كالماء ؛ قال ذو الرقة يذكره :

- (١) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها والجمع أوظقة ووظف .

(٢) في المقد القريد : ولا دونها صبرا .

(٣) كذا في حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤٢٠) وفي الأصل : « جبرا » .

(٤) الزمان جمع زعرة وهي كل عظم أجوف لا تخ فيه .

(٥) القوانص الطير كالصارين لفتحها .

أَلْهَاهُ أَهٌ وَتُسُومُ وَعُقْبَتُهُ ^(٢) * مِنْ لَأَعِ الْمَرُ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبٌ ^(٣)

قال أبو النجم :

والمرو يُقْبِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ * فِي سَرِيحٍ هَالِكٍ عَلَى أَلْوَانِهِ ^(٤)

والظلم يتلج الجحرة وربما ألقى الحجر في النار حتى إذا صار كأنه حمرة قُنِفَ به بين يديه فينتامه وربما أبتلع أوزان الحديد . وفي النعامة لأنها أخذت من البعير المنيسم والوظيف والمُعَقَّ والخرامة ؛ ومن الطائر الزَيْش والجناحين والمنقار فهو لا يعبر ولا طائر ؛ وقال أوس بن حجر :

وَتَنهى ذَوَى الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ * وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْمُخْزَمِ

جعله مخزماً فخرقن اللذين في عَرْضِ أُنْفِهِ في موضع الخِرَامَةِ من البعير . قال

يحيى بن نوفل :

ومثل نعامة تُدْعَى بِمِيراً * تُعَاصِبُنَا إِذَا مَا قَبِلَ طَيْرِي ^(٥)

فإن قبيل أحيل قالت فإني * من الطير المِيرَةِ ^(٦) فِي الْوُسُورِ

وتقول العرب في المثل : هذا «أَمُوقٌ من نعامة» وذلك أنها ربما خرجت لطلب

الطعم ففوت ببيض نعامة أخرى فخصنته وتركزت ببضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو

أَبْنُ هَرَمَةَ :

١٥

(١) الآ : شجر له ثمر يأكله النعام . (٢) قال ابن سيده : النعوم : شجر له حل صغار كمثل

حب الخروع ، ويتفق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق ،

ورواحدة تنومة . (٣) قال في اللسان : وَصْفَةُ الْمَاشِيَةِ فِي الْمَرْعى أَنَّ تَرعى الْحِلَّةَ عُنْفَةً ثُمَّ تَحْوِلُ

إِلَى الْحَضِّ ، فَالْحَضُّ عُنْفَتُهَا ، وَكَذَلِكَ إِذَا حَوَلَتْ مِنَ الْحَضِّ إِلَى الْحِلَّةِ ، فَاتَّخَذَتْ عُنْفَتَهَا . (٤) السرم :

البلوم . (٥) كذا في حياة الحيوان للدميري . وفي الأصل «تعاظمتها» . (٦) المِرة :

٢٠

القيمة ؛ وفي حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤١٨) «المِرة» .

وَإِنِّي وَتَرِكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ * وَقَدْ حَيَّ بِكَ نَيَّ زَنَدًا شَحَا

كَتَارِكَةٍ بِيضًا بِالْعَرَاءِ * وَمُلَيْسَةٍ بِيضَ أُخْرَى جَنَاحَا

وَقَالَ سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ :

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِي عَامِرٍ * رَأَيْتَ جَفَاءً وَنُوكًا كَبِيرًا^(١)

نَعَامٌ تَمُدُّ بِأَعْنَاقِهَا * وَيَمْنَعُهَا نُوكُهَا أَنْ تَطْلِيَا

وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الشَّرَادِ وَالنَّفَارِ؛ قَالَ يَسْرِينُ ابْنُ خَازِمٍ :

وَأَمَّا بَنُو عَامِرٍ بِالنَّسَارِ * فَكَانُوا غُدَاةَ لَقُونَا تَمَامًا^(٢)

يُرِيدُ : مَرَّوًا مِنْهُمْ . وَرَبَّمَا حَضَبَتِ النَّعَامَةُ أَرْبَعِينَ بَيْضَةً أَوْ نَحْوَهَا وَأَخْرَجَتْ

ثَلَاثِينَ رَأْلًا ، قَالَ ذُو الرِّقَةِ :

كَأَنَّهُ خَاضِبٌ بِالسَّيِّ^(٣) مَرَّتَهُ * أَبُو ثَلَاثِينَ أَمْسَى وَهُوَ مُتْقَلِبٌ

وَالْبَوَاقُ مِنْ بَيْضِهَا الَّذِي لَا تَتَّقُهُ^(٤) يَقَالُ لَهَا : التَّرَائِكُ ، وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ الظَّلِيمُ عَدُوًّا

إِذَا اسْتَقْبَلَ الرِّيحَ لِأَنَّهُ يَضَعُ عُنُقَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ يَمُزِّقُ الرِّيحَ وَإِذَا اسْتَدْبَرَهَا كَبَّتْهُ مِنْ

خَلْفِهِ . وَالنَّعَامَةُ تَضَعُ بَيْضَهَا طَوِيلًا ثُمَّ تَغَطِّيْهَا كُلَّ بَيْضَةٍ بِمَا يَصْبِغُهَا مِنَ الْحَضَنِ ؛

قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

* وَضِئْنَ وَكُفَّهْنَ عَلَى غِرَارٍ *

وَقَالَ آخَرُ :

* عَلَى غِرَارٍ كَأَسْتَوَاءِ الْمِطْمَرِ *

(١) النُّوَكُ : الْحَقِي . (٢) النَّسَارُ : مَوْضِعٌ ، وَقِيلَ : هُوَ مَا لَبِثَ عَامِرٌ ، وَهُوَ يَوْمُ النَّسَارِ لِبْنِ أَسَدٍ

وَذِيانٍ عَلَى جِشَمٍ مِنْ مِاوِيَةٍ . (٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ الْقَتُورُ فَإِنَّهُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي مَادَةِ «خَضِبَ»

«أَذَاكَ أَمَّ خَاضِبٌ ... أَخْ» وَهِيَ رَوَايَةُ الْبُيُوتَانِ ، يَمْنَعُ : أَذَاكَ التُّورُ الَّذِي وَصَفَتْهُ بِشَبِّهٍ نَاقَتِي فِي سُرْعَتِهَا

أَمَّ ظَلِيمٌ هَذِهِ صَفَتُهُ . (٤) السَّيِّ : الْفَلَاةُ . (٥) تَقَفَتِ النَّعَامَةُ الْبَيْضَةَ : تَهَيَّأَتْ وَأَسْتَخْرَجَتْ مَا فِيهَا .

والمطمَر خيط البناء، إلا أن ثعلبة بن صَعِير خالف ذلك فقال يذكر الظلم
والنعامة :

فَذَكَّرَا ثَقَلًا رَثِيْدًا بِسَدِّ مَا * أَلْقَتْ ذُكْلُهُ يَمِيْنَهَا فِي كَافِرٍ^(٢)

والرثيد : المنضود بعضه على بعض . قالوا : الوَحْش في الفلوات ما لم تعرف
الإنسان ولم تره لا تنفر منه إذا رآته خلا النعام فإنه شارد أبداً ؛ قال ذو الرمة :

وَكُلُّ أَحْمَمٍ الْمُقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ * أَخُو الْإِنْسِ مِنْ طَوْلِ الْخِلَاءِ الْمَغْفَلِ^(٣)

يريد : أنه لا ينفّر من الناس لأنه في خلاء ولم ير أحداً قبل ذلك . وقال الأحمير
السعدي : كنت حين خلعتي قومي وأطلّ السلطان دَبي وهربت وترددت في البوادي
ظننت أني قد جرت نحل وبار أوقرب منها ، وذلك أني كنت أرى النوى في رجع
الذئاب وكنت أغشى الغنم وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني ؛ لأنها لم تراحدا
قبل . وكنت أمشي إلى الظبي السمين فأخذه ، وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش
إلا النعام فإنه لم أره قط إلا نافرًا فرّعا .

الطير

قال حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا طلحة بن يزيد الشامي
عن يقيّة بن الوليد عن عبد الله بن أبي كبشة عن أبيه قال : كان النبي عليه السلام
يُصِجُّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْأُرْجُجِ وَإِلَى الْحَمَامِ الْأَحْمَرِ .

حدثني الراشدي قال : ليس شيء ينسب أذناه إلا وهو بيض ؛ وليس شيء يظهر
أذناه إلا وهو يلد ، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام .

(١) الثقل بالتحريك : متاع المسافر وحشته . (٢) ذكاء : هي الشمس ، والكافر هو
الليل ، من الكفر وهو السر والتغطية ، يريد أنها تذكرها متاعها بعد الغروب . (٣) أحم :
أسود . (٤) المغفل : المجهول ، وفي الأصلين : «المقل» والتصويب عن الديوان .

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن جريج قال ابن شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أربع لا يقتلن النملة والنحلة والمدهد والصد^(١)". بلغني عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبي عليه السلام : يا رازق العناب في عشه . وذلك أن الغراب إذا قصص عن فراخه خرجت بيضا فإذا رآها كذلك نفر عنها فتفتح أفواهها ويرسل الله لها ذبا فيدخل في أجوافها فيكون غذاها . حتى تسود ، وإذا أسودت عاد الغراب فغذاها ويرفع الله عنها الذباب .

قال حدثني أحمد بن الحليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك ابن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَا تَطْرُقُوا الطيرَ في أوكارها فإن الليل أمان الله" .

- ١٠ حدثني أبو سفيان الغنوي عن معاوية بن عمرو عن طلحة بن زيد عن الأحموص ابن حكيم عن خالد بن معدان عن رجل من الأنصار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الذيك الأبيض صديق وصديق صديق وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وسبع أدور" . وكان النبي عليه السلام بيوته معه في البيت .

- قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائم الطير وهو ما لقط الحبوب والبرور ، وسباع الطير وهي التي تنتدئ اللحم ، والمشارك وهو مثل المصفور يشارك بهائم الطير في أنه ليس بذي مخالب ولا منير وإذا سقط على عود قتم أصحابه الثلاث وآخر الدائرة . وسباع الطير تهدم أصبعين وتوتر أصبعين ويشارك سباع الطير بأنه يقيم فراخه ولا يرق وأنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والفيل .

(١) الصد : طائر أبيض البطن أخضر الظهر خضف الرأس والمنار له غلب يصطاد العصافير وصغار

- الطير ويكنى بأبي كثير . (٢) هذا الحديث موضوع وقد نبه عليه ابن الجوزي وملا على القناري في موضوعاتها (راجع موضوعات ملا على القناري ضمن مجموعة مخطوطة محفوظه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٤ حديث) .

قالوا: والمصنور شديد الوطء، والفيل خفيف الوطء، والورشان ^(١) يصرع في كل شهر مرة. قالوا: وأسوأ الطير هداية الأسود، والأبيض لا يحيى من الناية لضعف قوته وأجودها هداية الغمر والأحمر.

قال صاحب الفلاحة: الحمام يحب بالكمون ويألف الموضع الذي يكون فيه الكون، وكذلك العدس ولا سيما إذا أقيما في عصير حلوه. وما يصلح عليه ويكثر أن تدخن بيوتهم بالعلك؛ وأسلم مواضعها وأصلحها أن يبنى لها بيت على أساطين خشب ويحمل فيه ثلاث كؤي: كؤ في سمك البيت وكؤ من قبل المشرق وكؤ من قبل المغرب، وبابان من قبل مهب الجنوب. قال: والسذاب إذا أُلقي في البرج تحمته السناير البرية.

حدثني ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن أبي المنذر هشام بن محمد قال: حدثني الكلبي أن أسماء تكاثرت نوح إذا تكلم في زوايا بيت حمام تمت الفروع وسلمت من الآفات. قال هشام: قد جربته أنا وغيري فوجدته كما قال أبي. قال: وأسم امرأة سام بن نوح «حملت نحو»، وأسم امرأة حام «أذنت نسا»، وأسم امرأة يافث «زدقت نبت».

قالوا: وأمراض الحمام أربعة: الكجاء ^(٥) والحنان ^(٦) والسل ^(٧) والقمل، فدواء الكجاء الزعفران ^(٨) والسل الطبرزد ^(٩) وماء الهندباء ^(١٠) يحمّل في سكرجة ثم يمسح في حلقه قبل أن يلتقط شيئا.

(١) في الأصلين: النابتة، والتصحيح كتاب الحيوان لملاحظ. والناية المرضع الذي يرسل إليه الحمام المذب على إيلاخ الرسائل. (٢) السذاب: اسم نبات له خواص وطبائع ذكرها ابن البطيار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥). (٣) الكتان: جمع كنة الفتح، وهو جمع نادر، كأنهم توفروا فيه فبيلة ونحوها مما يكثر على فاعل. والكنة امرأة الأبن أو الأخ. (٤) عبارة القصد الفريد (ج ٣ ص ٥) وأسم امرأة سام بن نوح «حملت بحم» وأسم امرأة سام «نف نسا» وأسم امرأة يافث «قال». (٥) الكجاء كثراب: وجمع الكبد. (٦) الحنان: داء يأخذ الطير في حلقها. (٧) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب. (٨) الهندباء: يقل معروف يؤكل، له مفرق ومواقع ذكرها ابن البطيار في مفرداته، ودارد الأخطاك في ذكره. (٩) السكرجة: الصمغة.

- ودواء الخنثان أن يُلَيِّن لسانه يوما أو اثنين بدهن البنفسج ثم بالرماد والملح ويذكر بهما حتى تتسلخ الجلدة العليا التي غشيت لسانه ثم يُطَلَّى بِسَلِيلٍ وَدُهْنٍ وَرَدٍّ حَتَّى يَبْرَأَ .
ودواء السَّلِّ أن يُطْعَمَ الماشُ المَقْشُورَ وَيُجِّجُ فِي حَلَقِهِ لَبَنٌ حَلِيبٌ وَيُطْعَمُ مِنْ وَطِيفِيهِ عِرْقَانِ ظَاهِرَانِ فِي أَصْفَلِ ذَلِكَ مِمَّا عَلَى الْمَفِصَلِ . ودواء الْقَمَلِ أَنْ تُطَلَّى أَصُولُ رِيشِهِ بِالزُّبَيْقِ الْمَخْلُوطِ بِدُهْنِ الْبَنْفَسَجِ ، يُفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ مُرَارًا حَتَّى يَسْقُطَ قَمَلُهُ ، وَيُكْنَسُ مَكَانُهُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ كَنَسًا نَظِيفًا .

- قالوا : والطير الذي يخرجُ مِنْ وَكْرِهِ بِاللَّيْلِ الْبُومَةُ وَالصَّيْدَى وَالْهَامَةُ وَالضُّبُوعُ وَالْوَطَاطُ وَالْخَفَّاشُ وَغَرَابُ اللَّيْلِ . قالوا : إذا خرج فرخُ الحمامة ففخُ أبواه في حلقة الرِّيحِ لَتَسْمَعَ الْخَوْصَلَةَ مِنْ بَعْدِ اتِّعَامِهَا وَتَنَبِّئُ ، فَإِذَا أَسْمَعْتَ زَقَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَعَابِ ثُمَّ زَقَاهُ سُدُوجَ أَصُولِ الْخَيْطَانِ لِيَدْبُغَا بِهِ الْخَوْصَلَةَ ، ثُمَّ زَقَاهُ بَعْدُ الْحَبِّ .
قال الْمُتَنَبِّئُ بْنُ زُهَيْرٍ : لم أَرِ شَيْئًا قَطُّ فِي رَجُلٍ وَأَمْرَأَةٍ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْحَمَامِ ، رَأَيْتُ حَمَامَةً لَا تَرِيدُ إِلَّا ذِكْرَهَا ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً لَا تَمْنَعُ شَيْئًا مِنَ الذَّكَورِ ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً لَا تَزِيغُ إِلَّا بَعْدَ شِقَّةٍ طَلَبَ ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً تَزِيغُ لِلذَّكَرِ سَاعَةً يَطْلُبُهَا ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً وَهِيَ مُمَكَّنٌ أَنْ تَحْرِمَ مَتَعِدُوهُ ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً تَقْمِطُ حَمَامَةً ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً تَقْمِطُ الذَّكَرَ ، وَرَأَيْتُ ذَكَرًا يَقْمِطُ الذَّكَرَ ، وَرَأَيْتُ الذَّكَرَ يَقْمِطُ مَالِيَّ وَلَا يُزَاوِجُ ، وَرَأَيْتُ ذَكَرًا لَهُ اثْنَانِ يَحْضُنُّ مَعَ هَذِهِ وَهَذِهِ وَيَزْنِي [مَعَ] هَذِهِ وَهَذِهِ .

- (١) الماشُ : حَبٌّ مَذْقُودٌ أَصْغَرُ مِنَ الْحَصَى أَمْرًا لَوْنٌ يَمِيلُ إِلَى الْخَضِرَةِ بِكُلِّ طَبِيعَتَا وَأَجْرَدُهُ الْهَمْدِيُّ ثُمَّ الْيَنْبِيُّ وَارْدُهُ الشَّائِي . (٢) الزُّبَيْقُ بِالتَّوْنِ : دُهْنُ الْيَاسَمِينِ . وَفِي النُّسَخَةِ الْأَمَانِيَةِ «الزُّبَيْقُ» بِأَيَّامِ . (٣) الضُّبُوعُ : طَائِرٌ مِنْ طَيْرِ اللَّيْلِ ، قِيلَ هُوَ الْكَرْوَانُ ، وَقِيلَ هُوَ ذَكَرُ الْيَوْمِ . (٤) كَذَا بِالْأَصْلَيْنِ ، وَلَهُ «الصَّادُوحُ» وَهُوَ الْكَلَسُ يَنْبِي وَيَحُلِّي بِهِ حَيْطَانُ الْبَيْتِ . وَفِي «كِتَابِ الْخِيَرَانِ» لِجَابِطٍ (ج ٣ ص ٤٧) : «فَيَأْكُلَانِ مِنْ صُرُوجِ الْخَيْطَانِ وَهِيَ شَيْءٌ بَيْنَ الْمِلْحِ وَالْحَمَضِ وَبَيْنَ التُّرَابِ الْخَالِصِ فَيَزْنِيَانِ الْقَرْنُ... الخ » . (٥) فِي الْبَلْسَانِ : الْحَمَامَةُ تَزِيغُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَمَامِ الذَّكَرِ ، أَيْ تَمْنَعِي مَلَّةَ . (٦) الزَّيَادَةُ عَنْ «كِتَابِ الْخِيَرَانِ لِجَابِطٍ» .

اليض

- قالوا : والبيض يكون من أربعة أشياء : منه ما يكون من السفاد؛ ومنه ما يكون من التراب؛ ومنه ما يكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها؛ ومنه شيء يعترى ^(١) الجبل وما شاكله في الطبيعة، فإن الأنثى منه ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق الذكر في بعض الزمان فتحتش من ذلك بيضا، وكذلك النخلة تكون بجانب الفحل وتمت ريمه فتقع تلك الرمية وتكتفى بذلك، والدجاجة إذا هربت لم يكن ليضها مخ، وإذا لم يكن للبيضة مخ لم يخلق فيها فرخ، لأنه لا يكون له طعم يذوقه؛ والفرخ والفروج يخلقان من البياض وغذاؤهما الصفرة، وإذا باضت الدجاجة بيضتين في اليوم كان ذلك من علامات موتها؛ والطائر إذا تفت ريشه احتبس بيضه وإذا سمع صوت الرعد الشديد . ١٠

الخفاش

- قالوا: عجائب الخفاش أنه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتعمل وتلد وتبيض وتضع وتطير بلا ريش، وتعمل الأنثى ولدها تحت جناحها وربما قبضت عليه فيها خوفا عليه، وربما ولدت وهي تطير. ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان بجليها، وأبصارها تصبح على طول العمر، وإنما يظهر في القمر منها المستات؛ وقال بعض الحكماء : الخفاش فأر يطير . ١٥

- (١) الجبل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر الحنار والريطين يسمى دجاج البر . (راجع حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٢٨٤) .
(٢) الفحل : ذكر النخل خاصة .
(٣) الخفاش مشتق من الخفش وهو ضعف في البصر، ومنق في العين، وقيل : هو سفاد في جفن العين وأحمرار تضيق له العيون من غير وجمع ولا قرح . ٢٠

الْخُطَّافُ وَالزُّرُورُ

- قالوا : انْطُفَأَ^(١) وَالزُّرُورُ يَتَّبِعُ الرِّيحَ حَيْثُ كَانَ . قالوا : وَتُقْلَعُ إِحْدَى عَيْنَيْهِ فَرَجْعُ . وَالزُّرُورُ لَا يَمْتَشِي وَمَتَى وَقَعَ بِالْأَرْضِ لَمْ يَسْتَقِلْ وَأَخَذَ ، وَإِنَّمَا يُعَشِّشُ فِي الْأَمَاكِنِ الْمَرْفُوعَةِ فَإِذَا أَرَادَ الطَّيْرَانُ رَمَى بِنَفْسِهِ فِي الْهَوَاءِ فَطَارَ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ أَقْبَضَ عَلَيْهِ فَشَرِبَ مِنْهُ اخْتِلَافًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْقُطَ بِالْأَرْضِ .

الْمُقَابُ وَالْحِدَاةُ

- قالوا : الْمُقَابُ تَبْيِضُ ثَلَاثَ بَيضَاتٍ فِي أَكْثَرِ حَالَاتِهَا إِذَا فَرَحَتْ غَلَبَتْ أَشْبَنُ وَبَاعَدَتْ عَنْهَا وَاحِدًا فَيَتَعَهُدُ فَرْخَهَا طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ : كَاسِرُ الْمُقَامِ ، وَيَنْدُوهُ حَتَّى يَكْبُرَ وَيَقْوَى . وَقَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ : الْمُقَابُ وَالْحِدَاةُ يَتَبَدَّلَانِ فَتَصِيرُ الْمُقَابُ حِدَاةً وَالْحِدَاةُ عِقَابًا ، قَالَ : وَكَذَلِكَ الْأَرَانِبُ^(٢) تَبْقَلُ فَيَصِيرُ الذِّكْرُ مِنْهَا أُنْثَى وَتَصِيرُ الْأُنْثَى ذَكَرًا .
- قال صاحب المنطق : الْمُقَابُ إِذَا أَشْتَكَتْ كَيْدَهَا مِنْ رَفْعِهَا الثَّلَبَ وَالْأَرْنَ بَ فِي الْهَوَاءِ وَحَطَّهَا لِذَلِكَ وَأَشْبَاهَهُ تَمَاجَلَتْ بِأَكْلِ الْأَجْدَادِ حَتَّى تَبْأَ .

(١) انطلاف : الصفور الأسود ، وهو الذي تدعوه العامة صفور الجثة .

(٢) الزرور يدعى الزاي : طائر من نوع الصفور يسمى بذلك لورده أي تصويبه .

(٣) أي لم يبيض .

(٤) كاسر المقام : طائر يسمى « المكفة » لأن المقاب لما كانت سبعة الخلق تبيض ثلاث بيضات فخرج فراخها وتلق واحدًا منها فبأخذه هذا الطائر الذي يتكلف به . (راجع حياة الحيوان الكبير)

ج ٢ ص ٢٨٧) .

(٥) في الأصلين « جدلان » .

الغراب

الغِرَابُ لَا تَهْرَبُ النَّخْلَ الْمَوَاتِيرَ وَإِنَّمَا تَسْقُطُ عَلَى النَّخْلِ الْمَصْرُومَةِ فَتَقْطَعُ مَا يَسْقُطُ
 مِنَ التَّمْرِ فِي الْقَلْبَةِ وَأُصُولِ الْكَرْبِ^(١)، وَعَلَى إِمَاتِ الْغِرَابِ الْحَضْنُ وَعَلَى الذِّكُورِ أَنْ تَأْتِيَ
 الْإِمَاتُ بِالطَّعْمِ • وَالْإِوَرَّةُ دُونَ الذِّكْرِ • وَالْغِرَابُ أَكْثَمُ شَيْءٍ لِلسَّفَادِ •

القطا

قَالُوا : وَالْقَطَا لَا تَضَعُ بَيْضَهَا أَبَدًا إِلَّا أَفْرَادًا ، قَالَ أَبُو وَجَّحَةَ :
 وَهِيَ تَسْبِنُ وَهَذَا كُلُّ صَادِقَةٍ • بَاتَتْ تُبَايِسُ عَرْمًا غَيْرَ أَزْوَاجٍ^(٢)
 الْحَيَوَانُ الَّذِي لَا يَصْلُحُ شَأْنُهُ إِلَّا بِرَيْسٍ أَوْ رَقِيبٍ : النَّاسُ ، وَالْفَرَانِيقُ ، وَالْكَرَاكِي^(٣)
 وَالنَّحْلُ ، فَأَمَّا الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْجَمِيرُ فَتَحْذَرُ رَيْسًا مِنْ غَيْرِ رَقِيبٍ •

باب مصائد الطير

قَالَ صَاحِبُ الْفَصْلَةِ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلَ لِلطَّيْرِ وَالْبَحَّاجِ حَتَّى يَتَّعِينَ وَيُنَشِّيَ
 عَلَيْهِمْ حَتَّى يَصِيدَهُمْ عَمِدَ إِلَى الْحَلِيتِ فَدَافَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ جَعَلَ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ شَيْئًا
 مِنْ عَسَلٍ ثُمَّ أَهَمَّ فِيهِ بَرًّا يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ أَلْقَى ذَلِكَ الْبَرَّ لِلطَّيْرِ فَإِنَّمَا إِذَا أَتَتْ قَطِطَةً تَحِيرَتْ

- (١) النخل المواتير: الكثيرة الحمل • (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جزه وقطعه • (٣) القلبة
 جمع قلب وهو شجرة النخل وله أو أجود غوصه • وفي التهذيب: القلب بالضم: السف (جريد النخل أو روره)
 الذي يصلح من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب») • (٤) الكرب بالتحريك: أصول السف
 التلاط العراض • (٥) وردت هذه الجملة في الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسباق • ولعلها زائدة
 من الناسخ • (٦) كذا في الأصلين ، وفي اللسان في مادة «حرم» وفي كتاب الحيوان لما حفظ
 (ج ٥ ص ١٦٦) : ما زلت • (٧) الهرم: بيض القطا • (٨) الفرانيق: الذكور من طيور
 الماء سود وتقل بيض وهي في قدر البط • (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥) • (٩) الحليته:
 صنع الأتخذان بفتح الهزلة وضم الجيم وهو نبات أسود وأبيض وأصله أغلظ من الإصبع ينفزع كثيرا وله
 قرون كقرون الوبياء فيها بذر كالطلس أسود حاراً بيض لطيف •

وَعُشِّيَ عَلَيْهَا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الطَّيْرَانِ إِلَّا أَنْ تُسْقِيَ لَبَنًا خَالطَهُ سَمْنٌ. قَالَ : وَإِنْ عُجِدَ إِلَى طَلَمِينَ بَرٍّ غَيْرِ مَنْخُولٍ فَمُحْنٌ بَخْرٌ ثُمَّ طُرِحَ لِلطَّيْرِ وَالْمَجَلِّ فَأَكَلَنَ مِنْهُ تَحِيْرًا. وَإِنْ جُعِلَ نَمْرٌ فِي إِنَاءٍ وَجُعِلَ فِيهِ بَنَجٌ فَتَسْرِيَنَّ مِنْهُ عُشِّيَ عَلَيْهِنَّ. قَالَ : وَمَا يُصَادُّ بِهِ الْكِرَاكِي وَغَيْرُهَا مِنَ الطَّيْرِ أَنْ يُوضَعَ لَهْنٌ فِي مَوَاقِعِهِنَّ إِنَاءٌ فِيهِ نَمْرٌ وَقَدْ جُعِلَ فِيهِ تَحْرِيقٌ أَسْوَدٌ وَأُتْقِعَ فِيهِ شَعِيرٌ فَإِذَا أَكَلَنَ مِنْهُ أَخَذَهُنَّ الصَّائِدُ كَيْفَ شَاءَ .

قَالَ غَيْرُهُ : وَمَا تُصَادُّ بِهِ الْعَصَافِيرُ بِأَسْهَلِ حِيلَةٍ أَنْ تُؤْخَذَ شَبْكَةً فِي صُورَةِ الْمَحْبَرَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْمَنْكُوسَةِ وَيُجْعَلُ فِي جَوْفِهَا عَصْفُورٌ فَتَنْقُضُ عَلَيْهِ الْعَصَافِيرُ وَيَدْخُلُنَّ عَلَيْهِ وَمَا دَخَلَ مِنْهَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ فَيَصِيدُ الرَّجُلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مَائَتِينَ وَهُوَ وَادِعٌ. قَالَ : وَبُصَادُ طَيْرِ الْمَاءِ بِالْقَرَعَةِ وَذَلِكَ أَنْ تُؤْخَذَ قَرَعَةٌ بِأَسَدَةٍ صَحِيحَةٍ فَيُرْمَى بِهَا فِي الْمَاءِ فَلِإِنِهَا تَهْتَوِكُ فَإِذَا أَبْصَرَهَا الطَّيْرُ تَهْتَوِكُ فَرِيْعٌ فَلِذَا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ آتَسٌ حَتَّى لَرَّ بِمَا سَقَطَ عَلَيْهَا ثُمَّ تُؤْخَذُ قَرَعَةٌ فَيُقَطَّعُ رَأْسُهَا وَيُحْرَقَ فِيهَا مَوْضِعُ عَيْنَيْنِ ثُمَّ يَدْخُلُ الصَّائِدُ رَأْسَهُ فِيهَا وَيَدْخُلُ الْمَاءَ فَيَمْشِي إِلَيْهَا مَشْيًا رَوِيْدًا فَكَلِمًا دَنَا مِنْ طَائِرٍ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْمَاءِ فَيَقْبِضُ عَلَى رَجْلَيْهِ ثُمَّ غَمَسَهُ فِي الْمَاءِ ثُمَّ دَقَّ جَنَاحَهُ وَخَلَّاهُ فَبَقِيَ طَائِفًا فَوْقَ الْمَاءِ يَسْبِجُ بِرَجْلِهِ وَلَا يُطِيقُ الطَّيْرَانِ ، وَسَائِرُ الطَّيْرِ لَا يُمَكِّنُ أَنْفُسَهُ إِذَا فَرِيْعٌ مِنْ صَيْدٍ مَا يُرِيدُ رَمَى بِالْقَرَعَةِ ثُمَّ يَلْتَقِطُهَا وَيَجْلِيهَا .

الْحَمْسَرَاتُ

حَدَّثَنِي يُزِيدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْبِيعٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ : الْقَارَةُ يَهُودِيَّةٌ وَلَوْ سَقَيْتُهَا أَلْبَانَ الْإِبِلِ مَا شَرِبَتْهَا ، وَالْقَارُ أَصْنَافٌ : مِنْهُنَّ الزَّبَابُ وَهُوَ أَصَمٌّ ، قَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِزَّازٍ :

- (١) كَذَا فِي الْمَقَدِّ الْقَرِيدِ (ج ٣ ص ٣٥٨) وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «تَوْخَذَ سَلَةً فِي مَنَدَرِهَا الْمَحْبَرَةِ» وَفِي كِتَابِ الْحَيَوَانَ لِمُجَاهِدٍ (ج ٥ ص ٧٦) «يَسْلُونَهَا مَعْبِدَةً وَيَجْعَلُونَ لَهَا بَيْتَةً فِي صُورَةِ الْمَحْبَرَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ الْمَنْكُوسَةُ الْأَثْيُوبَةُ» . (٢) جَمْعُ زَيْبَةٍ وَهِيَ كَمَا قَالَ الْمَدِينِيُّ فِي حَيَاةِ الْحَيَوَانَ : قَارَةٌ بَرِيَّةٌ تَفَرِّقُ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمَا تَسْتَعْنِي عَنْهُ .

وَمِنْ زَبَابٍ حَائِرٍ * لَأَسْمِعُ الْآذَانَ رَعْدًا^(١)

وَالْخُلْدُ هُوَ أَعْمَى ، وَيَقُولُ الْعَرَبُ : هُوَ « أَسْرَقٌ مِنْ زَبَابَةٍ » ، وَقَارَةُ الْبَيْشِ ، وَالْبَيْشُ سَمٌّ قَاتِلٌ ، وَيُقَالُ : هُوَ قُرُونُ السَّنْبِلِ ، وَلَهُ قَارَةٌ تَقْتَنِيهِ لِأَنَّهُ أَكَلَ غَيْرَهُ ، وَمِنْ غَيْرِ هَذِهِ قَارَةُ الْمَسْكِ وَقَارَةُ الْإِبِلِ [فَاحَتْ^(٢) أَرْوَحُهَا إِذَا عَرِقَتْ] ، قَالُوا : وَمِنْ الْحَيَاتِ مَا يَقْتُلُ وَلَا يَنْخَطِفُ : الثَّعْبَانُ وَالْأَفْصَى وَالْهِنْدِيَّةُ ، فَمَا سِوَى هَذِهِ فَمَا يَقْتُلُ بِمَا يَمْلِكُهُ مِنَ الْفَزَعِ ، لِأَنَّهُ إِذَا فَزَعَ تَفَتَحَتْ مَنَاقِسُهُ فَوَقَلَ السَّمَّ إِلَى مَوَاضِعِ الصِّمِيمِ وَخُمُقِي الْبَدَنِ ، فَإِنْ نَهَشَتْ النَّاتِمَ وَالْمُنْمَى عَلَيْهِ وَالطَّفَلَ الصَّغِيرَ وَالْمَجْنُونَ الَّذِي لَا يَعْقِلُ لَمْ يَهْتَلِ .

وَأَذَانُ الْأَفْصَى يُطْعَمُ فَتَنْبُتُ وَنَابَهَا يُقَطَّعُ بِالْمَكَازِ فَيَنْبُتُ حَتَّى يَمُودَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ ، وَالْحَيَّةُ إِنْ نُفِثَتْ فِي فِيهَا حُمَاضُ الْأَثَرِجِ وَأُطِيقَ لَحْمُهَا الْأَعْلَى عَلَى الْأَسْفَلِ لَمْ تَهْتَلْ بَعْضُهَا أَيَّامًا صَالِحَةً . وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَصُوقُ فِي فَمِ الْحَيَّةِ فَيَقْتُلُهَا بِرِقْعِهِ ، وَالْحَيَاتُ تَكُونُ رِيحَ السَّنْدَابِ وَالشَّيْبِ ، وَتُجَبَّبُ بِالْفَاحِ وَالْبَيْطِخِ وَالْحَرْفِ وَالْخَرْدَلِ الْمُوْخِفِ وَاللَّبَنِ وَالْخَمْرِ ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ حَيَوَانٌ أَصْبَرُ عَلَى جُوعٍ مِنْ حَيَّةٍ ، هُمُ الضُّبُّ بَعْدَهَا ، فَلِذَا هَرَبَتْ صَفُرَتْ فِي بَنِيهَا وَأَقْنَعَهَا النِّسَمَ وَلَمْ تَسْتَهْطِطِ الطَّعَامَ ، وَلِذَلِكَ قَالَ الرَّابِعُ :

حَارِيَّةٌ قَدْ صَفُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ *^(٣)

(١) أَيْ لَأَسْمِعُ آذَانَهُمْ صَوْتَ الرَّدِّ . (٢) اخْتَلَفَ فِي قَارَةِ الْإِبِلِ وَقَارَةُ الْمَسْكِ ، هَلْ يَمُوزَانِ أَوْ لَا يَمُوزَانِ ؟ فَذَكَرَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ قَارَةَ الْمَسْكِ فِي « ف أ ر » وَقَالَ : أَوْ الصَّوَابُ إِيْرَادَهَا فِي « ف و ر » قُورَانٍ رَاحَتِهَا . وَقَارَةُ الْإِبِلِ فِي « ف و ر » وَعَلَى الصَّافِي أَنَّ قَارَةَ الْإِبِلِ مِنَ الْقُورَانِ قَطْعًا ، وَأَوْرَدَ الْمَرْفُوعُ قَارَةَ الْإِبِلِ فِي « ف أ ر » مُسْتَدْرَكًا بِهِ عَلَى صَاحِبِ الْقَامُوسِ . (٣) زِيَادَةٌ فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ ، وَهِيَ سَاقِلَةٌ فِي الْأَصْلِ الْقُتُورِيَّةِ ، وَلَعَلَّهَا « قَوْح » ، فَنَفِ الْقَامُوسِ وَالنَّاسُ مَادَّةُ « قَوْح » : « وَقَارَةُ الْإِبِلِ قَوْحٌ جُلُودُهَا إِذَا كَبِدَتْ يَمُدُّ الْوَرْدَ » أَيْ فَاحَتْ مِنْهَا رَاحَةٌ طَيِّبَةٌ . (٤) الْمَكَازُ : عَصَا ذَاتُ زُجْ . (٥) الْفَاحُ : نَبَاتٌ يَقْلَعُ أَصْغَرُ شَيْءٍ بِالْأَذْنَانِ طَيِّبِ الرَّاحَةِ . (٦) الْحَرْفُ بِالْفَمِّ : حَبُّ الرِّشَادِ . (٧) الْمُوْخِفُ : الْمَجْنُونُ . (٨) فِي الْأَصْلِ جَارِيَةٌ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ الْمُخْتَصَصِ (ج ٨ ص ١٠٩) وَالْجَارِيَّةُ اسْمٌ لِلْأُنْثَى ، لِأَنَّهُ بِجَسَمِهَا قَدْ تَرَى أَيْ قَعَصَ مِنْ طَوْلِ الْمُنْثَرِ .

١٥

٢٠

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتها بقَصَبَة مرة أو هتَمها القَصَبَة في تلك الضربة وسيرتها ، فإن انحَت عليها بالضرب أنسابت ولم تكثرث . قال : ومن جَد ما يُعالج به الملسوع أن يُسَق بطن الضَفْدَع ثم يُرَفد به موضع لسعة العقرب . والضَفْدَع لا يصيغُ حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء ، فإذا صار في فيه بعضُ الماء صاح ، ولذلك لا تسمع للضفادع قيقا إذا خرجن من الماء ، قال الرازي :

يُخِلُّ في الأَشْداق ما يُعَيِّنُهُ ^(١) حتى يَتَّقَ والتَّقِيُّ يُتْلَفُهُ

يريد أن التقيق يدل عليه حية البحر ، كما قال الآخر :

ضَفَادِعُ في ظُلُماءٍ ليلٍ تَجَاوَبَتْ * فدلَّ عليها صوتُها حية البحر

وقال في السبع : إنه إن أنخرق فيه نرق بمقدار منخر الثور حتى تدخله الریح استحال

ذلك السبع ضفادع . والضفادع لأعظام لها ، ويضرب بها المثل في السبع ^(٢) ، فيقال :
« أَرِمْ من ضِفْدَع » و « أجمط عينا من ضِفْدَع » .

قالوا : وكل شيء يأكل فهو يمزك فكذلك الأسفل إلا التماسح فإنه يمزك فكذلك

الأمل . وبمصر سمك يُقال له الرَعَادُ ، مَنْ صاد منه سمكة لم تزل يده ترعد وتتنفص

مادام في شبكته أو شبيهه . والجعل ^(٣) إذا دفنته في الورد سكنت حركته حتى يتوهم

مَنْ رآه أنه قد مات ، فإذا أعدته إلى الروث تحرك ورجع في حسه . والبعير إذا ابتلع

(١) في الأصلين " يظفه " والتصويب عن حياة الحيوان للسيدي (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس

المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فك الأمل . (٢) السبع : خفة لم الميز والقطين .

(٣) الشص بالكسر والفتح : حديد خفاه يصاد بها السمك [وهي المروقة بالصارة] . (٤) الجعل

كهرم ، والناس يسمونه « أبا بجران » وهو دويصة تض الباثم في فريها قنرب ، وهو أكبر من

الخنفساء ، شديد السواد ، في بطنه لون حمر ، يوجد كثيرا في مراح البقر والجواميس ومواضع الروث ،

ويؤكل غالبا نوى أعشاء البقر ، ومن شأنه جمع النباسة وأكثارها . ومن عجيب أمره أنه يموت من دبح الورد

وروي الطب فإذا أعيد إلى الروث عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

في علقه خفساء قتله إن وصلت إلى جوفه حية . وأطول شيء ^(١) ذماء الخفساء فإنها يسرج ^(٢) على ظهرها فتصبر وتعيش .

والضب يذبح فيمكث ليلته ثم يقرب من النار فيتحرك . والأفعى إذا دُجبت تبقى أياما تحرك وإن وطئها واطى نيشته ، ويقطع ثلثها الأسفل فتعيش وينبت ذلك المقطوع . والكلب والخنزير يحرقان الجرح القاتل فيعيشان .

قالوا : وللضب ذكران وللضبة حران ، خبئ بذلك سهل عن الأحمى أو غيره . قال : ويقال للذكر نرْك وأنشد :

سِبْحِلْ لَهُ نَرْكَانٌ كَانَا فَضِيلَةً • عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْبِلَادِ وَتَاعِلٍ ^(٥)

وكتلك الحردون . ^(٦) والذبان لا تقرب قدرا فيها كآء . ^(٧) وبأمر أبيض لا يدخل بيتا فيه زعفران . ومن عقه الكلب الكلب أحتاج إلى أن يستروجه من الذباب لئلا يسقط عليه . وتوطم الذباب يده ، ومنه يغنى ، وفيه يجري الصوت كما يجري الزامر الصوت في القصبة بالتفخ .

(١) وجارية الحيوان لما حظ (ج ٣ ص ١٦٠) : «وقال في الفضل العنبري : يقولون للضب أطول

فيه ذماء ، والخنفساء أطول منه ذماء ، وذلك أنه يفرز في ظهرها شوكة ثاقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصيح لأهل الماروي تدب بها وتبول» . (٢) القماء مجرد : بقية النفس . (٣) يسرج : يوقد . (٤) السجل كقطر : الضخم . (٥) في اللسان مادة نرك «في الأنام» . وذكر هذه البيت ضمن أبيات فالها حمران ذو القصة يصف بها ضيأ أهداها تظله بن عبد الله القسري .

(٦) الحردون بكسر الحاء وبالدال المعجمة : دوية شبيهة بالضب ، وقيل هو ذكر الضب ، لأن له ذكرين مثله وهو من ذوات السموم له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع إلى الأنامل (راجع حياة الحيوان) . (٧) جمع الذباب . (٨) الكآء : نبات يقال له هم الأرض ، والعرب تسميه : «جدرى الأرض» وقيل هو أصل مستدير كالقنقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الحمرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض وهو عديم العلم ، وأفراده كثيرة ، يؤكل نجه ومطبوخه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٧٨) .

- قالوا : ليس شيء يذخر إلا الإنسان والنملة والفأرة . ^(١) والذرة تدخر في الصيف للشتاء فإذا خافت النمل على الحبوب أخرجتها الى ظاهر الأرض فشربتها ، وأكثرت ما تفعل ذلك ليلا في القمر ، فإن خافت أن ينبت الحب تقوت وسط الحبة لتلا تثبت .
والسحفاة إذا أكلت أفعى أكلت سعتها جبليا . ^(٢) وابن عرس إذا قاتل الحية أكل السداب . ^(٣) والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سبيل القمح . ^(٤) والأيل إذا نهشته الحية أكل السراطين . ^(٥) قال ابن ماسويه : فلذلك يظن أن السراطين صالحة لمن نهش من الناس . ^(٦) والوزغ يزأق الحيات ويغارها ، ويكرع في اللبن والمرق ثم يمج في الإناء . وأهل السجني يملون من الوزغ سما أخذ من [سم] البيش ومن ريق الأفاعي ، وذلك أنهم يدخلون الوزغة قارورة ثم يصبون فيها من الزيت ما يغمرها ويضعونها في الشمس أربعين يوما حتى تنهز في الزيت ، فإن مسحت على اللقمة منه مسحة ١٠ وأكله آكل مات من يومه .

- (١) القود واحدة القود هي منار الخيل . (٢) شربتها في الشمس لطيف .
(٣) السراطين طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض إل الفترة ، ويقال له الصمغ بالصاد ، وهي اللقمة الجيدة ، والعامه تبيل اللبن زايلا . (٤) في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « داء » .
(٥) الأيل يشديد الياء المكسورة : ذكر الأوتال وهي الثيوس الجبلية . (٦) جمع سرطان وهو حيوان مائي ويمش في البر أيضا ، وهو جيد المني سريع العدو ذوقه كين ويغالب وأظفار حداد (راجع حياة الحيوان) . (٧) الوزغ جمع وزغة بالصريك : حشرة من جنس «سام أرضي» .
(٨) في الأصل الفتور غرافي « ويغارها » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان لملاحظ (ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا في الأصل ، وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « وبيض الناس » وفي الحيوان لملاحظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل البحر » . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤ ص ٩٧) . والبيش بالكسر نبات كالزنجبيل وطبا وبابها وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان .
(١١) كذا في الحيوان لملاحظ ج ٤ ص ٩٧ وفي الأصلين : « ليلة » . (١٢) من تيزأ لهم إذا طليخ حتى يتسخ .

والجراد إذا طلع فُعيد إلى التُّرس والحنظل فطبعاً بماه ثم نُضج ذلك الماء على
 زرع تنكبه الجراد . وإذا زُرِعَ نَرْدَلٌ في نواحي زرع نجا من الدُّبى . وإذا أخذ
 المرْداسُجُ فَمَجِّنَ بِمِجِينٍ ثم طَرَحَ الفار فأكلته مُؤَنِّعاً عنه، وكذلك بُرايَةُ الحديد . وإذا
 أَخَذَ الأَقْيُون والشُّونِيزَ والبارزَ وقَرْنُ الأَيْلِ وَبَابُوجٍ وَطَلْفَ سِنِ أَطْلَافِ المَعْرِ فَخَلَطَ
 ذلك جميعاً ثم دُقَّ وَغِيْنٌ بِخُلٍ عَتِيقٍ ثُمَّ قُطِعَ قطعاً فُدُخِّنَ بقطعة منه فترت لذلك
 الحياتُ والهُوَامُ والنملُ والعقاربُ ، وإن أُحْرِقَ منه شيء ودُخِّنَ به هرب ما وجدَ
 منها تلك الريح . والنملُ تهربُ من دُخانِ أصولِ الحنظل . وإن عُحِدَ إلى كبريت
 وَسَدَابٍ وَنَرَقٍ فَدُقَّ ذلك جميعاً وطُرِحَ في قرية النمل قتلها ومنعها ظهورهن من
 ذلك الموضع ذهبن . والبعضُ تهربُ من دخانِ القَلْقَدِيسِ إذا دُخِّنَ به ومعه حبُّ
 السوس، وتهربُ من دخانِ الكبريت والعَلِكِ .

وقالت الأطباء : لَمْ يَنْ عَرَسَ نافعٌ من الصرع . ولَمْ يَقْتَضِ نافعٌ من الجُذامِ
 والسَّلِّ والتشنجِ ووجعِ الكُلَى ، يُخَفَّفُ وَيُشْرَبُ وَيُطَعَّمُ اللَّيْلُ مطبوخاً ومشوياً
 وَيُضَمَّدُ به المَتَشَجِجُ . والمقرب إذا شُقَّ بطنها ثم شُدَّ على موضع اللسعة نفعت . وقد

- (١) كذا في النسخة الألمانية ، والذي : أصفر الجراد والنمل . وفي الأصل الفتوغرافي (الوبا) .
- (٢) كذا بالأصل ، ومفردات ابن الطيار (ج ٤ ص ١٥٠) وقال هو المرنك . وفي القاموس :
 المرْداسُجُ معروف وقد تسقط الراء. مربي مرْداسك ومناه الجرا تليث . (٣) الثوير :
- الحية السوداء . (٤) البارز في القاموس : « يبرز » بكسر الباء الفارسية : صمغ نبات يشبه
 القنا في شكله ، وينبت في أرض سورية ، وهو من النباتات النافعة لأمراض عذة . وقد ذكر خواصه ومناضه
 ابن الطيار في مفرداته (راجع ج ٤ ص ٣٧) . (٥) في الأصل الفتوغرافي : قثيف ، وفي النسخة
 الألمانية قثيف ، والنصوب عن العقد القريد (ج ٣ ص ٣٥٧) . (٦) السذاب : اسم نبات .
- (٧) كذا في الأصل ، والمراد من الباردة ظاهر . (٨) القلقديس كلمة يونانية معربة معناها
 في الكيمياء الحديثة : كبريتات الحديد ، وقيل معناها : الصبغة السوداء. لصانئ الأحذية .
- (٩) السوس : شجر في عروق حلاوة وفي فروع مرارة . (١٠) كذا في النسخة الألمانية .
 وفي الأصل الفتوغرافي «التشنج» .

- تجمل فجوف نفّار مشدود الرأس مطّين الجوانب ثم يوضع النفّار في شُور، فإذا صارت العقربُ رماداً سقى من ذلك الرماد من به الحصاة مقدار نصف داني وأكثر فيُغتت الحصاة من غير أن يضرب بشيء من سائر الأعضاء والأخلاط، وقد تلسع العقرب من به حُمى عتيقة فتقطع، وتلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج، وتلقى في الدّهن وتترك فيه حتى يأخذ الدّهن منها ويختبئ قواها فيكون ذلك الدّهن مفرّقا للأورام الغليظة.
- ومن طبع العقرب أنك إن ألقيتها في ماء غمر يقيت في وسط الماء لا تطفو ولا ترسب؛ وهي من الحيوان الذي لا يمسح، وعين الجردة وعين الأفعى لا تدوران، وإنما تمشج من المناكب الأفعى، والذكر هو الخلدنق، وولد العنكبوت يسبح ساعة يولده، والقمل يتلقى في الرموس على لون الشعر إن كان أسوداً أو أبيضاً أو غصوباً بالحناء، الحلكاء دويّة نفوس في الرمل كما ينوص طائر الماء في الماء، وبنات النقا كذلك، وهي التي يقال لها: شحمة الأرض. وأم حبين لا تُقيم ^(١٢) بمكان تكون فيه السُرقة، والسُرقة دويّة يضرب بها المثل في الصّناعة فيقال: «أصنع من سُرقة».

ومن أحسن ما قيل في الأفعى قول امرأة من الأعراب:

- (١) أغلاط الإنسان عند الأطباء: الدم والليم والصفر والسوداء.
- (٢) الحلكاء: دويّة تسكن الرمل كأنها سمكة، طياء، فيها بياض وحسرة؛ والمرب تسميا: ١٥ «بنات النقا».
- (٣) أم حين: دويّة مل خلة الحرياء مريضة الصدر عظيمة البطن؛ وقيل: هي دويّة على قدر الخشاء يلبس بها الصبيان.
- (٤) السُرقة بالضم: دويّة سوداء الرأس وسائر أجزائها لونها بياض مرياً من دقاق العبدان على مثل النورس يمشيها إلى بعض بلابها ويكسها فتوت فيه (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤).
- (٥) في اللسان مادة «فرطح» أن القائل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب، ونس على ذلك بقوله: «وأشدّ لرجل من لمحات بن كعب يصف حية ذكراً وهو ابن أحرار الجبل ليس الباهل»:
- خلقت لها زهه عزين وأوسه * كالفرص فرطح من طلعين شير»

خَلَقَتْ مَا زَيْمَهُ عَزْرِينَ^(٢) وَرَأْسَهُ^(٣) * كَالْقُرْصِ فَرَطَحَ^(٤) مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ
وَكَانَ مَلَقَاهُ بَكْلًا شَوْقَةً^(٥) * مَقَالَهُ^(٦) كَكْفَةِ مَنَجَلٍ مَاطُورٍ^(٧)
وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ^(٨) كَأَنَّهَا^(٩) * ضَمْرَاءُ طَلَحَتْ مِنْ نَفِيسِ بَرِيرٍ^(١٠)

قيل لمارجويه : تجدد ملسوع العقب يعالج بالاسفيوش فينفعه ، وأثر يعالج
بالبنلق فينفعه ، وأثر يشرب الأناقاس فينفعه ، وأثر يأكل التفاح الحامض فينفعه ،
وأثر يطليه بالقلبي والنلق فيحمده ، وأثر يعصب عليه التوم الحار المطبوخ ، وأثر يدخل
يده في خرجيل حار لا ماء فيه فيحمده ، وأثر يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، وأثر يحميم
ذلك الموضع فيحمده ، ثم رأينا بتعالج بعد ذلك الشيء للسعة أخرى فلا يحمد !

- (١) الهائم : أصول الحكيم وأحدثها لحزمة بالكسر ؛ وقيل إنها ظنان ثاتان في الهجين تحت الأذنين .
(٢) عزرين : مغزقة . (٣) ردت هذه الكلمة في اللسان في مادة « فرطح » بالراء وفي مادة
« فطح » باللام ، واستشهد بالبيت في المادتين ، وجاء فيه : « وكل شيء عرضته فقد فطحته وفرطحته »
ووردت في الأصل القنوغرافي « فطح » وفي النسخة الألمانية « أطح » وفي كتاب الحيوان لمباحظ (ج ٤
ص ٦٠) « أطح » . (٤) التنزقة : الأرض الواسعة البيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر :
آلة حديد موعجة يقطع بها الزرع ويغرسه ، وفي الأصل القنوغرافي « منجل » وما أثبتناه من النسخة الألمانية
والحيوان لمباحظ . (٦) ماطور من الأطر وهو عطف الشيء . قبض على أحد طرفيه فتعوجه .
(٧) كذا في الأصل القنوغرافي وفي اللسان « الدواع » ، وفي النسخة الألمانية وكتاب الحيوان
لمباحظ : « الوقاع » . (٨) النفيس قيل من النفى وهو التمريك ، ورواية اللسان في مادة
« فرطح » قبض بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك طامة . وفي اللسان بعد هذا البيت :
وكان شديقه إذا استقبله * شديقا يجوز مضمتين لظهور
(١٠) (١٠) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل القنوغرافي « بالاسفيوش » بالنون وله حرف ، لأن
هذا الاسم ورد في مفردات ابن البيطار هكذا « الاسفيوش » بالسین المهمله في آخره ، وورد في تذكرة داود
« الاسفيوش » بالثين المحجمة في آخره ، وهي كلمة فارسية معناها « جزقطونا » . (١١) الأناقاس :
الحواض وفي النسخة الألمانية « الأناقاس » بالفاء . (١٢) القل بالكسر : شب المصفر له منافع
كتناقص الملح إلا أنه أحد مه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لما أخطففت السموم في أضغما بالجلس والقدر والزمان، وباختلاف ما لاقاه
آخلف الذي يوافقه على حسب اختلافه . قالوا : وأشد ما تكون لسعها إذا خرج
الإنسان من الحمام، لتفتح المنافس وسعة الجارى ومخونة البيت .

- وحديث أبو حاتم، عن الأصمعي قال : قال أبو بكر البحرى^(١) : ما من شيء يضرب
إلا وفيه منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إن فائلا قال : أنا مثل العقرب أضرب^(٢)
ولا أنفع، فقال : ما أقل علمه بها، "إنها لتنفع إذا شق بطنها ثم شئت على موضع"
"اللسعة؛ وقد تجعل في جوف نثار مشدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار"
"في ثور فإذا صارت العقرب رمادا سقي من ذلك الرمال مقدار نصف دنانير أو أكثر"
"قليل من به الحصة ففتها من غير أن يضرب شيء من سائر الأعضاء والأخلاق ."
"وقد تسع العقرب من به الحصى التيقية فتقلع عنه . ولسع العقرب رجلا مغلوجا"
"فذهب عنه الفالج . وقد تلقى العقرب في الدهن وترك فيه حتى يأخذ الدهن منها"
"ويجذب قواها فيكون ذلك الدهن موقا للأورام الفليضة" .

- قال أبو عبيدة : ولسمعت أعرابيا عقرب بالبصرة، وخيف عليه فاشتد جرحه،
فقال بعض الناس له : ليس شيء خيرا من أن تفسل له خوصية زنجي عرق ففعلوا،
وكان ذلك في ليلة ومدة^(٣) . فلما سقوه قطب؛ فقيل له : طعم ماذا تجد؟ قال : أجد^(٤)
طعم قرابة جديدة .

قال المأمون : قال لي بختيشوع وسلمويه وابن ماسويه : إن الذباب إذا ذللك على
موضع لسعة الزنبور هذا وسكن الألم، فلسعني زنبور فحككت على موضعه أكثر

- (١) كذا بالأصلين، وفي المقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المهجرى » ولم تجد هاتين السنتين
في كتب الأنساب التي تحت أيدينا . (٢) السطور المحصورة بين هذه " " مكررة لأنها تقدمت
في ص ٩٥ من هذا الجزء بكتابتها وألغناها مع اختلاف بسيط وقد أبقيناها هنا لورودها في الأصلين،
وأكتفينا بهذه الإشارة تنبيها للقارئ . (٣) ليلة ومدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الألم إلا في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبق في يدي منهم إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبور حنقاً غاضباً^(١)، ولولا ذلك العلاج قتلك . قالوا : وما ينفع من السعة أن يصيروا على موضعها قطعة رصاص رقيقة وتشد عليه إياما . وقد يموت بهذا قوم فيجملونه خاتماً فيدفعونه إلى المسوع إذا نهش في إصبعه .

قال محمد بن الجهم : لا تهاونوا بكثير مما ترون من علاج العجائز، فإن كثيرا منه وقع اليهن من قدام الأطباء، كالذبابة يلقى في الإمخد فيسحق معه، فيزيد ذلك في نور البصر وفناذ النظر وتشد يد مراكر الشعر في حافات الجفون . قال : وفي أمة من الأمم قوم يأكلون الذباب فلا يرمدون، وليس لذلك يأكلونه، ولكن كما يأكل غيرهم فراخ الزناير.

وقال ابن ماسويه : المجرَّب للسه العقرب أن يسقى من الزراوند المدرج^(٢) ويشرب عليه ماء بارد، ويضغ ويوضع على السعة . قال : والسه الأفاعي والحيات ورق الآس^(٣) الرطب يعصر ويسقى من مائه قدر نصف رطل، وكذلك ماء المرزنجوش^(٤) وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ، ويضمد الموضع بورق التفاح المدقوق . ولأدوية والسوم القتالة البندق^(٥) والتين والسذاب يطعم ذلك الطيل . قال والثوم والملح وبعر

(١) مصوب من المبرق الملاحج ص ١١٠

(٢) الزراوند المدرج وهو أودا أنواعه : نبات خصوه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشئ أحمر قليل الرائحة، وهو كثير بأرض الشام، كما في تذكرة داود، وله فوائد ونحواس ذكرها ابن البيطار في مفرداته .
(٣) الآس : نبات يزرع كثيرا بأرض العرب بالسه والجبل، وخصرته دائمة، ويسمو حتى يكون حجرا عظيما وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمره سودا . إذا أبيضت تحل ونيها مع ذلك علفه .

(٤) المرزنجوش ويقال له مرزجوس ومردقوس : فارسي، والعرب تسميه : السمق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان يبط في نباته، وله ورق مستدير، وهو طيب الرائحة جدا . له منافع ونحواس ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

(٥) في النسخة الأصلية «البش» .

- الغيم نافع جداً إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحية إلا أن تكون أصلةً، فإن الأصلة تُوضَعُ على لسعها الكليتان جميعاً بالزيت والعسل . والحطمي^(١) إذا أُخِذَ ورقه فُفِقَ ثم وُضِعَ على لسع قملة النسر كان دواء له . وإن طُلِيَ أحد به يديه أو جسمه لم يلدغ ذلك الموضع منه زنبور^(٢) . وإن لدغ أحباً زنبور فآذاه فشرّب من مائه نفعه . والبشكول وهو الطرشقون إن دُقَ فضمّده به لسعة العقرب نفع إذا أُغلى أو شُرِبَ من عصيره . قالوا : وإن أخذ من حذر على قمعه السموم القاتلة التيّن مع الشونيز على الرقي وقاه .

النبات

- حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن كليب أبي وائل رجل من المطوعة قال : رأيت ببلاد الهند شجرة له ورد أحمر مكتوب فيه بياض «محمد رسول الله» . والعرب تقول في مثل هذا هو : «أشكر من البروق»^(١) . وهو نبات ضعيف ينبت بالغيم . ويؤمن قوم أن التارجيل هو نخل المقل قلبه طبايع البلد . وقال صاحب الفلاحة : بين الكرنب وبين الكرّم عداوة ، فإذا زرع الكرنب بحضرة الكرّم ذبل أحدهما وتشتج ، ولذلك يطيئ الكرّم عن أكل منه وراق على ريق النفس ثم شرب . وقضبان الرمان إذا ضُرب بها ظهر رجل أشد عليه الألم . قالوا :
- (١) الأصل يفتح الهزة والصاد واللام : حبة كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على القارس فتنه ، كما في حياة الحيوان للدميري قنلا عن ابن الأثيري . (٢) الحطمي بالكسر ويقع : نبات محلل ملين نافع لسر البول والحصى ، وهو مع الخلل مفيد لوجع الأسنان مضغمة ونهش الموات .
- (٣) قملة النسر : دوية أعظم من القمل وإذا مضت قلت ؛ وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وقارس وبلاد الهند) وسميت قملة النسر ، لأنها تخرج منه .
- (٤) كما في الأملين . وفي مفردات ابن البطّار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البشكوك» ، وخاصيته النفع من لسع الموات إذا أكل أو شرب مائه . (٥) في جمع الأسنات والقاموس واللسان «بروق» وهي كما قال الميداني : شجرة تخضر من غير مطربل تنبت بالسلب إذا نشأ فيا يقال .

وكل زهر وتور فإنه يغرف مع الشمس ويحول إليها ونجهه ؛ ولذلك يقال : هو
يضاحك الشمس . قال الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن موشية ^(١) * خضراء جاد عليها مسيل ^(٢) هطل ^(٣)
يضاحك الشمس منها كوكب شريق ^(٤) * مؤزر ^(٥) يسمم التبت ^(٦) مكنهل ^(٧)

وقال آخر :

فتواره ميل إلى الشمس زاهره ^(٨) * ^(٧)

والنبازي ينضم ورقه بالليل وينفتح بالنهار . والنيلوفر ينبت في الماء فيغيث
الليل كله ويظهر إذا طلعت الشمس . وقالوا في الطحلب : إن ^(١١) أخذ بحقق

- (١) الحزن : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسيل : مطر ، من النيل ينفتح وهو المطر .
(٣) هطل ، من الهطل بالسكون وهو نتاج المطر المنفرد العظيم القطر . (٤) الكوكب : ما طال
من التبت ، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : طيف . (٦) مكنهل : تاتم الطول .
(٧) النوار : واحدة نواره بالفضة ، وهي الزهرة المشرقة . (٨) عجريت لطيفة ، وصدره :

* يستأخذ القريان حو نباته *

وقوله خفا مصلان من سلسي ظامره * تمشي به ظلماته وجأذره

- (راجع ص ٩٢ من ديوان الحطية طبع ليسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ في كتاب الحيوان البيت
(يستأخذ ... الخ) إلى قطران العيسى (راجع ص ٣٥) .

(٩) النبازي يقال : انقبض : اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ، ويطلق في العرف
الشائع على نبت برى مستدير الورق في وسط أوراقه شئ يحول دقيق ، له زهر إلى الصفرة ويزر إلى السواد

- مفرطح ، كما قال داود الأظهاكي في تذكرته . (١٠) النيلوفر : نبات هندي ممى يفتح وأكث
ما ينبت في مستنقعات المياه وراكها والأجام ، ولا ينبت إلا في الماء المذب القاتم في أرض طيبة تربة
سليمة من كل الفساد . ومن عادة أنه يحول وجهه إلى الشمس إذا طلعت وأرخت ، فإذا وقع شعاعها
عليه أدلم وقع اختتمت وردته كلها ، ولا يزال تفتحه يزيد بزيادة الشمس إلى أن تقرب من أول العصر
وتقلب التروب فينبغي ينضم على ذلك التريب الذي كان تفتح حتى تقرب الشمس فيضم في كرة ويضم مضموما
الليل كله إلى الصباح . راجع الجزء الأول من كتاب الفلاحة البلية لأبن وحشية ص ٣٢ من النسخة الحطية
المحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة) . (١١) الطحلب : الخضرة التي تنمو المياه
الراكدة ، وله فوائد وغراس ذكرها أبن البيطار في مفرداته .

في الظل ثم سقط في النار لم يحترق . وذكروا أن قساً راهباً على صليب في عنقه من خشب أنه لا يحترق ، وقال : هو من العود الذي صُلب عليه المسيح ، فكاد يفتن بذلك خلقاً حتى قطن له بعض أهل النظر فأناهم بقطعة عود تكون بكرمان فكان أبني على النار من صلبه . والطلاق كذلك لا يصبر جراً . وطلأ النفاطين طلقاً وخطيئاً ومغرة . وقالوا : إذا أخذ زُر السذاب البري وُرُوع وطلال به ذلك تحوّل حرماً ، وانما إذا اعتق تحوّل حباً . قالوا : والقسط إنما هو جزر بحري . قالوا : بالسند نبت من الحشيش يسمى تربة ، إذا أخذ فطبخ ثم صفي مائه ففعل في وطاء لم يلبث إلا يسيراً حتى يشتد ويسكر شارب به إسكاراً بغير .

- قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضرب بمقلاة عمد إلى شيء من ثمر البط يخلط به مثله من ملح ثم طريحا في ماء فديقا فيه فيضج ذلك الماء على البقل فإنه يفسد .
قال : ومن أراد إفساد الرمان الكثير ألقي في أضعافه نوى التمر والملح والجريش .
ومن أراد قتل السمك في الماء القائم عمد إلى نبت يسمى "مأهى زهره" فنق وطرح في الماء فإنه يموت سمك ذلك الماء ؛ والمازريون يفعل ذلك . قال : وما يحف للشجر أن يعمد إلى سمار من حديد فيحني بالنار حتى تشتد حرته ثم يلق في أصل الشجرة ، وأن يعمد إلى وتد من طرفاء فيثقب أصل الشجرة فيثقب حديد

(١) الطلق : جرياق يخذ من مضاري لهايات بدلا عن الزجاج . (٢) النفاطين : الرعاة بالبط وهو القطران . (٣) النمام : نبت وره كالسذاب ، له زركار يمان عطري قوي الرائحة سمي بذلك لسلوع رائحته ، الواحدة نامة . (٤) الحقيق : نبات يشبه النمام ، ويكثر نباته على الماء ، ويسمى بالقراسية الفردنج . (٥) القسط : عقاقير البحر ، والعقار : الشبة .

- (٦) لفظ فارسي وتعريبه سم السمك . (٧) المازريون : نبت له إصناف طويلة شبر ، وورده شبيه بورق الزيتون إلا أنه أدق منه ، وهو من بلقع القسان ؛ له فوائد ومنافع ذكرها ابن اليطار في مفرداته .

ثم يُحْمَلُ ذلك العودُ على قدرِ الثَّقبِ^(١) في المِثْقَبِ فتجفُّ الشجرةُ إن كان غِلْظُ العودِ على قدرِ الثَّقبِ .

قيل لاسرجويه : ما بالُ الأَكْرَةِ^(٢) وسُكَّانِ البساتينِ مع أكلهم الكُرَّاثَ والتَّمرَ وشربهم الماءَ الحارَّ على السَّمِكِ المالحِ أَقْلَ عُميَّانًا وعورَانَا وعُمَمانَا؟ قال : فَكَّرْتُ في ذلك فلم أجدَ عِلَّةً إلا طولَ وقوعِ أبصارهم على الحضرة

الحجارة

قال أرسطاطاليس : شجرٌ سَنَقِيلًا إذا رُبَطَ على بطن صاحب الاستسقاء^(٣) نُسِفَ منه الماءُ، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجد قد زاد في وزنه؛ وذا كُرْتُ بهذا رجلا من علماء الأطباءِ فعرَّفه، وقال : هذا الحجرُ مذكور في التوراة .
 ١٠ وحجرُ المِغْطاليسِ يَمْتَصِبُ الحديدَ من بُعْدٍ وإذا وُضِعَ عليه عَلفُه، فإن ذلكَ بالتَّوَمِ بطلَ عمله . قالوا : والزَّمانُ والقَلْبُ يَذْبِرَانِ فَيَسْتَحِيلَانِ حِجَارَةً سَوْدًا تَصْلُحُ للأرجاء . ومن الحجارةِ حَصَاةٌ في صورةِ النواةِ تَسْبِجُ في الحِلِّ كأنها سَمَكَةٌ . ومنها تَرَزَّةُ العُقْرَانِ^(٤) كانت في حَقْوِ المرأةِ فلا تَحْبَسُ . وحجرٌ يُوضَعُ على حرفِ التنويرِ فيساقطُ خَبَرُ التنويرِ كله . وبمصرِ حجرٌ مَن قَبِضَ عليه يَجْمَعُ كَفِّهِ فَا كُلَّ شَيْءٍ في جوفه فإن هولم يَبْذُوه
 ١٥ من كَفِّهِ خَيْفَ عليه . ومن الحجارةِ النَّشْفُ^(٥)، ليس شيءٌ من الحجارةِ يَطْفُو على الماءِ غيره وفيه حِفْرٌ صِغَارٌ .

(١) كذا بالنسخة الألمانية؛ وفي الأصل التوغرافي : « على قدر في المِثْقَبِ » .

(٢) الأَكْرَةُ جمع أكار وهو الحواث لحفرة الأرض، كأنه جمع آكر في التصدير . (٣) كذا بالأصلين؛ ولم نجد ذكر هذا الحجر ضمن الأحجار المذكورة في مفردات ابن اليطار، ولا في تذكرة داود،

٢٠ ولا في عجائب المخلوقات للزوين . (٤) العقر : إلقيم، وهو استنقام رحم المرأة فلا تحبل .

(٥) النشف : الحصى . (٦) النشف : حجارة سود كأنها محترقة، وهي التي ينق بها الوحش في الحمامات .

قالوا : الرصاص قد يدبر فيستحيل مُردًا سنجًا . وإقليمياء النحاس يدبر فيصير
توتياء . وسحر البازهر يفرق الأورام . وباليمن جبل يقطرونه ماء ، فإذا صار إلى الأرض
وييس استحال وصار شبا ، وهو هذا الشب الثاني .

حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا
باليمن : الورس^(١) والكندر^(٢) والخطر^(٣) والمصب^(٤) . وبمصر حجر تحركه قسمع في جوفه
شيئا يتقلقل كالنواة .

حدثني شيخ لنا عن علي بن عاصم عن خالد الحذاء عن محمد بن سيرين قال :
أختصم رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : إني استودعتُ هذا ودبعتُ فابي أن
يردها علي ، فقال له شريح : رد على هذا الرجل ودبعتَه ؛ قال : يا أبا أمية ، إنه حجر
إذا رآته الجبل ألق وُلدها ، وإذا وقع في الخلل غل ، وإذا وُضع في الثور برد ،
فسكت شريح ولم يقل شيئا حتى قاما .

الجن

قالوا : الشياطين مردة الجن ، والجن صفة الجن . وبلغني عن يحيى بن آدم
عن شريك عن ليث عن مجاهد قال قال — يعني إبليس عليه لعنة الله — : أُعطينا
أنا نرى ولا نرى ، وأنا ندخل تحت الثرى ، وأما شيخنا يرد فتى .

- (١) الإقليمياء بالكسر : ثقل يلو السبك أو دخان . (٢) البازهر معرب بادهز : حجر تقب
إليه قوى غريبة في مقاومة السموم ، فأدسى مركب من باد ومناه : روح أرضه ، وزهر ومناه : سم ؛
وله منافع ونواص ذكرها ابن الطيار في مفرداته . — (٣) نبات الورس — كافي مفردات ابن الطيار —
كبنات السمسم ، فإذا جف عند إدراكه تخفت سفته (رعا . ثمرة) فينتفض منه الورس ، ينت كل سنة
زهر ، وأجوده حديثه . وهو أنواع : يشبه يخرج صبه أمفر خالص الصفرة ، وبضه في صبته حرة .
(٤) الكندر كلمة فارسية معناها : البان . (٥) الخطر بالكسر : نبات يمتص به .
(٦) المصب : صبيغ لا ينبت إلا باليمن . وكتب بهامش الأصل التتوغراني ماضه : « قلت : وعصرنا
زاد خامسا وهو القهوة » .

حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : حدثني يعلَى بن عُقبة - شيخ من أهل المدينة مولى لآل الزبير - : أن عبد الله بن الزبير بات بالفقر، فقام ليرحل فوجد رجلاً طوله شبران عظيم الخلية على الويلة^(١)، ففَضَّها فوقهم ثم وَضَعها على الراحلة، وجاء وهو بين الشَّرخين^(٢)، ففَضَّ الرجل ثم شده، وأخذ السوط ثم أتاه، فقال : مَنْ أَنْتَ؟ قال : أَنَا أَزْبُ قال : وما أَزْبُ؟ قال : رجلٌ من الجُنِّ، قال : أفتح فاك أنظر؛ ففتح فاه؛ قال : أهكذا حُلوقُكم! لقد شُوِهَ حُلوقُكم! ثم لَبَّ السوط فوضعه في رأس أَزْب حتى شقه.

حدثني خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا عمر بن يونس قال حدثنا عكرمة ابن عمار قال حدثنا إسحاق بن أبي طلحة الأنصاري قال حدثني أنس بن مالك قال : كانت بنتُ عوف بن عفراء مضطجعة في بيتها فائلة إذ استيقظت وزججت على صدرها آخذة بحلقها، قالت : فأمسكتني ما شاء الله وأنا حينئذ قد حَرَسْتُ على الصلاة، فبينما أنا كذلك نظرتُ إلى سقف البيت يتفرج، حتى نظرتُ إلى السماء فإذا صحيفة صفراء تهوى بين السماء والأرض حتى وقعت على صدري، فنشرها وأرسل حلقى فقرأها، فإذا فيها : من رَبِّ تُكَيِّزُ إلى تُكَيِّزُ، اجتنب أبنَةَ العبد الصالح إنه لا سبيل لك عليها، ثم ضرب بيده على ركبتي وقال : لولا هذه الصحيفة لكان دمٌ، أي لذبحتك؛ فاسودَّت ركبتي حتى صارت مثل رأس الشاة، فأتيت عائشة، فذكرت لها ذلك؛ فقالت لي : يا بنَةَ أُنَى، إذا حَضَيْتِ فالزِمِي عليك تِيَابِكُ فإنه لا سبيل له عليك إن شاء الله . حفظها الله بأبيها وكان أسْتُشْهِدَ يوم بدر .

أبو يعقوب التقي عن عبد الملك بن حمير عن الشعبي عن زياد بن النصر أن عجوزاً سألت جَنِيًّا فقالت : إن بقي عروسٌ وقد تَمَرَّطَ شعرُها من حُمَى ريحٍ بها، فهل

٢٠ (١) في الأصل القنطرة في «الوية» وفي النسخة الألمانية «الوية» والتصويب عن لسان العرب والولية : البرذعة . (٢) شرخا الرجل : حرقا وجانباه، وقيل : غشيتاه من وراء ومقدم . (٣) في الأصلين : «ها» والسياق يقتضي ما أختاره . (٤) تمرط الشعر : تساقط وتحات .

عندك دواء؟ فقال: أَعْمِدِي إِلَى ذُبَابِ الْمَاءِ الطَّوِيلِ الْقَوَائِمِ الَّذِي يَكُونُ بِأَفْوَاهِ الْأَنْهَارِ فَاجْعَلِيهِ فِي سَبْعَةِ أَلْوَانٍ مِنَ الْعَيْنِ: أَصْفَرًا وَأَحْمَرًا وَخَضِرًا وَزَرْقًا وَأَبْيَضَ وَأَسْوَدًا وَغَيْرَ؛ ثُمَّ اجْعَلِيهِ فِي وَسْطِهِ وَأَقْلِبِيهِ بِاصْبِعِكَ هَكَذَا ثُمَّ آعِدِيهِ عَلَى عَضْدِهَا الْيُسْرَى؛ فَفَعَلْتُ .
فَكَانَتْهَا أَنْشِطَتْ مِنْ عَقَالٍ .

• حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيُّ فِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّرَ خَلْقَهَا وَلَكِنَّهَا تُسَخِّرُهُ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الثَّعَالِيُّ بْنُ قَهْمٍ قَالَ: دَخَلْتُ مِرْبَدًا لَنَا فَإِذَا فِيهِ شَيْءٌ كَالْحِجُولِ لَهُ قَرْنَانِ وَلَهُ رِيشٌ يَنْظُرُ إِلَى كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ .

• حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا بَارِضًا لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ قَائِلًا مِنْ تَحْتِهِ يَقُولُ: مَنْ يُحْزِكُ شُعَيْرَاتِي؟ ذَاكَ مَقِيلٌ، وَظَلٌّ مَغْلَى، حَاشَا الْغَزِيلَ وَعَبْدَ الْمَلِكِ وَجَمْعَهُ الْأُدْمُ؛ وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ سَمِعَ هَذَا، وَفَإِنَّهُ كَانَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ وَقَدْ أَصَابَهُ مَسٌّ ثُمَّ ذَهَبَ عَنْهُ .

• حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ الْهَيْثَمِ عَنْ حُمَيْرِ بْنِ ضُيَيْمَةَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي فَلَاحٍ أَنَا وَأَبْنُ طَلِيَّانَ - أَوْ رَفِيقٌ لَهُ آتَرُ ذَكَرَهُ - عَرَّضْتُ لَنَا عَجُوزًا - كَذَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَوْ شَيْخًا - وَرَأَيْتُ فِي كِتَابِ مُحَمَّدٍ ابْنِهِ - وَصِيًّا يَبْكِي؛ فَقَالَ: إِنِّي مُنْقَطِعٌ فِي فِي هَذِهِ الْفَلَاحَةِ فَلَوْ تَحْتَمَلْتَانِي! فَقَالَ صَاحِبُ عَمِيرٍ: لَوْ أَرَدْتَهُ! لَخَمَلَهُ خَلْقُهُ؛ فَكُنْتُ سَاعَةً فَنَظَرْتُ فِي وَجْهِ عَمِيرٍ وَتَنَفَّسْتُ نَفْجًا مِنْ فِيهِ نَارٌ

(١) المهن: الصوف أو المصوغ ألوانا . (٢) كنا بالأصل القنوزراق، وفي النسخة

الألمانية «أظله» بالالف . (٣) في النسخة الألمانية «المناسب» وهو تحريف .

(٤) في الأصلين: فهم بالقاء، وهو تحريف، والتصويب عن تقريب التهذيب وفتح القاموس .

(٥) العجول: اللؤلؤ . (٦) كنا في الأصل القنوزراق . وفي النسخة الألمانية: «البريد» .

مثلُ نارِ الأتونِ فأخذَ له صيدَ السيفِ ؛ فبكى وقال : ما تُريدُ مِنِّي ؟ فكفَّ عنه ولم يُعلمِ صاحبَه بما رأى ؛ فبكت هُنيئةٌ ثم عاد ، فأخذَ له السيفَ ؛ فبكى وقال : ما تريدُ مِنِّي ؟ وبكى ؛ فتركه ولم يُعلمِ صاحبَه ؛ ثم عاد الثالثة ففقر في وجهه ؛ فحمل عليه بالسيفِ ؛ فلما رأى الجِدَّ وثبَّ وقال : فأتاك اللهُ ما أشدُّ قُبُكُ ! ما فعلته قط في وجه رجل إلا ذهب عقله .

بلغني عن محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن عن أبي أيوب الأنصاري أنه كان في سَفَرٍ له وكانت الغولُ تبيءُ ، فشكاها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : « إذا رأيته فقل باسم الله أجبي رسول الله » ؛ فباعت فقال لما ذلك ؛ فأخذها فقالت : لا أعود ؛ فأرسلها ؛ فقال له النبي عليه السلام : « ما فعل أسيرك » ؟ فأخبره ؛ فقال : « إنها غائدة » ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا ، وقالت في آخرها : أرسلني وأعلمك شيئا تقولهُ فلا يضرك شيء ؛ آية الكرسي ؛ فأتى النبي عليه السلام فأخبره ؛ فقال : « صدقت وهي كدُوبٌ » .

حدثني زيد بن أنحزم قال : حدثنا عبد الصمد عن همام عن يحيى بن أبي كثير أن عامرَ ثُمَّانَ كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إنا أتينا بساحرة فالتقيناها في الماء فطَفَّتْ ؛ فكتب إليه عمر : لَسْنَا من الماء في شيء ، إن قامتِ البينةُ وإلا نَقَلَ عنها .

حدثني زيد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا ابن جريج عن ابن أبي الحسين المكي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعِمَّتِ اللَّحْنَةُ اللَّبَّانُ وَالْبَبَانُ دُخْنَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنْ يَدْخُلَ بَيْتَا دُخْنٍ فِيهِ بَبَانٌ سَاحِرٌ وَلَا كَاهِنٌ » .

حدثني عبد الله بن أبي سميد قال حدثني عبد الله بن مروان بن معاوية عن ولد أسماء بن خارجة قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت أعرابية تقول : من

يشتري متى الحزا؟ فقلت: وما الحزا؟ قالت: يشتريه أكابيس النساء للطشة والخلافة والإقلاط؛ قال عبد الله: سألت ابن ماذير فقال: الطشة: شيء يصيب الصبيان كالزكام. والخلافة: الجن. والإقلاط: قلة الولد. يريد أن المرأة إذا ولدت يموت أولادها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: امرأة مقلات.

- بلغني عن شيخ من بني ثمر أنه قال: أضللت أبا عمر لي بالشريف فخرجت^(١) في بُعَاثِهَا فَنَابَتْ أَيْامَا فَامْسَيْتُ شَيْئَةً بَوَادِ مُوَحِّشٍ وَقَدْ كَدَدْتُ رَاحَتِي فَاخْتَلَبْتُ لَهَا مِنَ الشَّجَرِ وَأَصْبَتُ لَهَا مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ قَيْدَتْهَا وَأَضْطَجَعْتُ مَغْمُومًا، فَلَمَّا جَرَى وَمَسَّنُ النُّومِ فِي عَيْنِي إِذْ هَمَسَ قَدَمٌ قَرِيبًا مِنِّي، فَانْتَبَهْتُ فَرَعًا وَإِذَا شَيْخٌ يَنْتَضِعُ وَهُوَ يَقُولُ: لَا رَيْبَةَ عَلَيْكَ! ثُمَّ سَلَّمَ وَجَلَسَ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ وَآخَرُ حَتَّى تَأْلَقُوا أَرْبَعَةً فَقَالُوا: مَا لَكَ أَيُّهَا المسلم؟ فقلت: أضللت أبا عمر لي وأنا في طلبها منذ أيام؛ فقال لي الأول منهم: ١٠ كُنْ لَكَ مَا كُنْ، وَقَدْ وَدَعَنْ فِينِ، وَصِرَنْ حَيْثُ صِرَنْ، فَلَا تُتَعَبَنَّ، فَاجْتَرَأْتُ عَلَى الْمَسْئَلَةِ فَقُلْتُ: أَمِنْ الْخَافِيَةِ أَتَمَّ نَسَدَتَكُمْ بِالْهَلِكِ؟ قَالُوا: نَعَمْ وَلِهَذَا وَالْهَلِكُ وَاحِدٌ؛ فَقُلْتُ: عَلِّمُونِي مِمَّا عَلَّمَكُمْ اللَّهُ شَيْئًا أَنْتُمْ بِهِ؛ قَالُوا: إِذَا أَرَدْتَ حِفْظَ مَالِكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهِ: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) إِلَى آخِرِ ثَلَاثِ الْآيَاتِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فِي خَلَاءٍ وَخَذَكَ فَاقْرَأِ الْمُعَوِّذِينَ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ لَا يَسْبِتُ بِكَ وَلَا يَهْلِكُ وَلَوْلِكَ عَابَتْ مَنَّا فَعَلَيْكَ بِالْيَدِ الْأَبْيَضِ، وَاجْعَلْ فِي حُجُورِ صَبِيانِكَ بَرِيًّا، يَعْنِي خِيَطًا مِنْ صُوفٍ أَبْيَضٍ وَأَسْوَدَ، وَاحْتَشُوا بِالْإِذْنِ^(٢) يُنْشَرُ فِي الصُّوفِ، فَخَذْتُوْنِي كَحَدِيثِنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ رَجَعْتُ.

(١) التزيف: اسم ماء لبنى نحر. (٢) اخطبت من الاختلاء، وهو اجترأ أن يفعل وهو الحشيش تخلف به الدواب. (٣) لاربية: لا فرج، من راع ربع إذا فرج. (٤) الإذتر بالكرم: نبات من زهر الرباعة.

قال المدائني : كانت وفاة زياد العرفي^(١) ظهرت في إصبعه ، وأشتد عليه الوجع
 فجعل الأطباء فشاورهم في قطع إصبعه ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم :
 أتعبد الوجع في الإصبع أم تعبد في قلبك والإصبع ؟ قال : في قلبي وفي إصبعي ؛ قال :
 عيش سليبا وموت سليبا ، وأمره أن يضمها في الخل ، فكان ذلك يُخفف عنه بعض الوجع ،
 فكثت بذلك سبعة عشر يوما ثم مات ؛ وسمع أهل الجبل أهل الجبل . وقال النبي
 القائد ذو الرقة قد كنيتكم الرجل . والعرب تدعو الطاعون رماح الجبل . وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم : إنه « نزع من الجبل » يعني الطاعون . والله أعلم .

(١) العروة : قرصة تخرج في ياض الكف .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية]

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي]

تم كتاب الطبايع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لأبن قتيبة ويتلوه في الكتاب
 الخامس كتاب العلم . والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي
 وآله وصحبه وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ؛
 وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

إلى هنا ينتهي آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمسئنة جوتيجن سنة ١٨٩٩ م .
 وسنستعمل في مراجعة الجزء الخامس إلى آخر الكتاب على الأصل الفتوغرافي وعلى
 المصادر التي يتولى عليها في تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :]

- كان سُديف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار قيتنا دولةً بعد القسمة ، وإمارتنا غلبةً بعد المشورة ، وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة ، واشتريت الملاحى والمعارف بسهم اليتيم والأرملة ، وحكم في أنصار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل ، وبلغ نبتته ، واستجمع طريده ، اللهم فافتح له من الحق يداً حاصدةً تُبدد شمله ، وتفرق نامته ، ليظهر الحق في أحسن صوره ، وأتم نوره . والسلام .

- وقيل : كانوا يتوقون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هذا الدعاء :
« باسم الله ، إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت ظمياً . إخسئوا فيها ولا تكلمون .
أخذت سمعك وبصرك بسمع الله وبصره ، وأخذت قوتك بقوة الله ، بينى وبينك ستر النبوة الذى كانت الأنبياء تستتر به من سطوات الفراعنة ، جبريل عن يمينك ، وميكائيل عن شمالك ، ومحمد أمامك ، والله مطلق عليك يحجزك منى ويمنعنى منك .
والسلام . »

- وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « أما بعد ، فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكر قدرة الله عليك ونفاد ما تاتى إليهم ، وبقاء ما ياتون إليك .
والسلام . »

(١) أنصار : جمع بشر ، والبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والائتين والجمع وقد بقى

على بشرين ويجمع على أنصار (اللسان) . (٢) لئانة والثأمة : الحس والحركة وسعاية النفس .

(٣) فى الأصل «الى» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ النِّوَاحِي قَبِيلَ لَه : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ ؟ قَالَ : مَظْلُومًا لَا يَتَّصِرُ ، وَظَالِمًا لَا يُتَّهَرُ ، وَالسَّلَامَ .

في الحليس :

مَا يَدْخُلُ السَّجْنَ إِنْسَانٌ قَسَّاهُ * مَا بَالُ مَجْنُونِكَ إِلَّا قَالَ مَظْلُومٌ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

إِنْ أَلْيَالِي الَّتِي شَفِغْتُ بِهَا * غَيَّبَهَا الدَّهْرُ فِي قَلْبِهِ
فَهْ أَمْرِي مَا مَلْتُ قَطُّ إِلَى * شَيْءٍ بَقَلِّي إِلَّا يَحُفَّتْ بِهِ
عَرَفْتُ حَقِّي مِنَ الزَّمَانِ فَلَا * أَلُومَ خَلَقًا عَلَى تَجَنُّبِهِ
وَكُلَّ سَهْمٍ أَعَدَّدْتُهُ وَقَفْتُ * بِهِ أَلْيَالِي حَتَّى رُمِيْتُ بِهِ

- ١٠ وحكى أن عبد الملك بن مروان أتوه برجل من الخوارج فأراد قتله ، فأدخل على عبد الملك ابن له صغير وهو يبكي ، فقال الخارجى : دعه يا عبد الملك ، فإن ذلك أرحب لشدة ، وأصح لساغته ، وأذهب لصوته ، وأحرى ألا تأبى عليه عنه إذا حفرته طاعة الله فاستدعى عبرتها ، فأعجب عبد الملك بقوله وقال له متعجبا : أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ فقال : ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء ، فأمر عبد الملك بحجسه ، وصقعه عن قتله .

١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العلم والبيان

العلم

- حدثني الزبائدي قال حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن عبد الله بن سعد عن الصَّائِجِيِّ^(١) عن معاوية بن أبي سفيان قال : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- عن الأغْلُوطَاتِ ، قال الأوزاعي : يعني صَعَابَ المسائل .^(٢)

حدثني سُهَيْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُدَيْرٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ قَدْ سَمِعَهُ ، قَالَ : قَالَ كُتُبُ الْأَحْبَارِ لِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ : كَيْفَ رَأَيْكُمْ فِي أَبِي مُسْلِمٍ أَنْفَقُوا^(٣) ؟ فَقَالُوا : مَا أَحْسَنَ رَأْيَنَا فِيهِ وَأَخَذْنَا عَنْهُ ! فَقَالَ : إِنَّ

- ١٠ (١) في الأصل «الصَّائِجِيُّ» (بياء متناقض بعد الألف) وهو تحريف ، إذ هو عبد الرحمن بن صبيحة الصَّائِجِيُّ (بياء موحدة وجاء بعد الألف) ، نسبة إلى صناجح من حمير ، كما ذكر المؤلف في كتابه (المعارف) (ص ٣١٥) طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ م والقد الفرید (ج ١ ص ٢٠٤) ورتب التذييل (ج ٥ ص ٢٣٥) . (٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث ، لأنه لا معنى لأن ينهى النبي عن صعاب المسائل ، والأوجه ما فسرنا به الزبائدي إذ قال في الأساس : «وهي المسائل التي يقال لها» ، ويريد بهذا التفسير ما جاء بالقد الفرید (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك» «إليس» . (٣) هو عبد الله بن ثوب يضم المثناة وضع الواو بعدها موحدة وقيل بأشباع وقيل ابن أثوب وزن آخر : غلبت رسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يدركه ، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية (تخریب التہذیب) .

أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الْحَاكِمِ أَهْلُهُ، وَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ مِثْلُ الْجَلَّاتَةِ تَكُونُ فِي الْقَوْمِ قَرِيبٌ فِيهَا
الْغُرَبَاءُ، وَيَزْهَدُ فِيهَا الْقُرَبَاءُ، فَبَيْنَا ذَلِكَ غَارَ مَاؤُهَا، وَأَصَابَ هَؤُلَاءِ مَنَعَتُهَا، وَبَقِيَ
هَؤُلَاءِ يَتَمَكَّنُونَ، أَيْ يَنْتَلِمُونَ .

وفي الإنجيل أن عيسى صلى الله عليه وآله لم أراه المعبّات، وضرب لهم الأمثال
والحكمة، وأظهر لهم هذه الآيات، قالوا : أليس هذا ابن النّجار ! أَوَلَيْسَتْ أُمُّهُ
مَرْيَمَ وَأَخُوهُ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَشِمْعُونُ وَيُودَا وَأَخَوَاتُهُ كُلُّهُنَّ عِنْدَنَا ! فَقَالَ لَهُمْ
عيسى : إِنَّهُ لَا يُسَبِّحُ النَّبِيَّ وَلَا يُحَقِّرُ إِلَّا فِي مَدِينَتِهِ وَبَيْتِهِ .

حدثني الراثي قال حدثنا الأصمعي قال : قيل لَدَغْفَلِ النَّسَابَةِ : بِمِ أَدْرَكَتْ
مَا أَدْرَكَتْ مِنَ الْعِلْمِ ؟ فَقَالَ : بِلِسَانِ سَوُولٍ وَقَلْبِ عَقُولٍ، وَكَانَتْ إِذَا لَقِيتُ عَلِيًّا
أَخَذْتُ مِنْهُ وَأَعْطَيْتُهُ .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا العلاء بن أسلم عن رؤية بن الصّباح
قال : أَتَيْتِ النَّسَابَةَ الْبَكْرَى فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ أَنَا ابْنُ الصّباح ،
قال : قَصَصْتَ وَعَرَفْتَ ، لَعَلَّكَ مِنْ قَوْمِ إِنْ سَكَتُ عَنْهُمْ لَمْ يَسْأَلُونِي، وَإِنْ تَكَلَّمْتَ لَمْ
يَبْعُوا عَنِّي، قُلْتَ : أَرْجُو أَلَا أَكُونَ كَذَلِكَ، قَالَ : مَا أَعْدَاءُ الْمَرْوَةِ ؟ قُلْتَ : تُجْبَرُنِي،
قال : بَنُو عَمِّ السَّوِّءِ إِنْ رَأَوْا حَسَنًا سَتَرُوهُ، وَإِنْ رَأَوْا سَيِّئًا أَذَاعُوهُ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ لِلْعِلْمِ
أَفَّةٌ وَهَجْنَةٌ وَتَكْدَا، فَافْتَهُ نَسَابَتُهُ، وَنَكَدَهُ الْكَذِبُ فِيهِ، وَهَجَّتْهُ نَشْرُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ .
كَانَ يَقَالُ : لَا يَزَالُ الْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ فَإِذَا ظَنَّ أَنَّ قَدْ عِلِمَ فَقَدْ جَهِلَ .

(١) لَهَا ابْنَةُ قَالَ فِي اللِّسَانِ : بِالْبُرِّ الْكَثِيرَةِ الْمَاءِ، وَبِزَيْجَةِ وَجُحْمٍ : كَثِيرَةِ الْمَاءِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ «لَيْسَ» بِزَيْجَةِ الْتَأْنِيثِ .

(٣) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ التَّنَوُّعُ رَافِعٌ عَنْ نَسْخَةِ أُخْرَى : يَجْزِي .

حدثني شيخنا عن محمد بن عبيد عن الصلت بن مهران عن رجل عن الشعبي عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلم العلم لأربعة دخل النار ليأبى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يميل به وجوه الناس أو يأخذ به من الأمراء » .

وحدثني عن أبي معاوية عن حجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يخلص العبادة لله أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » . وقرأت في حكم ثمان أنه قال لأبنته : يا بُنَيَّ ، اغدُ علما أو متعلما أو مُستَمِعا أو مُعَيّا ، ولا تكن الخامس فتهلك .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن إسماعيل عن ابن عباس عن معاذ بن رفاعه عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يعمل هذا العلم من كل خلف عدوه ينفون عنه تحريف الغالين ^(١) وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال قال علي عليه السلام : كُتِبَتْ لَوْ رَحِمَ الْمَطِيُّ فَبَيْنَ لَا تُصْبِيهِمْ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكُوا مِثْلَهُنَ : لَا يَرْجُونَ عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم . وأعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان . وكان يقول : من حق العالم عليك إذا أتيتك أن تُسَلِّمَ على القوم عامةً وتخصه بالتحية ، وأن

- (١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق ، وفي الأصل « به » . (٢) كذا في الأصل ومثله في أدب الدنيا والدين . وفي اللقد القريد (ج ١ ص ٢٠١) « تحريف الغالين » .
(٣) في أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : « وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : خمس ظنون عنى ، فلو ركمت الفلك ما وجدته من إلا عنى : ألا لا يرجون أحد إلا ربه ... الخ » .

تَجْلِسَ قُدَّامَهُ وَلَا تُشِيرَ بِيَدِكَ ، وَلَا تَقْمِزَ بَعِيْنَكَ ، وَلَا تَهْوَلَ قَالَ فُلَانٌ خَلَاْفًا لِقَوْلِهِ ،^(١)
وَلَا تَقْتَنَبَ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تَسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذَ بِشُوبِهِ ، وَلَا تُلْعَجَ عَلَيْهِ إِذَا
كَسَلَ ، وَلَا تَقْرُضَ مِنْ صَحْبِهِ لَكَ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ بِمِزْلَةِ النَّخْلَةِ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا
شَيْءٌ . وَفِيهَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا كَيْلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَحْرُسُكَ
وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النِّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَرْكُوزُ عَلَى الْإِتْقَانِ . وَقَالَ : قِيَمَةُ
كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ . وَيُقَالُ إِذَا ارْتَدَّى اللَّهُ^(٢) عَبْدًا حَفَظَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
يُعْذِرُ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَالِمًا * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِمَحْسَبٍ
وَأَنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعِلْمِهِ * وَمَا عَالِمٌ فِي بَلَدٍ بِغَرِيبٍ

قَالَ بُرْزُجَمُورُ : مَا وَرَثَتِ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْأَدَبِ ، لِأَنَّهَا تَكْتَسِبُ
الْمَالُ بِالْأَدَبِ وَبِالْجَهْلِ تُنْقَضُ فَتَقْعُدُ عُلَمَاءُ مِنْهَا . قَالَ رَجُلٌ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ :
مَالِي إِذَا رَأَيْتُكُمْ تَنْتَازِعُونَ الْأَخْبَارَ ، وَتُسْتَدْرَسُونَ الْآثَارَ ، وَتُنَاقِشُونَ الْأَشْعَارَ ، وَتَقَعُّ
عَلَى النَّوْمِ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ حَارِغٌ فِي مَسْلَاحِ^(٣) إِنْسَانٍ .

نُحْرِجُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ حَاجِبًا وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَكَانَا
بِمَعْصِ الطَّرِيقِ يَلْعَبَانِ بِالْشُّطْرَنْجِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قَبِيلِ قَيْفٍ فَأَذِنَ لَهُ وَسَتَرَ

(١) عبارة العقد القريد «خلاف قولك» . (٢) لا تقمض : لا تضجر . وفي الأصل «تفرض»
بقاء وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تلعب عليه في السؤال» ، فإنما هو بمِزْلَةِ النَّخْلَةِ المِزْلَةُ الَّتِي لَا يَزَالُ
يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ . (٣) في الأصل : «تكيل العلم خير من المال» وهو تحريف ،
والصواب ما أثبتناه ، فقد جاء في العقد القريد (ج ١ ص ٢٠٠) ما نصه «عن كميل النخعي قال : أخذ
يبدى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فنخرج بي إلى ناحية الجبابة فلما أحضر تنقش الصعداء ثم قال :
يا كميل ، إن هذه القلوب أوعية تغيرها أوعاها فأحفظ عنى ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة
في الإحياء (ج ١ ص ٧) طلبه بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) في العقد
القريد «ماقلا» . (٦) المسلخ : الجلد .

الشَّطْرَنَجُ بِمَنْدِيلٍ، فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ فَسَأَلَهُ حَاجَتَهُ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ ؟
 قَالَ : لَا، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! شَغَلَنِي عَنْهُ أُمُورٌ وَهَنَاتٌ، قَالَ : أَتَعْرِفُ الْفِقْهَ ؟
 قَالَ : لَا، قَالَ : أَفَرَوَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا، قَالَ : أَفَعَلَيْتَ مِنْ أَيَّامِ
 الْعَرَبِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا، قَالَ : فَكَشَفَ الْمَنْدِيلَ عَنِ الشَّطْرَنَجِ وَقَالَ : شَاهَكَ،
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : اسْكُتْ فَمَا مَعَنَا أَحَدٌ .

وَفِي كِتَابِ الْهِنْدِ : الْعَالِمُ إِذَا آخَرْتَبَ فِعْمَهُ مِنْ عِلْمِهِ كَافٍ ، كَالْأَسَدِ مَعَ قُوَّتِهِ
 الَّتِي يَغِيثُ بِهَا حَيْثُ تَوَجَّهَ . وَكَانَ يُقَالُ : الْعِلْمُ أَشْرَفُ الْأَحْصَابِ ، وَالْمُؤَدَّةُ أَشَدُّ
 الْأَسْبَابِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ خُلْتَا كَرِيمًا • لِلرَّءِزَيْنِ إِذَا هُمَا أَجْتَمَعَا
 صِنُونَا لَا يَسْتَمِ حَسَنُهُمَا • إِلَّا يَجْمَعُ لَنَا وَذَاكَ مَعَا
 كَمْ مِنْ وَضِيعٍ سَمَاهُ الْعِلْمُ وَالسَّيْلُ فَنَالِ الْعِلَاءَ وَأَرْتَمَعَا
 وَمِنْ رَفِيعِ الْبِنَا أَضَاعَهُمَا • أَنْعَمَلُهُ مَا أَضَاعَ فَاتَّضَعَا

قَالَ الْأَحْنَفُ : كَادَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَكُونُوا أَرْبَابًا ، وَكُلُّ عَزٍّ لَمْ يُؤْكَدْ بِعِلْمٍ فَلَيْ ذُلٌّ
 مَا يَصِيرُ . وَقَالَ آبْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسَ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُحِبُّكَ ذَلِكَ ،
 فَإِنَّ زَوَالَ الْكَرَامَةِ بَزْوَالِهَا ، وَلَكِنْ يُحِبُّكَ إِنْ أَكْرَمَكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ . وَفِي بَعْضِ
 الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : «مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ» . وَكَانَ يُقَالُ :
 اسْتَدِلَّ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُجِبُّ أَنْ لَهُ بِحِفْظِهِ مِنْهُ خَطَرًا . قَالَ يُونُسُ بْنُ
 حَبِيبٍ : حِلْمُكَ مِنْ رُوحِكَ ، وَمَالُكَ مِنْ بَدَنِكَ . قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ : الْمُلُوكُ حُكَّامٌ
 عَلَى النَّاسِ ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ .

قيل لِبُرْجَهْر : العلماءُ أفضلُ أم الأغنياءُ؟ فقال : العلماءُ، فقيل له : فما بالُ
 العلماءِ بأبوابِ الأغنياءِ أكثرُ من الأغنياءِ بأبوابِ العلماءِ؟ فقال : لمعرفةِ العلماءِ بفضلِ
 الثَنَى وجهلِ الأغنياءِ بفضلِ العلمِ . وفي الحديث : « ليس المَلَقُ من أخلاقِ المؤمنِ
 إلَّا في طلبِ العلمِ » . قال ابنُ عباسٍ : ذَلَّلْتُ طالباً، فمزَّزْتُ مطلوباً، وكان يقولُ :
 ٥ وجدتُ عاتقَ عِلْمٍ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحَيِّ من الأنصارِ، إنَّ
 كنتُ لأَقِيلُ بِيَابِ أَحَدِهِمْ ولو شئتُ أُذِنَ لِي ، ولكن أبتغى بذلك طيبَ نفسه .
 وكان يقال : أوَّلُ العلمِ الصمتُ والثاني الاستماعُ، والثالث الحِفْظُ، والرابع العقلُ،
 والخامس نشرُهُ . ويقال : إذا جالستَ العلماءَ فكن على أن تَسْمَعَ أحرصَ منك
 على أن تقول . قال الحسن : مَرَبٌ أحسنَ عِبَادَةِ الله في شبيبته لقاءَ الله الحكمةُ
 ١٠ في سِتِّهِ ، وذلك قوله : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال بعضُ الحكماءِ من الصحابة : تقول الحكمةُ : مَنْ أَلْمَسَنِي فلم يَحْسِدْنِي
 فَلْيَفْعَلْ بأحسنِ ما يَعْلَمُ ، وليرك أفضحَ ما يَعْلَمُ ، فإذا فَعَلَ ذلك فَأَنَا معه وإن لم يَعْرِفْنِي .
 وكان يقال : لا يكون الرجلُ عالمًا حتى يكونَ فيه ثلاثٌ : لا يَحْقِرُ مَنْ دُونَهُ في العلمِ ،
 ولا يَحْسَدُ مَنْ فَوْقَهُ ، ولا يَأْخُذُ على علمه مَنَّا . وقال ابنُ عِينَةَ : يُسْتَحَبُّ للعالمِ إذا
 ١٥ عِلَّمَ ألا يُعْتَفَ ، وإذا عِلَّمَ ألا يَأْتَفَ . وفي كلامِ لَيْلَانَ ، لا تكن كعلماءِ زمنِ الهرج^(١)
 إن عُلِّمُوا أَنْفَعُوا وإن عُلِّمُوا عَفَوْا . وفي حكمة لُثَّانٍ : إن العالمَ الحكيمَ يدعو الناسَ
 إلى علمه بالصَّمْتِ والوَقَارِ ، وإن العالمَ الأتَّحِقَ يَطْرُدُ الناسَ عن علمه بالهَذَرِ
 والإمْتَارِ . قال إبراهيمُ بنُ المنصورِ : سَلْ مسألةَ الحَقِّ واحْفَظْ حِفْظَ الأَكْبَاسِ .
 وأُشَدُّ ابنُ الأعْرَابِيِّ :

ما أقرب الأشياء حين يسوقها * قدر وأبدعها إذا لم تُقدر
فلسي الفقيه تكن قصيا مثله * من يسع في عمل يفقه يمهّر
وتدبر الأمر الذي تُعنى به * لآخر في عمل بغير تدبر
فلقد يجهل المرء وهو مقصر * ويحبب جهل المرء غير مقصر
ذهب الرجال المقتدى بفعلهم * والمذكرون لكل أمر متكر
وبقيت في خلف يمين بعضهم * بعضا لينق معور عن معور^(١)

وقال الشاعر^(٢) :

شقاء العمى طول السؤال وإتمام العمى طول السكوت على الجهل

وقال بعضهم : خير خصال المرء السؤال . ويقال : إذا جلست إلى عالم فسل فسخها

- ولا تسأل فتتأ . قال الحسن : من استتر عن الطلب بالحياء ليس للجهل سرأله ، فقطعوا
سرأيل الحياء ، فإنه من رقى وجهه رقى علمه ؛ وقال : إني وجدت العلم بين الحياء
والستر . وقال الخليل : منزلة الجهل بين الحياء والآفة . وقال علي بن أبي طالب
عليه السلام : قرئت الهيبة بالحيبة ، والحياء بالحرمان ، والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها
ولو في يدي أهل الشرك . وقال عروة بن الزبير لبيه : تعلموا العلم فإن تكونوا صغار
قوم فحسب أن تكونوا كبار قوم آخرين ، فياسوء ما إذا أقبح من جهل بشيخ ! وكان
يقال : علم جهلك من يجهل ، وتعلم ممن يعلم ، فإنك إذا فعلت ذلك عابيت ما جهلت
وحفظت ما عابيت .

قيل لبزرجهر : كم أدركت ما أدركت من العلم ؟ فقال : يسكور يسكور

الغراب ، وحرص كحرص الخنزير ، وصبر كصبر الجمار . وقال الحسن : طلب العلم

- (١) معور من أعور الشيء إذا بدت عورته . (٢) هو يشار بن برد كما في أدب الدنيا والدين ٢٠

(س ٩٤ طبعة بولاق) وبعد البيت :

فكن ما علا عما عنك إنما * دعت أخا عقل لتبحث بالفطن

في الصَّغَرِ كَالنَّقَشِ فِي الْحَجَرِ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ فِي الْكِبَرِ كَالنَّقَشِ عَلَى الْمَاءِ. وَيُقَالُ: التَّفَقُّهُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كِمَارِ الطَّاحُونَةِ يَدُورُ وَلَا يَتَّيَحُ. وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ «ارْحَمُوا عَنِ زَادَ ارْحَمُوا غِنَا» افْتَقَرُوا ارْحَمُوا عَلِمَا ضَاعَ بَيْنَ جُهَالٍ» وَيُقَالُ: أَحَقَّ النَّاسُ بِالرَّحْمَةِ عَالِمٌ يَحُوزُ عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ .

قال المسيح عليه السلام : يَا بَنَى إِسْرَائِيلَ لَا تُقْبَلُوا اللَّؤْلُؤَ إِلَى الْخَنَازِيرِ، فَإِنَّهَا لَا تَصْنَعُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا تَطْعَمُوا الْحِكْمَةَ مَنْ لَا يُرِيدُهَا، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ اللَّؤْلُؤِ، وَمَنْ لَا يُرِيدُهَا تَتَرَمَقُ مِنَ الْخَنَازِيرِ. قَالَ دِيمَقْرَاطُ : طَالِمٌ مُعَانِدٌ خَيْرٌ مِنْ مُنْصِفٍ جَاهِلٍ. وَقَالَ آخَرُ : الْجَاهِلُ لَا يَكُونُ مُنْصِفًا، وَقَدْ يَكُونُ الْعَالِمُ مُعَانِدًا . قَالَ سُقْيَانُ تَمَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ. قِيلَ لِلْحَسَنِ : الْحِرْفَةُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلِنَهْرِهِمُ الثَّرْوَةُ، فَقَالَ : إِنَّكَ طَلَبْتَ قَلِيلًا فِي قَلِيلٍ فَأَعْجَزَكَ، طَلَبْتَ الْمَالَ وَهُوَ قَلِيلٌ فِي النَّاسِ، فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُمْ قَلِيلٌ فِي النَّاسِ . وَقَالَ الْخُرَيْمِيُّ :

لَا تَنْتَظِرْكَ إِلَى عَقْلٍ وَلَا أَدَبٍ * إِنَّ الْبُذُودَ قَرِينَاتُ الْحِمَاقَاتِ
وقال آخر :

مَا أَزْدَدْتُ مِنْ أَدَبٍ حَرْفًا أَسْرُبُهُ * إِلَّا تَزِيدْتُ حَرْفًا تَحْتَهُ سُوءُ
إِنْ الْمُسَدَّمُ فِي حِدْقٍ بَصَنَعْتَهُ * أُنَى تَوَجَّهَ مِنْهَا فَهُوَ مَحْرُومٌ

وقال الطائي لمحمد بن عبد الملك :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهْلَالَ أَمَهَا * وَلَوْ دَامَ الْعِلْمُ جَدَاءَ حَائِلٍ^(١)

(١) في الأصل : «العلم» ونظماؤه تحريف .

(٢) جداء : من الجذ وهو القطع ، والمراد أنها مقطوعة النسل .

(٣) الحائل : كل أنق لا يعمل .

قال الثوري : مَنْ طَلَبَ الرَّيَاسَةَ بِالْعِلْمِ سَرِيعًا فَاتَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ ، وَقَالَ : يَنْفَعُ الْعِلْمَ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا آرَحَلْ . قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : يُنْفَرُ لِلْجَاهِلِ سَبْعُونَ ذَنْبًا قَبْلَ أَنْ يُنْفَرَ لِلْعَالِمِ ذَنْبٌ وَاحِدٌ . قَالَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ : لَا يَمْنَعُكُمْ سُوءُ مَا تَعْمَلُونَ مِنْ أَنْ تَقْبَلُوا أَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ . وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ :

- اِعْمَلْ^(١) بِمَعْنَى وَلَا تَنْتَظِرْ إِلَى عَمَلِي * يَنْفَعَكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي
- كتب رجل إلى أخ له : إِنَّكَ قَدْ أَوْتَيْتَ عِلْمًا فَلَا تُطْفِئْ نَوْرَ عِلْمِكَ بِظُلْمَةِ الذُّنُوبِ فَيَنْقُبَ فِي الظُّلْمَةِ يَوْمَ يُسْأَلُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِنُورِ عِلْمِهِمْ .

- وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَوْ لَا الْعِلْمُ لَمْ يُطْلَبِ الْعَمَلُ ، وَلَوْ لَا الْعَمَلُ لَمْ يُطْلَبِ الْعِلْمُ ، وَلِأَنَّ أَدْعَ الْحَقِّ جَهْلًا بِهِ أَحَبُّ إِلَى مَنْ أَنْ أَدَّعَاهُ زُهْدًا فِيهِ . وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ :
- ١٠ إِنْ الْعَالِمُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنْ الْقُلُوبِ كَمَا زَلَّ الْقَطَرُ عَنْ الصَّفَا^(٢) .
- ونحوه قولُ زياد : إِذَا نَجَرَ الْكَلَامُ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَ فِي الْقَلْبِ ، وَإِذَا نَجَرَ مِنَ اللِّسَانِ لَمْ يُبَازِرِ الْآدَانَ .

- وَيُقَالُ : الْعِلْمَاءُ إِذَا صَلُّوا عَمِلُوا ، إِذَا عَمِلُوا شُغِلُوا ، إِذَا شُغِلُوا قُفِدُوا ، إِذَا قُفِدُوا طُلِبُوا ، إِذَا طُلِبُوا هَرَبُوا . قَالَ الْحَسَنُ : مَا أَحْسَنَ الرَّجُلَ نَاطِقًا عَلِيمًا وَمُسْتَمْعًا وَاعِيًا وَوَاعِيًا عَامِلًا . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : إِنِّي لَا أَحْسِبُ الرَّجُلَ يَتَّقِي الْعِلْمَ بِالْخَطِئَةِ يَمْلِكُهَا .
- ١٥ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِذَا تَرَكَ الْعَالِمُ قَوْلَ لَا أَدْرِي أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

إِذَا مَا تَحَدَّثْتُ فِي مَجْلِسٍ * تَنَاهَى حَدِيثِي إِلَى مَا عَلِمْتُ

وَلَمْ أَصُدْ عَلَى إِلَى غَيْرِهِ * وَكَانَ إِذَا مَا تَنَاهَى قَصَرْتُ

- (١) كَذَا فِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ (ص ٦٩ طَبْعَةُ بُولاق) فِي الْأَصْلِ : "نَهَيْفَ" وَظَاهِرُهُ تَحْرِيفٌ .
- (٢) وَرَوَايَةُ الْمُعَدِّ الْقُرَيْبِ (ج ١ ص ٢١١) «اعْمَلْ بِمَعْنَى وَإِنْ قَصُرَتْ فِي عَمَلٍ»
- وَفِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ «اعْمَلْ بِقَوْلِ ...» (٢) الصَّفَا جَمْعُ صَفَاءَةٍ ، وَهِيَ الْجَهْرُ الصَّالِحُ الصَّالِحُ بِالْخَطِئَةِ .

وقال آخر: ^(١)

إذا ما آتته على تناهيت عنده * أطال فأمل أم تساهى فأقصرا
ويحسرنى عن غائب المرء فسله * كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

قال عمر بن الخطاب: لا أدركت لأنا ولا أنت زمانا يتغير الناس فيه على العلم
كما يتغيرون على الأزواج . قال سلمان : علم لا يقال به ككثر لا يتفق منه .
وفي الحديث المرفوع : « العلم علان علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان
فذلك حجة الله على ابن آدم » قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن
من علم إلى علم ومن عفو إلى قدرة . قال أبو القدرءاء : من يزدد حبا يزدد
وجبا .

قال أفلاطون : لولا أني في قول لا أعلم سببا لأنني أعلم لقلت إنني لا أعلم .
وقال آخر : ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأنني لست أعلم .

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فسأوه ،
ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذاك ناس فذكروه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه
لا يدرى فذلك مسترشد فعلموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك
جاهل فأرقتوه .

كتب كسرى إلى بزرجمهر وهو في الحبس : كانت ثمرة علمك أن صرت بها
أهلا للحبس والقتل ، فكتب إليه بزرجمهر : أما ما كان معي الجسد فقد كنت أنتفع
بثمرة العلم فالآن إذ لا جسد فقد صرت أنتفع بثمرة الصبر مع أني إن كنت فقدت كثير
الخير فقد استرجعت من كثير البشر .

قال بزرجمهر : من صلح له العمر صلح له التعلم . وقيل لبعض الحكماء :
أيحسن بالرجل أن يتعلم ؟ فقال : إن كانت الجهالة تُقبح به فإت العلم يُحسن به .
ويقال : التودد زين العلم .

قال عمر بن الخطاب : ما من غاشية أدوم أرقاً ، وأبطأ شيباً من عالم . قال
مالك بن دينار : من طلب العلم لنفسه فالتقى منه يكتفى ، ومن طلبه للناس
فخوامج الناس كثيرة .

قال إقراط : العلم كثير ، والعمر قصير ، والصنعة طويلة ، والزمان جديده ،
وال تجربه خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تصفون الطريق للذين ، وأنتم مقيمون مع
المتحيرين ، إنما ينبغي من العلم القليل ، ومن العمل الكثير . قال سلمان : لو حدثت الناس
بكل ما أعلم لقالوا رحم الله قاتل سلمان . كان يقال : لا تقل فيما لا تعلم فتهم فيما تعلم .
وكان يقال : العلم قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق بلدت
وإذا كان سائق بلا قائد عدلت بينا وشمالاً ، فإذا اجتمعا أنابت طوعاً وكرها . قال
أيوب : لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يعرف الاختلاف . ويقال : غريزة
العقل أنى وما يستفاد من العلم ذكر ولن يصلحاً إلا مما .

قال المسيح عليه السلام : إن أبغض العلماء إلى الله رجل يحب الذكر بالمغيب ،
ويوسع له في المجالس ، ويدعى إلى الطعام ، وتفرغ له المزأود ، بحق أقول لكم : إن
أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

(١) الناحية : السؤال الذين يشكون يربحون فضلك ومعرفتك . (٢) وفي العقد الفريد

(ج ١ ص ١٩٨) : « وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس ذرد فإن كان قائد بلا سائق
هلك ، وإن كان سائق بلا قائد أغلقت بينا وشمالاً وإذا اجتمعا أنابت طوعاً وكرها » .
(٣) المزاد جمع مزدود كثير وهو زائد .

لمَّا كُنِيَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي قَبْرِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَرَى كَيْفَ ذَهَبَ الْعِلْمُ فَهَكَذَا ذَهَابُ الْعِلْمِ .

وَيَقَالُ : إِذَا أُرِدَّتِ الْحُبَّةُ مِنْ أَفْقٍ عَلِمَا بِكَاهِلٍ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي تَلَاقِ الْعُلَمَاءِ :

إِذَا تَلَاقَ الْفَيُّوْكَ وَأَزْدَحَمْتُ * فَكَيْفَ حَالُ الْبُعُوضِ فِي الْوَسْطِ
وَقَالَ ابْنُ الرَّقَّاعِ :

وَلَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ الْمَعِيشَةِ لَذَّةً * وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْمَطْلُوبِ شِدَادَهَا
وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا * عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا
وَيَقَالُ : أَرْبَعٌ لَا يَأْتِفُ مِنْهُنَّ الشَّرِيفُ : قِيَامُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ لِأَتْبِيهِ ، وَخِدْمَتُهُ لَضَيْفِهِ ، وَقِيَامُهُ عَلَى قَرَسِهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَائَةٌ عَبْدٍ ، وَخِدْمَتُهُ الْعَالَمَ لِیَأْخُذَ مِنْ عِلْمِهِ .

قَبْلَ لِعْطَاءِ بَنٍ مُضْعَبٍ : كَيْفَ ظَلَمَتْ عَلَى الْبَرَامِكَةِ وَعِنْدَهُمْ مَنْ هُوَ أَدَبُ مَنْكَ ؟
قَالَ : لَيْسَ لِلْقُرْبَاءِ ظُرَافَةُ الْقُرْبَاءِ ، كُنْتُ بَعِيدَ الدَّارِ ، غَرِيبَ الْأَسْمِ ، عَظِيمَ الْكِبَرِ ، صَغِيرَ الْجُرْمِ ، كَثِيرَ الْإِتْنَاءِ ، شَحِيحًا بِالْإِمْلَاءِ ، فَقَرَّبَنِي إِلَيْهِمْ تَبَاعُدِي مِنْهُمْ ، وَرَغَبَهُمْ فِي رَغْبَتِي عَنْهُمْ .

قَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الْخَزَرَمِيُّ^(١) : تَلَقَّيْنَا مَعِيذَ بْنَ وَهَبٍ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَقُلْتُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَدُورُ لَعَلِّي أَسْمَعُ حَدِيثًا حَسَنًا ، ثُمَّ تَلَقَّيْنَا أَنَسَ بْنَ أَبِي شَيْخٍ فَقُلْتُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : عِنْدِي حَدِيثٌ حَسَنٌ فَأَنَا أَطْلُبُ لَهُ إِنْسَانًا حَسَنَ الْفَهْمِ حَسَنَ الْإِسْتِمَاعِ ، قُلْتُ : حَدَّثْنِي بِهِ قَالَ : أَنْتَ حَسَنُ الْفَهْمِ سَيِّئُ الْإِسْتِمَاعِ ، وَمَا أَرَى لِهَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَزْرَوَانَ . وَقَالَ الطَّائِيُّ فِي نَحْوِ هَذَا :

(١) جَمْعُ فِيلٍ . (٢) هُوَ إِصْحَاقُ بْنُ حَسَّانَ وَيَكْنَى أَبُو يَعْقُوبَ الْخَزَرَمِيُّ [بِأَرَاءِ الْمُهَلَّةِ] كَمَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي كِتَابِهِ : «الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ» (ص ٥٤٢) طَبْعُ مَدَنَةِ «لَيْدَن» سَنَةِ ١٩١٢ م .

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قُنُوجٍ * قَوَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُولٍ^(١)
فَصِرْتُ أَكْذَلَّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ * بِهِ فَسَّرُ إِلَى فَهْمٍ جَلِيلٍ

كان يقال : إذا أردت أن تكون عالما فاقصد لقن من العلم ، وإذا أردت أن

تكون أدبيا فخذ من كل شيء أحسنه . قال إبراهيم بن المهدي :

- قد يرزق المرء لم تشب رواحله * ويحرم الرزق من لم يؤت من تعب
مع أني واجد في الناس واحدة * الرزق أروغ شيء عن نوى الأدب
وسللة ليس فيها من يخالفني * الرزق والثوب مفروران في سبب
يا نابت العقل كم عابت ذا محي * الرزق أغرى به من لازم الجرب

قال أنوشروان للوبد^(٢) : ما رأس الأشياء؟ قال : الطبيعة الثقية تكتفي من الأدب

- برأعته ، ومن العلم بالإشارة إليه ، وكما ينهب البدر في السباح ضائعا ، كذلك الحكمة
تموت بموت الطبيعة ، وكما تغلب السباح^(٣) طيب البدر إلى العفن ، كذلك الحكمة
تفسد عند غير أهلها ، قال كسرى : قد صدقت وبحق قلدناك ما قلدناك .

قال بعض السلف^(٤) : يكون في آخر الزمان صلباء يزهدون في الدنيا ولا يزهدون ،
ويزهدون في الآخرة ولا يزهدون ، ينهون عن غشيان الولادة ولا يبتون ، يقرؤون

- ١٥ (١) كذا في الأصل الفيرغاني ، وفي نسخة ديوان أبي تمام الخليفة المحفوظة بدار الكتب المصرية
رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفي ديوانه المطبوع : « عن جهول » .

- (٢) كذا في المحاسن والأضداد لملاحظ (ص ١٣٤ طبع مدينة ليدن) والسبب : الجبل .
وفي الأصل الفيرغاني : « صب » .

(٣) الموبد يضرم الميم وفتح الباء وبطه الموبدان : قية الفرس وحاكم الخيوس .

- ٢٠ (٤) السباح جمع سبعة محوكة وسكة وهي الأرض ذات التز والملع .
(٥) في المقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) « قال عيسى بن مريم طيه السلام سيكون... الخ » .

الأغنياء ويُعادون الفقراء، وَيَقْبِضُونَ عند الحُقَرَاءِ، وَيَنْسِلُونَ عند الكِبَرَاءِ^(٢) :
أولئك الجبارون أعداء الرحمن^(٣) .
نافع عن ابن عمر قال : العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة ماضية ، ولا أدرى .

الْكُتُبُ والحفظ

- ٥ حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني قريش بن أنس قال سمعت الخليل بن أحمد يقول : اسلم من الوحدة، قبيل له : قد جاء في الوحدة ما جاء، فقال : ما أفسدها الجاهل ! . قال بعض الشعراء في قوم يجمعون الكتب ولا يعلمون :
زوايل^(٤) للأسفار لا علم عندهم * يبيدونها إلا كعلم الأبايع^(٥)
لمعرك ما يدري الميطي إذا غدا * بأحاطها أوراح ما في القرآن^(٦)
- ١٠ قال يحيى بن خالد : الناس يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويحدثون أحسن ما يحفظون . قال الشعبي : لو أن رجلاً حفظ ما كسبت كان طالباً . ووصف رجل رجلاً فقال : كان يفظ في علمه من وجوه أربعة : يسمع غير ما يقال له ، ويحفظ غير ما يسمع ، ويكتب غير ما يحفظ ، ويحدث غير ما يكتب .
- ١٥ قيل لأبي نواس : قد بئسوا إلى أبي عبيدة والأصمعي ! لجمع بينهما، فقال : أما أبو عبيدة فإن أمكنه من شقره قرأ عليهم أساطير الأولين ؛ وأما الأصمعي فبئس في قفص يطربهم بئفاته .

(١) في القند الفريد « ويصلون » . (٢) في القند الفريد « وينسبون للكبراء . ويقبضون عن الحُقَرَاءِ » . (٣) في القند الفريد « أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن » . (٤) زوايل جمع زائلة وهي التي يحمل عليها من الإبل وغيرها . (٥) الفرائض جمع غرارة بالكسر وهي ما يحمل فيها التبن ونحوه . (٦) الشكر كسر : الكتاب ، وفي المثل : « جاء بالشكر والبر » أي جاء بالكلام المنير عن وجه الصدق .

القصص

حدثني الزبائدي قال : حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريزي عن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون بيع المصاحف ويروونه عظيمًا ، وكانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم الغلمان شيئاً .

- حدثني محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عليه السلام قال : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظل طعمها مر ولا ريح لها .

- وحدثني محمد بن حنيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أمية وليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تُسافروا بالقرآن إلى أرض العدو فإني أخاف أن يناله العدو » .

- حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثنا محمد بن عمران العلاف قال : حدثنا خزيمة ابن أسد المزني قال : كان سعيد بن المسيب يستفتح القراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) ويقول : إنها أول شيء كتبت في المصحف ، وأول الكتب ، وأول ما كتب به سليمان بن داود ^(٢) إلى المرأة .

(١) ورد في الأصل «أبيه» وهو تحريف لأن إسماعيل بن أمية المذكورين روى عنه «أبو إسحاق

القرائي» ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق القرائي أيضا فبين ما ورد

في الأصل أن «أبا إسحاق» هو المقصود في هذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٣ ،

ج ١٠ ص ٢١٥) . (٢) من بقيس بكسر الباء والقاف : ملكة سبا وقصتها معروفة .

وحديثي أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا رجل عن عمران بن حدير قال : قرأت على أعرابي آتراً سورة « براءة » فقال : كان هذا من آتراً نزل . قالوا : كيف ؟ قال : أرى أشياء تُقضى وعهوداً تُبَدُّ . قال : وقرأت عليه سورة الأحزاب فقال : كأنها ليست بتامة .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قال ابن مسعود : (حم) ديباح القرآن ، قال : وزاد فيه مسعود ، قال عبد الله : إذا وقعت في آل (حم) وقعت في روضات ديمثات أُناتق فيهن .

حدثني شيخ لنا عن الهاربي قال : حدثنا بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن الحسن قال : قرأ القرآن ثلاثة : رجل أتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر ، يطلب به ما عند الناس ، وقوم حفظوا حروفه ، وضيعوا حدوده ، وأستدروا به الولادة ، وأسطالوا به على أهل بلادهم — وقد كثّر الله هذا الضرب في حملة القرآن لا كثّرهم الله — ورجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه ، فسبر ليله وهملت عيناه ، تَسْرَبُوا الخشوع ، وأرتبوا بالحزن ، وركدوا في محاربيهم ، وجثوا في براسهم ، فهم يسقى الله الفيت ، ويُزِيل النصر ، ويرفع البلاء ، والله لهذا الضرب

(١) هو سمر بن كدام بن ظهير الحلال العامري الرّياضي ، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١١٣) . (٢) في النهاية لأبن الأثير مادة «دست» : إذا فرأت «آل حم الخ» . وفي مادة «أنق» : إذا وقعت «في آل حم الخ» . (٣) دمثات : سبلة لينة . (٤) بالمجعة والثون آخره سين مهملة مصغرا كذا في تهذيب التهذيب والتعريب والخلاصة . وفي الأصل «خنيس» بالمجعة في آخره وظاهر أنه تعريف . (٥) كذا في الأصل بواو الجماعة والمقام يفتى الأفراد لقوله : «ورجل قرأ القرآن... الخ» . ويؤيد هذا ماورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) ونصه : «... ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسبر ليله وهملت عيناه وتسربل بالخشوع وأرتدى الرغاف واستنصر الحزن ودعا... الخ» . (٦) في الأصل : خفا . (٧) البراس جمع برنس بالضم وهو قفطسة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام ، وكل ثوب رأسه ملتق به .

في حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَقَلُّ مِنَ الْكِبَرِيَّتِ الْآخَرِ . رَوَى الْحَارِثُ الْأَعْمُرُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «كَتَبَ اللَّهُ فِيهِ خَبْرًا مَا قَبْلَكُمْ وَبُئَا مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْمَزَلِ هُوَ الَّذِي لَا تُرْبِغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تُسَبِّحُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَتْبَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ وَاللَّهُ ذِكْرُ الْحَكِيمِ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ » خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْمُرُ .

أَلْحَارِثِيُّ قَالَ : حَسَنًا مَا لَكَ مِنْ مَقُولٍ عَنِ أَخِيهِ عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَعْرِفَ بِلِيلِهِ إِذَا النَّاسُ نَامُوا ، وَيُحِزُّهُ إِذَا النَّاسُ يَقْرَحُونَ ، وَيَسْكَاتُهُ إِذَا النَّاسُ يَصْطَحِّكُونَ ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ حِكْمًا لِنَا مُسْتَكِينًا .

وَكَيْفَ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ الْمَدِينِيِّ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنْ مِنْ تَعْظِيمِ جَلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْئَةِ فِي الْإِسْلَامِ وَإِكْرَامَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَإِكْرَامَ حَامِلِ الْقُرْآنِ» . قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (سَاصِرُفٌ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) أَحْرِمُهُمْ قَهْمَ الْقُرْآنِ .

- (١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) «عل» . (٢) ورد في الأصل ١٥ «معل» بالعين المهملة وهو تحريف . وصوابه بالمججمة كما في الخلاصة وتهذيب التهذيب .
- (٣) في الأصل «سكتيا» وما أشتبهه من الإحياء . (ج ١ ص ٢٦٠) طبعة بولاق ، وعبارة الإحياء عن ابن مسعود «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس ناموا ، وبهارة إذا الناس يفرطون ، وبجونه إذا الناس يفرسون ، ويسكاته إذا الناس يصحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يخالون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا عاريا ولا صايحا ولا صغابا ولا حديدا» . (٤) ذكره ابن حبان في الضعفاء وقال : كل ما يجيء في الأخبار «كريز» يبنى بضم الكاف إلا هذا اه تهذيب .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يقرأ (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَتَقَنُّهُمْ مِنْهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَهُمْ فِيهَا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : خُذْهَا مِنْ غَيْرِ فَقَبِضْ .

الحديث

٥ . حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ الشَّيْبِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قُسَيْبٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَجَاءٍ يَجْعُ صَبِيَّانَ الْكُتَّابِ فَيُحَدِّثُهُمَا كَيْلَا يَتَسَيَّ حَدِيثَهُ . وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الشَّيْبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : قَالَ لِي حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَدَّثَنِي عَنْكَ بِحَدِيثٍ مَا بَالَيْتُ أَنْ أُرْوِيهِ عَنْكَ .

١٠ . حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ رِبْعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : أَلْفُ عَنْ أَلْفٍ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ عَنْ وَاحِدٍ إِنْ فَلَانُ يَنْتَرِعُ السَّنَةَ مِنْ أَيْدِيكُمْ . حَدَّثَنِي الرِّاشِيُّ قَالَ : رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُعْتَمِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُنْقَذٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : وَبُحَّ : رَحْمَةٌ .

حَدَّثَنَا الرِّاشِيُّ قَالَ : رَوَى رِبْعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالْبَيْتِ مَعَ الشَّاهِدِ ، قَالَ رِبْعَةُ : ثُمَّ ذَا كَرْتُ سُهَيْلًا بِهَذَا الْحَدِيثِ فَلَمْ يَحْفَظْهُ ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرْوِيهِ عَنِّي عَنْ نَهْسه عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ : كَانَ قَتَادَةُ إِذَا حَدَّثَ بِالْحَدِيثِ الْجَدِيدِ ثُمَّ ذَهَبَ يَمِيءُ بِالثَّانِي عُذُوَّةً .

بلغني عن ابن مهدي قال: سئل شعبة: من الذي يُترك حديثه؟ فقال: الذي يُتهم بالكذب، ومن تكدر باللفظ، ومن يُخطئ في حديث يُجمع عليه فلا يهتم نفسه ويُقيم على غلطه، ورجل روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون.

وعن مالك أنه قال: لا يُؤخذ العلم من أربعة: سفيه معان بالسفه، وصاحب هوى، ورجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه في الحديث، ورجل له فضل وتقف وصلاح لا يعرف ما يحدث.

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي أنه روى سفيان بن عيينة فقال: ^(١) قَلْبُكَ سُفْيَانٌ بَاغِي سُنَّةٍ دَرَسْتَ * وَمُسْتَبَيَّتٌ أَثَارَاتٍ وَأَثَارِ ^(٢) ^(٣) ^(٤) وَمُبْتَنِي قُرْبِ إِسْنَادٍ وَمَوْعِظَةٍ * وَأَقْفِيُونَ ^(٥) مِنْ طَارٍ وَمِنْ طَارٍ ^(٦) أَمْسَتْ جَالِسُهُ وَحْشًا مُعْطَلَةٌ * مِنْ قَاطِنِينَ وَمُجْلَاجٍ وَمُحْمَرٍ ^(٧) مَنْ لِلْحَدِيثِ عَنِ الزَّهْرِيِّ حِينَ تَوَى * أَوَّلُ أَحَادِيثٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ لَنْ يَسْمَعُوا بَعْدَهُ مَنْ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّهْرِيُّ مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ أَوْ بِأَحْضَارٍ لَا يَهْنَأُ الشَّامِتُ الْمَسْرُورَ مَصْرَعُهُ * مِنْ مَارِقِينَ وَمِنْ مُجَادٍ أَقْدَارِ

- (١) قال ابن خلكان: كان إماماً عالماً تَبَيَّنَا زَاهِداً وَرِعاً جَماعاً على حصة حديثه وروايته؛ توفي آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ١٩٨ هـ (٢) المستبَيَّت: الفقير، والمراد به هنا الطالب. (٣) جمع أَثَارَةٍ. (٤) جمع أَثَرٍ أو زوهر الخبر. (٥) أَقْفِيُونَ جمع أَقْفٍ أو أَقْفٍ (سبة) إلى الآفاق أو إلى الأقطار. (٦) هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والحديثين والأعلام الثابتهين بالمدينة وأى هجرة من الصحابة وروى عنه جماعة من الأئمة، منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري، توفي سنة ١٢٤ هـ لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان (راجع بن خلكان). (٧) هو عمرو بن دينار المكي، كان من أشد الناس إيماناً بالحديث وروى عن ابن عباس وابن الزبير وأبي هريرة؛ توفي سنة ١٢٥ هـ أو ١٢٦ هـ.

وَمِنْ زَادَةٍ، جَهَنَّمُ يَقُودُهُمْ * قَوْداً إِلَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ وَالنَّارِ
وَمُؤَلِّدِينَ وَمُرَاتِبِينَ قَدْ غَلَطُوا * سُنَّةَ اللَّهِ أَهْتَاراً بِأَهْتَارِ^(٢١)

وقال آخر في مالك بن أنس الثقفي :

يَأْتِي الْجَوَابَ فَاِزْجَعْ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِ الْأَذْقَانِ
هَذِي الثَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ الثَّقَى * فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا محمد بن سوار قال حدثنا هشام بن حسان قال :
كان الحسن يُحدثنا اليوم بالحديث ويرثه القَدَّ ويزيد فيه وينقص إلا أن المعنى
واحد .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال :
قال حذيفة بن اليمان : إنا قومٌ عرب فقدم وتؤخر وزيد وتنقص ، ولا تُريد
بذلك كذبا .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامي : لو كان هذا الحديث من الخبر نقص .
أبو أسامة قال : قال مسعر : من أبغضني فجعله الله محدثاً ، أبو معاوية قال :
سمعت الأعمش يقول : والله لأن أتصدق بكثرة أحب إلى من أن أتحدث
بستين حديثاً .

أبو أسامة قال : سمعت سُفيانَ يقول : لوددتُ أنها قُطِعَتْ من هامي ، وأوماً
إلى الذئب ، وأنى لم أسمع منه شيئاً .

(١) هو جهم بن صفوان صاحب الجهمية وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بقرمذ وقتله نال
ابن أحمز المازني مبرور في آخر ملك بني أمية ورافى المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها
الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٦٠) .
(٢) جمع شَرُّهُ وهو السُّقَط .

قال ابن عيينة : ما أحب لمن أحب أن يكون أحفظ الناس للحديث . قال بعضهم : إني لأسمع الحديث عطلاً فأشغفه وأقرطه وأقلده فيحسن ، وما زدت فيه معنى ، ولا نقصت منه معنى .

أبو أسامة قال : سأل حص بن غياث الأعمش عن إسناده حديث فآخذ بحلقه وأسنده إلى الحافظ وقال : هذا إسناده .

وحدث ابن السماك بحديث فقال له رجل : ما إسناده ؟ فقال : هو من المرسلات عرفاً . وحدث الحسن بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عن قال وما يصنع بعن ؟ أما أنت فقد نالتك موعظته ، وقامت عليك محبة .

يقول قال : قال الأعمش : إذا رأيت الشيخ لم يطلب الفقه أحببت أن أضغعه .

ابن عيينة قال : قال الأعمش : لولا تعلم هذه الأحاديث كنت كبعض بقالي الكوفة .

أزدهم الناس يوماً على باب ابن عيينة أيام الموسم والقرب منه رجل من حاج نراسان قد حط بجملته فديس وكبر ما كان معه وأتتهب كتمه وسويقه ، فقام يسير إلى مسفيان ويدعو ويقول : إني لأجل لك ما صنعت ، فقال مسفيان :

ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا في السباع رحم الله .

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعي للعلامة بن المنهال الغنوي في شريك :^(١)

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي . تولى القضاء بالكوكة أيام المهدي

ثم عزله موسى الهادي ، وكان عالماً قتيها فها ذكياً فظلاً . توفي سنة ١٧٧ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٣١٧ طبعه باريس سنة ١٨٣٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للبال قالها في شريك أيضا في المجلد

الأول من هذا الكتاب (ص ٦٧ و ٦٨) .

لَيْتَ أَبَا شَرِيكَ كَانَ حَيًّا * فَيَقْصِرَ حِينَ يُبْصِرُهُ شَرِيكَ
وَيَتْرُكُهُ مِنْ تَكْذِبِهِ عَلَيْنَا * إِذَا قُلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَ

وقال آخر :

تَحْزَنُ سُفْيَانٌ وَفَرُّ بَيْنِهِ * وَأُمِّي شَرِيكَ مَرَّصَدًا لِلدَّرَاهِمِ
وقال آخر في شهر بن حوشب :

لَقَدْ بَاعَ شَهْرُ دِينِهِ بِحَرِيْطَةٍ * فَنَ يَأْمَنُ الْقُرَاءَ بِعَدْلِكَ يَا شَهْرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المال فسرق حريطة، ووافق رجلا من أهل الشام فسرق عينه . وقال ابن مآذر^(١٢) :

(١) هكذا وردت في الأصل ، وفي اللسان (ج ١ ص ٦٦) و(ج ٢٠ ص ٧١) ووردت في المجمل الأول من هذا الكتاب (ص ٦٨) : « قلت » .

(٢) في الأصل : « تكذبه » بالذال المعجمة والياء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان (ج ١ ص ٦٦ و ج ٢٠ ص ٧١ و ٧٢) وجاء في اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال ابن سيده : إنما أراد من تكذبه (أي من ضلاره وتكبره) فأبدل الحزنة إبدالا صحيحا حتى جعلها كأن موضوعها الياء كسر الراء والمجاورة هذه الياء المبدلة كما كان يكسرها لو أنها في موضوعها حرف طحة كقولك : تقضيا وتحتليا ، ولو قال : من تكذبه لكان صحيحا ، لأن قوله : تكذبه مفاعلة ؛ قال : ولا أدري لما فعل اللام . هذا مع تمام الوزن وخلوص تكذبه من هذا البطل الذي لا يجوز مثله إلا في الشعر ، اللهم إلا أن يكون اللام . هذا لنته البطل » .

(٣) في شرح القاموس مادة « نذر » مانعه : « وأبن مآذر بالفتح ممنوع من الصرف وبضم فيصرف قال الجوهري : هو محمد بن مآذر شاعر بصري فن فتح الميم منه لم يصره ويقول إنه جمع منذر لأنه محمد ابن المنذر بن المنذر بن المنذر ومن ضم حرفة » أ . وقد ورد ما يؤكده بأنه بالضم لا غير فقد جاء في جميع البلدان لما قوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة « ليدن ») مانعه : « ذكر المبرد أن محمد بن مآذر الشاعر كان إذا قيل ابن مآذر يفتح الميم بضم و يقول أمتاذر الكبرى أم مآذر الصغرى وهي كورتان من كور الأهواز ، إنما هو مآذر عل وزن مفاعل من تاذر يناذر فهو مآذر مثل ضارب فهو مضارب » وقد ورد في المشتبه في أسماء الرجال للذهبي (ص ٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا .

ومن يبلغ الوصاة فإن عندي • وصاة للكهول والشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عوف^(١) • ولا ترووا أحاديث ابن داب

عبد العزيز بن أبان عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال : طلبنا هذا الأمر
وما لنا فيه نية ، ثم إن النية جاءت بعد ؛ فقال سفيان : قال زيد بن أسلم : رأيتم
رجلا مديرا له فقال : اقطعوها سوف أجبرها . قبل لرقبة : ما أكثر شكك ! فقال :
محاماة عن اليقين . وقال بعضهم : سأل شعبة أيوب السخيتي عن حديث فقال :
أنا أشك ، فيه فقال : شكك أحب إلى من يقين سبعة .

حدثني زيد بن أنزيم قال : سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الأعشى يضم
كفيه ثم يضرب بهما صدره ويقول : اسكن .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثني بعض الرواة قال : قلت للشرقي بن^(٢)
قطامي : ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاهم ؟ فقال : لا أدري ، فأكذب
له ؛ فقلت : كانوا يقولون :

ما كنت^(٣) وكواكا ولا يزونك • رويدك حتى يبعث الحق بإئنه

وكواك : غليظ ، وزونك : قصير ؛ قال : فلذا أنا به يُمَلَّتُ به في المصورة يوم
الجمعة ؛ قال أبو نؤاس :

١٥

(١) ابن داب الذي يقصده الشاعر هو عيسى بن زيد كان يضع الحديث بالمدنية كما في تهذيب التهذيب
(ج ٩ ص ١٥٣) طبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) في الأصل « للشرقي بن القطامي » وما أئتمناه عن المشبه الذمعي وشرح القاموس والخلاصة .

(٣) ورد هذا البيت في لسان العرب في مادة « زنك » هكذا :

٢٠

ولست بوحكوك ولا يزونك • مكائك حتى يبعث الحق بأئنه

- (١) حَدَّثَنِي الْأَزْرُقِيُّ الْحَدَّثُ عَنْ * عمرو بن شعْر عن ابن مسعود
لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ غَيْرُكَافِرِهِ * وكافِرٍ فِي الْجَحِيمِ مَصْفُودٍ
- حَدَّثَنِي مِهْيَارُ قَالَ : حَدَّثَنِي هُدْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ شَقِيقِ الْبَلْخِيِّ أَنَّهُ أَطْرَى
يَوْمًا أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَرُوفٍ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ : لَا تُطْرِهِ بِمَرُوفٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَحْتَمِلُونَ
ذَلِكَ ؛ فَقَالَ شَقِيقٌ : قَدْ مَدَحَهُ مُسَاوِرُ الشَّاعِرِ فَقَالَ :
- إِذَا مَا النَّاسُ يَوْمًا قَامُوا * بَأْدَةٍ مِنَ الْفُتَيَّا ظَرِيفَةٍ
أَتَيْنَاهُمْ بِمُقْيَاسٍ صَحِيحٍ * بِلَادٍ مِنْ طِرَازِ أَبِي حَنِيفَةٍ
إِذَا سَمِعَ الْفَقِيهَ بِهَا وَهَامَا * وَأَتَيْتَابَا بِجَبْرِ فِي صَحِيفَةٍ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَجَابَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا :
- إِذَا ذُو الرَّأْيِ خَاصَمَ فِي قِيَاسٍ * وَجَاءَ بِبَذْعَةٍ هَنَاءٍ خَفِيفَةٍ
أَتَيْنَاهُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِيهَا * وَأَكْثَرَ مَبْرُورَةٍ شَرِيفَةٍ
فَكَمْ مِنْ فَرْجٍ مُحْصَاةٍ عَفِيفَةٍ * أَحِلَّ حَرَامَهُ بِأَبِي حَنِيفَةٍ
أَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ بَنَتْ صُلْبٍ * تَكُونُ مِنَ الزَّانَا عُرْسًا صَحِيفَةٍ
- سَمِعَ رَجُلٌ مُنَادِيًا يُنَادِي : مَنْ يَدُلُّنَا عَلَى شَيْخٍ ضَلَّ ؟ فَقَالَ : مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ
شَيْخٌ يُنَادِي عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ فَقَالَ : هَذَا شَيْخٌ ضَلَّ نَفْسَهُ بِيَدِهِ ؛
وَكَانَ يُشَرِّقُ قَوْلَ بَلْخَلْقِ الْقُرْآنِ .

الأهواء والكلام في الدِّير

- قَالَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِعَلِّ بْنِ مُوسَى الرِّضِيِّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : هِمَّ تَدْعُونَ هَذَا الْأَمْرَ ؟
قَالَ : بِقَرَابَةِ عَلِيٍّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِقَرَابَةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ فَقَالَ
(١) لَمْ تَجِدْ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ فِي دِيَارِهِ الْمَلْبُورِ بِمَرْسَةِ ١٨٩٨ م (٢) كَذَا فِي الْأَمَلِ بِمَعْنَى
« جَاهِدَهُ » وَلَهَا « خَافِرَةٌ » لِأَنَّهُ اخْتَفَرَتْهُ قَضَى الْبُهِدَ وَالْتَدَرَهُ وَهُوَ يَنْقُ وَالسَّيَاقُ .

النامون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القربة ففى خَلَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أهل بيته مَنْ هو أقرب إليه من على ، وَمَنْ هو فى القربة مثله ، وإن كان بقربة
فاطمة من رسول الله ، فإِنَّ الْحَقَّ بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعل فى هذا الأمر
حق وهما حيّان ، وإذا كان الأمر على ذلك ، فإن عليّاً قد أبرّهما جميعاً وهما حيّان
صحيحان ، وأستولى على^(١) على ما لا يجب له ؛ فإِذَا حَارَ على^(١) بن موسى نطقاً .

حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قَالَ مِمَّتِ الْأَصْحَمِيُّ يَنْشُد :

وإِنِّي لَا أَعْنِي النَّاسَ عَنْ مُتَكَلِّمٍ * يَرَى النَّاسَ ضُلَالًا وَلَيْسَ بِمُهْتَدِي

وَأَنْشُدْنِي أَيْضًا الرَّيَاشِيُّ :

وَعَاجَزُ الرَّأْيِ مِضْيَاغُ لِقَوْمَصِهِ * حَتَّى إِذَا قَاتَ أَمْرٌ عَابَ الْقَدْرَا

وقال آخر :

إِذَا عَمِرُوا قَالُوا مَقَادِيرُ قُدِّرَتْ * وَمَا الْعَارُ إِلَّا مَا تَجَرُّ الْمَقَادِيرُ

وَأَنْشُدْنِي سَهْلٌ عَنِ الْأَصْحَمِيِّ :

يَا أَيُّهَا الْمُضْمِرُ هَبْ لَا تُهْمُ * إِنَّكَ إِنْ تُهَذَّرَكَ الْحَى تُهَمُّ

وَلَوْ فَدَوْتَ شَاهِقًا مِنَ الْعِلْمِ^(٢) * كَيْفَ تَوَقِّيكَ وَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ

وَأَنْشُدْنِي غَيْرُهُ :

هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَيْسَنِي أَوْ قَدَّرَ * إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ

قال أبو يوسف : مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ تَزَيَّدَ ، وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمَاءِ

أَفْلَسَ ، وَمَنْ طَلَبَ غَرَائِبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ . كَانَ مُسْلِمٌ بَنُ أَبِي مَرْيَمَ — وَهُوَ

(١) مَا أَحَارَ نَظَقًا : مَا رَدَّ جَوَابًا .

(٢) الْعِلْمُ : الْجَهْلُ ، وَالشَّاهِقُ : مَا أَرْتَعَمَ مِنْهُ .

مَوْتُ لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ جُمِلَ عَنْهُ الْحَدِيثُ — شَدِيدًا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ، ^(١) غَائِبًا لَهُمْ وَلِكُلِّهِمْ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ فَتَرَكَهَا وَلَمْ يَجْبُرْهَا، فَكُفِّمْ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: يَكْبُرُهَا هُوَ وَأَجْبُرُهَا أَنَا! لَقَدْ عَانَدْتَهُ إِذَا. قَالَ رَجُلٌ لِهَشَامِ بْنِ الْحَكَمِ: أَتَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَعَدْلِهِ كَلَفْنَا مَا لَا نَطْلُقُ ثُمَّ يُعَذِّبُنَا؟ فَقَالَ هَشَامٌ: قَدْ وَاللَّهِ فَعَلَ، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ تَكَلِّمَ.

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ: صَاحَبَ رَجُلٌ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ مَجُوسِيًّا فِي سَفَرٍ فَقَالَ لَهُ الْقَدَرِيُّ: يَا مَجُوسِي، مَا لَكَ لَا تُسْلِمُ؟ قَالَ: حَتَّى يُشَاءَ اللَّهُ! قَالَ: قَدْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدُبُّكَ، قَالَ الْمَجُوسِيُّ: فَأَنَا مَعَ أَهْوَايَا.

اجْتَمَعَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ وَعْدًا وَأَوْعَدَ إِسَاءًا وَإِنَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو: أَنْتَ أَتَعْبَهُ! لَا أَقُولُ إِنَّكَ أَتَعْبَهُ اللِّسَانَ، وَلَكِنَّكَ أَتَعْبَهُ الْقَلْبَ! أَمَا تَعْلَمُ! أَنْ الْعَرَبَ تَعْبُدُ إِجْمَاعًا الْوَعْدَ مَكْرُمَةً، وَتَرْكُ الْإِقَاعَ الْوَعْدَ مَكْرُمَةً؟ ثُمَّ أُنْشِدَهُ:

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ * لَخُلُفْتُ لِإِسَادِي وَمَنْجِزُ مَوْعِدِي ^(٢)

(١) فِي الْأَمَلِ: «تَشْدِيدًا» . (٢) الْقَدَرِيَّةُ — مَحْزُوكَةٌ — جَاهِدُوا الْقُدْرَةَ وَهِيَ كَلِمَةٌ مَوْفُودَةٌ. قَالَ بَعْضُ مُتَكَلِّمِيهِمْ: لَا يَلْزِمُنَا هَذَا الْقَلْبُ لِأَنَّا نَنْفِي الْقُدْرَةَ عَنْ اللَّهِ مَنْ وَجَلَّ مِنْ أَتْيِهِ فَيُؤْمَلُ بِهِ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَهَذَا تَعْبُوه مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَشْتَرُونَ الْقُدْرَةَ لِأَنَّهُمْ، وَلِذَلِكَ سَمَوْا الْقَدْرَةَ (رَاجِعْ شَرْحَ الْقَامُوسِ). (٣) فِي الْقَدْرِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٥٥) «إِنْ أَدْنَى اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ كَانَ» وَهِيَ وَرِدَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي حَدِيثِ جَرَى بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَيْدٍ وَبَيْنَ مَجُوسِي رَكِبَ مَعَهُ سَفِينَةً بِصِغَةِ تَخَالَفٍ بَعْضُ الْمَخَالَفَةِ مَا هِيَ وَمَا فِي الْقَدْرِ الْفَرِيدِ (رَاجِعْ ص ٥١ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ رَقْم ٣٥٢ تَوْحِيدُ بَدَارِ الْكَلْبِ الْمَصْرِيَّة).

(٤) حِبْرَةُ تَخَابُ الْمُنِيَّةِ وَالْأَمَلِ فِي شَرْحِ تَخَابِ الْمَالِ وَالنَّصْلِ (ص ٤٧ طَبِيعَةُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الطَّائِمِيَّةِ بِمَجْدِ رِأْيَادٍ) وَرَدَّى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ [الْبَلْبَاقِي] نَظَرَ بِضَعْفٍ فِي الْإِدْبَاعِ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالزُّبَيْرِ حَاضِرَانِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ لَقِيَ عَمْرُو بْنَ حَيْدٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ، إِنَّكَ أَجْعَلِي، وَلَسْتُ بِأَجْعَلِي اللِّسَانَ، وَلَكِنَّكَ أَجْعَلِي الْفَهْمَ، إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا وَعَدَتْ أَعْجَزَتْ وَإِذَا أَوْعَدَتْ أَخْلَقَتْ؟ وَأُنْشِدَ: =

حبيب بن الشهيد قال : قال إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ : مَا كُنْتُ أَحَدًا بِمَقْلَى كَلَّةٍ إِلَّا صَاحَبَ الْقَدَرِ^(١) ؛ قلت : مَا الظُّلْمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ؟ قال : هُوَ أَنْ يَأْخُذَ الرَّحْلُ مَا لَيْسَ لَهُ ؛ قلت : فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ .

وفى كتاب الهند : اليقينُ بالقَدَرِ لَا يَمْنَعُ الْحَازِمُ تَوَقُّعَ الْمَهَالِكِ ، وليس على أحدٍ النَّظَرُ فِي الْقَدَرِ الْمُغَيَّبِ ، ولكن عليه العمل بالحَزْمِ ، ونحنُ نَجْمَعُ تَصَدِيقًا بِالْقَدَرِ وَأَخْذًا بِالْحَزْمِ .

حدثني خالد بن محمد الأزدی قال حدثنا شَبَابَةُ بْنُ مَسْوَارٍ قال : سَمِعْتُ رجلاً من الرافضة يقول : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا نُؤُوءَةَ ! فقلت : تَتَرَجَّمُ عَلَى رَجُلٍ يُجِيسِي قَتْلَ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! فقال : كَانَتْ طَعْمَتُهُ لِعُمَرَ إِسْلَامَهُ .

== و إِيْرَانُ أَوْصَلَهُ إِلَى الْبَيْتِ ، فقال أبو يعلى : إِنَّ أَيْعَاتَانَ أَجَابَهُ بِالْمُسْكَةِ ، قاله : إِنَّ الشَّاعِرَ قَدْ يَكْذِبُ وَيَصْدُقُ ، ولكن حدثني عن قول الله تعالى عن رجل : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) إِنَّ مَلَأَهَا أَتَقُولُ صَدَقَ ؟ قال : نَعَمْ ، قال : فَإِنَّ لَمْ يَلَأْهَا أَتَقُولُ صَدَقَ ؟ فَسَكَتَ أَبُو حَنِيفَةَ . (١) هُوَ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْخُلَّ فِي الذَّكَاءِ ، توفي رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . (٢) عبارة العقدة الفريدة : « كُنْتُ الْفَرْقَ كُلَّهَا بَيْنَ عَقْلِ ، وَكُنْتُ الْقَدَرِيَّ بِمَقْلَى كَلَّةٍ » فقلت له : دَعَاكَ لَهَا لَيْسَ لَكَ ظَلَمٌ مَا . قال : نَعَمْ ، قلت : فَإِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ »

(٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بأمير زيد بن علي ثم قالوا له : تَبَرَّأْ مِنَ الشَّيْئَيْنِ ، فَأَبَى وَقَالَ : كَانَا وَزَيْرِي جَدِي . فَرَكُوهُ وَوَضَوْهُ ؛ قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما نصه : « كَانَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ قَدْ بَايَعَهُ عَلَى إِمَامَتِهِ نَحْصَةُ شَرَفٍ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَنَزَحَ بِهِمْ عَلَى وَادِي الْعِرَاقِ وَهُوَ يُوسُفُ بْنُ حَمْرٍ التَّقِيُّ طَائِلُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْعِرَاقِيِّينَ ، فَلَمَّا اسْتَوَى الْقَتَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يُوسُفَ بْنِ حَمْرٍ التَّقِيِّ قَالُوا لَهُ : إِنَّا نَتَصَرَّكُ عَلَى أَعْدَائِكَ بِمَدَنٍ نَخْبِرُكَ بِأَيِّكَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرُ الْقَتَنِ طَلَبَا جَدَّكَ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ . فقال زيد : إِنِّي لَا أَقُولُ فِيهَا إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ فِيهَا إِلَّا خَيْرًا ، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ عَلَى ابْنِ أُمَيَّةَ الْقَرْنِ فَأَقَامُوا جَدِي الْحُسَيْنَ وَآثَارَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْحَرَّةِ ثُمَّ رَمَوْا بَيْتَ اللَّهِ بِحِجْرِ النَّجَافِيِّينَ وَالتَّارَ ، فَفَارَقُوهُ عِنْدَ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَمْ : وَفَضَحْتُونِي ، وَمَنْ يَوْمِظُ سَمُوا رَافِضَةً » .

حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا الأحمي قال أخبرني عاصم بن محمد
العمري قال: كنت جالساً عند أمير من أمراء المدينة فأتني رجل شتم أباً بكر وعمر
فأسلمه فجاءا حتى حنق .

وقال بعض شعراء الرافضة في محمد بن الحنفية ^(١) :

ألا قل للوصي قد نكس * أطلت بك الجبل المقام ^(٢)
أضر بمشير والوك منا * وسموك الخليفة والإمام
وعادوا فيك أهل الأرض طراً * مقامك عنهم ستين عاماً
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بؤريق شبيب رضوى ^(٣) * تراجع الملائكة الكلاما ^(٤)

وقال كثير عزة فيه وكان رافضياً يقول بالرجعة :

ألا إن الأئمة من قریش * ولأه الحق أربعة مواء
عل والثلاثة من بنيہ * هم الأمباط ليس بهم خفاء
فيسبط سبط إيمان وير * ويسبط غيبته كربلاء

(١) هو السيد الحيري، كما ذكر صاحب الأغاني (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو

أبر القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحنفية أمه، وهي خولة بنت جعفر بن قيس، وليل
بل كانت من سبي الإمامة وصارت إلى علي، وقيل بل كانت سندية سوداء وكانت أمة لبي خنيفة ولم تكن
منهم، إلى آخر ما ذكر ابن خلكان؛ توفي رحمه الله في أول الحزم سنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٣ هـ ودفن
بالقيع، وقيل دفن ببلاد أيلة . (٣) هو جليل رضوى، وكان قوم من القاهنن بإمامة محمد بن الحنفية
يزعمون أنه سمى لم يمت وأنه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من النسل يأخذ منهما رزقه، وعين
فيه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائهم إلى وقت ترويه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفي الأصل : « وادرك » .

(٥) كذا في الأصل، ومثله في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) وفي الفرق بين الفرق : « يجرى » .

(٦) في الأصل « الكراما » وما أثبتناه عن الأغاني .

وَسَبْطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى * يَقُودَ الْخَلِيلَ يَمْلِكُهَا النَّوَاءُ
تَغِيَّبُ - لَا يُرَى - عَنْهُمْ زَمَانًا * بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

وهم يذكرون أنه دخل شعباً باليمن في أربعين من أصحابه فلم ير لهم أثر.

قال طلحة بن مُصَرِّفٍ لرجل : لولا أنى على وضوءٍ لأخبرتك بما تقول الشيعة .

قال هارون بن سعد السجلى وكان رأس الزيدية :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرَّافِضِينَ تَهَرَّقُوا * فَكَلَّهِمْ فِي جَفَرٍ قَال مُنْكَرًا
فَطَائِفَةٌ قَالُوا إِلَهُ^(١) وَمِنْهُمْ * طَوَائِفُ تَمْتَنُ النَّبِيَّ الْمُطَهَّرَا
فَإِنْ كَانَ يَرْضَى مَا يَقُولُونَ جَعْفَرُ * فَأَنَّى إِلَى رَبِّي أَتَارِقُ جَعْفَرَا
وَمَنْ تَجِبَ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدُ جَفَرِهِمْ * بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِمَّنْ تَجَفَّرَا
بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رَافِضٍ * بِصَبْرِ بَابِ الْكُفْرِ، فِي الدِّينِ أَعُورَا
إِذَا كَفَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ بَدْعَةِ مَضَى * عَلَيْهِمْ وَإِنْ يَمْضُوا عَلَى الْحَقِّ قَصْرَا
وَلَوْ قَالَ إِنْ الْفِيلُ ضَبَّ لَصَدَّقُوا * وَلَوْ قَالَ زَيْنُيْ تَحْمِلُ أَحْمَرَا
وَأَخْلَفَ مِنْ بَوْلِ الْبَعِيرِ فَإِنَّهُ * إِذَا هُوَ لِلْإِقْبَالِ وَجْهٌ أَدْبَرَا
فَقُبِّحَ أَقْسَامُ رَمَوْهُ بِغُرْبَةٍ^(٢) * كَمَا قَالَ فِي عَيْبِ الْفِرَى مِنْ تَصَرَّا

١٥ (١) في الأصل «إمام» وما أبتناه من كتاب «الفرق بين الفرق» ويستأنس له بما جاء في كتاب المال والنمل للبهزستاني (ص ١٣٦) طبع ليبس سنة ١٩٢٣ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبي زهير الأجدع) أن الأئمة أنبياء ثم ألهة وقال بأهمية جعفر بن محمد وأهمية آباءه وهم أبناء الله وأحباؤه .»

(٢) في كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأعيان أن الخطابية زعمت أن جعفرا الصادق قد أوردتهم جلدا فيه علم كل ما يحتاجون إليه من النبيب وسما ذلك الجلد جفرا، وزعموا أنه لا يقرأ

ما فيه إلا من كان منهم» اهـ

(٣) في الأصل «قول» وله تحريف من الناصح .

(٤) وفي الأصل «خيرية» وهو تحريف .

سمعت بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل للشعر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بكذب من بني تميم ! زعموا أن قول القائل :
يَلْتُ، زُرَّارَةٌ مُحْتَبٌ بِفَنَّاكِهِ * وَجُشَاعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ

إنما هو في رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرَّارَةُ
المجر ؛ قيل له : فجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء ؛ قيل له : فأبو الفوارس ؟
قال : أبو قُبَيْسٍ ؛ قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشد ، وفكر ساعة ثم قال : نعم ،
نهشل ! مصباح الكعبة طويلاً أسود فذاك نهشل ! .

قال أعضي همدان يذكر قتل الرافضة الناس :

إِذَا سِرَتْ فِي عِجَلٍ نِسْرٌ فِي مَحَابَةِ * وَكِنْدَةَ فَاحْرَهَا حِجَارَكَ لِقَسْفِ
وَفِي شَيْبَةِ الْأَعْمَى زِيَادٌ وَغِيلَةٌ * وَلَسْبَ وَإِعْمَالٌ لِحَنْدَلَةَ الْقَذْفِ
الاعشى هو المنيرة . وزیاد یعنی انلحق . واللسب : السم ؛ وإعمال لحندلة القذف :
يريد رخصهم رهوس الناس بالحجارة . ثم قال :

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف في كثير من النسخ
تنبها هنا لوضوحها ، ونصها : « قال الشعبي » : ما شئت تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل
مضروب من بني غزرم من أهل مكة وجدته قاعداً بفناء الكعبة ، فقال لشعي : ما عندك في تأويل هذا
البيت ؟ فإن بني تميم يغلطون فيه يزعمون أنه ما قيل في رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :

يَلْتُ زُرَّارَةٌ مُحْتَبٌ بِفَنَّاكِهِ * وَجُشَاعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ
(ونظائر تحريفه) قللت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هذا البيت ، وأشار بيده إلى الكعبة .
وزرارة : المجر زرد حول البيت ؛ قللت له : فجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء . قلت : فأبو الفوارس ؟
قال : هو أبو قُبَيْسٍ رجل مكة . قلت : فنهشل ؟ فذكر فيه طويلاً ثم قال : أمهته ، هو مصباح الكعبة
طويلاً أسود وهو النهشل . (٢) الأحبا ، هو أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه يشرب بيمينهما به
مع ظهره ويشده عليهما . (٣) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل « الجبي » وهو تحريف .
(٤) في كتاب الحيوان لما حظ (ج ٦ ص ١٢٩) « خناق » . (٥) يقال : قتله غيلة إذا خدعه
فلقب به إلى موضع قتله .

وَكُلُّهُمْ شَرٌّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ^(١) رَأْسُهُمْ * حَمِيدَةٌ وَالْمِثْلَاءُ حَاضِنَةُ الْكِسْفِ ^(٢)
وَالْكِسْفُ هَذَا هُوَ أَبُو مَنْصُورٍ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: فِي زَرْكِ: (وَإِنْ
يَبْرَأُ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا) وَكَانَ يَدِينُ بِحَقِّ النَّاسِ وَقَتْلِهِمْ. ثُمَّ قَالَ:
مَتَى كُنْتُ فِي حَقِّي بِجَمَلَةٍ فَأَسْتَجِيبَ * فَإِنَّ لَمْ قَصِفًا يَدُلُّ عَلَى حَتِفٍ
كَانَ الْمَغِيرَةُ بَجَلًا مَوْلَى لَهُمْ
إِذَا أَعْتَمُوا يَوْمًا عَلَى قَتْلِ زَائِرٍ * تَدَاعَوْا عَلَيْهِ بِالْبُتَّاحِ وَالْعَزُوفِ ^(٣)
وَكَانَ أَبْنُ عَجِينَةَ يَنْشُدُ:
إِذَا مَا سَرَّكَ الْعَيْشُ * فَلَا تَأْخُذْ عَلَى كَيْدِهِ ^(٤)

يريد أن الخلق من المنصورة أكثرهم بالكوفة من كنفه، منهم أبو قطبة
الخنفاق.

١٠

- (١) في الأصل «رأس» وما أبتناه عن كتاب الحيوان لمجاظ (ج ٦ ص ١٣٠). (٢) حميدة كانت من أصحاب ليل الناطلة ولها رئاسة في الغاية (الفرقة الرابعة من مذهب الشيعة) والغاية هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أنرجحهم من حدود الخلقية وحكوا بهم بأحكام الإلهية. (راجع الملل والنحل ص ١٣٢ طبع ليبسج، والحيوان ج ٦ ص ١٣٠، ومفتاح العلوم لمخوارزى ص ٣٠ طبع أوربا).
- (٣) الميلاء حاضرة أبي منصور العجل، صاحب المنصورة الذين استعملوا خلق مخالفهم. (٤) هو أبو منصور العجل أحد الذين آذوا الإمامة، وزعم أنه عرج به إلى السماء ورأى مبعده فسح يده رأسه وقال له: يا بني، انزل فبلغني، ثم أهبطه إلى الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء. وقد وصف يوسف بن عمر الثقفي والى العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته وغيبته دعوته فأخذه وصلبه (راجع الملل والنحل ص ١٣٦). (٥) قال صاحب كتاب الحيوان: (ج ٦ ص ١٣٠): «وذلك أن الخنفاقين لا يسيرون إلا معاً ولا يقيمون في الأمصار إلا كذلك، فإذا غزم أهل دار على خلق إنسان كانت الصلاة بينهم الضرب على دَفٍّ أو طبل على ما يكون في دور الناس، وعندهم كلاب مرتبطة، فإذا تجاوزوا بالعزف لينتفى الصوت ضربوا تلك الكلاب فتبعته، وربما كانت منهم معلم يُؤدَّب في الحرب، فإذا سمع تلك الأصوات أمر الصياد برفع الهبالة والقراءة والحساب» اهـ. (٦) في كتاب الحيوان «تمرد».
- (٧) كانت دار أبي قطبة الخنفاق بالكوفة في كتفة وقد قتل وصلب (راجع الحيوان ج ٦ ص ١٢٩).

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن أبي زائدة قال: قال هشام بن القاسم:
أخذ خالد بن عبد الله المغيرة فقتله وصلبه بواسط عند منقرة العاشر، فقال الشاعر:
طال التجاور من بيان واقفا * ومن المغيرة عند جذع العاشر
ياليتي قد شال جذعا تحلّة * بأبي حنيفة وآبن قيس الناصر
وبيان هذا هو بيان التبان وكان يقول: إلى أشار الله إذ يقول: ﴿هَذَا بَيَانٌ
لِّلنَّاسِ﴾ وهو أول من قال بخلق القرآن.

(١) في الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (رابع الطبري ص ١٦١٩ - ١٦٢١ ج ٦ من القسم
الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م،
والكامل للبدج ص ١ طبع ليسج سنة ١٨٦٤ م).

(٢) واسط: اسم مدينة بالعراق أخطأها الجليج بن يوسف في سنتين.
(٣) المنقرة: الموضع الذي ينظر منه وقد ينطب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق
وفيه: اختلها الجليج بن يوسف بن قزوين واسط، وكان إذا دخن أهل قزوين دخت المناظر إن
كان تباروا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (رابع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليسج).

(٤) هويان بن صمان التميمي الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه
وأنه يخفى كله إلا وجهه، وتأول على زعمه قوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ خَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) وقوله تعالى:
(كُلٌّ مِنْ عِلْمِهَا قَاتَنٌ وَبَيْنَ وَجْهِهِ رَبُّكَ) وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم، وأنه يهزم به الساكر، وأنه يدعو
به الزهرة فتجبه، رُفِعَ خبره إلى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق فأحتال عليه حتى
ظفريه وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له: إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرف فأهزم به أعوانك
(رابع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ - ٢٢٨ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن
سنة ١٨٧٠ م).

(٥) هو الخمية بن سعيد البجلي زعم أنه هو المهدي المنتظر، وزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج
من نور وله أعضاء وتلقب تبع الحكمة، وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء، سمع خالد بن عبد الله
القسري بخبره، فسلطه عليه وقتله سنة ١١٩ هـ (رابع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والمثل والنحل
ص ١٣٤ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م).

(٦) التبان: بائع التبن.

وأما المغيرة فكان مولى لبجيلة وكان سبائياً وصاحب نيربجات . قال الأعمش :
قلت للمغيرة : هل كان عليُّ يُحِبُّ الموتى ؟ فقال : لو شاء لأحياَ عاداً وقرؤاً بين
ذلك [كثيراً] .^(٣)

بلغني عن أبي عاصم عن إسماعيل بن مسلم المكي قال : كنت بالكوفة فإذا قوم
من جيرانى يُكثرون الدخول على رجل ، فقلت من هذا الذى تدخلون عليه ؟ فقالوا :
هذا عليُّ بن أبي طالب ، فقلت : أَدخلونى معكم فضيئت معهم وخبأت مى سوطاً
تحت ثيابى فدخلتُ فإذا شيخ أصلم بعلين ، فقلت له : أنت عليُّ بن أبي طالب ؟
فأولماً برأسه : أى نعم ، فأخرجتُ السوطَ فا زلتُ أَقنعه وهو يقول : لتاوى لتاوى ،
فقلتُ لهم : يا فسقة ! عليُّ بن أبي طالب نبطيٌّ ! ثم قلتُ له : ويلك ! ما قصتُك ؟^(٤)

- (١) فى الأصل « سبائيا » [يابن موحّد ينهأ ألف] وفى مفتاح العلوم لخوارزمى (ص ٣١
طبع أوربا) « السبائية » وكذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة « سبأ » وهم أتباع
عبد الله بن سبأ (صاحب السبائية) الذى غلا فى عليّ رضى الله عنه ، وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى
زعم أنه الله ، ودعا إلى ذلك قوماً من غرابة الكوفة ، وذهب بعضهم فى عليّ مذهب النصارى فى المسيح ، وفيهم
يقول السيد الجهرى :

- قوم ظلّوا فى عليّ لا أبالمسّم * وأجسروا أئمتنا فى حبه تما
قالوا هو الإبن جل الله خلقنا * من أن يكون له أبن أو يكون أباً
رُفِعَ خبرهم إلى عليّ رضى الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم فى حُفرتين حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :
لترم فى الحوادث حيث شئت * إذا لم ترم ينى فى الحفرتين

- ثم إن علياً رضى الله عنه خاف من إلقاء الباقين منهم ثمّة أهل الشام وعاف اختلاف أصحابه عليه فعزى
أبى سبأ إلى سباط المذاهب (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والمثل والصل ص ١٢٢ والعقد الفريد ج ١
ص ٢٦٧) . (٢) النيربجات : أخذ كالسحر ليست بحقيقته إنما هى تشبه وتليس (مترجمة) .
(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)
(٤) يقال : قَتَعَ رأسه بالسوط : علا به .
(٥) النبطى : نسبة إلى النبط وهم قوم من الأماجم يتولون سواد العراق .

قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أنا رجلٌ من أهل السَّوَادِ أَخَذَنِي هَؤُلَاءِ فَقَالُوا : أنت على-
ابن أبي طالب .

حدثني رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هشامُ بن الحَكَمِ على بعض [الولاة] ^(٢٣)
العباسيين فقال رجل للعباسي : أنا أَقْرَبُ هشامًا بأن عليًّا كان ظالمًا ، فقال له : إن
فعلت ذلك فلك كذا ؛ فقال له : يا أبا محمد ، أما علمت أن عليًّا نازع العباسَ إلى
أبي بكر؟ قال : نعم ، قال : فأيهما كان الظالم لصاحبه ؟ فتوقف هشامُ وقال : إن
قلت العباسَ خُفَّتِ العباسيَّةُ ، وإن قلت عليًّا ناقضتُ قولي ، ثم قال : لم يكن
فيهما ظالمٌ ، قال : فيختصم آثان في أمر وهما مُحِقَّانِ جميعا ؟ قال : نعم ، أختصم
الملُكُكُن إلى داوودَ وليس فيهما ظالمٌ إنما أرادوا أن يُنْهَاهُ عن ظلمه ، كذلك أختصم
هذان إلى أبي بكر يُعرِّفاه ظلمه [فأسكت الرجل وأمر الخليفة هشام بصلته] .

قال حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما :
تَلَاثَةٌ بَرَزُوا بِسَبْقِهِمْ * نَضَرَهُمْ رِيْهَمٌ إِذَا تُسِرُوا ^(٢٤)
عَاشُوا بِلاَ فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ * وَأَجْتَمَعُوا فِي الْمَمَاتِ إِذْ قُبِرُوا
فليس من مُسْلِمٍ له بَصَرٌ * يُنْكِرُ مِنْ فَضْلِهِمْ إِذَا ذُكِرُوا

(١) السواد : قرى العراق . (٢) ورد هذا الخبر في العقد الفريد باختلاف في بعض الكلمات
لا يخرج منه من المعنى المراد هنا (راجع ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزيادة حسب العقد الفريد
(ج ١ ص ٢٧٠) . (٤) في العقد الفريد : « الخليفة » . (٥) الملُكُكُن هما اللذان بينهما الله
تعالى إلى داود عليه السلام في صورة إنسانين ؛ وهذه القصة وردت في القرآن الكريم في سورة «ص»
في قوله تعالى : (إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ سَبْعُ مِائَةٍ وَفِئْتُونَ نَجِيَّةٌ . (الآية) وشرحها المنصورون . (٦) الزيادة عن
العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٧) نَضَرَهُمْ رِيْهَمٌ : تمهم وحسنهم . (٨) هذه الأبيات
لم ترد في ديوانه المطبوع بمدينة لندن سنة ١٩١٠ م ولا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية
تحت رقم ٦ أدب ش ولا في ترجمته بالأغاني (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طبع بولاق) ولا في كتب الأدب التي
تحت أيدينا .

وقال أصرابي لعبد الله بن عمر :

إليك ابن خير الناس إلّا محمداً * وإلا أبا بكرٍ نروحُ ونفتدي

وقال أبو طالب في سهيل بن بيضاء، وكان أسيراً فاطقه رسول الله صلى الله عليه

وسلم بغير فداء، لأنه كان مسلماً مكرهاً على الخروج :

وهم رجعو أسهل بن بيضاء راضياً * وسر أبو بكرٍ بها ومحمد

وقال عبيد الله بن عمر :

أنا عبيدُ الله يميني عمر * خيرُ فرّيشٍ من مضى ومن غير

بعد رسول الله والشيخ الأقر * مهلاً عبيد الله في ذاك نظر

وقال حسان بن ثابت يرثي أبا بكرٍ رضي الله عنه :

إذا تدكرت عجوا من أحي ثقة * فأذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا

خير البرية أفضاها وأعدلها * بعد النبي وأولها بما حملا

والثاني الصديق المحمود مثبته * وأول الناس منهم صدق الرسل

وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا^(١)

حدثني مهتار الرازي قال : قال جرير بن نملة : حصرت شيطاناً مرة فقال :

أرفق بي فإني من الشيعة ، فقلت : فمن تعرف من الشيعة ؟ قال : الأعمش ،

نفليت سبيله . قال أبو هريرة السجلى - لمحمد بن علي بن الحسين عليهم السلام :

أبا جعفر أنت الولي أحبه * وأرضى بما ترضى به وأتابع

أنتنا رجالٌ يحملون عليكم * أحاديث قد ضاقت بين الأضالع

أحاديث أفضاها المفيرة فيهم * وسر الأمور المحدثات البدائع

(١) ورد في الأصل «الثاني الثاني ... الخ» وما أثبتناه من ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيها بطله هذا البيت :

عاش حمداً لأمر الله حيا * يهدي صاحبه المأخى رداً أعفلا

حدّثني هارونُ بنُ موسى عن الحسن بن موسى الأشيب عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال عمرُ بن عبد العزيز : مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْغُصُومَاتِ أَكْثَرَ النَّفْلِ . قال :

ماضِرٌّ مَنْ أَصْبَحَ الْمَامُونُ سَائِسَهُ * إِنْ لَمْ يَسْسَهُ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ

الرد على الملحدين

قال بعض الملحدين لبعض أصحاب الكلام : هل من دليل على حدوث العالم؟^(١)
[قال : الحركة والسكون] فقال : الحركة والسكون من العالم ، فكأنك إذا قلت :
الدليل على حدوث العالم ؟ فقال له : وسؤالك إياي من العالم ، فإذا جئت
بمسئلة من غير العالم جئتك بدليل من غير العالم .

قال المأمون لثنوي يناظر عنده : أسألك عن حرفين قط ، خبرني : هل ندم^(٢)
مسيء قط على إساءته ؟ قال : بلى ، قال : فالتنم على الإساءة إساءة أو إحسان ؟
قال : بلى إحسان ؛ قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : بل هو الذي
أساء ؛ قال : فارى صاحب الخير هو صاحب الشر ، وقد بطل قولكم ، إن الذي ينظر
نظر الوعيد هو الذي ينظر نظر الرحمة ؛ قال : فإني أزعجك أن الذي أساء غير الذي
ندم ؛ قال : فتنبه على شيء كان من غيره أو على شيء كان منه ؟ فاستكته .

(١) في الأصل « حدث » . (٢) زيادة يقتضيا السياق .

(٣) الثنوي واحد التوبة وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان
بجلاف الميوس فإنهم قالوا بمحدث الظلام وذكروا سبب حدوثه ؛ وهو لا ، قالوا بتساوي القدم واختلافهما
في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) .

(٤) كذا في الأصل . وفي الحيوان الجاحظ (ج ٤ ص ١٤١) « فقط » وصارفة المقصد الفريد
(ج ١ ص ٢٥٥) « عن حرفين لا أزيد طبعيا » .

- (١) دخل الموبد على هشام بن الحكم فقال له : يا هشام ، حول الذنب شيء ؟
قال : لا ، قال : فإن أخرجت يدي فم شيء يردّها ؟ قال هشام : ليس ثم شيء
يردك ، ولا شيء يخرج يدك فيه ؟ قال : فكيف أعرف هذا ؟ قال له : يا موبد ،
أنا وأنت على طرف الذنب فقلت لك يا موبد : إنى لا أرى شيئاً ، فقلت لى :
ولم لا ترى ، فقلت لك : ليس هاهنا ظلامٌ بمعنى ، قلت لى أنت : يا هشام
إنى لا أرى شيئاً ، فقلت لك : ولم لا ترى ؟ قلت : ليس ضياءٌ أنظر به ، فهل
تكافئ المتكافئ فى التناقض ؟ قال : نعم ، قال : فإذا تكافأت فى التناقض لم تتكافأ
فى الإبطال أن ليس شيء ؟ فأشار الموبد بيده أن أصهت . ودخل عليه يوماً آخر
فقال : هما فى القوة سواء ؟ قال : نعم ، قال : فجوهرهما واحد ؟ قال الموبد لنفسه
— ومن حضر يسمع — إن قلت : إت جوهرهما واحد طناً فى نعت واحد ، وإن
قلت : مختلف مختلفا أيضاً فى المسم والإرادات ولم يتحققا فى الخلق ، فإن أراد
هنا قصيراً أراد هنا طويلاً ، قال هشام : فكيف لا تسلم ! قال : هيأت !

- (١) الموبد : فقيه الفرس وحاكم الخوارج كفاً من القضاة السليبي . (٢) فى الأصل :
« هشام بن عبد الحكم » زيادة « عبد » وهو خطأ . وهشام بن الحكم صاحب « المشامية »
كان من مشايخ الرافضة . زعم أن عبوده جسم ذو نية ، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل
عرشه مثل عمقه ، ولم يثبت طولاً غير الطويل ولا عرضاً غير العريض ، وقال : ليس ذهابه فى جهة الطول
أزيد على ذهابه فى جهة العرض . وزعم أيضاً أنه نور سامع يتلأ كالسيكة الصافية من القضة وكالفلوة
المستديرة من جميع جوانبها . وزعم أيضاً أنه ذلولون وطعم ورائحة وجمعة ، وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو
رائحته ، ورائحته هى جمته . ثم قال : قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحرك لحدث مكانه
بحركته فصار فيه ، ومكانه هو العرش . (انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٨ — ٥١ والمثل والمثل
ص ١٤١ — ١٤٢ وكتاب الانتصار فى الرد على ابن الروندى لفياط المعلى ص ٦٠ ، ٤٠ — ٤١ ، ٦٠
طبع مطبعة دار الكتب المصرية ، ومفاتيح العلوم لخواجزي ص ٢٧)

وجاءه رجلٌ مُلجِد فقال له : أنا أقول بالاثنتين وقد عَرَفْتُ إِنْصَافَكَ فَلَسْتُ أَخَافُ مُشَاغِبَتَكَ ؛ فقال هِشَامٌ وهو مشغول بِثَوْبٍ يَنْشُرُهُ ولم يُقِيلْ عليه : حَفِظَكَ اللَّهُ ، هل يُقَدِّرُ أَحَدُهَا أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا لَا يَسْتَعِينُ بِصَاحِبِهِ عَلَيْهِ ؟ قال : نعم ؛ قال هِشَامٌ :^(١) فما تَرَجُّو من أَكْثَرِين ! واحدٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْمَقُ لَكَ ! فقال : لم يُكَلِّمْنِي بهذا أَحَدٌ قَبْلَكَ .

- ٥ قال المأمون لمرثد^(٢) إلى النصرانية : خَبَرْنَا عن الشيء الذي أَوْحَشَكَ من ديننا بعد أَنَسِكَ بِهِ وَأَمْتِيحَاتِكَ مِمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ عِنْدَنَا دَوَاءَ دَائِكَ تَعَالَجْتَ بِهِ ، وَإِنْ أَخْطَأَ بِكَ الشِّفَاءُ وَتَبَّأَ عَنْ دَائِكَ الدَّوَاءُ كُنْتَ قَدْ أَعْزَرْتَ وَلَمْ تَرْجِعْ عِلَّ فَهْسِكَ بِلَا مَنَّةٍ ، وَإِنْ قَتَلْنَاكَ قَتَلْنَاكَ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ ، وَتَرْجِعْ أَنْتَ فِي فَهْسِكَ إِلَى الْأَسْتِصَارِ وَالْفَقَةِ وَتَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تُقَصِّرْ فِي أَجْتِهَادٍ وَلَمْ تُهْرَطْ فِي الدَّخُولِ مِنْ بَابِ الْحَزْمِ ؛ قَالَ الْمُرْتَدُّ :
 ١٠ أَوْحَشَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ كَثَرَةِ الْأَخْتِلَافِ فِيكُمْ ؛ قَالَ الْمَأْمُونُ : لَنَا اخْتِلَافَانِ : أَحَدُهُمَا كَالْأَخْتِلَافِ فِي الْأُذُنِ ، وَالتَّكْيِيرِ فِي الْجَنَائِزِ ، وَالتَّشْهَدِ ، وَصَلَاةِ الْأَعْيَادِ ، وَتَكْيِيرِ التَّشْرِيقِ ، وَوُجُوهِ الْقِرَامَاتِ ، وَوُجُوهِ الْقُبَا ، وَهَذَا لَيْسَ بِاخْتِلَافٍ ، إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيرٌ وَسَمْعَةٌ وَتَخْفِيفٌ مِنَ الْمِحْنَةِ ،^(٣) فَمَنْ أَدَّانَ مَتْنِي وَأَقَامَ مَتْنِي لَمْ يَخْطِئْ مِنْ أَدَّانَ مَتْنِي وَأَقَامَ فُرَادَى ، وَلَا يَتَعَارُونَ بِذَلِكَ وَلَا يَتَمَيَّيُونَ ، وَالْأَخْتِلَافُ الْأَنْرُكُ حَوَاجَةُ اخْتِلَافِنَا فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ كِتَابِنَا ، وَتَأْوِيلِ الْحَدِيثِ مَعَ أَجْتِمَاعِنَا عَلَى أَصْلِ التَّنْزِيلِ وَاتِّفَاقِنَا عَلَى مَعْنَى الْخَبَرِ ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَوْحَشَكَ هَذَا حَتَّى أَتُكِّرْتَ هَذَا الْكَلَامَ ، فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ بِمَجْمَعِ الثَّوَرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مُتَّفَقًا عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا يَكُونُ مُتَّفَقًا عَلَى تَرْجِيهِ ، وَلَا يَكُونُ

(١) ورد في العقد القريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لا مع هشام بن الحكم.

(٢) عبارة العقد القريد (ج ١ ص ٢٥٥) «قال المأمون لمرثد الخراساني الذي أسلم على يديه ووجهه

مسه إلى العراق فارتد عن الإسلام : أخبرني... الخ » وقد ورد فيه هذا الخبر بزيادة عن الأصل مع

اختلاف في العبارة . (٣) كذا في الأصل . وفي العقد القريد : «السهة» .

- بين جميع اليهود والنصارى اختلافٌ في شيء من التأويلات ؛ وبنيى لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها ؛ ولو شاء الله أن يُترِلَ كُتِبَهُ وَيَعْمَلَ كَلَامَ أنبيائه وورثته رُسُلِهِ لا يحتاج إلى تفسير لقول ، ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا دُفِعَ إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لَسَقَطَتِ الْبَلَوَى وَالْحَصَةُ ، وَهَبَتْ المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضلٌ ، وليس على هذا بنى الله الدنيا . قال المرتد :
- أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن المسيح عبدٌ ، وأن محمداً صادقٌ ، وأنت أمير المؤمنين حقاً .

الإصراب واللحن

- حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : سمعتُ مؤلفاً لآلِ عُمر بن الخطاب يقول :
- أَحَدُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ رَجُلًا كَانَ يَرَى رَأَى الْخَوَارِجِ رَأَى شَيْبٍ ، فَقَالَ لَهُ :
- أَلَسْتَ الْفَائِلُ :
- وَمِنَّا سُوَيْدٌ وَالْبَطِينُ وَقَعْتَبٌ * وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبٌ^(١)
- فقال : إنما قلتُ : « وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبٌ » بالنصب ، أى يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَصْرَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ .

- (١) هو شبيب بن يزيد الخارجي صاحب الشيعة ، كان من أصحاب صالح بن سرّح التيمي ثم قول الأمر بعده على جندته وبأيمه أتباعه إلى أن خالف صالحاً في شيء واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمرهم وتزوجت على مخالفتهم . وزعموا أن غزاة شبيب كانت الإمام بعده قتل شبيب إلى أن قُتِلَتْ ، وأُستدلوا على ذلك بأن شيئاً لما دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرة أقام أنه على منبر الكوفة حتى خطبت .
- كان من أهل القوة البالغة والبأس الشديد والمعرفة التامة بأمر الحروب ؛ استمر على جرش الحجاج الكثيفة وكبار قوادها بمصر تدبره ؛ وكان يصيح في جنات الجيش فلا يلقى أحد على أحد . وفيه يقول الشاعر :

إن صاح يومها صحت الصغر منعدلاً * والريح طامسة والموج يطمح .

حدثني عبد الله بن حيان قال : كتب ربيع بن سلمة المعروف بدماد إلى أبي عثمان النخعي :

تَفَكَّرْتُ فِي النَحْوِ حَتَّى مَلَيْتُ وَأَتَيْتُ نَفْسِي بِهِ وَالْبَدَنُ
وَأَتَيْتُ بَعَثًا وَاصْحَابَهُ * بطول المسائل في كل فن
[فإن عليه ظاهر يث * ومن علمه غامض قد بكن]^(٣)
فكنتُ بظاهره عليًا * وكنتُ بباطنه ذًا فطرب
خلا أرتُ بابًا عليه العفا * ءُ للفناء ياليتَه لم يكن
وللواو بابٌ إلى جنِّيه * من المقت أحبه قد لمن
إذا قلتُ هاتوا ما ذا يُقال لستُ بآتيك أو تأتين
أجيئوا لما قيل هذا كذا * على النصب قالوا لإضمار أن^(٤)

== وسويد بن سلم ، والبطين بن قنبح ، وقنبح بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شبيب وقادة جندته وأهل الرأي فيهم . يزلون إلى الهجاء في شجاعة الأسد ، وبأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومروق السهم ، واقتضاض النسر ، وألثاب النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والفتن على أعمالها ، ومآم الخيرة بمجملها ومكائدها . (راجع أخبار شبيب والخوارج في الكامل لأبن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ — ٣٥٠ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٦٩ والقصد الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ — ٩٢ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٨١ — ٩٧٥ من القسم الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٥ وملخص تاريخ الخوارج للرحوم الأستاذ الشيخ محمد شريف سليم طبع مصر سنة ١٩٢٤ م) .

(١) في الأصل : « غسان بن ربيع » وما أشتبهه من أمالي القتال (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة دار الكتب المصرية . والكامل للبرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليسج سنة ١٨٦٤ م وكنيته « أبو غسان » كما في القصد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

(٢) في أمالي القتال (ج ٣ ص ١٨٦) : « يعني يكرأ عثمان المازني » فبلغ ذلك المازني فقال : والله ما حسب أنه سألني قط فكيف أتيتني » . (٣) الزيادة من أمالي القتال (ج ٣ ص ١٨٦) .

(٤) رواية القتالي في أماليه : إذا قلت هاتوا لما قيل هذا * قلت بآتيك أو تأتين

(٥) رواية القتالي في أماليه : بما نصيره أيسوه لي * فقالوا جيبا بإضمار أن

[وما إن رأيتُ لها موضعا * فأعرف ما قيل إلا يظنُّ
فقد خُفَّتْ يَأْكُرُّ مِنْ طُولِ مَا * أَفَكَّرَ فِي أَمْرِ «أَنْ» أَنْ أُجِنُّ]

قال ابن سيدي : ما رأيتُ على رجل أحسن من قصّاحة ، ولا على امرأة أحسن من تخم .

- وقال ابن شبرمة : إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، ويصغر في عينك من كان في عينك عظيما فعلم العربية ، فإنها تُجريك على المنطق وتُدريك من السلطان . ويقال : النحو في العلم بمنزلة الملح في الفسرد والرائك في الطيب . ويقال : الإعراب حلية الكلام ووُشيه . وقال بعض الشعراء :

النحو يسطو من لسان الألكني * والمرء تكرمه إذا لم يلحرن

- وإذا طلبت من العلوم أجلتها * فأجلها منها مقيم الألسن

قال رجل لأعرابي : كيف أهلك بكسر اللام ؟ - يريد كيف أهلك - فقال الأعرابي : صلبا ؛ ظن أنه سألته عن هلكته كيف تكون .

وقيل لأعرابي : أتهمن إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجل سوء ؛ قيل له : أتهجر فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي . وقيل لآخر : أتهمن الفارة ؟ فقال : الهرة تهيمزها .

- وقيل : كان بشر المريسي يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهونها ؛ فقال قاسم التمار : هذا كما قال الشاعر :

(١) الزيادة عن أمالي القائل .

(٢) الزايل : عي أسود كالثاقب يخطئ المسك . (٣) هو إسحاق بن خلف التبراني كما في الكامل للبرد (ج ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قطة معروفة وهي أن يشد الرجل من يديه ويربليه على

جلده . (٥) «قالوا : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهزلا الغنط والعصر» . كذا في كتاب الصاحي لابن فارس ص ٨ طبع القاهرة .

إِنَّ سُلَيْمِيَّ وَاللَّهُ يَكُونُهَا * ضَبَّتْ شَيْءَ مَا كَانَ يَرْزُوهَا^(١)

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ مُؤَدِّتًا يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّ عِمْدًا رَسُولُ اللَّهِ يَنْصَبُ رَسُولَ ، فَقَالَ :
وَيَحْكُ ! يَفْعَلُ مَاذَا ؟ .

قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَمِيرَةَ الْمَلِكِ : الْخَنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ الْجُدْرِيِّ فِي الْوَجْهِ . وَقَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : الْخَنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ التَّفْتِيْقِ فِي الثُّوبِ الْفَنِيْسِ . قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :
إِنِّي لِأَجِدُ الْخَنَ عَزْمًا كَعَزْمِ الْهَمِّ .

قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : أَشْدَنِّي أَعْرَابِيٌّ :

وَإِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَطْنٍ * وَأَنْتَ بَرِيٌّ مِنْ قِبَائِلِهَا الْعَشِيرِ^(٢)

فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ قَوْلِهِ : عَشْرُ أَطْنٍ حِينَ أَنْتَ لِأَنَّهُ عَنَى الْقَبِيلَةَ ، فَلَمَّا رَأَى عَجَبِي
مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : أَلَيْسَ هَكَذَا قَوْلُ الْأَخْرِ :^(٣)

فَكَانَ يَجِيئُ دُونَ مِنْ كُنْتُ أَتَقَى * ثَلَاثُ مُخْخُوصٍ كَأَعْيَانٍ وَمَعَصِرِ^(٤)

(١) كَذَا فِي الْقِسْمَةِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٦) وَفِي الْحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ ص ٩ طَبِيعُ مَدِينَةِ لَيْدَتِ
سَنَةَ ١٨٩٨ م وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ (ج ٢ ص ١١٠ طَبِيعُ مَعْرَسَةِ ١٣٣٢ هـ) . وَرَوَايَةُ الْأَصْلِ :
فَلَنْتَ . وَجَاءَ فِي الْقَدِيدِ هَذَا الْبَيْتُ : "وَبَشِّرِ الْمَرِيضَى رَأْسَ فِي الرَّأْيِ ، وَقَاسِمُ الْهَارِ مُتَقَدِّمٌ فِي أَصْحَابِ
الْكَلَامِ وَأَحْتِمَاجُهُ لِبَشَرِ أَجَبٍ مِنْ لَحْنٍ بَشَرٍ" . وَجَوَابُ الْحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ وَالْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ : «فَكَانَ احْتِمَاجُ
الْقَاسِمِ مُطِيبٌ مِنْ لَحْنٍ بَشَرٍ» ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ كَانَ مَضْمُونًا لِنُظُورِ الْبَيْتِ مِنَ الشَّاهِدِ الْمُرَادِ . (٢) كَذَا بِالْقَدِيدِ
الْفَرِيدِ ، وَاقْتَضَى بِالْأَصْلِ : «الْفَقْشُ» . (٣) قَاتِلُ الْبَيْتِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِلَابٍ يُسَمَّى «النَّوْحُ» كَمَا
فِي خَزَائِنِ الْأَدَبِ (ج ٤ ص ٤٨٤) . (٤) قَاتِلُ الْبَيْتِ هُوَ عَمْرُ بْنُ أَبِي دِيْعَةَ مِنْ قَبِيلَةِ طَوِيلَةَ مِنْهَا :
فَلَمَّا قَدَّتِ الصَّوْتُ مِنْهُمْ وَأَخْفَتْ * مَصَابِيحُ شَبْتٍ بِالْمَشَاءِ وَأُتُورُ

(رَاجِعِ الْكَامِلَ الْبَرْدِ ص ٣٨١ - ٣٨٥) .

(٥) الْخَمِينُ : التَّرْسُ . وَالْمُرَادُ فِي هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُهُ «ثَلَاثُ شَخْصٍ» حَيْثُ أَنْتَ لِأَنَّهُ يُرِيدُ بِالشَّخْصِ
النَّفْسَ وَكَأَنَّ مَثْلَ كَاسِبِ وَجْهِ الْقِيَمَةِ لَتَبْدُو كَمَا لَتَبْدُو ، وَكَأَنَّ مَرْفُوعَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ لِمَتَدَا عَمْدُوفٍ تَقْدِيرُهُ هُنَّ
كَأَعْيَانٍ وَمَعَصِرٍ ، وَالْمَعَصِرُ هِيَ الَّتِي دَخَلَتْ جِصْرُ شَبَابِهَا وَبَلَّتْ . (رَاجِعِ شَرْحَ الْمَعْنَى بِهَا مَثْلَ خَزَائِنِ الْأَدَبِ
لِلْبُنْدَارِيِّ ج ٤ ص ٤٨٣) .

قال رجل من الصالحين : لئن أعربنا في كلامنا حتى ما نلحن لقد لحنا في أعمالنا حتى ما نعرِب .^(١)

دخل أعرابي السوق فسمِعهم يَلْحَنُونَ ، فقال : سبحان الله ! يَلْحَنُونَ وَيَرْبَحُونَ ونحن لا نلحن ولا نربح !

دخل رجل على زياد فقال له : إنا أَيْنَا هَلَك ، وإن أَخِينَا غَصَبْنَا على ميراثنا من أبائنا ، فقال زياد : ما ضيَّعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك .

قال الزبائني عن محمد بن سلام عن يونس قال قال بلال لشبيب بن شيبه وهو يستعدي على عبيد الأعل بن عبد الله بن عامر قال : أَحْضَرْنِيهِ ، قال : قد دعوتُهُ لكلِّ ذك يا بني ، برفع كلِّ ، قال بلال : فالذنب لكلِّ . قال بعض الشعراء :

١٠ إِمَّا تَرَبِّىْ وَأَتَوَابِي مُقَارِبَةً * لَيْسَتْ بِخَزْ وَلَا مِنْ تَسْجِ كَنَّانٍ
فَإِنَّ فِي الْمُجِدِّهِمَانِي وَفِي لُفَّتِي * عُلوِيَّةٌ وَلَسَانِي غَيْرُ حَسَّانٍ

وقال فيل مؤلف زياد لزياد : أَهْلُوا لَنَا هِمَارًا وَهَيْشًا ، فقال : ما تقول ؟ وَلَيْكَ ! فقال : أَهْلُوا لَنَا أَهْرًا ، فقال زياد : الأوَّلُ خَيْرٌ .^(٢)

- (١) رواية البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٤) : « وقال بعض النساك : أعرينا في كلامنا فاعلمنا حقا ولحنا في أعمالنا فما نعرِب حقا » . (٢) عبارة البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) « الذي أضمت من لسانيك ما أضمت من مالك » . (٣) مقاربة بكر الزراء ، أي ليست بنفسية . (٤) هو زياد بن أبي سفيان ، كما في القاموس . (٥) في الأصل « أَهْلُوا لَنَا هِمَارًا وَهَيْشًا » وما أُنْشِأَهُ عن البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠) دنياه الأرب للزبيري (ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دار الكتب المصرية) يريد « أَهْلُوا لَنَا حِمَارًا وَهَيْشًا » وفي نهاية الأرب « أحدا » بإبدال الهاء حاء ، وهذا الإبدال يعرف بالكسبة وهي بحجة في اللسان وعن . (٦) يريد حيرا وهو الحمار إذا كان أهليا أرواحيا وقد غلب على الوحش .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ وَإِلَيَّا يَخْطُبُ فَلَحَنَ مَرَّةً أَوْ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ فَلَنْتَ بِقَدْرٍ.
وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ إِمَامًا يَقْرَأُ: ﴿وَلَا تَسْكُحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [فتح تاء تكسروا]
فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ فَبَيْعٌ فَكَيْفَ بَصَدَهُ! فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ لَحَنَ،
وَالْقِرَاءَةُ ﴿وَلَا تَسْكُحُوا﴾ فَقَالَ: قَبِضْهُ اللَّهُ، لَا تَجْعَلُوهُ بَعْدَهَا إِمَامًا فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ
اللَّهُ. قَالَ الشَّاعِرُ فِي جَارِيَةِ لَهُ:

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرِ * تَذَكِيرُهَا الْأَثْنَى وَتَانِثُ الذِّكْرِ
وَالسُّوءَةُ السُّوءِ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ *

قَالَ الْجَمَّاجُ لِرَجُلٍ مِنَ الْقَبَمِ تَغَايِسُ: أَتَبِيعُ الدَّوَابَّ الْمَيْبَةَ مِنْ [جُنْدِ] السُّلْطَانِ؟
فَقَالَ: «شَرِيكَاتَا فِي هَوَازِهَا وَشَرِيكَاتَا فِي مَدَائِنِهَا وَكَأَنَّمَا تَكُونُ» فَقَالَ الْجَمَّاجُ:
مَا تَقُولُ؟ فَفَسَّرُوا لَهُ ذَلِكَ، فَضَحِكَ وَكَانَ لَا يَضْحَكُ.

أَمَّ الْجَمَّاجُ قَوْمًا يَقْرَأُ: ﴿وَالْمَدَائِكِ صَبِيحًا﴾ وَقَرَأَ فِي آخِرِهَا ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَنْصُبُ أَتًا، ثُمَّ تَلْبَهُ عَلَى الْأَمِّ فِي تَخْيِيرِ وَأَتًا﴾ قَبْلَهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَكْسُورَةٌ خَفِيفٌ
الْأَمِّ مِنْ تَخْيِيرٍ، فَقَرَأَ ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: قُلْتُ لِخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ: لِمَ قَالُوا فِي تَقْصِيرِ وَاصِلٍ أَوْ يَصِلُ وَلَمْ
يَقُولُوا وَوَصِلُ؟ فَقَالَ: كَرِهُوا أَنْ يُسَبَّحَ كَلَامُهُمْ بِفَتْحِ الْكَلَابِ.

- (١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب «أكثر». (٢) السوء السوء: الخلة القبيحة.
- (٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول: «الْقَمَرُ» قالت: «الْكَمَرُ» والكمر جمع كمرته وهي حشفة الذكر؛ وهذا الإبدال بحرف بالثنية وهي أن تعدل الحرف إلى حرف غيره.
- (٤) هو أبو الجهم الخراساني.
- (٥) الزيادة عن البيان والتبيين.
- (٦) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠)؛ وفي الأصل: «شَرِيكَاتَا فِي هَوَازِ وَمَدَائِنِهَا وَكَأَنَّمَا تَكُونُ» وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها.
- (٧) جاء في البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠) «فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَدَّ كَانَ احْتِدَامُ مَعَ خَطَأُ وَكَلَامُ الطُّرُجِ بِالْمَرْيَةِ حَتَّى صَارَ بَعْضُهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ. يَقُولُ شَرِيكَاتَا بِالْهَوَازِ وَالْمَدَائِنِ يَمْشُونَ إِلَيْنَا بِهَذِهِ الدَّوَابِّ فَتَمْنُ نَبْهَمَا عَلَى وَجْهِهَا».

التشادق والغريب

حدثني سهل عن الأصمعي قال : كان عيسى بن عمر لا يدع الإعراب لشيء .
 وخاصم إلى بلال بن أبي بردة في جارية اشتراها مُصَابَة ، فقال : لَأَن يذهب بعض
 حق هذا أحب إليه من أن يلحن ؛ فقال له : ومن يعلم ما تقول ؟ فقال : ابن
 طرنوبة .^(١١) وضربه عمر بن هُبَيْرَة ضربا كثيرا في ودعة أودعها إياه إنسان فطلبها ،
 لما كان يزيد على أن يقول : والله إن كانت إلا أُنثى^(١٢) يا في أَسْفاط قبضها عشاروك^(١٣) .
 تَبِعَ أبو خالد الثميري صاحب الغريب جارية متنبئة فكلمها فلم تكلمه ، فقال :
 يا خريدة ، لقد كنتِ عندى عروبا أعفك^(١٤) وتشتيننا^(١٥) !

وقال سهل بن هارون لجارية له رومية أعجمية : إن أفل ما ينطوى عليه ضميري
 من رئيس حبك لأجل من كل جليل ، وأكثر من كل كثير :
 وقال مالك بن أسماء في جارية له :

أَمْطَعِي مَنِّي عَلَى بَصْرَى لِلشَّحْبِ أَمْ أَنْتِ أَكْلُ النَّاسِ حُسْنًا ؟^(١٦)

- (١) كذا في الأصل ولم نوفق إلى مرة هذا الاسم في الكتب التي بين أيدينا . (٢) أُنثى :
 جمع نوب مع تصغير لفظ الجمع . (٣) الأَسْفاط : جمع سَفَط بالتحريك وهو الذي يمي فيه الطيب
 وبها أشبه من أدوات النساء . (٤) عشاروك : جمع عشار وهو آفة الشر وجاهيه وملزمه .
 (٥) الخريدة : الحية . (٦) العروب : الحسة التيل . وقيل امرأة المتحبة إلى زوجها .
 (٧) تفك : تحبك . وتشتينا : تبغضنا . وفي الأصل «وتشتينا» وهو تحريف . والتسويب عن
 الكامل للبرد (ص ١٨ طبعة ليبسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عروبا ، فما
 بالنا تفك وتشتينا ! فقالت : يا بن النخبة أتمشني !» أي أنازلي وتلاعن . (٨) رئيس الحب :
 بقرته وأثره . (٩) كذا في خطبة هذا الكتاب في المجلد الأول من هذه الطبعة ، والبيان والتبيين
 (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفي الأصل هنا :

أَيُطَي مَنِّي عَلَى بَصْرَى بالشَّحْبِ أَمْ أَنْتِ أَكْرَمُ النَّاسِ حَسَنًا

وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مَا * يَسْتَهِي النَّاسُ عَنْ يَوْمِئِذٍ وَزَنَا
مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحُّنُ أَحْيَا * نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا
قال ابن دريد : استعمل منها الإعراب .

دخل أبو علقمة على أئین الطبيب فقال له : أمتع الله بك ، إني أكلت من لحوم
هذه الجوازيل فطسئت طسأة^(٢) ، فاصابني وجع ما بين الوأيلة^(٤) إلى دابة^(٥) المتى فلم يزل
يربو ويئني حتى خالط الحلب^(٦) والشراميف^(٧) ، فهل عندك دواء ؟ فقال أئین : نعم ،
خذ ثربقا^(٨) وشلققا^(٩) وشبرقا^(١٠) فزهرقه وزرققه وأغسله بماء رويث وأشربه ، فقال
أبو علقمة : لم أفهم عنك ، فقال أئین : أفهمتك كما أفهمتني . وقال له يوما آخر :
إني أجد مغممة في بطني وقرة^(١١) ، فقال له : أما المغممة فلا أعرفها ، وأما القرة^(١٢)
فهي ضراط لم ينضج .

(١) كذا بالأصل هنا وفي المقدمة ، وفي أمال القائل : « شتهيه النفوس » وفي البيان والتبيين (ج ١
ص ٨٢ و ١٢٧) : « بنت الناحون » . (٢) كذا في الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .
وفي المحاسن والأضداد لمباحظ (ص ١٤ طبعة لندن) والمحاسن والمساوي للبيق (ج ٣ ص ٤٧٠ طبعة
ليبسج) : « الجوازي » . والجوازيل : فراخ الحمام ، ويقل بهم الجوزل نوع الفراخ . (٣) طسئ : انغم
من الطعام . (٤) الوأيلة : طرف الضد في الكتف . (٥) الدابة : ضرة المتى . (٦) الحلب :
جباب بين القلب وسواد البطن . (٧) الشرافيف : جمع شرسوف وهو رأس الضلع ما على البطن .
(٨) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) وفي الأصل : « خرققا » بالنون والخرق بكسر : شرب
من الأدوية ونبت كالسم ينشئ على أكله ولا يقتله ؛ وقيل : نبات كلسان الحمل أبيض وأسود ينفع
الصرع والجنون واللقين والقالج . (٩) هكذا وردت في الأصل « شلققا » بالثين والقاء والقاف بدل
اللام ولم تقف لها على معنى . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) والمحاسن والمساوي للبيق « سلققا »
وفي البيان والتبيين : « سلققا » . (١٠) كذا في الأصل والعقد الفريد . والشرق كزبرجج :
نبت من جنس الشوك إذا كان رطبا فهو شريق فإذا يس فهو الضرع . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) :
« جرققا » وفي المحاسن والأضداد لمباحظ « سرققا » .

أتى رجل الهيثم بن العريان بقرير له قد مطله حقه فقال : أصلح الله الأمير، إنا
 على هذا حقا قد غلنى عليه، فقال له الآخر : أصلحك الله، إن هذا باعنى عتجدا^(١)
 وأستسأته حولا وشرطت عليه أن أعطيه مشاهرة فهو لا يقانى في لقيم^(٢) ألا آتضانى؟
 فقال له الهيثم : أمن بنى أمية أنت؟ قال : لا؛ قال : فمن بنى هاشم؟ قال : لا؛
 قال : فمن أكفأهم من العرب؟ قال : لا؛ قال : ولى عليك ! اترع ثيابه يا جلواز^(٣)،
 فلما أرادوا ترع ثيابه قال : أصلحك الله، إنا إنازى^(٤) مرعبل؛ قال : دعوه، فلوترك
 الغرب في وقت تركه في هذا الوقت .

ومر أبو علقمة ببعض الطرق بالبصرة فهاجت به مرة فسقط ووثب عليه قوم^(٥)
 فأقبلوا يعصرون إبهامه ويؤذنون في أذنه، فأقالت من أيديهم وقال : ما لكم تتكاثرون^(٦)
 على كما تتكاثرون على ذى جنة ! افرقوا عني ؛ فقال رجل منهم : دعوه فإن^(٧)
 شيطان هتدي، أما تسمعون به يتكلم بالهندية . وقال لحجام يسيحه : أنظر ما أمرك به
 فاصنعه ، ولا تكن كن امرأ بمصر فضيحه ، أتني غسل الحجام وأشد قصب الملازم^(٨)

(١) التجدد بكسر وفتح وجذب : التزيب .

(٢) استساء : سأله أن يسهه فيه ، أى يخرجه . (٣) في المحاسن والأضداد الجاحظ (ص ١٥)

والمحاسن والمساوي للبيح (ج ٣ ص ٤٧٠) : « حياوة » .

(٤) اقم حركة وكسر : الطريق أو وسطه .

(٥) الجلواز : الشرطي .

(٦) مرعبل : مرقق .

(٧) كذا في المحاسن والمساوي للبيح والمحاسن والأضداد الجاحظ . وفي الأصل : « الطريق » .

(٨) في المحاسن والأضداد ، والمحاسن والمساوي « يمشون » .

(٩) تتكاثرون : يطمعون ، افرقوا : تفرقوا .

(١٠) الملازم جمع ملازم بكسر الميم : خشبات مشدود أو ساطعها بمجديفة تجعل في طرفها قنطرة
 (مفتاح معوج طويل) فترام ما فيها لزوما شديدا ، تكون مع السياقة والآبارين ويجعل الكتب وغيرهم .

وَأَرِيفٌ ظُلُمَاتٍ لِلشَّارِطِ^(١٢) وَأَسْرَجَ^(١٣) الْوَضْعَ وَجَلَّ^(١٤) التَّرَجَّ، وَلَكِنْ شَرَطَكَ وَخَرَأَ، وَمُصَبِّكَ^(١٥) نَهَزًا، وَلَا تُكْرِهَنَّ أَبْيَا، وَلَا تُزْدَنْ^(١٦) آتِيَا؛ فَوَضِعَ^(١٧) الْجَهَامُ عَاجِلَهُ فِي جُوتِهِ وَمَضَى .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ أَبَا الْمَكْتُونِ التَّحَوِيَّ فِي حَقِّقَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَاءِ الْإِسْتِسْقَاءِ :
اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَإِلْمَنَا وَمَوْلَانَا صَلِّ عَلَى عَهْدِ نَبِيِّنَا يَا اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَأُحِطْ ذَلِكَ
السُّوءَ بِهِ كِلَاحَاطَةَ الْفَلَانِدِ عَلَى تَرَائِبِ الْوَلَادَةِ، ثُمَّ أَرِيفُهُ عَلَى هَامَتِهِ كَرُسُوحِ السَّجِيلِ،
عَلَى هَامِ أَحْصَابِ الْقَبِيلِ، اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مَغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا مُجَلِّجًا مُسْتَحْفِرًا هَرِجًا بَاحًا
سُوحًا طَبَقًا غَدَقًا مُتَمِيزًا؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَاحَلِيفَةُ نُوحٍ [هَذَا] الطُّوفَانُ وَرَبِّ
الْكَمِيَةِ، دَعْنِي آوِي إِلَى جَبَلٍ يَمِصُّنِي مِنَ الْمَاءِ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : كَانَ غَلَامٌ يَقْرَأُ فِي كَلَامِهِ، فَأَقَى أَبَا الْأَسْوَدَ الدُّؤْلِيَّ يَلْتَمِسُ مَا عِنْدَهُ؛
فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدِ : مَا فَعَلَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : أَخَذْتُهُ الْجُمُيَّ فَطَبَخْتُهُ طَبَخًا وَفَضَخْتُهُ^(١٨)
١٠

- (١) أَرِيفٌ : حَلَدٌ . (٢) ظُلُمَاتٍ جَمْعُ ظُلْمَةٍ كَثْبَةٌ، وَهِيَ حِدَةُ السِّيفِ أَوِ السَّانِ وَنَحْوُهُ .
(٣) فِي الْحَاسَنِ وَالْأَسَدَادِ لِلْمَاحِظِ (ص ١٥) وَالْحَاسَنِ وَالْمَسَاوِيَّ لِلْبَيْتِ (ج ٣ ص ٤٧١) :
«وَعُفْتُ» . (٤) الْجَوْتَةُ بَضْمُ الْجَمْرِ : سَلِيلَةٌ مَشْتَقَةٌ أَدْمًا تَكُونُ مَعَ السَّطَّادِينَ . (٥) فِي الْمَقْدِ
الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : «بَاعَقًا» . (٦) السَّجِيلُ : حِجَابَةٌ كَالْمَدْرَةِ وَقِيلَ هُوَ جَهْرٌ مِنْ طِينٍ .
١٥ دَخِيلٌ مَرْبُوبٌ مِنْ «سَكَنَ وَكَلَّ» أَيْ حِجَابَةٌ وَطِينٌ . (٧) الْمُجَلِّجُ مِنَ السَّحَابِ : الَّذِي فِيهِ صَوْتُ الرِّيحِ .
(٨) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْمَحْضَرُ : الْكَثِيرُ الصَّبِّ الْوَاسِعُ . (٩) الْمَرْجُ مِنَ الْمَرْجِ وَهُوَ صَوْتُ
الرِّيحِ . (١٠) طَبَقٌ : حَامٌ وَاسِعٌ . (١١) النَّفَقُ : الْمَطَرُ الْكَثِيرُ . (١٢) الْمُتَمِيزُ :
السَّبِيلُ الْكَثِيرُ . وَفِي الْأَصْلِ «مُتَمِيزًا» . (١٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْمَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) .
(١٤) يَقْرَأُ فِي كَلَامِهِ : يَشْتَقُّ وَيَنْتَكِلُ بِأَصْوَحِ حَلْقِهِ . (١٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْيَانِ وَالْيَتِينِ
٢٠ (ج ١ ص ٢٠١) . وَفِي الْمَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : «وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيُّ لِأَبْنِي حَلِيفَةُ :
مَاحِلْ أَبْنَيْكَ ... ائْطَعْ» . (١٦) فَضَخْتُهُ : دَخَلْتُهُ .

فَصَبَّحْنَا وَفَتَحْتَهُ فَنَحَا فَرَكْنَهُ فَرَحًا ۖ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: لَمَا فَصَلْتَ أَمْرَانَهُ الَّتِي كَانَتْ تُجَاهَرُ^(١١) وَتُشَارُهُ وَتُرَاهُ وَتُهَارَهُ ۖ قَالَ: طَلَقَهَا فَتَرَوُجَتْ غَيْرَهُ فَرَضِيَتْ وَحَظِيَتْ وَبَطِيَتْ ۖ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: قَدْ عَرَفْنَا حَظِيَّتَهُ، لَمَا بَطِيَتْ؟^(١٢) قَالَ: حَرْفٌ مِنَ الْغَرِيبِ لَمْ يَلْنُكَ ۖ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: يَا بَنَ أُنْحَى، كُلَّ حَرْفٍ مِنَ الْغَرِيبِ لَمْ يَلْنِ عَمَكَ فَاسْتَرْهَ كَمَا تَسْتَرْهُ السُّتُورَ خَرَاهَا ۖ

قَالَ زَيْدُ بْنُ كَثِيرٍ: أَتَيْتُ بَابَ كَبِيرٍ دَارٍ وَهَنَّاكَ حَدَادٌ ۖ فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْجُ الدَّارَ فَدَلَّنِي^(١٣) دَلَّةٌ ۖ وَادْرَسَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ إِنْ زَلْنَا نَنْظَارُ نَنْظَارَ حَتَّى عَقَلَ الظَّلُّ ۖ وَقَالَ أَيْضًا: أَتَيْتُ بَابَ كَبِيرٍ وَإِذَا الرِّجَالُ صَبْتَانِ وَإِذَا أَرْمَدَاءُ كَثِيرَةٌ وَطُهَاءٌ لَا أَحْصِيهِمْ وَلِحَامٌ كَانَتْهَا أَكَامٌ ۖ وَقَالَ الطَّائِيُّ:

١٠. أَيُوسُفُ جِثَّتْ بِالْعَجَبِ الْحَبِيبِ * تَرَكْتَ النَّاسَ فِي شَكٍّ مُرِيبِ^(١٤)
سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ تَأِيدُ * وَلَمْ أَسْمَعْ بِسَرَّاجٍ أَدِيبِ^(١٥)

- (١) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ (ج ١ ص ٢٠١) وَضَعْتُهُ: أَوْعَيْتُهُ وَاضْفَعْتُهُ ۖ وَفِي الْأَصْلِ: «ضَعَنْتُهُ» بَالَاءُ الْإِنْتَاءِ، وَلَمْ يُجِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي كِتَابِ الْقَلَمِ مَعْنَى يَنْسِبُ الْقَامَ. (٢) الْفَرَحُ: الضَّعِيفُ الْمَتَوَكِّلُ. (٣) تُجَاهَرُ: تَطْلُوهُ. وَتُشَارُهُ: تَحَامِسُهُ. وَتُرَاهُ: تَمُتُّهُ. وَتُهَارُهُ: تَهَيَّرُ فِي وَجْهِهِ كَمَا يَهَيَّرُ الْكَلْبُ. (٤) فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ (ج ١ ص ٢١): «وَقَدْ عَلِمْنَا رَضِيَّتَ وَحَظِيَّتَ قَابِلِيَّتَ...». (٥) أَنَّى بِالْقَلْبِ «بَطِيَتْ» إِتْبَاعًا لِحَظِيَّتِ مِثْلِ حَسَنِ بْنِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ «بَطِيٌّ» أَنْظَرَ الْإِنْسَانَ مَادَّةً «بَطَلًا». (٦) الْحَدَادُ: الْبُرَابُ. (٧) دَلَّتُهُ: دَفَعَهُ فِي صَدْرِهِ. (٨) هَذِهِ الْبَابَةُ وَارِدَةٌ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا وَلَمْ تَوْفِقْ إِلَى تَحْقِيقِهَا. (٩) نَنْظَارُ مِثْلُ قَطَامٍ: اسْمُ فَعْلٍ أَمْرٌ بِمَعْنَى انْتِظَارٍ وَالْمَعْنَى: فَلَا زَلْنَا بِمَا لَنَا نَنْظَارُ نَنْظَارًا. (١٠) عَقَلَ الظَّلُّ: قَامَ قَاتِمُ الظُّلْمَةِ. (١١) صَبْتَانِ: فَرَقَاتَانِ. (١٢) الْأَرْمَدَاءُ: جَمْعُ رَمَادٍ. (١٣) هُوَ يُوسُفُ السَّرَّاجُ الشَّاعِرُ الْمَصْرِيُّ. (١٤) كَا فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ طَبَعَ مُحَمَّدُ جَمَالٌ بِتَطْلِيلٍ عَمِّي الْخَلِيَّاطُ. (١٥) التَّادُ: نَمَتْ لِفَادِيَةٍ أَوْ بَدَلَتْ مِنْهَا وَالْمُرَادُ دَاهِيَةٌ شَدِيدَةٌ ۖ

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا * إِذَا نَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
فَالَّذَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ * تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

قال رؤبة بن العجاج : خرجت مع أبي، زيد سليمان بن عبد الملك، فلما صرنا
في الطريق أهدي لنا جنب من لخم عليه كرافى الشعم وخريطة من كجاة ووطب
من لبن فطبخنا هذا بهذا، فإزال ذفر يائى تتحان منه إلى أن رجعت . (الكرافى :
الطباخ، وكذلك كرافى السحاب) .

وصايا المعلمين

قال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده : ليكن إصلاحك بنى
إصلاحك نفسك ، فإن غيوبهم معقودة ببيتك ، فالحسن عندهم ما استحسن ،
والقيح ما استقبح ؛ وعلمهم سير الحكاء ، وأخلاق الأدباء ، وتهذمهم بى وأدبهم
دونى ؛ وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ؛ ولا تتكلم على عذر
منى ، فإنى قد أتكلمت على كفاية منك .

قال الحجاج لمؤدب بنيه : علمهم السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يجلدون من يكتب
عنهم ، ولا يجلدون من يسبح عنهم .

- ١٥ (١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : « لمحت » . (٢) كذا فى الكامل البرد (ص ١٤٠
طبعة لبيس سنة ١٨٦٤) وفى الأصل : « يزيد » . (٣) الخريطة : واء من آدم وغيره .
(٤) الكاة : نبات لا ساق له ولا عرق ، لوته إلى التربة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض ، وهو عديم العلم
يؤكل به وطبوخه . (٥) الوطب : سقاء اللبن . (٦) ذفر يائى شنة ذفرى ، وهو العظم الناحص
خلف الأذن . (٧) كذا فى الكامل البرد (ص ١٤٠) وتضمن : ترشمان بالرق .
٢٠ وفى الأصل « شبان » . (٨) وردت هذه العبارة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥ طبعة القاهرة
سنة ١٣٣٢هـ) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) بزادة عما هنا واختلاف يسير فى بعض التراكم لا يخرجها
عن المعنى المراد ؛ إلا أنها تحسب فى العقد الفريد لمعروف عتبة .

وقال عبد الملك لمؤدّب ولده : علمهم الصلوة كما تعلمهم القرآن ؛ وجنّبهم السفلة
فلانهم أسوأ الناس رعة وأقلهم أدبا ، وجنّبهم الحشم فلانهم لم مفسدة ؛ وأحيف^(١٢)
شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم القمّ بقووا ؛ علمهم الشعر يحلّوا ويتحلّوا ، ومزهم
أن يستاكوا عرّضا ويمضوا الماء مضا ولا يصبوه عبّا ؛ وإذا احتجّت إلى أن نننا ولم
بأدب فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الناشية فهوئوا عليه .

وقال آخر لمؤدّب ولده : لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن أصطكاك
العلم في السمع وأزدسلّمه في الؤم مضلة للفهم .

وكان لشريح ابن يلعب بالكلاب ، فكتب شريح إلى معلمه :

ترك الصلاة لأكل يسي بها * طلب الميراث مع الفؤاة الرّجس^(١٣)
إذا خلوت فضّه بلامية * وعظنه وعظك للأريب الكيس^(١٤)
وإذا هممت بضربه فيليرة * وإذا بلغت بها ثلاثا فأعيس^(١٥)
وأعلم بأنك ما فعلت فنفسه * مع ما يجرعني أعزّ الأنفيس^(١٦)
وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب :

أيها المبتلى بحب الكلاب * لا يحب الكلاب إلا الكلاب^(١٧)
لو تعريت وسطها كنت منها * إنما قنّتها بلّس الثياب^(١٨)

(١) يقال : فلان سيّ الرّة إذا كان قليل الروع .

(٢) أحنى الرجل رأسه أو شابه : بالغ في قصه .

(٣) في الحاشين والمسائر للبيّ (ج ٣ ص ٦٢١) : « الزواح » .

(٤) في المقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « يني » .

(٥) في المقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « أذاك » .

٢٠

(٦) كذا في الأصل ، وفيه الإقراء ، وهو اختلاف حركة الروى في الإمراب . ولو ورد هكذا :

لا يحب الكلاب غير الكلاب ، نلّا من هذا العيب .

وقال آخر :

تَبَيْكَ أبا أَحْمَدٍ قَرِينَهُ * وَكَلْبُ هِرَاشٍ وَدَيْكُ صَدُوحٍ
وَطَيْرٌ زَيْجَالٌ وَقُتْرِيَّةٌ * هَتُوفُ الْعَيْشِ وَكَبْشُ نَطُوحٍ

بلغني عن أبي الحسن المكي عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال : سمعت
أبي يقول قال لقمان : ضربُ الوالدِ ولده كالسَّيِّدِ للزَّرع .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن
أسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر إلى أهل الشام : علموا أولادكم السَّباحةَ
والرَّميَّ والقُرُوسِيَّةَ .

وكانت العرب تُسمِّي الرجل ، إذا كان يكتب ويحسن الرمي ويحسن القوم
وهي السَّباحة ويقول الشعر ، الكامل .

البيان

حدثني عبد الله بن عبد الله قال حدثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن
عمارة بن حمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « إن من البيان بجمراً »^(٢) فاطلبوا الصلاة وأقصرُوا الخطْبَ . وقال العباس :
يا رسول الله ، فيم الجمال ؟ قال : « في اللسان » .

وكان يقال : عقل الرجل مدفون تحت لسانه .

وقال يزيد بن المهلب : أكره أن يكون عقل الرجل على طرف لسانه . يريد أنه
لا يكون عقله إلا في الكلام . وقال الشاعر :

(١) القمريه : ضرب من الحمام . (٢) بعض الروايات : « لسمرا » باللام .

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ • لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ
وَمَا حُسْنُ الرَّجُلِ لَهُمْ بِزَيْنِ^(١) • إِذَا لَمْ يُسَمِدِ الْحَسَنَ الْبَيَانَ

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك، فإنه كان يقرى العين جمالاً، والأذن
بياناً • وقال الثوري بن قوالب :

أَعِزَّنِي رَبِّ مِنْ حَصَرٍ وَعَيْ • وَمِنْ نَفْسٍ أَعْلَجَ لَهَا عِلَاجًا
وَمِنْ حَاجَاتٍ تَقْبِي فَأَعِصِمَنِي • فَإِنَّ الْمُضْمَرَاتِ النَّفْسَ حَاجَا
وصف أعرابي رجلاً يتكلم فيُحسِن فقال :

• يَضَعُ الْمِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقِيبِ^(٢) •

ومثله قولهم : فَلَا تُجِيدُ الْحَزَّ، وَيُصِيبُ الْمُفَصِّلَ، وربما قالوا : يَقِلُّ الْحَزَّ^(٣) •

وقال معاوية في عبد الله بن عباس :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ • لَيْعٌ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
بُصْرَفٍ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا آتَتْحَى • وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّغِيرِ

وقال حسان فيه :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِي • بِلَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا أَفْصَالًا

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ طبعة بولاق) • وفي الأصل : « لها » •

(٢) المناء : القطران • والنقيب : جمع نقبة وهي أول ما يبدو من الحرب، أي أنه لا يتكلم إلا في ما يجب

فيه الكلام، مثل الطال الذي يفتح المناء موضع النقب (راجع المعنى الفريد ج ١ ص ٢١٤) •

(٣) هذا وما قبله من الأمثال التي تضرب في البلاغة، وذلك أنهم شبهوا البلع الموزن الذي يقل

الكلام ويصيب المعاني، بالجزاز الذي يقلل جزاهم ويصيب مفاصله (راجع المعنى الفريد ج ١

شَقَى وَكَفَى مَا فِي النَّفْسِ فَلَمْ يَدَعْ • لَذَى إِزْبِيَةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا
 سَمَوَتْ إِلَى الْعَلِيِّ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ • فَبَلَغَتْ ذُرَاهَا لَا دَنِيًّا وَلَا وَغْلًا^(١)
 ويقال : البصتُ مَنَامٌ والكلامُ يَقْطَعُ • ويقال : خير الكلام ما لم يُخْتَج به
 إلى الكلام •

• ذكر العباس بن الحسن الطائي رجلاً فقال : أفاضله قوالبُ معانيه • ومدح
 أعرابِي رجلاً فقال : كلامه الويلُّ على الخَلِّ، والعلْبُ الباردُ على الظُّلَمِ •
 وقال الحطّية :

وَأَخَذْتُ أَقْطَارَ الْكَلَامِ فَلَمْ أَدَعْ • ذِمًّا يَضُرُّ وَلَا سَيْدِيحًا يَنْفَعُ
 وكان الحطّية يقول : إنما شعري حَسَبُ موضوع ، فسمِع ذلك عمرو بن عُبيد
 فقال : كَذَبَ ، تَرَحَّه اللهُ ، إنما ذلك التقوى • ١٠

قيل لعمرو بن عُبيد : ما البلاغة ؟ فقال : ما بَلَّغَكَ الْجَنَّةَ ، وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ ؛
 [قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : فـ] كما بَصَرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبَ
 غَيِّكَ ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : مَنْ لَمْ يُحْسِنِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ يُحْسِنِ
 الْقَوْلَ ؛ قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنَّا مَعَشَرُ
 الْأَنْبِيَاءِ بِكَلَامٍ " ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنَطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ ؛ قال : ليس هذا
 أريد ؛ قال : كانوا يخافون من فتنَةِ القولِ [ومن سَقَطَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ
 ١٥

(١) في الأصل : «وملا» بالعين . وما أُنْبِتَاهُ عَنْ دِيوَانَ حَسَنِ (ص ٧٤ طبعة لندن سنة ١٩١٠ م)
 وهو الأَنْبِثُ لِلْقَامِ ؛ وَالْوَغْلُ : الضَّعِيفُ النَّفْلُ السَّاقِطُ الْمُقْصَرُ فِي الْأَشْيَاءِ . (٢) الويل : الخطر الشديد .
 (٣) الخَل : الجلب • (٤) تَرَحَّه اللهُ : أجزه ونصمه • (٥) الزيادة عن العقد الفريد
 (ج ١ ص ٢١٣) . وفي الأصل : «وما بصرَكَ ...» بِالْوَاوِ مُطْفَأًا عَلَى مَا قَبْلَهُ • (٦) بِكَامٍ جَمْعُ بَكَى ،
 وهو ما قبل كلامه مقلقة • (٧) كُتِبَ فِي الْيَانِ وَالْتَبِيْنِ (ج ١ ص ٦٣) . وفي الأصل : «يكرهون» .

فتنة السكوت^(١١) ومن سَقَطَات الصَّمْت؛ قال : ليس هذا أريد؛ قال : فكأنك إنما تريد تغيير اللفظ في حسن إلهام [قال : نعم؛ قال^(١١)] : إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين ، وتخفيف المشوكة على المستمعين ، وتزوين تلك المعاني في قلوب المريدين ، بالألفاظ المُستَحْسنة في الآذَان ، المقبولة عند الأتھان ، رغبة في سُرعة استجابتهم ، وقضى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة من الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب ، واستوجبت على الله جزيل الثواب .

قال بعضهم : ما رأيت زياداً كاسراً إحدى عينيهِ واضعاً إحدى رجلَيْهِ على الأخرى يُحاطب رجلاً إلا رحمتُ الخطاب . وقال آخر : ما رأيتُ أحداً يتكلم فيُحسن إلا أحببتُ أن يَصْمُتَ خوفاً من أن يُسيءَ إلا زياداً فإنه كلما زاد زاد حسناً ، وقال : وقبلك ما أعيتُ كاسراً عينه * زياداً فلم تَقْدِرْ على حباله^(١٢) .

قال محمد بن سلام : كان عمرُ بن الخطاب إذا رأى رجلاً يُجَلِّع في كلامه قال : خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد ! .

وتكلم عمرو بن سعيد الأشقي ، فقال عبد الملك : لقد رجوتُ عقرته لما تكلم ، فأحسن حتى خَشِيتُ عقرته إن سكت .

(١) التكملة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) والعقد الفريد . (٢) في البيان والتبيين والعقد الفريد : « الحكيم » . (٣) قائل هذا البيت الفرزدق ، قاله بلرب من قصيدة هج في ثلاثة وتسعين بيتاً من كتاب القافض (طبع مدينة « لندن » سنة ١٩٠٨ م ص ٦٠ - ٦٢٩) وبعد البيت :

فأقسمت لا آتيه سبعين حجة * ولو نشرت عينُ القبايع وكاهله

والقبايع : لقب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزرجي وكان أميراً على البصرة لقبه أهلها به ، وذلك أنه مرتبهم يَكُونون بغير قتال : إن فُتِحَ كِتَابُ قبايع . أي كبر ووسع (راجع القافض ص ٦٠٧) .

(٤) لعل « ما » هنا مصدرية أو زائدة . (٥) كذا في القافض والبيان والتبيين (ج ١ ص ١١٠) . وفي الأصل : « تعلق » .

أبو الحسن قال: قال معاوية لَصُعَارَ الْعَبْدَى: ما هذه البلاغة التي فيكم؟ فقال: شيءٌ يُجِيشُ به صُلُوبُنَا ثم تَقْدِفُهُ على السِّنْتَا؛ فقال رجلٌ من القوم: هؤلاء بالبسر أبصر؛ فقال سُحَّارٌ: أجل، والله إنا لنعلم أن الرِّيحَ تُلْقِعُهُ وَأَنَّ الْبَرْدَ يُعْقِدُهُ وَأَنَّ الْقَمَرَ يُصْبِغُهُ وَأَنَّ الْحَرَّ يُضَيِّعُهُ؛ فقال معاوية: ما تُعْدُونَ البلاغةَ فيكم؟ قال: الإيجاز؛ قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تُجِيبَ فلا تُبْطِئَ، وتَقُولَ فلا تُحْطِئَ، ثم قال: يا أمير المؤمنين، حسن الإيجاز ألا تُبْطِئَ ولا تُحْطِئَ.

أبو الحسن قال: وقد الحسن بن عليّ على معاوية الشام، فقال عمرو بن العاص: إِنَّ الْحَسَنَ رَجُلٌ أَفَّهُ فُلُو حِلَّتِهِ عَلَى الْمُنْتَبِرِ فَتَكَلَّمَ فَسَمِعَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ عَابُوهُ؛ فَأَمَرَهُ فَصَدَّ الْمُنْتَبِرَ فَتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ؛ وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ طَلَبْتُ أَبْنَاءَ لَبْنِيكُمْ مَا بَيْنَ جَابِرٍ إِلَى جَابِلٍ لَمْ يَجِدُوهُ غَيْرِي وَغَيْرَ أُنْحَى وَإِنْ أَدْرَى لَمَلَهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فسَاءَ ذَلِكَ عَمْرًا وَأَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدَ، هَلْ تَتَمَّتِ الرُّطْبُ؟ فقال: أجل، تُلْقِيعُهُ الشَّمَالُ وَتُخْرِجُهُ الْجَنُوبُ وَيُنْضِجُهُ بَرْدُ اللَّيْلِ بِحَرِّ النَّهَارِ؛ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدَ، هَلْ تَتَمَّتِ الْخِرَاءَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، تُبْعِدُ الْمَشَى فِي الْأَرْضِ الصَّحْصَحَ حَتَّى

- (١) كلمة «البسر» مطبوعة في الأصل وأستعنا على معرفتها بما في اليان واليتين الذي وردت فيه العبارة هكذا: «قال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، بالبسر والرطب أبصر منهم بالطلب... الخ» والبسر: الترقيل إرطابه وذلك إذا تَوَنَّى ولم يَضْجَ . (٢) يَهْقِدُهُ: يَهْلِكُهُ . (٣) في البقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) بد قوله فلا تُبْطِئَ ولا تُحْطِئَ: «أُفْلِحَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ قَالَ: قَدْ أَفْلَحْتُ، قَالَ: لَا تَبْطِئْ وَلَا تُحْطِئْ». قال أبو حاتم: استعمل الكلام الأول فاستقل وتكلم بأوجهه . (٤) كذا في الأصل والبقد الفريد. والأوصاف الخلقية الظاهرة أكثر ما تجيء على «أفضل» والذي في كتب اللغة أن الوصف من الفهاة (رعى النوى في المنطق): فَهْ كَصَفْحٍ وَفِيهِ وَفِيهِ . (٥) جَابِرٌ: مَدِينَةُ بَأَصَى الشَّرْقِ . (٦) جَابِلٌ: مَدِينَةُ بَأَصَى الْغَرْبِ . (٧) الْخِرَاءَةُ بِالْكَسْرِ: التَّغْلُّلُ وَالْقَعُودُ لِمُحَاجَةٍ . (٨) الصَّحْصَحُ صَادِقِينَ مَهْلِكِينَ: مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ مَعَ الْإِسْتِخَارِ . وَفِي الْأَصْلِ: «الضَّحْضَحُ» بِضَادَيْنِ مُجْبِئِينَ .

تَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ، وَلَا تَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْرِهَا، وَلَا تَسْتَجِبِ بِالرُّؤْيَةِ وَلَا النَّمْطِ،
وَلَا تَبُولَ فِي الْمَاءِ الرَّاكَدِ؛ وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ .

وكان يقال : كلُّ شَيْءٍ نَتَيْتَهُ يَقْصُرُ مَا خَلَا الْكَلَامَ، فَإِنَّكَ كَلِمًا نَتَيْتَهُ طَال . قال
الحسن : الرجال ثلاثة : رجلٌ بنفسه ، ورجلٌ بلسانه ، ورجلٌ بماله .

- تكلم صمصة بن صوحان عند معاوية ففرق ؛ فقال معاوية : بهرك القول !
فقال صمصة : إِنَّ الْحَيَاءَ نَضَاحَةٌ لِلْمَاءِ .

ويقال : أبلغ الكلام ما ساقى معناه لفظه .

- وفي كتاب للهند : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ أَجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَاطِبًا
الْجَاشِ^(١)، سَاكِنَ الْجَوَارِحِ قَلِيلَ الْخَطِّ مَتَحِيرًا لِلْفُظْ، لَا يُكَلِّمُ مَبْدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ،
وَلَا الْمُلُوكَ بِكَلَامِ السُّوْقَةِ، وَيَكُونُ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ، وَلَا يُدَقِّقُ
الْمَعَانِي كُلَّ التَّدْقِيقِ، وَلَا يَنْقَعُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيعِ وَلَا يُصَفِّقُهَا كُلَّ التَّصْفِيقِ [وَلَا يُهْدِيهَا
غَايَةَ التَّهْدِيبِ، وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصَادِفَ حَكِيمًا أَوْ فِيلَسُوفًا عَلِيمًا] وَيَكُونُ قَدْ تَعَوَّدَ
حَذْفُ فُضُولِ الْكَلَامِ وَإِسْقَاطُ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ، قَدْ تَفَلَّرَ فِي صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ
عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ لَا عَلَى جِهَةِ الْاِعْتِرَاضِ وَالتَّصْفِيعِ .

- ١٥ ونحو هذا قول جعفر بن يحيى البرمكي وقيل له : ما البيان ؟ فقال : أن يكون
الاسم مُحِيطًا بِمَعْنَاكَ وَيُحْكِي عَنْ مَعْرَاكَ، وَتُخْرِجُهُ مِنَ الشَّرْكَهَ وَلَا تَسْمَعِينَ عَلَيْهِ بِالْفِكْرَةِ،
وَالَّذِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ سَلِيًّا مِنَ التَّكَلُّفِ، بَعِيدًا مِنَ الصَّنْعَةِ، بَرِيًّا مِنَ التَّعَقُّدِ،
غَنِيًّا عَنِ التَّأْوِيلِ .

(١) الجاش : القلب ، ورايط الجاش : ثابت عند الشدة . (٢) الزيادة عن البيان والبيان (ج ١

ص ٥٢) . (٣) عبارة البيان والبيان : «ومن قد تعود ... الخ» . (٤) في البيان والبيان
(ج ١ ص ٥٨) : «يجل» . (٥) هكذا في الأصل . وفي البيان والبيان : «واقى لا يبتته ... الخ» .

قال الأصمعيّ: البلغ من طبق المُفَصِّل وأغناك عن المُفَسِّر.

قال المدائني: كتب قتيبة بن مسلم إلى المجّاج يسكو قلة مرزئته من الطعام وقلة غشيانه النساء وحصره على المنبر؛ فكتب إليه: استكثر من الألوان لتصيب من كلّ صفحة شيئاً، واستكثر من الطرّوفة^(١) تجد بذلك قوّة على ما تريد، وأنزل الناس بمثيلة رجل واحد من أهل بيتك وحاصتك، وأزم ببصرك أمانك تبلغ حاجتك.

قال بعض الشعراء:

إن كان في العيّ آفاتٌ مقدّرة * ففي البلاغة آفاتٌ تُساويها

تكلم رجل عند معاوية فهدّر^(٢) فلما أطال قال: أأسكتُ يا أمير المؤمنين؟ قال: وهل تكلمت!

ويقال: أعيأ إلى بلاغة^(٣) بعي، وأقبحُ الخنّ لحنٌ بأعراب.

وقال أعرابي: الحظُّ للره في أذنه، والخطُّ لغيره في لسانه.

ويقال: ربّ كلمة تقول دعتي.

ويقال: الصمتُ أبلغ من عيّ بلاغة. ونحوه قول الشاعر:

أرى الصمتَ أدنى لبعض الصّوّاب * وبعض التّكلم أدنى لبي

وقال جعفر البرمكي: إنا كنا في الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيياً.

(١) المرزّة من الطعام: الإصابته. (٢) الطرّوفة: زوجة الرجل، وأقبح الفعل.

(٣) هدّر في كلامه: خلط وتكلم بما لا ينبغي. (٤) في الأصل: «أعيأ الخن بلاغة بعي».

(٥) يريد أن حظ الرجل في أذنه لنفسه لأنه بما يسمع ما يقال، والخط في لسانه لغيره لأنه إذا تكلم

فأنا الخط والقائدة فيه لغيره.

قال ابن السكك : العربُ تقول : العَيُّ الناطقُ أَعْيَا من العَيِّ الصامت .

قال أنوشروان لبزرجهر : متى يكون العَيُّ بليغاً ؟ فقال : إذا وصِفَ حَبِيْبًا .

قال يونس بن حبيب : ليس لعيٍّ مَرُوءَةٌ ، ولا لمنقوص البيان بَهَاءٌ ، ولو نَلِغَ بِأَفْوَحِهِ أَعْنَانُ السَّمَاءِ . قال بعضُ الشعراء :
 ٥

عَجِبْتُ لِإِدْلَالِ الْعَيِّ بِنَفْسِهِ ٥ وَصَمِتِ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمًا
 وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْعَيِّ وَإِنَّمَا ٥ صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

قال سعيد بن العاص : مَوْطِنَانِ لَا أَسْتَحْيِي مِنَ الْعَيِّ فِيهِمَا : إِذَا أَنَا خَاطَبْتُ
 جَاهِلًا ، وَإِذَا أَنَا سَأَلْتُ حَاجِبَةً لِنَفْسِي .

ذكر أعرابي رجلًا يَمِيًا فقال : رَأَيْتُ عَوْرَاتِ النَّاسِ بَيْنَ أَرْجُلِهِمْ ، وَعَوْرَةَ
 ١٠ فَلَانَ بَيْنَ فَكَّيْهِ .

وعاب آخر رجلًا فقال : ذَاكَ مِنْ يَتَامَى الْخَيْلِ ، أُلْبِغْ مَا يَكُونُ فِي نَفْسِهِ أَعْيَا
 مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلْسَانِهِ .

قال ربيعة الرأى : السَّاكُتُ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْأَنْخَسِ .

تَذَاكَرْتُمْ فَضْلَ الْكَلَامِ عَلَى الصَّمْتِ وَفَضْلَ الصَّمْتِ عَلَى الْكَلَامِ ، فَقَالَ
 ١٥ أَبُو مُسَيْبٍ : كَلَّا ! إِنَّ النَّجْمَ لَيْسَ كَالْقَمَرِ ، إِنَّكَ تَصِفُ الصَّمْتَ بِالْكَلَامِ ، وَلَا تَصِفُ
 الْكَلَامَ بِالصَّمْتِ .

(١) الْبَافُوحُ : هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَلْتَقِي فِيهِ عَظْمُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ مَعَ عَظْمِ مَوْئِرِهِ . (٢) أَعْنَانُ السَّمَاءِ :
 نَوَاحِيهَا .

وذم قومٌ في مجلس سليمان بن عبد الملك الكلام، فقال سليمان: اللهم جفّوا، إن من تكلم فأحسن قدر أن يصمت فيحسن؛ وليس من صمت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن.

قال بكر بن عبد الله: طول الصمت حيلة، ونحوه قول عمر بن الخطاب: ترك الحركة عقله.

وكان نوفل بن مساحق إذا دخل على امرأته صمت، وإذا خرج من عندها تكلم؛ فقالت له: أما عندى قططرق، وأما عند الناس فتنتطق! قال: أدق عن جليلك ويحلمين عن دقيق.

وفي حكمة لقمان: يا بني، قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت.

قال ابن إسحاق: السّئاس خافق بآمين لأحدهم عين ويد رجل يقفز بها، وأهل اليمن يصطادونهم؛ فخرج قومٌ في صيدهم فراؤا ثلاثة نفر منهم فأدرؤوا واحداً ففقروه وذبحوه وتوارى آثان في الشجر، فقال الذى ذبحه: إنه لسمين، فقال أحد الاثنين: إنه أكل ضرؤاً، فأخذوه فذبحوه، فقال الذى ذبحه: ما أقع الصمت! قال الثالث: فهأنا الصميت فأخذوه وذبحوه. (الضرؤ: حبة الخضرا).

كان يقال: إذا فأنك الأدب فالزم الصمت.

(١) في البيان والبيان (ج ١ ص ١٥٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤): «خسة». والمحسة بالضم: اسم من الاحتباس وهو تملز الكلام عند إرادته. (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٦): «قال: إن أجل من دقيقك، ودقيق عن جليل». (٣) وردت هذه الحكاية في كتاب الحيوان للدمري (ج ٢ ص ٤١٥) باختلاف يسير في بعض ألفاظها لا يخرجها عن المعنى المراد. (٤) كذا في حياة الحيوان. وفي الأصل: «ينقر».

وقال بعضهم : لا يَحْتَرَى عَلَى الْكَلَامِ إِلَّا فَاتِقٌ أَوْ مَا تَقِي^(١) .

وقال الشاعر يمدح رجلا :

صُمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ * وَفَتَاؤُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْخُسَمِ^(٢)
قال أبو الدرداء : أَنْصِفْ أَذُنَيْكَ مِنْ فَيْكِ ، فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ [اثنان] ^(٣) وَفَمٌ^(٤)
وَاحِدٌ ، لَتَسْمَعَ أَكْثَرُ مَا تَقُولُ .

حَضَرْتُ شَيْئاً بَجَلَسَا مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَأَطَالَ الصَّمْتُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ :
بِحَقِّ مُتَيْمٍ تُرْسُ الْعَرَبِ ؛ فَقَالَ الشَّيْئِيُّ : يَا أَيْحَى ، إِنَّ حَظَّ الرَّجُلِ فِي أَذُنِهِ لِنَفْسِهِ ،
وَحَفْظُهُ فِي لِسَانِهِ لغيرِهِ .

وقال بعض الحكماء : أَكْثَرُ الصَّمْتِ مَا لَمْ تَكُنْ مَسْئُولًا فَإِنَّ قُوَّةَ الصَّوَابِ أَيْسَرُ
مِنْ خَطَلِ الْقَوْلِ ؛ وَإِذَا نَارَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى مَرَاتِبِ الْفَاتِلِينَ الْمُصِيبِينَ ، فَأَذْكُرْ مَا دُونَ
الصَّوَابِ مِنْ وَجَلٍ أَوْ خَطَأٍ وَفَضَائِحِ الْمُقْصَرِّينَ .

تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ الْهَيْمِ بْنِ صَالِحٍ بِخَطَأٍ ، فَقَالَ لَهُ الْهَيْمُ : يَا هَذَا ، بِكَلَامٍ
مِثْلِكَ رَزَقَ أَهْلُ الصَّمْتِ الْحُبَّةَ . وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

خَلَّ جَنَّتِيكَ رَّامٌ * وَأَمِضْ عَنْهُ نِسْلَامٌ
مَتَّ بَدَاءَ الصَّمْتِ خَيْرٌ * لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مِنَ الشَّجَمِ فَاهُ يُلْجَأُ^(٥)

(١) الفاتق : الأدب العام - والماتق : المالك حقا وخيارا .

(٢) في الأصل « المهتر » وهو تحريف ، لأن الغافية ممية ؛ وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب
الزقاق يرى مالك بن أنس الملقب كما في العقد الفريد لأبن عبد ربه (ج ١ ص ٢٩٣) وبعده
وعى ما وصى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب بالعلم والهم

(٣) الإيادة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) - (٤) في البيان والبيان (ج ١ ص ١٤٩) :

« السلم » .

وقال آخر :

رَأَيْتُ السَّانِبَ عَلَى أَهْلِهِ * إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْتًا مُغِيرًا

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا صاحب لنا عن مالك بن دينار أنه قال : لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام .

وقال الأصمعي : إذا نظرتَ العربي كثرة كلامه ، وإذا نظرتَ الفارسي كثرة مسكوكته .

قال حاتم طي : إذا كان الشيء يُكْفِيكَ التُّرْكَ فَاتْرُكْهُ .

قال عبد الله بن الحسن لأبيه : استعن على الكلام بطول الفِكَرِ في المواطن التي تدعوك فيها نفْسُكَ إلى القول ، فإنَّ للقول ساعاتٍ يضُرُّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب .

وقال إياس بن قتادة :

تُعَاقِبُ أَيْدِيَنَا وَيُحِلُّ رَأْيُنَا * وَتَسْتُمُّ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ^(١)

تكلم ابن السكّال يوما وجارية له تسمع كلامه ، فلما دخل إليها قال : كيف رأيت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تكثر تردّاده ! قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه ، قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد ملّه من فهمه !

قال عيسى بن مريم : من كان متطّعه في غير ذكرٍ فقد لنا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكرٍ فقد لها .

(١) في نهاية الأرب (ج ٢ ص ٦) وحاشية أبي تمام فرح البربري (طبع مدينة بن) : « ونحوه أيدينا ... الخ ونسب البيت فيها إلى معبد بن طرفة - ونسب في أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٣) إلى إياس بن قتادة ، كما في الأصل هنا .

كان العباس بن زُفر لا يُكَلِّم أحداً حتى تَبَسَّطَ الشَّمْسُ، فإذا أَفْتُلَ عن صلاته ضَرَبَ الْأَعْنَاقَ وَقَطَعَ الْأَيْدَى وَالْأَرْجُلَ . وكان جَرِيرٌ لا يَتَكَلَّمُ حَتَّى تَبْرُغَ الشَّمْسُ ، فإذا بَرَّغَتْ قَذَفَ الْمُحْصَنَاتُ .

قال قتادة : مكتوب في التوراة : لا يُعاد الحليث مرتين .

قال الزُّهْرِيُّ : إعادة الحليث أشدُّ من وقع الصَّخَرِ .

وفي كتب العجم : أن أربعة من الملوك اجتمعوا فقالوا كلُّهم كلمة واحدة كأنها رميةٌ بينهم : ملك فارس ، وملك الهند ، وملك الروم ، وملك الصين . قال أحدهم : إذا تكلمتُ بالكلمة نَلَكْتَنِي ولم أَمْلِكْهَا . وقال آخر : قد نَدِمْتُ على ما قُلْتُ ولم أُنَدَمْ على ما لم أَقُلْ . وقال آخر : أنا على ردِّ ما لم أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي على ردِّ ما قُلْتُ . وقال آخر : ما حاجتي إلى أن أتكلَّم بكلمة ، إن وقعتُ على ضَرْحِي ، وإن لم تقع على لم تَفْعَلِي .
قال زُبَيْدُ الْيَاسِيِّ : أَسَكَنْتَنِي كَلِمَةُ أَبِي مَسْعُودٍ عَشْرِينَ سَنَةً : مَنْ كَانَ كَلَامُهُ لَا يُوَافِقُ فِعْلَهُ فَإِنَّمَا يُوجَّحُ نَفْسُهُ .

وفي كتاب كَلِيلَةِ دِمْنَةٍ : ثلاثة يُؤْمَرُونَ بالسكوت : الزَّائِقُ فِي جَبَلٍ طَوِيلٍ ، وَآكِلُ السَّمَكِ ، وَالْمُرَوِّى فِي الْأَمْرِ الْجَسِيمِ . قال بعض الشعراء :

فَد أَفْلَحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ « كَلَامُ وَاعِي الصَّكَّامِ قُوْتُ »

(١) اقتل عن صلاته : انصرف عنها . (٢) كذا في الأنساب للسماني ؟ وتبديب التهذيب ؛ وتاج العروس . وهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب الياسي نسبة إلى يام بلن من مدائن . وفي الأصل « زيد الثاني » بالنون وهو تحريف . (٣) المرؤى : من روى في الأمر ويقال رؤا (بالهمزة) إذا نظره وتعبه ولم يسجل بجواب . (٤) هو محمد بن أبي الناجية كما في الأغاني (ج ٣ ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو محمد كورأ يضا في ديوان والده أبي الناجية (ص ١٤ طبع بيروت) .

ما كلُّ نُظْفِي لَهُ جوابٌ * جوابُ ما يُكْرَهُ السُّكُوتُ
يا عَجْباً لا كَرِيءَ ظُلُومٍ * مُسْتَقِينُ أَنَّهُ يَمُوتُ

بلغني عن أبي أسامة عن ابن عَوْن عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلموا
وصمت الأحنف ؛ فقال معاوية : يا أبا بجر، مالك لا تتكلم ؟ قال : أخافكم إن
صدقتكم، وأخاف الله إن كذبت .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا الحميد بن حنبل قال حدثنا أبو الحكم مروان بن
عبد الواحد عن موسى بن أبي درهم عن وهب بن منبه قال قال ابن عباس :
كنى بك ظالمياً إلا ترال محاسماً ، وكنى بك آثماً إلا ترال محارياً ، وكنى بك كاذباً
إلا ترال محدثاً بغير ذكر الله تعالى .

وقال بعضهم :

يَمُوتُ الْفَقِي مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ * وليس يموتُ المرءُ من عَثْرَةِ الرَّجُلِ^(١)
فعرثته من فيه ترى برأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

سئل بعض الحكماء عن البلاغة، فقال : من أخذ معاني كثيرة فآذاها بالفاظ
قليلة، أو أخذ معاني قليلة فولد فيها ألفاظاً كثيرة .

بلغني عن أبي إسحاق الفزاري قال : كان إبراهيم يطيل السكوت ، فإذا تكلم
أنبسط، فقلت له ذات يوم : لو تكلمت ! فقال : الكلام على أربعة وجوه، فمنه
كلامٌ تريجو منفعتَه وتحشى عاقبته، فالفضلُ منه السلامة ؛ ومنه كلامٌ لا تريجو منفعتَه
ولا تحشى عاقبته ، فأقول مالك في تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك ؛ ومنه كلامٌ

(١) هذا البيت لمعرف بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كما في النسخة الفريدة

لا ترجو منفعةً وتحشى عاقبته، وهذا هو الداء المضال؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعةً وتأمين عاقبته، فهذا الذى يجب عليك نشره؛ قال: فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام.

الاستدلال بالعين والإشارة والنسبة^(١)

- يقال: رُبَّ طَرْفٍ أفصح من لسان. قال أعرابي:
- إِن كَأْمُونَا الْقَلْبُ نَمَّتْ عِيُونُهُمْ * وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ
- وقال آخر:
- إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا * تُضْمِرُهُ أَثْبَتَكَ عَنْهَا الْعُيُونُ
- آخر:

- أَمَّا تُصِرُّ فِي عَيْنِي عُنْوَانَ الَّذِي أَبْدَى
- وقال ذو الرمة:
- تَمَّ هَاجَتِ الْأَطْلَالُ شَوْقًا كَفَى بِهِ * مِنَ الشُّوقِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ
- فَمَا زِلْتُ أَطْوِي النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّهَا * يَذِي الرِّمْتُ^(٢) لَمْ تَحْطُرْ عَلَى بَالِ ذَاكَ
- حَيَاءً وَإِشْفَاقًا مِنَ الرِّكْبِ أَنْ يَرَوْا * دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّائِرِ
- وقال الحارثي يذكر مبيتا:
- أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَعْجَدْنَا قِرَى^(٣) * مِنَ الْبَيْتِ^(٤) وَالْدَّاءِ الدَّحِيلِ الْخَطِيرِ
- وَأَوْسَعَنَا عَلَمًا بَرَدًا جَوَابِنَا * فَأَعْجَبَ بِهِ مَنْ نَاطِقٍ لَمْ يَحْجَاوِرِ

(١) النسبة بالضم: هي الحال الناطقة بنبر اللفظ والمشرية بنبر اليد (من البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥).

(٢) أطوى النفس: أضمرها على شيء من حبة. وذو الرمت: اسم واد لقي أحمد.

(٣) أعجدا: أشعنا. (٤) البت: التبع والحزن، وقيل أشعه.

ومثل هذا قول القائل : سَلَى الْأَرْضَ قَعْلَ لَهَا : من شَقَّ أَهْوَكَ ، وَغَرَسَ
أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثَمَارَكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حَيَوَارًا ، أَجَابَتْكَ آعْتَابًا . قال أبو العتاهية :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ * دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ * مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ

يُقَامُ الْمَرْءُ لِلْمَرْءِ * إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ

وَفِي الْعَيْنِ غَيٌّ لِلْعَيْنِ أَنْ تَنْطَلِقَ أَنْوَاهُ^(١)

الشعر

يقال : خَيْرُ الشَّعْرِ مَا رَوَّكَ نَفْسَهُ . ويقال : خَيْرُ الشَّعْرِ الْحَوَلِيُّ الْمُنْفَعُ الْمُحْكَمُ .

سيمع أعرابي رجلًا يُنْشِدُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : سُرَّ
لَا حَلَاوَةَ لَهُ . قِيلَ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ : أَرَأَيْتَ الشَّاعِرِينَ يَجْتَمِعَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ
فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ؟ فَقَالَ : عَقُولُ رِجَالٍ تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهَا .

قَالَ بَشَّارٌ يَصِفُ نَفْسَهُ :

زُورُ مَلُوكٍ طَلِيهِ أَهْبَةٌ * يُرْفُ مِنْ شَعْرِهِ وَمِنْ خُطْبَةٍ

فَهْ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ * مِنْ لُؤْلُؤٍ لَا يُنَامُ عَنْ طَلَبِهِ

يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ فِي النَّدَى كَمَا * يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاحِ مِنْ هَبَةِ^(٢)

(١) القائل هو الرقاشي كما في الصائغين لأبي هلال العسكري (ص ١١ طبعة الأستاذة سنة ١٣١٩ هـ) .

(٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جاوره وواجهه في الكلام . (٣) لم نجد هذه الأبيات في ديوان

أبي العتاهية المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٨ م . (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ٤) طبعة القاهرة

سنة ١٣٣٢ هـ : «الر» . (٥) الزود : الزائر . (٦) كُتِلَا في الأصل ، وفي ديوان بشار

(ص ١٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : «يخرج ... للثنى ... الخ» .

تَرْوُ إِلَيْهِ الْحُدُثُ غَدِيَّةٌ * وَلَا تَمْلُ الْحَسِيثَ مِنْ نَجِيَّةٍ
تَلْعَابُهُ تَعَكُّفُ الْمُلُوكُ بِهِ * تَأْخُذُ مِنْ جَدِّهِ وَمِنْ لَعِيَّةٍ
يَزِدُّهُمْ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ * يَبَايَهُ مُمْرِصِينَ فِي أَدْبِهِ

وقال الطائي يذكر الشعر :

- إِنَّ التَّوَاقِيَّ وَالْمَسَاقِيَّ لَمْ تَزَلْ * مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا أَصَابَ قَرِينَا
هِيَ جَوْهَرٌ تَرُّ فَإِنَّ أَلْفَنَّهُ * بِالشَّعْرِ صَارَ قَلْبَانَا وَعُقُودَا
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأَلَى * يَدْعُونَ هَذَا سُؤْدَدًا نَجْدُونَا^(٢)
وَتَسُدُّ عَنْهُمْ الْعَلَا إِلَّا عُلَا * جُعِلَتْ لَهَا مِرْرُ الْقَرِيضِ قُبُودَا^(٣)

وقال أيضا :

- وَلَمْ أَرْكَ الْمَعْرُوفَ تُدْعَى حُقُوقُهُ * مَفَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ وَهِيَ مَغَانِمُ
وَإِنَّ الْعَلَا مَا لَمْ تَرَ الشَّعْرَ بَيْنَهَا * لَكَالْأَرْضِ غَفْلًا لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ^(٤)
وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يُسْرَى فَيَغْتَدِي * لَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمُ
يَرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فَكَاهَةٌ * وَيُقَضَّى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمُ^(٥)
وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَبِهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى * بُغَاةُ الْعَلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

- ١٥ (١) رجل تلمذة بكسر التاء : كثير الخرج والمداغة .
(٢) في ديوان أبي تمام المطبوع (ص ٩٠) : « الجمان » .
(٣) في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٦ أدب (ص ٤٨) وديوانه المطبوع أيضا (ص ٩٠) : « معددا » بالخاء المهملة .
(٤) المراجع مرة ، والأصل في الزيادة طاقة الحبيل .
(٥) رواية الديوان (ص ٢٨٦) : « ولا كالعلا ما لم يرو... فكألا أرض ... الخ » .
(٦) القفل من الأرض : ما لا علامة فيه .
(٧) كذا في ديوانه . وفي الأصل « ترى » .

وقال عُمر بن لُحَيْمٍ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ؛ قال : ولمَ ذلك ؟ قال :
لأنِّي أقولُ البيتَ وأخاه ، ولأنك تقول البيتَ وأبن عمه .

قيل لعُقَيْل بن عُلْفَةَ : ألا تُطِيلُ الهِجَاءَ ؟ فقال : يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ
بِالْعُنُقِ .

وقال بعضهم : خَيْرُ الشَّعْرِ الْمُطْمَعُ .

قيل لكَثِيرٍ : يَا أَبَا حَفْصٍ ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا عَسُرَ عَلَيْكَ قَوْلُ الشَّعْرِ ؟ قال :
أَطُوفُ بِالرَّبَاعِ الْخَلِيلَةِ^(١٢) وَالرِّبَاضِ الْمُعْشَبَةِ ، فَيَسْهَلُ عَلَيَّ أَرْضَتُهُ وَيُسْرِعُ إِلَى أَحْسَنِهِ .
ويقال : إنه لم يُسْتَدْعَ شَارِدُ الشَّعْرِ بِمَثَلِ الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالشَّرَفِ الْعَالِي ،
وَالْمَكَانِ الْخَيْرِ الْخَالِي أَوِ الْخَالِي^(١٣) .

وقال عبدُ الملك بن مَرْوَانَ لَأَرْطَاةَ بْنِ سُبَيْةَ : هَلْ تَقُولُ الْآنَ شِعْرًا ؟ قال :
مَا أَشْرَبُ^(١٤) ، وَلَا أَطْرَبُ ، وَلَا أَغْضَبُ ؛ وَإِنَّمَا يَكُونُ الشَّعْرُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ .

(١) حِيارَةُ القَدِّ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢١٥) : « مَا لَكَ لَا تُطِيلُ ... اِنْعَم » .

(٢) كَذَا فِي كِتَابِ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ لِلْوَلَفِ (ص ١٨ طَبْعَةُ لَيْدَن سَنَةِ ١٩٠٢) وَالْخَلِيلَةُ : الْخَالِيَّةُ
مِنَ السَّكَنِ ؛ يُقَالُ : خَلَّتِ الدَّارُ وَأَخْلَتْ . وَفِي الْقَدِّ الْفَرِيدِ (ج ٣ ص ١٤٣) : « بِالرَّبَاعِ الْخَلِيلَةِ »
وَهِيَ الَّتِي أَنْتَ طَلَبْتَ أَسْوَاحَ قَبْرِهَا . وَفِي الْأَصْلِ : الْخَلِيلَةُ بِأَنَاءِ الْمُعْجَمَةِ .

(٣) كَذَا فِي الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ (ص ١٨) وَالْقَدِّ الْفَرِيدِ (ج ٣ ص ١٤٢) وَفِي الْأَصْلِ : « لَمْ يُسْرِعْ » .
(٤) الْخَالِي هُوَ الْخَالِي مِنَ الضُّوْءِ . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الصِّبَاةُ فِي الْقَدِّ الْفَرِيدِ (ج ٣ ص ١٤٣)
بِدُونِ الْكَلِمَةِ « الْخَالِي » ثُمَّ قَالَ صَاحِبُ الْقَدِّ : « نَأْزُلُ بَعْضَهُمُ « الْخَالِي » بِرِيدِ الْخَالِ مِنَ التَّوَارِيقِ الرِّبَاضِ
وَهُوَ تَوْجِيهِ حَسَنٌ » . وَأَمَّا « الْخَالِي » بِالْمَهْمَلَةِ فَهُوَ الْمُجَلِّي بِالنَّوَارِ ، وَهوَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّهْرِيِّ

(ج ٢ ص ٨٩ مِنْ دِيْوَانِ الْحَلَسَةِ لِأَبِي تَمَامٍ طَبْعَةُ مَعْرِسَةِ ١٣٢٢ هـ) :

وَلَمَّا نَزَلْنَا مِزْلًا طَلَّ النَّسْدَى * أَتَقَنَّا وَبُسْتَانًا مِنَ النَّوْرِ حَالِيَا

(هـ) فِي الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ (ص ١٨) : « قَالَ كَيْفَ أَقُولُ وَأَنَا مَا أَشْرَبُ ... اِنْعَم » .

^(١١) وقيل لكثير: ما بقي من شعرك؟ فقال: ماتت عزة فإطرب، وذهب الشباب فما أعجب، ومات ابن كليل فما أرغب—يعني عبد العزيز بن مروان— وإنا الشعر بهذه الحلال.

^(١٢) وقيل لبعضهم: من أشعر الناس؟ فقال: أمرؤ القيس إذا ركب، والنابعة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

وقيل للعجاج: إنك لا تحسن المجاء، فقال: إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم، وأحساباً تمنعنا من أن نظلم، وهل رأيت بانيلاً يحسن أن يهيم!

وقلت في وصف الشعر: الشعر ممدد علم العرب، وسفر حكتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على ماثرها، وأنتدق المحجوز على مفارحها، والشاهد العذل يوم النصار، وأجحة القاطعة عند الخصاص؛ ومن لم يغم عنهم على شرفه وما يدعيه لسلقه من المناقب الكريمة والأفعال الحميدة بيت منه، شئت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودست على مرور الأيام وإن كانت جساماً، ومن قيدها بقوافي الشعر، وأوثقها بأوزانه، وأشهرها بالبيت النادر، والمثل السائر، والمعنى اللطيف، أخلدها على الدهر، وأخلصها من الفجدة، ورفع عنها كيد العدو وغص عين الحسود.

وما جاء في الشعر كثير. وقد أفردت للشعراء كتاباً، وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب. وذكرت هذه التفتة في هذا الكتاب كراهية أن أخيله من فن من الفنون.

(١) رواية الأمامي (ج ١ ص ٣٠ طبع دار الكتب المصرية): «قيل لكثير: مالك لا تقول الشعر! أجبت؟ قال: واقع ما كان ذلك، ولكن فقدت الشباب فما أطرب، ووزنت حزة فأنسب، ومات... الخ» وفسر أبو علي القائل: «أجبت» بقوله: «أجبت، أي أقطعت من قول الشعر. أخذه من قولهم: أجبل الحافر إذا أتى إلى جبل فلم يترك الحفر» (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣): «وقالوا: أشعر الناس، النابعة إذا رهب، وزهير إذا غضب، وجبر إذا رغب».

حُسن التشبيه في الشعر

من ذلك قول ابن الزبير الأسدي في الثريا :

^(١) وقد لاح في النور الثريا كأنما * به راية بيضاء تحفّق للطنن

شبه الثريا حين تملّت للغيّب راية بيضاء خفقت للطنن .

ومن ذلك قول عترة في الذباب :

^(٢) وخلا الذباب بها فليس بنازج * ^(٣) هزجا كفعل الشارب المترم

^(٤) غردا يحك ذراعه بذراعه * ^(٥) فعل الميك على الزناد الأجدم ^(٦)

شبه حكم يده بيده برجل مقطوع الكفّين بقذح النار بمودين .

ومن ذلك قول أعرابي في العنب :

^(٧) يجلن أوعية السلاف كأنما * ^(٨) يجلن بأكارع التراب

أوعية السلاف : العنب، جملة ظرفا للتمر، وشبه شعب العناقيد التي تجل

الحب بأرجل النقران . (والنقر : طائر مثل الصقور أحر الخمار) .

(١) كما في معاهد التنصيص ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ، ونسبة خطية من الأغانى

محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨ م في أخبار أبي قيس بن الأسدي . وفي نسخة خطية أخرى من

الأغانى رقم ١٢٦١ : « تحفّض » بدل « تحفّض » وفي طبعة بولاق منه (ج ١٥ ص ١٦٦) « وقد لاح

في النور... » بإتفاف . وفي الأصل هنا :

وقد حم النور الثريا كأنما * له راية بيضاء تحفّض للطنن

وفيه أيضا « خفقت » في تفسير المؤلف البيت بدل خفقت التي أثبتناها ، نسا الرواية التي أثبتناها

في البيت . (٢) يمدى هذا البيت في شرح المعلقات للروزي (طبع القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ) :

«... فليس يابح . غردا» ويرى البيت الذي يمدى «هزجا يحك قدح الميك» .

(٣) الضمير في «بها» يعود على الروضة التي تصدى عترة لومفها في مملته . (٤) هزج ككف :

مصوت . (٥) غرد : من غرد الطائر إذ أخرج صوته في غناؤه وطرب . (٦) الميك : من

أكب على الشيء : أقبل عليه وزنه . (٧) الأجدم : المقطوع اليد ؛ وقيل الذهب الأنامل .

(٨) في اللسان مادة «نفر» : «يجلن أزفاق المسداه... بإطاف... الخ» .

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال الآخر، وكان غشي عَيْنَهُ بياضٌ أو نَزَلَ فهُمَا ماءٌ :

يقولون ماءٌ طيبٌ خانَ عَيْنَهُ * وما ماءٌ سوءٌ خانَ عَيْنِي بطيبٍ

ولكنه أزمانٌ أنظرُ طيبٌ * بعيني غداً في علا فوق مرّيقٍ

كَأَنَّ أَبْنَ بَحْلٍ مَدَّ فَضْلَ جَنَاحِهِ * على ماءٍ إنسانَيْهِمَا المتغيّبِ

شبهه ما علا الحَذَقَةُ بِجَنَاحِ فَرِيخٍ من فِرَآخِ الزناير قد مَدَّ على ناظره .

ومن ذلك قولُ امرئ القيس وذكر العُقاب :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا * لَدَى وَكْرِهَا الْعُتَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

شبهه الرُّطْبَ بالعُتَابِ، واليابس بالحَشَفِ . وشبه شيئين بشيئين في بيت واحد .

ومن ذلك قولُ أَوْسَ بنِ حَجْرٍ وَذَكَرَ السيف :

كَأَنَّ مَدْبَ النَّمْلِ يَلْتَمِسُ الرُّبَى * ومُدْرَجٌ ذَرٌّ خَافَ بَرْدًا فَأَمْسَهَلَا

شبهه فَرِيْدَ السيفِ بِمُدْرَجِ النَّزْرِ وَمَدْبَ النَّمْلِ .

ومن ذلك قولُ أَبِي نُؤَاسٍ في البازي :

وَمَنْسِرٌ أَكَلْتُ فِيهِ شِفَاً * كَأَنَّهُ عَقْدٌ ثَمَانِيْنَ^(٨)

(١) الفدافي: الشديد الواد، نسبة إلى الفداف وهو التراب وفي الأصل : «بعني غداً» .

(٢) الجمل بتقديم الجمل على الماء : العسوب النظم ، وهو في خلق الجراد إذا سقط لا يضم جناحه ،
والجمع بهول وجهلان . (٣) العتاب كرتان : شجر معروف ، حبه كحب الزيتون في شكله .

(٤) الحشف : ما يس من القم، ولم يكن له علم ولا نوى . (٥) القدر : حصار النمل ، وأحدته

ذرة . (٦) فرند السيف بكسر الفاء والراء : جوهره وشبهه وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) الثَّنَا : زيادة في المقار الأعل على الأسفل مع تَعَفُّفٍ وانطلاف ، وإذا سميت العُقاب بالشواء .

(٨) شبه منسر البازي الذي فيه الثنا بمقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جاهليتهم ؛ وصفة عقده
الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظهر الإجمام . (راجع بلوغ الأرب للأربوسي طبعه بدمشق ج ٣

ومن ذلك قول أعرابي في امرأة :

قامت تصدّى له عمداً لتقتله * فلم ير الناس وجداً مثل ما وجدنا
ببيد آدم لم تمسك فلاته * وتأهد مثل قلب الظبي ما نهدا
فظل كالحائم المهيأ ليس له * صبر ولا يأمن الأعداء إن ودا

شبه قلبها في نهوده بقلب الظبي في صلابته ، ولا نعلم أحداً شبه الثدى بقلب
الظبي غيره .

ومن ذلك قول بجند السكلى في امرأة :

على قدم مكنونة اللولب رخصة * وكعب كلفرى جودر الرمل أدرما^(١)
شبه كعبها بأصل أذن الجودر ، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حميد بن ثور يصف قريح القطاة :

كلّ على أشداقه نور حنوة^(٢) * إذا هودد الحيد منه ليطما^(٣)
ومن ذلك قول دحبل يهجو امرأة :

كانت التاليل في وجهها * إذا سقرت يبد الكشمش^(٤)
لها شعر قرد إذا أزيّت * ووجه كبيض القطا الأبرش^(٥)

(١) يقال : ظي آدم إذا أشرب لونه بيضا . (٢) الحاتم : الطشان الذى يحوم حول الماء .

(٣) الميان : الطشان . (٤) القري : الظلم الشاخص خلف الأذن . (٥) كعب آدم :

سوى . (٦) كذا رماه الخلف في كتابه « الشعر والشعراء » (ص ٢٣٠) . والحنوة بالفتح : نبات

سوى طيب الريح . وفي الأصل « غنوة » بالغلط وهو تحريف . (٧) في شرح حساسة أبي تمام

التبريزى (ص ٨٢١ طبع مدينة بومسنة ١٨٢٨) : « أن أبا عبيدة أشهد هذا الشعر لأبي النظمش

الحضى » . (٨) التاليل جمع قلولد وهو الحية تظهر في الجلد كالخسفة فادنها . (٩) اليد

جمع يدة وهي القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير .

(١١) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل : « إذا زينت » . (١٢) الأبرش : ما به برش ،

والبرش كالبرص وزنا ومنى .

ومن ذلك قولُ أبي نُؤاسٍ في وصف البط :

* كَأَنَّمَا يَصْفِرُونَ مِنْ مَلَأَقٍ ^(١) *

ومن ذلك قولُ بعض الرُّبَازِ في جارية سوداء :

كَأَنَّمَا وَالْكُمُلُ فِي مِرْوَدِهَا * تَكْمُلُ عَيْنُهَا بَعْضَ جِلْدِهَا

ومن ذلك قولُ الجُعْدِيّ في فرس :

يَخِيطُ عَلَى زَفْرَةٍ قَمَمٌ وَلَمْ * يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضْمٍ ^(٢)

يقول هو مستفيخ الجنبين ، فكأنه زَفَرٌ فَأَتَفَخَّ جَنْبَاهُ ثُمَّ خِيطَ عَلَى ذَلِكَ .

ومن ذلك قول الطَّرِيحِ يصف الثَّوْرَ :

يَسْدُو وَيُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ * سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ ^(٣)

ومن ذلك قول النابغة للثَّمان :

فَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدِيرِكِي * وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمَتَايَ عَنْكَ وَاسِعٌ ^(٤)

ومن ذلك قوله في المرأة :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا * نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِ الْمَوْتِ

يقول : نظرتُ إليك ولم تقدر أن تشكِّمَ ، كما ينظرُ المريضُ إلى وجوه عَوَادِهِ

وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكْتُمَهُمْ *

(١) عجزه كافي الشعر والشعراء ص ٢٠ :

* مصرية الأكلام في المهارق *

(٢) كذا في اللسان مادّة «زفر» و «هضم» في الأصل «البعفري» . (٣) زفرة الفرس :

وسله ، يقال لفرس إنّه لعظيم الزفرة ، أى عظيم الجوف . (٤) كذا في اللسان . وفي الأصل

«ولا هرم» والمضم : استقامة الضلع ودخول أعاليها ، وهى من عيوب الخيل التى تكون خلقة .

(٥) كذا في «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفي الأصل : «ويضد» . (٦) كذا في ديوان النابغة

ملح ياريس واللسان مادة «أى» في الأصل : «قلت» . (٧) يريد بالمرأة المتجوزة زوج الثَّمان .

ومن ذلك قول طرفة :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتي ، كَلَّ الطول المرتضى وثيَّاه باليد

ومن ذلك قول بعض الضَّيَّين يصف أباريق الشراب :

كأن أباريق الشمول عشيَّة ٥ إوزٌ بأعل الطف عوج الحناجر

ونحوه قول أبي المندى :

سبغني أبا المندى عن وطيب سايلم ٥ أباريق لم يعلق بها وضر الزيد

مُدَّة قزاً كأن رقابها ٥ رقاب بنات الماء تفزع للرعد

ومن ذلك قول نصيب في عبد العزيز مروان :

وكذلك أنس بالمعتفين ٥ من الأم بأبنيها الزائرة

ومن ذلك قول عدي بن الرقاع في الظبية :

ترجي أغن كأن يبرة روقه ٥ قلم أصاب من الدواة مداها

ومن ذلك قول بشار :

كأن منار التقيج فوق رؤوسهم ٥ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبهم

(١) القول : الحبل الطويل تشد به قاعة الدابة ويمسك صاحبها بطرفه ويركها زحى .

(٢) القائل لهذا البيت هو شبرة الضبي كما في اللسان مادة « برق » . (٣) الطف : ما أشرف

من أرض العرب على وديع العراق . (٤) كذا في اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج

الزقاب . وفي الأصل : « المتأخر » ، بالحاء المعجمة ، ولعلها « المتأخر » بالحاء المهملة ، جمع منحرو وهو موضع

النحر من الخلق . (٥) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس كما في اللسان مادة « وضر » .

(٦) الوضر : وجه الجسم والبن . (٧) المقدم : الإبريق الذى على فمه فدام وهو نوق من قر

أرغفه . (٨) يريد بيجات الماء الإوز وما يشابهها من طيور الماء . (٩) ترجى :

تسوق . (١٠) الأغن من التلها : ما في صوته غنة . (١١) الروق : القرن .

(١٢) كذا في الأصل والشعر والشعراء . وفي التلخيص للقرظي « فوق دوسنا » وهى الرواية المشهورة .

ومن ذلك قوله :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى * كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

ومن ذلك قول الآخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَنَى وَيَنْتَه * إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا لَيْسَ مِنْ أَعَاتِبُهُ

يقول : لا أَقْدِرُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ مِنْ بَغْضِهِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بَنَى وَيَنْتَه .

ومن ذلك قول الآخر :

كَأَنَّ نِيَرَاتِهِمْ فِي كُلِّ مَثَلَةٍ * مُصْبَغَاتٌ عَلَى أُرْسَانٍ قِصَارُ^(١)

النَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ هَذَا ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ أَقُولُ : الْأَوَّلَى أَنَّ يُشَبَّهِ الْمُصْبَغَاتُ
بِالنِّيرانِ ، لَا الْيَرَانِ بِالْمُصْبَغَاتِ .

الآيات التي لا مثل لها

١٠

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا معتمر عن ليث عن طائوس عن ابن عباس

قال : لَهَا كَلِمَةٌ تَجِي :

سُنِّدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا * وَبَيْنَكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ

حدثني الراشدي عن الأصمعي قال : أُرْعُ بِتِ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ أَبِي ذُؤَيْب :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

١٥

وأحسن ما قيل في الْكِبَرِ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ قُورٍ الْهَلَالِيِّ :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتِي بَعْدَ حِجَّةٍ * وَحُسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْكُنَا

(١) الْمُصْبَغَاتُ : الثِّيَابُ الَّتِي صُبِغَتْ وَلَوْنَتْ بِالْصَبْغِ .

(٢) الْأُرْسَانُ جَمْعُ رَسَنٍ بِالْحَرَكِ وَهُوَ الْحَبْلُ

(٣) الْقَصَارُ : الَّذِي يَجُورُ الْبَابَ وَيُدْفَعُهَا بِالْقَصْرِ ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ .

- (١) وأحسن من ابتداء مرثية أوس بن حجر في قوله :
 أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلُ جَزَئًا * إِنَّ الَّذِي تَكْرِهِينَ قَدْ وَقَعَا
 وأغرب من ابتداء قصيدة النابعة في قوله :
 كَلْبَنِي لِمَ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٍ * وَلَيْلُ أَقَاسِيهِ بَطْرُءِ الْكَوَاكِبِ
 حدثني الخَلْعَمِيُّ الشاعر قال : أحسن بيت قيل في الجُبْنِ قولُ نَهْشَلِ
 ابْنِ حَرَى :
 فَلَوْ كَانُوا لِي نَهْشَانَ كُنْتُ مُقَاتِلًا * بِإِحْدَاهِمَا حَتَّى تَمُوتَ وَأَسْلَمَا
 قال : وبيت المُقْبِلِ في قِساوة القلب :
 يُنْكِي عَلَيْنَا وَلَا تَنْبِكِي عَلَى أَحَدٍ * لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ
 قال : وبيت عبيد في الاستغفار :
 مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ * وَمَسْأَلُ اللَّهِ لَا يَحْبِبُ
 قال : وبيت منجوف بن مرة السلمي في الاحتفاظ بالمال :
 وَأَدْفَعُ عَنْ مَالِي الْحَقُوقَ وَإِنَّهُ * لَيُجْمُ فَتَكُ الدَّهْرَ جَمَّ مَصَابِيهُ
 قال : وبيت الحُكَيْمَةِ في إكرام النفس :
 وَأَكْرِمُ نَفْسِي الْيَوْمَ عَنْ سُوءِ طَعْمَةٍ * وَيَقْنِي الْحَيَاءُ الْمَرْءَ وَالرَّحْمُ شَاوِرَهُ
 (١) في الأصل : « وأحسن من ابتداء مرثية قول أوس بن حجر » . (٢) في الشعر
 والشراء (ص ٧) « تحذرين » . (٣) في الأصل : جرى بالجمع . وما أُنْجَاهُ عن الألف (ج ٨
 ص ١٥٩) و« طبقات الشعراء » ج ١ ص ١٣٠ طبعه لندن سنة ١٩١٣ م . (٤) في الأصل :
 « شاعر » وما أثبتناه عن ديوان الحليّة (طبعه لايبزيك سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) و« ديوان الديوان » : وأكرم
 نفسى ... الخ ... فنى الحياء (وزان فرح) : لومه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزهرقان ويمدح آل
 شماس مطعها :
 عَظَامُ سُلْطَانٍ مِنْ سُلَيْمَى لِحَامِهِ * تَحْمِي بِه ظُلُمَاتِهِ وَجَدَانِهِ

قال : وقول كعب في الإقدام ^(١) :

نَصلُ السَّيْفَ إِذَا قَصُرَ بَطْنُونًا * قُدَمَا وَنَحِيقُهَا إِذَا لَمْ تَحَقِّقْ

قال : وبيت عمرو بن الإطنابة في الصبر :

وَقَوِي كُلُّمَا جَشَّاتُ وَجِاشَتْ * مَكَانِكَ تُحْمَدَى أَوْ تَسْتَرِيحِي

وأحسن من هذا عندي قول قطري ^(٢) :

وَقَوِي كُلُّمَا جَشَّاتُ لِنَفْسِي * مِنَ الْأَبْطَالِ وَبَيْتِكَ لَا تُرَاعِي

فإنك لو سألت بقاء يوم * على الأجل الذي لك لم تُطَاعِي ^(٣)

قال : وبيت مسكين النابري في الجود ^(٤) :

طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ * وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ النَّزَالُ الْمُقْنَعُ

قال : وفي حسن الجوار قوله :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ * وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُزَلُّ الْقِدْرُ

ما ضَرَّ جَارًا لِي أَجْلُورُهُ * إِلَّا يَكُونُ لِبابِهِ سِتْرُ

قال : وممن رضى بالقليل بحيل ، قال :

أَقْلَبُ طَرَفِي فِي السَّمَاءِ لِمَلَّةُ * يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفُهَا حِينَ تَنْظُرُ

(١) هو كعب بن مالك ، كافى الكامل لبرد طبع أوربا (ص ٦٦) والأناضول ج ١ ص ٣٠. ورد

فيه «يوما» بدل «قدما» . (٢) روى هذا المصراع في حاشية أبي تمام هكذا :

أقول لما وقد طارت شطاما * من الأبطال ... الخ

(٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) رجاسة أبي تمام . وفي الأصل : « ... حياة ...

من الأجل ... الخ » وفي العقد الفريد : « ... حياة ... سوى الأجل ... » (٤) في شرح

حاشية أبي تمام للبربري : « قال حبة بن بجير ، وقيل إنه لسكين الفارس » . وروى البيت

فيه هكذا :

لحافى لحاف الضيف والبيت به * ولم يلهني عنه غزال مقنع .

(١)
وقول الآخر :

أليس الليلُ يُبْسُ أمَّ عمرو * وإِنا فذاك بنا تَدَانِي
تَرَى وَصَحَّ النَّهَارُ كَمَا أَرَاهُ * ويعلموها النهارُ كما علَانِي

قال : وبيت عمرو بن كلثوم في الجهل :

أَلَا لَا يَهْلُنُ أَحَدٌ عَلَيْنَا * فَتَجَهَّلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

قال : وبيت النابغة في ترك الإلحاح :

فَأَسْتَبْقِيُ وَذَكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ * قَبْأُ^(٢) يَمُضُّ بِفَارِبٍ مِلْحَا

قال : وفي إدراك التار قول مهلهل :

لَقَدْ قَتَلْتُ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ * حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَتَّبِعِي لَمْ أَحُدْ

قال : وبيت عروة بن الورد في تبليغ العذر في الطلب :

تُبْلِغْ عُدْرًا أَوْ تُفَيْدْ غَنِيمَةً^(٣) * وَمُبْلَغُ نَفْسِ عُدْرَهَا مِثْلُ مُنْجِجِ

قال : وبيت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى :

كُلُّوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ وَأَبْشُرُوا * فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمْ غَدَا

قال : وفي الشجاعة قول العباس بن مرداس :

أَشَدُّ عَلَى الْكَتَيْبَةِ لَا أَبَالِي * أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا

(١) هو الملوط كما في كتاب الشعر والشعراء لولف (ص ٢٦٧) ويرى فيه صدر البيت الثاني هكذا :

* بلى وترى السماء كما أراها *

(٢) القتب : وحل صنبر على قدر السام . وفي أساس البلاغة : « ومن المجاز قولم للتح : هو قتب

بعض بالفارسي ، وقطب ملحاح » ثم ساق بيت النابغة مستشهدا به على ذلك . (٣) في نزاة الأدب

للبنادى (ج ١ ص ٢٠٣) : « أكثرت قلى ... الخ » . (٤) رواية ديوان عروة بن الورد

طبع المطبعة الأهلية ببغروت (ص ٨) : « ... أو تصيب رغبة ... الخ » .

قال : وبیت المتنبس في المال وتيمره :^(١)

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير على الفساد

وأخبرنا دجيل بن علي الشاعر قال : أهي بيت قبل قول الطرماس في تيم :

تم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلك طرق المكارم ضلت

قال : وكذلك قول الأخطل :

قوم إذا استنج الأضياف كلهم * قالوا لأهمس بولي على النار

قال : وكذلك قول الحطيئة للزبرقان في قصر الهمة :

دع المكارم لا ترحل ليبتها * وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاظمي

قال غيره : وقول الطرماس في القلة والتمول :

لو كان يمتقي على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو أسد

ونحوه قول الآخر :

وأنت مليخ^(٢) كلم الحوا * ولا أنت حلو ولا أنت مر

وكذلك قول جرير في التيم^(٣) :

(١) كذا في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبعه ليدن سنة ١٣٠٥ هـ) والشعر والشعراء مؤلف

(ص ٨٨) ، ونهاية الأرب للزوري (ج ٣ ص ٦٤) . ويرى صدر البيت في الأغاني والشعر
والشعر : « وإصلاح القليل يذفيه ... الخ » . ويرى في نهاية الأرب : « ... مع الفساد » .
وفي الأصل نسب البيت « لبيد » . (٢) مليخ : لا طعم له ، ونحوه بعضهم يلجس الحوار الذي يجر
حين يقع من بطن أنه فلا يوجد له طعم . (٣) وقد ورد البيتان في ديوان جرير المخطوط المحفوظ
بدار الكتب المصرية تحت رقم أثر أدب ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

أأنا زارت وأهل مني جهود * وليت خيالنا مني يعود
ويرى في الديوان : « ... لو قيت ... أهي ... الخ » ويرى : « ... ولا يستامرون ... الخ » .

وقد مر صاحب الأغاني « ج ٧ ص ١٧٧ طبعه بولاق » البيت الأول مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطل .

وَأَنْكَ لَوْ رَأَيْتَ عَيْدَ تَيْمٍ * وَتَيْمًا قَلَّتْ أَيْهَا الْعَيْدُ
وَقَضَى الْأَرْحَمِينَ تَقِيَّبَ تَيْمٍ * وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودُ

وأحسن ما قيل في الهيبة :

يُخْضِي حَيَاءً وَيُفْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ * فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْقَسِمُ
وَأَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي مَصْلُوبٍ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ مَوْلَى الْأَنْصَارِ :
لَعَمْرِي لَنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشْدَبٍ ^(١) * طَوِيلُ تُمْفِكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ
لَقَدْ عَشَّتْ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مَرْزَا * وَعُوفِيَتْ عَنَّا لَمُوتٍ مِنْ ضَنْعَةِ الْقَبْرِ
وَأَقْلَبْتُ مِنْ ضَيْقِ التُّرَابِ وَغَمِّهِ * وَلَمْ تَقْعِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شَكْرِ
وَأَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي مَجُوسِي قَوْلُ أَهْرَابِي :
شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطَيْبِ الْمَشَاشِ ^(٢) * وَأَنْكَ بِحُرِّ جِسْوَادٍ خَضَمَ

وَأَنْكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْحَجِّمِ * إِذَا مَا تَرَدَّدْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ ^(٣)
وَمِنْ أَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي دَعْيٍ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُنَوِيِّ :
لَوْ أَنَّ مَوْتِي تَيْمٌ كُلُّهَا تُسْرُوا * وَأَعْتَبْتُكَ لَقِيلَ الْأَمْرُ مَصْنُوعُ

مِثْلُ الْجَدِيدِ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِي * تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعُ
وَمَحْوَهُ قَوْلُ الْآخَرِ :
أَجَارَتَنَا بَانَ الْخَلِيطُ فَأَنْتَبَرِي ^(٤) * فَمَا الْعَوْشُ إِلَّا أَنْ يَبِينَ خَلِيطُ
أَعَاتِبُهُ فِي عِرْضِهِ لِيَصُونَهُ * وَلَا يَلِمُ لِي أَوْ الْأَمِيرَ لَقِيطُ

(١) قطع مشلب : مقشر ما عليه من الشوك . (٢) مرزا : كريم يصيب الناس خبره .
(٣) في أساس البلاغة للزحزحري : « ومن المجاز : فلان طيب المشاش ، وإنه لكريم المشاش إذا كان ربا » . (٤) كذا بالأصل . وفي ديوان المعاني لأبي حلال العسكري المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : « التبري » بتقديم التبر على الباء ، ولم نوفق في المطاوعة التي بين أيدينا إلى استقائه . (٥) في ديوان المعاني : « إنَّ الجسد ... الخ » . (٦) الخليلي : القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قول دَعِيل في مالك بن طَوْق :

النَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْتَعِي لِمَا جَهِه • مَا بَيْنَ ذِي قَرَجٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومٍ
وَمَالِكٌ ظَلَمْتُ مَشْغُولًا بِنَفْسِهِ • يَرْتَمُ مِنْهَا نَحْرًا غَيْرَ مَرْمُومٍ
يَبْنِي بَيْوتًا نَحْرًا لَا أُنَيْسَ بِهَا • مَا بَيْنَ طَوْقٍ إِلَى عَمْرٍو بْنِ كُثُومٍ

التلطُّف في الكلام والجواب وحسن التعريض

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ترك عَقِيلٌ عليًا وذهب إلى مُعاوية ؛ فقال
معاوية : يا أهل الشام ، ما ظنكم برجل لم يصلح لأخيه ؟ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ،
إن أُنحى خيرٌ لنفسه وشرٌّ لي ، وإن مُعاوية شرٌّ لنفسه وخيرٌ لي . قال : وقال مُعاوية يوما :
يا أهل الشام ، إن عم هذا أبو هَبْ ؛ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ، إن عمه هنا حمالة
الحطَب ؛ وكانت أم جميل امرأة أبي هب وهي بنت حرب .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو هلال عن قتادة قال قال عبيد الله
ابن زياد لقيس بن عباد : ما تقول في رفي الحسين ؟ قال : أعفني أعفك الله !
فقال : لتقولن ؛ قال : يحيى أبوه يوم القيامة فيشفع له ، ويحيى أبوك فيشفع لك ؛
قال : قد علمتُ غشك وخُبثك ، لئن فارقتني يوما لأضعن بالأرض أكرتك شعرا .
قبل لَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : كيف رَضَاكَ عن عبد الأعلى ؟ قال : نِعَمَ الْمَرْءِ عَمْرُو^(٢)
ابن ميمون .

مرَّ عمر بن الخطاب بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففزعوا ووقف ؛ فقال
له عمر : مالك لم تفزع أصحابك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أجزم فأخاطبك ،
ولم يكن بالطريق ضيقٌ فأوسع لك .

(١) رَمَ الحافظ وغيره : أسلمه . (٢) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو .

حدثني الفضل بن محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله
ابن طاهر ذات يوم لرجل أمره بعمل : احذر أن تخطئ فأطيقك بكذا (لأمرظيم)
قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبته على الخطأ فما ثوابه على الإجابة ! .

رأى رجل من قريش رجلاً له هيئة رثة ، فسأل عنه ، فقالوا : من تغلب ، فوقف
له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رجلين قلباً وطمعاً البطحاء ؛ فقال له :
البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة ، وهي لي دونك ؛ وبطحاء ذي قار ، وأنا أحق
بها منك ؛ وهذه البطحاء وسواء الماكف فيه والباد .

حدثني سهل عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أو غيره : أن معاوية عرّض
فرساً على عبد الرحمن بن حسان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجش هزيم^(١) .
يريد قول النجاشي :

ونجى ابن حرب سابع ذو علالة^(٢) * أجش هزيم^(٣) والزماح^(٤) دواني

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة قال أخبرنا
داود بن أبي هند عن محمد بن عباد المخزومي أن قريشاً قالت : قبضوا^(٥) لأبي بكر

(١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذي قار : موضع قريب من ذي قار
التي كانت فيه الوعدة المشهورة بين العجم والعرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يتول عليه في المضاف
والمضاف إليه) . (٣) يريد بطحاء مكة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان غليظ
الصهيل ، وهو مما يحد في التيسل . والخزيم من الخليل : الشديد الصوت . (٥) هو قيس
ابن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب : (٦) لما بلغ معاوية أن النجاشي قال فيه هذا البيت
رفع شديده (شبهة شدة وهي الرجل بمنزلة الذي للراء) وقال : لقد علم الناس أن التيسل لا تحرى بمثل
فكيف قال هذا ! راجع الشعر والشعراء لؤلف (ص ١٨٩) . (٧) الملاحة بضم الميم : بقية
جري القوس . (٨) قبضوا : هيموا وأخذوا له .

رجلا يأخذنه، فقيضوا له طلحة بن عبيد الله؛ فأتاه وهو في القوم فقال: يا أبا بكر قم إلى؛ قال: إلآم تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة الآت والمزى؛ قال أبو بكر: من الآت؟ قال بنات الله، قال: فمن أنهن؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه: أجبوا صاحبكم، فسكتوا؛ فقال طلحة: قم يا أبا بكر، فإن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن عمر أن عمر قال: من يُخبرنا عن قنديل؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ماؤها وشل، وتمرها دقل، ولصها بطل، إن كان بها الكثير جاعوا، وإن كان بها القليل ضاعوا، قال عمر: لا يسألني الله عن أحد بعثه إليها أبداً.

- ١٠ حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأحمم قال: مريض زياد فدخل عليه شريح، فلما خرج بعث إليه مسروق [بن الأجدع يسأله] كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقال [مسروق]: إن شريحاً صاحب تعريض فسأله [فأله]؛ قال: تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء. ومات ابن لشريح ولم يشعر به أحد، ففدا عليه قوم يسألون به، وقالوا: كيف أصبح من فصل يا أبا أمية؟ فقال: الآن سكن عزه ورجاه أهله.

(١) كذا في مصحح باقوت ومصحح المستمعي، هي مدينة بالسند. وفي الأصل: «قنديل» بالقاء.

(٢) الرشل بالضمريك: الماء القليل والكثير منه. والمراد هنا الماء القليل.

(٣) الدقل بالضمريك: أردأ القتر.

(٤) الزيادة مأخوذة من المقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) -

(٥) كذا في المقد الفريد وفي الأصل: «... صاحب عريص الخ».

(٦) العز بالضمريك: التفق والكرب عند الموت.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني بعض الأعراب قال : هَوَى رَجُلٌ
امْرَأَةً ثُمَّ تَزَوَّجَهَا ، فَأَهْدَى إِلَيْهَا ثَلَاثِينَ شَاةً وَزَقَامَنَ حِمْرًا ، فَتَغَرَّبَ الرَّسُولُ فِي الطَّرِيقِ
بَعْضَ الْخَمْرِ وَذَبَحَ شَاةً ، فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ لِمَا أَرَادَ الْاِتِّصَافُ : اِقْرَأْ عَلَيَّ مَوْلَاكَ السَّلَامَ
وَقُلْ لَهُ إِنَّ شَهْرَنَا نَقَصَ يَوْمًا ، وَإِنْ مُخَيَّرَ رَاعِي شَاةً أَوْ نَاقَرًا نَوَمًا . فَلَمَّا أَتَى مَوْلَاهُ
فَأَخْبَرَهُ ضَرِبَهُ حَتَّى أَقْرَ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : خَطَبَ أَعْرَابِي إِلَى قَوْمٍ ، فَقَالُوا : مَا تَبْنِلُ
مِنَ الْمَدَائِكِ ؟ وَارْتَفَعَ السَّجْفُ^(١) فَرَأَى شَيْئًا كَرِهَهُ ، فَقَالَ وَاقِهِ مَا عِنْدِي نَقْدٌ ، وَإِنِّي
لَأُكَرِّهُ أَنْ يَكُونَ عَلَيَّ دَيْنٌ .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : قَالَ سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ لِلشَّعْبِيِّ : مَا تَشْتَهِي ؟
قَالَ : أَعَزَّ مَفْقُودٍ ، وَأَهْوَنُ مَوْجُودٍ ، قَالَ : يَا غُلَامُ أَسْقِهِ مَاءً .

المدايني قال : كَانَ لِابْنِ عَوْنٍ ابْنٌ عَمٌّ يُؤْذِيهِ ، وَلَأَحَاهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَوْنٍ ،
لِمَا بَلَغَ مِنْهُ : لَسَكُنْتُ أَوْلَا شَيْئَيْنِ مُسِيئَةٍ . فَشَهِدَ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ حَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ ،
فَرَدَّ شَهَادَتَهُ .

المدايني قال : قَالَ الْمُنْفَرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : مَا خَدَعَنِي أَحَدٌ قَطُّ غَيْرَ غُلَامٍ مِنْ بِلْعَارِثِ بْنِ
كُهَبٍ ، فَإِنِّي ذَكَرْتُ امْرَأَةً مِنْهُمْ ، قَالَ : أَيُّهَا الْإِمِيرُ ! لَا خَيْرَ لَكَ فِيهَا ، إِنِّي رَأَيْتُ
رَجُلًا قَدْ خَلَا بِهَا يَقْبِلُهَا ، ثُمَّ يَلْفَنِي بَعْدُ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّكَ رَأَيْتَ رَجُلًا يَقْبِلُهَا ؟ فَقَالَ : بَلَى ! رَأَيْتُ أَبَاهَا يَقْبِلُهَا .

(١) مرقوم : مكسور ، يقال : دُمْتُ أَنْفَ ظَلَمٍ أَوْ فَوْهٍ إِذَا كَسَرَ حَتَّى تَقَطَّرَ بِالْهَمِ .

(٢) السجف يفتح السين وكسر الطاء : السر .

(٣) لاحاه : نازحه .

قال المدائني : أتى شريحاً القاضي قومٌ بربيل ، فقالوا : إن هذا خطب إلينا :
فسألناه عن حرقته فقال : أبيع الدوابَّ ، فلما زوجناه ، فلما هو يبيع السناير ؛ قال :
أفلا قلم أيُّ الدوابَّ تبع ! وأجاز ذلك .

المدائني قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده آبن شُربة ، فقال له :
أتعرفه ؟ [وكان رُحى عنده بريئة] قال : نعم ، إن له بيتاً وشرفاً وقدمًا ، [نخلٌ سبيل] •
فلما خرج قال له أصحابه : أعرفته ؟ قال : لا ، ولكني أعلم أن له بيتاً يأوى إليه ،
وشرفه أذنائه ومُتجابه ، وقدمه هي قدمه التي يمشي عليها .

المدائني قال : سئل الشعبي عن رجل ، فقال : إنه لنافذ الطعنة ، ركين القدمة ،
يعني أنه حَيَّاط [فأثوه فقالوا : غرر بنا ، فقال : ما فعلت ! وإنه لَكما وصفت]

المدائني قال : أتى العريَّانُ بنُ الهيثم بشاب سكران ، فقال له : من أنت ؟ قال :
أنا آبنُ الذي لا يتزلُّ الدهرُ قَدْرُهُ • وإن تزلت يوماً فسوف تعودُ
تري الناسَ أفواجاً إلى ضَوْءِ ناره • فنهض قياماً حولها وقعوداً
ففلنَّ أنه من بعض أشراف الكوفة نخلته ، ثم ندم على ألا يكون سألَه من هو ،
فقال لبعض الشرط : سلَّ عن هذا ، فقال ، فقالوا : هو آبنُ بياع الباقِلِ .

دخل حارثة بن بدر الغداني على زياد ، وكان حارثة صاحب شراب وبوجه أثر ،
فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال حارثة : أصاب الله الأمير ، ركبتم فرسا

(١) الزيادة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) • (٢) في نهاية الأدب النويري (ج ٣

ص ١٥٨) : « ركين الجلسة » وفي البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٣) : « رزين المجلس » •

(٣) الزيادة عن نهاية الأدب • (٤) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠) : « الأرض » •

(٥) في الأصل : « قال زياد » وهو سهو من النسخ •

لِي أَشْقَرُ خَمَلِي حَتَّى صَدَمَ فِي الْحَائِطِ؛ فَقَالَ زِيَادُ : أَمَا إِنَّكَ لَو رَكِبْتَ الْأَشْمَبَ
لَمْ يُصِيبْكَ مَكْرُوهٌ . حَتَّى زِيَادُ اللَّيْنِ ، وَعَنِ حَارِثَةَ النَّيْذِ .

قَدْ قَوْمَ عَلَى نَيْذٍ فَسَقَطَ ذُبَابٌ فِي قَدَحِ أَحَدِهِمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : غُطَّ التَّمِيحِيُّ ،
فَقَالَ آخَرُ : غُطَّ لَهُ فَإِنْ كَانَ تَمِيحِيًّا رَسَبَ ، وَإِنْ كَانَ أَزْدِيًّا طَفَأَ ؛ قَالَ رَبُّ الْمَنْزِلِ :
مَا يَسِّرُنِي أَنَّهُ كَانَ [قَالَ] بِضَمِّكُمْ حَرَفًا . وَإِنَّمَا عَنِي أَنْ أَزِدَ عُثْمَانَ مَلَّاحُونَ .

الْمَلَّاحِيُّ قَالَ : رَأَى رَجُلًا فِي يَدِ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْتِيهِ خَاتَمَ ذَهَبٍ ، فَقَالَ لَهَا :
إِدْفِي إِلَى خَاتَمِكَ أَذْكَرَكَ بِهِ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّهُ ذَهَبٌ ، وَأَخَافُ أَنْ تَذْهَبَ ، وَلَكِنْ
خُذْ هَذَا الصُّودَ لَعَلَّكَ تَعُودُ .

حَدَّثَنِي الزَّيْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ
عَنْ أَنَسٍ قَالَ : أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُرْدَقًا أَبَا بَكْرٍ شَيْخًا يُعْرَفُ ،
وَرَسُولُ اللَّهِ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ ، فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَنْ هَذَا
[الرَّجُلُ الَّذِي] بَيْنَ يَدَيْكَ ؟ فَيَقُولُ : [هَذَا الرَّجُلُ] يَهْدِي السَّبِيلَ ؛ فَيَحْسِبُ
السَّامِعُ أَنَّهُ يَهْدِيهِ الطَّرِيقَ ، وَإِنَّمَا يَمْنَى سَبِيلَ الْخَيْرِ .

كَانَ سِنَانُ بْنُ مُكَّالٍ التَّمِيمِيُّ يُسَافِرُ أَبْنَ هُبَيْرَةَ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ
هُبَيْرَةَ : غُضُّ مِنْ بَغْلَتِكَ ؛ قَالَ : كَلَّا ! إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ . أَرَادَ ابْنَ هُبَيْرَةَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

- (١) وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ فِي كِتَابِ الْحَيَوَانَ الْمُبَاحِظِ (ج ٣ ص ٩٧ طبع الساسي) بِتَفْصِيلٍ عَمَّا هُنَا .
وَمِنْهُمَا أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مِنْ الْأَزْدِ وَمَعَهُمْ رَجُلٌ عَلَوِيٌّ يَتَنَسَّبُ لِأَهْلِيهِ مِنْ تَمِيمٍ . فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ
يَبْتَغُونَ تَمِيمًا مَرَضَ بِأَنَّهُمْ مَلَّاحُونَ فَتَبَيَّرَا لَهُمْ . (٢) زِيَادَةُ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانَ الْمُبَاحِظِ .
- (٣) فِي الْأَصْلِ : « قَصَصٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي كِتَابِ الْحَيَوَانَ : « بِضَمِّهِ » . (٤) الزِّيَادَةُ مِنْ
صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ الْمُهَيَّرَةِ . (٥) كَتَبَا فِي الْأَصْلِ وَالْقَدْ فَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩١) .
- وَفِي نَهْيَةِ الْأَرَبِ لِلزُّبَيْرِيِّ (ج ٣ ص ١٦١) : « قَالَ عَمْرُو بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ لِأَيُّوبَ بْنِ ظَلِيانَ
التَّمِيمِيِّ ... الْخ » . وَفِي كِتَابِ التَّكَايَاتِ لِلصَّالِي (ص ٢٠٧) الْمَطْبُوعِ بِمَطْبَعَةِ الْجَوَائِبِ سَنَةِ ١٣٠١ هـ :
« سَافِرٌ بِكَ مِنْ عَمْدِ التَّمِيمِيِّ عَمْرُو بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ عَلَى بَغْلَةٍ فَلَازَتْ الْبَغْلَةُ عَمْرُوقًا لَهُ : أَخْضَضَ بِغْلَتِكَ ؛
فَقَالَ شَرِيكَ : إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ ... الْخ » . (٦) هُوَ جَرِيرٌ .

فُضِّصَ الطَّرَفَ إِنَّكَ مِنْ مُنِيرٍ * فلا كَتَبَا بِلَغَتْ وَلَا كَلَّابَا.
وأراد ستان قول الآخر ^(١):

لَا تَأْمَنْزَ قَرَارًا خَلَوْتَ بِهِ * عَلَى قُلُوصِكَ وَأَكْتَبَهَا بِأَسْيَارِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال معاوية للأحنف: يا أحنف، ما الشيء الملقف في الجاد؟ فقال: هو السخينة يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر:

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تِمِيمٍ * فَسَرَّكَ أَنْ يَمِيشَ بِلُحَى بَرَادٍ
بُحَيْرٍ أَوْ يَتَمَرَّ أَوْ يَسْمِينِ * أَوَالِشَيْءُ الْمَلْفَفِ فِي الْجَادِ ^(٢)
وأراد الأحنف أن قرئاً شعراً بكل السخينة.

المحدثي قال: سأل الحريري أبا يوسف القاضي عن السواد؛ فقال: النور في السواد. يعني نور العينين في سواد الناظر.

المحدثي قال: لقي شيطاناً الطائي خارجي فقال: ما أفاؤك أو تبرأ من علي، فقال: أنا من علي ومن عثمان يرى. يريد أنه من علي، ويريء من عثمان.

سمع عمر بن الخطاب امرأة في الطواف تقول:

فَمَنْ مَنِ السُّقَى بِسَلْبٍ مُبَرَّدٍ * قُلُوبُكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتْ
وَمَنْ مَنِ السُّقَى بِأَخْضَرِ آجِي * أَجَاجٌ وَلَوْ لَا خَشْيَةُ اللَّهِ قَرَّتْ ^(٣)

- (١) هو سالم بن دارة كان في الشعر والشعراء. لؤلف (ص ٢٣٧ والكمال للبرد ص ٤٨١) ورتابة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٨٥٥ ونهاية الأرباب ج ٣ ص ١٦٧) . (٢) السخينة: طعام يتخذ من دفتى وسمن وكانت قريش تكثر من أكلها فبرئت بها حتى سموا سخينة . (٣) البجاد: كساء يخطط من أكسية الأصراب . (٤) الطاق: حصن بطبرستان سكن به محمد بن المهدي أبو جعفر الأحول الملقب بشيطان الطاق؛ وباليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة . (٥) اللقاع: الماء البارود . (٦) الآجن: الماء المختير العلم والورن . (٧) ماء أجاج: شديد الملوحة والمرارة .

فعلم ما تشكو، فبعث إلى زوجها فوجده متغيراً لثمن، فغيره بين خمسمائة درهم أو جارية من الثمن على أن يطلقها، فاختار خمسمائة، فأعطاه وطلقها.

حدثني أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال: كنت واقفاً بهذا المكان، وأقبلت امرأة من هذه الناحية، وغلماً من الناحية الأخرى أبيض الوجه رائحة، ونظرت إليه المرأة، فلما أتتني قالت له: ما أسمك يا فتى؟ قال: محمد؛ قالت: ابن من؟ قال: ابن زانة، وتبسم عن ثمر أطلع مختلف قبيح؛ فقالت: وأحرأه على ما قال! فقلت لها: قد وقعت لك عليها؛ قالت: من أين؟ قلت: من كنية أبي الخير النصراني كاتب سعيد الحاجب. أراد أن الباء إذا نُقلت عن أبي الخير إلى زانة، صار هذا أبا الخير، وصار هذا ابن زانية.

١٠ مر ابن أبي علقمة يجلس بنى ناجية فبكاً حاراً لوجهه فضحكوا؛ فقال: ما يضحكم! إنه رأى وجوه قريش فسجد.

قال عمرو بن بحر قال أبو الهذيل لمحمد بن الجهم وأنا عنده: يا أبا جعفر، إنى رجل متخريف الكف لا ألقى درهما، ويدى هذه صنّاع في الكسب ولكنها في الإنفاق خرقاء، كم من مائة ألف درهم قسمتها على الإخوان في مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك! أسألك بالله يا أبا عثمان، هل تعلم ذلك؟ قال: يا أبا الهذيل ما أشك فيما تقول؛ قال: فلم يرض أن يحضر حتى استشهدنى، ولم يرض إذ استشهدنى حتى استطلقى.

(١) ألق: صبايد ما بين الأسنان.

(٢) ناجية: قبيلة، وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك. (بافوت).

(٣) هو الجاحظ وقد ورد هذا الخبر في كتابه «البيان» (ص ١٤٨ طبع مدينة «لبيد» ٢٠.

سنة ١٩٠٠ م). (٤) يقال: فلان ما يليق درهما: أى ما يملك.

قال المدائني : بعث يزيد بن قيس الأرسبي ، وكان واليا لعل ، إلى الحسن والحسين رضي الله عنهم بهدايا بعد أنصرافه من الولاية وترك ابن الحنفية ، فضرب على - عليه السلام - على جنب ابن الحنفية وقال :

وما شرُّ الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصيحنا ^(١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفية بهدية سنينة .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني موسى بن محمد قاضي المدينة ، قال : مر رجل بأعرابي يوقد في أصل ميل ، فقال : كم على الميل ؟ فقال : لست أقرأ ، ولكن كتابه فيه ؛ قال : وما كتابه ؟ قال : عجين وحلقة سمط وثلاثة أطباء وحلقة ^(٢) مدنية (يعني صورة نحسة) .

قال أبو اليقظان : إن عمرو بن مالك بن ضبيعة هو الذي قيل فيه :

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا * وما علم الإنسان ^(٣) إلا لعلها

وذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك ، فأراد الملك أن يبعث رائدا يرتاد له منزلا يتزله ، فبعث بعمره فأبطأ عليه ، قال الملك لئن جاء ذاما أو حامدا ليقنته ؛ فلما جاء عمرو ومعه عنده ، قال سعد للملك : أتأذن لي فأكفه ؟ قال :

إذا أقطع لسانك ؛ قال : فأشير إليه ؛ قال : إذا أقطع يدك ؛ قال : فأومئ إليه ؛ قال :

أقطع جنو عينك ؛ قال : فأقرع له العصا ؛ قال : أقرع . فأخذ العصا فضرب بها

(١) كذا في نسخة عمرو بن كلثوم ؛ وفي الأصل « لا تصيحنا » ومعنى لا تصيحنا : لا تقبه

الصبح . (٢) يريد بالحجين : رأس الخاء ؛ وبحلقة سمط : الميم ؛ وبثلاثة أطباء : السين ، وبحلقة مدنية : الهاء . والأطباء جمع طبي بكسر الطاء . وقسم : حلقات الفرع التي فيها اللبن من ذوات

الحمار والباع . (٣) ورد هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) مع اختلاف

في الألفاظ . (٤) هو التهان الأكبر كما في الأغاني . (٥) حوالين : جاجها وهو

الظم الذي ينبت عليه الحاجب .

عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزها بين يديه، فلقن عمرو، فقال: أَيْتَ
الْعَن! أَيْتُكَ مِنْ أَرْضِ زَائِرِهَا وَاقِفٌ، وَسَاكِنُهَا خَائِفٌ، وَالشَّبْعَى بِهَا نَائِمَةٌ،
وَالْمَهْزُولَةُ سَاهِرَةٌ جَائِعَةٌ، وَلَمْ أَرِ خَصْبًا عَمَلًا، وَلَا جَدْبًا مَزَلًا^(١).

لَمَّا حَكَّمَ أَبُو مُوسَى وَقَدِمَ لِحَكَمٍ، دَسَّ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَمْرِو رَجُلًا لِيَعْلَمَ
وَيُنْظِرَ كَيْفَ رَأَى، فَأَنَاهُ الرَّجُلَ فَكَلَّمَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، فَمَضَى عَمْرُو عَلَى إِبْهَامِهِ وَلَمْ
يُجِبْهُ، فَتَنَبَّهَ الرَّجُلُ فَأَتَى مَعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: قَاتِلْهُ اللَّهُ! أَرَادَ أَنْ يُعَذِّبَنِي أُنَى
قَرَرْتُ قَارِحًا^(٢).

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَتَّاشُ عَيْسَى بْنِ عَمْرِو قَالَ: سَأَلَ
الْجَاهِلِجَ جَبْرَ بْنَ حَبِيبٍ عَنْ رَجُلٍ، وَكَرِهَ أَنْ يَمَاقِبَهُ إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ وَاللَّهِ
جَسَدًا يُحْرَكُ رَأْسُهُ يُصَبُّ فِي حَلْقِهِ الْمَاءُ، وَاللَّهِ لَنْ تُحْمِلَ عَلَى سِرِّي لَيَكُونَنَّ عَلَيْهِ
عَوْرَةٌ، قَالَ: فَتَرَكَهُ.

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ خَالِدِ بْنِ خَدَّاشٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ مُجَالِدٍ عَنْ عُثَيْمِ
ابْنِ رُوَيْدٍ قَالَ: حَظَبْنَا عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: لَنْ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ قَتَلَ
عُثْمَانَ لَا أَدْخَلُهَا وَلَنْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ إِلَّا مَنْ قَتَلَ عُثْمَانَ لَا أَدْخَلُهَا، قَتِيلٌ لَهُ:

(١) لقن كفرح: فهم . (٢) كذا في الأصل . وورد الخبر في جميع الأثقال البيداني
(ج ١ ص ٣٢ طبعه بولاق): «... فأقبل عمرو حتى قام بين يدي الملك فقال له: أخبرني، هل حدث
خصباً أرذعت جدباً؟ فقال عمرو: لم أذم هزلاً، ولم أجد قتلاً؛ الأرض مشككة، لا خصباً يعرف،
ولا جدباً يعرف، رائحتها واقفة، ومنكرها عارف، وأمنها خائف، قال الملك: أدركك» . وورد
هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبعه مدينة لندن) كما ورد في جميع الأثقال وفيه «لم أذم جدباً»
بدل «لم أذم هزلاً» . (٣) قرأه فقرأ وفرازا: كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها .
والفارس من ذي الحافر: الذي طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل، والمراد هنا أنه اخترع خنكاً .
(٤) كذا في الأصل . ولم نشر على هذا الاسم . (٥) في العقد القرئيد (ج ٢ ص ٢٧٠):
«لا دخلت أبدا» .

ما صنعت! قَرَفَتِ الناس! نَفَطَهم فقال: إنكم قد أكثرتم في قتل عثمان، ألا وإن الله قَتَلَهُ وأنا معه؛ قال: لَخَشْنَا خالد عن حماد عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن سيرين قال: كلمةٌ عربيَّةٌ لما وجهان. أوى وسيفتلى معه.

سأل زياد رجلاً بالبصرة: أين متزك؟ فقال: وأوسط؛ قال: مالك من الولد؟^(١)
قال: تسعة. فلما قام، قيل لزياد: كَذَبْتَ في كل ما سألتك، ماله إلا ابنٌ واحد، وإن متزك بالبصرة. فلما عاد إليه، قال: ذكرتُ أن لك تسعة من الولد، وأن متزك بواسط؟ قال: نعم؛ قال: خُبِرْتُ بغير ذلك؛ قال: صَدَقْتُ وصدَّقوك، دفنْتُ تسعةً بنين فهم لي، ولي اليوم ابن واحد ولست أدري أيكون لي أم لا؛ وأما منزلي فإلى جانب الجبلان بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، فأى منزلٍ أوسط منه!^(٢)
قال: صدقت.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال قال المختار الجندى: يا شُرطة الله، لَيُخْرِجَنَّ إلى قريبٍ على الكعبة الحرام دابةً^(٣) له ستُ قوائمٌ وله رأسٌ بلا عُنُق، ثم أُلْتُفَت إلى رجلٍ إلى جانبه فقال: أغنى اليَسُوب.

كان إبراهيم إذا لم يُعجبه الرجل قال: ما هو بأعجب الناس إلى.

بلخى عن معاوية بن حيان عن المبارك بن فضالة عن عبد الله بن مسلم بن يسار، قال: كان أبي إذا غَضِبَ على البهيمة، قال: أَكَلَتِ سَمًا قاضيا.

(١) في المقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «كذلك من الولد».

(٢) في المقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «... لي تسعة من الولد دفنت منهم ثمانية فهم لي وبن

مسي واحد، فلا أدري ألى يكون أم على».

(٣) الجبان والبيان بالشدديد: المقبرة. (٤) تقع الدابة على الذكر والمؤنث؛ فيقال

هذه دابة رءهذه دابة.

حدثني زيد بن أنعم قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا أبو المنهال البكر أوى^(٢) قال :
كان الحسن إذا أخذ من لحيته شيء ، قال : لا يكن بك سوء .

وقيل للحسن : أتى رجلٌ صاحباً له في منزله وكان يصلي ، فقال : أدخل ؟ فقال
في صلاته : (أَدْخُلُوهَا سَلَامَ آمِينَ) ؛ فقال : لا بأس .

كان محمد بن علي إذا رأى مبتلياً أخفى الاستعانة . وكان لا يسمع من دأره
ياسائل يورك فيك ، ولا يا سائل خذ هذا ؛ ويقول : سمّوهم بالحسن الجميل عباد
الله ، فتقولون : يا عبد الله يورك فيك .

قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة^(٣)
مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم (يعني للشمس) .
كان رُشَمُ عمر بن مهران الذي رُشِمَ به على طعامة : اللهم أحفظه ممن يَحْتَفِلُهُ .

خرج رجل من بني أسد بإبل له يسقيها ، ومعه أبنه له جميلة عاقلة ، حتى دفع
إلى ماء لبنى قزارة ، فسألهم أن يأذنوا له في سقي إبله ؛ فقالوا : على ألا تجأجئ بها ،
قال : فإذا لا تشربُ شُرْبَ خير ؛ قالوا : إن رَضِيتَ وإلا فانصرف ؛ فقالت له
الجارية : اشترط لهم ما طلبوا وأنا أكفيك ؛ فأخذ الدلو ، وجعلت الجارية تريحز
وتقول : ١٥

- (١) هو يمجنتين كما في تهذيب التهذيب ، وفي الأصل «أزم» بالخاء المهملة وهو تحريف .
- (٢) البكر أوى بفتح الباء وسكون الكاف يسددا الزاء المهملة منسوب إلى أبي بكر التقي وهو من الصحابة الذين تزوا البصرة رضي الله عنهم كما في كتاب الأنساب للسماعى .
- (٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مسيرة ساعة لدعوة مستجابة» .
- (٤) الرشم : ختم الخطة بالرشم ، والرشم لوح منقوش تحتم به اليادر .
- (٥) جأجأ بالإبل : دعاها لورود الماء فشرب بقوله : جى جى .

جارية شَبَّتْ شَبَابَ الْمُلُجِّ ٥ ذَاتُ وَشَاحِينَ وَذَاتُ مُلْجٍ^(١)
وَذَاتُ قَنْسِرٍ أَشْنِبٍ مُفْلِجٍ ٥ وَذَاتُ خَلْقٍ مُسْتَبٍ مُدْجٍ^(٢)

في أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رويث من غير أن جاجا بها .

وتباع أعرابي أن يشرب أحدهما لبنا حازرا ولا يتنحج ، فلما شربه
[و]تقطع في حلقه ؛ قال : كَبَشُ أَمْلَحٍ ؛ فقال صاحبه : فَعَلَهَا وَرَبَّ الْكَبَةِ ؛ فقال :
مَنْ فَعَلَهَا فَلَا أَفْطَحُ . وكان ما تباعا عليه كبشا .

قال الأصمعي : قلت لأعرابي معه شاة : لمن هذه الشاة ؟ قال : هي لله عندي .

حدثني أبو الخطَّاب قال حدثنا أبو داود عن عَمْرَةَ بْنِ زَيْدَانَ قَالَ حَدَّثَنَا
أَبُو الصَّبَاءِ قَالَ : قَالَ الْجَحَّاجُ لِعُسَيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ : اخْتَرَايَ قِتْلَةً شَتَّتَ ؛ فقال له :
بَلْ اخْتَرَأْتُ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ الْقِصَاصَ أَمَامَكَ .

وَلِيَّ هَرْمُومَةُ الْحَرَسِ مَكَانَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : مَا أَتَقَلْتُ خِي نَعْمَةً
صَارَتْ إِلَيْكَ .

أَمْرُ الْجَحَّاجِ ابْنَ الْقُرَيْبَةِ أَنْ يَأْتِيَ هِنْدَ بِنْتَ أَسْمَاءَ فَيُطْلِقَهَا بِكَلْتَيْنِ ، وَيَتَمَعَّ
بِشُرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ؛ فَأَتَاهَا فَقَالَ لَهَا : إِنْ الْجَحَّاجُ يَقُولُ لَكَ : كُنْتُ فَيْتٌ ، وَهَذِهِ
عَشْرَةُ آلَافٍ مُتَمَعٌ لَكَ ؛ فَقَالَتْ : قُلْ لَهُ : كَأَفْأَحِدُنَا ، وَبَنَاتُهَا نِدْمَانَا ؛ وَهَذِهِ
العشرة الآلاف لك بشارتك إياي بطلاقي .

(١) الملج : النصف الناعم . والمُلجج : ما ينشد على الضد من الخلل .

(٢) الثور الأشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستب : مستقيم . ومدج : مكث غير مسرَّخ .

(٣) اللبن الحاذق : الحامض .

(٤) زيادة بقتضيا الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر في المحاسن والأنداد للماحظ (ص ٢٤٠) بتيسر عما هنا .

سئل سفيان بن عيينة عن قول طاووس في ذكاة السمك أو الجراد؛ فقال أبنه عنه : ذكَّاهُ صيدهُ .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من عُدوة يقال له يزيد بن المقفع ، وأخترط من سيفه شبرا ، ثم قال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار إلى معاوية ، فإن يهلك فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فمن أبي فهذا ، وأشار إلى سيفه . فقال معاوية : أنت سيد الخطباء .

قال رجل من أهل الحجاز لابن شبرمة : من عندنا نخرج العلمُ قال ابن شبرمة : ثم لم يعد إليكم .

قال المدائني قال معاوية لابن عباس^(١) : أتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم ؛ فقال ابن عباس : وأتم يا بني أمية تصابون في بصائركم . وقال له معاوية : ما بين السَّيِّئِ في رجالكم ! فقال : هو في نساءكم إيين .

أبو اليقظان قال : قال ابن ظبيان التيمي لزرعة بن حنبرة : لقد طلبتك يوم الأهواز ولو ظفرت بك لقطعت منك طائِقًا مَحْنًا ؛ قال : أفلا أدلك على طابق هو أحسن وأحوج إلى القطع ؟ قال : بلى ! قال : بطريقين إسكتي أُنك .

أبو اليقظان قال : بعث الحجاج إلى الفضل بن بزوان العدواني ، وكان خيرا من أهل الكوفة ، فقال : إني أريد أن أولئك ، قال : أو يعفني الأمير ؟ فأبى وكتب عنده ، فأخذ وخرج من عنده فرمى بالهدهد وهرب ، فأخذ وأتى به الحجاج ، فقال : يا عدو الله ؛ فقال : لست لله ولا للأمير بدوي ؛ قال : ألم أكرمك ! قال : بل أردت أن تُهينني ؛ قال : ألم أسئلك ! قال : بل أردت أن تستعبدني ؛ قال :

(١) أي اسئله من غده بمقدار غير . (٢) في العقد القرئيد (ج ٢ ص ١٣٣) «عقيل» مكان «ابن عباس» .

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية ؛ قال : ما استوجبت واحدة منهم ؛ قال : كل ذلك قد استوجبت بخلافك . وأمر رجلا من أهل الشام أن يضرب عنقه .

سليمان بن أبي شيخ قال حدثني حجر بن عبد الجبار عن عبد الملك بن عمير قال :^(١) كان في مجلس زياد ، الذي يجلس فيه للناس بالكوفة ، في أربع زوايا كتاب بقلم جليل : "الوالى شديد في غير عنف ، لين في غير ضعف ، الأعطية لإيائنا ، والأرزاق لأوقاتنا ، البعث لا نجبر ، المحسن يُجزى بإحسانه ، والمسيء يُؤخذ على يديه" كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليمان وحدثنا أبو سفيان الحميري قال : أئبى أبو جهم بن كنانة يوم الراوية ، فقال له المجاج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهم بن كنانة ، قال له المجاج : قد زدناك في أسمك ألفا ولما فانت أبو الجهم ، وزدنا في عطائك ألفا .

العباس بن بكار عن عبيد الله بن عمر القسائي عن الشعبي قال : قال معاوية لشداد بن أوس : يا شداد ، أنا أفضل أم علي ؟ وأينا أحب إليك ؟ فقال : على أقدم هجرة ، وأكثر مع رسول الله إلى الخير سابقة ، وأصح منك قلبا ، وأسلم منك نفسا ، وأما الحب فقد مضى علي ، فانت اليوم عند الناس أرحم منه .

قال الأحنف لمعاوية في كلام : أنت أعلمنا يزيد في ليله ونهاره ، وصره وعلانيته ، فلا تلقمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة .

(١) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ٤) هكذا : « كان في مجلس زياد مكتوب : الشدة في غير عنف ، واللين في غير ضعف ، المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يساقب بإساءته ، الأضليات في أيامها ، لا استحباب من طارق ليل ، ولا صاحب ثمر » . (٢) تجهير البعث : جهمهم في القبور وبسبهم عن العود إلى أهلهم . ومعه حديث الحرمران : إن كسرى جمر بهرت فارس . وروى الربيع أن

- خطب الحجاج فشكا سوء طاعة أهل العراق؛ فقال جامع المحاربين: أما إنهم لو أحيوك لأطاعوك، على أنهم ما شئتوك لنفسك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدهم منك إلى ما يقرهم إليك، والتمس العافية فيمن دونك تُعطها من فوقك، ولكن إيقاك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعيدك؛ فقال الحجاج: والله ما أراى أردت بى الأليكة إلى طاعنى إلا بالسيف؛ فقال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار؛ قال الحجاج: الخيار يومئذ لله؛ قال: أجل! ولكك لا تدري لمن يعمل الله؛ فقال: يا هُتاهُ، إنك من محارب! فقال جامع:
- وللحرب سُميتا وكنا محارباً * إذا ما القنا أسمى من الطمن أحرا
- فقال الحجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك؛ فقال له يا حجاج: إن صدقتك أغضبتك، وإن كذبتك أغضبتنا الله، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.
- قال الأصمى: أخبرنا شيخ من قضاة، قال: ضللتنا مرة الطريق فاسترشدنا عجوزاً؛ فقالت: استبطن الوادى وكن سيلاً حتى تبلغ.
- ابن الكلبي^(٢) قال: كتب معاوية إلى قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت يهودى ابن يهودى، إن ظفرك أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفرك أبغضهما إليك فتلك ونكل بك، وقد كان أبوك وترقوسه ورمى غرضه، فاكثر الخبز وأخطأ
- (١) فى الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما فى الياض والتبيين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك» - (٢) هن: كلمة يقنى بها عن اسم الإنسان، فإذا ناديت مذكراً بنبر الصريح باسمه قلت: يا هن أقبل. وقد تزايد الألف والهاء فيقال للرجل: يا هتاه أقبل، بضم الهاء على تقدير أنها أتر الاسم، وبكسرهما لاجتماع الساكنين. (انظر اللسان مادة هتا) - (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل للبرد ص ٢٩٨ طبع مدينة ليسيج وكتب عليها بأقلم الصديقة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة».
- (٤) فى الكامل: «إلى قيس بن سعد وهو دالى مصر لعل بن أبى طالب».

المُفَصِّل، فغذله قومه، وأدركه يومه؛ ثم مات طريفاً بجوران؛ والسلام. فكتب إليه قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت وثْنٌ^(١) ابن وثْن، دخلت في الإسلام كرها ونجرت منه طوعاً، لم يَدُمُ إيمانك ولم يحدث فِائِثُكَ، وقد كان أبي وترقوسه ورمى غرضه، وشَغِبَ عليه من لم يبلغ كعبه ولم يسقُ غُبَارَه، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداءُ الدين الذي خرجت إليه؛ والسلام.

قال يحيى بن سعيد الأموي: سمعت الأعمش يقول لخالد بن صفوان: شعرت أن منزلك لا يُعرف إلا بي حتى يقال عند منزل الأعمش؛ فقال خالد: صدقت، مثل حمام عترة، ويقال: وردان وبيطار (حيان).

قال الربيع لثريك بين يدي المهدي: بلغني أنك خنت أمير المؤمنين؛ فقال ثريك: لو فعلنا ذلك لأناك نصيبك.

قال رجل من العرب: أريتُ البارحة في منامي كَأَنِّي دخلت الجنة فَرَأَيْتُ جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟ فقلت: للعرب؛ فقال رجل عنده من الموالى: أصعبتُ العرف؟ قال: لا؛ قال: فقلنا لنا.

وكتب قتبية بن مسلم إلى عُبيد الله بن زياد بن ظبيان: أما بعد، فإن عشمشم أَعشى الشجر، فكتب إليه ابن ظبيان: من ذلك الشجر كان يربطُ أبيك^(٢). يعني مسلم بن عمرو، وكان مغنياً ليزيد بن معاوية.

(١) كذا بالأصل والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٤٣ طبع مطبعة الفتح الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ) والكمال للبرد (ص ٢٩٨) ولها: وثْنٌ ابن وثْن، نسبة إلى الوثن وهو الصنم. (٢) شغب عليه (بالتشديد): هيج عليه الشر. (٣) كذا بالأصل، ولم نوفق إلى تحقيقه أَرَفَهُمُ التَّعْرِضُ مَعَهُ. (٤) الربط بكفر: العود من آلات الموسيقى، وقيل هو مَرَب «ربط» بكسر الراء، كما هو مضبوط في الأصل هنا، ومعنى يربط بالقاهرة: صدر الإوز؛ أطلق على العود لشبهه به.

قال تجزبن الأحف بلارية أبيه زَبْرَاء : يافاعلة؛ فقالت : لو كنتُ كما تقول أتيتُ أباك بمثلك .

وقال رجل لأبْنه : يابنِ الفاعلة ؛ فقال : والله لئن كنتُ صدقتُ ما فعلتُ حتى وجدتُك خُلَّ سَوْء .

أنت ابنة الخُس عَكَاظ، فأتاها رجل يَتَمَحِن عَقَلَهَا وَيَتَمَحِن جَوَابَهَا، فقال لها :

إني أريد أن أسألك ؛ قالت : هات . قال : كاد ؛ فقالت : المتَمَل يكون راجا .

قال : كاد ؛ قالت : الفقير يكون كُفْرًا . قال : كاد ؛ قالت : العروس تكون مَلِكًا .

قال : كاد ؛ قالت : النعامة تكون طائرًا . قال : كاد ؛ قالت : السرار يكون سحرًا .

ثم قالت للرجل : أسألك ؟ قال : هاتى، قالت : عجبت ؛ قال : للسِّبَاح لا ينبت

كُلُّها ولا ينحف ثراها . قالت : عجبت ؛ قال : للبحارة لا يكبرُ صغيرُها ولا يهرم

كبيرُها . قالت : عجبت ؛ قال : لشُفْرِكَ لا يُدْرِكُ قمرُه ولا يُملأُ حفرُه .

المدائخى قال : كان عُرَامُ^(١) بن شُتَيْر عند عمر بن هُبَيْرَة، فالتقى إليه ابنُ هُبَيْرَة خاتمُه

وفُصِه أخضر، فعقد عُرَامُ فى الخاتم سِيراً . أراد عمر قول الشاعر :

لقد زُرِقْتُ عيناك يابنُ مُكْعَبِرٍ * كما كُلُّ ضَبٍّ من اللُّؤْمِ أزرُقُ

وأراد عُرَامُ :

لا تأمننَ فَرَارِيًّا خلوتَ به * على قُلُوبِك وأكتنَّها بأسيار

قال جرير للأخطل : أُرِقتُ نومك ، وأسْتَهضمتُ قومك ؛ قال الأخطل :

قد أُرِقتُ نومي، ولو نمتُ كان خيرا لك .

(١) كذا فى الطبرى (طبع أورد) ص ١٢٠٣ — ١٢٠٤ من القسم الثانى . وفى الأصل :

”عظام“ بأبدال المعجمة . (٢) كذا فى اللسان مادة ”زرق“ والأغالى (ج ١٩ ص ٤٩ طبع

بولاقي) وفيه ينسب الشعر إلى سويد بن أبي كاهل . وفى الأصل : « كما ظل علي ... » وهو تحريف .

أراد معاوية أن يخطب بصفتين فقال له عمرو بن العاص : دعني أتكلم، فإن أتيت على ما تريد وإلا كنت من وراء ذلك، فأذن له فتكلم بكلمات، قال : قدموا المستقيمة وأثروا الحسرة، كونوا مقيصي الشارب، أعيرونا أيديكم ساعة، قد بلغ الحق مقصله، إنما هو ظالم أو مظلوم .

- حدثني ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن التيمي عن عبد الله بن أحمد بن الوضاح، قال : دخل أعرابي على عبد الملك بن مروان، فقال له : يا أعرابي صف الخمر فقال : شمول إذا شجيت وفي الكأس مرة * لها في عظام السارين ديب تريك القدي من دونها وهي دونه * لوجه أخبها في الإناء قطوب فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد آتيتك عندي حسن صفتك لها، قال : يا أمير المؤمنين وآتيتك عندي معرفتك بحسن صفتي لها .

مقطعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام

- لو أخطأت سبيل إرشادك، لما أخطأت سبيل حسن النية فيما بيني وبينك .
- لو خطر ذلك ببالي من فعلك، ما عرضت ستر الإخاء للهتك بيني وبينك .
- قد أحسنت في كذا قديما . وفعلك كذا إحدى الحسنيين بل أطفهما موقعا .
- أنت رجل لسانك فوق عقلك وذكائك فوق حزمك . فقدم على نفسك من (١٣) قديمك على نفسه . الله يعلم أنك ما خطرت ببالي في وقت من الأوقات إلا مثل الذكركمك لي محاسن تزيدني حباية إليك وصفا بك واعتباطا بإحسانك . لعل الأيام

(١) المستطعة : الطائفة التي عليها اللطم وهي الفروع .

(٢) الذي في الأغاني (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : « دخل ابن الأفرع على الوليد بن يزيد... »

• ورد فيه الشطر الأول من البيت الأول هكذا : « كبت إذا شجيت وفي الكأس وردة » .

(٣) كذا في المقدم التريخ (ج ٢ ص ٢٤١) . وفي الأصل : « اتهم على نفسك ... » .

أَنْ تُسَهِّلَ لِأَخِيكَ السَّبِيلَ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ نَفْسُكَ مِنْ بَرَكَ وَمُعَاوَضَتِكَ بَعْضُ مَا سَلَفَ لَكَ .

ما هذا النَّبَاَ الحَبِيبَ الَّذِي إِلَى جَانِبِهِ فِطْنَةٌ لَطِيفَةٌ . حَكْمُ الْفَلَاتِ خِلَافُ حَكْمِ الْإِصْرَارِ .

٥ من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يُؤْخَذُ^(٢١) بالعَيْنِ، كان حَرِيًّا أَنْ يُحْطَى في باطن دينه وفيما يُؤْخَذُ بالعقل .

ومن أَوَّلَ مَا أَحَبَّ أَنْ أُورِكَ بِهِ وَأَقْفَى فِيهِ وَاجِبَ حَقِّكَ، تَبْيَهَكَ عَلَى عَظِيمِ مَا هُوَ عِنْدَكَ، وَحَتَّى عَلَى الْإِرْدِيَادِ مِمَّا يَزِيدُكَ .

١٠ من كان يَمْتَلِئُ مَوْضِعَكَ بِشَيْءٍ لَهُ حُمدٌ إِخْوَانُهُ وَرِضًا مُعَالِمِيهِ وَالِاسْتِقْصَاءُ مَعَ ذَلِكَ لِمَنْ اسْتَكْفَاهُ، قَدْ عَظُمَتِ النِّعَةُ عَلَيْهِ، وَلَا أَعْلَمُ بِمَا أَسْمِعُ فَيْكَ إِلَّا أَنَّكَ كَذَلِكَ وَالْحَمْدُ لَهُ .

ما أَخْبَى الْفَقِيرَ عَنِ الْحَمْدِ، وَأَحْوَجَهُ إِلَى مَا يَجِدُ بِهِ طَعْمَ الْحَمْدِ !
قَدْ حَسَلَتْكَ مِنْ لَا يَنَامُ دُونَ الشِّفَاءِ^(٢٢)، وَطَلَبِكَ مِنْ لَا يُقْصِرُ دُونَ الظُّفْرِ، [فَأَشْدُّ حَيَازِيَمِكَ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ]^(٢٣) .

١٥ أَنْتَ تَتَجَبَّأُ عَلَى مَا لَكَ لَتُلْقَهُ بِأَسْبَابِ اللَّيْلِ، كَمَا يَدْفَعُ عَنْ مَالِهِ الْبَحْثِيلُ بِوُجُوهِ الْإِعْتِلَالِ . أَنْتَ طَالِبٌ مَغْنَمٍ، وَأَنَا دَافِعٌ مَقْرَمٍ، فَإِنْ كُنْتَ شَاكِرًا لِمَا مَغْنَى، فَاعِزٌّ فِيمَا بَقِيَ . مَكْرُكَ حَاضِرٌ، وَوَقَاؤُكَ مُتَأَثِّرٌ . أَنَا رَاضٍ بِفَوْكَ، بِأَنْزِلُ لِمَجْهُودِي .

نَوَائِبُ الْأَيَّامِ رَمَتْ بِهِ نَاحِيَتِكَ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ أَنْبَاكَ ظَاهِرُهُ عَنْ بَاطِنِهِ وَدَمَاكَ إِلَى حُجَّتِهِ قَبُولُهُ، وَهُوَ فِي الْأَدَبِ بِحَيْثُ الْمُسْتَعْنَى عَنِ النَّسَبِ^(٢٤) .

٢٠ (١) فِي الْأَصْلِ "وَمُعَارَضَتِكَ" . (٢) كَذَا فِي الْمَقْدِ الْفَرِيدِ . فِي الْأَصْلِ: "وَفِي تَوْحِيدِهِ..." .

(٣) فِي الْأَصْلِ: "السَّعَا" . (٤) زِيَادَةٌ عَنِ الْمَقْدِ الْفَرِيدِ . (٥) فِي الْأَصْلِ: "السَّبَبُ" .

قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم وإلا يكون غيرك فيما يبلغك أوتق من نفسك
فيا تعرفه .

هذا فلان قد أتاك على رقة من حاله وبعيد من شقته ، فنشدتك الله أن تقدم
شئنا على تصديق ظنه وسد خلته وبطل ما يئس هذه النكبة من أديبه ، فإنه غدي
نعمة وخدين مروءة .

أنا أسأل الله أن يُجزى ما لم تزل الفراسة يمدني به فيك . الحرية نسب .
فهتمت ما اعتذرت به في تأثرك ، وغضضت به مني طرقا طاعا إليك ونفسا تواقا
إلى قربك .

وصل كتابك فكان موقع الروح من البدن . فإن أمير المؤمنين يجب
ألا يدع سبيلا من سبيل البر وإن عفا ودتر إلا أناره وأوضح محجته ، ولا خلة من
خلال الخير لا أول لها إلا اهتبل الفرصة في إنسانها ، واختيار مكرمة ابتدائها ، لتجيب
له مساهمة الفارط في أجره ، ويكون أسوة الغابر في ثوابه .

لولا وجوب تقديم العذر لصاحب السلطان ، في النهول عن مواصلة من
يجب عليه مواصلته ، بما يستولى عليه من الشغل بعمله ، إذا لكثرة العتب .

إنك لكل حسن أبلية ، ومعروف أسديته ، وجبل أتيته ، ولاء كان لك
ربيته ، أهل في الدين والحسب القديم .

لك — أعزك الله — عندي أياد تشفع لي إلى محبتك ، ومعروف يوجب
عليك الرب والإتمام .

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها - (٢) الفارط : السابق - (٣) الرب : الزيادة .

أفعال الأمير مختارة كالآلأماني، متصلةً عندنا كالآيام، ونحن نختار الشكر لكرم فعله، ونواصل الدعاء والذكر مواصلةً بَرّه .

أبدأ بذكر يدك التي أجارتني على صرف الزمان، ووقفت نوايب الأيام، وتمرت لي بقية النعمة، وصانت وجهي عن استبعاد من الرجال، وبَسَطَتْ لي الأمل في بلوغ ما ناله بك مَنْ رَفَعَتْ خَسِيَّتَهُ وَتَوَهَّتْ بِذِكْرِهِ ، وأعانني على اتباع مذهب الماضين من سلفي في الوفاء لكم ، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدي غيركم، حتى خَلَصْتُ لهم منكم فَمَزُوا، ولم يشغلوا شكرهم بنيركم حين شكروا، ولم يحتملوا صنيعه لسواكم لما آتَدُوا، ولم تشعبهم الدنيا عنكم إذ أضطَرُّوا .

إِنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَحَلًّا نَزَلَ بِهِ عِوَضًا مِنَ النَّائِبِ ، وَخَلَقًا مِنْ مِثْلِ الْمَالِكِ، وَبِحَبْلِكَ مَخْصُوصًا بِضَرَائِنَا إِذْ كُنْتَ وَلِيَّ مَرَاتِنَا، وَكَأَنَّكَ كَالْجَوَارِحِ تَأْتِي كُلَّ مَا أَلَمَ مِنْهَا .

نحن نعوذ بالله من سَخَطِكَ، ونستجير به من غَضَبِكَ، ونسألك النظر فيما كتبنا به صادقين، كما سمعت قصص الكاذبين، فإنا على سلامةٍ مما رَقَوهُ ^(٢١) .

كني — أعزك الله — ثابتك، في الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعي، وإن كان حَقُّكَ يُزِمُّنِي الْإِلَاقَةَ بِكَ، لولا ما أتدكر من زيادتها في شُغْلِكَ .

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهض بأعباء أهل موَدَّتِهِ ، الصابر على ما ناب من حقوقهم .

كنت أَمْسٍ — أكرمك الله — عيلا ، وركبت اليوم على ظلع ظاهر ورقعة شديدة، فلما أنصرفت أمرت بإفلاق الباب للتودع ، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرضائك صديقك بما يستدعي عَنَبِكَ عليه وعَبَهُ عليك ما وافق .

(١) في الأصل : «أهلك» . (٢) أي رضوه إليك من الأخبار الكاذبة .

(٣) في الأصل : «منع» .

لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتاب إليك في الحاجة، فأتوقف أحياناً توقف^(١) المبتق عليك من المؤونة، وأكتب أحياناً كتاب الراجع منك إلى الثقة والمعتد منك على الثقة؛ لا أعدمتنا الله دوام عزك، ولا سلب الدنيا بهجتها بك، ولا أخلانا من الصنع^(٢) [الله] على يدك وفي كنفك، فإننا لا نعرف إلا نعمتك، ولا نجد للحياة طمأ وتدي إلا في ظلك .

إن كان هذا مما ترضاه لي، فليست أتمس أكثر منه، وقرفاً بنفسي عند الحظ الذي رضىته لي .

أنا والله أراك في رتبة المنعم إجلالاً، وبجمل الشقيق من القلب محبة وإخلاصاً . أما شكركي فقصور على سالف أياذك، وبه قصور عنه فكيف يتسع لما جتدته ! .

الله عندك نعم جسام متفاضلك الشكر . وقال الله شرف نفسك، فإنها أقرب أعدائك إليك .

ولم أزل ورجلاً من حادثه كذا عليك، إذ كان ما ينالك — لا أنالك الله موماً — متصلاً بي ومُدخلاً الضرر عليّ في ركني منك أحمده عليه، وكنت لك استدري به .

وصل إلى كتاب منك، فما رأيت كتاباً أسهل فنونا، ولا أملس متونا، ولا أكثر عبونا، ولا أحسن مقاطع ومطالع، ولا أشد على كل مفصل جزاً منه؛ أنجزت فيه عدة الرأي وبشرى الفراسة، وعاد الفلق بك يقينا، والأمل فيك مبلوغاً .

لا غيبك الله عن مواطن المزم والاصنع، وأشهدك إياها بصلوئك، وهبوب ريحك، وأستفادة جميع أهلها بزمام طاعتك .

(١) كما وردت هذه الجملة من هذا الفصل في القيد القريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفي الأصل : « لا أزال قد سلت الكتاب ... الخ » وهو غير مستقيم . (٢) في القيد القريد : « الخفف حك ... » . (٣) الزيادة مأخوذة من القيد القريد .

قد رميتَ غَرَضَ الحقِّ بسهمِ الباطلِ وحللتَ عقالَ الشرِّ .^(١)
كنتُ سالماً إن سَلِمْتُ من عَتِكَ .^(٢)

أنا أتوسل إليك بحسن ظني بك ، وأسألك بحق صبري على ظلمك لما أسعفتَ
بما سألتُك .

ليس ينبغي لك أن تستبطنَ فهمي وقد أسأتَ إفهامي .
مَنْ أبعدُ من البُره من مريض لا يُؤتي في دائه إلا من جهة دوائه ، ولا في علته
إلا من قبل حَيِّته ! .

لستُ في حالٍ يقيم عليها حرُّ أو يرضى بها كريم ، وليس يرضى بهذا الأمر إلا من
لا ينبغي لك أن ترضى به .

١٠ قد شِخْتُ في ذَرَاكَ وَهَمْتُ في ظَلَمِكَ ، فإِذَا رَدَدْتَ عَلَيَّ شَبَابِي وَأَعَدْتَ لِي
قُوَّتِي ، وَإِذَا دَفَعْتَ لِي مَا يَنْبُؤُ عَنِ الشَّبَابِ وَيَجِبُ الضَّعْفَ ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَحَدِهِمَا ،
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ وَأَخْرَجْتُ إِلَيْنَا مِنْ هَذَا الدِّينِ ؛ فَقَدْ أَسْكَتَا عَنْ التَّقَاضَى مَا امْكُنْ ،
وَصَبَرْنَا عَلَى الْمَوَاعِيدِ مَا صَلَحَ ؛ وَدَعْنَا مِنَ الْحَوَالَةِ فَاتُ الصَّنِيعَةِ لَا تَمَّ بِالْحَوَالَةِ ؛ وَإِنْ
جَازَ أَنْ تَقِيمَ لَنَا زَعِيًّا بِالنِّعْمَةِ ، جَازَ أَنْ تَقِيمَ لَكَ زَعِيًّا بِالشُّكْرِ ؛ وَإِنْ جَازَ أَنْ تُؤَمِّلَكَ
وَيَحَقِّقَ آمَالُنَا غَيْرُكَ ، جَازَ أَنْ نَشْكُرَ غَيْرَ الْمُنَّمِ وَنَأْمَلَ غَيْرَ الْمُصْطَنِعِ .

١٥ ما أَسْتَعِظُ أَنْ تَسْبِقَ إِلَى حَسَنِ بَلِ اسْتَعِظْ أَنْ تُسْبِقَ إِلَيْهِ وَتُغْلَبَ عَلَيْهِ .
لَنْ كُنْتَ جَاوِزْتَ بِي قُدْرَى عِنْدَكَ لَمَّا بُلِغْتُ بِكَ أَمَلِي فَيْكَ .^(٣)

لَا يَقْبِضُكَ عَنِ الْأَمْسِ بِي تَقْصِيرُكَ فِي الْبِرِّ .

(١) كذا وردت هذه الجملة في الأصل . وظاهر أن فيها تبديلاً وقصاً . ولعل صوابها : قد رميت

٢٠ غرض الباطل بسهم الحق ، وحللت عقال الشريد الخير . (٢) في الأصل : « كنت ... » .

(٣) في الأصل : « ولا يرضى بها ... » وهو غير مستقيم . (٤) في الأصل : « إن كنت ... » .

بلغتني عنتك فتأني من ألمانها ، وغالني مما مسك فيها حسبُ حقك وما يحضني
من كل حالٍ تصرفت بك .

أعذر إليك من تأخر كتيبتك بترامي الثقلة وتقاذف الغربة وعدم الطمانينة ،
فإني منذ فارقتك كما قال القائل :

وكنْتُ قذاة الأرض والأرض عنها * تلجّج شخصي جانباً بعد جانب
إلى - أعزك الله - على تشوّك متريد ، فما أحاشي بك أحداً ، ولا أقف
لك على حسنة يوماً إلا آستيتها لك فضلةً عنه .

الحمد لله الذي جعل الأمير معقود التّبة بطاعته ، مطوى القلب على مناصحته ،
مشحود السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الظفر ، ودوخ له البلاد ، وشرّد به العدو ،
وخصّه بشرف الفتوح العظام شرقاً وغرباً ، وبراً وبحراً .

إلى الله أشكو شدّة الوحشة لغيبتك ، وفقر الجزع من فراقك ، وظلمة الأيام
بعدك ؛ وأقول كما قال حبيب بن أوس :

يَبِّغُ الْبَيْنُ فَقْدَهَا ، فلما تمسّرف فقداً للشمس حتى تغيّباً
ورد كتابك ، فيأله وارداً بالرّى على ذى ظمّاً ! ما أتعبه للليل ، وأعدّل شهادته
لك بكرم المقد ، وصديق الود ، وحسن المغيب ، ورعاية حقّ الصّحوم ، وبديّة الشّيمة
من شيم أهل الزمان إلا من عصم الله ، وقليل ما هم ، والله أبواك لقد أوجدك .

قد أجل الله خطرَك عن الاعتذار ، وأغناك في القول عن الاعتلال ، وأوجب علينا
أن نقنع بما فعلت ، ونرضى بما أئنت وصلّت أو قطعت ، إذ وثقنا بحسن نيّتك وبقاء
طويّتك ، وألزمنا أن نأخذ أنفسنا لك بما لا نحملك مثله ، ولا نلتمس منك مقابلة به .

ما أتركني عنك إلا ما أنا عليه من إشار التخفيف بقطع الكتب، إلا عند حق يقع فأقضيهِ، أو نعمة تحدث فأهني بها، والقصيد للزيادة في البر بالزيارة في الغيب، وأستدعي دوام الوداد باتهاز قرص الوصل .
وكتبت إلى محمد بن عبد الله بن طاهر :

أنا شكرى للأمير على سالف معروفه فقد غار وأنجد . وأنا أتبالى إلى الله في جزائه عني بالحسنى فإخلاص النية عند مقلات القبول . وأنا أمل فأحياء على بعد العهد بلاؤه عندي، إذ كان ما تقدم منه شافعا في المزيد، وفسحة وصيد إياي عند مفارقتي له، إذ كان مؤذنا بالإنجاز . وأما زللى في التأخر عما أوجب الله عليّ له، ففروا بالعقوبة فيما حرمت من عز رياسته، وبناهة صحبته، وعلق الدرجة به، وإن كنت سائرا أيام أقطاعي عنه مُعتقلا بسبب لا خيار معه . مكاتبك — أعزك الله — وأنا مجاورك ببلد دون السعي إليك مجلا لقدرك مما أكر . لايقك بكتابي هذا فلان، وله على حقان : حق عم المسامين فلزمني بلزومه لهم، وحق خصني بالحُرمة والعِشرة . فرأيت في كذا إن سهل السبيل إلى ذلك ورحب، وإن يثق طائق فلست على جميل رأي عندي بمُتهم .

للتفضّل أن يُخصّ فضله من يشاء؛ والله الحمد ثم له فيما أعطى، ولا حجة عليه فيما منع .

مُسْتَعْفَى السُلْطَانِ أَحْمَدُ ثَلَاثَةً : رَجُلٌ آثَرَهُ اللهُ وَمَا عِنْدَهُ، وَأَسْأَلَ اللهُ تَوْفِيقَهُ؛ وَرَجُلٌ تَجَرَّعَ عَمَلَهُ نَخَافَ بَعْجَازَهُ عَوَاقِبَ تَقْصِيرِهِ، وَأَسْتَعِينُ اللهَ؛ وَرَجُلٌ سَمَّيْتُ بِهِ نَفْسَهُ عَنْ قَلِيلٍ هُوَ فِيهِ إِلَى كَثِيرٍ أَمَلُهُ . وَأَعُوذُ باللهِ مِنْ أَنْ أَدْنِسَ نِعْمَةَ اللهِ بِكَ عَلَى

وَعَلَى سَلْقَى قَبْلِي بِالتَّصَدُّى لِمَنْ لَا يُشْبِهُ دَهْرُهُ يَوْمَكَ ، وَلَا أَكْثَرُ جُهْدِهِ فِي الْمَعْرُوفِ
أَقَلَّ عَفْوِكَ .

- كن كيف شئت ، فإننى واحدُ أمرى خالصةٌ مبرِّرى ، أرى ببقائك بقاء
سُرورى ، وبتمام النعمة عليك تمامها عندى ، فإنه ليس من نعمة يُجَدِّدها الله
لأمير المؤمنين فى نفسه خاصةً إلا أتصَّلت برعيته عاقبةً ، وشملت المسامحين كافةً ، وعظَّم
بلاءُ الله عندهم فيها ، ووجب [عليهم] ^(١) شكره عليها ؛ لأنَّ الله جعل بنعمته تمام
نعمتهم ، وبسلامته هدوئهم واستقامتهم ، وبتيديده صلاحَ أمورهم وأمنهم ، وبذبه
عن دينهم حفظَ حريمهم ، وبجباطته حقنَ دماهم وأمنَ سبلهم ، وبرعيته آسأقهم
وأنظماهم ، فأطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالنصر، مُعزِّياً بالتحسين، موصولاً
الطلب بالظفر، ومدةً البقاء بالنعيم المقيم .

١٠

فهمتُ كتابك ولم تُعدْ فى وعدك ووعدك سبيلَ الراغب فى ربِّ عارفته ، المحامى
على سالفِ بلائه ، المؤثِّر لآسئتهم صبيحته . وإنى لأرجو أن أكون على غاية ما عليه
ذونية حسنة فى شكر مُصطنعه ، وعناية بأداء ما يلزمه لولئ نعمته ، ومراقبة لرئيسه
فى سرِّ أمره وعلايته ، وإثارة للقليل من جيل رآيه على كثير المنافع مع سخطه .

١٥

وليس مذهبي فيما أشرحه من العذر وأطيل بذكره الكتب ، مذهب من يؤه
بالاحتجاج ويحتال فى الاعتذار ، ومن تُطمعه نفسه فى سلامة النعمة مع فساد النية ،
وفى محمود الساقبة مع شرِّ النفس ، وفى زيادة الحلال مع التفريط فى العمل . ولو
كنتُ ممن سَوَّلَتْ له نفسه ذلك سائر دهره ، لقد وجب إلى أن يضطروا إلى

(١) زيادة عن القيد القريد (ج ٢ ص ٢٤٢) . (٢) فى الأصل : « وبذبه عن دينهم

وحفظ ... » بزيادة الواو ، وقد ردت هذه الباءة فى القيد القريد بجزئها . (٣) فى الأصل :

« وضاه ... » . (٤) فى الأصل : « ولقد وجب ... » ولا معنى لذكر الواو مع أخبار هذه

الجملة بجوابها الو ، كما هو ظاهر السياق ، على أن فى جمل « لقد » جواباً « هو » نظراً .

٢٠

التزوع عنه تأديك وتقويمك . وإني لمتجهدٌ أن [يكون] ^(١) أثرُ فعلِي هو المخبر عني دون قولي، وأن يكون ما أُمْتُ به إليك ظاهرَ كفايتي دون ديمامي .

لولا ما أنا بسبيله من العمل، وما في الإخلال به من تعريضه للأنفشار ودخول الخلل، وعلمي بأن طاعةَ السلطانَ مقرونةٌ بطاعة الأمير، وأنه لا فرقَ عنده بين الجاني على السلطان وعليه، لكننتُ الجوابَ راجلاً معظماً لأمره، مُكبراً لسخطه؛ وإن كان الله قد جعل عند الأمير من إثارة الحق والعمل به، وتقديم الروية قبل الإيقاع، والاستثناء ^(٢) بين وفتح ذنبه وظهر جُرمه دون من وقعت الشبهة في أمره، ما ائتمني بادرةً غصبه ونازلَ سطوته .

لم أكن أحسبني أُلِّ عندك محلٌّ من جِهَلِ حظِّه، وعدم تميزه، وغَيِّ عما عليه وعما له؛ إذ توهمت على آتِي أبيع خطيراً من رضاك، ونفيساً من رأيك، وشرفاً باقياً على الأيام بطاعتك، وعدةً للنواب استظهر بها من نصرتك، بالتمن البخس الخفير من كذا، أو أن أستبدلَ بما أنا ذوفاقة إليه من عزِّ كُنتك ومنيع ذراك، ما قد وهب الله النِّفَى عنه بمحمد .

كان ورودُك وغفوصُك في وقتين أنطويا عني، وكان مقامك في حالٍ شغلٍ منك ومنى، ولذلك فقدتني في القاضين لحقك والمثابرين على لقاءك .

ورد كتابك مضمناً من رزك وتطوُّلك ما حسن شكرى، وأثقل ظهري، وأزجج عن مضاهاتك بثلثه قولي؛ فذكرت به — إذ تحيرت دون تأمله، وضعتُ عن تمجِّله، وتجنَّزت عن الشكر عليه عند تمجِّله — قولُ القائل ^(٣) :

(١) زيادةً يضفيها السياق . (٢) الاستثناء : الانتظار . (٣) هو أبو نواس .

وقد ورد في ديوانه (المطبوع بالمطبعة السومية بمصر سنة ١٨٩٨ م ص ٧١) : "جلفني" بدلاً من "ألفني" و "لا تسدني" بدلاً من "لا تحبني" .

أنت أمرؤ أوليتني نِمْسًا * أو هت قُوى شكرى فقد ضِعُفا
لا تُحْدِثَنَّ إِلَى عَارِفَةٍ * حتى أقومَ بِشكر ما سَلَفَا

الفاظ تقع في كتب الأمان

- هذا كتاب من فلان لفلان : إني أمتك على دَمَك ومالك ومَوَالِك وأتباعك ،
 • لك ولهم ذمَّة الله الموقَّعة بها ، وعهدُه المسكونُ إليه ، ثم ذمَّةُ الأتباء الذين أرسلهم برسائله
 وأكرمهم بوجهه ، ثم ذمَّةُ النجباء من خلائقه : يحقن دَمَك ومن دخل أسمه معك
 في هذا كتاب ، وسلامة مالك وأموالهم وكذا وكذا ؛ فأقبلوا معروضه ، وأسكنوا
 إلى أمانه ، وتعلقوا بحبل ذمته ، فإنه ليس بعد ماؤكد من ذلك مُتَوَقِّعٌ لما خيل في أمان
 إلا وقد اعتلقت بأوثق عُمرَاه ، وبلغت إلى أحرز كهوفه ، والسلام .

وفي كتاب آخر : ١٠

- هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين ، لما جعل الله عليه نيَّته في إقامة العائر
 واستصلاح الفاسد ، رأى أن يتلافك بمقوده ، ويتعمد زَلَّاتك برُحمه ، ويسط لك
 الأمان على ما نرجت إليه من الخلاف والمعضية : على دَمَك وشِعْرِكَ وبَشْرِكَ
 وأهلك وولدك ومالك وعقارك ؛ فإن أنت أتيت وسمعت وأطعت ، فانت آمن بأمان
 ١٥ الله على ما أمتك عليه أمير المؤمنين ، ولك بذلك ذمَّة الله وذمَّة رسوله ، إلا
 ما كان من حق قائم بينه لمسلم أو معاهد ، والله بذلك راع وكفيل ، وكفى
 بالله وكلا .

(١) في الأصل «ورأى ...» بزيادة الواو . ولعله مهور من النسخ .

وفي كتاب آخر :

إن فلانا آستوہب امیر المؤمنین ذنبک، وسأله أن یقبل توبتک وإنابتک ،
 ویؤمنک علی دمک وشعرک وبشرک وأهلك وولدتک ومالك وعقاراتک ، علی أن
 تسمع وتطیع وتُشیع ، وتوالی أولیاءه ، وتُعادی أعداءه ؛ فأجابہ امیر المؤمنین إلى
 ذلك ، رایہ فی العفو والصفح وما یحتسب فی ذلك من الثواب والأجر، فأنت آمن
 بآمان الله علی کذا لا تؤخذ بشيء مما سلف من أحداثک ، ولا تتبع فیہ بمکروه ما أقمت
 علی الوفاء ولم تُحدث حدًا تفسخ به أمانک وتجعل به سبیلًا علی نفسك ، والله لك
 بذلك راع کفیل ؛ وكفی به شهیدًا .

ألفاظ تقع فی كتب العهود

أمره بقوى الله فيما أسند إليه وجعله بسبيله ، وأن يؤثر الله وطاعته أخذًا ومعطيا ،
 وأعلمه أن الله سائله عما عمل به وجأزيه عليه ، وأنه خارج من دُنياء خروجه من
 بطن أنه إما مغبوطا محمدا ، وإما مذموما مسلوبا . فليعتبر بمن كان قبله من الولاة
 الذين ولّوا مثل ما ولي ، أين صار بهم مر الليل والنهار ، وما أقلبوا به من أعمالهم
 إلى قبورهم ! ويترود لنفسه الزاد النافع الباقي : (يوم يحيد كل نفس ما عملت من خير
 محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) .

وفي فصل آخر :

وقد ولّك امیر المؤمنین ما ولّك من أمور رعيتہ ، وأشركك فيما أشرك فيه من
 أمانته ، ثقة بك ، ورجاء لتابعتك وإيثارك الحق وأهلہ ، ورفضك الباطل وأهلہ ؛
 وعهد إليك في ذلك بما إن أخذت به أظانك الله وسدّدك ، وإن خالفته حدّلك
 وعاقبك .

وفي الحج :

فإن أمير المؤمنين قد أختارك من إقامة الحج لو قد الله وزور بيته، للأمر العظيم قدره، الشريف منزلته؛ فعليك بتقوى الله؛ وإيتار مراقبته، ولزوم الهدى المحمود والطريقة المثلى والسيرة الجميلة التي تُنسب حالك .

- فصل — فإن الله نزه الإسلام عن كل قبيحة ، وأكرمه عن كل رذيلة ،
ورفعه عن كل دنية ، وشرعه بكل فضيلة ، وجعل سماء أهله الوقار والسكينة .

فصل — وإن أحق الناس بالازدياد في طاعته ومناجحته وأداء الأمانة في عمله مَنْ عَقِمَ حقَّ الأمير عليه في الخاصة بفضل الصليحة من الأمير عنده، مع حق الله عليه في العامة بحقِّ الولاية .

- فصل — وكنت سيفاً من سيوف الله، وبكلاً من أنكاله لأهل الشقاق ،
وتجني لمن أبتنى غير سبيل المؤمنين ، قد أحسبك التجاربُ وضرتك الأمور،
وفُرِّتَ عن الذكاء وحلَّتْ الدهرَ أشطره .

فصل — أنت ابن الحزبية والمرقة، ومن لا يلحقه عارُ أوبة ولا بُوءة .

- فصل — قد آلمتُ مواجعتك بشركك ووصف ما أُجِنُّ لك وأخلص
من ذلك وأجَل من قدرك وأعتد من إحسانك، فَلَقِيتَ عن ذلك تَمَدُّرُ الْخَلْوَةِ مع
أَهْبَاضٍ وَجْشَةٍ .

(١) كذا في الأصل وأُغْنِيَا المَنَظُومَ والمتنور لأنَّ طيفور (النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم ١٨٦٠ أدب ص ٣٣٣) دخلها : « في الحج » .

(٢) في الأصل : « فإن الله بحمده الإسلام... » .

(٣) في الأصل : « واعتد ... » .

فصل — قد أغنى الله بكركم عن ذريعة إليك ؛ وما تَنَازَعِي نفسي إلى استعانةٍ عليك إلا أبى ذلك حسنُ الظن بالله فيك، وتأميلُ نَجح الرغبةِ إليك دون الشفاعة عندك .

فصل — مثلك تقرب إلى الله بالتواضع لنعمة، والإغاثة لمستغيثه، والعائدة ^(١) على راجيه بفضلِه .

فصل — تَبَا لِمَن يَأْتِي رَأْيُكَ ! وقبلاً لِمُزُوبِ عَقْلِكَ ، وَأَقْنِ تَدِيرَكَ ! مَا أَبَدَ مَذْهَبَكَ فِي الْخَطَا ، وَأَسْوَأُ أَثَرَكَ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَأَقْصَرَ بَاعَكَ عَنِ النُّهْضِ ! بِزَلَالَةِ ^(٢) تَعْقِلِكَ ، وَمَهَانَةِ تَضَرُّعِكَ ، وَزَهْوِ بُلُوكَ ، وَتَحَوُّةِ بَشْمَخِهَا عِرْنِيكَ . لَقَدْ أَنْصَرَفَ رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَدَعَوْتَ لَهُ عَتَبَكَ ، وَكَشَفْتَ لَهُ عَنْ قِتَافِ سِرِّكَ ، وَاجْتَرَرْتَ إِلَيْكَ تَحْطِطَةَ وَعَقْفَتَ نَحْوِكَ مُوجِدَتِهِ ، وَكُنْتَ عَلَى نَصِيحِكَ مِنْهُ وَالضَّرِيقُ بِمِثْلِكَ عِنْدَهُ أَوَّلَى تَقْدُّمًا وَأَقْرَبَ رُشْدًا . وَاللَّهِ الْغَنَى الْحَمِيدُ .

أصحاب السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ يَحْمِلُ الدُّنْيَا نُصَبَ عَيْنُهُ ، يَنْصَبُ فِيهَا الْخَاصَّةُ مَكَابِدُهُ ، وَيَرْفَعُ عَنِ مَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ هِمَّتَهُ ، يُحْذِلُهُ عَنِ التَّقْوَى الْمَهْوَى ، وَتُنْسِيهِ أَيَّامَ الْقُدْرَةِ الْعَثْرَةَ ، حَتَّى تَصْرِمَ مَذْهَبُهُ وَتَتَقَضَّى دَوْلَتُهُ ، لَمْ يَرْتِنْ بِدُنْيَاهُ شُكْرًا وَلَا قَدَّمَ بِهَا إِلَى مَعَادِهِ ذُخْرًا . وَرَجُلٌ لَا يَحْفَلُ ^(٣) مَعَ صَلَاحِ الْخَاصَّةِ مَا دَخَلَ مِنَ الْخِلَالِ فِي أُمُورِ الْعَامَّةِ ، وَلَا مَعَ وَفُورِ حِفْظِهِ مَا أَدْخَلَ ^(٤) النِّقْصَ فِي حِظِّ رَعِيَّتِهِ . وَرَجُلٌ حَافِلٌ فِي وَلايَتِهِ إِرْضَاءً مِنْ وَلِيِّهِ وَطِيئِهِ ، وَأَعَانَتِهِ النَّيَّةَ وَخَذَلَتِهِ الْكَفَايَةَ . وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ الثَّمَنَةَ وَالرِّضَاءَ مِنْ فَوْقَكَ ،

(١) العائدة : اسم من حاده بمعروية إذا أتبل . (٢) كذا في الأصل وفيها ضعف لعدم

أسانها في السياق مع ما بعدها . (٣) الأذن : بالضمريك : ضعف الرأي والتشوير .

(٤) كذا في الأصل . (٥) في الأصل «لا يجبل...» وهو تحريف . وسخفه وبه : بالآه .

(٦) في الأصل : «مع وفور خطر...» .

والإقياد والمحبة ممن دونك، وأعاد إلى الناس بك عهد السلف الماضى وعمر بك آثارهم، حتى كأنهم بك أحياء لم تحترهم منية، وجميع لم تنصدع بينهم فرقة، فليمتك أنك من تقدمك من أهل الفضل في السيرة غير متقدم لك، ومن معك مقصر عنك، ومن دونك متفب لأخرتك. فلا زالت الأيام لك، ولا زالت النعم عنك، ولا أنتقلت عرى الأمور وأزقتها عن يديك.

فصل — أبى طبع الزمان أن يسمح لنا بك، كما أبى ذلك في منلك، فلم يزل حتى أعترض بمكروهه دونك، وكمن من نعمة ذهلت عنها النفس حين أدبرت بجريك، فإت تعلق القلب بك على قدرك في مواهب الله وقدرها عندك.

فصل — ولم تأت في جميع ما عتدت من أياديك شيئا، وإن كان مناهيا إلى الغاية، غنارا كالأمنية، متجاوزا للمسحقات، إلا وأنت فوقه والمأمول للزيادة فيه.

وفي كتاب — إن كان ما خبرنى به فلان عن هزل قصد أحوجتنا هزلنا إلى الجد، ووقفنا موقف المعتذرين من غير ذنب، وإن كان عن حقيقة فقد ظهر لنا من ظلمك وتحريكك مادل على زهدك منا في مثل الذى رغبنا منك فيه.

فصل فى كتاب العيد — كتابى إلى الأمير يوم كنا بعد خروجى فيه ومن قبل من المسلمين إلى المصلّى وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيد، ونحن بجبر حال أجمع عليها فريق من المسلمين فى عيد من أعيادهم وتجمع من مجامعهم؛ وكان نخرجنا إلى المصلّى أفضل نخرج، ومنصرفنا عنه أفضل منصرف،

بما وهب الله من سكن المائدة وهدوئها وألقها، وأحشاد الجند والشاكرية^(١) بأحسن الزينة والمهيئة، وأظهر السلاح والعتة . فالحمد لله على كذا، وهنّا الله الأمير كذا .

فصل — القلب قرينٌ ولّه حليفٌ حيّة ، أنظر بين كليله وأحضر بقلب^(٢)
غائب : إلى ورود كتابك بما تعزّمه . فاما النوم فلو مثل لعينٍ لتفرت إلّفاً للسهاد .

فصل في كتاب بيعة — فبايوا الأمير المؤمنين ولقلائهم على اسم الله وبركته وصنع الله وحسن قضائه لدينه وعباده، بيعةً منبسطةً لها أكفكم، منشحةً بها صدوركم، سليمةً فيها أهواؤكم، شاكرين لله على ما وفق له أمير المؤمنين .

عند معاوية على الأحنف ذنوياً، فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لم ترد الأمور على أعقابها ! أما والله إنا القلوب التي أبغضناك بها لئن جواختنا، وإن السيوف التي قاتلناك بها لعل عواتقنا، ولئن مددت^(٤) [لسنا] بشبر من غدر، فنددت إليك باعاً من خن، ولئن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو حملك ؛ قال معاوية : فإني أفضل .

تقدم رجل إلى سوار موكان سواره ميفضا فقال سواره في بعض ما يكلمه به : يآين الفناء ! فقال : ذاك خصصى ؛ فقال له الخصى : أعديني عليه^(٦) ، فقال له الرجل : خذ له بحقه وخذ لي بحقي ؛ ففهم ، وسأله أن يغفر له ما فرط منه إليه ، ففعل .

الأوزاعي قال : دخل تحرّم بن فائق على معاوية ، فنظر إلى ساقيه فقال : أئى ساقين ، لو كانتا على جارية عاتق ! فقال له تحرّم^(٧) : في مثل عجيتك يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون . (٢) في الأصل « بين جلية ... » . (٣) في الأصل « يستمر ... » . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة خن) . (٥) الخن (بالفتح) : اندسية والندو . (٦) أضفى عليه : أضفرى عليه وقوى . (٧) العاتق : الجارية أول إدراكها ، وقيل هى التي لم تزوج .

الخطبة

- تَبَيَّنَتْ حُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجِدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضللَّ فلا هاديَ له»، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له». ووجدت في بعضها: «وأوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحكمكم على طاعته». ووجدت في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: «أيها الناس إن لكم معالِمَ قَاتَهُوا إلى معالِمكم، وإن لكم نهايةً قَاتَهُوا إلى نهايتكم؛ إن المؤمنَ بينَ عَافِيَتَيْنِ: بينَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِهِ، وبينَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَائِضٌ فِيهِ؛ فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَمَنْ دُنِيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمَنْ التَّشَبَّهَ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَمَنْ الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ؛ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ». ووجدتُ كُلَّ خُطْبَةٍ مُفْتَاحِهَا الْحَمْدُ إِلَّا خُطْبَةَ الْعِيدِ فَإِنَّ مُفْتَاحَهَا التَّكْبِيرُ. وَتَكْبِيرُ الْإِمَامِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَنِ الْمِنْبَرِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ تَكْبِيرَةً.

خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

- ١٥ حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ قَالَ حَدَّثَنِي الطَّائِفِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قُسَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَيْمٍ قَالَ: خُطِبْنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ:

(١) فِي الْأَصْلِ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَّ بِالْبَيْتِ فِي كُتُبِ التَّوْرَةِ وَرَوَاةُ الْحَدِيثِ لَمْ يَغِدْ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فَلَمَّا مَا فِي الْأَصْلِ نَحَرُفُ عَمَّا أَتَيْنَا: قَالَ فِي التَّبْلِيبِ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْكَوْفِيِّ. قَالَ: قَرَأْتُ عَلَيْنَا كُتُبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَارِئَةً بِحَيْثُ. وَرَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو حَدِيثَهُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَطَائِفَةٍ... الخ» وَفِي الْخُلَاصَةِ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» وَفِي الْخُلَاصَةِ... الخ. «وَلِذَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَيْمٍ عَنْ رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرْجَمَ لَدُنَا أَنْ مَا فِي الْأَصْلِ نَحَرُفُ بِهِ...»

أما بعد ، فإن أوصيكم بتقوى الله وحده وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وتخطوا
 الرغبة بالرهبة ، والإلحاف بالمسئلة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : (إِنَّهُمْ
 كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) . ثم أعلموا أن الله قد آرتهم بحقه
 أنفسهم ، وأخذ على ذلك موافقكم ، وأشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي . هذا
 كتاب الله فيكم لا تفتي عجائبه ولا يطفأ نوره ، فصديقوه وأتبعوه وأستضيئوا منه
 ليوم القامة . ثم أعلموا أنكم تندون وتروحون في أجل قد غيب علمه عنكم ، فإن
 استطعتم ألا ينقضى إلا وأتم في عمل لله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله .
 فسابقوا في مهل ؛ فإن قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنها كم أن تكونوا
 أمثالهم ، والوحا الوحا ، والنجاه النجاه ! فإن من ورائكم طالبًا حديثًا مره ، سرى ما
 [مسيره] ^(١١) .

وفي غير هذه الرواية : أين من تعرفون من إخوانكم ! قد آتته عنهم الأعمال ،
 ووردوا على ما قدموا وحلوا عليهم بالشقوة والسعادة . أين الجبارون الذين بنوا
 المدائن وحصنوها بالحواط ! قد صاروا تحت الصخر والآكام .

خطبة لأبي بكر أيضا رضي الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبي زيد القارئ ^(١٢) .

حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(١) الكلمة من العهد الفريد (ج ٢ ص ١٦٠) . وقد وردت فيه هذه الخطبة باعتراف في بعض
 الكلمات عما هنا . (٢) كذا في الأصل . وهي غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف النسخ .
 وصواب العبارة نقلًا عن تاريخ ابن جرير الطبري (قسم أول ص ١٨٤٧ طبع ليدن) : « أين من
 تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد آتته بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا لحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة
 فيما بعد الموت » . (٣) كذا في البيان والبيان (ج ٢ ص ٢١) وهو ما تؤيده كتب التراجم
 كآساب السعاف وأسد الغابة : وفي الأصل : « من ولد زيد القارئ » .

- إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة المملوك . فرغ الناس رؤسهم ؛ فقال : ما لكم يا معشر الناس ! إنكم لقطعانون عجولون ، إن الملك إذا ملك زهد الله فيه في يده ، ورغبه فيما في يده غيره ، وأنتقصه شطراً أجله ، وأشرب قلبه الإشفاق ؛ فهو بمحمد على القليل ، وينسخط الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتتقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القسي والسراب الخادع ، جذل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسه ونفس عمره ونفخ ظله ، حاسبه الله فأشد حاسبة وأقل عفوه . ألا إنا الفقراء هم المحرومون ، وخير المملوك من آمن بالله ، وحكم بكاتب الله ومنه نبيه صلى الله عليه وسلم . وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسترون بصدى ملكا عضوضا ، وأمة شعاعا ، ودما مقافا . فإن كانت الباطل تزوة ، ولأهل الحق جولة ؛ يفعولها الأثر ، وتموت السنن ، فالزموا المساجد ، واستشربوا القرآن ، والزموا الجماعة . ولكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أي بلادكم نعمة فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أديانها .

خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم مبيعة بنى مساعدة

- أراد غمر الكلام ، فقال له [أبو بكر] : على رسك . نحن المهاجرون أول الناس إسلاما ، وأوسطهم داراً ، وأكرمهم أحساباً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمشمهم رجلاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسأمتنا قبلكم ،
- (١) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٩) : «البقاء» . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : «البائة» . (٢) القسي من الدرهم : الزائف . (٣) وجبت نفسه ، ونفس عمره ، ونفخ ظله : كل منها تخاية عن الموت . (٤) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) . وفي الأصل «... ألا إنا الفقراء هم المحرومون إلا من آمن ...» . (٥) ملك عضوض : فيه استبداد وصف . (٦) شعاعا : مفرقة . (٧) الدم المقاح : المراق . (٨) كذا بالأصل والبيان والتبيين ، ولم ترق إلى تصويرها أو تحوير صحيح لها .

وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكَ، فَاتَمَّ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ، وَشَرَكَاؤُنَا فِي النَّفْسِ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى
السَّدُوقِ، أَوْثَمُ وَوَأَسْبَحُكُمْ^(١)، بِغَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا، نَحْنُ الْأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، لَا تَلِدِينُ
الْعَرَبُ إِلَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَنْتُمْ مُحَقَّقُونَ إِلَّا تَنْفَسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
مَا سَأَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ .

خطبة لأبي بكر رضى الله عنه

الْحَقِيقُ عَنْ جُبَّالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا بُوِيعَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَعِدَ
الْمِئْبَرُ فَزَلَّ سِرْفَاةً مِنْ مَقْعَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمِدَ اللَّهُ وَأَخْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ :
إِنِّي وَلَيْتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، وَلَكِنَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ أَكْبِسَ الْكَفَيْسَ التَّقَى، وَأَنْ أَحَقَّ الْحَقُّ الْفُجُورَ،
وَأَنْ أَقْوَاكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفَ حَتَّى أَخْذَ لَهُ بِحَقِّهِ، وَأَضْمَقَكُمْ عِنْدِي الْقَوِيَّ حَتَّى أَخْذَ^(٢)
مِنْهُ الْحَقَّ، إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ زُغْتُ
فَقُومُونِي . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ .

خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

قَالَ : وَلَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ صَعِدَ الْمِئْبَرُ وَقَالَ :
مَا كَانَ اللَّهُ لِيَرَانِي أَرَى نَفْسِي أَهْلًا لِجُلُوسِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَجْلِسِهِ سِرْفَاةً،
خَمِدَ اللَّهُ وَأَخْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : اقْرَءُوا الْقُرْآنَ تُرَفِّقُوا بِهِ، وَأَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ .
إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَقِّي ذِي حَقٍّ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . أَلَا وَإِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالٍ

(١) كَذَا فِي الْمَقْعَدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ١٥٨) : وَفِي الْأَصْلِ : «وَأَسْبَحُكُمْ» .

(٢) كَذَا فِي إِيجَازِ الْقُرْآنِ الْبَاطِلِيِّ (ص ٦٥ طبع مصر سنة ١٣١٥) : وَفِي الْأَصْلِ : «أَنَا» .

الله بمنزلة وإلى اليتيم : إن أَسْتَفْتَيْتُ عَفَفْتُ وإن ائْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بالمعروف تقزم^(١)
البهمة الأعرابية : القضم لا الخضم .

خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه

قال : ولما ولي عثمان صعيد المنبر فقال :

- رحمهما الله ، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس ، فجلس على ذروة المنبر فرواه الناس بأبصارهم ، فقال : إن أوَّلَ مركبٍ صعبٌ ، وإن مع اليوم أياماً ، وما نَحْنُ خُطباء ، وإن نَمَشَ لَكُمْ تَأْتِكُمُ الْخُطْبَةُ على وجهها إن شاء الله تعالى .

خطبة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه

خطب فقال :

- ١٠ أما بعدُ ، فإن الدنيا قد أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بَوْدَاعَ ، وإِنَّ الآخِرَةَ قد أَقْبَلَتْ فَأَمْرُشْتُ باطلاع ، وإن المِضْمَارَ اليوم وغدا السَّابِقُ . ألا وإنكم في أيام أمل من وراءه أَجَلٌ ، فمن قَصَرَ في أيام أمه قبل حضور أَجَلِهِ فقد خَسِرَ عَمَلَهُ . ألا فاعْمَلُوا لله في الرَّغْبَةِ كما تَعْمَلُونَ له في الرَّهْبَةِ . ألا وإني لم أَرَكُلْجَنَةَ نَامٍ طَالِبُهَا ، ولا كالنارِ نَامٍ هَارِبُهَا . ألا وإنه من لم يَنْفَعِمْ الحقَّ ضَرَّه الباطل ، ومن لم يَسْتَقِمْ به الهدى جَارَ به الضلال .
- ١١ ألا وإنكم قد أَمْرْتُمْ بِالظَّنِّ ، ودُلِّمْتُمْ على الزَّادِ ، وإن أخوفَ ما أخافُ عليكم اتِّبَاعُ الهوى وطولُ الأمل .

(١) تحزم الصبي والهم : أكل أكلا ضعيفا ، وذلك أول ما يأكل . والقضم : الأكل بإطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . يريد بهذا بيان الأكل بالمعروف وأنه الأكل الخفيف الذى تدفع إليه حاجة الحياة .

(٢) فى الأصل : «الفسار» وهو تحريف .

خطبة على عليه السلام بعد مقتل عثمان رضى الله عنه

أيها الناس، كَلَبَ اللهُ وَسْطَ بَيْتِكُمْ . لَا يَدْعَى مَدْعٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ . شُغِلَ مِنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ . سَاعَ نَجَا، وَطَالَبُ يَرْجُو، وَمَقْصَرٌ فِي النَّارِ : ثَلَاثَةٌ ؛ وَاشْنَانٌ :
مَلِكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ اللهُ بِيَدَيْهِ، لَا سَادَسَ . هَلَكَ مَنْ أَقْتَحَمَ، وَرَدَى مَنْ
هُوَ . الْبَيْنُ وَالشَّيْءُ مَضَلَّةٌ، وَالْوَسْطَى الْجَادَّةُ : مَتَّحٌ عَلَيْهِ بَاقَى الْكَلْبِ وَأَثَارُ النُّبُوَّةِ .
إِنَّ اللَّهَ أَتَى هَذِهِ الْأُمَّةَ بَادِينَ : السُّوْطَ وَالسَّيْفَ ؛ فَلَا هَوَادَةَ فِيهِمَا عِنْدَ الْإِمَامِ .
فَأَسْتَرَوْا بَيُوتَكُمْ، وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَالتُّوبَةَ مِنْ ذُرَائِكُمْ . مَنْ أَبْدَى صَفْعَتَهُ
لِلْحَقِّ هَلَكَ . قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ يُلْتَمَسُ عَلَيْهَا مِثْلَةٌ لَمْ تَكُونُوا عِنْدِي مَحْمُودِينَ وَلَا مُصِيبِينَ .
وَاللَّهِ أَنْ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ قُلْتُ . عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ . أَنْظَرُوا، فَإِنْ أَتَاكُمْ فَأَنْكِرُوا،
وَإِنْ عَرَفْتُمْ فَأَرَوْا . حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ . وَاللَّهِ لَنْ أَمُرَ الْبَاطِلُ لِقَدِيمًا
فَعَلْ ؛ وَلَنْ أَمُرَ الْحَقُّ لِرُبٍّ وَلَعَلَّ . مَا أَدْبَرْتُ^(٢) فَأَقْبِلَ .

خطبة أيضا لعلي رضى الله عنه^(٣)

خطب على حين قُتِلَ طامله بالأنبار فقال في خطبته :

يَا عَجَبًا مِنْ جِدِّ هَؤُلَاءِ فِي بَاطِلِهِمْ وَفَشَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ! قُتِبَا لَكُمْ وَتَرَبَّحَا مِنْ صِرْتِمِ
غَرَضًا يُمْنِي، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيَّرُونَ، وَتُغَزَّوْنَ وَلَا تُغَزَّوْنَ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ .

- (١) (أمر) (بالإناء للجهول والضعيف) : سلط . والى في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢)
وتبع البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : « ... ولئن قل الحق ... » وعمل ما ورد
فيها يكون معنى « أمر الباطل » : كثر « أمر » وزان فرج . (٢) في العقد الفريد :
« وقلنا أدبر ... » . (٣) وردت هذه الخطبة في البيان والنبين (ج ٢ ص ٢٦) وتبع البلاغة
٢٠ (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف في بعض
الكلمات وزيادات مما هنا .

- إن أمرتكم بالمسير إليهم في الحرِّ قلم : حَمَارَةُ الْقَيْظِ ، أَهْمَلْنَا [حتى] يَنْسَلِخُ ^(٢٣) الحرُّ ، وإن أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلم : أَهْمَلْنَا [حتى] يَنْسَلِخُ ^(٢٤) الشتاء هذا وَأَنْ قَرَّ كُلُّ هذا فِرَارًا من الحرِّ والْقَرِّ ، فأتَمَّ والله من السيف أَقَرُّ ، يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالِ ! أحلام الأطفال وعقول رِبَاتِ الْجَمَالِ ؛ أَفَسَدْتُمْ عَلَى رَأْيِ الْعِصْيَانِ وَالْخِلْدَانِ ، حتى قالت قريش : ابن أبي طالب مُجْبَعٌ [ولكن] لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ . لله أبوه ! هل منهم أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَطْوَلُ تَجَرِبَةً مَنِي ! ^(٢٥) لقد نهضت فيها وما بلغتُ العشرين فهنا الآن قد نَبِثْتُ عَلَى السَّيْنِ ، ولكن لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ .

خطبة معاوية رحمه الله

بلغني عن شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ قَالَ : خطب معاوية فقال :

- ١٠ أيتها الناس ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ شَلِيدٍ ، يُعَدُّ فِيهِ الْحَسَنُ مُسِينًا ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا ، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلَيْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جِئْنَا ، وَلَا نَتَّقُوهُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا . فالتاس أربعة أصناف : منهم مَنْ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ وَكَلَالَ حَدِّهِ وَتَضْيِضَ وَفَرِهِ ؛ ومنهم الْمُصْلِحُ لِسِيْفِهِ وَالْمُجْلِبُ بِجِيْلِهِ وَرَجُلُهُ وَالْمُعَلِّمُ بَشَرَهُ ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِيْنَهُ لِحَطَامِ بَشَرِهِ
-
- ١٥ . (١) حَمَارَةُ الْقَيْظِ : شَتَتَهُ . (٢) زِيَادَةُ عَنِ الْمَقْدُ الْفَرِيدِ وَالْبَيَانِ وَالْتِيَيْنِ . (٣) التَّزْيِيزُ الْتَافٌ : الْبَرْدُ الشَّدِيدُ . (٤) كَذَا فِي الْمَقْدُ الْفَرِيدِ وَالْبَيَانِ وَالْتِيَيْنِ ، زِيَادَةُ كَلِمَةِ «لَهَا» بِهَذِهِ «أَطْوَلُ» فِي الْبَيَانِ وَالْتِيَيْنِ . وَفِي الْأَصْلِ : « هَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَلَا أَطْوَلُ تَجَرِبَةً مِنِّي » . (٥) فِي الْأَصْلِ : « رَضِيضٌ » وَهَذَا أَتَيْنَاهُ عَنِ الْبَيَانِ وَالْتِيَيْنِ وَالْمَقْدُ الْفَرِيدِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ . وَنَضِيضٌ ، وَفَرُهُ : قَلَّةُ مَالِهِ . (٦) فِي الْأَصْلِ : « بَسِيفُهُ » بِالْبَاءِ . (٧) أَشْرَطَ نَفْسَهُ لِكَلَا : أَعَدَّهَا وَقَدَّمَهَا . (٨) أَوْبَقَ دِيْنَهُ : أَهْلَكَ .

أَوْ مِقْنَبٍ يَسُودُهُ أَوْ مِثْرٍ يَفْرَعُهُ، وَلَيْسَ الْمُتَجَرَّانِ تَرَاهَا لِنَفْسِكَ ثَمًّا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ عَوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ [وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا] (١)
 قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصَةٍ وَقَارَبَ مِنْ خُطْوَةٍ، وَثَمَّرَ مِنْ ثَوْبَةٍ، وَزَنَرَفَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ،
 وَأَتَخَذَ مِيسِرَ اللَّهِ دَرِيمَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمَلِكِ ضُؤُولَةٌ
 فِي نَفْسِهِ وَأَقْطَاعٌ مِنْ سَبَبِهِ، قَصَّصَ بِهِ الْحَالِ عَنْ أَمَلِهِ، فَحَلَّ بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ
 بِلبَاسِ الزُّهَادِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَايَاجٍ وَلَا مَغْدَى . وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ
 ذِكْرَ الْمَرِجِجِ، وَأَرَأَقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمُخْشَفِهِمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ، وَخَائِفٍ مُنْقَمِعٍ،
 وَسَاكِنٍ مَسْهُومٍ، وَدَاغٍ مُخْلَصٍ، وَمُوجِعٍ تَكَالُنٍ، قَدْ أَهْمَلْتُمْ التَّقِيَّةَ، وَتَهَيَّأْتُمْ
 الدَّلَّةَ، [فَهُمْ] فِي بَحْرِ أُلْجَاجٍ، أَنْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِصَةٌ، قَدْ عُظِّطُوا حَتَّى
 مَلَأُوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَالُوا . فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُتَالَةٍ
 الْقَرْطِ وَقَرَاظَةِ الْجَلْمِ، وَأَتَعَطَّلُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَطَّ بِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ،
 وَأَرَفَضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشَقَفَ بِهَا مِنْكُمْ .

خطبة يزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إِنْ مَعَاوِيَةَ كَانَ حَبَلًا مِنْ حَبَالِ اللَّهِ، مَتْنُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَمُدَّهُ، ثُمَّ
 قَطَعَهُ حِينَ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَهُ؛ وَكَانَ دُونَ مَنْ قَبْلَهُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ بَعْدِهِ، [وَلَا أَزْكِيهِ عِنْدَ]

(١) المِقْنَبُ بكسر الميم : الجمجمة من الخيل . (٢) يَفْرَعُهُ : يعلوه . وفي الأصل : « يَفْرَعُهُ »

وهو تحريف . (٣) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ . فِي الْأَصْلِ : « وَلَيْسَ الْمُتَجَرَّانِ تَرَاهَا ... » الخ

وهو تحريف . (٤) الزِّيَادَةُ عَنِ الْقَدْرِ الْفَرِيدِ وَالْيَابِتِ وَالتَّبَيُّنِ وَإِيجَازُ الْقُرْآنِ .

(٥) طَامَنَ مِنْ شَخْصَةٍ : غَضَضَ . (٦) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ (ج ٢ ص ٢٩) فِي الْأَصْلِ :

« عَلَى حَالِهِ ... » . (٧) النَّادِ : الثَّائِرُ الْقَاهِبُ عَلَى وَجْهِهِ . (٨) مُنْقَمِعٌ : مُسْتَخْفٍ .

(٩) الزِّيَادَةُ مَا خُوِّدَتْ مِنَ الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ وَالْقَدْرِ الْفَرِيدِ وَإِيجَازُ الْقُرْآنِ لِإِيجَازِ الْبَاطِلِ . (١٠) الزِّيَادَةُ

عَنِ الْقَدْرِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ١٧٣) .

ربه وقد صار إليه [فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فينبذه . وقد وليت الأمر بعده ، ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم . وعلى رسلكم ! إذا كره الله أمرا غيره .

خطبة لعنبة بن أبي مسفيان

- أبو حاتم عن النبي قال : احتسبت كتب معاوية حتى أزوجف أهل مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر والكتاب في يده فقال :

يا أهل مصر ! قد طالت معانينا لما كنم بأطراف الرماح وطلبات السيوف حتى صرنا نقي في هواتكم ما نسيغنا حلوقكم ، وأقنأ في أعينكم ما تطرف عليها جفونكم . نحن أشتدت عرى الحق عليكم عقدا ، وأسترخت عقد الباطل منكم حلا ، أرجفتم بالخليفة وأردتم توهين السلطان ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم عهدكم به حديث !
فأرتجوا أنفسكم إذ خسرتم دينكم ، فهذا كتاب أمير المؤمنين بالخبر السار عنه والعهد القريب منه . وأعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ، فأصلحوا لنا ما ظهر ، نكلكم إلى الله فيما بطن ، وأظهروا خيرا وإن أسررتم شرا ، فإنكم حاصدون ما أتم زارعون . وعلى الله تتوكل وبه نستعين .

خطبة لعنبة أيضا

وبهذا الإسناد أن عتبة خطب أهل مصر حين هاجوا فقال :

يا أهل مصر ، خفف على أنفسكم مدح الحق ولا تفعلونه ، وذم الباطل وأتم تأتونه ، كالبحار يميل أسفارا أثقله حملها ولم ينفعه عليها . وإني والله لا أدأوي

(١) في المقف الفريد : « ولا أسي على طلب علم » . (٢) أرحف : خاض في الأخبار التي

أدواءكم بالسيف ما أكثفبت بالسوط، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدرة، ولا أبطئ
عن الأولى إن لم تصلحوا عن الأخرى * ^(١) ناجزا بنابز، ومن حذر كن بشر *
فدعوا قال ويقول من قبل أن يقال فعل ويفعل، فإن هذا اليوم الذي ليس فيه
عقاب، ولا يهد عتاب .

خطبة لعبد الله بن الزبير

خطب عبد الله بن الزبير حين قُتل أخوه مُصعب فقال :

الحمد لله الذي يُبزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء . إنه لن ينذلّ من كان الحقُّ معه
وإن كان فرقا ، ولن يبرّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أنا
خبرٌ من قبل العراق أجزعنا وأفرحنا : قُتل مُصعب رحمه الله . فاما الذي أحرّتنا من
ذلك فإن لفراق الحميم لثمةً يملؤها حيمه عند المُصيبة به ثم يرتوي بعدها ذوو الرأى
إلى جميل الصبر وكرم العزاء . وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلنا أن قتلته شهادة ، وأن
ذلك لنا وله الحية . ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا
يأخذونه به . إنا والله ما نموت حبيبا ولا نموت إلا قتلا ، قسما بالرماح تحت ظلال
السيوف - ليس كما نموت بنو مروان - والله إن قُتل رجل منهم في جاهلية ولا إسلام .

(١) كذا في الأصل ، ولعلها : «هل الأخرى» .

(٢) هذه الجملة التي بين التجميعين وردت في المقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) في أثناء خطبة أخرى
لعبه . وفي المقد : «والله ما اطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبنا لها منكم حتى بللناها
لكم ناجزا بنابز، ومن حذر كن بشر...» .

(٣) في المقد الفريد : « قبله » .

(٤) الحجج : أن يأكل البعير لحاء العرغ فيرم بعله ممنا وربما قتل ذلك . قال في اللسان بعد أن ذكر
كلام ابن الزبير : «يمرض بني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالثمة...»
وقصه (من باب قطع) : قتل مكانه .

ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى^(١١) [الذى لا يبدد ذكره ولا يذل سلطانه] فإن تقبل على لا أخذها أخذ البطل الأشر، وإن تدبر عني لا أبتك عليها بكاء، انظروا المهتر^(١٢).
ثم نزل .

خطبة زياد البتراء^(١٣)

- حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبي بكر بن أبي عاصم ببعضها، وحدثني أبي عن الهيثم بن عدي، قال : لما قدم زياد أميرا على البصرة فنظر إلى أبياتها، قال : رب فريج بإمارتي لن تنفعه ، [و] كاره لها لن تضره ، فدخل وعليه قباء أبيض ورياء صغير، فصعد المنبر، فخطب الناس خطبة بتراء : لم يصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أول من خطبها، ثم قال :
 - أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علمت، وشهدت الشهود بما قد سمعت، وإنما كنت أمرا حفظ الله منه ما ضيع الناس، ووصل ما قطعوا^(١٤). ألا وإنا قد ولينا وولينا والوالون، وسننا وماسنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شدة في غير عتف، ولين في غير ضعف. وأيم الله ما من كذبة أكبر شاهدا من كذبة إمام على منبر؛ فإذا سمعتموها متى فأغتمزوها في، وأعلموا أن عندي أمثالها، وإذا رأيتموني أمر
-
- ١٥ (١) الزيادة من العقد الفريد : (ج ٢ ص ١٨٣) . (٢) انظروا : التي قد علقه من الكبير . والمهتر : من ذهب علقه من كبير أو مرض أو حزن . وفي العقد الفريد : «بكاء . الخرق المهن» . (٣) وردت هذه الخطبة في النوادر لأبي علي القالي (ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما هنا ولا تختلف إلا في كلمات يسيرة . ووردت في الكامل لأن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليدن سنة ١٨٦٨م) والبيان واللبين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزيادات كثيرة مما هنا ويتقدم وتأخير في بعض الجمل والكلمات . (٤) لم ترد هذه القطعة في الخطبة البتراء في مصدر آخر من المصادر التي بين أيدينا إلا في النوادر لأبي علي القالي . وقد وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤) في خطبة أخرى لزياد .

فِيكُمْ بِالْأَمْرِ فَأَهْذَوْهُ عَلَى أَذْلَالِهِ . وَأَيُّمَ اللَّهِ إِنْ لِي فِيكُمْ لَصَرْعَى كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرْ كُلَّ
أَمْرِي مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَايَ . وَأَيُّمَ اللَّهِ لَا أَخُذْتُ الْبِرَّ بِالسَّقِيمِ ، وَالْمُطِيعِ
بِالْعَاصِي ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ، وَحَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ : « أُتِجُ سَعْدَ
فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ » . فَهَاجَمَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهِمِّ التَّمِيمِيَّ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَشْهَدُ
أَنْكَ أَوْتَيْتَ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْتَ الْخُلَاطِبَ ، فَقَالَ لَهُ : كَذَبْتَ ، ذَلِكَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدَ . ثُمَّ
قَامَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا الْمَرْءُ يُجِسُّهُ ، وَالسَّيْفُ يَجْعَلُهُ ، وَالْجَوَادُ يَشْدُوهُ ،
وَقَدْ بَلَغْتُكَ جِدُّكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا تَرَى ، وَإِنَّمَا الْحَدُّ بَعْدَ الْبَلَاءِ ، وَالنَّشَاءُ بَعْدَ الْمَعَاءِ ،
وَإِنَّا لَا نُبْنِي حَتَّى نَبْنِيَ . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ مُرْدَاسُ بْنُ أُدْيَةَ ، فَقَالَ : قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَكَ
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَإِنَّ خَلِيلَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَدَّى عَنْ اللَّهِ غَيْرَ الَّذِي أَذْنَبْتَهُ ، قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الْآلَ تَرَرُّ وَآزِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ﴾^(١) وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَأْخُذُ الْبِرَّ

١٠

- (١) على أذلاله : على طريقه ووجوهه - واحده ذل بكسر الذال ، وهو ما مهد من الطريق وذلل .
(٢) قال في اللسان مادة « سعد » بعد أن ذكر هذا المثل : « هذا مثل سائر وأصله : أنه كان لضبة
ابن أذأبان : سعد وسعيد تلجما يطلبان إجلالها فخرج سعد ولم يرجع سعيد ؟ فكان ضبة إذا رأى سوادا
تحت الجبل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل ؛ فأخذ ذلك القبط منه وصار بما يتشابه به ، وهو يضرب
مخلافًا للبناء على الرسم ، ويضرب في الاستخبار عن الأمور : الخبير والشراعيما وقع . وقال الجوهري
في هذا المكان : وفي المثل ، أسعد أم سعيد إذا مثل عن الشيء . أو مما يجب أو يكره .
(٣) كذا في ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبع ليدن والبيان والتبيين والبلد القريد
في الأصل : « ضم بن الأهم » وقد أثبتنا ما في المصادر الأولى لأن الوقوف في مثل هذا الموقف
يقتضي شجاعة وبراءة ، وفي عبد الله بن الأهم منها حظ موفور . أما تميم بن عمرو بن الأهم ؟ وعبد الله
هذا عمه ، فكان كما يقول ابن تيمية في الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : « فيه تأنيث ... » . وفي النوادر
لأبي علي القالي : « صفوان بن الأهم » وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهم . (٤) وردت هذه
الجملة في ابن الأثير والبلد القريد والبيان والتبيين والنوادر لأبي علي القالي باختلاف عما هنا ونصها
في ابن الأثير : « هَاجَمَ إِلَيْهِ أَبُو بِلَالٍ مُرْدَاسُ بْنُ أُدْيَةَ ، وَهُوَ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَقَالَ : أَيُّهَا اللَّهُ بَغِيرَا قَلْتِ ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَزَرَ وَآزِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ وَإِنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَى » الخ ... » .

١٥

٢٠

بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمدير ، فقال له : أسكت ، فوافقه ما أجد
إلى ما أريد سيلاً ، إلا أن أخوض إليه الباطل خوفاً . ثم نزل .

وقال في خطبة له أخرى ^(١) :

- حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أَسْوِيَهَا بِالْأَرْضِ هَتْمًا وَإِرَاقًا . إِيَّايَ وَدَجَّ
الليل ، إِيَّايَ لَا أَوْفَى بِمُدْجِ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَإِيَّايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، إِيَّايَ لَا أَجِدُ
أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحَدَانَا ، وَأَحَدْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةٌ ؛
فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْتَهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْتَهُ ، وَمَنْ قَتَبَ بَيْتًا قَتَبْتُ عَنْ قَلْبِهِ ،
وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا ، فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَالسَّكَمَ أَكُفُّ عَنْكُمْ . وَقَدْ كَانَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءُ قَدْ جَعَلْتُهَا دَبْرًا ذِي وَتَحْتِ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا
فَلْيَزِدْ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَتَزَعْ . إِيَّايَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلَّ مِنْ بُغْضِي
لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا وَلَمْ أَهْنِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ
أُثَاطِرْهُ ؛ فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا أَمْرَكُمْ .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة ^(٢)

دخل وهو متقلد سيفًا متنكبٌ قوسًا عربية ، فلما المنبر فقال :

- أَنَا أَبْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ النَّيَّابِ * مَتَى أَضْجَعُ الْعَامَةَ تَعْرِفُونِي

(١) هذه الخطبة وردت في المصادر المتقدمة ، ما عدا النوادر لأبي عليّ التال ، في شتاي خطبته

الجزء . (٢) وردت هذه الخطبة في كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكمال للبرد (ص ٢١٥)

طبع ليبسج) والبيان والبيان (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكمال لابن الأثير

(ج ٤ ص ٣٠٤ طبعة لندن) مع بعض الاختلاف : بزيادة أو نقص أو تغيير في بعض الكلمات .

إن أمير المؤمنين نكّب^(١) عيّناته بين يديه ، فوجدني أمرها عوداً وأصلها مكسراً ، فوجهني إليكم . ألا فوالله لأعصبتكم^(٢) عصَب السّامة ، ولألحونكم^(٣) لحو العود ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ، حتى تستقيم لي قناتكم ، وحتى يقول القائل : «أعج سعاد فقد قُتل سعيد»^(٤) . ألا وإيأى وهذه الشّقاء والزّرافات ، فإنّي لا أوتى بأحد من الجالسين في زرافة إلا ضربت عنقه . هكذا حدّثني أحمد بن سعيد عن أبي عبيد في كتاب غريب الحديث . وقال لي غيره : هو إيأى وهذه الشّقاء والزّرافات . وقد فسّرت الحديث في كتابي المؤلف في غريب الحديث .

خطبة للمجّاج أيضاً

أرجف الناس بموت المجّاج ، نخطب فقال :

١٠ إنا طائفة من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، زرع الشيطان بينهم ، فقالوا : مات المجّاج ومات المجّاج ! فقه ! وهل يرجو المجّاج الخير إلا بعد الموت ! والله ما يسرني ألا أموت وأنت لي الدنيا وما فيها ! وما رأيت الله رضى بالتخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس . ولقد دعا الله العبد الصالح فقال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ، فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل !

١٥ (١) نكّب عيّناته : طرحها . (٢) عصَب : قطعه . والسامة : واحدة السم ، وهو يجر من الغشاء يمتد منه القوط الذي يدب به ، وهو يجر السخط . ولحا العود : قشره . (٣) كانت الإبل النورية إذا وردت مع إبل قوم ضربت وطردت . ضربه ألعج مجّاج مثلاً في التهديد والإنذار . (٤) تقدّم شرحه في خطبة زياد . (٥) في اللسان مادة «سقف» : «وأما قول المجّاج : (إيأى وهذه الشّقاء) فلا يعرف ما هو ، وسكن ابن الأثير عن الزّحشرى قال : قيل وهو تصحيف ، قال : والصواب شفاء . جمع شفع لأنهم كانوا يجمعون إلى السلطان فيشفون في أصحاب إبراهيم فتهاجم عن ذلك لأن كل واحد منهم يشفع للاتّحكا تهاجم عن الاجتماع في قوله : إيأى وهذه الزّرافات» . ومن هذا يعلم ما يرى إليه المؤلف بالتصديق بالرواية الثانية من التنبيه على الوجه الصحيح .

وكلكم ذلك الرجل ! . كَأَنِّي وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّنتَبِهٌ ، وبكل رطبٍ يابساً ، ويُقِلُّ في ثيابٍ أَكْفَانُهُ إِلَى ثَلَاثِ أَذْرُعٍ طُولاً فِي ذِرَاعِ عَرَضِهَا ، وَأَكَلَتْ الْأَرْضُ لَحْمَهُ وَمَصَّتْ صَدِيدَهُ ، وَانصَرَفَ الْحَيِيبُ مِنْ وَلَدِهِ يَقْسِمُ الْخَبِيثَ مِنْ مَالِهِ ؛ إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَمَانٍ مَا أَقُولُ ، هُمْ تَزَلُ .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ ، وَقَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ ابْنِي هَذَا ، وَأَوْصِيَّتُهُ بِخِلَافِ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وسلم] فِي الْأَنْصَارِ ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَى أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَأَنْ يُجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَإِنِّي أَمَرْتُهُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْ عَسَنِكُمْ وَلَا يُجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ . أَلَا وَإِنَّكُمْ سَتَقُولُونَ بَعْدِي مَقَالَةً لَا يَنْتَعِمُ مِنْ إِظْهَارِهَا إِلَّا خُنَافَى ، سَتَقُولُونَ بَعْدِي : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصُّبْحَةَ ! أَلَا وَإِنِّي مُجَبِّلٌ ١٠ لَكُمْ الْجَوَابَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ الْخِلَافَةَ ، هُمْ تَزَلُ .

خطبة للحجاج أيضاً

خطب فقال في خطبته : سَوَّطِي سَيْفِي ، فَنَجَادُهُ فِي عُنِّي ، وَقَامُئُهُ فِي يَدِي ، وَذُبَابُهُ قِلَادَةٌ لِمَنْ اغْتَرَبَنِي ! فَقَالَ الْحَسَنُ : بُؤْسًا لِهَذَا ! مَا أَغْرَهُ بِاللَّهِ !
(٢)
وحلف رجل بالطلاق أن المجاج في النار ، ثم أتى امرأته فبغته نفسها ، فأتى ابن ١٥ سيرين يستفتيه ، فقال : يَا بَنِي أُمِّي ، إِمِضْ فَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ الْمَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّارِ لَمْ يَضُرَّكَ أَنْ تَرْتَبِي .

(١) نجاد السيف : حائله . وقامئته مقبضه . وذبابه : طرفه الذي يضرب به .

(٢) في الأصل : خلف رجل ...

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ^(١)

حدثني أبو سهل عن إصحاق بن سليمان عن شبيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص، قال :

- كان آخر خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا مدى ، وإن لكم معاداً .
يَزِيلُ اللهُ فِيهِ لِحُكْمِكُمْ فِيكُمْ وَالْفَصْلَ بَيْنَكُمْ ، غَابَ وَخَسِرَ مَنْ تَرَجَّحَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَحُرِّمَ جَنَّةُ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ . ألم تعلموا أنه لا يَأْمَنُ غَدًا إِلَّا مَنْ حَذَرَ الْيَوْمَ وَخَافَ ، وَبَاعَ نَفْسَهُ بَبَاقٍ ، وَقَلِيلًا بكَثِيرٍ ، وَخَوْفًا بِأَمَانٍ ! ألا ترون أنكم في أسلاب المالكين ، وستكون من بعدكم للباقيين كذلك ، حتى تُرَدَّ إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ ! ثم إنكم في كل يوم تُسَبِّحُونَ غَادِيًا وَرَاحِيًا إِلَى اللهِ قَدْ قَضَى تَحْبُّسَهُ ، حَتَّى تُقْبِيَهُ فِي صَدُجٍ مِنْ الْأَرْضِ فِي بطنِ صَدُجٍ غَيْرِ مُؤَمَّدٍ وَلَا مَمَّهَدٍ ، قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ وَبَاشَرَ الْتَرَابَ وَوَجَّهَ الْحَسَابَ ، فَهُوَ مَرَّتَيْنِ بِعَمَلِهِ ، غَنَى عَمَّا تَرَكَ فَقِيرٌ إِلَى مَا قَدَّمَ . فاتقوا الله قبل انقضاء مَوَاقِيْتِهِ وَتَزْوِيلِ الْمَوْتِ بِكُمْ ! أَمَا إِنِّي أَقُولُ هَذَا وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي ، فَاسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . ثم رفع طرفَ يَدَائِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَبَكَى وَابْكَى مِنْ حَوْلِهِ .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلاله ثم قال : كنتَ كذلك ما شئتَ أن تكونَ ، لا يسلم كيف أنتَ إلا أنتَ ، ثم أَرَأَيْتَ أَنْ تَخْلُقَ الْخَلْقَ ، فَمَاذَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عَجَابِ صُنْعِكَ ،

(١) وردت هذه الخطبة في البيان والبيان (ج ٢ ص ٦٠) والمقد القريد (ج ٢ ص ١٧٥)

٢٠. بزيادة عما هنا . (٢) في الأصل : «وباع نفسه بباقي...» بالقاف وهو تحريف . (٣) في الأصل : «وسيكون... حتى يرد...» .

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذنوك : من صُنِفَ أفواجه وأفراده وأزواجه ، كيف أدمجت قوائم الذَّوْرَةِ والبَعُوضَةِ إلى ما هو أعظمُ من ذلك من الأشباح التي امتزجت بالأرواح ! .

وخطب يوما فسقطت جرادةٌ على ثوبه فقال : سِبْطَانٌ مِنْ الجِرَادَةِ من خلقه ، أدخَّج قوائمها ، وطوَّقها جناحها ، ووتَّقى جلدها ، وسلَّطها على ما هو أعظمُ منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفظوا فروجكم ، وخذوا الأنفُسَ بضميرها ، فإنها أسوْكُ شَيْءٍ إِذَا أُعْطِيَتْ ، وأعصى شَيْءٍ إِذَا سُلِّت . وإني رأيت الصبر عن محارم الله أيسرَ من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دارُ غُرُورٍ ومُتَلٍّ باطلٍ ، تُضْحَكُ بِأَكْبَا وَتُبْكِي ضاحكا ، وتُخْيفُ آمنا وتُؤْمِنُ خائفا ، وتُفْقِرُ مُثْرِيا وتُثْرِي مُفْقِرًا ، مِبَالَةٌ غَرَّاءٌ لَمَابَةٌ بأهلها ! عباد الله ! اتَّخَذُوا كَلِمَ اللهِ إِمَامًا ، وَارْتَضَوْا بِهِ حَكْمًا ، وَأَجْلَوْهُ لَكُمْ قَائِدًا ، فَإِنَّهُ نَاصِحٌ لِمَا كَانَ قَبْلَهُ وَلَمْ يَنْسَخْهُ كَلِمٌ بَعْدَهُ . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يحلوا ١٥ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كما يحلوا ضَوْءُ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ، ظِلَامُ اللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ .

(١) أسوك : أنصف ، من ساك الرجل إذا مشى مشيا ضعيفا .

(٢) كلما في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفي الأصل : « ديار الليل ... » . وتنفس الصبح : تليج وأسفر . وعسس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا
حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك ، وما بي إطرأ نفسي ، وإني لأظلم لها إن
لم يرتحن الله ، ولكن خرجت غضباً لله ودينه ، داعياً إلى الله وإلى سنة نبيه ، لما
هذمت معالم الهدى ، وأطفئ نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العتيد ، المستحل لكل
حرمة ، والراكب لكل بدعة ، الكافر بيوم الحساب ، وإنه لأبى عنى في النسب
وكيفي في الحسب ؛ فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسأله ألا يكفني إلى
نفسى ، ودعوت إلى ذلك من أجاوب من أهل ولايتى ، حتى أراح الله منه العباد ،
وطهر منه البلاد ، بحوله وقوته لا بحولى وقوى .

- ١٠ أيها الناس ، إن لكم على ألا أضع حجراً على حجر ، ولا لينة على لينة ، ولا أكرى
نهرًا ، ولا أكرى مالا ، ولا أعطيه زوجاً ولا ولداً ، ولا أقتله من بلد إلى بلد حتى
أسد نقر ذلك البلد وخصاصة أهله ، فإن فضل فضل قلته إلى البلد الذى يليه .
ولا أجهركم في بؤنكم فافتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابى دونكم فيما كل قلوبكم
ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم وأقطع به تسلمهم .
١٥ ولكم على إحدار العطاء في كل سنة والرزق في كل شهر ، حتى يستوى بكم الحال فيكون
أفضلكم كأدناكم . فإن أنا وقيت لكم فعلكم السمع والطاعة وحسن المأزرة
والمكافأة ، وإن لم أف لكم [فلكم] أن تحلفوني ^(٤) إلا أن تستيتوني ^(٥) ، فإن أنا تبت

(١) كرى الثمر : سخره . (٢) مجمر الساكر : جبههم في بلاد المدثر أو الثبور . دون أن يرجعوا
إلى أطيم . وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : « ولا أجهركم في ثوركم » . (٣) المكافأة :
المعاونة . (٤) التكلفة معقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠)
وفى الأصل تستيتونى ، إن تبت ...

فلتم منى ، وإن عرقتم أحدا [يقوم مقامى ممن] يُعرف بالصلاح يُعطيكم من نفسه مثل الذى أعطيتكم فأردتم أن تُبايعوه ، فانا أول من بايعه ودخل فى طاعته .

أيها الناس ، إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

- فلما بُوع مروانُ نَبَشَه وصَلَّبه . وكانوا يقرعون فى الكتب : يامبئذ الكنوز
ويا سجاداً بالأنهار ، كانت ولايتك لهم رحمة وعليهم حجة ، أخذوك فصليلوك .

خطبة أبى حمزة الخاريجي^(١)

- خطب أبو حمزة الخاريجي بمكة فذكر رسول الله صلى الله عليه [وسلم] ، ثم أبابكر وعمر رضى الله عنهما بما هم أهلُه ، ثم قال : وولى عثمانُ فسارست ستين بسيرة صاحبة وكان دونهما ، ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط [به] الأوائل ، ثم مضى لسبيله .
وولى على فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع [له] متاراً ، ثم مضى لسبيله . ثم ولى معاوية لعين رسول الله وابن لعينه ، اتخذ عباد الله خوفاً ، ومال الله دولاً ، ودينه دخلاً ، ثم مضى لسبيله ، فآلعنوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية ، يزيد الخجور ، ويزيد القروود ، ويزيد الفهود ، الفاسق فى بطنه والمأبون فى فرجه . ثم أقتصم خليفة خليفة . فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرض عن ذكره . ثم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال :
يا كل الحرام ، ولبس الحلة بالف دينار ، قد ضربت فيها الأشرار ، وهتكت الأستار ، حباؤه عن يمينه وسلامه عن يساره تغنيانه ، حتى إذا أخذ الشراب فيه كل مأخذ قد توبه ثم التفت إلى أحدهما فقال : ألا أظير ! نعم ! طر إلى النار . ثم ذكر اصحابه

(١) الزيادة منقولة من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين

فقال : شبابٌ واقعٌ مكشولون في شبّاهم ، غَضِبْتُهٗ عَنِ الشَّرِّ اُحْبِثُّهُمْ ، قَبِيلَةٌ عَنِ
الباطلِ اُرجِلُهُمْ ، اَنْضَاءُ عِبَادَةٍ ، وَأَطْلَاحٌ مَهْرٌ ، يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مُنْجِنَةً
أَصْلَابُهُمْ عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ ، قَدْ أَكَلَتْ الْأَرْضُ رُكْبَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَجِبَاهَهُمْ ، وَاسْتَقَلُّوا
ذَلِكَ فِي جَنْبِ اللهِ ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا السَّهَامَ قَدْ فُوقَتْ ، وَالرَّمَاحَ قَدْ أَثْرَعَتْ ، وَالسِّيَوفَ
قَدْ اَنْضَبَتْ ، وَأُرْمِلَتْ الْكَتِيبَةُ بِصَوَاقِ الْمَوْتِ ، مَضَى الشَّابُّ مِنْهُمْ قُدُمًا ، حَتَّى
اِخْتَلَفَتْ وَجِلَاهُ عَلَى حُتَّى فَرْسِهِ ، وَتَخَضَّبَتْ حِمَاسُهُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ ، فَاسْرَعَتْ إِلَيْهِ سِبَاحُ
الْأَرْضِ وَانْحَلَّتْ إِلَيْهِ طَيْرُ الْمَاءِ ، فَكَمْ مِنْ عَيْنٍ فِي مِيقَاتِ طَائِرٍ طَالِبًا بَنَى صَاحِبُهَا
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ اللهِ ! وَكَمْ مِنْ كَفٍّ زَايَلَتْ مَعْصَمَهَا طَالِبًا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا
صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِالسُّجُودِ ! ثُمَّ قَالَ : أَتَوْهُ وَبَكَى ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة لقطري الخارجي^(٤)

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَاقِزَ ، فَقَالَ : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ
رُكْبَانًا ، وَأُتْرِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجُعِلُوا لِمَنْ مِنَ الضَّرِيعِ أَجْنَانًا ، وَمِنَ الْقَرَابِ
أَكْفَانًا ، وَمِنَ الرِّقَاقِ جِيرَانًا ؛ فَهَمَّ بَجِرَةٌ لَا يُحْيِيُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَمِيمًا ، إِنْ

- (١) أنضاء : جمع فضو ، وهو الخفيف اللحم من الثوب . وأطلاح : جمع طلع (بكسر الطاء) وهو
الجزء . (٢) في الأصل « طاردا » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والمقد القردي
(ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) أَوْه : كلمة صنهاها النحوي . وفيها لغات وهي : آوَه (بالمد وسكون الهاء)
وَأَوْه بضم الهاء وآووه (بالمد وواوَيْن) وآوَه (بكسر الهاء) خفيفة وآوَه (يفتح الهاء وسكون الواو فيا)
وَأَه (بالمد وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة آوَه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة في البيان والتبيين
(ج ٢ ص ٦٣) والمقد القردي (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) في البيان والتبيين والمقد القردي
(ج ٢ ص ٦٣) « وجعل لهم ... أجنان » ولعل روايتها أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنن ، والجنن
(بالضمة) : القبر .

أَحْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا، أَوْ أَهْطُوا لَمْ يَقْنَطُوا؛ جَمِيعُ أَوْحَادٍ، وَجِبَةِ أَيْدَادٍ، لَا يُزَوِّونَ وَلَا يُزَارُونَ . فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمُ اللَّهُ، وَأَنْتَفِعُوا بِمَا عَظَمَ بِمَا عَصِمُوا بِجِبَلِهِ .

وفي خطبة ليوسف بن عمر :

إِهْوَا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ! فَكُم مِّنْ مُّؤْمِلٍ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ، وَجَامِعٍ مَّالًا لَا يَأْكُلُهُ، وَمَانِعٍ مَّاسُوفٍ يَتَرَكُهُ، وَلَعَلَّهِ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا وَوَرَّثَهُ عَدُوًّا، ٥
إِحْتَمَلَ إِصْرَهُ وَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ أَسْفًا لَّاهِقًا، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

وفي خطبة للحجاج :

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : سَمِعْتُهُ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ : إِسْرَأْ زُورَ عَمَلِهِ إِسْرَأْ حَاسِبَ نَفْسِهِ، ١٠
إِسْرَأْ فَكُرْ نِيْمًا يَفْرُقُهُ فِي صَحِيفَتِهِ وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ ، إِسْرَأْ كَانَ عِنْدَ هَوَاهُ زَاجِرًا، وَعِنْدَ هَمِّهِ إِسْرَأْ، أَخَذَ بَعْنَانُ قَلْبَهُ كَمَا يَأْخُذُ بِخِطَامِ جَمَلِهِ ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّهُ .

خطبة المنصور

خَطَبَ الْمَنْصُورُ بِمَكَّةَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، أَسْوَكَمْ بِتَوْفِيقِهِ وَتَسْلِيدِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَبْصِيرِهِ، وَخَازَنُهُ عَلَى فَيْئِهِ أَعْمَلُ فِيهِ بِمَشِيئَتِهِ، ١٥
وَأَقْسَمُهُ بِإِرَادَتِهِ، وَأَعْطِيهِ بِإِذْنِهِ، قَدْ جَعَلَنِي عَلَيْهِ قُفْلًا إِنْ شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي لِإِعْطَاكَمْ وَقَسَمَ أَرْزَاقَكُمْ فَتَحْنِي، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقْفِلَنِي عَلَيْهَا أَقْفِلْنِي . فَأَرْغَبُوا إِلَى اللَّهِ وَأَسْأَلُوهُ

(١) الإصر : القتل . (٢) في المقد «أمرؤ...» يالغ . وزور عمله : حسه .

(٣) كذا في المقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفي الأصل «عند ظله...» . (٤) كذا في المقد الفريد

وفي الأصل : « بئان عمله... » . (٥) كذا في المقد الفريد، وفي الأصل : « بشيته... » . ٢٠

في هذا اليوم الشرف الذي وَهَبَ لَكُمْ فيه من فَضله ما أعلمكم في كتابه، إذ يقول :
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَآمَمْتُ عَلَيْكُمْ نَفْسِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أَنْ يُوَفَّقِي
لِلصَّوَابِ وَالرِّشَادِ، وَيُلْهِمَنِي الرَّأْفَةَ بِكُمْ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ، وَيَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسَمَ
أَرْزَاقَكُمْ بِالْمَدْلِ عَلَيْكُمْ .

خطبة لداود بن علي

خطب فقال : أحرز لسانُ رأسه، أَمَظَ أمرؤُ بغيره، اعتبرَ عاقلٌ قبل أن يُعْتَبَرَ
به، فأسكَّ الفضلُ من قوله وقدم الفضلُ من عمله . ثم أخذ بقائه سيفه فقال :
إن بكم داءٌ هذا دواءُهُ، وأنا زعيمٌ لكم بشفائه، وما بعد الوعيدِ إلَّا الإيقاع .

خطبة لداود بن علي أيضا

١٠ لما قام أبو العباس في أوَّلِ خلافة على المنبر قام بوجه كورقة المصحف فاستَحْيَا
فلم يَنْكَلَمْ، فَهَضَّ داودُ بن علي حَتَّى صَعِدَ المنبر، فقال المنصور : قُلتُ في شيعتنا
وكبرنا ويدعو إلى نفسه فلا يَخْتَلِفُ عليه أَشْئَانُ، فَأَنْتَضَيْتُ سيفي وَغَطَّيْتُ ثوبي
وقُلتُ : إن قُلَّ نَاجِزُهُ؛ فلما رَفَى عَنَّا اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بوجهه دون أبي العباس، ثم
قال : أيها الناس، إن أمير المؤمنين يَكْرَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ قَوْلُهُ فَعَلَهُ، وَلَأَثَرُ الْفِعَالِ عَلَيْكُمْ
أَجَدَى مِنْ تَشْقِيقِ الْمَقَالِ، وَحَسْبُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ مُمْتَلًا فِيكُمْ، وَأَبْنِ عَمَ رَسُولِ اللَّهِ
١٥ خَلِيفَةً عَلَيْكُمْ . والله قَسَمًا بَرًّا لَا أُرِيدُ إِلَّا اللَّهَ بِهِ مَا فام هذا المقام أحدُ بعد رسول
الله أحقُّ به من علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا، فَلْيُظَنَّ ظَنَّاكُمْ وَلْيَهْمَسْ
هَامِسُكُمْ . قال أبو جعفر : ثم نَزَلَ وَشَمَّتْ سِنِي .

(١) تشقيق الكلام : إتراجه أحسن مخرج . (٢) شام سيفه : أحمده، ويستعمل بمنى

خطبة لأعرابي^(١)

أما بعد، فإن الدنيا دار بلاء، والآخرة دار بقاء، فخذوا أيها الناس لمقرم من بمرم، ولا تتهكوا أمتاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، هي الدنيا أجيبم ولنبرها خُلقتم. أقول قولي هذا، والمستغفر الله، والمندعو له الخليفة ثم الأمير جعفر بن سليمان .

خطبة المأمون يوم الجمعة

- الحمد لله مستخلص الحيد لنفسه، ومستوجب على خلقه، أحمدته وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتجنز لوعده، والخوف لوعده، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه، وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله ١٠ وبادروا آجالكم بأعمالكم، وأبتاعوا ما بقى بما يزول عنكم، وزحلوا فقد جد بكم، واستعدوا للموت فقد أظلمكم، وكونوا قوماً صريح بهم فأنبها، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أرب يتزل به . وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة ١٥ الواحدة بلديرة بقصر المدة^(٢)، وإن غائباً يحذوه الجديان الليل والنهار خرى بسرعة الأوبة، وإن نادماً يحل بالفوز أو بالشقوة مستحق لأفضل العدة، فاتق عذر ربك، وتصح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به : يزين له المعصية ليركبها، ويمنبه التوبة ليسونها، حتى تهجم

(١) وردت هذه الخطبة في الأمالي لأبي عليّ القائل (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية)

: إداة عما في الأصل هنا - (٢) كذا في البغد القريد (ج ٢ ص ١٨٠) وفي الأصل : «جديرة» . ٢٠

عليه منيته أغفل ما يكون عنها . فإلها حسرة على ذى غفلة : أن يكون عمره عليه
 حجة ، أو تؤدبه أيامه إلى شقوة ! نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا يُبطره نعمة ،
 ولا تقصر به عن طاعته غفلة ، ولا تجل به بعد الموت فزعة ^(١) ؛ إنه سميع الدعاء ، ويبدء
 الخير ، وأنه فعال لما يريد .

وفي خطبة المأمون يوم الأضحي بعد التكير الأول :

إن يومكم هذا يوم إبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرمة ، ووفق
 له من خلقه صفوته ، وأبتل فيه خليفه ، وفدى فيه من الذنوب نبيه ، وجعله خاتم
 الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدم الأيام المعدودات من التقر ، يوم حرام من أيام
 عظام في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى شهادته ، ونزل القرآن
 بتعليمه ، قال الله جل وعز : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ الْآيَاتِ) فتقربوا إلى الله
 في هذا اليوم بذابحكم ، وعظموا شعائر الله وأجعلوها من طيب أموالكم وبصحة
 التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ
 التَّقْوَى مِنْكُمْ) ثم التكير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد
 ذكر الجنة والنار : عظم قدر الدارين وأرتفع جزاء العاملين وطالت مدة الفريقين
 ١٠
 ١٥
 الله الله ! فإلهه إنه الجدد لا أَلَّيبُ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت
 والبعث والميزان والحساب والتقصاص والصراط ثم العقاب والثواب ، لمن نجا
 يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب . الخير كله في الجنة ، والشرك كله
 في النار .

(١) كذا بالعقد الفريد ، وفي الأصل « مرة » .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالصلين عمل الخير وعمل الشر . وفي الأصل :
 « العالمين » .

وفي خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول :

- إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ وَسُنَّةٌ وَأَتَهَالُ وَرَغْبَةٌ ، يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ
رمضان وافتتح به حجَّ بيته الحرام ، فجعله خاتمة الشهر وأوَّلَ أيام شهر الحج ، وجعله
مُعَقِّبًا لمفروض صيامكم ومُنْقِلًا قيامكم ، أحلَّ فيه الطعامَ لكم وحَرَّمَ فيه الصيامَ عليكم ؛
فأطلبوا إلى الله حوائجكم واستغفروه لتغفرَ بطلعتكم ، فإنه يُقال : لا كبيرَ مع استغفار ، ولا
صغيرَ مع إصرار . ثم التكبير والتحميد وذكر النبي عليه السلام والوصية بالتقوى .
ثم قال : فأتقوا الله عباد الله وبادروا الأمر الذي احتدلَّ فيه بقيتكم ، ولم يحتضر الشكُّ^(١)
فيه أحدًا منكم ، وهو الموت المكتوبُ عليكم ، فإنه لا تُستقالُ بعده عثرةٌ ، ولا تُنظرُ
قبله توبة . وأعلموا أنه لا شيءَ قبله إلا دونه ولا شيءَ بعده إلا فوقه . ولا يُعين على
جزئه وعظه وكرمه ، ولا يُعين على القبر وظلمته وضيقه ووحشته وهول مَطْلَعِهِ ومسألة^(٢)
ملائكته ، إلا العملُ الصالح الذي أمر الله به . فمن زَلَّتْ عند الموت قدمه ، فقد
ظهرت ندامته ، وفانته استغاثته ، ودعا من الرجعة إلى ما لا يجابُ إليه ، وبُكِّلَ من
الفدية ما لا يُقبلُ منه . فآلله عباد الله ! وكونوا قوماً سألوا الرجعة فأعطوها
إذ مِنِمَّهَا الذين طلبوها ؛ فإنه ليس يتجئ المتقدمون قبلكم إلا هذا المهل المبسوط لكم^(٣) .
وأحدروا ما حذركم الله ، وآتقوا اليوم الذي يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم ، ونشر
صُحُفكم الحافظة لأعمالكم . فلينظرُ عيِّدٌ ما يَضَعُ في ميزانه مما يثقل به ، وما يُبَلِّغُ^(٤) إلى صحيفته
الحافظة لما عليه وله ؛ فقد حَكَّى الله لكم ما قال المفرطون عندها إذ طال إعراضهم
عنها ، قال : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ فِيهِ ﴾ الآية . وقال :
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . ولست أنهاكم عن الدنيا بأعظم مما نهكم

(١) احتضر : مثل حضر . (٢) اللزب بالتحريك : ما يصيب المريض عند حشرته الموت .
من رعدة واضطراب . (٣) في اللقد القريد : «الأجل» . (٤) يُبَلِّغُ : يُبَلِّغُ .

الدنيا عن نفسها ، فإنه كل ما لها ينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها . وأعظم مما رأته أعينكم من عجائب ذم كتاب الله لها ونهى الله عنها ، فإنه يقول : (فَلَا تَتَزَكُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَحَنَّ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وقال : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) . فأتفقوا بمعرفتهم بها وبإخبار الله عنها ، وأعلموا أنت قوما من عباد الله أدركتهم عصمة الله فخذروا مصارعها ، وجانبوا خدائهم ، وآثروا طاعة الله فيها ، فادركوا الجنة بما تركوا منها .

كلام من أرتج عليه

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا عيسى بن عمر قال : خطب أمير مرسية فأتقطع فجعل ، فبعث إلى قوم من القبائل طابوا ذلك ولفهم^(١) وفيهم ربوبى جلد ، فقال : اخطبوا ، فقام واحد فتر في الخطبة ، حتى إذا بلغ "أما بعد" قال : أما بعد أما بعد ، ولم يدبر ما يقول ، ثم قال : فات امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أريد أن أجمع اليوم فمنعنى . وخطب آخر ، فلما بلغ "أما بعد" بقى ونظر فإذا إنسان ينظر إليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه وتلمحنى ببصرك أيضاً ! . قال وقال أحدهم^(٢) : رأيت القراقير من السفن تجرى بيني وبين الناس . قال : وصعد البربوعى فخطب فقال : أما بعد فوالله ما أدري ما أقول ولا فيم أقتمونى ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ؛ فقال : الزيت مبارك ، فكلوا منه وآمنوا . قال : فهو قول الشطار اليوم إذا قيل : لم فعلت ذا ، فقل في شأن الزيت وفى حال الزيت .

ولما أتى يزيد بن أبي سفيان الشام وإلياً لأبى بكر رضى الله عنه ، خطب فأرتج عليه ، فنادى إلى الحمد لله فأرتج عليه ، فنادى إلى الحمد لله ثم أرتج عليه ، فقال : يا أهل

٢٠ (١) قهم : جمعهم . (٢) في الأصل : «أحدهما» . (٣) القراقير : السفن الطويلة ، وأحدها قرقور . (٤) الشطار : جمع شاطر ، وعمن أميا آله نبيا ، والمراد بالشطارها : أهل الدعارة والفنك وأصحاب النوادر والتكتيك والمضحكات .

الشَّامُ عسى الله أن يجعل من بعد عُثْرَيْسَرا، ومن بعد عِيَّ بيانا، وأتم إلى إمام عادل أحوجُّ منكم إلى إمام قائل . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعيد ثابتٌ قُطْنَةُ مَنبَرًا بِسِجِسْتَانَ فحَمِدَ الله ثم أَرَبَجَ عليه، فنزل وهو يقول :
فَالَا أَكُنُّ فِيكُمْ خَطِيْبًا فَأَتَى * بِسَيْفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ نَخْطِيبُ

فَقِيلَ لَهُ : لَوْ قَفَّتْهُ عَلَى الْمَنْبَرِ كُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسَ .

وَأَرَبَجَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ بِالْبَصْرَةِ يَوْمَ أَحْمَشَى ، فَكَتَبَتْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ لَا أَجْمَعُ عَلَيْكُمْ عِيًّا وَلَوْ مَاءً ، مِنْ أَخَذَ شَاةً مِنَ السُّوقِ فَهِيَ لَهُ وَتَمْنَاهَا عَلَى .

وَأَرَبَجَ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَمْنَى أَحْيَانًا وَيُزْبُ أَحْيَانًا ، وَرَبَّمَا طَلِبَ قَائِي ، وَكُوِّرَ فَعَسَا ، فَالْتَأَى لِحْيَةٍ ، أَيْسُرُ مِنَ التَّمَاعِطِ لِأَبِيهِ ، وَقَدْ يَحْتَطِطُ مِنَ الْجُرَى جَنَانُهُ ، وَيَنْقَطِعُ مِنَ الدَّرْبِ لِسَانُهُ ، فَلَا يُبْطِرُهُ ذَلِكَ وَلَا يَكْسِرُهُ ،
وَسَأَعُودُ إِنْ شَاءَ اللهُ .

وَأَرَبَجَ عَلَى مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ فَضْرِبَ الْمَنْبَرِ بِرِجْلِهِ ثُمَّ قَالَ : «فَتَنَى حُرُوبٍ لَا تَقَى مَنَابِرَ» .

وَكَانَ عَبْدُ رَبِّهِ الْيَشْكُرِيُّ عَامِلًا لِمَيْسِرِ بْنِ مُوسَى عَلَى الْمَدَائِنِ ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمِدَ اللهُ وَأَرَبَجَ عَلَيْهِ فَسَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ إِنْ لَأَ كُنْ فِي بَيْتِي فَتَجِيءُ عَلَى لِسَانِي أَلْفُ كَلِمَةٍ ، فَإِذَا قُبْتُ عَلَى أَعْوَادِكُمْ هَذِهِ جَاءَ الشَّيْطَانُ فَمَحَا مِنْ صَدْرِي ، وَلَقَدْ كُنْتُ وَمَا فِي الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَصِرْتُ وَمَا فِي الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِخَطْبَتِكُمْ هَذِهِ .

(١) في المصادر التي بين أيدينا : «إلى أمير قائل ...» . (٢) قُطْنَةُ لَقَبٌ ثَابِتٌ هَذَا لَقَبٌ بِهِ

لَأَنَّ عَنْهُ أَسْمِيَتْ بِسَمَرْتَنْدَ ، فَكَانَ يَحْشَوْهَا بِالْقَطَنِ . وَصَحَّتْ إِحَادَةٌ ثَابِتٌ إِلَى قُطْنَةَ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ تَصَحُّ إِحَادَتُهَا إِلَى أَقْلَاقِهَا . (٣) عَسَا : أَشَدَّ وَصَعَبَ .

صَمِدَ رَوْحُ بْنُ حَاتِمِ الْمُنْبَرِ، فَلَمَّا رَأَى جَمَعَ النَّاسِ حَصِرَ، فَقَالَ : نَكْسُوا رءُوسَكُمْ
وَعُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَرْكَبٍ صَعَبٌ، وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قُلُوبَ تَيْسَرَ .

وَدُعِيَ رَجُلٌ لِيَخْطُبَ فِي نِكَاحٍ لِحَصِرَ، فَقَالَ : لَقِّنُوا مَوَاتِكُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ حَضَرَتْ : أَلْهَذَا دَعَاكَ ! أَمَا تَلِكِ اللَّهَ ! .

٥. قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : نِعِمَّ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ وَالتَّشْرِيفُ لَخُطِبَ
قَبْلَ لَعِيدِ الْمَلِكِ : عَجَّلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ، فَقَالَ : كَيْفَ لَا يُعَجِّلُ عَلَيَّ وَأَنَا أُعْرِضُ
عَقْلَ عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .

وَوَلَّى رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يُعْرَفُ بِالْأَنْدَانِ بَحْرَ الْإِمَامَةِ . فَلَمَّا صَعِدَ الْمُنْبَرَ أَرْجَحَ عَلَيْهِ،
فَقَالَ : حَيَّاَ اللَّهُ هَذِهِ الْوُجُوهُ وَجَعَلَنِي فِدَاءَهَا، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ طَائِفِي بِاللَّيْلِ أَلَّا يَرَى
أَحَدًا إِلَّا أَتَانِي بِهِ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ . ثُمَّ نَزَلَ .

المنابر

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) إِنَّهُ الْمُنْبَرُ . وَقَالَ :
الشَّاعِرُ :

لَنَا الْمَسَاجِدُ نَبْنِئُهَا وَنَعْمُرُهَا * وَفِي الْمَنَابِرِ قَعْدَاتٌ لَنَا دُلُلُ

فَلَا تَقِيلُ عَلَيْهَا حِينَ تَرْكِبُهَا * وَلَا تَلْقَى لَنَا مِنْ مَعْتَبِرٍ بَدَلُ

وَقَالَ الْكُتَيْبُ يَذْكُرُ بَنِي أُمَيَّةَ :

مُصِيبٌ عَلَى الْأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ * لَيْسَ قَالَ فِيهَا، مُحْطَى حِينَ يَنْزِلُ

يُسَبِّحُهَا الْأَشْشَبَاءُ وَهِيَ نَصِيْبُهُ * لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا حَرَامٌ وَمَا كُلُّ

(١) - كَذَا فِي الْأَمَلِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ ، وَقَوَاعِدُ اللَّفْظِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ : « وَلَوْ كُنْتُ أَمَا إِيَّاهُ » .

(٢) - الْمُنْبَرُ لِلدُّنْيَا .

وقال بعض المُحدِّثين:

فأَمِينٌ دَنَسَتْهُ بَاسِيتٌ «أفكَلُ» * يَا لَكَ وَلَوْ طَهَّرْتَهُ بِأَنْ «طَاهِرٌ»
ومرَّ الأَنْبُشِرُ بِمَطَرٍ بَنِ تَاجِيَةِ اليربوعي حين غَلَبَ عَلَى الكُوفَةِ فِي أَيَّامِ الضَّحَاكِ
ابن قيس الشَّارِي وَمَطَرٌ يُخْطِبُ، فَقَالَ :

- أَجَى تَمِيمٌ بِمَا مَنَسِيرٌ مُلْكُكُمْ ٥ لَا يَسْتَعِزُّ قَعُودُهُ بِتَمَرٍ
إِنَّ الْمَنَابِرَ أَنْكَرْتُ أَشْبَاهَكُمْ ٥ قَالُوا خُزَيْمَةُ يَسْتَعِزُّ الْمَنَابِرُ
خَلُّوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَايَعُوا ٥ مَطَرًا لَعَمْرُكَ بَيْعَةٌ لَا تَظْهَرُ
وَأَسْتَخْلَفُوا مَطَرًا فَكَانَ كَقَالِيلٍ ٥ بَدَّلْ لَعَمْرُكَ مِنْ أُمِّةٍ أَعُورُ
خَطَبَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مَنِيرٍ حُرَّاسَانَ فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِهِ ٥ فَتَنَافَلُوا لَهُ
عَدُوهُ بِالْمَشْرِ وَأَغْتَمَّ صَدِيقُهُ، فَعَرَفَ ذَلِكَ قُتَيْبَةُ فَقَالَ : لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَّ الْعَدُوُّ
وَخَافَ الصَّدِيقُ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

- فَالْقَتُّ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى * كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ
وَقَالَ وَائِلَةُ بْنُ خَلِيفَةَ السُّدُوسِي يَهْجُو عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ :
لَقَدْ صَبَرْتُ لِلذَّلِّ أَعْوَادَ مَنِيرٍ * تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
بِكِي الْمَنَابِرُ الْعَرَبِي إِذْ قُلْتُ فَوْقَهُ ٥ وَكَادَتْ مَسَامِيرُ الْحَدِيدِ تَذُوبُ
١٥

ثم كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لأبن قتيبة رحمه الله،
ويتلوه في الكتاب السادس كتاب الزهد .

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

(١) يرمز : بجر ك .

(٢) في الشعر والشعراء قول (ص ٣٥٣) «أنكرت أشباهكم» .

صورة ما كتبه الناصح بخطه في آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

قال بعضهم : بُني الإسلام على خمسة : التواضع عند الدولة، والعفو عند
القدرة، والسخاء مع القلة، والعطية من غير منة، والنصيحة للعامة .

وقال بعض الشعراء في الصبر :

وَإِذَا أَبْتَلَيْتَ بِمِحْنَةٍ فَلَبَسْ لَهَا * ثَوْبَ السَّكْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْلَمُ
لَا تَسْكُوتَ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا * تَسْكُو الرَّحِمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

وَرَوَى الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

نَعِيبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا * وَمَا لَزِمَاتُنَا عَيْبٌ سِوَانَا
وَقَدْ نَهَجُوا الزَّمَانَ بِغَيْرِ جُرْمٍ * وَلَوْ طَلَقَ الزَّمَانُ بَنَاهَانَا
فَدُنْيَانَا لَتَصَنَّعَ وَالتَّرَائِي * وَنَحْنُ بِهِ نُمَادِعُ مِنْ يَرَانَا
وَلَيْسَ الذَّنْبُ يَأْكُلُ لَمْ ذَنْبٍ * وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عِيَانَا

١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب النهد

[ما] أوحى الله جلّ وعزّ إلى أنبيائه عليهم السلام

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا خلف بن تميم عن أبي عصمة الشامي عن ابن
أخت وهب بن منبه عن وهب قال : أوحى الله إلى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل
يقال له "أرميا" حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قم بين ظهرائي قومك فأخبرهم
أنّ لهم قلوبا ولا يفقهون ، وأعيننا ولا يبصرون ، وآذاننا ولا يسمعون ، وأني تذكّرتُ
صلاح آبائهم ، فعطفتني ذلك على أبنائهم ، سلّمهم كيف وجدوا غبّ طاعتي ، وهل
سعد أحدٌ ممن عصاني بمعصيتي ، وهل شقي أحدٌ ممن أطاعني بطاعتي ! إن الدوابّ
تذكرُ أوطانها فتزيرُ إليها ، وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمتُ عليه
آباءهم ، وآتمسوا الكرامة من غير وجهها . أما أخبارهم فأنكروا حقّي ؛ وأما فزائهم

- (١) لم نمر على هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا . وإنما الموجود بها عصمة بن راشد
الأطوك (بضم الهزة واللام وسكون الميم بينهما) شامي مجهول يرى عن بعض التابعين تكذيب ابن عبيد ،
و يوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجامع أحد رواة المغازي وعن يذكري وضع الحديث ، ولكنه
مروزي وليس بشامي (انظر تهذيب التهذيب لأبن حجر السفلاقي في أسم عصمة واسم نوح بن أبي مريم) .

فنبذوا غيري؛ وأما نساكهم فلم ينفقوا بما علّموا من حِكْمِي؛ وأما ولّاهم فكذبوا
 على وكذبوا رسلِي، خزنوا المكر في قلوبهم، وعوّدوا الكذب ألسنتهم؛ وإني
 أقسم بحلالِي وعزّي لأهيجنّ عليهم جنودا لا يفقهون ألسنتهم، ولا يعرفون
 وجوههم، ولا يرحمون بكاهم؛ ولأبتعنّ فيهم مليكا جبارا قاسيا، له عساكر
 كقطع السحاب، ومواكب كأمثال العجاج، كأنّ خفّان راياته طيّران النور،
 وكأنّ حمل فرسانه كُرّ العقبان، يمدّون العُمران خرابا، ويتركون القرى وحشة.
 فيأويل إيلياء وسكّانها^(١) كيف أدلّهم للقتل، وأسلطّ عليهم السّباء، وأعيد بعد لجّيب
 الأعراس صُراخ الهام، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب، وبعد شرفات القصور
 مساكن السباع، وبعد ضوء الشّرج رَجَج العجاج. ولأبدلنّ رجالهم بتلاوة الكتاب
 انتهار الأرباب، وبالعرز اللّذلّ، وبالنعمة العبوديّة. ولأبدلنّ نساءهم بالطّيب
 التراب، وبالمشي على الزرابي إنجّيب^(٢)؛ ولأجعلنّ أجسادهم زبلا للأرض،
 وعظامهم ضاحية للشمس. وفي رواية أخرى: ولأدوسنّهم بألوان العذاب،
 حتى لو كانت الكائنات خائما في يميني لوصلت الحرب إليهم؛ ثم لامرت السماء
 فتكوننّ طبقا من حديد، والأرض فتكوننّ سبيكة من نحاس، فإن أمطرت
 السماء وأنبت الأرض شيئا في خلال ذلك فبرحتي للبهائم، ثم أحيسه في زمن الزرع
 وأرسله في زمن الحصاد، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة، فإن
 خلّص منه شيء نزعته منه البركة، فإن دعوتني لم أجبه، وإن سألوكم أعطهم،
 وإن بكّوا لم أرحمهم، وإن تضرّعوا صرفت وجهي عنهم.

(٢) الزرابي: البسط. والخلب (وزان حنب):

(١) إيلياء: مدينة بيت المقدس.

الخلق من اليباب.

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب: أن الله عز وجل أوحى إلى موسى بن منسى بن يوسف أن قل لقومك: إني أرى من يحمر أو يسحر له، أو تكهن أو تكهن له، أو تطير أو تطير له، من آمن بي صادقاً فليتوكل علي صادقاً، فكفى بي مثيباً؛ ومن عدل عني ووثق بغيري فإني خير شريك أردت عليه ما توسل به إلي، وأكله إلى من توكل عليه؛ ومن وكلته إلى غيري فليستعد للفتنة والبلاء.

وحدثني بهذا الإسناد قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام في الزبور: يا عبدي الشكور! إني قد وهبت لك الزبور، وأتبعته بنصح مني من أمين السطور، ومن الوحي المحفوظ المحجوب من وراء الستور، فأعبدني به في الأيام والليالي والشهور؛ وأحييني من كل قلبك، وجيئي إلى خلقي، وأيض من عبادي كل منافي جهول. قال: يارب، كيف أحبيك إلى خليك؟ قال: تذكركم آلائي.

وهذا الإسناد قال: أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة، وكانت صحفها أمثالا وصبرا وتسبيحا وتمجيذا وتهليلاً، فكان فيها: أيها الملك المسلط المفلور المبطل، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولتبنى المدائن والحصون، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر.

وهذا الإسناد أن الله تعالى قال لشعيا: قم في قومك أوج على لسانك، فلما قام شعيا أنطق الله لسانه بالوحي، فقال: يا سماء أستمعي، يا أرض أنصتي، فأنصت الأرض وأستمعت السماء، فقال: إن الله يقول لكم: إني استقبلت بني إسرائيل

(١) في الأصل: «ميشا» وهو تحريف والتصويب عن التوراة (سفر التكوين ٥١: ٤١)

طبع بيروت. (٢) كذا في قصص الأنبياء لأنبياء الصلي طبع المطبعة البية سنة ١٣٠١ هـ

وفي الأصول «عدل بي» (٣) كذا في الأصول، وفي قصص الأنبياء «فأنا أغنى الشركاء»

عن الشركاء، أكله إلى من وثق به حفي. ومن وكلته ... الخ.

- بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعي لها، فأوتيت شادتها، وجمعت ضالّتها، وجبرت كسبرها، وداوت مريضها، وأمنت مهزولها، فبطرت فتناطحن، فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يُعبر إليه آخر كسبر. إن الحمار مما يتذكر آريه الذي شيع عليه فراجع، وإن الثور مما يتذكر مرجه الذي سمن فيه فينابه، وإن البعير مما يتذكر وطنه الذي يُسبح فيه فيترع إليه، وإن هؤلاء القوم لا يذكرن أني جاءهم الخير وهم أهل الأكياب وأهل العقول، ليسوا بإبل ولا بقير ولا حمير. وإن ضارب لهم مثلا فاسمعوه: قل لهم: كيف ترون في أرض كانت زمانا من زمانها خربة مواتا لا تحث فيها، وكان لها رب قوي حليم، فأقبل عليها بالغيرة وكره أن تحرب أرضه وهو قوي وأن يقال له ضيع وهو عليم، فأحاط عليها سياجا وشيد فيها قصرا وأنبط فيها نورا وصنف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعشاب والأوان الثمار، وولى ذلك ذارأي وهمة حفيظا قويا أمانة فلما جاء إبان إثمارها أثمرت ثروبا، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه؟ قالوا: كنا نقول: بثت الأرض أرضك، ونشير عليه أن يقلع سياجها، ويهدم قصرها، ويدفن نهرها، ويحرق غرسها حتى تعود خربة مواتا لا عمران فيها؛ قال الله تعالى: قل لهم، إن السياج دمي، وإن القصر شريعتي، وإن النهر كتابي، وإن القيم نبيي، وإن الغرس مثلهم، وإن الزوب أعمالهم الخبيثة؛ وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم، يتقربون إلى ذبيح الغنم والبقر وليس ينالني اللحم ولا أكله، ويدعون أن يتقربوا إلى بالقوى والكف عن ذبيح الأضس التي حرمتها ويُسبدون إلى البيوت ويترقون إلى المساجد، وأنى حاجة بي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها، وإلى تزويق المساجد ولست أدخلها؛ إنا أثمرت برفها لأذكر فيها وأُصبح، ويُجسسون أنفسهم وعقولهم

- وقلوبهم ويخربونها، يقولون: لو كان يقدرُ على أن يجمعَ ألفتنا لجمعها، ولو كان يقدر على أن يُفقهَ قلوبنا لفقهها^(١). فأعتمدُ إلى عودين يابسين فأكتبُ فيهما كتاباً ثم أشتتُ ناديمَ أجمعَ ما يكونون، فقل للمودين: إن الله يامرُك أن تصودا عوداً واحداً؛ فقال لما ذلك، فأختلطاً فصاراً عوداً واحداً، وصار الكتابُ في طرفَي العودِ كتاباً واحداً: يامعشر القبائل، إن الله يقول لكم: إني قدرتُ على أن أفتقَ العبدانَ اليابسةَ وعلى أن أؤلّفَ بينهما؛ فكيف لا أقدرُ على أن أجمعَ ألفتكم إن شئتُ! أم كيف لا أقدرُ على أن أؤلّفَ قلوبكم! يقولون: صمنا فلم يُرفعْ صيامنا وصلينا فلم تُتَوَرَّ صَلَاتُنَا^(٢) وزَكَّينا فلم تَزَكَّ زَكَاتُنَا، ودَعَوْنَا بمثلِ حنينِ الحمامِ، وبكينا بمثلِ عواءِ الذئابِ، في كلِّ ذلك لا يُسمعُ منا ولا يُستجابُ لنا؛ قال الله تبارك وتعالى: سلهم لم ذلك وما الذي منعى أن أجيبهم؟ أَلَسْتُ أَسْمَعُ السامعينَ وَأَبْصِرُ النَّاظرينَ وَأَقْرِبُ الْخَبِيرينَ ۝ وأرحمُ الراحمينَ! أَلَا إِنَّ خِزَائِي قَبِيتُ! كيف ويدأى مبسوطتان بالخيرِ أَتُفِقُ كيف أشاء! أم لأن ذاتَ يدي قَلَّتْ! كيف ومفاتيحُ الخيرِ بيدي لا يفتحها ولا يُغلِقها غيري! أم لأن رحمتي ضاقت! كيف ورحمتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وإنما يترامُ بفضلها المتراحمون! أم لأن البخلَ يستريني! كيف وأنا التُّفَّاحُ بالخيراتِ أَجُودُ من أعطى وأكرمُ من سئل! ولكن كيف أرفعُ صيامهم وهم يُلْبِسُونَهُ بقول الزورِ ويتَقَوَّنون عليه بطُعْمَةِ الحرامِ! كيف أُوَرِّ صَلَاتَهُمْ وقلوبهم صاغيةٌ إلى من يُجادِفُ ويتكلمُ محارمي! أم كيف أستجيبُ دعاءهم وإنما هو قولٌ بالسُّتْمِ والعملُ من ذلك بعيد! أم كيف تزكو صدقاتُهم وهي من أموالِ غيرهم! إنما أَجْزَى عليها المخصوصين ۝ وإت من علامة رضائِ رضا المساكين ۝

(١) كذا في قصص الأنبياء. وفي الأصل «قلوبهم» وهو تحريف. (٢) في قصص الأنبياء.

قال وهب : وفيما نأبى الله به موسى عليه السلام : لا تُعجبك زينة ولا ما مُتَّع به ، ولا تُمدَّ إلى ذلك أعينك فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين . ولو شئت أن أزيّنك بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أن قدرته تعجز عما أوتيتها فعلت ، ولكنى أرغب بك عن ذلك وأزويه عنك ؛ وكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها ورغائبها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراعي الحلكة ، وإني لأحميهم عيشها وسلوتها ^(١) كما يُحِبُّ الراعى الشفيق إبله مبارك العر ، وما ذاك لهوائهم على ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موقرا لم يكلمه الطمع ولم يُطعمه الهوى . وأعلم أنه لن يترنَّ العباد بزينة أبلغ فيما عندى من الزهد فى الدنيا ، إنما هى زينة الأبرار عندى . وأنتى ما ترين به العباد فى عيني عليهم منها ، لباسٌ يعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم التحول والسجود ، أولئك أوليائي حقا . فإذا لقيتهم فاحض لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك .

وأعلم أنه من أهان لى ولياً أو أخافه ، فقد بارزنى بالمحاربة وبأدأنى وعرضنى لنفسه ودعانى إليها ، وأنا أسرع شئ إلى نصرته أوليائي ، أفيظن الذى يحاربنى فيهم أنه يقوم لى ! أم يظن الذى يعادىنى فيهم أنه يسجزنى ! أم يظن الذى يبادرنى إليهم أنه يسبقنى أو يهوتنى ! كيف وأنا التائر لهم فى الدنيا والآخرة ، لا أكُلُ نصرهم إلى غيرى !

وفى التوراة : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبل لبنان ، أنت عبدى وأنا إلهك الديان ، لا تستذل

(١) السلوة : رضاء العيش . (٢) الفر : جمع أعر وهو الجمل الأجر .

(٣) فى الأصل : « لما يكلمه الطمع » . (٤) يطبعه : ينجسه .

الفقير، ولا تَقْبِطُ الغنى بشيء يسير؛ ولكن عند ذكرى خاشعا، وعند تلاوة وحي طائها، أسمعني لثاظة التوراة بصوت حزين.

- وفيا أوصى الله إلى عيسى عليه السلام: أُنزِلْنِي مِنْ نَفْسِكَ كَهْمَكَ، وَاجْعَلْنِي دُنُورَكَ فِي مَعادِكَ، وَتَقَرَّبْ إِلَيَّ بِالنَّوْافِلِ أَذْنِكَ، وَتَوَكَّلْ عَلَيَّ أَكْفِكَ، وَلَا تَوَكَّلْ غَيْرِي فَأَخْذُكَ بِإِصْبِرْ عَلَى الْبَلَاءِ، وَارْضَ بِالْقَضَاءِ، وَكُنْ كَسَرْتَنِي فِيكَ، فَإِنْ مَسَرَّتَنِي أَنْ أُطَاعَ، وَأَنْتَ ذَكَرَى بِلِسَانِكَ، وَلَيْكِنْ أُؤَدَّى فِي قَلْبِكَ؛ تَيْقُظْ لِي فِي سَاعَاتِ الْغَفْلَةِ، وَكُنْ رَاهِبًا لِي وَرَاقِبًا إِلَيَّ. أَمِثْ قَلْبَكَ بِالْخَشْيَةِ؛ رَاحَ اللَّيْلُ لِتَحْرِي مَسَرَّتَنِي، وَأَظْلَمَ لِي نَهَارُكَ لِلْيَوْمِ الَّذِي عِنْدِي؛ نَافَسْ فِي الْخَيْرَاتِ جَهْدَكَ.
- قِمْ فِي الْخَلِيقَةِ بَعْدِي، وَأَحْكَمْ فِيهِمْ بِنُصِيحَتِي، فَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ شِفَاءً وَسَاوِسَ مَا فِي الصُّدُورِ مِنْ مَرَضِ الشَّيْطَانِ، وَجَلَاءَ الْأَبْصَارِ مِنْ غَشَاءِ الْكَلَالِ؛ وَلَا تَكُنْ حِلْسًا كَأَنَّكَ مَقْبُورٌ وَأَنْتَ حَيٌّ تَنْتَفَسُ. إِنْ حَلَّ عَيْنُكَ بِمُلُومِ الْحَزَنِ إِذَا ضَحِكَ الْبَطَالُونَ. إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِكَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ بَكَاءً مِنْ قَدْ وَدَّعَ الْأَهْلَ وَقَلَّ الدُّنْيَا، وَتَرَكَ اللَّذَاتِ لِأَهْلِهَا، وَأَرْتَفَعْتَ رَغْبَتُهُ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ. طَوَّبَ لَكَ إِنْ نَالَكَ مَا وَعَدْتُ الصَّابِرِينَ! تَرَجَّ مِنْ الدُّنْيَا يَوْمًا فَيَوْمًا، وَأَرْضَ بِالْبُلْغَةِ، وَلِيَكْفِكَ مِنْهَا الْخِشْنُ.
- تَذَوِّقْ مَذَاقَ مَا قَدْ خَلَا مِنْ طَعْمِهِ! وَمَا لَمْ يَأْتِ أَيْنَ لَذَّتُهُ! لَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ مَا أَعْدَدْتُ لِأُولَئِكَ لَذَابَ قَلْبِكَ وَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهِ.

- وفيا قال للحواريين: بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ شَجَرَ الْأَرْضِ بِمَطَرِ السَّمَاءِ تَعِيشَ وَتَزْكُو، وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ بِنُورِ الْحِكْمَةِ تُبْصِرُ وَتَهْتَدِي؛ بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ مِنْ لَيْسَ عَلَيْهِ دِينَ أَرْوَحُ وَأَقْلُ هُمًا مِنْ عَلَيْهِ دِينَ وَإِنْ حَسَنَ قَضَاؤُهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ
- (١) المجلس: الذي يلزم به تلاوته. (٢) الملل: المرود. (٣) في الأصل

الخطيئة أرواح وأقلّهما من عمل بها وإن حسنت توبته . إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة خيرا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة . إن الجسد إذا صلح كفاه القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صلح كفاه القليل من الحكمة .

كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عابد قد أفسده العُجب . يا بني إسرائيل ،

أستمعوا قولي ، فإنّ مثل من يستمع قولي ثم يعمل به مثل رجل حكيم أسس

بنيانه على الصفا ، فطرت السماء وسالت الأودية وضربت الرياح فثبت بنيانه ^(١)

ولم يجر ، ومثل الذي يستمع قولي ثم لا يعمل به مثل رجل سفیه أسس بنيانه

على الرمل ، فطرت السماء وسالت الأودية وهاجت الريح ففقط بنيانه .

يا بني إسرائيل ، ما يُفني عن الأعشى سعة نور الشمس وهو لا يُبصرها ! وما يُفني

عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به ! . بحق أقول لكم : إن قاتل الحكمة وسامعها

شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله . بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجا

يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم بنوره ولم يمتكم منه تن قطرانه ، فكذلك

ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها عنده .

بلغني عن محمد بن فضيل عن عمران بن سليم قال : بلغني أنّ عيسى بن مريم

قال لأصحابه : إن كنتم إخواني وأصحابي فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من

الناس ؛ إنكم لا تدركون ما تطلبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تتألمون ما تحبون

إلا بالصبر على ما تكرهون . إياكم والنظرة ، فإنها تززع في القلب الشهوة . طوبى

لمن كان بصرة في قلبه ولم يكن قلبه في بصره ! .

- قال : وبلغني أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جبة من صوف وكساء
 وثياب خافيا مجزوز الرأس والشاربين با كما شعثا مصفر اللون من الجوع يابس
 الشفتين من العطش، طويل شعر الصدر والذراعين والساقين؛ فقال : السلام عليكم
 يا بني إسرائيل، أنا الذي أنزلت الدنيا مترقا، ولا تحجب ولا تخف، أتدرون أين بيتي؟
 قالوا : أين بيتك يا روح الله؟ قال : بيتي المساجد، وطيبي الماء، وإدامي
 الجوع، وداهني رجلي، وسراجي بالليل القمر، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس،
 وطعامي ما تيسر، وفاكهي وريحاني بقول الأرض، ولباسي الصوف، وشعاري
 الخوف، وجلسائي الزمّي والمساكين، أصبح وليس لي شيء، وأمسى وليس لي
 شيء، وأنا طيب النفس غني أكثر، فمن أغنى وأربح مني ! .

- وقرأت في بعض الكتب : عبادي ! ما يزال ملك كريم قد صعد إلى منك
 بعمل قبيح، أعقوب إليك بأنتم، وثمقت إلى بالمعاصي، خيري إليك نازل، وشرك
 إلى صاعد .

- وفي التوراة : لملك يا إسرائيل إذا أنت خرجت من البرية فدخلت الأرض
 المقدسة، أرض بني آبائك إبراهيم وإسحاق، فإنها تفيض برأ وشعيرا ولبنا وعسلا،
 فورثت بيوتا بناها غيرك وعصرت كروما غرمها غيرك، فأكلت وشربت وتغنمت
 بشحم كباب القمح، ضربت بيدك إلى صدرك ورحمت كما ترخ الدابة برجليها،
 وقلت : بشتني وبقوتي وبأسي ورثت هذه الأرض وغلبت أهلها، ونسيت
 نعمتي عليك ! فأخذف الرعب في صلبك إذا أنت لقيت عدوك، وإذا هبت الريح

(١) التبان : مراد بل صغير يكون للاجن والمصارعين .

(٢) الصلا : الوعد أو التارظية . وفي الأصل «ملاق» بالاء .

فَتَقَعَّعَ لَهَا وَرَقُ الشَّجَرِ أَنْزَمَتْ، فَأَقْلَّ رَجَالُكَ، وَأَرْمَلُ نِسَاءِكَ، وَأَيُّمُ أُنْسَاءِكَ،
وَأَجْعَلُ السَّمَاءَ عَلَيْكَ تَحْجَاسًا وَالْأَرْضَ حديدًا، ^(١) فَلَا السَّمَاءُ تُطْطِرُ وَلَا الْأَرْضُ تُثَبِّتُ،
وَأَقِلَّ لَكَ الْبَرَكَهَ حَتَّى تَجْتَمِعَ نِسْوَةٌ عَشْرٌ يُخْتَبَرْنَ فِي تَنَوُّهِ وَاحِدٍ .

بلغني عن عبد الرحمن المحارب عن جعفر بن برقان قال : بلغني عن وهب بن
منبه قال : أجد في الكتاب أن قوما يتدينون لغير العبادَةِ، ويختلون الدنيا بعمل
الآخرة، يلبسون مِسْكَ الضَّان على قلوب الذئاب، أَلَسْتُمْ أَحْلَى مِنْ الْعِصَلِ
وَأَنْفُسُهُمْ أَمَرٌ مِنَ الصَّبْرِ، أَلَيْ يَفْتَرُونَ ! أَمْ إِيَّاي يَخَادِعُونَ ! أَقَسَمْتُ لِأَبْعَثُ عَلَيْهِمْ
فِتْنَةً يَهْوِي الْحَلِيمُ فِيهَا حَيْرَان .

وقرات في الإنجيل : « لا تجعلوا كنوزكم في الأرض حيث يفيدها السُّوسُ
والدُّودُ وحيث يَنْقُبُ السَّرَّاقُ ، ولكن اجعلوا كنوزكم في السماء فإنه حيث تكون
كنوزكم تكون قلوبكم . إِنَّ الْعَيْنَ هِيَ سِرَاجُ الْجَسَدِ فَإِذَا كَانَتْ عَيْكَ صَحِيحَةً فَإِنَّ
جَسَدَكَ كُلَّهُ مُنِيرٌ . وَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ لِرَبِّينِ أَتَيْنِ إِلَّا أَنْ يُحِبَّ أَحَدُهُمَا
وَيُفِضَ الْآخَرَ ، وَيُوقِرَ أَحَدُهُمَا وَيُهِنَ الْآخَرَ ، فَكَذَلِكَ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَعْمَلُوا لِلَّهِ
وَلِلنَّاسِ . وَلَا يُهَيِّمَنَّكُمْ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ وَمَا تَلْبَسُونَ ، أَلَيْسَتْ النَّفْسُ أَفْضَلُ
مِنَ الطَّعَامِ ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ اللِّبَاسِ !! أَنْظَرُوا إِلَى طَيْرِ السَّمَاءِ فَإِنَّهُمْ لَا يَزْرَعُونَ
وَلَا يَحْصِدُونَ وَلَا يَجْمَعُونَ فِي الْأَهْرَاءِ ^(٢) ، وَأَبْوَكَمُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ ، أَفَلَسْتُمْ

(١) في الأصل : « ولا السماء ، والسياق يقتضي اللطف بالقاء لأنه مفرغ على ما قبله .

(٢) أي يطلون الدنيا بصل الآخرة : ومثله ما جاء في الحديث . « من أشرط الساعة أن تطل السيوف
من الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين » أي تطلب الدنيا بصل الآخرة ، من غنله إذا خدعه (أنظر اللسان

٢٠ [مادة غتل) . (٣) المسوك : جمع مسك (بالفتح) وهو الجمل . (٤) الأهراء : جمع

هرى (بالفتح) وهو بيت كبير يجمع فيه الطعام .

- أَفْضَلَ مِنْهُمْ!! وَأَيْكُمُ الَّذِي إِذَا جَهِدَ قَدَّرَ أَنْ يَزِيدَ فِي طَوْلِهِ ذِرَاعًا وَاحِدًا! فَلَيْمَ تَهْتَمُونَ بِالْبِلَاسِ! اعْتَبِرُوا بِسُوسِ الْبَرِّيَّةِ فَإِنَّهُ لَا يَمَلُّ وَلَا يَفْزِلُ، أَنَا أَقُولُ: إِنَّ سَلْيَانَ بِوَقَارِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَلْبَسَ كَوَاحِدَةً مِنْهُ؛ فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يُلْبِسُ عُشْبَ الْأَرْضِ الَّذِي يَنْبَتُ الْيَوْمَ وَيُلْقَى فِي النَّارِ غَدًا، أَفَلَسْتُمْ يَاقَلِيلَ الْإِيمَانِ أَفْضَلَ مِنْهُ! وَلَا تَهْتَمُوا فَقُولُوا: مَاذَا نَأْكُلُ وَمَاذَا نَشْرَبُ وَمَاذَا نَلْبَسُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَهْتَمُّ لِذَلِكَ ابْنُ الدُّنْيَا؛ وَإِنْ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاءِ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ يَنْبَغِي لَكُمْ؛ فَأَبْدُوا فَالْتَمِسُوا مَلَكَوتَ اللَّهِ وَصِدْقِيَّتِهِ، فَإِنَّكُمْ سَوْفَ تَكْتَفُونَ. وَلَا يُهْمُّكُمْ مَا فِي غَدٍ، فَإِنَّ غَدًا مَكْتَفٍ بِهِمْ، وَحَسْبُ الْيَوْمِ شُرٌّ. وَكَمَا تَبِينُونَ تَدُنُونَ، وَبِالْمِجَالِ الَّذِي تَكُونُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَكَيْفَ تُبْصِرُ الْقِذَاءَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَلَا تُبْصِرُ السَّارِيَةَ فِي عَيْنِكَ! لَا تُطْعُوا الْكَلَابَ الْقُدْسَ، وَلَا تُنْقَلُوا لِلْوُلُوكِ لِلْمُنَازِيرِ. سَأَلُوا تُطْعَمُوا، وَآتَيْتُمْوَا تُجِدُوا، وَآسْتَفْتَحُوا يُفْتَحْ لَكُمْ، وَأَنْظَرُوا الَّذِي تُحِبُّونَ ١٠ أَنْ يَأْتِيَ النَّاسَ إِلَيْكُمْ فَاتُوا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُ. أَدْخَلُوا الْبَابَ الضَّيِّقَ، فَإِنَّ الْبَابَ وَالطَّرِيقَ إِلَى الْمَلَكَةِ عَيْرِضَانَ، وَالَّذِينَ يَسْلُكُونَهَا كَثِيرٌ. وَمَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَالطَّرِيقَ لِلَّذِينَ يُبْلَغَانِ إِلَى الْحَيَاةِ! وَالَّذِينَ يَسْلُكُونَهَا قَلِيلٌ».

- وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَتَجْعَلُكَ حَيْثُ ذَهَبْتَ؟ فَقَالَ لَهُ عَيْسَى: لِلتَّعَالِي بِحِمْرَةٍ، وَلَطِيرِ السَّمَاءِ بِكَأَنَّ، وَلَيْسَ لِابْنِ الْإِنْسَانِ مَكَانٌ يُسْنَدُ فِيهِ رَأْسُهُ. ١٥
وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِيزِيِّينَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدْفِنَ أَبِي؟ فَقَالَ لَهُ: دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَأَتَبْنَى. وَقَالَ الْخَوَارِيزِيُّ: لَا تَتَرَدَّدُوا شَيْئًا، فَإِنَّ الْمَائِلَ مُحَقَّقٌ أَنْ

- (١) فِي الْأَسَلِ: «إِذَا جَهِدَ قَدَّرَ» بِالْقَامِ فِي جَوَابِ إِذَا، وَلَا مَعْنَى لَذِكْرِ الْقَامِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.
(٢) الْوَقَارُ: الْعِظَمَةُ. وَفِي الْأَسَلِ: «يُوقَارُهُ» بِالْقَامِ، وَلَا مَعْنَى لَهُ هُنَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَحْرَمًا عَنْ (وَقَارَهُ) جَمْعُ وَفَرٍ «بِالْفَتْحِ» وَهُوَ الْفَتَى. (٣) فِي الْأَصْلِ: «تَنْبِتُ» وَ«تَنْقَلُ» ... مِنْ شَيْءٍ.
(٤) لَعَلَّ إِسْمَ الْإِنشَاءَةِ يَرْجِعُ إِلَى عَدَمِ الْأَهَمِّيَّةِ الْمَأْخُذِ مِنْ قَوْلِهِ «وَلَا تَهْتَمُوا»، لِيَسْتَعْمِلَ الْكَلَامَ.
(٥) الصَّدِيقَةُ: دَرَجَةُ أَعْلَى مِنَ الرِّيَاسَةِ وَأَدْنَى مِنَ النَّبَوِيَّةِ.

يُطْعَم قُوَّتُهُ ، وَإِنِّي أُرْسَلُكُمْ كَالْخِرَافَاتِ بَيْنَ الذَّنَابِ ، فَكُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ
وَبُلَهَاءَ كَالْحَمَامِ . وَإِذَا دَخَلْتُمُ الْبَيْتَ فَسَلِّمُوا عَلَى الْبَيْتِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْبَيْتُ أَهْلًا
لِسَلَامِكُمْ فَلْيُصِيبْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِسَلَامِكُمْ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ . وَمَنْ لَمْ يُؤْكَمْ
وَيَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ ، فَإِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ قَرْيَتِهِ فَأَنْفُضُوا الْغُبَارَ عَنْ أَرْجُلِكُمْ .

- ٥ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبٍ قَالَ : كَانَ فِيمَا نَاجَى بِهِ
عَزْرَرُ رَبِّهِ : اللَّهُمَّ فَإِنَّ لَكَ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ خَلْقَتَهُ خَيْرَةً اخْتَرْتَهَا ، وَإِنَّكَ اخْتَرْتَ مِنْ
النَّبَاتِ الْحَبْلَةَ ، وَمِنَ الْمَوَاشِي الضَّائِنَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَمَامَةَ ، وَمِنَ الْبُيُوتِ بَيْتَ إِبْرَاهِيمَ ،
وَمِنَ الْإِلَهِاتِ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، وَمِنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ آدَمَ ، وَمَنْ وَلَدَ آدَمَ نُوحًا ، وَمَنْ وَلَدَ
نُوحَ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ وَلَدَ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، وَمَنْ وَلَدَ إِسْحَاقَ إِسْرَائِيلَ ،
اللَّهُمَّ فَاصْبِحْ خَيْرَتِكَ قَدْ تَمَّتْ وَنَفَذْتُ فِي كُلِّ مَا اخْتَرْتُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ وَلَدِ
خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّهُمْ أَصْبَحُوا أَعْدَاءَ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ وَخَوَلَا لِأَعْدَاكَ ، فَالَّذِي
سَلَّطَ عَلَيْنَا ذَلِكَ ؟ أَمْ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا ؟ فَالْخَاطِفُونَ وَلَدُونَا ، أَوْ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِنَا ؟
فِنْ ضَعِيفٌ خَلَقْنَا ؟ قَالَ : جَاءَنِي الْمَلَكُ فَكَلَّمَنِي ، فَبَيَّنَا أَنَا كَذَلِكَ سَمِعْتُ صَوْتًا هَالِكًا
فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ حَاسِرَةٌ عَنْ رَأْسِهَا ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا ، شَاقَّةٌ جَبِيهَا ، تَلَطَّمُ وَجْهَهَا ،
وَتَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا ، وَتَحْتَوِ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا وَتَرَكْتُ مَا كُنْتُ
فِيهِ ، فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِأَلْبَابِ أَيْتِهَا الْمَرْأَةُ وَمَا الَّذِي دَهَاكَ ؟ أَخْبَرَنِي خَبْرَكَ ، فَقَدْ أَصَابَتْ
الْمَصَائِبُ غَيْرَكَ ؟ قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَإِنَّ رَبِّي هُوَ الَّذِي أَبْكَانِي ،

(١) كذا في الأصل . وفي حياة الحيوان للسيبويه (ج ١ ص ٢٢٦) : « روى أحمد في الزهد
عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه السلام كان يقول لأصحابه : إن استطعتم أن تكونوا لهم في الله تعالى
مثل الحمام فافعلوا » . وفي إنجيل متى من الكتاب المقدس (طبع بيروت سنة ١٨٨٢ م بمجلة ثالث
ص ١٧ ص ١٢) : « فكونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام » . (٢) الحبلية بالفهم : الكرم
أو أصل من أصوله ، وثمر السلم أو ثمر الضياء . (٣) في الأصل : « بتا الجلاء » .

- ومصيبتي أعظم مما ترى ؛ فقلتُ : فإن في الله عزاءً من كلِّ مصيبة ، وخلفاً من كلِّ هالك ، وعوضاً من كلِّ فائتٍ ، فإياه فآستعني ، وإلى نظره لك فأنظري ؛ قالت :
- إني كنتُ امرأةً كثيراً مالى ؛ عظيماً شرفي ، وكنت عاقراً لا ولدي ، وكنتُ عند بعلٍ له نِسوةٌ معي وكلهن ولِدَ له غيرةٌ ، فلنَ به لحبِّ الولد فصرف وجهه عني ، فغزنتُ وحزن أهلي وصديقي ، فلما رأيتُ هواني عليه وسقوط منزلي عنده ، رغبتُ
- ٥ إلى ربي ودَعَوْتُهُ فاجابني ، وأستوهبته غلاماً فوهبه لي ، فقرئتُ به عيني ، وفرح أهلي ، وعطف الله به زوجي ، وقطع عني ألسنة ضرائري ، فريئتُ غلاماً لم يحل أنبي مثله حسناً وجمالاً ونصرةً وتماماً ، فلما بلغ أشده وكل به سروري خطبتُ عليه عزيمة قومي ، وبذلتُ دونه مالى ، وخرجتُ من حِلْمِي^(١) ، وجمعتُ رجال قومي ، فخرج يمشي بينهم حتى دخل بيته ؛ فلما قعد على سريرهِ ، خرَّ منه فانذقت عُنُقَهُ
- ١٠ فبات ابنى وضلَّ عمل وبطلَّ نصيبي وتلف مالى ، فخرجتُ إلى هذه البرية أبكيه فيها لا أريدُ أن أرى أثراً من آثاره ولا أحداً من أصحابه ، ولن أبرح أبكيه حتى ألحق به . قال عزيرٌ : أذكرى ربك وراجعيه ، فقد أصابت المصائبُ غيرك أما رأيتِ هلاكَ إيلياءَ وهى سيِّدةُ المدائن وأم القرى ؟ أو ما رأيتِ مصيبةَ أهلها
- ١٥ وهم الرجال ؟ قالت : إى رحِمَك اللهُ ! إن هذا ليس لي بعزاء وليست لي بشئ منه أسوءُ ، إنما تبكى مدينةَ نحيبتَ ، ولو تعمَّرتُ طادت كما كانت ، وإنما تنبئى قوماً وعدهم الله الكوفةَ على عدوِّهم ، وأنا أبكى على أمرٍ قد فات ، وعلى مصيبة لا أستقبلها ؛^(٢) قال عزيرٌ : فإنه خُلِقَ لما صار إليه ، وكلُّ شئ خُلِقَ للدنيا فلا بد أن يسبقني ،

(١) الخلة (بالكسر والضم) : المال وخيار ما يتخلع على الإنسان . (٢) لا أستقبلها

٢٠ أى لا أطلب منها إقالة ، لأن الطالب فيها غير مجد ؛ ومنه قول الشاعر :
ومرتبة لا يستقال بها الردى *
أى لا يرجى فيها إقالة الردى لإيمته لا بد من الهلاك .

أَمَا رَأَيْتِ مَدِينَتَنَا أَصْبَحَتْ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا بَعْدَ عِمَارَتِهَا، وَأَوْحَشَتْ بَعْدَ أَنْسَابِهَا وَأَتَانِهَا! أَوْ مَا رَأَيْتِ مَسْجِدَنَا كَيْفَ غُيِّرَ حُسْنُهُ، وَهَدِمَ جَوْصَنُهُ، وَأُطْفِئَ نُورُهُ! أَوْ مَا رَأَيْتِ عَزَّ أَهْلُهَا كَيْفَ ذَلَّ، وَشَرَفَهُمْ كَيْفَ تَحَلَّلَ، وَجَدَّهُمْ كَيْفَ سَقَطَ، وَغَرَّهُمْ كَيْفَ بَطَلَ! أَوْ مَا رَأَيْتِ كَلَابَ اللَّهِ كَيْفَ أُحْرِقَ، وَوَلَّى اللَّهَ كَيْفَ رُفِعَ، وَتَابَوْتَ السَّكِينَةَ كَيْفَ سُبِيَ! أَوْ مَا رَأَيْتِ نِسَاءَ الْمُلُوكِ وَبَنَاتِهِمْ فِي بَطُونِ الْأَسْوَاقِ حَاسِرَاتٍ عَنِ السُّوقِ وَالْوُجُوهِ وَالْأَشْعَارِ! أَوْ مَا رَأَيْتِ الْأَشْيَاحَ الَّذِينَ عَلَى وُجُوهِهِمُ النُّورُ وَالسَّكِينَةُ مَقْرَيْنَ فِي الْحَبَالِ وَالْفِطَارِ! أَوْ مَا رَأَيْتِ الْأَحْبَارَ وَالرَّهْبَانَ مُصَفِّدِينَ فِي الْإِسَارِ، أَوْ مَا رَأَيْتِ أَبْنَاءَ مُوسَى وَهَارُونَ تُضْرَبُ عَلَيْهِمُ السَّهَامُ وَيَقْتَسِمُهُمُ الْأَشْرَارُ، وَوِلْدَانَ الْمُلُوكِ خَدَمًا لِلْكَفَّارِ، أَوْ مَا رَأَيْتِ قَتْلَانَا لَمْ يُوَارِ أَحَدًا مِنْهُمْ قَبْرًا، وَلَمْ يَهْدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى وَلَدٍ، فَالْحُكَمَاءُ مَبْهُوتُونَ، وَالْعُلَمَاءُ يَمُوجُونَ، وَالْحُلَمَاءُ مَتَحَبِّرُونَ، وَأَهْلُ الرَأْيِ مُلْقُونَ بِأَيْدِيهِمْ مُسْتَسَابِحُونَ. قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَكَلِمُهَا غَشَى وَجْهَهَا نُورٌ مِثْلُ شِعَاعِ الشَّمْسِ حَالٍ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، فَخَمَرْتُ مِنْ شِدَّتِهِ وَجْهِي وَرَدَدْتُ يَدِي عَلَى بَصْرِي، ثُمَّ كَشَفْتُ وَجْهِي فَإِذَا أَنَا لَا أَحْسِبُهَا وَلَا أَرَى مَكَانَهَا، وَإِذَا مَدِينَةٌ قَدْ رُفِعَتْ لِي حَصِينَةٌ بِسُورِهَا وَأَبْوَابُهَا، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى ذَلِكَ تَحَرَّرتُ صَبِيحًا، بَخَاءُ الْمَلِكِ فَأَخَذَ بَصْبَعِي وَنَشَنِي وَقَالَ لِي: مَا أَضْعَفُكَ بِاعْزِيزِ!

وَقَدْ زَعَمْتُ أَنَّكَ مِنَ الْقُوَّةِ مَا تَحْتَاطِبُ بِهِ رَبَّكَ وَتُدَلِّي بِالْعِذْرِ عَنِ الْخَاطِئِينَ مِنْ

(١) ورد في دائرة المعارف البستاني "عتال الكلام على التابوت ما ملخصه: وتابوت العهد أو الشهادة هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج، وكان موضعه في قدس الأقداس وكان اليهود يهتمون ذلك مقدسا وكانوا يحملونه بالأحفال أمامهم وهم سافرون إلى أرض المياد . والظاهر أنه فقد عند ما هدم مختصر الهيكل في القدس بإتلافه إياه أو نقله إلى بابل . ومن أراد الوقوف على تفاصيل وصف هذا التابوت فليراجع ذلك في التوراة . (٢) في الأصل: «خدم للكفار» . (٣) تمه: رقه وأقامه .

بن إسرائيل ؛ قال له عُرَيْرٌ : مثل الذي رأيتُ وعاشتُ أضعفني وأذهب روعي ؛ قال الملكُ : فإن المرأة التي كلمتك هي المدينة التي تبكي عليها ، صوّرها الله لك في صورة أُنثى فكلمتك ، فافقه عنها ؛ أما قولها : إنها عُمِرَتْ زماناً من دهرها عافراً لا ولد لها ، فكذلك كانت إيلياء صعيداً من الأرض خراباً لا عمرانَ فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة .^(١) وأما قولها : إن الله وهب لها غلاماً عند اليأس ، فذلك حين أقبل الله عليها بالعمران فآبعت الله منها أنبياءه وأنزل كتابه . وأما قولها : إنه هلك ولدها حين كل فيه سرورها ، فذلك حين غير أهلها نعم الله وبطلوها ولم يزدادوا بالنعم طميح إلا جُراة على الله وفسادا ، فقهر الله ما بهم وسلط عليهم عدوهم حتى أفانمهم ، وقد شفّع الله في قومك وكتابك ومدبنتك ، وسبيحدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطاتها وأبرؤها ، وفيها مساجدها وإنهارها وأشجارها .

١٠

وحدثني بهذا الإسناد قال : لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسماعيلَ عليهما السلام ويجعله قرباناً ، أمر ذلك إلى خليل له يقال له : العازر ؛ فقال له الصديق : إن الله لا يتبل بمثل هذا مثلك ، ولكنه يريد أن يُجربك ويختبرك ، وقد علمت أنه لم يتلك بهذا ليفتلك ولا ليُضلك ولا ليُمتك ولا لينقص به بصيرتك وإيمانك ويقتك ، ولا يروعتك هذا ولا تسويع بالله ظنك ، وإنما رَفَعَ الله اسمك في البلاء على جميع أهل البلاء ، حتى كنت أعظمهم في نفسك وولئك ، ليرفك بقدر ذلك عليهم في المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر في فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك ، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك ، وليس لأهل البلاء في جسيم شرف البلاء إلا فضلُ شرفك . وليس هذا من وجوه البلاء الذي يتلى الله به أوليائه ، لأن الله أكرم في نفسه وأعدل في حكمه وأعدل في عبادته^(٢)

٢٠

(١) في الأصل : « ربياء » . (٢) في القند القريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « وأرحم بعباده ... » .

من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد التي المصطفى ؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا متى حتما على الله أو ردا لأمره أو سُخطا لحكمه على عباده ، ولكن هذا الرجاء فيه والظن به . فإن عزيم ربك على ذلك فكن عبدا ^(١) أحسن علمه بك ؛ فإنني أعلم أنه لم يعرضك لهذا البلاء العظيم إلا لحسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك الناس إماما ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحدثني بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لما لبث في السجن سبع سنين أرسل الله من وجل إليه جبريل عليه السلام بالشارة بمخروجه ، فقال له : أتعرفني أيها الصديق ؟ قال له يوسف : أرى صورة طاهرة وروحا طيبا لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين ؛ قال يوسف : فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقربين ؟ قال جبريل : أولم تعلم أيها الصديق أن الله يطهر السيوف بطهر النبيين ، وأن البقرة التي يحلون بها هي أطهر الأرضين ، وأنه قد طهر بك السجن وما حوله يابن الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبهني بالصالحين ، وتسميني بأسماء الصديقين ، وتعدني مع آبائي المخلصين ، وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ! قال جبريل : لم يكلم قلبك الجزع ، ولم يغير خلقك البلاء ، ولم يتعاطمك السجن ، ولم تطأ فراش سيديك ، ولم ينسك بلاء الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تنسك نفسك أباك ولا أبوك ربك ؛ وهذا الزمان الذي ينك الله به عتوك ، ويعتق به رقك ، ويبين للناس فيه حكمتك ، ويصدق رؤياك ويُصفيك ممن ظلمك ، ويجمع إليك أحببك ، ويهب لك ملك مصر : يملكك ملوكها ، ويصدق لك جبارتها ، ويذل لك أعزتها ، ويصغر لك عظماءها ، ويخضع لك سوقها ،

(١) في العقد القريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « فكن عبد أحسن طبعك ... » - (٢) النحو :

الأسير والذل ، يقال : عاق في قوم عتوا وعتا صار فهم أسيرا . وفي العقد القريد (ج ١ ص ٣٥٨) :

وَيُخَوِّلُكَ حَوَّلَهَا ، وَرَحِمَ بِكَ مَسَاكِينَهَا ، وَيُلْقِي لَكَ الْمَوَدَّةَ وَالْهَيْبَةَ فِي قُلُوبِهِمْ ،
وَيَجْعَلُ لَكَ الْيَدَ الْعَالِيَا عَلَيْهِمُ وَالْآثَرَ الصَّالِحَ فِيهِمْ ، وَبُرَى فِرْعَوْنَ حَلْمًا يَفْرَعُ مِنْهُ
وَيَأْخُذُهُ لَهُ كَرْبٌ شَدِيدٌ حَتَّى يُسْهِرَهُ وَيَذْهَبَ نَوْمُهُ ، وَيُعْمَى عَلَيْهِ تَفْسِيرُهُ وَعَلَى السَّحَرَةِ
وَالْكَهْنَةِ وَيَسْلَمُكَ تَأْوِيلَهُ .

- وفي بعض الكتب : أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكن
معي غداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً فريداً مهموماً حزيناً ، كالطائر
الوحداني يظلُّ بأرض الفلاة ويردُّ ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر ، فإذا
جَنَّ عليه الليل أوى وحده استباحاً من الطير واستناساً بربه جلَّ وعزَّ .
لَمَّا قِيلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَجَدَ الْحَاجَّ فِيهَا تَرَكَ صُنْدُوقاً عَلَيْهِ أَقْفَالٌ حَدِيدٌ ،
فَتَعَجَّبَ مِنْهُ وَقَالَ : إِنَّ فِي هَذَا شَيْئاً ، فَفَتَحَهُ فَإِذَا صُنْدُوقٌ آخَرُ عَلَيْهِ قُفْلٌ فَفَتَحَهُ
فَإِذَا سَقَطَ فِيهِ دُرَجٌ ، فَفَتَحَهُ فَإِذَا صَحِيفَةٌ فِيهَا : إِذَا كَانَ الْخَلِيفَةُ حَلَفًا ، وَالْمِعَادُ
خُلَفَاً ، وَالْمِقْنَبُ^(١) أَلْفَاً ، وَكَانَ الْوَلَدُ غِيظًا ، وَالشَّتَاءُ قِيظًا ، وَغَاضُ الْكِرَامِ غِيظًا ، وَغَاضُ
الْكَثَامِ غِيظًا ، فَأَعْتَزَّ عَفْرُ^(٢) ، فِي جَبَلٍ وَعَرَّ ، خَيْرٌ مِنْ مُلْكِ بَنِي النَّضَرِ . حَدَّثَنِي بِذَلِكَ
كَعْبُ الْجُبَيْرِ .

السداء

١٥

- حَدَّثَنِي أَبُو مَسْعُودٍ الدَّارِمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ «رُبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةٌ : وَاحِدَةٌ لِي ، وَوَاحِدَةٌ لَكَ
(١) المقلب كبير : جماعة الخليل والفرسان . (٢) الشر : جمع أفر وطراء . والفسرة : غيرة
في بياض . (٣) هكذا ورد بالأصل . ولم نثرعل هذه النسبة لأن يكنى بأبي مسعود لا في كتب
الأنساب ولا في كتب التراجم وغيرها من الكتب التي بين أيدينا . (٤) في الأصل : «جدير»
بالدال المهملة . ولم نثرعل اسم «جدير» بين أسماء الرواة في الكتب التي عندنا . وقد ورد في تهذيب
الذَّهَبِيِّ أَنَّ مِنْ بَيْنِ مَنْ اسْمُهُ «جَرِيرٌ» بِالزَّاءِ : «جَرِيرٌ بْنُ حَازِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ الْأَزْدِيِّ ثُمَّ الْمَكِّيِّ وَقِيلَ
الْجُمُحِيُّ» . وَجَرِيرٌ هَذَا مِنْ رِوَاةٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَلَقَدْ رَجَعْتُ لَدَيْنَا أَنْ مَا جَاءَ بِالْأَصْلِ
عَرَفَ صَوَابَهُ مَا أَشْتَبَاهُ .

يَا بَنَ آدَمَ، وَوَاحِدَةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَأَمَّا الَّتِي لِي فَتُخْلِصُ لِي لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، وَأَمَّا
الَّتِي لَكَ فَاحْجُجْ مَا تَكُونُ إِلَى عَمَلِكَ أَوْفِيكَ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَتُكْ دَعَاءُ وَصَلَّةِ
الْإِجَابَةِ“ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَبَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا معاوية قَالَ
حَدَّثَنِي أَزْهَرُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حَبِيدٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،
مَا كَانَ يَفْتَحُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ صَلَاتَهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ ؟ قَالَتْ :
كَانَ يُكَبِّرُ عَشْرًا وَيُحَمِّدُ عَشْرًا وَيُسَبِّحُ عَشْرًا وَيَهْتَلِ عَشْرًا وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ عَشْرًا،
ثُمَّ يَقُولُ : ” اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَأَرْزُقْنِي وَطَافِنِي “، وَيَتَعَوَّذُ مِنْ ضَيْقِ الْمَقَامِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ حَسَنِ الْمُرُوزِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْخُفَّافُ عَنْ أَبِي الْوَرْدَاءِ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ :
” أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلَكُ وَالْكَهْبَاءُ وَالْعِظْمَةُ وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا يَسْكُنُ^(١)
فِيهِمَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ هَذَا النَّهَارِ صَلَاحًا
وَأَوْسَطَهُ فَلَاحًا وَآخِرَهُ نَجَاحًا . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَخَيْرَ الْآخِرَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ “ .

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ قَالَ أَخْبَرَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ
الْحُسَيْنِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَسْتَسْقَى قَالَ : « اللَّهُمَّ اسْقِنَا سُقْيَا وَسَاعَةً وَادْعَةً عَامَةً نَافِعَةً خَيْرَ^(٢)
الْحُسَيْنِ » .

(١) فِي نَهِايَةِ الْأَوْبِ الْقَوْرِي (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دار الكتب المصرية) : « وَمَا سَكَنَ فِيهِمَا مِنْ
شَيْءٍ قَدَّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ... الخ » . وَفِي كِتَابِ الْأَذْكَارِ الْقَوْرِي : « وَمَا سَكَنَ فِيهِمَا قَدَّ تَعَالَى... الخ » .
(٢) قَالَ ابْنُ خُلِكَانَ فِي تَرْجُمَاتِهِ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ : « وَرَاهُوَيْهٍ فَتَحَّ الرِّاءَ وَجَدَ الْأَلْفَ هَاءَ سَاكِنَةً ثُمَّ وَارَ
مَفْرُوعَةً وَجَدَهَا يَاءَ مَثْنَاءَ مِنْ تَحْتِهَا سَاكِنَةً وَجَدَهَا هَاءَ سَاكِنَةً... وَقِيلَ فِيهِ أَيْضًا : رَاهُوَيْهٍ بِضَمِّ هَاءِ
وَسُكُونِ الْوَاوِ وَضَمِّ الْيَاءِ » . (٣) وَرَدَ هَذَا الْأَثَرُ فِي كِتَابِ الْأَذْكَارِ الْقَوْرِي (نَسْخَةُ خَطِيئَةٍ
مُخْتَوَفَةٌ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ تَحْتَ رَقْمِ ٧ جَمَاعِي) فِي صَلَاةِ الْأَسْتِسْقَاءِ، بِصِنْفَةِ مُخْتَلَفٍ مَا هِيَ فِي بَعْضِ
الْكَلَفَاتِ وَبِازِيَادَةِ وَالْقَصَصِ .

ضاة تغم بها حاضرنا وبأدبنا وتزید بها فی رزقنا وشكرنا. اللهم أجعله رزق إیمان وعطاة إیمان إنا عطائك لم یكن محظورا . اللهم أنزل علينا فی أرضنا سكنها ، وأنبت فیها زیتها وصرعاه .

روى الكلبي عن أبي صالح أن العباس قال يوم أسست عمر رضى الله عنه :
 " اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا یكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بی القوم
 إليك لمکافی من نیک ، وهذه أیدینا إليك بالذنوب ونواصینا بالتوبة ، فأسقنا
 الغيث " ؛ فأرخت السماء شایب مثل الجبال بدیمة مطیقة .

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز
 عشية عرفة بعرفة وهو يقول : " اللهم زد فی إحسان محسنهم ، وراجح مبسنهم
 إلى التوبة ، وحط من ورائهم بالرحمة " .

حدثنا حسين بن حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا يحيى بن
 أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا هؤلاء الدعوات :
 " اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بیننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به

(١) كذا في الأصل ولسان العرب مادة «سكن» . وفي منتخب كنز العمال المطبوع بجامع مسند
 الإمام أحمد (ج ٣ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ) : « اللهم أنزل فی أرضنا برکتها
 وزیتها وسكنها وأرزقنا خیر الرازقين » . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها الذي تسكن
 أنفسهم إليه .

(٢) في الأصل : « من يترك » والياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) شایب جمع شوبوب ،
 وهو الدفعة من المطر . والديعة : مطريدم في سكنون بلا رعد ولا برق . (٤) كذا ورد في الأصل .
 وفي تهذيب التهذيب أن عن روى عن عبد الله بن المبارك الحسين بن الحسن . ولعل ما في الأصل
 محرف عنه . (٥) في الأصل : « زتر » بالغاء المعجمة . وما أثبتناه هو ما في تهذيب التهذيب .

إلى رحمتك، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيباتُ الدنيا، ومتّعنا بأسماعتنا وبأبصارنا،
وآجعل ذلك الوارثَ منا، وأنصرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا
ولا تجعل الدنيا أكبر همًّا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

بلغني عن يونس عن الأوزاعي عن حسان بن عطية^(١) قال: كان شداد بن أوس
في سفر، فقتلنا مثلاً فقتل لفلان: اثنتا بالسرقة نعت بها، فأكرت منه، فقال:
ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت إلا وأنا أخطئها وأزعمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها
عني، وأحفظوا عني ما أقول لكم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
«إذا كثرت الناس الذهب والفضة فأكثروا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات^(٢)
في الأمر والمزينة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك
قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم،
وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب».

بلغني عن الوليد بن مسلم قال حدثنا أبو سامة الدوسي^(٣) عن سالم بن عبد الله
قال: كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم أرزقني عيتين هطالتين
تبكيان بذروف الدموع وتشفيانني من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس
جمرا».

(١) هكذا ضبطه في تقريب التهذيب بضم اللين وفتح الطاء. (٢) كذا في مستد إمام أحمد
(ج ٤٤ ص ١٢٣). وفي الأصل: «نعت بها» وما أثبتناه هو الموافق لقول الرضخري في أساس البلاغة
مادة «عبث» «قال بالسرقة نعت بها». (٣) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦): «يا شداد
- بن أوس إذا رأيت الناس يكثرون... الخ» وفي بقية الحديث بعض زيادات عما هنا، ولعلها رواية
أخرى. (٤) هكذا ورد في الأصل، ولم نوفق إلى تحقيق هذه النسبة لأني سلمة في الكتب التي
بين أيدينا. (٥) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) «... تشفيان القلب بذروف
الدموع من خشيتك... الخ...».

حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثنا عمس بن عمران قال حدثني الحارث بن عتبة عن العلاء بن كثير عن أبي الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : "ياموضع كل شكوى وياشاهد كل تجوى بكل سبيل أنت مقيم ترى ولا ترى وأنت بالمنظر الأعلى" .

- حدثنا عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان دعاء عيسى الذي يدعو به للرضى والزمنى والعميان والمجانين وغيرهم : "اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك ، وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك ، وأنت حاكم من في السماء وحاكم من في الأرض لا حاكم فيهما غيرك ، وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لأملاك فيهما غيرك ، قدرك في الأرض كقدرك في السماء ، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء ، أسألك باسمك الكريم وجهك المنير ومليكك القديم ، إني على كل شيء قدير" . قال وهب : هذا يقرأ للفرع على المجنون ويكتب له ويُسَلِّق ويُسَقِّق ، فيقرأ بإذن الله أي ذلك شاء فعل .

- وحدثني أيضا بهذا الإسناد قال : كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصلبوه يزعمهم فرغه الله إليه : "اللهم أنت القريب في علوك ، المتعال في دنوك ، الرفع على كل شيء من خلقك ، أنت الذي نفذ بصرك في خلقك ، وحسرت الأبصار دون النظر إليك وعشيت دنوك ، وشمخ بك العلو في النور ، أنت الذي جليت الظلم

- (١) ورد في الأصل "عبد الرحمن بن عبد المنعم" وورد في عدة أسانيد أخرى في الأصل قصة "عبد الرحمن عن عبد المنعم" كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذي يروي عنه المؤلف كثيرا هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن إدريس بن ماف بن آبة وهب ابن منبه .

بنورك فتباركت اللهم خالق الخلق بقدرتك، مقدر الأمور بحكمتك، مبدع الخلق بعظمتك، القاضي في كل شيء بعلمك؛ أنت الذي خلقت سبعا في الهواء بكلماتك، مستويات الطباق مدعيات لطاعتك، سماجن الملوك بسلطانك، فأجبن وهن دخان من خوفك، فآتين طائعات بأمرك، فيهن ملائكتك يسبحون قدسك بتقديسك، وجعلت فيهن نورا يحلو الظلام، وضياء أضوا من شمس النهار، وجعلت فيهن مصابيح تهدي بها في ظلمات البحر والبر ورجوما للشياطين، فتباركت اللهم في مغطور سمواتك، وفيما دحوت من أرضك، دحوتها على الماء، فأذلت لها الماء المتظاهر فذل لطاعتك وأذعن لأمرك، وخضع لقوتك أمواج البحار، ففجرت فيها بعد البحار الأنهار، وبعد الأنهار العيون الفزار والينابيع، ثم أخرجت منها الأشجار بالثمار، ثم جعلت على ظهرها الجبال أوتادا فأطاعتك أطواؤها، فتباركت اللهم في صنعك، فن يبلغ صفة قدرتك ومن يُنتعنتك . تزل الغيث وتثني السحاب، وتنفك الرقاب وتحضي الحق وأنت خير الفاصلين . لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن يستغفر كل خاطئ . لا إله إلا أنت إنما يحشاك من عبادة العلماء الأكياس . أشهد أنك لست بإله استحدثناه، ولا رب يبد ذكره، ولا كان لك شركاء يقضون معك فدعوهم وندمك، ولا أطاك أحد على خلقك فنشك فيك . أشهد أنك أحد محمد لم تلد ولم يكن لك كفوا أحد، ولم تقبذ صاحبة ولا ولدا . أجعل لي من أمري فرجا وخرجا، قال وهب : وهذا الدعاء عود للشقيقة وغيرها من قولك : "أشهد أنك لست بإله استحدثناه، إلى آخره .

(١) «المتظاهر» بالفاء المجمة من تظاهر بمعنى ساند وتعاون براد بذلك الماء الكثير المجتمع بدع

بعضه بعضا لقوته وهو ما يقتضيه السياق . وفي الأصل «المتظاهر» بالطاء المهملة .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن عباس قال: «الإخلاص هكذا، وبسط يده اليمنى وأشار بإصبعه من يده اليسرى، والدعاء هكذا، وأشار براحيته إلى السماء، والابتهاال هكذا، ورفع يديه فوق رأسه ظهورهما إلى وجهه» .

- حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان داود إذا دعا في جوف الليل قال : «اللهم نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم .
- إغفر لي ذنبي العظيم إنك عظيم وإنما يغفر العظيم العظيم ، إليك رفعت رأسي عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها . اللهم تساقطت القرى وأبطل ذكركم وأنت دائب الدهر معد كرمي القضاء» .

- قال : وكان من تسميته : «الحمد لله عند قطر المطر، وورق الشجر، وتسبيح الملائكة ، وعند ما في البر والبحر . والحمد لله عند أنفاس الخلق ولقظهم وطرفهم
- ١٠ وظلالهم ، وعند ما عن أيمانهم وشمالهم ، وعند ما قهره ملكه ، ووسعه حفظه ، وأحاطت به قدرته ، وأحصاه علمه . والحمد لله عند ما تجري به الرياح ، وتجلى السحاب ، وعند ما يختلف به الليل والنهار ، وتسير به الشمس والقمر والنجوم . والحمد لله عند كل شيء أدركه بصره ، وقد في علمه ، وبلغ فيه لطفه . والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئا حين يدعوني . والحمد لله الذي أسأله فيعطيني ، وإن كنت بخيلا حين يستقرضني . والحمد لله الذي أستغفیه فيمافني ، وإن كنت متعصبا لما يملكني . والحمد لله الذي حلم في الذنوب عن حقوق حتى كافي لا ذنب لي ، ولو يؤاخذني لم يغلبني سيدي . والحمد لله الذي أرجوه أيام حياتي ،

(١) وكذا ورد في الأصل . وفي القمذ القريد (ج ١ ص ٢٩٥) : «... وبسط يده اليسرى وأشار

٢٠ بإصبعه من يده اليمنى... الخ» . وفي نهاية الأرب لتويري (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عما هنا في أكثر الألفاظ . (٢) في الأصل : «حتى» وهو محريف .

وهو ثَمَرِي في آخرتي ، ولو رجوتُ غيره لَأَقْطَعُ رِجْلِي . والحمد لله الذي يُبْسِي
أبوابَ الملوك مغلقةً دوني ، وبأبه مفتوحٌ لكلِّ ما شئتُ من حاجاتي بغيرِ شفيع
فيقضيا لي . والحمد لله الذي أخْلَوْه في كلِّ حاجتي ، وأضْعُ عنده سري في أيّ
ساعة شئتُ من ساعاتي . والحمد لله الذي يُحِبُّبُ إليّ وهو عَنِّي غَيٌّ ، فربِّي أَحَدُ
شيءٍ عندي وأَحَقُّ بجمدي .

وكان من دعاء يوسف : ” يَاعْدَتِي عندَ كَرْبِي ، وَيَا صَاحِبِي في وَحْدَتِي ،
وَيَا غِيَاثِي عندَ شِدَّتِي ، وَمَفْرَجِي عندَ فَاقَتِي ، وَرِجَائِي إِذَا انْقَطَعَتْ حِيلَتِي ، يَا مُلْهِي
وَالِهَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، اجْعَلْ لِي فَرْجًا وَمَخْرَجًا وَأَقْضُ حَاجَتِي “ .

وكان نَبَأُ بنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ : ” اللَّهُمَّ لَا تُؤْذِنِي بِعُقُوبَتِكَ ، وَلَا تَمَكِّرُنِي فِي حِيلِكَ ،
وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِتَقْصِيرِي عَنْ رِضَاكَ ، عَظِيمَ خَطِيئَتِي فَأَغْفِرْ ، وَبَسِيرَ عَمَلِي فَتَقَبَّلْ ،
كَأَنَّكَ تَكُونُ مَشِيئَتَكَ ، وَإِذَا عَزَمْتَ بِمَضَى عَزْمِكَ ، فَلَا الَّذِي أَحْسَنَ اسْتَفْعَى
عَنكَ وَعَنْ عَوْنِكَ ، وَلَا الَّذِي أَسَاءَ اسْتَبَدَّ بِشَيْءٍ يُخْرِجُ بِهِ مِنْ قُدْرَتِكَ ، فَكَيْفَ لِي
بِالنَّجَاةِ وَلَا تَوْجِدُ إِلَّا مِنْ قَبْلِكَ ! اللَّهُ الْإِنْبِيَاءُ ، وَوَلِيُّ الْإِنْبِيَاءِ ، وَبَدِيعُ مَرْتَبَةِ
الْكَرَامَةِ ، جَدِيدُ لَا يَسِيلُ ، حَظِظٌ لَا يَنْتَمِي ؛ دَائِمٌ لَا يَبِيدُ ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، يَقْظَانُ
لَا يَنَامُ ؛ بِكَ عَرَفْتُكَ ، وَبِكَ أَهْتَدَيْتُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَذْرِ مَا أَنْتَ ؛ فَتَبَارَكْتَ
وَتَعَالَيْتَ “ .

قال الأزدِيُّ حَدَّثْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّضْرِ الْحَارِثِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال : ” لَا تَقْطَعُوا الشَّهَادَةَ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلَةِ فَإِنَّهُ مِنْ يَقْطَعُ الشَّهَادَةَ عَلَيْهِمْ فَأَنَا مِنْهُ “

(١) في الأصل : « مره » وما أُنْبِئناه هو الأنسب بِالْمَقَامِ .

(٢) في الأصل : « تسير » .

يرى^(١) إنا لله كسمنا ما يصنع بأهل القبلة^(١)». وقال : «من علم آية من كتاب الله أو كلمة من سنة في دين الله حثا الله له من الثواب حثوا» .

قال وقال الأوزاعي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «اللهم إني أسألك التوفيق لمحبابك من الأعمال وحسن الظن بك وصدق التوكل عليك» .

- محمد بن بشر العبدي قال حدثنا بعض أسياننا قال : اعتمر على طيه السلام
 فرأى رجلا متملعا بأستار الكعبة وهو يقول : يا من لا يشغلُه سمعٌ عن سمع ، ولا
 تُنلِطُه المسائل ، ولا يُبرمه إلحاحُ المصعين ؛ أَدْنَيْ بَرْدَ عَفْوِكَ وحلاوة مَغْفِرَتِكَ ؛
 فقال عليّ : والذي نفسي بيده ، لو قلتها وعليك ملءُ السموات والأرضين ذنوبا
 لَغُفِرَ لك .

- دعا أعرابي عند الملتزم فقال : اللهم إنا لك على حقوقا فتصدق بها عليّ ،
 والناس قِيلَ تَبَعَاتٍ فَحَمَلَهَا عَنِّي ، وقد أوجبت لكل ضيف قَرَى ، وأنا ضيفُك
 فأجعل قَرَايَ اللبيلة الجنة .

وقال آخر : اللهم إليك خرجت ، وما عندك طلبت ، فلا تحرمني خير ما عندك
 لشر ما عندي . اللهم وإن كنت لم ترحم نصبي وتعي فلا تحرمني أجر المصاب على
 مصيئته .

١٥

(١) حثاه : أعلاه . (٢) كذا في الأصل والخلصة وتهذيب التهذيب . وجاء في تقريب
 التهذيب : «محمد بن بشر العبدي» . (٣) لا تنلطه : لا ترققه في النطق ، وهو من قولهم :
 أغلظه إذا أرققه في النطق . (٤) لا يبرمه : لا يمله ولا يضجروه . (٥) الملتزم هكذا ضبطه
 صاحب المصباح في مادة «لزم» فقال «واللزمته : اعتقته فهو ملتزم ومعه يقال لما بين باب الكعبة والحجر
 الأسود الملتزم لأن الناس يستقوه أي يضمونه إلى صدورهم» .

٢٠

وقرأت في كتاب لشيخ لنا : اللهم إنه من تبتاً أو تبتاً ، وأعدت وأستعد لوفادة مخلوق رجاء ربيده وطلب نيله ، فإن تبتى وتبتى وإعدادى واستعدادى لك رجاء ربيدك وطلب نائك الذى لا خطر له ولا مثل . اللهم إني لم آتاك بعمل صالح قدمته ، ولا شفاعه مخلوق رجوته ، أتيتك مفراً بالظلم والإساءة على غمى ، أتيتك باقى لا حجة لى ، أرجو عظيم عفوك الذى عدت به على الحقاتين ، ثم لم يمنك عكوفهم على عظيم الجرم أن جئت لهم بالمغفرة . فيا من رحمته واسعة ، وفضله عظيم اغفر الذنب العظيم .

ابن عائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرقاشى : اللهم لا تدخلنا النار بعد إذ أسكنت قلوبنا توحيده ، وإني لأرجو ألا تفعل ، وإن فعلت لتجمعن بيننا وبين قوم عاديناك فيك .

بلغنى عن ابن عينة عن أبى حازم قال : لآماً من أن أمتع الدعاء أخوف منى من أن أمتع الإجابة .

أشدنا محمد بن عمر لبعض الشعراء فى وصف دعوة :

وسارية لم تفر فى الأرض تجنى * تحلاً ولم يقطع بها اليد قاطع
سرت حيث لم تفر الركاب ولم تنغ * لوزد ولم يقصر لها القيد مانع
تحل وراء الليل والليل سافط * بأرواقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء ودونها * إذا قرع الأبواب منه قارع

(١) الخطر بالتحريك : التطير والمثل .

(٢) فى المقدم الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « تظل ... »

(٣) فى المقدم الفريد : « ... لوفدها ... الخ » .

إذا أوفدت لم يرد الله^(١) وفدها * على أهلها والله راء وسامع
وإني لأرجو الله حتى كأني^(٢) * أرى يجيل الظن ما الله صانع
وقال آخر :

وإني لأدعو الله والأمر ضيق * على ما ينفك أن يتفرجاً
ورب قتي سدت عليه وجوهه * أصاب له في دعوة الله تحرجاً
ونحوه :

إذا تضايق أمر فانتظر فرجاً * فأضيق الأمر أدناه من الفرج

أخذ لرجل من العرب مال فكتب إلى أخيه : يا هذا ، إن الرجل ينام على
الثكل ، ولا ينام على الحرب^(٣) ، فلما رددته ، وإما عرضت أسماك على الله تعالى كل
يوم وليلة خمس مرات .

قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبي فكتب إلى بكر بن عبد الله يسأله أن
يدعوه ، فكتب إليه بكر : يحق لمن عمل ذنباً لا حذر له فيه ، وتوقع موتاً لا بد له
منه ، أن يكون رجلاً مشفقاً ، سادعوك ، ولست أرجو أن يستجاب لي بقوة
في عملي ، ولا براءة من ذيب ، والسلام .

خلف بن تميم عن عبد الجبار بن كليب قال : قال لنا إبراهيم بن أدهم حين
عرض لنا السبع : قولوا : اللهم احسننا بينك التي لاتنام ، وأجعلنا في كفك الذي
لا يرام ، وآرحنا بقدرتك علينا ، لا تهيك وأنت رجلاؤنا ، قال خلف : فما زلت أقولها
مذ سمعتها ، فما عرض لي قط لص ولا غيره .

(١) في العقد الفريد : * إذا سألت لم يرد الله سؤالها * (٢) في العقد الفريد (ج ١

مر ٣٩٨) : « ... كأنما ... » (٣) الحرب بالتحريك : أن يلبس الرجل ماله كله ويرك
بلا شيء . (٤) هكذا ورد في الأصل ولم نوفق إلى تحقيق هذا الاسم في كتب القرايم التي بين أيدينا .

قال أعرابي : من أقام بأرضنا فليكثر من الاستغفار ، فإنَّ مع الاستغفار
الْقَطَارُ^(١) .

بلغني عن موسى بن مسعود النّهدي^(٢) عن سفيان الثوري عن قدامة بن حَمَاطَةَ
الضَّبِّي عن خالد بن منجَاب عن زياد بن حُدَيْر الأسدي أن العلاء بن الحضرمي
عبر إلى أهل دَارِينَ البحر بهذه الكلمات : يا حليم يا حكيم يا علّ يا عظيم .

حدثني محمد بن عُبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن هشام الدستوائي^(٣) عن
حماد عن إبراهيم عن عبد الله في الرجل إذا أراد الحاجة صلى ركعتين ثم قال : اللهم^(٤)
إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر
ولا أقدر ، وتملك ولا أملك ، وتعلم ولا أعلم ، إن كان هذا الأمر الذي أريده
— وتسميه — خيراً لي في ديني وخيراً لي في معيشتي وخيراً لي فيما أبتغي فيه الخيرية
فيسره لي وبارك لي فيه ، وإن كان شراً لي في ديني وشراً لي في معيشتي وشراً لي
فيا أبتني فيه الخير فأصره عني ويسر لي الخير حيث كان ثم رَضَني [به]^(٥) .

(١) القطار بالضم : السحاب العظيم القطر .

(٢) في الأصل : « المهدي » بالهم وهو تحريف من التامع صوابه ما أئتمناه كما في تهذيب
التهذيب والخلاصة وتحريب التهذيب . (٣) في الأصل : « جذير » بالهم وهو خطأ والتصويب
عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلاصة . (٤) دارين : فرض البحر ينحجب إليها
المسك من الهند . (انظر ياقوت) . (٥) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سببر البكري
البصري الدستوائي فتح المال وسكون السين وضع اللام . نسبة إلى دستوا بالقصر وتعد : كورة من كور
الأهواز كما في تهذيب التهذيب والخلاصة ومعجم ياقوت . وقد ضبطه صاحب القاموس بضم اللام .
وقال في النسبة إليها : دستوائي ودستواني . (٦) ورد هذا الدعاء في نهاية الأرب (ج ٥
ص ٢٢٦) باختلاف في بعض الكلمات وزادات عما هنا . (٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دُعاء بعض الصالحين : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ قَوَّيَ عَلَيْهِ بَدَنِي بِمَا فَيْتَنَيْتَنِي ، وَنَالَته يَدِي بِفَضْلِ نِعْمَتِكَ ، وَأَتَبَسَّطْتُ إِلَيْهِ بَسْعَةَ رِزْقِكَ ، وَأَحْتَجَبْتُ فِيهِ عَنِ النَّاسِ بَسْتَرِكَ ، وَأَتَكَلَّتُ فِيهِ عَلَى أَتَانِكَ وَحَامِكَ ، وَعَوَّلْتُ فِيهِ عَلَى كَرِيمِ عَفْوِكَ .
الأوزاعي قال : من قال : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَبَيَّنْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا وَعَدْتُكَ مِنْ نَفْسِي وَأَخْلَفْتُكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا أَرَدْتُ بِهِ وَجَهَكَ فَنَاقَلْتَهُ مَا لَيْسَ لَكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلنِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ أَوْ مَعْصِيَةٍ ارْتَكَبْتُهَا » غفر الله له ولو كانت ذُنُوبُهُ بَعْدَ وَرَقِ الشَّجَرِ ، وَرَمِلِ عَالِجٍ ، وَقَطَرِ السَّمَاءِ .

وكان مُطَرِّفٌ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ السُّلْطَانِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا تَجْرِي بِهِ أَفْلا مُهُمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ قَوْلًا حَقًّا فِيهِ رِضَاكَ أَنْتَسُّ بِهِ أَحَدًا سِوَاكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَرْتَنَ لِلنَّاسِ شَيْءٌ يَسْتَيْبِنِي ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ عِبرَةً لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ أَسْعَدَ بِمَا طَلَبَنِي مِنِّي ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْتَفِيتَ بِمَعْصِيَةٍ لَكَ مِنْ ضُرٍّ يَصِيبُنِي .

الأزدی عن عبد الواحد بن زيد قال : شهدتُ مالکَ بنَ دینارٍ يوماً وقيل له :
يا أبا يحيى أدع الله أن يسقينا ، قال : تستبطئون المطر ! قالوا : نعم ، قال : إنني والله أستبطئُ الحجارة .

قال أبو كعب : سمعتُ عطاءَ السَّليبي يقول : اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبِي فِي الدُّنْيَا ، وَمَصْرَعِي عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَوَحْدَتِي فِي الْقَبْرِ ، وَمُقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ .

(١) عالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل متراكم ومتداخل بعضه في بعض .

(٢) كذا في الأصل - ولم نشر على اسم عبد الواحد بن زيد في المراجع المتلخصة التي تحت أيدينا ماخبار الرواة والتراجم ، ولعله «عبد الواحد بن زياد» لوروده كثيرا في المصادر المتقدمة .

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدثنا
 زهير عن زبيد اليامي^(١) عن مرة عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم
 كما قسم بينكم أرزاقكم، إن الله يؤتي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يؤتي
 الإيمان إلا من يحب. فمن ضنَّ بالمال أن ينقعه، وهاب العدو أن يجاهدَه، والليل
 أن يكابده فليكثر من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

ومن جامع الدماء : اللهم أغني بالعلم، وزيني بالحلم، وجملي بالعافية، وأكرمني
 بالتقوى .

وكان من دعاء أبي الحبيب : اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فتعجز، ولا إلى الناس
 فتضيع، اللهم اجعل خير عمل ما قارب أجل .

ومن دعاء عمرو بن عبيد، اللهم أغني بالافتقار إليك، ولا تمنني بالاستعانة عنك .

ابن طائفة عن سلام بن أبي مطيع قال : سمعت ابن عون يقول : كانوا
 يستحبون من الدعاء : اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمتك لعبيدك وإمائك ،
 أنا الذليل ولا أنتصر، وأنا الظالم ولا اعتذر، عملت سوءاً وظلمت نفسي وإلا
 تفقرت وتزجني أكن من الخاسرين، فآتمها ابن عون حتى أجش بالبكاء .

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اجعلني لك شكاراً ، لك ذكراً ، لك
 رهباً ، لك مطيعاً ، إليك مخبتاً ، لك أذاها متبياً ، رب تقبل توبتي وأغسل حوبتي
 وأجب دعوتي وثبت حجتي وأهد قلبي وسدد لساني » .

(١) في الأصل : « النامي » بالتون وهو تحريف وصوابه « الهامي » نسبة إلى يام : بطن من مدنان ،
 كما تقدم في صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد . (٢) أجش بالبكاء : هم به ونهيا له .

المناجاة

- حدثني عبد الله بن هارون عن سليم بن منصور عن أبيه قال : كنت بالكوفة^(١)
فخرجت في بعض الليل لحاجة وأنا أظن أني قد أصبحت فإذا علي ليل فلت
إلى بعض أبوابها أنتظر الصبح فسمعت من وراء الباب كلام رجل وهو يقول :
• فوعزتك وجلالك ما أردت بمصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا
بتكالك جاهل ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مستعفف ، ولكن سؤلت لي نفسي ،
وأعانتني على ذلك شقوتي ، وغرني سرك المرتضى علي ، فمصيتك بجهل وخالفتك
بجهل ، فالآن من عذابك من يستغفرك وبجبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني ،
فواسمأناه من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للخفيين : جؤزوا ، وللثقلين :
• حطوا ، أفعم المثقلين أسط أم مع الخفيين أجوز ! ولي ! كلما كثرت سني كثرت
ذنوبي ، ولي ! كلما طال عمري كثرت معاصي فرب كم أتوب ! وفي كم أعود !
أما آن لي أن استحي من ربي ! .

- بلغني عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي المانكة قال : كان داود النبي
عليه السلام يقول في مناجاته : سبحانك إلهي ! إذا ذكرت خطيبتي ضاقت علي
الأرض برحبها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روعي ، سبحانك إلهي ! أتيت
• أطباء عبادك ليدأوا لي خطيبتي فكلمهم عليك يذلني .

- حدثني بعض أشياخنا قال : كان داود الطائي يقول : هك مطل علي
الهموم ، وحالف بني وبين الشهداء ، وشدة الشفق من لقاءك أوبق علي الشهوات ،
•

- (١) في النقد القديم (ج ١ ص ٢٩٤) : « وكان آخر يدع يرفقات : يا رب لم أصك
إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف في بعض الكلمات وقص عما هنا .
• (٢) أوبق : حبس . (٣) كذا في الأصل ولعلها " عني " ليستقيم المعنى .

ومنعى اللذات ، فانا في طلبك أيها الكريم مطلوب^(١) . وقال : تعبد ضيفم قائما حتى أقيد ، وقاعدا حتى آستلق ، ومُستلقيا حتى أُغيم ؛ فلما جهد رفع بصره إلى السماء وقال : سبحانك ، عجباً للخلقة كيف أرادت بك بدلا ! وسبحانك ، عجباً للخلقة كيف آستنارت قلوبها بذكر غيرك ! وعجباً للخلقة كيف آتست بسواك .

• عتبة أبو الوليد قال : كانت امرأة من التابعين تقول :

سبحانك ، ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله ، سبحانك ما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه .

أبو الحسن قال : كان عمرو بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قُطعت رجله [ومات أبنه^(٢)] : كانوا أربعة ، يعنى بنيه ، فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة ، وكنت أربعا يعنى يديه ورجليه ، فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثة ، ليمتكن^(٣) لأن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت أبليت لقد عافيت .

وفي حديث بنى إسرائيل أن يونس عليه السلام قال لجليل عليه السلام : دُلّنى على أعبد أهل الأرض فدلّنى على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه ، وذهب ببصره ، فسمعه يقول : متعتنى ما شئت ، وسلبتنى حين شئت ، وأبقيت لى فيك الأمل يا بارأ يا وصول .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهم اقطع حوائجى من الدنيا بالشوق إلى لقاءك ، واجعل قوة عيى في عبادتك ، وأرزقنى غم خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعود ، اللهم إنك تعلم ما يُصلحنى في دنياى وآخرتى فكن بى حفيّا^(٤) .

(١) فى الأصل : « مطلوباً » وفراود اللفظ تقتضى ما أثبتناه . (٢) التكة عن المقد

الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) ليمتك : بمعنى قولم : بين الله .

(٤) الحفى : اللطيف الباز المبالغ فى الإكرام .

باب البكاء

حدثني أبو مسعود الدارمي^(١) قال حدثني جدي عن أنس بن مالك قال : جاء
 قتي من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [وقال]^(٢) : إن أمي تكثر البكاء
 وأخاف على بصرها أن يذهب ؛ فلو آتيتها فوعظتها ! فذهب معه فدخل فقال لها
 في ذلك ؛ فقالت : يا رسول الله ، أرايت إن ذهب بصرى في الدنيا ثم صرت إلى
 الجنة ، أبيدني الله خيرا منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى في الدنيا
 ثم صرت إلى النار ؛ أفعيد الله بصرى ؟ فقال النبي عليه السلام للنبي : « إك أملك
 صديقه » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي عن
 ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعين لا تمسها النار ؛ عين حرس في سبيل الله ؛ وعين
 سهرت في كتاب الله ؛ وعين بكت في سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن العتيبي قال حدثنا أبو إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل
 فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء ، وأنشد :

فلئن بكيتاه يحق لنا * ولئن تركنا ذاك للكبر^(٣)

فلمثله جرت العيون دما * ولمثله جمعت فلم تجر^(٤)

(١) لم نثر على هذه النسبة في الكتب التي بين أيدينا فينبى كنية أبو مسعود (أنظر الحاشية رقم ٣
 ص ٢٧٧ من هذا المجلد فيما تقدم) . (٢) زيادة يقتضها السياق .

(٣) ورد في الأصل : « أليه » وهو تحريف لأن الأوزاعي من روى عنه (أبو إسحاق الفزاري)
 ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الفزاري أيضا فيمن حيث أنه

(أبو إسحاق) هو المقصود في هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وج ٦ ص ٢٣٨)
 وأنظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (٤) يوجد في الأصل كلمة « الصبر »
 فوق كلمة « الكبر » ولعلها رواية نسخة أخرى .

بلغني عن أبي الحارث الليث ^(١) بن مسعد عن أبيه عن ابن أبي قتيبة عن أبي قتيبة
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو
ابن تَمَانِي حجج ، فنظر إلى عِبَادِ بيت المقدس قد لبسوا مدارع الشعر ، وبرانس
الصوف ، ونظر إلى متعبدتهم أو قال مجتهدتهم قد خرقوا التراقي ، وسلكوا فيها
السلاسل ، وشدوها إلى حنايا بيت المقدس ، فهاله ذلك ؛ فخرج إلى أبويه فتر
يصبيان يلعبون فقالوا : يا يحيى هلم فلنلعب قال : إني لم أخلق للعب ، فذلك قول
الله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبَاءً ﴾ فأتى أبويه فسالهما أن يدرعاه الشعرَ ففعلوا ،
ثم رجع إلى بيت المقدس فكان يخلعه نهارا ويصبع فيه ليلا ، حتى أتت له
خمسة عشرة سنة ، وأتاه الخوف فراح وزم أطراف الأرض وغيّر الشعاب ،
ونرج أبواه في طلبه فوجداه حين نزلا من جبال التيه على بحيرة الأردن وقد قصد
على شفير البحيرة وأهق قدميه في الماء ، وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزيتك
لا أنفوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك ! فساله أبواه أن يأكل قُرصا
كان معهما من شعير ، ويشرب من الماء ففعل وكفر عن يمينه فُدِحَ بالبر ؛ قال
الله عز وجل : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ وردّه أبواه إلى بيت المقدس ،

- ١٥ (١) في الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ؛ إذ هو الليث بن مسعد
ويكنى بأبي الحارث . وما يزيد ما ذهبنا إليه أن بن لجة ومن بعده روى عنهم الليث بن سعد ولدا
تزوج فدنا أن ما ورد في الأصل خطأ صوابه ما أتينا به . راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ وج ٨
ص ٤٥٩) وطبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٤ طبع « لندن » سنة ١٨٣٨) . وورد
في الأصل : « أبي لجة » وهو تحريف والتصويب من المصادر المتقدمة . (٢) في قصص
الأنبياء (ص ٢٨٨) : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زهد يحيى أنه أتى
بيت المقدس ... الخ » . ووردت فيه هذه القصة باختلاف في بعض الألفاظ وزادات عما هنا .
(٣) في قصص الأنبياء : « ... وشدوها بها إلى سوارى المسجد » . (٤) غير أن : جمع
غار وهو ما يضت في الجبل كالقنطرة يأوى إليه الوحوش فإذا اتسع قيل له : كهف .

- فكان إذا قام في صلاته بكى ، وبكى زكراً لبكائه حتى يُسقى عليه ، فلم يزل كذلك حتى خرقت دموعه لحَمَّ خَدَيْهِ ، وبَدَتْ أَسْرَاسُهُ ، فقالت له أمه : يا يحيى ، لو أذنت لى لأتخذتُ لك لَيْدًا لِيُوَارِيَ أَسْرَاسَكَ عن الناظرين ؛ قال : أنتِ وذاك ، فَعَمَدْتُ إلى قِطْعَتِي لِيُبْدِيَ فَاَلصِقْتُهُمَا على خَدَيْهِ ، فكان إذا بكى استنقعت دموعه في القطعتين فتقومُ إليه أمه فتعصرُهما بيديها ، فكان إذا نظر إلى دموعه تجري على ذراعَي أمه
- قال : اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين .

- بَلَّفَى عن أبى معاوية عن أبى إسحاق النخعي^(١) قال كان يزيد الرقاشي يقول :
ويحك يا يزيدُ ! مَنْ يَصُومُ عَنْكَ ! مَنْ يَصَلِّي عَنْكَ ! وَمَنْ ذَا يَرْتَضَى لَكَ رَبَّكَ مِنْ
بَسَدِكَ ! ثم يقول : يا معشر من الموت موعده ، والقبر بيته ألا تبكون ! قال :
- فكان يبكى حتى تسقط أشْفَارُ صِنِيهِ .
- ١٠

- بَلَّفَى عن محمد بن فضال عن العلاء بن المسيب عن الحسن قال : قال
النبي صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَةٍ دَرِمَ
فِي سَبِيلِهِ وَقَطْرَةٍ دَمِعَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَتِهِ ، وَمَا مِنْ بَرَّةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ
مِنْ بَرَّةٍ مَصِيْبَةٍ مُوجِعَةٍ رَدَّهَا بِصَبْرٍ وَحُسْنِ عِزَاوَةٍ ، وَجَرَّةٍ غِيْظٍ كَلَّمَهَا »
- مُعْتَمِر بن سليمان عن رجل قال : كان في وجْهِي آبن عباس خطَّان من أثر
- الدموع .
- ١٥

- (١) في هامش تهذيب التهذيب ما نصه : « والنخعي فتح المجنة وكر السنين المهمة كذا في الخلاصة والتعريب » وفي هامش الخلاصة « أن السماعي صاحب الأنساب ضبطه بضم الحاء المهملة وفتح الميم ومكون الياء التحتانية ثم مهملة مكسورة وهكذا في لب الباب » . (٢) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) وهو ما يقتضيه نص الفقه ، ففي تاج العروس : « الشفر بالضم ويفتح : أصل منبت الشعر في البطن ويجمع على أشفار ، قال سيويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفي الأصل : « شفار » .
- ٢٠

حدثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير قال حدثنا سيار عن جعفر قال :
كنت إذا أحسست من قلبي بقسوة أتيت محمد بن واسع فنظرت إليه نظرة قال :
وكنت إذا رأيت وجهه حسبت وجهه ثكلتي .

وكان يقال : أخوك من وعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه .

٥ . تكلم الحسن يوما حتى أبكى من حوله فقال : ^(٢) عجيب كمجيج النساء ولا عزم ،
وخدعة فلدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً فيكون .

أبو عاصم قال : فقد مالك بن دينار مصحفه في مجلسه ؛ فنظر إليهم كلهم
فيكون ؛ فقال : كلهم يبي ! فمن سرق المصحف ؟ .

قال عبد العزيز بن مرزوق : الكد أبقى للهنز ؛ وكانت له شعيرات في مقدم
صُدغته فإذا رقى تنفها أو مدّها إلى فوق تنقلص دمعته .

١٠ . قيل لغالب بن عبيد الله ^(٣) : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء ؛ فقال :
هو لها شهادة ؛ قال بعض الشعراء :

سأبكيك حتى تُنفد العين ماعها • ويسفي مني الدمع ما أتوجع
وقال بعض الكُتّاب في مثله :

١٥ . إبك فمن أنفع مافي البكا • أنه للأحزان تسهيل
وهو إذا أنت تأملتَه • حزنٌ على الخدين محلول

قيل لغيره العابدة : ألا تسأمين من طول البكاء ؟ فبكت ثم قالت : كيف
يسأم ذو داءٍ من شيء يرجو أن يكون له فيه من دائه شفاء ! .

(١) كذا في الأصل ، وله عرف عن «داود» . (٢) السجج : الصياح ووقع الصوت .

(٣) كذا في الأصل وفي طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفي العقد الفريد (ج ١

ص ٣٨٤) والبيان والبيان (ج ٣ ص ٨١) : «غالب بن عبد الله» .

قال ابن أبي الحواري: رأيت أبا سليمان الداراني يبي، فقلت له: ما يُبيك؟ فقال: إنما أبكي لذلك الهم الذي ليس فيه فرح، وذلك الأمد الذي ليس له انقطاع.

قال بعضهم: أتيت الشام، فررت بدير حرملّة، وبه راهب كان عينه عدلاً مزّاداً، فقلت: ما يُبيك؟ فقال: يا مسلم، أبكي على ما فرطت فيه من عمرى، وعلى يوم مضى من أجل لم يتبين فيه عمل. قال: ثم مررت بعد ذلك فسألت عنه فقالوا: أسلم وغرّاً قُتِل في بلاد الروم.

أشعث قال: دخلت على يزيد الرقاشي فقال لي: يا أشعث، تعال حتى نبكي على الماء البارد في يوم الظما، ثم قال: والمفاه! سبقني المابدون وقُطِع بي؛ وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة.

زيد الحميري قال: قلت لثوبان الراهب: أخبرني عن بُس النصارى هذا السوداء، ما المعنى فيه؟ قال: هو أشبه بلباس أهل المصائب؛ قال فقلت: وكلّم معشر الراهبان قد أصيب بمصيبة؟ فقال: يرحمك الله! وأى مصيبة أعظم من مصائب الذنوب على أهلها! قال زيد: فلا أذكر قوله ذلك إلا أبكاني.

ابن أبي الحواري قال: دخلت على أبي سليمان وهو يبكي، فقلت: ما يُبيك؟ قال: يا أحمد، إنه إذا جئ الليل وهدأت العيون وأنس كل خليل بخيله، فرش أهل المحبة أقدامهم، وجرّت دموعهم على خدودهم يُسمع لها وقع على أقدامهم، وقد أشرف الجليل عليهم فقال: بيني من تأنّذ بكلامي وأستراح إلى، فإ هذا البكاء الذي أراه منكم! هل أخبركم أحد أت حبيبا يعلّب أحياءه! أم كيف أبكت

(١) في النقد الفريد: «لم يحسن فيه عمل» (٢) هكذا في الأصل، وفي النقد الفريد

«أبرزيد الجوى» (٣) في النقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨): «وقال أبرزيد» ٢٠

قوما، وعند البيات أجدكم وقوا يمتلقون! في حلفتُ أن أكتشفَ لهم يومَ القيامة عن وجهي ينظرون إلى .

قالت خنساء : كنتُ أبكى لصخر من القتل ، فانا أبكى له اليوم من النار .

قال عمر بن ذر لأبيه : يا أبيت ، مالك إذا تكلمت أبكيت الناس ، وإذا تكلم غيرك لم يسكهم ؟ فقال : يا بني ، ليست النائحة التكل مثل النائحة المستأجرة .

وفي بعض ما أوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه : هب لي من قلبك الخشوع ، ومن بذك الخشوع ، ومن عينك الدموع ، وأدعني ، فإني قريب .

وكان عمر يقول : استغفروا العيون بالندب .

التهجد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني معمر والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير^(١) عن أبي سلمة عن أبي زمعة بن كعب الأسلمي قال : كنتُ أبيتُ عندُ شجرة النبي صلى الله عليه وسلم فكانتُ أسمعُ ، إذا قام من الليل ، «سبحانَ الله ربَّ العالمين» الهوى^(٢) من الليل ، ثم يقول : «سبحانَ الله وبحمده» الهوى .

حدثنا حسين قال حدثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة قال : سمعتُ المغيرة بن شعبة يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توزمت قدامه ،

(١) في الأصل : «يحيى بن أبي كثير» وهو مخريف . والتصويب من تهذيب التهذيب والمخلاصة وتقريب التهذيب . (٢) الهوى بالفتح : الحزن الطويل من الزمان ، وقيل هو غصص بالليل . (لسان العرب) . (٣) في الأصل : «زياد عن علاقة» باقيا . وهو خطأ سواء «زياد بن علاقة» كما وضهنا . (راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٣٨٠ وج ٤ ص ١١٧ وج ١٠ ص ٢٦٢ وطبقات ابن سعد (ج ٦ ص ٢٢١) .

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْتِرُ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عِبْدًا شُكْرًا».

حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَّانِيِّ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَصَلِّي وَلِجُوفِهِ أَزْيَرُكَازِيرُ الْمَرْجَلِ.

بَلَغَنِي عَنْ رَبَاحٍ عَنْ مُعْتَمِرٍ عَنْ رَجُلٍ قَدْ سَمَاءَ قَالَ: قَالَ يَزِيدُ الرَّقَّاشِيُّ: إِذَا أَنَا نَمْتُ ثُمَّ اسْتَيْقِظْتُ ثُمَّ نَمْتُ فَلَا نَامَتْ عَيْنَايَ، وَعَلَى الْمَاءِ الْبَارِدِ السَّلَامُ. يَعْنِي بِالنَّهَارِ.

وَرَوَى جَرِيرٌ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ: قَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ هَلَالٍ التَّقْفِيُّ: لَا يَشْهَدُ عَلَى لَيْلٍ بَنُومٌ وَلَا شَمْسٌ بِإِفْطَارٍ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ لِيُفْطِرَ الْعِيدَيْنِ.

وَرَوَى حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَلَطِيِّ عَنْ جَدِّهِ عُثْمَانَ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: كَانَ يَقُولُ لِأَهْلِهِ: يَا أَهْلَاهُ، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ، إِنَّهُ مِنْ يَسْبِقُ إِلَى الْمَاءِ يَظْمَأُ، يَا أَهْلَاهُ، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ، إِنَّهُ مِنْ يَسْبِقُ إِلَى الظِّلِّ يَقْضَى.

قَالَ أَبُو سَلْيَانَ الدَّارَانِيُّ: أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَدٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ، وَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ.

نُحْرِجُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْحَوَارِيِّينَ، وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى وَجْهِهِمُ النُّورُ، فَقَالَ: يَا أَبْنَاءَ الْآخِرَةِ، مَا تَنْتَمُّونَ إِلَّا بِفَضْلِ نَعِيمِكُمْ.

(١) حَكَاهُ فِي الْأَسْلَى، دَامَ نَوْفَقُ إِلَى مُحَقِّقِ هَذِهِ الْقِسْمَةِ لَمْ يَسْمَعْ «عُبَيْدَةَ بْنَ هَلَالٍ» وَلَمْ نَمُرْ عَلَيْهِ لَا فِي كِتَابِ تَرْاجُمِ الرِّوَاةِ وَلَا فِي كِتَابِ الْأَنْسَابِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا؛ وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٣ ص ٨٠): «... عَنْ عُبَيْدَةَ التَّقْفِيِّ...» (٢) الْبَاءُ بِالْقَتَحِ؛ كَمَا مِنْ صَوْفٍ مَفْتُوحٍ مِنْ قَدَامٍ يَلِيسُ فَوْقَ الْثِيَابِ.

وقيل الحسن : ما بأل المتجهدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره ^(١).

حُصَيْن بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلٌ يقال له همام يقول :
اللهم آشفني من النوم باليسير، وأرزقني سهراً في طاعتك . وكان يُصبح وجمته
مُرجلة ؛ فيقول بعضهم لبعض : إن جمّة همام تحبكم أنه لم يتوسدها الليلة .

قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه . وكان بعضهم يُحيي الليل ، فإذا نظر إلى الفجر قال : «عند الصباح يَمُدُّ القومُ السرى» ^(٢).

حدثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفضيل بن عياض يدي ثم قال : يا حسين ، يقول الله : كَذَبَ مَنْ ادَّعى عِيتِي وإذا أَجَنَّهُ الليلُ نام عني ، أليس كلَّ حبيبٍ يُحِبُّ خلوةَ حبيبهِ ! هاأنذا مُطْلِعٌ على أَحبائي ، إذا أَجَنَّهُم الليلُ جعلتُ أَبصارهم في قلوبهم ، ومثلتُ نغمي بين أعينهم ، فخطبوني على المشاهدة وكلموني على الحضور .

الوليد بن مسلم قال حدثني عبد الرحمن بن يزيد قال : كُنَّا نعازي عطاء الأنطاساني ^(٣)
فكان يُحيي الليلَ صلاةً ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو أكثر نادانا ونحن في فسطاطنا :
يا عبدَ الرحمن بن يزيد ، ويا يزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز ، قوموا فتوضؤوا ^(٤).

(١) في العقد القدير (ج ١ ص ٢٨٤) : «أسفر نورهم من نوره» . (٢) سموا بهمام بالفتح والتشديد وهمام بالضم والتخفيف . ولم نستطع ضبطه هنا لأنه ورد مجرداً . (٣) الجملة بالضم : مجتمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرعة . (٤) هذا مثل يضرب الرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . (٥) هكذا في الأصل ، والمعنى مع غير مستقيم . ويظهر من سياق الكلام أن كلمة «نعازي» الواردة في الأصل محذوفة عن كلمة «قارئي» من قارأه مقارأة إذا دارسه أي شاركه في الدرس ؛ وربما يلغى فظم الكلام ويستقيم المعنى . (٦) هكذا بالأصل وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب . وفي الخلاصة : «الغازي» بياء بعد الزاي المسجعة .

وصَلُّوا، فَانْتَفَيْمَ هَذَا اللَّيْلَ وَصِيَامَ هَذَا النَّهَارِ أَيْسُرَ مِنْ شَرْبِ الصَّدِيدِ وَمِنْ مَقْطَعَاتِ الْحَدِيدِ، قَالَ لَوْحًا الْوَحَا ثُمَّ النِّجَاءَ النَّجَاءَ، وَيُقْبَلُ عَلَى صِلَاتِهِ .

مَالِكُ بْنُ يَمِينٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ جُعْفَى عَنْ السَّيِّدِ عَنْ أَبِي أُرَاكَةَ قَالَ : صَلَّى عَلَى الْقَدَةِ ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى أَرَفَعَتِ الشَّمْسُ كَأَنَّ عَلَيْهِ كَابَةً، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ أَثَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُسَيِّمُهُمْ، وَاللَّهِ .
إِنْ كَانُوا لَيُصْبِحُونَ شُعْنًا غُبْرًا صُفْرًا، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مِثْلُ رُكْبِ الْمَعْرَى، قَدْ بَاتُوا يَتَلَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ، يَرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ ؛ إِنْ ذَكَرُوا اللَّهَ مَادُوا كَمَا يُمِدُّ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ رِيحٍ، وَأَنَهَمَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تُبِيلَ ثِيَابَهُمْ، وَكَأَنَّهُمْ، وَاللَّهِ، بَاتُوا غَافِلِينَ.. يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَسْتَقِلُّونَ ذَلِكَ .

١٠ الْحَارِثِيُّ عَنْ الْإِفْرَاقِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَقْمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : إِنْ أَهْلَ السَّمَاءِ لَيَرَوْنَ بَيْوتَ أَهْلِ الذِّكْرِ تُضِيءُ لَهُمْ كَمَا تَضِيءُ الْكَوَاكِبُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ .

يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَوْنٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عِيسَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى قَالَ : كُونُوا يَنَابِيعَ الْعِلْمِ، مِفَاتِيحَ الْهُدَى، أَحْلَاسَ الْبُيُوتِ، جُدَدَ الْقُلُوبِ، حُلُقَانَ الثِّيَابِ، سُرُجَ اللَّيْلِ، تُعْرِفُوا فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، وَتَحْفُوا فِي أَهْلِ الْأَرْضِ .

١٥ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزُّهْرَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ الْمَغِيرَةِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ : فِي الرَّجُلِ يَرَى الضُّوْءَ [بِاللَّيْلِ]؛ قَالَ : هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، لَوْ كَانَ هَذَا فَضِيلًا لَأَوْرَثَهُ أَهْلُ بَرٍّ .

(١) كَذَا فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ وَتَهْذِيبِ الْهَيْدِ وَنَحْوِهِمَا خِلَاصَةً فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَالْقَامُوسِ وَنَحْوِهِ، وَفِي الْأَصْلِ :

« مَعُولٌ » بِالْمَعْنِ الْهَمْلَةُ، وَهُوَ عَرِيفٌ . (٢) جَعْفَى : قَبِيلَةٌ مِنْ مَذْحِجٍ . (٣) الْأَحْلَاسُ

٢٠ جَمْعُ حَلَسَ بِكَسْرِ الْحَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ وَهُوَ مَنْ يَلْزِمُ الْبَيْتَ وَلَا يَهْرِبُ مِنْهُ وَالْحَدِيثُ لِلشَّرِيفِ :

« كُونُوا أَجْلَاسَ بَيْوتِكُمْ » أَيْ الزُّبُهَى . (٤) فِي الْأَصْلِ : « تَعْرِفُونَ... وَتَحْفُونَ... » وَتَوَاعَدُ

الْقَدَةِ تَحْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ ؛ لَوْ تَوَعَّدُهُمَا جَوَابًا لِلْأَمْرِ . (٥) التَّكَلُّفُ عَنْ الْعَدَدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٣٨٤) .

الموت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب قال : نظرت إلى عمر بن عبد العزيز فأدمنت النظر إليه ، قال : ما تنظر يا محمد ؟ قلت : أنظر إلى ما أبيض من شعرك ، ونحل من جسمك ، وتغير من لونك ، فقال : أما والله لو رأيته في القبر بعد ثلاثة ، وقد سألت حذقاي على وجنتي ، وسأل منخرأي صديدا ودودا ، لكنت أشد نكرا^(١) .

وقال الأصمعي : دخلت بعض الجباين^(٢) ، فإذا أنا بجارية ما أحسبها أنت عليها عشر سنين ، وهي تقول :

عَدِمْتُ الحَيَاةَ وَلَا تَنْتَهَا * إِذَا كُنْتُ فِي الْقَبْرِ قَدْ أَلْحَدُوا
وَكَيْفَ أَذُوقُ لَذِيذَ الْكَرَى * وَأَنْتَ يَمْنَاكَ قَدْ وَسَّدُوا

قال الأزدي : بلغني أن داود الطائي مرَّ بامرأة تبكي عند قبرٍ وهي تقول :

يَا أَخَاهُ ! لَيْتَ شِعْرِي :
بَأَيِّ حَذِيكَ تَبْدِي الْبَلَى * وَأَيُّ عَيْنِكَ إِذَا سَالَا
فَصِيقَ مَكَانِهِ ثُمَّ تَعَبَّدَ .

حدثني محمد بن مرزوق قال حدثنا محمد بن نصر الميموني قال حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَتَادِيَتْهُنَّ أَيْرُنَ الْمُعْظَمِ وَالْمُحْتَقَرِ
وَأَيْنَ الْمُسْدِلُ بِسُلْطَانِهِ * وَأَيْنَ الْمَرْكُ إِذَا مَا أَقْصَرَ

(١) النكرة (فتح النون والكاف) : اسم من الإنكار . (٢) الجباين جمع جبانة ،

قال : فتوديت من بينها ولا أرى أحدا :

تقاتوا جميعا فاعبى * وماتوا جميعا ومات الخبير

تروح وتقدونبات الثرى * وتنجي حاسن تلك الصور^(١)

فيا سائل عن أناس مضوا * أما لك فيها ترى معسبر

قال : فرجعت وأنا أبكى .

بلغنى أنه قرئ على قبر بالشام :

باتوا على قليل الأجيال تحوسهم * غلب الرجال فلم تنفهم القل^(٢)

وأستزلوا بعد عز من معاقلمهم * فأسكنوا حفرة يابس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما دفينوا * أين الأسرة واليغان والحل^(٣)

أين الوجوه التي كانت محجة^(٤) د من دونها تضرب الأستار والكيل^(٥)

فأفصح القبر عنهم حين ساعلمهم * تلك الوجوه طيب الدود تقتل^(٦)

قد طال ما أكلوا دهرًا وما نيموا * فأصبخوا بعد طول الأكل قدا^(٧) كلوا

وقال آخر :

رب قوم عبّروا من عيشهم * في نعيم وسرور وغنى

سكت الدهر زمانا عنهم * ثم أبكاهم دما حين تطلق

(١) في الإحياء، لنزال : « فمحو... » . (٢) القل : جمع قلّة، وهى أعلى الجبل .

(٣) في تاريخ أبي القدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الآستانة) : « فأغنم » . (٤) في تاريخ

أبي القدا : « منعة » . (٥) الكلال : جمع كلة (بكسر الكاف) وهى السراويل المرفوف

في زمتنا هذا بالناموسية . (٦) في تاريخ أبي القدا : « يقتل » وفي اسم الجنس، كالدرود

منا ؛ يجوز الامران . (٧) في تاريخ أبي القدا : « شربوا » .

نزل الثمان ومعه عدى بن زيد في ظل شجرة عظيمة ليُلْهَو، فقال له عدى بن زيد : أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ، قال تقول :

رَبِّ شَرِبْ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا * يَشْرَبُونَ انْخِرَ بِالمَاءِ الزَّلَالِ
ثُمَّ اخْتَوُوا لَعِبَ الدَّهْرِ بِهِمْ * وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

وقال إبراهيم بن المهدي :

بِالله رَبِّكَ كَمْ بَيْتٍ مَرَرْتُ بِهِ * قَدْ كَانَ يُعْمَرُ بِاللَّدَاتِ وَالطَّرِيبِ
طَارَتْ عُقَابُ المَنَايَا فِي سَقَاتِهِ * فَصَارَ مِنْ بَعْدِهَا لِلْوَيْلِ وَالْحَرْبِ

أنشدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمد

المروضي :

كَيْفَ شَتَّتَ فَقَصْرَكَ المَوْتُ * لَا مَزَالَ عَنْهُ وَلَا قُوْتُ
بَيْنَا غَيَّيْ بَيْتٍ وَبِهِجَّتْ * زَالَ الغَيُّ وَتَقَوَّضَ البَيْتُ

حدثني يزيد بن أسد عن الطنّافسي قال حدثنا أبو محمد قال : كان مالك بن

دينار يخرج إلى القبور كل خميس على حمار قوطراني^(٥) ويقول :

أَلَا هِيَ القُبُورُ مِنْ مَيِّتَةٍ * وَجَوْهُ فِي القُبُورِ أُحْيِيَةٌ
فَلَوْ أَنَّ القُبُورَ سَمِعْنَ صَوْتِي * إِذَا لَأَجِبْنِي مِنْ وَجْهِهِنَّ
وَلَكِنْ القُبُورَ صَمَتْنَ عَنِّي * فَأَبَتْ بِحَسْرَةٍ مِنْ عِنْدِهِنَّ

(١) في الكامل لفرزد (طبع أوروبا صفحة ٢٨٣) : « رب ربك... حولنا * يمزجون... » وفي البيت

الثاني « صيف » بدل « لرب » . (٢) في الأصل : « غفار المنايا » . (٣) قصر ك :

قصاراك وغايتك . (٤) كذلك في الأصل ، ولم نجد في مصدركم مسمى بهذا اللفظ وإنما سموا

يزداد (بالدال) ويزدان (بالنون) . (٥) كذلك في الأصل ولم نوقف إلى هذه النسبة .

ثم يبكي ويبكي .

قال معاوية بن أبي سفيان لمُعيد بن شربة الجرهمي : أخبرت بأعجب شيء رأيته في الجاهلية، فقال : إني نزلت بحج من قضاة فخرجوا بيجازة رجل من عذرة يقال له حُرَيْث وتخرجت معهم، حتى إذا وأروه في حفرة انبثت جانباً عن القوم وعيناي تدرفان ثم تمثلتُ بأبيات شعر كنتُ أروها قبل ذلك بزمانٍ طويل :

تجرى أمورٌ ولا تدري : أوائلها * خيرٌ لنفسك أم ما فيه تأخير^(١)
فأسقِ الله خيراً وأرضين به * فيينا العسرُ إذ دارت مياسيرُ
وبينا المرءُ في الأحياء مغتبطاً * إذ صار في الرمس تغفوه الأعاصيرُ
يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحىّ مسرورُ

قال : وإلى جانبي رجلٌ يسمع ما أقول، فقال لي يا عبد الله، هل لك علمٌ بقاتل هذه الأبيات ؟ قلتُ : لا والله، إلا أني أروها منذُ زمانٍ، فقال : والذي تحلفُ به إن قاتلها لصاحبنا الذي دفناه آنفاً، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسر الناس بموته، وإنك لغريبٌ وبكي عليه كما وصفتُ، فعجبتُ لما ذكره في شعره وما صار إليه من أمره وقوله، كأنه ينظر إلى مكاني من جنازته، فقلت : «إك البلاء موكلٌ بالقول» ؟ فذهبتُ مثلاً .

قال أعرابي : خيرٌ من الحياة ما إذا فقدته أنقضتَ لفقده الحياة، وشرُّ من الموت ما إذا نزل بك أحببتَ لتزوله الموت .

(١) في درة النواصير لعمري (ص ٢٣ طبعة الجواثب) : "وما تدري أعجلها * أدنى لشك"

والأصل ها : ولا يدري أوائلها * خيراً الخ ... وهو تعريف .

وقال أبو زيد :

يَمْلِكُ الْمَرْءُ بِالرَّجَاءِ وَيَضْعِي * غَرَضًا لِلنَّوْنِ نَصَبَ الْعَوْدِ
كُلُّ يَوْمٍ تَرْمِيهِ مِنْهَا بَرَشَتِي * فَصِيبٌ أَوْ صَافٍ غَيْرُ بَعِيدِ^(١)^(٢)

وقال أبو التماهية :

وَعَظَمْتُ أَجْدَادُ صُمْتُ * وَنَعْتُكَ أَزْمَنَةُ خُفْتُ
وَتَكَلَّمْتُ عَنْ أَوْجِهِ * تَبَلَّى وَعَنْ صَوْرَتِي^(٣)
وَأَرْتِكَ قَبْرَكَ فِي الْقَبْرِ * رِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَمْ تَمُتْ

وقال أعرابي : أَبْعَدَ سَفَرًا أَوَّلُ مَنْقَلَةٍ^(٤) مِنْهُ الْمَوْتُ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : مَاتَ
فَلَأَنْ أَمَحَّ مَا كَانَ ؛ فَقَالَ : أَوْ صَحِيحٌ مِنَ الْمَوْتُ فِي عُنُقِهِ ! وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :
إِسْمِعْ فَقَدْ أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ * إِنْ لَمْ تَبَادِرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
بَلْ كُلُّ إِذَا شِئْتَ وَعِشْ نَاعِمًا * آخِرُ هَذَا كَلَّهُ الْمَوْتُ

وكان صالح المزني يقول في قصصه :

مَوْسَلٌ دُنْيَا لَبِئْسَ لَهُ * مَاتَ الْمُؤْمِلُ قَبْلَ الْأَمَلِ
وَبَاتَ يُرَوِّ أَوْسُولَ الْفَسِيلِ * فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلُ^(٥)

وقال مسلم بن الوليد :

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا * وَبَكَى أَحِبَّائِهِمْ ثُمَّ بُعِكُوا
تَرَكُوا الدُّنْيَا لِمَنْ بَعَثَهُمْ * وَنَحْمُ لَوْ قَدَّمُوا مَا تَرَكُوا

(١) الرشق : التلوط من الرى . (٢) صاف السهم عن الهدف : طلعه ولم يصبه .

(٣) كذا في ديوان أبي التماهية طبع بيروت . وفي الأصل والموسوي : « وعن صور سبت » .

(٤) المنقلة (بالفتح) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : صغار النمل .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سُوْقَةٌ * وَرَأَيْنَا سُوقَةً قَدْ مَلَكُوا
قَلْبَ الدَّهْرِ طَلِبُهُمْ وَرَكَا * فَاسْتَدَارُوا حَيْثُ دَارَ الْفَلَكَ
حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ أَنَّهُ قَرِئَ لَهُ يَتَانِ عَلَى جِدَارٍ مِنْ جُدُرِ كَنِيسَةِ
الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ :

• مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا * دَارَتْ نَجُومُ الْمَاءِ فِي الْفَلَكَ
إِلَّا بِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنْ مَلِكٍ * كَانَ يَحِبُّ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ
وَقَالَ آتَسَ :

• مَا أُنْزِلَ الْمَوْتُ حَقٌّ مِثْلَهُ * مِنْ عَدِّ يَوْمٍ أَلَمَ بِأَتٍ مِنْ أَجَلِهِ
وَالصَّبْرُ وَالصَّبْرُ يُلْغَانِ بَيْنَ * كَانَا قَرِيبَيْنِهِ مَتْنِي أَمَلِهِ
١٠ • عَلَيْكَ صَدَقَ اللِّسَانُ مَجْتَهِدًا * فَإِنَّ جَلَّ الْمَسْلَاكُ فِي زَلَلِهِ
وَقَالَ الطَّرِيْمَاحُ :

• فَيَارِبْ لَا تَجْعَلْ وَفَاقِي إِنْ أَتَتْ * عَلَى شَرَجٍ يُعَلَى ^(١) بِذُنُ الْمَطَارِفِ
وَلَكِنْ أَجْزِئِي شَهِيدًا وَعُصْبَةً * يَصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
عَصَائِبٍ مِنْ شَيْءٍ يُؤْلَفُ بَيْنَهُمْ * هُدَى اللَّهِ تَزَالُونَ عِنْدَ الْمَوَاقِفِ
١٥ • إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمْ فَارَقُوا الْأَذَى * وَصَارُوا إِلَى مَوْعِدِهَا فِي الْمَصَاحِفِ
فَأَقْتُلْ قَعْمًا ثُمَّ رُمَى بِأَعْظَمِي * كَفَيْتُنِي انْخِلَا بَيْنَ الرِّيَّاحِ الْمَوَاقِفِ
وَيُصْبِحُ لِحْيَ بَطْنٍ طَيْرٍ مَقِيلَةً * دُونِ الْمَاءِ فِي نَسْوِ عَوَائِفِ ^(٢)

(١) الشرح: النش. (٢) رسمت هذه الجملة في الأصل هكذا: «ولكن أنريوى» - وقد وردت

هذه الأبيات في الأغاني في ترجمة الطرماح باختلاف كثير في الكلمات عما هنا. (٣) في الأغاني

(ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق): «إلى معاد ما في المصاحف» (٤) قصه قصا: قتله مكاذه. ٢٠

(٥) الضفت: قبضة حشيش مغطاة باليابس. (٦) المواقف من الطير: التي تستدير

على الشيء حائفة حوله تريد الوقوع.

وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ قَالَ : أَخَذَ نُوْحٌ بَيْتًا مِنْ حُصٍّ ، فَقِيلَ لَهُ لَوْ بَنَيْتَ بَيْتًا ؟
فَقَالَ : هَذَا لِمَنْ يَمُوتُ كَثِيرٌ .

بُلْفَنِيُّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَانَ إِذَا
رَأَى جَنَازَةً قَالَ : إِغْدِي فَإِنَّا رَائِحُونَ ، أَوْ قَالَ : رَوْحِي فَإِنَّا غَادُونَ ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ لَبِيدٍ :
وَإِنَّا وَإِخْوَانُنَا لَقَدْ تَنَاجَوْا * لِكَاثِمَتَيْ الدَّرَائِمِ الْمَتَهَجِرِ^(١)

بُلْفَنِيُّ عَنْ وَكِيعٍ عَنْ شَرِيكِ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ هِلَالِ بْنِ إِسَافٍ قَالَ : مَا مِنْ
مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَفِي سِرْتِهِ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَوَّلُ
شِعْرِ قِيلَ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا قَوْلُ ابْنِ خَنَاقٍ^(٢) :

هَلْ لَلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ رَاقٍ * أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ وَاقٍ
قَدْ رَجَلُونِي وَمَا رُجِّلْتُ مِنْ شَعَثٍ * وَالْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقٍ
وَطَيِّبُونِي وَقَالُوا أَيْمًا رَجُلٍ * وَأَدْرَجُونِي كَأَنِّي طَىْ غُرَاقٍ^(٣)
هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تُؤَلِّعْ بِإِشْفَاقٍ * فَإِنَّمَا مَا لَنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِ

مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَا لِي لَا أَحِبُّ الْمَوْتَ ؟ فَقَالَ لَهُ : « هَلْ لَكَ مَالٌ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
« قَدِّمَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ » ، قَالَ : لَا أَطِيقُ ذَلِكَ ، قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ الْمَرْءَ
مَعَ مَالِهِ إِنْ قَدِّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ وَإِنْ أَخَّرَهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ مَعَهُ » .

الْحَجَّارِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : قِيلَ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ فِي مَرَضِهِ : أَلَا
نَدْعُوكَ طَبِيبًا ؟ قَالَ : أَنْظِرُونِي بِعَمِّ فِكْرٍ فَقَالَ : (وَعَادًا وَمُؤَدَّ وَأَصْحَابَ الرُّسِّ وَقُرُوءًا

(١) كَذَا فِي دِيوَانِ لَبِيدٍ ، وَفِي الْأَصْلِ « الْمَتَجِر » بِالْهَاءِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) كَذَا فِي تَخْلُصِ

الْأَوَائِلِ لِأَبِي هِلَالٍ السَّكْرِيِّ وَالْقَامُوسِ وَشَرْحِهِ مَادَّةُ « خَلَقَ » وَفِي الْأَصْلِ « حَلَقَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) غُرَاقٌ : ثَوْبٌ أَوْ مَتَدِيلٌ يُلْفُ وَيَضْرَبُ بِهِ .

بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) قَدْ كَانَتْ فِيهِمْ أَطْبَاءُ، فَمَا أَرَى الْمَدَاوِي بَقِيَ وَلَا الْمَدَاوِي هَلَكَ
النَّاعْتُ وَالْمَنْعُوتُ لَهُ، لَا تَدْعُوا لِي طَبِيبًا .

إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي أَحْمَدَ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَيْسَ لَهُ جِهْرِيٌّ
إِلَّا أَنْ يَقُولَ :

- نُسْرُ بِمَا يَلِي وَتَفَرُّحُ بِالْمُسْنَى * كَمَا آغَتْزُ بِاللَّذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالُمٌ
نَهَارُكَ يَا مَفْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ * وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمٌ
وَسَعِيكَ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غَيْبٌ * كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ

كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَحْلِهِ ، وَمُنْتَظِرٍ غَدًا لَيْسَ مِنْ أَجَلِهِ ؛ لَوْ رَأَيْتُمْ
الْأَجَلَ وَمُسِيرَهُ ، لَأَبْنَضْتُمُ الْأَمَلَ وَغَرَوْرَهُ .

- ١٠ لَا يَلِثُ الْقُرَّاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا * لَيْلٌ يَحْكُرُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ

يُحْيِي بَنَ آدَمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ وَرْدٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ بَشِيرٍ
أَبْنِ حَجَّالٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّهُ بَكَى فِي مَرَضِهِ فَقَالَ : أَمَّا أَنِّي لَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ
وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى بَعْدِ سَفَرِي وَقَلَّةِ زَادِي ، وَأَنِّي أَسَيْتُ فِي صُعُودِ مَهْيَطِهِ عَلَى جَنَّةِ
أَوْنَارٍ، وَلَا أَدْرِي عَلَى أَيِّمَا يُؤْخَذُ بِي ! .

- ١٥ أَبُو جَنَابٍ قَالَ : لَمَّا أَحْتَضِرُ مَعَاذُ قَالَ لِجَارِيَتِهِ : وَيْحَكَ ! هَلْ أَصْبَحْنَا ؟
قَالَتْ : لَا ؛ ثُمَّ تَرَكَهَا سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لَهَا : انظُرِي ! فَقَالَتْ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ صَبَاحٍ إِلَى النَّارِ ! ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ ، مَرْحَبًا بِزَائِرِ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ ، لَا أَفْطَحُ
مَنْ يَنْدِمُ ! اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَبُّ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا لِكُرَى الْأَنْهَارِ وَلَا لِنَرَسِ
الْإَشْجَارِ ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَحَبُّ الْبَقَاءِ لِمُكَابَدَةِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ وَلِنَظْمِ الْهَوَاجِرِ فِي الْحَرِّ
الشَّدِيدِ وَلِزَاوَجَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرَّكِبِ فِي حِلَاقِ الدَّكْرِ .

أبو اليَقْظَان قال : لما أَحْضِرَ عمرو بن العاص جعل يده في موضع الغل من عقه ثم قال : اللهم إناك أمرتنا ففَرَّطْنَا، ونهيتنا ففَرَكْنَا ، اللهم إنه لا يسعنا إلا رحمتك ؛ فلم يزل ذلك عَجَبَاهُ حتى قُبِضَ .

٥ قيل لأَزَادُ مُرْد بن الِهَرَبِذ حين أَحْضِرَ : ما حَالُكَ ؟ فقال : ما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد، ويترلُ حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس، ويقدم على ملك جبار قد قدم إليه العذر بلا حجة !

حدثني عبدة الصغَارُ قال حدثني العلاء بن الفضل قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه عن جده عن جد أبيه قال : سمعتُ أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت عند وفاته وأُغْمِي عليه طويلا ثم أفاق، ورفع رأسه إلى سقف البيت وقال : ليبيكا ليبيكا، هأنذا لديك ، لا عشيقي تَحْيِينِي، ولا مالي يَفِيدُنِي . ثم أُغْمِي عليه طويلا ثم أفاق فقال :

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا • صَائِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَلَا • فِي رَعُوسِ الْجِبَالِ أَرْغَى الْوُجُولا
ثم فاضت نفسه .

١٥ الحكم بن حِثَان قال : قال المنصور عند موته : اللهم إنا كنت تعلم أني قد ارتكبتُ الأمورَ العظامَ جرأةً مِنِّي عليك، فإنك تعلم أني قد أطعْتُكَ في أحبِّ الأشياءِ اليك شهادةً أن لا إلهَ إلا أنت، منَّا مِنُّكَ لا منَّا عليك . وكان سببُ إحرامه من الخضراء أنه كان يوما نائما، فأناه آتٍ في منامه فقال :

(١) هكذا بالأصل ، وأصل الكلمة في اللغة الفارسية "آزاد" بالذال المهملة قلل ما في الأصل

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ * وَعُرِّيَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ
وَصَارَ عَيْدُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ نَعْمَةٍ * إِلَى جَنَّتٍ تُنْفَى عَلَيْهِ جَنَائِلُهُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رَسْمُهُ وَحَدِيثُهُ * بُكِّيَ عَلَيْهِ مُغِيلَاتُ حَلَاتِلُهُ
فَأَسْتَقِظُ مَرَعَوْبًا ثُمَّ نَامَ فَأَتَاهُ الْآتَى فَقَالَ :

أَبَا جَعْفَرٍ حَانَتْ وَفَاتَكَ وَانْقَضَتْ * سُنُوكَ وَأَمْرُ اللَّهِ لَا يَدَّ وَاقِعُ
فَهَلْ كَاهَنٌ أَعَدَّدَتْهُ أَوْ مَنَعِمٌ * أَبَا جَعْفَرٍ عَنْكَ الْمُنِيَّةُ دَانِعُ

فَقَالَ : يَا رُبَّيْعَ ائْتَنِي بِطَهْوَرِي ، فَنَامَ وَأَغْتَسَلَ وَصَلَّى وَلِيَّ وَتَجَهَّزَ لِلْحَجِّ ، فَلَمَّا
صَارَ فِي الثَّلَاثِ الْأَوَّلِ أَشْتَدَّتْ عُلَّتُهُ ، فَفَعَلَ يَقُولُ : يَا رُبَّيْعَ الْفَنَى فِي حَرَمِ اللَّهِ ،
فَلَمَّا بَيَّرَ مَيِّمُونَ .^(٢)

١٠ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ نَصِيرٍ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ طَالِبٍ قَالَ : قَالَ
الرَّبَّيْعُ بْنُ بَرَّةَ : كُنْتُ بِالشَّامِ فَسَمِعْتُ رَجُلًا وَهُوَ فِي الْمَوْتِ يَقُولُ لَهُ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
فَقَالَ : أَشْرَبُ وَاسْقِنِي . وَرَأَيْتُ رَجُلًا بِالْأَهْوَازِ قِيلَ لَهُ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ :
دِهْ يَا ذَهْدَهْ وَدِهْ دَوَازْدَهْ . وَقِيلَ لِرَجُلٍ بِالْبَصْرَةِ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ :
يَا رَبِّ قَائِلَةٌ يَوْمًا وَقَدْ لَفَيْتُ * كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مُنْجَابٍ^(٤)

١٥ حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَقِّنْ مَيْتَكَ ، فَإِذَا
قَالَهَا فَدَعَهُ يَتَكَلَّمُ بِفَرْهَا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَلَا تُضَيِّرْهُ .

(١) تَبَكَّى (بِالتَّشْدِيدِ) : مَثَلُ تَبَكَّى بِالتَّخْفِيفِ . (٢) بَرْمِيُونَ : بِمَكَّةَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى بَرْمِيُونَ
ابْنِ خَالِدِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ الْحَضَرِيِّ . (٣) هَذِهِ كَلِمَاتُ فَارُوسِيَّةٍ مَعْنَى الْأَوَّلِ مِنْهَا عَشْرَةٌ أَحَدٌ عَشَرَ
وَمَعْنَى الثَّانِيَةِ عَشْرَةٌ اثْنَا عَشَرَ . وَهِيَ كَلِمَاتُ أَبِرَاهَا عَلَى لِسَانِهِ هَذِيانِ الْإِحْضَارِ . (٤) حَمَامٍ
مِنْجَابٍ (بِكَسْرِ الْمِيمِ) : يُنْسَبُ إِلَى مِنْجَابِ بْنِ رَاشِدٍ الْغَضِّيِّ .

قال مالك بن ضيفم : لما أَحْضَرَ أبى قلنا له : ألا تُوصى ؟ قال : بلى ،
أوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنُه ويعقوبُ : (يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ
فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار وفعل ما استطعتم
من المعروف ، وأدْفِنُونِي مع المساكين .

• وقال عمر بن عبد العزيز لأبنته ^(١) : كيف تَحِيدُكَ ؟ قال : في الموت ، قال :
لأن تكون في ميزاني أحبَّ إليَّ من أن أكون في ميزانك ، قال : وأنا والله لأن
يكون ما تُحِبُّ أحبَّ إليَّ من أن يكون ما أُحِبُّ .

احتضر سيويه النحوي فوضع رأسه في حجر أخيه ففطرت قطرة من دموع
أخيه على خدّه ، فأفاق من غشيته وقال :

أُخِيرْتُ تَمَّا فَسَرَقَ النهر بيننا * إلى الأمد الاقصى ومن يأمن الدهرا !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال : قيل لَهِيمُ بن حَبَّانَ :
أوص ، فقال : قد صدقني نفسي في الحياة ، مالى شيء أوصى فيه ، ولكن أوصيكم
بخوانيم سورة النحل .

قال الشاعر :

ما أرتد طرفُ امرئٍ بلحظته * إلا وشيءٌ يموتُ من جسدي

وقال آخر :

المراء يشقى بما يسعى لوارثه * والقبر وارثٌ ما يسعى له الرجلُ

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن أبي حَبَّانَ
التيامي عن أبيه قال : أوصى الربيعُ بن خيثم وأشهد على نفسه وكفى بالله شهيدا

٢٠ (١) يوجد هامش النسخة القنطرة الثانية ما فيه : « هو عبد الملك رحمه الله » .

وجازياً لعباده الصالحين ومُتَبِياً : إني رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، وأوصي نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله في العابدِين ويحده في الحامِدِين وينصَحَ لجماعة المسلمين ؛ وأوصي أهله : ألا تُشعروا بى أحداً وسلُوني إلى ربِّي سَلًا .

- ٥ . حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ قَالَ سَمِعْتُ عَمْرِينَ جَرِيرَ الْمُهَاجِرِيِّ يَقُولُ : لما مات ذُرِّ بْنُ عَمْرٍو قَالَ لِأَصْحَابِهِ : الآنَ يَضِيعُ الشَّيْخُ (لأنه كان به بَأراً) ؛ فسمعها الشَّيْخُ فَقَالَ : أَيْ أَضِيعُ وَاللَّهِ حَى لَا يَمُوتُ ؛ فلما واره الترابَ وَقَفَ عَلَى قبره وقال : رَحِمَ اللهُ يَازْذُر ! ما عَلَيْنَا بِعَدْلِكَ مِنْ خِصَاصَةٍ وَمَا بَنَّا إِلَى أَحَدٍ مَعَ اللهِ حَاجَةً ، وَمَا يَسُرُّنِي أَتَى كُنْتَ الْمَقْدَمَ قَبْلَكَ ، وَلَوْلَا هَؤُلَاءِ الْمُطَّلَعُ قَتَمْتُ أَنْ أَكُونَ مَكَانَكَ ، لَقَدْ شَغَلَنِي الْحُزْنُ لَكَ عَنِ الْحُزْنِ عَلَيْكَ ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا قُلْتُ ١٠ وَمَا قِيلَ لَكَ ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ حَقِّي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَهُ ، فَهَبْ حَقَّكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ لَهُ . ثُمَّ قَالَ عِنْدَ أَنْصَرَفِهِ : مُضِيْنَا وَتَرَكْنَاكَ ، وَلَوْ أَقْنَا مَا نَفَعْنَاكَ .

- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ التَّمِيمِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَسَاحِشِيِّ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي عَوْنٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : « تَوَقَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَاقَهُ لَوْ زُلَّ بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ مَا نَزَلَ بِأَبِي هَاضِمًا ، إِثْرَ أَبِ التَّنَاقُطِ بِالْمَدِينَةِ وَأَرْتَبَتِ الْعَرَبُ » ، فَوَاقَهُ مَا اخْتَفَقُوا فِي نَقْطَةٍ إِلَّا طَارَ أَبِي بِحُظْمِهَا وَغَنَاتُهَا فِي الْإِسْلَامِ » . وَكَانَتْ مَعَ هَذَا تَقُولُ : « مِنْ رَأَى عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ غَنَاءً لِلْإِسْلَامِ ، كَانَ وَاللهُ أَحْزَنًا نَسِيجَ ١٥

وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها . وقالت عند قبره : « رحِمك الله يا أبت ! لقد قت بالدين حين وهى شعبه وتفاقم صدعه ورجفت جوانبه ؛ إقبضت مما أصفوا إليه ، وشمرت فيما ونوا فيه واستخففت من دنياك ما أستوطنوا وصغرت منها ما عظموا ورعيت دينك فيما أغفلوا ، أطلالوا عنان الأمن وأقتعدت معلى الحذر، ولم تهضم دينك ولم تشنّ غذك ففاض عند المساهمة قدحك وخفّ مما استوزروا ظهورك » . وقالت أيضا عند قبره : « نصر الله وجهك يا أبت ! فلقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها، وللآخرة معزا بإقبالك عليها ؛ ولئن كان أجل الرزايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأكبر المصائب قدك إن كتاب الله ليعدّ بجمل العزاء عند أحسن العوض منك ، فانا أتميز من الله موعدّه فيك بالصبر عليك ، وأستغيضه منك بالاستغفار لك ؛ عليك سلام الله ورحمته ، تودع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك » .

قال الحسين بن عليّ عند قبر أخيه الحسن : « رحِمك الله أبا محمد ! إن كنت لتبصر الحقّ مطانّه ، وتؤثر الله عند تداحض الباطل في مواطن التقية بحسن الروية ، وتستشفّ جليل معالِم الدنيا بعين لها حاقرة ، وتفيض عليها يدا طاهرة الأطراف قية الأسرة ، وتردّع بأدرة غريب أعدائك بأيسر المؤونة عليك ؛ ولا غرو وأنت ابن

(١) وهى شعبه : تفرق وتفرق جمعه . (٢) أصفوا إليه : مالوا إليه . (٣) شمر : جث . وفى الأصل : « سموت » وهو تحريف ، إذ ما بعده بين ما أقبضته . (٤) كذا بالأصل .

(٥) الذى في نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دار الكتب المصرية) : « إن كتاب الله ليعد بحسن الصبر فيك وحسن العوض منك » . (٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق والزلل ، ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة التى بين أيدينا ، فقلها « عند مداحض الباطل » جمع « مدحضة » كزرة وزنة ومعنى . (٧) الأسرة : جمع سراد (بالكسر) وهى الخطوط التى تبدو في ظاهر اليد والجلية .

سلالة النبوة ورضيخ لبان الحكمة ؛ فإلى رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَجَنَّةٍ نعيمٍ ؛ أعظمَ الله لنا ولكم الأجر عليه ، ووهبَ لنا ولكم السَّوَةَ وَحُسْنَ الْأَمْرِ عَنْهُ ^(١) .

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين السعدي عن محمد بن مُصعب : أنَّ أبن السَّيَّاحِ قال يوم مات داود الطائي في كلام له : إن داود رحمه الله نظر بقلبه إلى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصرُ القلب بصرَ العين ، فكان كأنه لا ينظر إلى ما إليه تنظرون ،
وكانكم لا تنظرون إلى ما إليه ينظر ، فاتم منه تمجيون وهو منكم يسحب ، فلما رآكم راغبين مذهبين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بجهلها قلوبكم استوحش منكم ، فكنتم إذا نظرتُ إليه نظرتُ [إلى] حَيٍّ وسطَ أمواتٍ . يا داود ما أعجب شألك بين أهل زمانك ! أهنت نفسك وإنما تريد إكرامها ، وأتعبتها وإنما تريد راحتها ، أخشلت المطعم وإنما تريد طيبه وأخشلت الملبس وإنما تريد لينه ،
ثم أمت نفسك قبل أن تموت ، وقبرتها قبل أن تُقبر ، وعذبها ولما تُعذب ^(٢) ، وأغنيها عن الدنيا لئلا تدكر ، وغبثت نفسك عن الدنيا فلم ترها لك قدراً إلى الآخرة ، فما أظنك إلا وقد ظفرت بما طالبت ؛ كان سيماك في شرك ولم يكن سيماك في علايتك ، تفقهت في دينك وتركك الناس يُغنون ، وسمعت الحديث وتركهم يُحدِّثون ، وترحست عن القول وتركهم ينطقون ، لا تحسد الأخيار ، ولا تعيب الأشرار ، ولا تقبل من السلطان عطية ، ولا من الإخوان هدية ؛ آس ما تكون إذا كنت بالله خاليا ، وأوحش ما تكون آس ما يكون الناس ، فن سمع بمثلك وصبر صبرك وعزم عزمك ! لا أحسبك إلا وقد أتعبت العابدين بسلك ، سمحت نفسك في بيتك فلا تحدثك ولا جليس معك ولا فراش تحك ولا ستر على بابك

٢٠ (١) الأمي (ضم الراء ويكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) وهي ما ينبغي به .

(٢) في الأصل «ولما أن تعذب» . زيادة «أن» بعد «ولما» وليس هذا من مواضع زيادتها .

ولا قُلَّةٌ يَبْدُ فيها مأوك ولا حَصْفَةٌ يكون فيها عَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ ، مِطْهَرُكَ قَلْبُكَ
 وَقَصْعُكَ تَوَرُّكَ . داود ما كنت تشتهي من الماء بارده ولا من الطعام
 طيبه ولا من اللباس لينه ، بل ! ولكن زهدت فيه لما بين يديك ؛ فما أصغر
 ما بذلت ، وما أحقر ما تركت في جنب ما أملت ، فلما ميت شهرك ربك بموتك ،
 واللبسك رداء عملك ، وأكثر تبعك ، فلورأيت من حضرك عرفت أنك ربك
 قد أكرمك وشرفك ، فتكلم اليوم عشيرتك بكل السبها ، فقد أومح ربك فضلها
 بك ، والله لو لم يدع عبدا إلى خير بعمله إلا أحسن هذا النشير من كثرة هذا التبج ،
 لقد كان حقيقا بالاجتهاد والجهد لمن لا يضيع موطئا ولا ينسى صنعا شاكرا ومثيبا .
 وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه ،
 لحق رجائي وآمن خوفي .

مات ابن لَأَنَسَ بن مالك فقال أَنَسُ عند قبره : اللهم عبدك وولد عبدك
 وقد رد إليك ، فأرأف به وأرحمه ، وجاف الأرض عن بدنه ، وأفتح أبواب السماء
 لروحته وتقبله بقبول حسن . ثم رجع فأكل وشرب وأدهن وأصاب من أهله .
 وقال جريفي أمرأته :

لا يلبثُ القَرَنَاءُ أن يتَفَرَّقُوا * ليلٌ يَكُرُّ عليهم ونهارٌ
 صلى الملائكة الذين يُحْيَوْنَ * والطَّيِّونَ عليكِ والأبرارُ

وقفت أعرابية على قبر ابنها فقالت : والله ما كان مالك ليرسك ، ولا همك
 لنفسك ، وما كنت إلا كما قال القائل :
 رحيب الذراع بالي لا تسينيه * وإن كانت الفحشاء ضايق بها ذروا

حدثني محمد بن داود عن الصلت بن مسعود قال : كان سفيان بن عيينة يستحسن شعر صدي بن زيد :

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الأسرة والأند * حاط أفضت إلى التراب الحدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطبأ بهم لحقهم * ضل عنهم سوطهم والدود
وصحيع أضحى يعود مريضاً * وهو أدنى للوت من يعود
أخذه على بن الجهم فقال :

كم من طيل قد تحطأه الردى * فنبأ ومات طليبه والعود

- ١٠ حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الملك بن حمير عن ربي بن حراش قال : أتيت أهل قبيل لي : مات أخوك ، فوجدت أنى مسجى عليه شوب ، فانا عند رأسه أترحم عليه وأدعوه إذ كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم ، فقلنا : وعليك السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إني تقيت بروح ورب غير غضبان ،
- ١٥ وكسائي ثيابا من سندس وإستبرق ، وإني وجدت الأمر أيسر مما تظنون ولا تتكروا ، إني استأذنت ربي أن أخبركم وأبشركم ، إحملوني إلى رسول الله ، فقد عهد إلى ألا أبرح حتى ألقاه ثم طفي .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمار بن زاذان عن ثابت أن مطرفا كان يسدو على دابته بين المقام فأغفى فإذا أهل القبور جلوس على

- ٢٠ (١) السحوط : الدواب التي يؤخذ من الألف ، والدود (وزان صبور) : ما يؤخذ من الدواب المسطوح ويصب في أحشاش النمل . (٢) همد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها يندو .

شَفَاهُ قُبُورَهُمْ يَقُولُونَ : هَذَا مُطَرَّفٌ رُوحٌ إِلَى الْجُمُعَةِ ؛ قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، وَمَا قَوْلُ الطَّيْرِ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ ، يَقُولُونَ : سَلَامٌ ، يَوْمٌ صَالِحٌ .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنْ يَجْرِيَ الْعَيْنُ الَّتِي حَفَرَهَا - قَالَ سُفْيَانُ : تُسَمَّى عَيْنَ أَبِي زِيَادٍ - نَادَاَ بِالْمَدِينَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ فَلْيَاتِ قَتِيلَهُ ؛ قَالَ جَابِرٌ : فَأَتَيْنَاهُمْ فَأَخْرَجْنَاهُمْ رِطَابًا يَنْتَوُونَ ، وَأَصَابَتِ الْمِسْحَةَ رَجُلٌ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَأَنْفَطَرَتْ دَمًا . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : لَا يُنْكَرُ بَعْدَ هَذَا مُنْكَرٌ أَبَدًا .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن حمير قال : أهل القبور يتوكفون^(١) الأخبار فإذا أتاهم الميت سألوه : ما فصل فلان ؟ فيقول : ألم يأتكم ! فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سلك به غير سبيلنا .

حدثني عبد الرحمن العبدى عن جعفر بن أبي جعفر قال : حدثنا أبو جعفر السامع عن الربيع بن صبيح قال : شَهِدْتُ ثَابِتَا الْبَيْتَانِ يَوْمَ مَاتَ وَشَهِدَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، فَدَخَلْتُ قَبْرَهُ أَنَا وَحَمِيدُ الطَّوِيلُ وَأَبُو جَعْفَرٍ حَسَنٌ مِمَّا عَلَى رَأْسِهِ فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَسْوَى عَلَيْهِ اللَّيْنَةَ سَقَطَتْ مِنْ بَدَنِ فَلَمْ أَرَفِ فِي الْحَدِّ أَحَدًا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى حَمِيدٍ أَنْتَ اخْطَلَفَ صَاحِبُنَا وَجِئَ النَّاسُ فَسَوَّيْنَا عَلَى الْحَدِّ وَحَثَوْنَا التُّرَابَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِحَمِيدٍ هِمَّةٌ حَتَّى أَتَى سُلَيْمَانَ بْنَ عَلٍّ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : مَا يُنْكَرُ قُدْرَةُ ! إِلَّا أَنَّى أَتُكِّرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانَتِنَا يَفْعَلُ هَذَا بِهِ ، فَهَلْ عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ سِوَاكَ ؟ قَالَ :

(١) كذا بالأصل ، ولعل أصله « أشفاء » جمع شفا أى حرف . (٢) انفطرت دما : سالت دما ، يقال انفطرت قدم فلان إذا أصبته دما أى سالت وفى الأصل : « انقطرت » بالفتح ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا صيغة أفضل من فطر . (٣) يتوكفون الأخبار : يخطرونها ويسألون عنها .

نم، الرابع بن صبيح وحسن؛ قال : عدلان مريضان، فبعث أمتاء جبرانه فنيشوا عنه فلم يجدوه في قبره .

وحدثني أيضا عن أعرابية كان يُقال لها أم غسان مكفوفة وكانت تعيش بمفردها وتقول : الحمد لله على ما قضى وأرضى، رضيت من الله ما رضى لي ، وأستعين الله على بيت ضيق الفناء قليل الكواء^(١) وأستعين الله على ما يطالع من نواحيه .
وماتت جارة لها فقيل لها : ما فعلت جارك ؟ فقالت :

تقسم جارثها بيثها * وصارت إلى بيثها الأثله

وقالت يوما : إن تقبل الله مني صلاة لم يعدني، فقيل لها : كيف ذلك ؟ قالت : لأن الله عز وجل لا يثني في رحمته وحليمه، قال : وكنت سمعت حديث معاذ «من كُتِبَتْ له حسنة دخل الجنة» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أم غسان تقول
هذا، فعرفت تأويله :

الكبر والمشيب

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عبد الجليل بن عطية عن شهر ابن حوشب عن عمرو بن عتبة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ما لم يحضها
أو يتفقها» .

أبو حاتم عن الأصمعي عن شيخ من بني فزارة قال : مررت بالبادية وإذا شيخ قاعد على شفير قبر، وإذا في القبور رجال كأنهم الرماح يدفنون رجلا والشيخ يقول :

(١) الكواء : جمع كوة وهي الخرق في الخياط .

أَحْثُوا عَلَى الدَّيْسَمِ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * قَسِدَمَا أَبَى رَبُّكَ إِلَّا مَا تَرَى ^(١)

فقلت له : مَنْ الميْتُ ؟ فقال : ابْنِي ، قُلتُ له : مَنْ الذِّينَ يَدْفِنُونَهُ ؟ قال :
بَنُوهُ .

حَثَّنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : دَخَلَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ الْمَسْجِدَ مُهَادًى بَيْنَ اثْنَيْنِ ^(٢)
مِنَ الْكِبَرِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَتَّبِعُهُ عَلَى مَوَدَّتِهِ : بَلَّغْتَ مَا أَرَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ !
قَالَ : هُوَ مَا تَرَى فَلَا بَلَّغْتَهُ . وَنَحْوَهُ قَوْلُ الشَّامِرِ :
* يَا عَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلَّغْتَهُ *

وَيُقَالُ فِي الزُّيُورِ : « مِنْ بَلَغِ السَّبْعِينَ اشْتَكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ » . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ
النَّبْطِيُّ : لَا تَسْأَلْ قَسَكَ الْعَامَ مَا أَعْطَيْتَكَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي .

رَأَى ضَرَارُ بْنُ عَمْرِو الضُّبِّيِّ لَهُ ثَلَاثَةُ عَشْرَ ذِكْرًا قَدْ بَلَّغُوا فَقَالَ : مِنْ سِرِّهِ بَنُوهُ
سَاعَتَهُ نَفْسُهُ .

قَالَ أَبْنَى أَبِي قَنِينٍ :

مَنْ حَاشَ أَخْلَقْتَ الْإِيَّامُ حِدَّتَهُ * وَخَانَهُ الثَّقَاتِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
قَالَتْ عَهْدَتُكَ مَجْنُونًا قُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بِرُؤْيِهِ الْكِبَرُ
أَبُو عَيْسَةَ قَالَ : قِيلَ لِشَيْخٍ : مَا بَقِيَ مِنْكَ ؟ قَالَ : يَسْقِي مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ ،
وَيُدْرِكُنِي مَنْ خَلْفِي ، وَأَنْسَى الْحَدِيثَ ، وَأَذْكُرُ الْقَدِيمَ ، وَأَنْسُ فِي الْمَلَأِ ، وَأَسْهَرُ
فِي الْإِخْلَا ، وَإِذَا قُتِبْتُ قُرْبَتِ الْأَرْضُ مِنِّي ، وَإِذَا قَعَدْتُ تَبَاعَدَتْ عَنِّي ، قَالَ الشَّاعِرُ :
قَالَتْ عَهْدَتُكَ مَجْنُونًا قُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بِرُؤْيِهِ الْكِبَرُ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ « دَجَاهَ هَذَا الْبَيْتِ فِي السَّنَنِ مَادَّةُ « دَسَمَ » هَكَذَا

أَخْبَنِي عَلَى دَيْسَمٍ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * أَبِي قَضَاءِ اللَّهِ إِلَّا مَا تَرَى

(٢) بِالْبَاءِ الْقَعُولُ أَيْ يَمْشِي فِيْهِمَا مُتَّحِدًا طَعْمُهُمَا لَمْ يَفْهَمْ .

قال عبد الملك بن مروان للريان بن الهيثم : كيف تحبك ؟ قال : أجدني
قد أبيض متى ما كنت أحب أن يسود وأسود متى ما كنت أحب أن يبيض
وأشتد متى ما أحب أن يلين، ولأن مني ما أحب أن يشتد، وقال :

سَلِّني أُنَيْتَكَ بآيَاتِ الْكِبَرِ * نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسَعَالُ السَّحَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ * وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَجَمُّعُ النَّظَرِ * وَزَكَاةُ الْحَسَنَاءِ فِي قُبُلِ الطَّهَرِ^(١)
* وَالنَّاسُ يَبْلُغُونَ كَمَا تَبَلَّى الشَّجَرُ *

وقال حميد بن ثور :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحبة * وحسبك داءً أن تصعب وتساها

وقال الكيث :

لَا تَغْضِبِ الْمَرْءَ إِنْ يُقَالَ لَهُ * أَمْسى فَلَا بُدَّ لَيْسَتَهُ حَكَا
إِنْ سَرَّ طَوَّلَ عَمْرَهُ فَلَقَدْ * أَحْصَى عَلَى الْوَجْهِ طَوَّلَ مَا سَاها

وقال الجرب بن قلوب :

يَوَدُّ النَّفْسُ طَوَّلَ السَّلَامَةِ وَالْفَنَى * فَكَيْفَ تُرَى طَوَّلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

(١) التحديق : تصغير العين لتكيتها من النظر ، ويقال على إدامة النظر فتح العينين ، وهكذا ذكره
الأزهري والجوهري وغيرهما بإلقاء المهمة قبل الميم والجيم المصيبة بعدها ، وفي الأصل : «تجمع»
بتقديم الجيم وتأخير الحاء ، وهو موافق لما رواه ابن الأثير في حديث عمر بن عبد العزيز «تطلق يجمع إلى
الشاهد النظر» ثم قال : هكذا ورد في تخاب أبي موسى وكأنه والله أعلم سهو . وقال الزنجشري : هي لغة
في التجميع (أنظر اللسان مادني جميع وجمع) .

وقال آخر:

كانت فتاتي لا تَلِينُ لِفانِرٍ * فالانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربِّي بالسَّلامةِ جَاهِداً * لِيُصَحِّحِي ^(١) فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

وقال أبو العتاهية:

* أصرَّعَ في نقصِ أمرِي تَمَامُهُ *

وقال صيد الحيد الكاتب:

تَرَحَّلَ مَا لَيْسَ بِالْقَائِلِ ^(٢) * وَأَعْقَبَ مَا لَيْسَ بِالْآئِلِ
فَلَهْفِي مِنَ الْخَلْفِ النَّازِلِ * وَلَهْفِي عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ
أُبْكِي عَلَى ذَا وَابِكِي لَنَا * بَكَاءَ الْمَوْهَمَةِ التَّائِلِ
نُبْكِي مَنْ أَبْنَى لَهَا قَاطِعِي * وَتُبْكِي عَلَى أَبْنَى لَهَا وَاصِلِ
تَقَضَّتْ غَوَايَا سُرِّ الصَّبَا * وَرَدَّ التُّقَى عِنْدَ الْبَاطِلِ

محمد بن سلام الجُمَيْحِيُّ عَنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ السَّرِيِّ قَالَ: كَتَبَ الْجُحَاغُ إِلَى قَتَيْبَةَ
ابْنِ مُسْلَمٍ: إِنِّي نَظَرْتُ فِي سِتِّكَ فَوَجَدْتُكَ لِدَتِي وَقَدْ بَلَغْتَ الْخَمْسِينَ وَإِنَّ أَمْرًا
سَارَ إِلَى مَنَهِلِ خَمْسِينَ عَامًا لِقَرِيبٍ مِنْهُ . فَسَمِعَ بِهِ الْجُحَاغُ بْنُ يُونُسَ الْيَمِينِيَّ فَقَالَ:

إِذَا كَانَتْ السَّبْعُونَ سِتِّكَ لَمْ يَكُنْ * لَدَائِكَ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ طَبِيبُ
وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ بَارَ سَبْعِينَ حِجَّةً * إِلَى مَنَهِلٍ مِنْ وَرْدِهِ لِقَسْرِيبُ
إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَهْلُ * خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَى رَقِيبُ
إِذَا مَا أَقْضَى الْقَرْنَ الَّذِي أَنْتَ مِنْهُمْ * وَخُلِّقْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ

(١) كذا بالقده الفريديج ١ ص ٣٢٥ وبالأمثل: «لينيني» . (٢) في الأصل «يحل» .

ولا يستقيم منه الوزن . (٣) لغة الرجل: تربه .

وقال لبيد :

أليس ورائي إن تراخت مني * لزومُ المصا تُحني عليها الأصابعُ
أخبر أخبارَ القرون التي مضت * أدبُ كائي كلما قُت راحكُ

وقال آخر في مثله :

حتنى حانياتُ الدهر حتى * كائي خاتِلُ يدنو لصيد^(١)

وقيل لرجل من الحكماء : مالك تُدنينُ إمساكَ العصا ولستَ بكبيرٍ ولا مريضٍ؟

فقال : لأذكرُ أي مسافرٍ قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حملها * على ولا أني تخثيتُ من كبر
ولكنني ألزمتُ نفسي حملها * لأعلمها أن المقيم على سفر

ومرَّ شيخ من العرب بفلام فقال له الفلام : أحصدتَ ياعمه فقال : يا بني

وَتَحْتَصِدُون .

قال الحسن في موعظة له : يامعشر الشيوخ، الزرعُ إذا بلغ ما يُصنع به ؟ قالوا :

يُحصد . يامعشر الشباب كم من زرع لم يبلغ أدركته آفة^(٢)، قال الشاعر :

الدهرُ أبلاني وما أبلتُه * والدهرُ ضيرني وما يتقير^(٣)

والدهرُ قيدني بخيط مبرم * فشيتُ فيه وكل يوم يقصر^(٤)

(١) كذا في اللسان مادة «نخل» وفي الأصل «ناتيات» . (٢) كذا في اللسان مادة

نخل وفي الأصل «حابل» . (٣) أحصدت : آن لك أن تحصد . (٤) كذا بالأصل :

وهذه الجملة غير منتظمة مع ما قبلها فقل بعض الكلمات مقطعت فيها وبين الجملة التي قبلها وبين المراد

«ثم قال» الخ

وقال عُمارة بن عَقِيل :

وَأَدْرَكْتُ مِلَّةَ الْأَرْضِ نَاسًا فَاصْبَحُوا * كَأَهْلِ الدِّيَارِ قَوْضُوا فَتَحَمَلُوا
وَمَا نَحْنُ إِلَّا رُقْعَةٌ قَدْ تَرَحَّلَتْ * وَأُخْرَى تُقْفَى حَاجِبًا وَتَرَحَّلُ

ذَكَرَ أَحْمَرَانِي الشَّيْبَ فَقَالَ : وَاقِهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْكَرَ الشَّعْرَةَ الْبِيضَاءَ قَدْ صَرْتُ
أَنْكَرَ السُّودَاءِ ، فَيَاخِرَ بَدَلٍ وَيَأْشُرُ بَدُولٍ ^(١) . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشَيْبَ السَّرَّاسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ
وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ * وَنَعِيمِ طَلَاعِ الْأَجْسَادِ
طَالَ لِنَاكَرَى الْيَاسَ فَإِنْ عُمِرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السُّوَادِ

رَأَى إِيَّاسُ بْنُ قَبَادَةَ شَعْرَةَ بِيضَاءَ فِي لَحْيَتِهِ ، فَقَالَ : أَرَى الْمَوْتَ يَطْلُبُنِي وَأَرَأَى
لَا أُنْفِتُهُ ، أَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ فُجَاعَاتِ الْأُمُورِ ، يَا بَنِي سَعْدِ قَدْ وَهَبْتُ لَكُمْ شَبَابِي
فَهَبُوا لِي شَيْبَتِي ، وَلَزِمَ يَتَهُ .

قال قيس بن عاصم : الشيب خطام المنية .

قال آخر : الشيبُ بريدُ الجِسامِ .

قال آخر : الشيبُ تَوَامُ الموتِ .

قال آخر : الشيبُ تاريخُ الموتِ .

قال آخر : الشيبُ أوَّلُ مراحلِ الموتِ .

قال آخر : الشيبُ تمهيدُ الحمامِ .

قال آخر : الشيبُ عنوانُ الكِبَرِ .

(١) كذا في الأصل : وهذا يوافق قول أبي حبيدة : هذا باب المبدول من الحروف ، ونحو هذه

كما في اللسان مادة « بدل » دليل على أن بدل صمد ، وفي القصد القريد : « بدل » .

قال عبيد بن الأبرص : * والشَّيبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشِيبُ * . ويقال : شَيْبَ
الشَّعْرَ مَوْتُ الشَّعْرِ، ومَوْتُ الشَّعْرِ عِلَّةُ مَوْتِ الْبَشَرِ . قال الشاعر :

وكان الشبابُ الفُضْلى فيه لذةٌ * فوقرى عنه المشيبُ وأذبا
فَنَقِيًّا وَرَعِيًّا للشَّبابِ الذي مضى * وأهلا وسهلا بالمشيبِ ومرحبا

وقال أعرابي - ويقال هي لأبي دُلْف - :

في كل يومٍ من الأيام ثابتةٌ * كأنما نبتت فيه على بصرى
لئن قرضتك بالمقراض عن بصرى * لما قرضتك عن همى ولا فكري

وقال أعرابي :

أرى الشَّيبَ مذجوزتُ نعيمين دائماً * يدبّ ديبَ الصبح في غسق الظلم

هو الشُّمُّ إلا أنه غيرُ مؤلم * ولم أر مثلاً للشَّيبِ ثمَّ بلا ألم
وقال آخر :

قصر الحوادثُ خطوه فتداني * وحينَ صدرَ فتاته فتحاني

صحبَ الزمانَ على اختلافِ فُتُونِهِ * فأراه منه شِئناً وليّاناً

ما بالُ شيخٍ قد تمخّذ لحُجَّةِ * أنفى ^(١) ثلاثِ عمائمِ ألواناً

سوداءَ داجيةٍ وحقِّقَ مُوقِفَ ^(٢) * وأجدُ أنرى بعدَ ذلكِ هِجاناً ^(٣)

ثم الماتُ وراءَ ذلكِ كلِّهِ * وكأنما يُصنَى بِذاكِ يسواناً

وقال آخر يذكر الشباب :

لما مضى ظاعناً عَنَّا فودّعنا * وكان كالميتِ لم يترك له عَقِيباً

عُدنا إلى حالةٍ لا نستطيعُ لها * وصلَّ الغواني وعابَ الشَّيبَ مَنْ لَبِياً

(١) أنفى : أبلى وأخلق . (٢) الحق : الثوب البالي، والموقوف من البرود ما فيه خطوط

بيضاء . (٣) الهيجان : الخلل باللباس .

وقال محمود الوزاق :

بَكَيْتُ لِقَرَبِ الْأَجَلِ * وَبُعِدِ قَوَاتِ الْأَمَلِ
وَوَافِدِ شَيْبِ طَرَا * بِمُقَبِّ شَبَابِ رَحَلِ
شَبَابٌ كَأَن لَّمْ يَكُنْ * وَشَيْبٌ كَأَن لَّمْ يَزَلْ
طَوَاكُ^(١) بِشَيْرِ الْبَقَا * وَجَاءَ بِشَيْرِ الْأَجَلِ
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِبًا * كَذَاكَ أَتَقَالُ الدُّوَلِ

وقال أبو الأسود يذم الشباب :

غدا منك أسبابُ الشبابِ فأمرنا * وكان بكاريان يوماً فوَدَعَا
فقلتُ له فَأَذْهَبْ ذَمِيًّا فَلْيَنْتَهِ * فقتلُكَ عِلْمًا قَبْلَ أَنْ تُصَدَّعَا
جَنَيْتَ عَلَى الذَّنْبِ ثُمَّ خَذَلْتَنِي * عَلَيْهِ فَيَسُّ الْخُلُقَانِ هُمَا مَعَا
وَكُنْتُ سَرَابًا مَاصِحًا إِذْ تَرَكْتَنِي^(٢) * رَهِينَةً مَا أَجْنَى مِنَ الشَّرِّ أَجْمَعَا

وقال آخر :

اسْتَنْكَرْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ هَا * لِبَسِ الْمَشَيْبُ بِنَاقِصِ عُمْرِي
وَتَفَقَّسْتُ بِي هِمَّةٌ وَصَلَتْ * أُمْلِ بِكُلِّ رَفِيعَةِ الذِّكْرِ

روى عبد الله بن حفص الطائي عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدي عن أبيه
أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اخْضِبُوا بِالْأَسْوَدِ، فَإِنَّهُ أَسُّ لِلنِّسَاءِ وَهَيِّئْ
لِلْعَدُوِّ . قال عمر بن المبارك الخزازي :

مَنْ لَأَذْنِي بِمَلَامٍ * وَلِيَصْنَعَنِي بِمُدَامٍ^(٣)
دَقَّ عَظْمُ الْجَهْلِ مِنِّي * وَأَثَقْتُ شَنْ عُرْمِي

٢٠ (١) طواك : جاوزك . (٢) ماصحاً : ما بدأ ويظهر . (٣) كذا في الأصل ، ومن المحتمل أن يكون : " وَأَثَقْتُ مِنْ عُرْمِي " والبرام : الشدة والقوة .

وَتَمَتَّقِ الْفَقْرَ مِنْ عَيْدٍ * جِي إِلَى الشَّيْبِ التَّوَامِ^(١)
تَظَلَّمَكَ الدَّرُّ إِلَى الدَّرِّ * فِي سِلَاحِ النَّظَامِ

وقال أبو العتاهية :

نَمَى لَكَ ظِلُّ الشَّيْبِ الْمَشِيبِ * وَنَادَتْكَ بِأَسْمِ مَوَاكِ الْخُطُوبِ
فَكُنْ مُسْتَعْمِلًا لِدَاعِي الْمُنُونِ * فَكُلَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبِ * فَمَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ * فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ

محمد بن سلام قال : سمعتُ يونس بن حبيب يقول : لا يأمنُ مَنْ قَطَعَ
في خمسةِ دراهم خيرَ عضوٍ منك أن يكون عقابه هكذا غداً .

الدينيا

حدثني أبو مسعود الدارمي قال حدثني جدي نيراش عن أنس بن مالك قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ وَسَدَمَهُ نَزَعُ اللَّهِ^(٢) الْفَنَى مِنْ قَلْبِهِ ، وَصَبِرَ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ أَصْبَحَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ وَسَدَمَهُ نَزَعُ اللَّهِ الْفَقْرَ مِنْ قَلْبِهِ وَصَبِرَ الْفَنَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا أبو الربيع عن حماد عن علي بن زيد عن
الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحَّاك بن مغيان : « مَا طَعَامُكَ » قال :
الْهُمُّ وَاللُّبْنُ ، قال : « ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى مَاذَا » قال : ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى مَا قَدْ عَلِمْتُ ، قال :

(١) التَّوَام : جمع توأم ، وأصله المولود مع غيره في بطن ، ويستعار للتزويجات كما وقع في هذا البيت .

(٢) المدم : الهبة والولوع بالشيء .

« فَإِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا » قَالَ : وَكَانَ بَشِيرٌ كَهَبٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ إِذَا فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ : انْطَلِقُوا حَتَّى أُرِيَكُمْ الدُّنْيَا ، فَيَجِيءُ فَيُقَبِّفُ بِهِمْ عَلَى السُّوقِ ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ مَرَبَّلَةٌ ، فَيَقُولُ : أَنْظَرُوا إِلَى عَمَلِهِمْ وَنَتِيجَتِهِمْ وَإِلَى دَجَائِجِهِمْ وَبَطْلِهِمْ صَارَ إِلَى مَا تَرَوْنَ .

٥ حَذَّثَنِي هَارُونَ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَوَيْنِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ عَتَرَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْةٍ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ : (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْسَخْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فَقَالَ : «إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ وَأَنْفَسَحَ شَرِيعَ لَذَلِكَ الصَّدْرِ» ، قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَلْ لِنَافِكَ آيَةٌ يَعْرِفُ بِهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ الْإِثَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَالتَّجَاوِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ وَالِاعْتِمَادُ لِلْوَيْلِ قَبْلَ زُيُولِ الْمَوْتِ » . ١٠

بَلَغَنِي عَنْ الْعُتْبِيِّ عَنْ حَبِيبِ الْعَدَوِيِّ عَنْ وَهَبِ بْنِ مَنْبَهٍ قَالَ : رَأَيْتُ وَرَقَةً يَهْفُو بِهَا الرِّيحُ فَأَرْسَلْنَا بَعْضَ الْقَتِيَانِ فَأَتَانَا بِهَا فَإِذَا فِيهَا : الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا ، مَا أَخَذَ أَهْلُهَا مِنْهَا لَهَا خَرَجُوا مِنْهُ ثُمَّ حُوسِبُوا بِهِ ، وَمَا أَخَذَ مِنْهَا أَهْلُهَا لِنَاصِرِهَا خَرَجُوا مِنْهُ ثُمَّ أَقَامُوا فِيهِ ، وَكَأَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، هُمْ فِيهَا كَنَ لَيْسَ فِيهَا ، عَمِلُوا بِمَا يُبْصِرُونَ وَبَادَرُوا مَا يَحْذَرُونَ ، تَتَقَلَّبُ أَجْسَادُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَتَتَقَلَّبُ قُلُوبُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ ، يَرَوْنَ النَّاسَ يُظَلَّمُونَ وَفَاءً أَجْسَادُهُمْ وَهُمْ أَشَدَّ تَغْطِيًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ . فَسَأَلْتُ عَنْ الْكَلَامِ فَلَمْ أَجِدْ مَنْ يَعْرِفُهُ . ١٥

وَقَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَأَعْبُرُوهَا وَلَا تَمْرُوهَا .

٢٠ (١) كَذَا فِي تَهْلِيلِ التَّهْلِيلِ فِي تَرْجُمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ . وَفِي الْأَصْلِ «عَمْرٌ» .

وفي بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا « مَنْ خَدَعَنِي فَأَخْدِمْهُ ،
وَمَنْ خَدَمَنِي فَأَسْتَعِدِّهِ » .

قال بعض العابدين يذكر الدنيا :

لقد غرَّت الدنيا رجالاً فأصبحوا * بمزلةٍ ما بعدلها مُحَوَّلُ
فساخطُ أمي لا يُبْدِلُ غيره * وراضٍ بأمي غيره سَيِّدُ
وبالغِ أمي كاذبٌ بأملِ دونه * ومُخْلِجٌ من دون ما كان يَأْمَلُ

وقال آخر يذكر الدنيا :

حُوتُهَا رَصَدٌ وَعِيشُهَا رَقٌّ * وَكَرْهَا تَكْدٌ وَمِلْكُهَا دَوْلُ^(١)

وقال آخر :

نُرَاعُ لَذَّةَ الْمَوْتِ سَاعَةً ذَكَرَهُ * وَتَقْصِرُ الدُّنْيَا فَنُظْهُرُ وَنَلْبُ^(٢)
ونحن بنو الدنيا خُلِقْنَا لغيرها * وما كنْتُم منه فُهوئىءَ محبٍ

وقال يحيى بن خالد : دخلنا في الدنيا دُخُولاً أخرجتنا منها .

ذمَّ رجلٌ الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال علي عليه السلام :
الدنيا دارٌ صِدْقٍ لمن صدَّقها ، ودارٌ نَجَاةٍ لمن فهمَّ عنها ، ودارٌ غِيٍّ لمن تَرَوَّدَ منها ، مَهِيْطُ
وحي الله ، ومُصَلِّ ملائكته ، ومسجدُ أنبيائه ، ومَنَاجِرُ أوليائه ، رَجَّحُوا مِنَ الرَّحْمَةِ^(٣)
وَأَحْتَسِبُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فمن ذا يذمُّها وقد آذَنْتُ بَيْنَهَا وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَشَبَّهَتْ بِسُرُورِهَا
السُّرُورَ وَبِلَايِهَا الْبَلَاءَ تَرْغِيًّا وَتَرْهِيًّا ، فَيَا أَيُّهَا الدَّائِمُ الدُّنْيَا الْمَلَطُ نَفْسَهُ ، مَتَى خَدَعَكَ^(٤)
الدنيا أم متى استندمت إليك ! أتبصارع آثاك في الليل أم بمضايح أُمهاتك في النَّهْرِ !

(١) رصد : مترصدة متوقفة . (٢) رق : كدر . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا

فهم منها ، ولهذا كانت محبوبة لهم . (٤) استندمت إليك : فلت ما تقدمها على الله .

كم مرّضت يديك، وعَلَّمت بكفّك، تطلبُ له الشفاء، وتستوصفُ له الأطباء،
غداة لا يُغني عنه دواؤك، ولا ينفعك بكافك .

كان إبراهيم بن أدهم السجلي يقول :

نُزِعَ دِينَانَا بِخَزِيْفِ دِينَا ^(١) ، فَلَ دِينَانَا سَيِّئٌ وَلَا مَا نُرْفَعُ ^(٢)

قال أبو حازم : وما الدنيا ! أما ما مضى نَحْلُمُ وأما ما بقي قَامَانِي .
قال سفيان :

أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء « اتَّخِذِ الدُّنْيَا ظُلْمًا وَالْآخِرَةَ أُمًّا » .
قال الشعبي : ما أعلمُ لنا وللدنيا مثلاً إلا ما قال كثير .

أَسْبَى بِنَا أَوْ أَحْسَنَى لَأُمْلُوَّةٌ ، لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبَةٌ إِنْ تَقَلَّتْ ^(٣)

قال بكر بن عبد الله : المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطعم النار بالخبث .

قال ابن مسعود : الدنيا كلها غمومٌ ، فما كان فيها من سرورٍ فهو ربح .

قال محمد بن الحنفية : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا .

وقال بعض الحكماء : مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ ضَرَّتَانِ إِنْ أَرْضَى

إِحْدَاهُمَا اسْتَخَفَّ الْآخَرَى ،

قال سفيان : ترك لكم المملوك الحكمة فأتاكموا لهم الدنيا .

وقال آخر : إِنْ الدُّنْيَا قَدْ اسْتَوْدَقَتْ وَأَعْظَمَ النَّاسُ ^(٤) .

(١) كذا ورد في الإحياء للزالي (ج ٣ ص ١٥٥) طبع مصر وهو المعروف في رواية هذا البيت

وفي الأصل : « نَزَعَ » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٢) قلت : تخبض ، وفيه التفتت من الخطاب إلى التبية . (٣) يقال : ودقت القرس تدق

وحذا واستودقت إذا طليت التميل .

قال وعيب بن الورد : مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلْيَتَّيَّبْ لِلذَّلِّ .

قيل لمحمد بن واسع : إناك لترضى بالدون ؟ فقال : إنما رضى بالدون مَنْ رضى بالدنيا .

قيل لعل بن الحسين : مَنْ أَغْطَمُ النَّاسَ خَطَرًا ؟ فقال : مَنْ لَمْ يَزَلْ الدُّنْيَا خَطَرًا لِنَفْسِهِ .

كان يقال : لَأَنَّ تُطَلَّبَ الدُّنْيَا بِأَقْبَحِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ تُطَلَّبَ بِأَحْسَنِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الْآخِرَةُ .

قالت امرأة لبعولها ورائه مهموما : مِمَّ هُمُكَ ؟ أِبَالِدُنِيَا قَدْ فَرِغَ اللَّهُ مِنْهَا أَمْ بِالْآخِرَةِ فَرَادَكَ اللَّهُ هُمَا ! .

الثوري قال : قال المسيح : حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالْمَالُ فِيهَا دَاءٌ كَثِيرٌ ؛ قِيلَ : مَا دَاءُهُ ؟ قَالَ : لَا يَسْلُمُ [صاحبه] ^(١) مِنَ الْفَخْرِ وَالْكَبَرِ ؛ قِيلَ : وَإِنْ سَلِمَ ؟ قَالَ : يَسْتَعْلِهِ إِصْلَاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

بلغني عن محمد بن فضيل قال : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء قال : يا أهل حصص ، مالي أراكم تجمعون كثيرا ، وتنبئون شديدا ، وتأمّلون بعيدا ! إنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ جَمَعُوا كَثِيرًا وَتَنَبَّأُوا شَدِيدًا وَأَمَلُوا بَعِيدًا فَصَارَ جَمْعُهُمْ بُورًا وَصَارَتْ مَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا وَأَمْلَهُمْ غُرُورًا . وفي رواية أخرى : يا أهل دمشق ، المالك تجمعون ما لا تأكلون ، وتنبئون ما لا تسكنون ، وتأمّلون ما لا تدركون ! ألا إنَّ عادا وثمودا كانوا قد ملّوا ما بين بصرى وعدن أموالا وأولادا ونساء ، فَمَنْ يَشْتَرِي مَيِّمًا تَرَكَوا بَدْرَهُمْ !

(١) زيادة بعلها السياق .

بلغني عن داود بن الحبر عن عبد الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نريد البصرة ، حتى إذا كنا بين الرصافة وحمص سمعنا صائحا يصيح من بين تلك الرمال — سمعته الأذان ولم تره السيوف — يقول : يا مستور يا عفو ! اغفل في سِرِّ مَنْ أَنْتَ ! فإن كنت لا تغفل (١) مَنْ أَنْتَ في سِرِّه فأتق الدنيا فإنها حي الله ! فإن كنت لا تغفل كيف تتقيها فصيرها شوكا ثم انظر أين تضع قدميك منها ! .
قال المأمون : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما أحسنت أن تصف نفسها صفة أبي نواس في هذا البيت :

إذا اختبر الدنيا لَيْبٌ تَكْشِفُ * له عن عَدُوِّ في ثياب صَدِيق
قال المسيح عليه السلام : أنا الذي كَفَّاتِ الدنيا على وجهها ، فليست لي زوجة تموت ولا بيت يترب .
قال أبو العتاهية :

يَأْمَنُ تَرْفَعُ لِلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا * ليس الترفع رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف الناس كلهم * فأنظر إلى ملك في رِيٍّ يسكين
وقال آخر وذكر الدنيا :

إذا تَمَّ أمر دنا قصصه * توقع زوالا إذا قيل تم
وقال آخر :

لا تَبْكِ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا * وإليك ليوم تسكن الحافرة
وإليك إذا صيح بأهل الثرى * فاجتمعوا في ساحة الساهرة
وإليك يا دنيا لقد قصرت * آمال من يسكنك الآخرة

٢٠ (١) زيادة على السياق . (٢) أي الأرض التي تخفينا قبرهم ، فهاط الحافرة والمراد المحفورة . (٣) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها ، قال تعالى : (فإذا هم بالساهرة) . وقيل : هي الأرض التي لم توطأ وقيل : هي أرض يجتهدوا الله يوم القيامة . (انظر اللسان مادة سهر) .

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

- (١١) قام فقال : إنه لما سهل علينا ما توعد على غيرنا من الوصول إليك ، ثمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما في أعناقنا من قريضة الأمر والنهي عند انقطاع طمر الكتان ، ولا سيما حين اتسمت بحسم التواضع ووعدت الله وجملة كتابه إيثار الحق على ما سواه ، بجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التحيص لئيم مؤدينا على موعود الأداء وقابلنا على موعود القبول ، أو يزيدنا تحييص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ، ويخلصنا حيلة الكذابين ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذابا من أقبل إليه العلم وأدبر عنه ، ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به فقد رغب عن هديته الله وقصر بها ، فأقبل ما أهدى الله إليك من السنن قبول تحقيق وعمل لا قبول سمعة ورياء ، فإنه لا يمدك من إعلام لما تجهل أو مواطأة على ما تعلم أو تذكير من غفلة ، فقد وطن الله عز وجل نبيه عليه السلام على زولها تعزية عما فات وتحصينا من التصادى ودلالة على المخرج ، فقال : ﴿ وَإِنَّمَا يَتَزَعَّتْ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَعٌّ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ ، فأطلىح الله على قلبك بما يتوره من إيثار الحق ومناجاة الأهواء .
- ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلا إذ سمع قائلا يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور

(١) انظر بالقد القريدي ج ١ ص ٣٦٤ ما قاله صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي .

جلس ناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل يدعوه، فصل الرجل ركنين وأسلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصور: ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البنى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حشوت مسامى ما أرمىنى^(١)؛ قال: يا أمير المؤمنين إن أمتنى على نفعى أنباتك بالأمور من أصولها، وإلا أحتجرت منك وأقتصرت على نفعى فيها لى شاغل، فقال: أنت [أمن] على نفسك [فقل]؛ فقال: إك الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البنى والفساد لأنت؛ قال: ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضى والحلو والحامض عندى! قال: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك! إن الله تبارك وتعالى استعرك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم وأهملت جمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الحص والأجر وأبوابا من الحديد وجبة معهم السلاح ثم سمحت نفسك فيها عنهم، وبعثت عمالك فى جباية الأموال وجمعها وقوتيتهم بالرجال والسلاح والكراع، وأمرت بالآ يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرهم على رعيتك وأمرت ألا يجبوا عنك، تجي الأموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا: هذا قد خان الله فبألنا لا نخونه وقد سمعنا لنا نفسه! فأتمروا بالآ يصل إليك من علم أخبار الناس شىء إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا قصبوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره،

(١) أرمىنى: أرمىنى وآلمنى. (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤

(٣) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ وفى الأصل «وأمرتهم». (٤) قصبه: طأه ورشقه. والعقد الفريد «عقونه».

- فلما انتشر ذلك عنك وعنهم، أعظمهم الناس وهاجهم، فكان أول من صاتهم ثمأتك بالهدايا والأموال ليقووا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم، فامتلات بلاد الله بالطمع بغيره فسادا، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فإن جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك، فإن أراد رفع قصصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك [خبره] سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك، فإن المتظلم منه له بهم حمة، فأجابه خوفا منهم؛ فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه، فإذا أجهد وأحرج وظهرت، صرخ بين يديك، فضرِبَ ضرباً مبرحاً، ليكون نكالا لغيره، وأنت تنظر فلا تنكر، فما بقاء الإسلام على هذا! وقد كنت يا أمير المؤمنين [أسافر] إلى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسبعه، فبكى يوما بكاء شديدا فحسه جلساؤه على الصبر فقال: أما إني لست أبكي للبيئة النازلة بي، ولكنني أبكي لمظلوم بالباب يصرخ ولا أسمع صوته ثم قال: أما إذ ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا يلبس ثوبا أحمر إلا متظلم، ثم كان يركب الفيل طرق ناره، وينظر هل يرى مظلوما. فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين ثم نفسه وأنت مؤمن بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب وأضلت بالمسلمين على شيء نفسك! فإن كنت إنما تجمع المال لوليك، فقد أراك الله عبدا في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه، ولست

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥

(٣) كذا في العقد الفريد «عنه» وفي الأصول «غدا» وهو تحريف.

بالذى تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد
السلطان فقد أراك الله عبراً في بنى أمية: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة
وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت إنما أجمع
المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا
متلة لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين، هل تُعاقب من عصاك
بأشد من القتل قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملك الذى خولك ملك
الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود فى العذاب الأليم، قد رأى
ما قد عُقِدَ عليه قلبك وتحمته جوارحك ونظر إليه بصرك وأجترحت يداك ومشت إليه
وجلاك، هل يفى عنك ما عَصَمْتَ عليه من ملك الدنيا إذا أترعه من يذك ودعاك
إلى الحساب، فبكى المنصور وقال: يا ليتنى لم أُخلَق! ويحك! فكيف أخال لنفسي
قال: يا أمير المؤمنين إن الناس أعلاماً يفرعون إليهم فى دينهم ورضون بهم فأجعلهم بطانتك
يرشدوك، وشاورهم فى أمرك يسدوك، قال: قد بعثت إليهم فهاؤوا منى، قال:
خافوا أن يعلمهم على طريقتك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وأنصر المظلوم واقنع
الظالم وخذ التوى والصدقات مما حل وطالب وأقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا
القضامن عنهم أن ياتوك ويسعدوك على صلاح الأمة. وجاء المؤذنون فسلموا عليه
فصل وعاد إلى مجلسه وطلب الرجل فلم يوجد.

مقام آخر والمنصور يخطب

خطب المنصور حميد الله ومضى فى كلامه، فلما انتهى إلى أشهد أن لا إله إلا
الله وثب رجل من أقصى المسجد فقال أذكرك من تذكر، فقال المنصور: سمعنا من
قهم عن الله وقد ذكر به، وأعوذ بالله أن أكون جباراً عصياً، وأن تأخذنى العزة بالإثم

لقد ضَلَلْتُ إِذَا وما أنا من المهتدين، وأنتَ واللهِ أيها الغافل ما أردتَ بها اللهَ ولكن حاولتَ أن يقال: قام فقال فوقَ بَصِيرَةٍ وأهْوَيْتَ بِقَاتِلِهَا لَوْ حَشَمْتُ، فَأَهْتِئِلْهَا ^(١) وَيَلِكْ إِذْ عَفَوْتُ؛ وَإِلَّا كَمَعَشَرَ النَّاسِ وَأَخْتَبَهَا؛ فَإِنَّ الموعظةَ علينا نزلتْ ومن عندنا أثبتتْ فَرُدُّوا الأُمُرَ إِلَى أَهْلِهِ يُصَدِّدُوهُ كَمَا أَوْ رَدُّوهُ؛ ثُمَّ رَجِعْ إِلَى خُطْبَتِهِ فَقَالَ: وَأَشْهَدُ أَنْ هَذَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

قال للمنصور: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فأشترتَ نفسك ببعضها، وأذكر ليلةً تَخَصُّصُ عن يومٍ لاليلةٍ بعده؛ فوجَّهَ أبو جعفر من قوله؛ فقال له الربيع: يا عمرو غنمتَ أمير المؤمنين؛ فقال عمرو: إن هذا صاحبك عشرين سنة لم يرك عليه أن يَنْصَحَكَ يوماً واحداً وما حَمَلَ وراءَ بابك بشيءٍ من تَخَلُّبِ الله ولا سَنَةِ نَبِيِّهِ؛ قال أبو جعفر: فما أصنع! قد قلتُ لك: خاتمي في يدك فتعال وأصحابك فأكفني؛ قال عمرو: أدعنا بصدك تَسْخُ أَنْفُسُنَا بِعَوْنِكَ؛ بِيَابِكَ أَلْفَ مَظْلَمَةٍ أَرَدُّدُ مِنْهَا شَيْئاً نَسْمُ أَنْكَ صَادِقٌ.

مقام أعرابي بين يدي سليمان

قام فقال: إني مُكَلِّكُ يا أمير المؤمنين بكلام فيه بعضُ النِظْفَةِ. فَأَحْتَمِلْهُ إِنْ كَرِهْتَهُ، فَإِنَّ وِراءَهُ مَا تُحِبُّهُ إِنْ قَبِلْتَهُ؛ قال: هاتِ يا أعرابي؛ قال: إني سأطيقُ لسانِي بِمَا تَحَرَّسْتَ عَنْهُ الْأَلْسُنُ مِنْ عِظَمِكَ تَأْدِيَةً لِحَقِّ الله وَحَقِّ إِمَامَتِكَ، إِنَّهُ قَدْ

(١) فَأَهْتِئِلْهَا أَيِ اخْتَنَمَهَا، وَالْإِخْتِمَالُ: الْإِخْتِمَامُ بِأَتَابِ الزُّهْرَةِ. (٢) فِي الْأَصْلِ «أَغْنَمْتُ» وَلَمْ يَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا «أَغَمَّ» مُصَدِّقاً لِمَا يَقَالُ: «غَمَّ الْأَمْرُ» مِنْ

اكتنَّفَكَ رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دينكَ بدينهم ورضاكَ بسخط ربهم، خافوكَ في الله ولم يخافوا الله فيكَ، فهم حَرْبٌ للآخرةِ مسلِّمٌ للدنيا، فلا تأمَنهم على ما آتمنَّكَ الله عليه، فإنَّهم لن يألوا الأمانةَ تضييعاً والأمانةَ عسفاً وخسفاً، وأنتَ مسئولٌ عما اجتروا وليسوا مسئولين عما اجتروحتَ، فلا تُصلِّحْ دنياهم بفساد آخرتكَ، فإنَّ أعظمَ الناسَ غيباً من باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أما أنت يا أعرابي ^(١) فقد سلَّلتَ لسانك، وهو أقطعُ سيفيك؛ فقال: أجل، لك لا عليك .

مقام أعرابي بين يدى هشام

قال: أنت على الناسِ سنون، أما الأولى فَلَحَّيْتُ الحِمَّ، وأما الثانية فَاكَلْتُ الشَّحْمَ، وأما الثالثةُ فَهَاضَتِ العَظْمَ، وعندكم فضولُ أموالٍ، فإن كانتِ لله فاقسِمُوها بين عبادِهِ، وإن كانتِ لهم فقيمْ تَحْفَرُ عنهم ! وإن كانتِ لكم فتصمِّتُوا عليهم بها فإن الله يجزي المتصمِّتين؛ فأمر هشامُ بمالٍ فُضِّمَ بين الناسِ وأمرُ للأعرابي بمالٍ؛ فقال: أكلَ المسلمين له مثل هذا؟ قالوا: لا ولا يقومُ بملكِ بيتِ مالِ المسلمين؛ قال: فلا حاجةَ لي فيما يبعثُ لائمةِ الناسِ على أمير المؤمنين .

مقام الأوزاعي بين يدى المنصور

ذكره عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام قال: دخلتُ عليه فقال: ما الذي بَطَّأ بك عني؟ قلتُ: يا أمير المؤمنين وما الذي تريد مني؟ فقال: الاقتباسُ منك؛ قلتُ: انظر ما تقول، فإنَّ مكحولاً حدثني عن عطية بن بشير أنَّ رسولَ الله

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفي الأجل «قله» .

(٢) من لحوت الشجرة إذا أخذت لحامها وهو قشرها .

(٣) حاض الظم يحضه هيضاً فأنهض: كسره يبد الجور فهو مهض .

- صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ بَلَغَ مِنْ اللَّهِ نَصِيحَةً فِي دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سَيِّقَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قَبِلَهَا مِنْ اللَّهِ بِشُكْرِهِ وَإِلَّا كَانَتْ مُجَمَّةً مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِيَزِدَادَ إِثْمًا وَلِيَزِيدَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا ، وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضِي فَلَهُ الرِّضَا ، وَإِنْ خَطِئَ فَلَهُ السَّخَطُ ، وَمِنْ كَرَمِهِ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ ، لِأَنَّهُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ" ، فَلَا تَجْهَلَنَّ ، قَالَ : وَكَيْفَ أَجْهَلُ ؟ قَالَ : تَسْمَعُ وَلَا تَحْمِلُ بِمَا تَسْمَعُ . قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : فَسَلِّ عَلَى الرَّبِيعِ السَّيْفِ .
- وقال : يقول لأمر المؤمنين هذا ! فاتهره المنصور . وقال : أميك . ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال : إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به ، والله سَأَلْتُكَ عَنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا وَفَتِيلِهَا وَقَعِيرِهَا ، وَلَقَدْ حَدَّثَنِي جُرْعَةُ بْنُ رُوَيْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا مِنْ رَاغٍ بَيْتٍ غَاشًا لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَاحَةَ الْجَنَّةِ " ، حَفِيقٌ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَكُونَ لِرَعِيَّتِهِ نَظَرًا ، وَلِيَا اسْتَطَاعَ مِنْ عَوَارِثِهِمْ سَآئِرًا ، وَبِالْقِسْطِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِمًا ، لَا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُمْ مِنْهُ رَهَقًا وَلَا مَسِيئُهُمْ عَدَوَانًا ؛ فَقَدْ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةٌ يَسْأَلُكَ بِهَا وَيُرَدِّعُ عَنْهُ الْمُنَافِقِينَ ؛ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : " يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ ! إِقْذِفْهَا لَا تَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ رُبًّا " . فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَشَقَّقَ أَبْشَارَهُمْ وَأَنْهَبَ أَمْوَالَهُمْ ! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ مَا إِلَى الْقِيَاصِ
- ١٥ من نفسه يَجْدُشْ خَدَشَهُ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ ، فَهَبَطَ جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمِثْكَ جَبَّارًا تَكْبِيرُ قُرُونِ أَتُكِّ . وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَمِيلُ شَرِبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرِهَا ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ قُلَّةٌ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا بَأْسَرًا " . إِنَّ الدُّنْيَا تَقِطُّ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لَمْ يَبْقَ لَكَ قَبْلُكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ نَوْبًا مِنْ

(١) ثياب أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لأذاهم فكيف مَن يَتَّقِمُهُ! ولو أنْ ذُنُوبًا
من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لأَجَنَّهُ فكيف مَن يَجْعَزُهُ، ولو أنْ
حَلَقَةٌ من سلاسل جهنم وُضِعَتْ على جبل لذاب، فكيف مَن سَلَكَ فِيهَا وَرَدَّ
فَضْلُهَا على عائته! وقد قال عمر بن الخطاب: «لَا يَقُومُ أَمْرُ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ
العقدة، بعيدُ البزة، لا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ على عَوْرَةٍ، ولا يُحْتَقُّ في الحقِّ على جِرَّةٍ،
ولا تَأْخُذُهُ في الله لَوْمَةٌ لَأَمِّمْ».

وأعلم أت السلطان أربعة: أمير يُظْلِفُ نَفْسَهُ وَعُمَلَاءَهُ، فَذَلِكَ لَهُ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ
في سبيل الله وصلاته سبعون ألف صلاة ويدُ الله بالرحمة على رأسه تُرْفَرُ؛ وأمير
رَتَعَ وَرَتَعَ عُمَلَاءَهُ، فَذَلِكَ يَحْمِلُ أَثْمَالَهُ وَأَثْمَالًا مَعَ أَثْمَالِهِ؛ وأمير يُظْلِفُ نَفْسَهُ وَيَرْتَعُ
عُمَلَاءَهُ، فَذَلِكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ؛ وأميرٌ يَرْتَعُ وَيُظْلِفُ عُمَلَاءَهُ، فَذَلِكَ شَرُّ
الْأَكْيَاسِ.

وأعلم يا أمير المؤمنين أنك قد أَبْتَلَيْتَ بِأَمِيرٍ عَظِيمٍ حُرِّضَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَعْلَمَهُ وَأَشْفَقَنَ مِنْهُ؛ وَقَدْ جَاءَ عَنْ جَدِّكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: أَنَّ الصَّغِيرَةَ التَّسْمُ،
وَالْكَبِيرَةَ الضَّمَكُ، وَقَالَ: فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْكَلَامِ وَمَا عَمَلُهُ الْإِيدَى! فَأَعِيذُكَ بِاللَّهِ أَنْ
يُحْمِلَ إِلَيْكَ أَنْ قَرَأْتَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَتَفَعَّعَ مَعَ الْمُخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ؛ فَقَدْ

(١) القريب: الدلولي دون الماء، تذكر وتوت. (٢) آجته: جمعه آجته أي متغير العلم
واللون ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة متدية، فأثبتناه بالهمزة على القول بأن تمدية الفعل بها
قياسية. (٣) في الأصل: «فيه». (٤) لا يحمي في الحق على جرة: لا يغلوي على حقد
ودغل. وأصل الإحراق: لحرق البطن بالصلب والصفاء به. والجزرة (بالكسر): ما يخرج من الجير من جوفه
ويصفه. فكأن عررض الله عنه بدم الإحراق على الجزرة عن عدم إختار الحقد والنفيذ. (٥) يظلف
نفسه: يكتفها. (٦) في الأصل «أن يحميها» ومرجع الضمير هاهنا مذكر.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا صفيّة عمّة محمد وإفاطمة بنت محمد استوها أنفسكما من الله إنى لا أُغنى عنكما من الله شيئا" . وكان جلدك الأكبر سال رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارّة؟ فقال : "أى عم نفس تُحييها خيرُك من إمارّة لا تُحييها" ، نظرًا لعمه وشفقة عليه أن يلى فيجور عن سته جناح بعوضة ، فلا يستطيع له نعمًا ولا عنه دفعا . هذه نصيحتي إن قبلتها فلنفسك عملت ، وإن رددتها فنفسك بحسنت ، والله الموفق للخير والمعين عليه ؛ قال يلى ! قبلها ونشكرُ عليها ، وبالله نستعين .

مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

- قال خالد : وفدتُ عليه فوجدته قد بدأ يشربُ الدَّهنَ ، وذلك في عام باكرَ وشميه وتناجٍ وليسه وأخذت الأرض زُرْعُها ، فهي كالزرايين المشبوبة والقباطي^(١) المشبورة ، وثراها كالكانور لو وضعت به بضعة لم تترب ، وقد ضربت له سُرَادِقَاتُ جبر^(٢) بعث بها إليه يوسف بن عمر من الين تسلا^(٣) كالعقيان ، فأرسل إلى فدخلت عليه ، ولم أزل واقفا ، ثم نظرت إلى كالمستطيق لي ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتم الله عليك نعمه ودفع عنك نقمه ؛ هذا مقام زَيْنَ الله به ذكرى وأطاب به أنشرى ، إذ أراى وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لِمَقَامِ هذا شيئا هو أفضل من أن أتته^(٤) أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمد الله على ما أعطاه ، ولا شئ أحضر من حديث

(١) الرسمى : مطر الربيع الاثول سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والولى (وزان غنى) :

المطر بعد الرسمى . (٢) الزرايين : البسط الملوثة . والقباطي (بضم أزله وقشد آتوه أربنح الأول مع تخفيف الأخير) : جمع قبضية (بضم القاف) وهي ثياب تكان بيض رفاق تفسل في مصر .

(٣) البضعة (بالفتح وتكرس) : القطعة من اللحم . (٤) حبر (وزان منب) : جمع حبرة (كمنية)

وهي الخيط من البرود ، يقال : برد حبرة على الإساءة والوسفة .

سلف الملك من ملوك العجم إن أذن لي فيه حديثه به ، قال : هات ، قلت : كان رجل من ملوك الأعاجم جَمَعَ لَهُ قَتَاةُ السِّنِّ وَصَحَّةُ الطَّبَاعِ وَسَعَةُ الْمُلْكِ وَكَثْرَةُ الْمَالِ ، وذلك بالخَوَزَنِيِّ ، فاشرف يوما فنظر ما حوله فقال لمن حضره : هل علمت أحدا أوقى مثل الذي أوتيتُ ؟ فقال رجل من بقايا حملة الحجية : إن أذنت لي تكلمتُ ، فقال : قل ، فقال : أرايتَ ما جَمَعَ لك ، أشتى هَؤُلَكَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ ، أَمْ هُوَ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ وَكَذَلِكَ يَزُولُ عَنْكَ ؟ قال : لا ! بل شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي فزَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَكَذَلِكَ يَزُولُ عَنِّي ، قال : فَسِرِّدْتَ بَشِيرَ تَذْهَبُ لِذَنَّهُ وَتَبْقَى تَبْعَتُهُ ، تَكُونُ فِيهِ قَلِيلًا وَتَزْتَنُّ بِهِ طَوِيلًا ، فبَكَى وَقَالَ : أَيْنَ الْمَهْرَبُ ؟ قال : إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ فِي مُلْكِكَ فَتَعْمَلَ فِيهِ بَطَاعَةَ رَبِّكَ ، وَإِمَّا أَنْ تُنْقِيَّ عَلَيْكَ أَمْسَا حَا^(١) ثُمَّ تَطْحُقَ بِجِلٍّ تَعْبُدُ فِيهِ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْكَ أَجْلُكَ ، قال : فَمَاذَا إِذَا أَنَا فَعَلْتُ ذَلِكَ ؟ قال : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ وَصَحَّةٌ لَا تَسْقُمُ وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَسِيلُ ، فَأَتَى جَبَلًا فَكَانَ فِيهِ حَتَّى مَاتَ . وَأَنشَدَهُ قَوْلَ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَزَنِيِّ إِذَا أَمَرَ * جَمَّ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكُّيرُ
سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْتَدُّ * لِمُلْكِهِ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدُ^(٢)
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غِيْبُ * طَلَعَتْ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

فبَكَى هَشَامٌ وَقَامَ وَدَخَلَ ، فَقَالَ لِي حَاجِبِهِ : لَقَدْ كَسَبْتَ نَفْسَكَ شَرًّا ، دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِجَدِّهِ وَتَلَاهِيهِ وَقَدْ عَرَفْتَ عِلَّتَهُ فَمَا زِدْتِ عَلَيَّ أَنْ نَعَيْتِ إِلَيْهِ نَفْسَهُ . فَأَقْبَتُ أَيَّامًا أَتَوَقَّعُ الشَّرَّ ، ثُمَّ أَنَانِي حَاجِبُهُ فَقَالَ : قَدْ أَمَرَ لَكَ بِجَائِزَةٍ وَأَذِنَتْ لَكَ فِي الْانْصِرَافِ .

٢٠ (١) الأسباح : جمع مسح (الكسر) وهو الكساء من شعر كتوب الرهبان (٢) معرنا : من

أعرض الشيء إذا ظهر وبرز .

مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز

قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق ، فبها تخرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ،
وكم من قومٍ قد غرهم مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاها الموت فاستوعبهم فخرجوا
من الدنيا مُرَمِلِينَ لم يأخذوا لِمَا أَحْيَا من الآخرة عُدَّةً ولا لِمَا سَكَّرُوا جَنَّةً ،
وَأَقْسَمَ ما جمعوا من لم يَحْدِثْهم وصاروا إلى من لا يَغْدِرْهم . فَأَنْظِرْ الذي تُحِبُّ أَنْ
يَكُونَ مَعَكَ إِذَا قَدِمْتَ ، فَقَدِّمِهِ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِ ، وَانْظُرْ الذي تَكْرَهُ أَنْ
يَكُونَ مَعَكَ إِذَا قَدِمْتَ ، فَاتَّبِعْ بِهِ الْبَدَلَ حَيْثُ يَجُوزُ الْبَدْلُ ؛ وَلَا تَنْهِنَنَّ إِلَى سِلْعَةٍ
قَدْ بَارَتْ عَلَى غَيْرِكَ تَرْجُو جَوَازَهَا عَنْكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، افْتَحِ الْأَبْوَابَ ، وَسَهِّلِ
الْمَجَابَّ ، وَانصُرِ الْمَظْلُومَ .

مقام الحسن عند عمر بن هبيرة

١٠

كَتَبَ ابْنُ هُبَيْرَةَ إِلَى الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ وَالشَّعْبِيِّ فَقَدِّمْ بِهِمْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ
لَهُمْ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْتُبُ إِلَيَّ فِي الْأَمْرِ ، إِنْ فَعَلْتَهُ خَفْتُ عَلَى دِينِي ، وَإِنْ لَمْ أَفْعَلْهُ
خَفْتُ عَلَى نَفْسِي ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ سِيرِينَ وَالشَّعْبِيُّ قَوْلًا رَقَقًا فِيهِ ، وَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ :
يَا بَنُ هُبَيْرَةَ ، إِنْ اللَّهُ يَمْنَعُكَ مِنْ يَزِيدَ ، وَإِنْ ابْنُ سِيرِينَ لَا يَمْنَعُكَ مِنْ اللَّهِ . يَا بَنُ هُبَيْرَةَ ، خَفِ
اللَّهُ فِي يَزِيدَ وَلَا تَخَفْ يَزِيدَ فِي اللَّهِ . يَا بَنُ هُبَيْرَةَ ، إِنَّهُ يُورِثُكَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكًا
فَيُتِلَّكَ عَنْ سِرِّكَ إِلَى سَعَةِ قَصْرِكَ ، ثُمَّ يَخْرِجُكَ عَنْ سَعَةِ قَصْرِكَ إِلَى ضَيْقِ قَبْرِكَ ،
فَإِنَّكَ لَا تُنْجِيكَ إِلَّا عَمَلُكَ . يَا بَنُ هُبَيْرَةَ ، إِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ؛ فَأَمْرٌ لَهُ
بَارِبَةُ آلَافٍ دَرَاهِمَ وَأَمْرٌ لِابْنِ سِيرِينَ وَالشَّعْبِيِّ بِالْفَيْنِ ؛ فَقَالَا : رَقَّقْنَا فَرَّقْنَا لَنَا .

باب من المواعظ

كلام للحسن

- قال في كلام له : أُنْكُمُ أَخْرَأْتُمْ وَأَنْتُمْ أَخْرَأْتُمْ ، وقد أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ فإِذَا تَنْتَظِرُونَ ! المعانيه ؟ فَكَيْفَ قَدْ . هِيَّاتِ هِيَّاتِ ! ذَهَبَتِ الدُّنْيَا بِحَالٍ بِأَلْهَا ، وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ أَطْوَأًا فِي أَعْنَاقِ بَنِي آدَمَ ، فَيَالِهَا مَوْعِظَةٌ لَوْ وَافَقَتْ مِنْ الْقُلُوبِ حَيَاةً ! إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا أَمَّةَ بَعْدَ أَمَّتِكُمْ ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا كَلْبَ بَعْدَ كَلْبِكُمْ ، أَنْتُمْ تَسُوقُونَ النَّاسَ وَالسَّاعَةَ تَسُوقُكُمْ ، وَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ أَنْ يَلْحَقَ آخِرُكُمْ . مَنْ رَأَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رَأَى غَاوِيًا رَأْحًا لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ وَلَا قِصْبَةً عَلَى قِصْبَةٍ ، رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَعَّرَ إِلَيْهِ ، فَالْوَحَا الْوَحَا ، وَالنَّجَاءُ النَّجَاءُ . عَلَامَ تَمُوجُونَ ؟ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ وَأَنْتُمْ كُلُّ يَوْمٍ تَرْذَلُونَ . لَقَدْ صَحِبْتُ أَقْوَامًا كَانَتْ صَحْبَتُهُمْ قُرَّةَ الْعَيْنِ وَجَلَاءَ الصَّدُورِ ، وَكَانُوا مِنْ حَسَنَاتِهِمْ أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِمْ أَشْفَقَ مِنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَنْ تُعَذِّبُوا عَلَيْهِمْ ، وَكَانُوا فِيهَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا أَزْهَدَ مِنْكُمْ فِيهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ . إِنِّي أَسْمَعُ حَسِيسًا ، وَلَا أَرَى أُنَيْسًا ، ذَهَبَ النَّاسُ ، وَبَقِيَتْ فِي النَّسَاسِ ، لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَافَعْتُمْ ، تَهَادَيْتُمْ الْأَطْبَاقَ وَلَمْ تَهَادُوا النَّصَاحَ . يَا بَنِي آدَمَ ، إِنْ دَرِنَ اللَّهُ لَيْسَ بِالتَّصَلَّى وَلَا بِالْفَتَى ، وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَى الْقُلُوبَ وَصَلَّكَهُ الْأَعْمَالُ .

كلام لبعض الزهاد

لَا تَفْتَرِّقْ بَطُولَ السَّلَامَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الشُّكْرِ ، وَلَا تُعْمِلَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ فِي مَعْصِيَتِهِ ؛ فَإِنَّ أَقْسَلَ مَا يَجِبُ لِمُهْدِيهَا أَلَّا تَجْعَلَهَا ذَرِيعةً إِلَى غَفْلَتِهِ . وَاسْتَدْعِ شَارِدَةَ النِّعَمِ

(١) كذا بالأصل . (٢) تَرْذَلُونَ : تصيرون أرذالا ، والأرذال : جمع رذل وهو الحقير

بالتوبة ، وأستدِمَ الرَّاهِنَ منها بِكَمِ الْجَوَارِ ، وأستَفْتَحَ بابَ المَزِيدِ بِحَسَنِ التَّوَكُّلِ .
 أو ما عَلِمْتُ أَنِ الْمُسْتَشْعِرَ لَنَدَى الْخَطِيئَةِ الْمَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ كُفْلِ الطَّاعَةِ يَطْفُئُ النَّبَأَ ،
 زَمَرُ الْمَرْوَةِ ، فَصَى الْمَجْلِسِ ، لَا يُشَاوِرُ وَهُوَ ذُو بَرَأَةٍ ، وَلَا يُصَدِّرُ وَهُوَ حَمِيلُ الرُّوَاءِ ،
 غَامِضُ الشَّخْصِ ضَيْلُ الصَّوْتِ تَزُرُّ الْكَلَامَ يَتَوَقَّعُ الْإِسْكَاتَ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَهُوَ
 يَرَى فَضْلَ مَرْبِّهِ وَصَرِيحَ لَبِّهِ وَحَسَنَ تَفْضِيلِهِ ، وَلَكِنْ قَطَعَهُ سَوْءٌ مَا جَنَى عَلَى
 نَفْسِهِ ، وَلَوْ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِ عَيُونُ الْخَلِيقَةِ لَهَجَسَتْ الْعُقُولُ بِإِدَاهَانِهِ . وَكَيْفَ يَمْنَعُ مِنْ
 سُقُوطِ الْقَدْرِ وَظَنِّ الْمُنْقَرِصِ مِنْ عُرَى مِنْ حِلْيَةِ التَّقْوَى وَصَلْبِ طِبَائِعِ الْمُهْدَى !
 وَلَوْ لَمْ يَتَفَشَّرْ ثَوْبَ سِرِّيَّتِهِ وَقَبِيحَ مَا أَجْنَّ مِنْ مَخَالِفَةِ رَبِّهِ لَقَطَعَهُ الْعِلْمُ بِقَبِيحِ مَا قَارَفَ
 عَنْ أَقْتَادَارِ ذَوِي الطَّهَارَةِ فِي الْكَلَامِ وَإِدْلَالِ أَهْلِ الْبِرَاءَةِ فِي النَّدَى .

كلام لغيلان

١٠
 إِنَّ التَّرَاجُعَ فِي الْمَوَاضِعِ يُوشِكُ أَنْ يُذْهِبَ يَوْمَهَا وَيَأْتِيَ يَوْمُ الصَّاحَةِ ، كُلُّ الْخَلْقِ
 يَوْمَهُذِ مُصْبِحٌ يَسْمَعُ مَا يُحَالُ لَهُ وَيُقْضَى عَلَيْهِ ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْنِ فَلَا تَسْمَعُ
 إِلَّا هَمْسًا . فَاصْبِرْ الْيَوْمَ عَمَّا يُصِيبُكَ يَوْمَهُذِ ، وَتَعَلَّمْ ذَلِكَ حَتَّى تَعْلَمَهُ ، دَابَّتِهِ حَتَّى
 تَجِدَهُ ، وَادِرْ قَبْلَ أَنْ تَضْجَأَكَ دَعْوَةُ الْمَوْتِ ، فَإِنَّهَا عَنِيفَةٌ إِلَّا بِمَنْ رَحِمَ اللَّهُ ، فَيُقْهِمَكَ
 فِي دَارِ تَسْمَعُ فِيهَا الْأَصْوَاتَ بِالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ وَالثَّبُورِ ، ثُمَّ لَا يُقَالُونَ وَلَا يُسْتَنْبَوْنَ .
 ١٥
 إِنِّي رَأَيْتُ قُلُوبَ الْعِبَادِ فِي الدُّنْيَا تَخْشَعُ لِأَيِّسَرٍ مِنْ هَذَا وَتَقْسُو عِنْدَ هَذَا ، فَاظْطَرِّ إِلَى
 نَفْسِكَ أَعْبُدِ اللَّهَ أَنْتَ أَمْ عَلَوْهُ يَا رَبِّ مُتَعَبِّدٌ لِبِسَانِهِ ، مُعَادٍ لَهُ بِفَعْلِهِ ذُلُوفٌ فَإِنْ لَأَنَسِيَاقِ
 إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ فِي أُمْنِيَةِ أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ يَبْعُرُهَا بِالْأَمَانِيِّ وَالْفُلُونِ . فَأَعْرِفْ نَفْسَكَ

(١) كذا في الأصل ، وفي البيان والبيان ج ٢ ص ١٧٩ «كف المصصة» . (٢) نطف الثناء .

٣٠ قذله . وزمر المروءة : طليها - (٣) البراءة : الرأي الجيد . (٤) أي بالبن له والمصافاة .

(٥) كذا في البيان والبيان ج ٢ ص ١٨٠ ، وفي الأصل «المخبرين» .

وَسَلَّ عَنْهَا الْكَتَابَ الْمُنِيرَ، سُؤَالَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ ، وَعِلْمَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ ،
فَإِنَّ الرَّبَّ جَلَّ شَأْؤُهُ لَا يَمُذِّرُ بِالْمُذِيرِ وَالْمُتَغَيِّرِ ، وَلَكِنْ يَمُذِّرُ بِالْحَدِّ وَالتَّشْمِيرِ . إِنْ كُنْتَ
نَصِيحَتِي ، فَإِنَّهَا كَسُوءِ تَقْوَى وَدَلِيلٌ عَلَى مَفَاتِحِ الْخَيْرِ ، وَلَا تُكُنْ كَهَلَاءِ زَمَنِ الْخُرْجِ
إِنْ وُضِعُوا أُنْفُوا ، وَإِنْ وُضِعُوا عُنُقُوا . وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ .

كتاب رجل إلى بعض الزهاد

كُتِبَ إِلَيْهِ : إِنَّ لِي نَفْسًا تُحِبُّ الدُّعَا ، وَقَلْبًا يَأْلَفُ اللَّذَاتِ ، وَهَمَّةً تَسْتَفِيزُ
الطَّاعَةَ ، وَقَدْ وَهَمْتُ نَفْسِي الْآفَاتِ ، وَحَدَّرْتُ قَلْبِي الْمَوْتَ ، وَزَجَرْتُ هِمَّتِي عَنْ
التَّقْصِيرِ ، فَلَمْ أَرْضَ مَا رَجَعَ إِلَيَّ مِنْهُنَّ ، فَأَهْدِلِي — رَحِمَكَ اللَّهُ — مَا أَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَى مَا شَكُوتُ إِلَيْكَ ، فَقَدْ خَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ الْإِسْتِعَادِ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ : كَثُرَتْ جُحْيِي مِنْ قَلْبٍ يَأْلَفُ الذَّنْبَ ، وَهَمَّي تَطْمِئِنُّ إِلَى
الْبَقَاءِ ، وَالسَّاعَاتُ تَتَقَلَّبُ وَالْأَيَّامُ تَطْوِي أَعْمَارَنَا ، فَكَيْفَ يَأْلَفُ قَلْبٌ مَا لَا ثَبَاتَ لَهُ ،
وَكَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ لَا تَدْرِي لَعَلَهَا لَا تَطْرِفُ بَعْدَ رَقَدَتِهَا إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ! وَالسَّلَامُ .

وكتب رجل من العباد إلى صديقه له :

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الْيَقِينِ مُتَّفِقِينَ ، وَفِي الْعَمَلِ مُتَفَاوِتِينَ ، وَرَأَيْتُ الْحِجَّةَ
وَاجِبَةً ، فَلَمْ أَرُ فِي يَقِينٍ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ عَمَلٍ حِجَّةً ، وَلَا فِي عَمَلٍ كَانَ بِغَيْرِ يَقِينٍ
مُنْفَعَةً ، وَرَأَيْتُ مَنْ تَقْصِيرِ أَنْفُسَا فِي السَّعْيِ لِمَرْجُوٍّ مَا وُعِدَتْ وَالْمُحَرَّبِ مِنْ مَخَوْفٍ
مَا حُدِّرَتْ ، حَتَّى أَسْلَمَهَا ذَلِكَ إِلَى أَنْ ضَاعَتْ مِنْهَا النِّيَّةُ وَقَلَّ التَّحَقُّظُ وَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا
السَّقَطُ وَالْإِفْهَالُ وَأَشْتَعَلَتْ مِنْهَا الشَّهْوَةُ ، وَدَعَاهَا ذَلِكَ إِلَى التَّمَرُّغِ فِي فُضَاهِجِ

- الذات، وهي تعلم أن عاقبتها الندم، وثمرتها العقوبة، ومصيرها إلى النار إن لم يعف الله— عجبت لعملي أمري كيف لا يشبه يقينه، ولعلم موقني كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه، حتى لا تكون الرغبة منه إلا إليه والرهبة منه إلا له. وزادني عجباً أنني رأيت طالب الدنيا أجده من طالب الآخرة، وخائفها أتعب من خائف الآخرة، وهو يعلم يقيناً أنه ربّ مطلوب في الدنيا قد صار حين نبيل حثفاً لطالبه، وأنه ربّ مخوف فيها قد لحق كرهاً بالمأرب منه فصار حثفاً له، وأن المطلوب إليه من أهلها ضعيف عن نفسه محتاج إلى ربه تملوك عليه ماله غزوة عنه قدرته. واعلم أن رجاء ما يسعى له الطالب ويهرب منه المأرب أمران: أحدهما أجله، والآخر رزقه، وكلاهما بعينه شاهد على أنه لا يملكه إلا الذي خلقه. فلم أدر حين صار هذا اليقين في موضع الإيمان يقيناً لا شك فيه، كيف صار في موضع العمل شبهة بالشك الذي لا يقين فيه! وكيف، حين اختلف في أمر الآخرة، لم يختلف في أمر الدنيا، فيكون خائف الآخرة لربه تكائف الدنيا لسلطانه صبراً له على تجشم المكروه، ومجزئاً منه لفصيص الغيظ، واحتالاً منه لقادح التنصب، وعملاً له بالسخره، وتحفظاً من أن يضيره على غش أوهم له بخلاف؛ ولو فصل ذلك ما عليه منه حتى يظهر له بقول أو فعل؛ ولو علمه ما قدر له على قطع أجل لم يقن ورزق لم ينفذ؛ فإن أتت بالسخط من سلطانه فكيف حزنه ووحشته، وإن أنس منه رضا عنه فكيف سروره وأختياره! فإن قارف ذنباً إليه فكيف تضعفه واستخاؤه، فإن ندبه لأمر فكيف خفته ونشاطه! وإن ناه عنه فكيف حزنه وأنماطه! وهو يعلم أن خالقه ورازقه يعلم سره وجهه، وراه في مقبله ومثواه، ويسأله في فضائحه وعورته، فلم يرعه عنها حياءً منه ولا تقية له، قد أمره فلم ياتمر، وزجره فلم يذجر،

وَحَدَّرَهُ فَلَمْ يَحْدَرْ، ووَعَدَهُ فَلَمْ يَرْغَبْ، وَأَعْطَاهُ فَلَمْ يَشْكُرْ، وَسَتَرَهُ فَلَمْ يَزِدَّ بِالْإِسْرَافِ لَا تَعْرِضُوا
لِلْفَضَائِحِ، وَكَفَاهُ فَلَمْ يَقْنَعْ بِالْكَفَايَةِ، وَصَيَّنَ لَهُ فِي رِزْقِهِ مَا هُوَ فِي طَلَبِهِ مُشِجٌ^(١)، وَيَقْطَلُهُ
مِنْ أَجَلِهِ لِمَا هُوَ عَنْهُ لَا، وَفَزَعَهُ مِنَ الْعَمَلِ لِمَا هُوَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ مُشْغُولٌ؛ فَسَيَحْضُرُ
مِنْ وَسْطِ ذَلِكَ حَالُهُ وَتَقْدَمُهُ مِنْ عِبَادَةِ عَفْوِهِ؛ وَلَوْ شَاءَ مَا فَعَلُوهُ؛ وَلَا يُسْأَلُ
عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ .

فَأَجَابَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَمَلَ الْيَقِينِ بِأَعْظَمِ الْمَوَاضِعِ فِي أَمْرِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُوَ نَافِيَةٌ عَنِ الْعَالَمِ وَبَصِيرٌ بِالصَّوَرِ وَفَهْمٌ بِالسَّامِعِ؛ لَيْسَ كَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
تَدْخُلُهَا الشُّبُهَاتُ وَيَمُحُّهَا الْإِغْصَالُ وَيُشَوِّبُهَا الْوَهْنُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ
مَعْرِسَةَ الْقَلْبِ؛ وَأَغْصَانَهُ الْعَمَلُ، وَثَمَرَتَهُ النَّوَابِ . وَإِنَّمَا جَعَلَ الْقَلْبَ لِلْيَقِينِ
مَعْرِسًا، لِأَنَّهُ جَعَلَ الْخَمْسَ الْخَوَالِبَ لَعَلَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا إِلَى الْقَلْبِ : السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْمَجَسَّةَ وَالْمَذَاقَةَ وَالْأَسْتِرَاحَ . فَلِذَا صَارَتِ الْأَشْيَاءُ إِلَيْهِ مَيِّزَةً بَيْنَهَا الْعَقْلُ، ثُمَّ صَارَتْ
بِأَجْمَعِهَا إِلَى الْيَقِينِ، فَكَانَ هُوَ الْمُنْتَهَى لَهَا وَالْمَوْجَّهَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ جِهَتَهَا . وَلَوْلَا
مَعْرِفَةُ الْقَلْبِ بِالْعَقْلِ الَّذِي جَمَلَهُ اللَّهُ لَدُنْكَ، لَمْ يَفْرُقْ سَمْعٌ بَيْنَ صَوْتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَلَا بَصَرٌ
بَيْنَ صَوْرَتَيْنِ مُتَقَارِبَتَيْنِ، وَلَا مَجَسَّةٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ غَيْرِ مُتَشَابِهَيْنِ . وَلِلْيَقِينِ بَعْدَ ذَلِكَ
مِثْلَةٌ يُعْرَفُ بِهَا حَالُ الضَّائِقِ وَالنَّافِعِ فِي الْمَاقِبَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى . فَلَمَّا صَارَ الْيَقِينُ
فِي التَّشْبِيهِ كَالشَّجَرَةِ النَّابِتَةِ فِي الْقَلْبِ، أَغْصَانُهَا الْعَمَلُ وَثَمَرَتُهَا النَّوَابِ، أَخْبَرَ ذَلِكَ أَنَّهُ
قَدْ تَكُونَتِ الشَّجَرَةُ نَابِتَةً الْأَصْلَ بِلَا أَغْصَانٍ كَمَا قَدْ يَكُونُ الْيَقِينُ نَابِتًا بِلَا عَمَلٍ؛ وَأَنَّهُ
كَمَا لَا تَكُونُ الْأَغْصَانُ نَابِتَةً بِلَا أَصْلٍ، فَكَذَلِكَ لَا يَكُونُ الْعَمَلُ نَافِعًا إِلَّا بِيَقِينٍ؛
وَكَمَا أَنَّهُ لَا تُحْلِفُ الثَّرَى فِي الطَّيِّبِ وَالكَثْرَةُ إِذَا كَانَ الْأَصْلُ نَابِتًا وَالْأَغْصَانُ مُتَفَتَّةً،

- فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحسن عمله . وقد تعرض للأعمال عوارض من الليل : منهنّ الأمل المنيط ، والنفس الإمارة بالسوء ، والهوى المزين للباطل ، والشيطان الجارى من ابن آدم مجرى الدم ، يضررن بالعمل والثواب ، ولا يبلغ ضررهنّ اليقين ، فيكون ذلك كبيض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات فتدوى أغصانها وتثرورقها وتمنع ثمرتها والأصل ثابت^(١) ، فإذا تجلّت الآفة عادت إلى حال صلاحها ، فإذا يعجبك من عمل امرئ لا يشبه يقينه وأن يقينه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ؟ فإنما العجب من خلاف ذلك ! ولعمري لو أشبه عمل امرئ يقينه فكان في خوفه ورجائه كالماين لسا يماينه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر إلى ما وعد وأوعد ، لكان ما ينتج على قلبه من خطرات الخوف شاغلا له عن الرجاء ، حتى يأتى على نفسه أول لحظة ينظر بها إلى النار خوفا لها أو إلى الجنة أسفا عليها إذا حرّمها ، وإذا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالماين له يوم القيامة . وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقل فضلا عن أن يعمل ! وأما قولك : « كيف لم يكن خائف الآخرة لربه تكاتف الدنيا لسلطانها » ، فإن الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولا ، فهو لضعفه موكل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره ، وهو بسجلته موكل بحبّ الأجل فالأجل مما يشتهى ، وزاده حرصا على المخلص من المكروه وطلباً للحبوب حاجته إلى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذى لولا ما طيس عليه القلب من حبه وسهّل على المخلوقين من طلبه ، لما أتنفع بالدنيا مُتنع ولا عاش فيها عائش . ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحبتها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليت به لذنب سلف متى ، وأما المحبوب فيقول فيه : عسى أن أكون رزقته بحسنة كانت منى فهو ثواب

(١) في الأصل " يضررن " .

تُجَلَّ، وهو مع هذا يعلم أن علومَ المخلوقين إلى الضيق، وأن قلوبَ أكثرِ مُسَلِّطِهِمْ
إلى القسوة، وأن العيبَ عنهم مستورٌ، فليس يلمس منهم إلا علمَ الظاهر
ولا يضع إلا به، ولا يُلَفِّتُ من أمرئٍ إلى صلاح سريره دون صلاح علانيته. ومن
طباع الإنسان اللؤم، فليس يَرْضَى إذا خِيفَ إلا بأن يُذَلَّ، ولا إذا رُجِيَ إلا بأن يُتَعَبَّ،
ولا إذا غَضِبَ إلا بأن يُخَضَّعَ له، ولا إذا أَمَرَ إلا بأن يُنْفَذَ أمره، ولا يَنْفَعُ المتشفع^(١)
بإحسانه عنده إذا أساء ولا المطعُّ بكثرة طاعته في المعصية الواحدة إذا عصى،
ولا يرى التواب لازماً له ولا العقاب محجوراً عليه، فإن عاقب لم يَسْتَبِقْ، وإن
غَضِبَ لم يَتَبَيَّ، وإن أساء لم يَتَذَر، وإن أذنبَ إليه مَذنبٌ لم يَغْفِرْ، واللطيفُ
الخبير يعلم السريرة فيغفرُ بها العلانية، ويغو بالحسنة عشرة من السيئات، ويصنِّعُ
بتوبة الساعة عن ذنوب مائة عام، إن دُعِيَ أجاب، وإن اسْتَغْفَرَ غَفَرَ، وإن أُطِيعَ
شكر، وإن عَصِيَ عَفَا، ومن وراء عيده بعد هذا كله ثلاث : رحمته التي وسعت
كلَّ شيء، وشهادة الحق التي لا يزكو إلا بها عمل، وشفاعته النبي صلى الله عليه
وسلم، وهذا كله مثبتٌ لليقين، بأسط. للأمل مُبْطَلٌ عن العمل إلا مَنْ شاء الله. وقيل
ما هم. فلا تَحْمِلْ تَطَلَّفَ عَمَلِكَ على صحة يقينك فتوهنَ إيمانك، ولا تُرَخِّصْ لنفسك
في مُقَارَفَةِ الذنوب، فيكونَ يقينك خصماً لك وَحْجَةً عليك، وكَذَبَ أَمَلُكَ وجَاهِدَ
شهوَتَكَ، فإنهما داءُ الخوفانِ على دينك المتوترانِ على هَلَكِكَ^(٢). وأسال الله الغنيمة لنا ولك.

موعظة مستعملة

وكيع عن زيد العتي عن عون بن عبد الله قال : كان أهل الخير
يكتب بعضهم إلى بعض هؤلاء الكلمات : مَنْ عَمِلَ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ الله أَمْرَ دُنْيَاهُ،
(١) كذا بالأصل . (٢) بالأصل «المتفع» . (٣) المتوتران : المتأوتان .
(٤) سمى زيدا المسمى لأنه كان كلما سئل عن شيء قال «حتى أسأل عني» وقيل : هو منسوب إلى بن
المع بن من تميم (انظر تهذيب التهذيب في اسم زيد بن الحارثي) .

ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريره أصلح الله له علاقته .

موعظة لعمر بن عتبة

العتبي عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :

- كُتِبَ أَبُوْنَا لَا يَرْفَعُ الْمَوَاعِظَ عَنْ أَهْمَانَا، فَأَرَادَ مَرَّةً سَفَرًا فَقَالَ : يَا بَنِيَّ تَأَلَّفُوا
النَّاسَ بِحَسَنِ تَجَاوُزَاتِهَا ، وَاتَّقُوا الْمَزِيدَ فِيهَا بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا ، وَأَمْلِكُوا أَنَّ النَّفْسَ أَقْبَلَ
شَيْءٍ لَهَا أُعْطِيَتْ وَأَعْطِيَ شَيْءٌ لَهَا سُئِلَتْ ، فَاحْلُولُوا عَلَى مَطِيَّةٍ لَا تُطِيعُ إِذَا رُكِبَتْ ،
وَلَا تُسَبِّقُ وَإِنْ تَقَدَّمَتْ ، عَلَيْهَا نَجَا مَنْ هَرَبَ مِنَ النَّارِ ، وَأَدْرَكَ مَنْ سَابَقَ إِلَى الْجَنَّةِ ؛
فَقَالَ الْأَصَاغِرُ : يَا أَبَانَا مَا هَذِهِ الْمَطِيَّةُ ؟ قَالَ : التَّوْبَةُ .

صفات الزهاد

حدثني عبد الرحمن العبدى عن يحيى بن سعد السعدي قال :

- سَأَلَ الْحَوَارِيُّونَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالُوا : يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ؟ قَالَ :
هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا ، وَإِلَى أَجْلِ الدُّنْيَا حِينَ
نَظَرَ النَّاسُ إِلَى حَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَلَحْشُوا أَنْ يُمَيِّتَهُمْ وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّ سِيَرَتَهُمْ ،
فَصَارَ اسْتِكْرَامُهُمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا ، وَفَرَحُهُمْ بِمَا أَصَابُوا مِنْهَا حَزَنًا ، فَمَا عَارِضُهُمْ مِنْ نَاقِلِهَا
وَرَفْضُهُ وَمَا عَارِضُهُمْ مِنْ رَفِيعٍ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَضَعُوهُ ، فَهَمُّ أَعْدَاءِ مَا سَأَلَ النَّاسُ وَسِمٌ
مَا عَادُوا ، خَلَقَتْ الدُّنْيَا عَنْدهُمْ فَلَيْسَ بِعَمْرُونَهَا ^(١) ، وَمَاتَتْ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَيْسَ بِمُحِبَّتِهَا ^(٢) ،
يَهْدُونَهَا وَيَنْتَوْنَ بِهَا آخِرَتَهُمْ ، وَيَدْعُونَهَا وَيَسْتَرُونَ بِهَا مَا بَقِيَ لَهُمْ ، وَنَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا

(١) خَلَقَتْ (فَتَحَّضَتْ) (مِنْهَا) : بَلِيَتْ . (٢) كَذَا بِالْأَصْلِ خَيْرُ مَسَدٍ لَضَمِيرِ الْجَمَاعَةِ ،

وَبِهِ أَنْ اسْمَ ضَمِيرِ لَتَانِ وَخَيْرُهَا الْجَمْعُ بَدَلًا .

صَرَخَى قَدْ خَلَتْ مِنْهُمُ الْمُتَلَاتُ فَأَجَبُوا ذَكَرَ الْمَوْتَ وَأَمَاتُوا ذَكَرَ الْحَيَاةَ ، بِهِمْ نَطَقَ الْكَتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا ، وَبِهِمْ عَلِمَ الْكَتَابُ وَبِهِ عَمِلُوا ، لَا يَرُونَ تَأَلُّمًا مَعَ مَا نَالُوا ، وَلَا أَمْنًا دُونَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَصْلُوحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَصْبُغِيِّ :

٥ . إِنْ قَوْمًا دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَمُودُونَهُ فِي مَرَضٍ ، فَإِذَا فِيهِمْ شَابٌّ ذَائِلٌ نَاحِلٌ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا قَتِي مَا الَّذِي يُلْغِي بِكَ مَا أَرَى ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْرَاضُ وَأَسْقَامُ ، فَقَالَ عُمَرُ : لَتَصْدُقَنِي ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذُقْتُ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا فَوَجَدْتُهَا مَرَّةً فَصَعُرْتُ فِي مَبْنَى زَهْرَتِهَا وَحَلَاوَتِهَا ، وَأَسْتَوِي عِنْدَى جَمْرُهَا وَذَهَبُهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وَإِلَى النَّاسِ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِلَى النَّارِ ، فَاطْمَعْتُ لَذَّةَ نَهَارِي وَأَسْهَرْتُ لَهُ لَيْلًا ، وَقَلِيلٌ حَقِيرٌ كُلُّ مَا أَنَا فِيهِ فِي جَنْبِ ثَوَابِ اللَّهِ وَجَنْبِ عِقَابِهِ .
١٠ . يُلْفِي عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَخِيهِ عَنِ الْفَيَاضِ عَنْ زُبَيْدِ الْيَاسَمِيِّ عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُنْتَقَدُوا وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُسْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ ضُرَاءٍ مُظْلِمَةً" .
١٥ .

وَعَنْ وَكِيعٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ مَتِيٍّ عَنْ أَوْفَى بْنِ دَهْمٍ قَالَ :

قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَسَمُّوا الْعِلْمَ تَعَرَّفُوا بِهِ وَأَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانٌ يُنْكِرُ فِيهِ الْحَقَّ قِسْمَةَ أَغْشَاءِهِمْ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ نَوْمَةٍ ، يَعْنِي

(١) نَسَبًا إِلَى يَوْمِ بَلَدٍ مِنْ مَدَائِنَ ، أَنْظَرْتُ تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ فِي اسْمِ زُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَفِي الْأَسْمَلِ

(٢) جَمْعُ عَشِيرَةٍ كَالْعَشِيرَةِ مِنْ عَشَرَةٍ .

«الْبَاقِي» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الميت الذكر، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعجل المذاييع البذر. وقال
 علي عليه السلام أيضا: إنا الدنيا قد أرتحلّت مديرة وإن الآخرة قد أرتحلّت مقيلة،
 ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا.
 ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا.
 ألا من أشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحومات،
 ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات. ألا إن لله عبادا كن رأى أهل الجنة
 في الجنة مخلدن وأهل النار في النار معددين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزنة،
 وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة، أما بالليل
 فصافق أقدا نهمهم، تجرى دموعهم على خدودهم، يشارون إلى الله: ربنا ربنا
 يطلبون فكذلك رقابهم، وأما بالنهار فخلعاهم علماء بررة أقياء كأنهم القداح ينظر إليهم
 الناظر فيقول: مَرْضَى، وما بالقوم من مريض، ويقول: خُولُوا، ولقد خالط
 القوم أمر عظيم.

حدثنا إصحاق المعروف بابن زَاهَوِيَّه أن عون بن عبد الله بن حبة كان يقول:
 يا بني كن من نأى به عن نأى عنه يقين وزاهة، ودُّوهُ من دنا منه لين ورحمة،
 ليس نأيه تكبرا ولا عظمة، ولادُّوهُ يَحْدِجُ ولا خَلَايَة، يَقْتَدِي بمن قبله، وهو
 إمام من بعده، لا يعجل فيمن رآه ويعفو إذا تبين له، ينقص في الذي له
 ويزيد في الذي عليه، لا يمزب حاتم ولا يحضر جهله، الخير منه مأمول والشر

(١) في الأصل: « الميت الداء » وما أثبتناه يدل عليه قول أبي عبيدة في تفسير التوبة من هذا
 الأثر: الخامل الذكر الفاضل في الناس (اللسان مادة نوم). (٢) جمع مذاييع وهو التي لا يكتم
 السر. (٣) جمع بذور وهو من ينذر السر أي يشبه بين الناس. (٤) كذا بالأصل
 والسياق يقتضي أن يكون « دنا به عن » (٥) رآه: شككه وأوجب عنه الريبة.

منه مأمونٌ، إن رُجِيَ خاف ما يقولونَ وأستغفروا لا يعلمون ، إن عصته نفسه
 فيما كرهت لم يُطعها فيما أحبت ، بصمتُ لیسلم ويخلو ليغم وينطق ليقهم ويخاطب
 ليسلم . ولا تكن يا بُني ممن يُعجب باليقين من نفسه فيما ذهب وينسى اليقين فيما
 رجا وطلب ، يقول فيما ذهب : لو قدر شيء كان ، ويقول فيما بقي : ابتغ أيها
 الإنسان ، تغلبه نفسه على ما يظن ولا ينلها على ما يستيقن ، طال عليه الأمل ففتر ،
 وطال عليه الأمد فاعتز وأعذر إليه فيما عمر وليس فيما عمر بمعذر ، عمر فيما يتذكر فيه
 من تذكر ، فهو من الذنب والنعمة موقر ، إن أُعطي لم يشكر ، وإن مُنع لم يعذر ،
 يُحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويُفرض المسيئين وهو أحلهم ، يرجو الأجر
 في البغض على ظنّه ولا يفتش اليقين من نفسه ، يفتش الخلق في ربه ولا يفتش
 الرب في خلقه ، يموذ بالله من هو فوقه ، ولا يريد أن يُعبد الله منه من هو تحته ،
 يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسر من عمله ، يُصر العورة في غيره
 ويُفعلها من نفسه ، إن صلى أعرض ، وإن ركع ربح ، وإن سجد نقر ، وإن جلس
 شعر ، وإن سأل الحلف ، وإن سئل سوّ ، وإن حدث أخلف ، وإن وعظ كلف ،
 وإن مدح فرح ، يحسد أن يُفضل ، ويهد أن يُفضل ، إن أفيض في الخير يرم
 وضعتُ وأستسلم وقال : الصمتُ حكمٌ ، وهذا ما ليس لي به علم ، وإن أفيض
 في الشر قال : يُحسب بي شيء ، فتكلم يجمع بين الآراي والنعام وبين الخصال والعلم
 ولا تم ما لا يتلاءم ، يتعلم للراء ، ويتفقه للرياء ، ويأيد ما يفتي ، ويؤاكل ما يبي .

- (١) أي أعذراه إليه ، يقال : أعذراه إلى من بلغ السنين من العمر ، أي لم يق فيه موضعا للاعتذار
 حيث أمهله طول هذه المدة . (٢) بثابت له طهر ، يقال : ما أعذر فلان أي لم يثبت له طهر .
 (٣) أعرض : تكلف ، يقال : أعرض فلان الشيء أي تكلفه . (٤) الإغلاف في المستقبل
 كالكذب في الماضي ، وهو أن يقول شيئا ولا يفعله . (٥) كلف : كثر في عبوس .
 (٦) ستم وخبر . (٧) حكم : حكمة . (٨) جمع أدوية تنفع على الفكر والأفنى من الروع .

حدثني محمد بن داود عن أبي شريح الخوارزمي قال : سمعت أبا الربيع الأعمرج
عمرو بن سليمان يقول :

- قال الحسن بن علي : ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني ،
وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه
فلا يتشبهى ما لا يحمل ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد
يده إلا على نقية لمصعة ، كان لا يتشكى ولا يتبرم ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا
قال بد القائلين ، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الحد فهو الليث عادي ، كان إذا
جامع العلماء على أن يسمع أحرض منه على أن يقول ، كان إذا غلب على الكلام
لم يلقب على السكوت ، كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول ، كان إذا عرض
له أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحق نظر أفرهما من هواه فخالفه ، كان لا يلوم
أحدًا على ما قد يقع العذر في مثله . زادني غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضياً عدلاً
وشهوداً عدولاً ^(١) .

- وفي كلام علي رضي الله عنه لكَيْل حين ذكر جميع الله في الأرض فقال : هم
بهم العلم على حقائق الأمور ، فباشروا رَوْحَ اليقين ، واستلنوا ما أسوَعُ المُتَرَفِّونَ ،
وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة بالمَحَلِّ
الأعلى ، هاهُ شوقاً إلى رؤيتهم ^(٢) .

قال رجلٌ ليونس بن عيسى : تعلمُ أحدًا يعمل بعمل الحسن ؟ قال : والله
ما أعرفُ أحدًا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله ! قيل : فصِفْ لنا ، قال : كان

- (١) في الأدب الكبير ص ١٣٠ طبع مصر سنة ١٣٣٠ : « كان لا يدخل في دعوى ، ولا يشترك
في شرا ، ولا يبدل بحجة ، حتى يرى قاضياً أخ » . (٢) في نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع
بيروت سنة ١٨٨٥ « آه » وهذا الكلمتين مماها اتوجع .

إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميه ، وإذا جلس فكأنه أسير أمر بضرب عنقه ، وإذا ذُكرت النار فكأنها لم تُخلق إلا له .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : ما مثل قراء هذا الزمان إلا كمثل غنم ضواث ذات صوف عجاف أكلت من الخض وبثريت من الماء حتى انتفخت خواصرها ، فترت برجل فأعجبته ، فقام إليها فعبط منها شاة فإذا هي لا تنقي ، ثم عبط أخرى فإذا هي كذلك ، فقال : أف لك ، سائر اليوم .

حدثنا حسين بن المبارك قال أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إذا شئت لقيته أبيض بضاً حديد النظر ميت القلب والعمل ، أنت أبصر به من نفسه ؛ ترى أبداناً ولا قلوب ، وتسمع أصوات ولا أنس ، أخصب السنة وأجذب قلوب .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن وكيع قال :

قال سفيان : الزهد في الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس الغليظ . قال : وقال يوسف بن أسباط : لو أن رجلاً في ترك الدنيا مثل أبي ذر وأبي الدرداء وسلمان ، ماقلنا له : إنك زاهد ، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المحض ، والحلال المحض لا يعرفه اليوم ، وإنما الدنيا حلال وحرام وشبهات ؛ فالحلال حساب ، والحرام

(١) الخض من الثياب : كل ثياب مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبط الثابة : دبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لا تنقي : ليس لما تبقى لضعفها وهزلها .

والنقي : المخل . (٤) كذا في الأصل ، ولم يتقدم ما يصلح أن يكون مرجعاً للضمير في قوله « لقيته » .

وفي النهاية لابن الأثير ولسان العرب في مادة « بض » : وفي حديث الحسن « تلقى أهدم أبيض بضاً » .

(٥) من البضاعة وهي رقة اللون وصفاته .

- عذابٌ، والشبهات عتابٌ، فأنزل الدنيا منزلة الميتة خذ منها ما يُقيمك، فإن كان ذلك حلالاً كنت زاهداً فيها، وإن كان حراماً لم تكن أخذت منها إلا ما يُقيمك كما يأخذ المضطر من الميتة، وإن كان عتابٌ كان العتاب يسيراً. ومثله قول بعضهم : ليس الزهد بترك كل الدنيا، ولكن الزهد التهاونُ بها وأخذُ البلاغ منها. قال الله تعالى: ﴿وَشَرُّهُ يَبْمِئُ بِحَسِّ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، فأخبر أنهم زهدوا فيه وقد أخذوا له ثمناً .

- قال أبو سليمان الداراني : الرضا عن الله والرحمة الخالق درجة المبرسين ، وما تعرف الملائكة المقربون حد الرضا . وقال : أرجو أن أكون قد نلت من الرضا طرفاً، لو أنه تبارك وتعالى أدخلني النار كنت بذلك راضياً . قال : وليس الحمد له أن يتحمده بلسانك وقلبك مقتصر على المصيبة، ولكن هو أن تحمده بلسانك وقلبك مسلماً راضٍ .

- وقال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان : بلغني في قول الله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أنه الذي يلقي ربه وليس فيه أحد غيره ، فبكي وقال : ما سمعت مذ ثلاثين سنة أحسن من هذا . وقال : كل قلب فيه شرك فهو ساقط. قال : وما في الأرض أحد أجده له محبة ولكن رحمة . وقال : ينبغي للخوف أن يكون أغلب على الرجاء ، فإذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب .
- وقال الفضيل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله .

- الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبيجر : أن رجلاً يمشي أباً سعيد كان يقول : والله ما رأيت فجراً زمان قط أغلظ رقاباً ولا أدق شياياً ولا كل لمخ العيش منكم .
- أبو أسامة عن حماد بن زيد عن إسماعيل بن سويد قال :

قال مطرف: أنظروا قوما إذا دُرُّوا دُرُّوا بالقراءة فلا تكونوا منهم . وقوما إذا دُرُّوا دُرُّوا بالهَجُور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء .
أوصى ابن حجر يرحل فقال : إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف وتَسأل ولا تُسأل وتُمشي ولا يُمشي إليك ، فافعل .

قال أيوب : ما أحب الله عبداً إلا أحبَّ ألا يُسْعَبه .

إسحاق بن سليمان عن جرير بن عثمان قال : جاء شريح بن عبيد إلى أبي عذو الأزدي فقال : يا أبا عبد الله ، لو أحييت سنة قد تركها الناس : إرخاء طرف الهمامة من الجانب الأيسر ! قال : يا بن أُمي ، ما كان أحسنها ! تركها الناس فتركها ، ما أحبَّ أن أعرف في خير ولا شر .

كلام من كلام الزهاد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا عبد الله بن عبد العزيز قال :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل : يا فلان ، هل أنت على حال أنت فيها مستعد للموت ؟ قال : لا ؛ قال : فهل أنت مجمع على التحول إلى حال ترضى بها ؟ قال : ما تَخَصَّصْتُ نفسي لذلك ؛ قال : فهل بعد الموت دارٌ فيها مُسْتَعْتَب ؟ قال : لا ؛ قال : فهل تأمنُ الموت أن يأتِكَ ؟ قال : لا ؛ قال فهل رضى بمثل هذا الحال عاقل ! .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن مبارك قال حدثني غير واحد من معاوية ابن قرة قال :

(١) مج : عازم . (٢) المستعيب : الطلب إلى المي . أن يرجع عن إساءته .

قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث : أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أراض الله عنه أم سخط عليه . وأبكاني فراق الأختة : عدي وحزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السرائر ، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

كان عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول : تضحك ولعل أكتفأك قد خرجت من القصار^(١) . قال : وقال الفضيل : أصل الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يزويها عنه ويمرمرها عليه بالمرمر مرة وبالبلوع مرة وبال حاجة مرة ، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها : تسقيه مرة صبراً^(٢) ومرة حضضاً^(٣) ، وإنما تريد بذلك ما هو خير له .

وقال السري : ليس من أعلام الحب أن تحب ما ينفضه حبيبك . أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : أما زهنتك في الدنيا فتعجبك الراحة لنفسك ، وأما انقطاعك إلى تميزك بي ، ولكن هل عادت لي عدواً أو وليت لي ولياً .

قال مالك بن دينار : بلغنا أن حبراً من أحبار بني إسرائيل كان يشاء الرجال والنساء ، فغمز بعض بنيه النساء ، فرآهم فقال : مهلاً يا بني مهلاً ! قال : فسقط عن سريره فاقطع ثنأه وأسقطت أسرأته وقيل بنوه في الجيوش . وقيل له : ما يكون من جنسك حبراً أبداً ، ما كان غضبك لي إلا أن قلت يا بني مهلاً يا بني مهلاً .

(١) القصار : المخزولتياب ، سمى بذلك لأنه يندفها بالقصرة التي هي قطعة من الخشب .

(٢) يمرمرها : يمججها ويبدئها . (٣) عصاره شجر مرمر . (٤) الحفض

(بضم أوله مع ضم ثانيه أو فتحه) : دواء ينفذ من أروال الإبل ، ويقال على صنف من نحو الصنوبر والراز

له ثمرة كالقفل . (٥) النطاع : الخيط الأبيض في جوف الفقاير يندرج من الدماغ وتشتب من

شعب في الجسم .

قَتْرَةُ بن ربيعة قال: سمعت إبراهيم بن آدم يقول: إَرْضَ بالله صاحباً ودَّعِ الناسَ جانباً .

كاتب يُشْرِبُ الحارث يقول: أُرِسْتُ رُفْعَهُمُ الله بغير كبيرِ عَمَلٍ في الظَّاهِرِ إلا يطيب المَطْعَمُ : إبراهيم بن آدم وسأله الخواصَّ ووَعِيْبُ المَكِّي ويوسف ابن أسباط .

وحدَّثني أبو حاتم أو غيره عن العُتْبِيِّ قال: سمعت ابن حُيَيْنَةَ يقول: أَرِيعَ ليس عليك في واحدةٍ مِنْهُنَّ حسابٌ: سِدُّ الحَوْمَةِ، وَبَرْدُ المَطْشَةِ، وَسِتْرُ المَوْرَةِ، وَالِاسْتِكْنَانُ، ثُمَّ تَلَا: «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْعَلُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى» .

بلغني عن يعلَى عن سُفْيَانَ : قال علَّ عليه السلام لرجل: كيف أتم؟ قال: زَجْوٌ وَخَافٌ؛ قال: من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيءٍ هَرَبَ مِنْهُ، ما أَدْرَى ما خَوْفٌ رَجُلٍ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ فلم يَدْعُهَا لِمَا يَخَافُ! وما أَدْرَى ما رَجَاءٌ رَجُلٍ نَزَلَ بِهِ بَلَاءٌ فلم يصبر عليه لِمَا يَرْجُو .

بلغني عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال: إن كان الفضيلُ في الجماعة فإن السلامةَ في العزلة . وبلغ الفضيلُ هذا فقال: سمعتهُ كلاماً أحسن منه!

قال ابن المبارك: رَكِبْتُ مع محمد بن النضر الحارثي السفينةَ فقلتُ: بأي شيء أستخرج منه الكلام؟ فقلت: ما تقول في الصوم في السفر؟ فقال: إنما هي المبادرة؛ فقامني والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشَّعْبِي .

حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال: قيل لأبي حازم: ما مالك؟ فقال: الثقة بما في يد الله واليأس بما في أيدي الناس . وقال أبو حازم: إنه ليس شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلكم؛ فأثر نفسك أيها المرءُ بالصبيحة على

ولذلك، وأعلم أنك إنما تخلف مالك في يد أحد رجلين: عامل فيه بمعصية الله فتشقى بما جمعت له، وعامل فيه بطاعة الله فتسعد بما شقيت له؛ فأرجُح لمن قدمت منهم رحمة الله، وثق لمن خلفت منهم برزق الله.

وقال أبو حازم: إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك في أدناها ما يكفيك، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يُشفيك.

ونظر أبو حازم إلى الفاكهة في السوق فقال: موعذك الجنة، ومر بالجزارين فقال له رجل منهم: يا أبا حازم، هذا سمين فآشتر منه؛ قال: ليس عندي ثمنه؛ قال أنا أنظرك؛ ففكر ساعة ثم قال: أنا أنظر نفسي.

قال سُفيان: خلف أبو حازم لجلسائه: إني لأرضى أن يتق أحدكم على دينه كما يتق على نفسه.

حدثني محمد بن زياد الزبدي قال حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصحَّة والقِرَاعُ نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس».

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو ربيعة قُهد بن عَوْن عن حماد بن سادة عن يعقوب قال: سمعتُ الحسن يقول: «إِنَّ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ عَدُوٌّ، فَإِذَا مَضَى يَوْمُ فَقْدِ مَضَى بِمَضْنِكَ».

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي عن الحسن بن دُرَّكَّان رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوْصَانِي رَبِّي بِتِسْعِ خَصَالٍ وَإِنِّي مُوَصِّيكُمْ بِهَا:

(١) كذا بالأصل. ولم نجد فيها بين أيدينا من المصادر أن «يتق» يتدلى بحرف «عل» فله محرف

عن «يتق» والإبقاء على الشيء: الإبقاء والحفاظة عليه.

بالإخلاص في السر والعلانية، والمثل في الرضا والنصب، والقصد في الفقر والغنى،
وأن أعفوا عمن ظلمني، وأصل من قطعني وأعطى من حرمني، وأن يكون صمقي
تفكراً، ومنطلق ذكراً، وتظري عبراً» .

مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن حميد قال : كان ابن عمر يقول : البرُّ
شيءٌ هينٌ : وجهٌ طليقٌ وكلامٌ لينٌ .

جعفر بن سليمان قال : سمعت مالكا يقول : اتقوا السعارة، فإنها تسحر
قلوب العلماء . قال : وبمعته يقول : وددت أن رزق في حصاة أمصها حتى
أموت، ولقد آخلفت إلى أن تلأه حتى آستحييت من ربِّي .

بشر بن مصلح عن أبي سعيد المصيصي عن أسد بن موسى قال : في الجوع
ثلاثٌ خلال : حياة القلب، ومثالة النفس، ويورث العقل الدقيق الساموي .

سالم بن سالم البلسخي عن السري بن يحيى قال : كان الحسن إذا عاد مريضاً
لم تنتفع به يوماً وليلة، وإذا شيع جنازة لم ينتفع به أهله وولده وإخوانه فلا تأ .

خلف بن تميم قال : قال رجل لإبراهيم بن آدم : يا أبا إسحاق، أحب أن تقبل
منى هذه الجبة كسوة، قال إبراهيم : إن كنت غنياً قبلتها منك، وإن كنت فقيراً
لم أقبلها، قال : فإني غني، قال : كم عندك ؟ قال : ألفان، قال : فيسرك أن
تكون أربعة آلاف؟ قال : نعم، قال : أنت فقير، لا أقبلها .

قال عبيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفضيل نعوذ، فقال :
زُوجك وخولك وصرف وجه الناس إليك وأنت تشعلك عنه من أنت وما أنت !
ثم شفق شفقة، وأضجع رجل كان عنده وغطى عليه ثوباً وهو لا يعقل، ونزلنا .

بكار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال :

٥

١٠

١٥

٢٠

قال أبو حازم : السَّرُّ أَمْلُكُ بِالْمَلَانِيَةِ مِنَ الْعَلَانِيَةِ بِالسَّرِّ، وَالْفَعْلُ أَمْلُكُ بِالْقَوْلِ
من القول بالفعل ، فإذا كُنْتَ في زمانٍ يُرَضَى فيه من الفعل بالقول ومن العمل
بالعلم، فانت في شرِّ زمان وشرِّ أناس .

- ابن أبي الحواري قال : ذكرت لأبي سليمان أمرأتى والشغل بها ، فقال :
إِنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ أَنَّكَ تُرِيدُ الْفِرَاقَ لَهُ فَرُغْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الرَّاحَةَ مِنْهَا
لِتَسْتَبْدِلَ بِهَا ، فَهَذِهِ حِمَاةٌ . قال : وَرَأَيْتُهُ حِينَ أَرَادَ الْإِحْرَامَ فَلَمْ يُلَبَّ حَتَّى سَرْنَا مَلِيًّا
وَأَخَذَهُ كَالْقَشْيِ وَجَسَلَ رَأْسَهُ عِنْدَ رُكْبَتِهِ بَفْعَلٍ بَحْلٍ يَحْفَ وَيَحْمِلُ يَنْقُلُ حَتَّى سَرْنَا
هَوِيًّا ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ ، بَلَّغْنِي أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى طِيْهِ
الْسَّلَامِ « يَا مُوسَى مُرْ ظَلَمَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَقُولُوا مَنْ ذَكَرْنِي ، فَإِنِّي أَذْكَرُ مَنْ ذَكَرَنِي
مِنْهُمْ بِلَعْنَةٍ حَتَّى يَسْكُتَ » . وَيَحْكُ يَا أَحْمَدُ بَلَّغْنِي أَنَّهُ مِنْ حَجٍّ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ ثُمَّ لَبَّيْ ،
قال له تبارك وتعالى : لَا لِيْكَ وَلَا سَعْدَ بَيْتِكَ حَتَّى تَرُدَّ مَا فِي يَدَيْكَ ، فَمَا يَوْمُنَا أَنْ
يَقَالَ لَنَا ذَلِكَ . قال وقال أبو سليمان : يَحْيَاكَ وَأَنْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ الْخَيْرِ فَيُشِيرُكَ إِلَى
شَيْءٍ مِنْ الْخَيْرِ دُونَهُ لِيَرْبِّحَ عَلَيْكَ شَيْعِرَةً ، بِعْنِي إِبْلِيسَ .

- قال المسيح لأصحابه : يَحْيَى أَقُولُ لَكُمْ ، إِنْ مَنْ طَلَبَ الْفَرْدَوْسَ خَلِزُ الشَّعِيرَةَ
وَالنُّوْمُ فِي الْمَزَابِلِ مَعَ الْكَلَابِ كَثِيرٌ .

- مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبي هند عن مكحول قال :
كَا أَجْنَةٌ فِي بَطْنٍ أُمَهَاتَا فَسَقَطَ مِنْ سَقَطٍ وَكَأَ فَيْمَنْ بَقِيَ ، ثُمَّ كَا مَرَاضِعُ فَهَلَكَ مِنْهَا ^(١)

(١) وردت هذه الكلمة مرسومة في الأصل هكذا : « وإِنَّمَا كُنْتُ » . ومن المحتمل أن يكون
مواها « إِمَّا كُنْتُ » : عل أنها « إِنْ » الشرطية مدغمه في « مَا » الزائدة ، فكثيرا ما وقع « إِنَّمَا »

(٢) هويًا : ساعة من الليل . (٣) جمع مرضع (بفتح الصاد) أى رضيع .

من هلك وبقي من بقي، وكذا أيعاء، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شبانا، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخا لا أباء لك فلما تنتظر وما نريد! وهل بقيت حالة تنتقل إليها .

قال وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يميز ولا يفهم، فباتيه الله برزقه من قبل سرته، وغذاؤه في بطن أمه من دم حمضها، فمن ثم لا تمحيض الحامل، فإذا سقط استهل استهلاة إنكارا لمكانه، وقطعت سرته وحول الله رزقه إلى ثدي أمه ثم حوله إلى الشيء يصنع له ويتساوله بكفه، حتى إذا أشتت وعقل قال : أين لي بالرزق! يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي جحرها ترزق حتى إذا عقلت وشبهت قلت : هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق! ثم قرأ: ﴿يَسْأَلُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾.

١٠ عبيد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النضر الحارثي إذا لم يكن في صلاة استقبل القبلة، ففعدنا إليه بعد العصر فقال : بلغني أنه من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ألف مرة في دبر صلاة العصر، رفع له عمل نبي، ثم قال : قد أكثر الكلام .

وقال سعيد بن عمر الكندي دخل رجل على داود وهو يأكل خبزاً يابساً قد بله في الماء بيلع جريش، فقال له : كيف تشتهي هذا! قال : أدعته حتى أشتبهه .
١٥ ونحو هذا قول هشام بن عبد الملك لسالم : ما أدملك؟ قال : الزيت، قال : أما تأجحه؟ قال : إذا أججته تركته حتى أشتبهه . قال : وكان ماء داود في دث مقير^(٥) في الصيف

(١) في الأصل : «له» . (٢) جريش : لم يليب . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل به الخيزاي في مكان . (٤) تأجحه : تكفه وتمله . (٥) مقير : حطب باقار وهو شئ أسود تمل به السفن ، ويقال به الوقت .

والشتاء، فقال له بعض أصحابه : لو بردت الماء ! فقال داود : إذا أصبحت في مثل هذا اليوم ماءً بارداً فحقَّ تُحِبُّ الموت ! .

سعيد بن عمرو عن رجل قال : قال محمد بن واسع : لو كان للذنوب رِجٌّ ما جلس إلى منكم آثان . وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المسألُ إلا من أربع : سهم في فقه المسلمين ، أو عطية عن ظهريد ، أو إرث بكتاب الله ، أو تجارة من حلال ؛ ولا يُقتل مسلم إلا بهذه الخصال : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل فيقتل ، أو حارب الله ورسوله وقطع الطريق .

قال سليمان بن المغيرة سمعت ثابثاً يقول : وافقه لحمل الكارات أهون من العباداة . قال : ولا يُسمى الرجل عابداً وإن كانت فيه خصلةٌ من كل خير حتى يكون فيه الصوم والصلاة ، فإنهما من لحمه ودمه .

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حيان قال : كان عيسى بن عتبة يسجد حتى إن المصافير ليَقمن على ظهره ويقرأن ، ما يحسبته إلا جرماً حاطط .

حدثني محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال : شكأ أهل مكة إلى الفضيل القحط ، فقال : أمدبراً غير الله تريدون ! . قال : وسمعتك يقول : استخبروا الله ولا تخبروا عليه ، فكمن عبد تخير نفسه أمراً كان هلاكه فيه ! أما رأيتموه سال ربه طرسوس فأعطيتها فأسير فصار نصراً^(١) .

وحدثني أيضاً عن سعيد بن نصير قال قال وكيع : أبو يونس ، ومن أبو يونس ! بَكَى حتى عَمِيَ ، وطاف حتى أَقْبَدَ ، وصلى حتى حَلَبَ .

(١) طرسوس بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وكان الزهاد والصالحون يقصدونه لأنه من ثبور المسلمين ، استولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وتصر وقتل بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام ، وأقام قنصله على الجزية (انظر معجم البلدان في اسم طرسوس) .

حدثني محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصاري عن يَزِيدَ بن حَكِيم قال :
صَلَّى بَنَّا زُرَّارَةَ بن أَوْفَى النَّدَاةَ ، قَرَأَ الْإِمَامُ : ﴿ فَأَذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ
عَبِيدٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ، نَفَزَ مَشِيئاً عَلَيْهِ ، لِحَمْلَانِهِ مَيْتًا .

ابن أبي الحواري قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاة تُبَلِّغُكَ
نصف الطريق ، والصومُ يبلِّغُكَ بابَ الملك ، والصدقةُ تُدْخِلُكَ عَلَيْهِ .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوبَ فقال : رحمه الله — ثلاثا — لقد قِيمَ المدينةُ مرَّةً
وأنا بها ، فقلت : لأفدَّتْ لَهُ ، لَمْ يَأْتِ عَلَيْهِ بِسَقَطَةٍ ، فقام من القبر مقاماً ما ذكرته
قط إلا أقشعَ رَجُلِي .

روى أبْنُ عِيَّاشٍ عن سَعِيدِ بن أَبِي عَرُوبَةَ قال : حجَّ الحجاجُ فنزلَ بِبَعْضِ الْمِيَاهِ
ودعا بِالْقَدَّاءِ ، فقالَ لِحَاجِبِهِ : أَنْظِرْ مِنْ يَتَغَدَّى مَعِيَ وَأَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْأُمُورِ ؛
فَنظَرَ الْحَاجِبُ فَإِذَا هُوَ بِأَعْرَابِيٍّ يَنْتَحِلُ مِنْ شَعَرٍ نَائِمٍ ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ :
أَنْتَ الْأَمِيرُ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : اغْسِلْ يَدَكَ وَتَغَدَّ مَعِيَ ، قَالَ : إِنَّهُ دَعَانِي مَنْ
هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فَأَجَبْتَهُ ؛ [فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : مَنْ الَّذِي دَعَاكَ ؟] . قَالَ : اللَّهُ تَعَالَى دَعَانِي
إِلَى الصَّوْمِ فَصُمْتُ ؛ قَالَ : فِي هَذَا الْيَوْمِ الْحَازِ ! قَالَ : نَعَمْ صُمْتُ لِيَوْمٍ أَحْرَمْتُهُ ؛
قَالَ : فَأَطِيطْ وَنَصُومْ غَدًا ؛ قَالَ : إِنْ ضَمَنْتَ لِي الْبَقَاءَ إِلَى غَدٍ ؛ قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ
إِنِّي ؛ قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ! قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ ؛
قَالَ : إِنَّكَ لَمْ تُطَيِّبْهُ وَلَا انْتَجَبَازَ ، وَلَكِنْ طَيَّبْتَهُ الْمَافِيَةَ .

ونحو هذا حدث الأصمعي عن شبيب بن شيبه قال : تكافى طريق مكة بجفاء
أعرابي في يوم صائِفٍ شديدٍ الحرِّ ومعه جارية سوداء وحميفة ، فقال : أنيكم

كاتب ؟ قلنا : نعم ؛ وحضر غداؤنا فقلنا : له دخلت وأصبحت من الطعام ! قال :
إني صائم ؛ قلنا : في الحق وشده وجفاء البادية ! فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن
فيها ، وستكون ولا أكون فيها ، ولا أحب أن أغيب أيامي ، ثم نبذ إلينا الصحيفة ،
وقال : أكتب ولا تريدت على ما أقول حرفا : هذا ما أعتق عبدُ الله بن عقيل
الكلابي ، أعتق جارية له سوداء يقال لها لؤلؤة ، ابتاع وجه الله تعالى وجواز العقبة ،
وإنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء ، المنة لله عليها وعليه واحدة . قال الأصمعي :
فقدت بها الرشيد ، فأمر أن يُعتق عنه ألف تسمية أو مائة نسمة ، ويكتب لهم
هذا الكتاب .

قال خالد بن صفوان : بُتُّ أُمِّي لِبَنِي كُلِّهَا ، فَكَبَسْتُ الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ بِالذَّهَبِ
الْأَحْمَرِ ، فَإِذَا الَّذِي يَكْفِينِي مِنْ ذَلِكَ رَغِيفَانِ وَكُوزَانِ وَطِمْرَانِ !

رأى رجلٌ رجلا من ولَدِ مُعَاوِيَةَ يَعْمَلُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ ، فَقَالَ : هَذَا بَعْدَ مَا كُنْتُ
فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا ! فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَا قَدَدْنَا إِلَّا الْفُضُولَ .

سَمِعْتُ بَعْضَ الْعِبَادِ يَقُولُ : عَلَامَةُ التَّوْبَةِ الْخُرُوجُ مِنَ الْجَهْلِ ، وَالتَّمُّ عَلَى
الذَّنْبِ ، وَالتَّجَانِّي عَنْ الشَّهْوَةِ ، وَاعْتِقَادُ مَقْتِ نَفْسِكَ الْمُسَوَّلَةِ^(١) ، وَإِخْرَاجُ الْمُظْلَمَةِ ،
وإِصْلَاحُ الْكَثْرَةِ ، وَتَرْكُ الْكُذْبِ ، وَقَطْعُ اللَّغِيَةِ ، وَالْإِتِّهَانُ عَنْ خِذْنِ السُّوءِ .

لَبِّي زَاهِدٌ زَاهِدًا فَقَالَ لَهُ : يَا أُمِّي ، إِنْ لَأُحْبِكَ فِي اللَّهِ ؛ قَالَ الْآخَرُ :
لَوْ عَلِمْتُ مَنِّي مَا أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي لِأَبْغَضْتَنِي فِي اللَّهِ ؛ قَالَ لَهُ الْأَوَّلُ : لَوْ عَلِمْتُ مِنْكَ
مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ ، لَكُنْتُ لِي فِيهَا أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي شُغْلٌ عَنْ مُبْغَضِكَ .

(١) في الأصل : « المسوولة » .

كان الثوري مستخفياً بالبصرة، فورد عليه كلاب من أهله، وفيه : " قد بلغ بنا الجهد إلى أن تأخذ الثوري قرضه ثم تخلطه مع التبن فناكله "؛ فترك ذلك من قلبه، ورمى بالكلب إلى أخ له ؛ فقرأه فسمعت عينه، ثم قال : يا أبا عبد الله، لو أنك حدثت الناس أقسمت وأتبع هؤلاء ! فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : إسمع حديثاً أحدثك به ثم لا أكلمك بعده سنة : رُئِيَ نُورٌ فِي الْجَنَّةِ تَجَسَّدُ ، فقيل : ما هذا النور ؟ فقيل : حَوْرَاهُ مَحْبُوكٌ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا فَبَدَتْ شَإِهَا ؛ فَرَى لِي أَنْ أَغْرَرَ بِتِلْكَ وَأَصِيرَ إِلَى مَا تَقُول !

أراد قومٌ سفرًا فخادوا عن الطريق وَاَتَهَوْا إِلَى رَاهِبٍ مُتَفَرِّدٍ فِي نَاحِيَةٍ ، فَادَّعَاهُ فَاشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا قَدْ ضَلَلْنَا فَكَيْفَ الطَّرِيقُ ؟ قَالَ لَهُمْ : هَا هُنَا ، وَأَوْمَأَ إِلَى السَّيَاءِ ، فَهَبُوا الَّذِي أَرَادَ ، فَقَالُوا : إِنَّا سَأَلُوكَ ، أَفْتَجِيبُهَا أَنْتَ ؟ قَالَ : سَلُوا وَلَا تُكْثِرُوا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنَ يَرْجِعَ ، وَالْعَمْرَلَنَ يَمُودُ وَالطَّالِبَ حَتِّثُ فِي طَلْبِهِ ذَوِ اجْتِهَادٍ ؛ قَالُوا : مَا الْخَلْقُ عَلَيْهِ غَضًا عِنْدَ مَلِكِهِمْ ؟ فَقَالَ : عَلَى نِيَّاتِهِمْ ؛ فَقَالُوا : فَلَا لَمَ الْموثُلُ ؟ قَالَ : إِلَى الْمُقَدَّمِ ؛ قَالُوا : أَوْصِنَا ؛ قَالَ : تَزَوَّدُوا عَلَى قَدَرِ سَفَرِكُمْ ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا بَلَغَ الْحَلَّ ؛ ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ إِلَى الْمَجْمَعِ وَاقْعَمَ ^(١) .

وقال آخر : قلت لراهب : عَظَمَةُ نَافِثَةٍ ؛ فَقَالَ : جَمِيعُ الْمَوَاعِظِ مُنْتَظِمَةٌ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ ؛ قُلْتُ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجَمُّعُ عَلَى طَاعَتِهِ ، فَإِنَّا أَنْتَ قَدْ حَوَّيْتَ الْمَوَاعِظَ وَالْأَذْكَارَ .

الأصمعي : قيل لأعرابيٍّ مَعَهُ مَاشِيَةٌ : لِمَنِ هَذِهِ الْمَاشِيَةُ ؟ قَالَ : لِقَدِّ عَيْنِي .

كان ابن السكك يقول في كلامه : لقد أمهلكم حتى كأنه أمهلكم ، أما تستحيون من الله من طول ما لا تستحيون !

(١) اقنع المرء : جلس وحده .

قال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فإن قصر بكم ضعف فكفوا
عن المعاصي .

كان مالك بن دينار يقول في قصصه : ما أشدَّ فطام الكبير ! وينشد :
وتروض عزمك بعد ما هزمت * ومن العناء رياضة المقيم

• كان امرأبى يسرق الإبل يُسمى يزيد، ثم تاب وقال :
ألا قل لُعيان الخائض أهملوا * فقد تاب مما تملسون يزيد
وإن امرأ ينجون النار بعد ما * تزود من أعمالها لسعيد
وقال نصيب الأسدي :

كنى تطلقاً بالمرء^(١) يا أم صالح * ركوب المعاصي عامداً واحتقارها

• كان خالد بن معدان يقول :
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً * ندمت على التفريط في زمن البذر
قال منصور بن عمار : ما أرى إساءة تكبر عن عفو الله فلا تأيس ، وربما
أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

وروى وكيع عن إبراهيم بن اسماعيل عن عتبة بن سفيان عن مسيكة عن
عائشة رضى الله عنها أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة فيها خبز شعير
وقطعة من الكرش ، فقالت : يا رسول الله ، ذبحنا اليوم شاة فما أمسكتا منها إلا هذا ؛
قال : « بل كلها أمسكنم إلا هذا » .

(١) في اللسان (مادة هـ) : « لعيان الأبر » .

(٢) التطف (بالحر ك) : اليب .

استقبل عامر بن عبد قيس رجلاً في يوم حلبة، فقال : من سبق يا شيخ ؟
 فقال : المتزبون . وأتى به عثمان وأقصده في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً يطلا
 في عبادة ، فأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابي أين ربك ؟ قال : بالمريصاد .

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : ما بالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمّرتُم
 الدنيا وأخرتُم الآخرة ، فأنتم تكهون أن تنقلوا من العُمران إلى الخراب .
 قال الحسن : نعم الله أكثر من أن تُسكّر إلا ما أعان عليه ، وذُنوبُ ابن آدم
 أكثر من أن يُسَلَّم منها إلا ما عفا الله عنه .

وقال الحسن : تتفق دينك في شهوتك سرّاً ، وتنتع في حق الله درهما ، ستعلم
 بالصّح .

خرج المسيح من بيت مُوسى ، فقيل له : يارُوحَ الله ، ما تصنع عند هذه ؟
 فقال : إنما يأتي الطيب إلى الرضى . ومرّ بقوم شتموه فقال خيراً ، ومرّ بآخرين
 شتموه فقال خيراً ، فقال رجل من الحواريين : كلما زادوك شراً زدت خيراً ، كأنك
 تُفريهم بنفسك ! فقال : كل إنسان يُعطى مما عنده .

أخبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعد الله للذنين ، فقال سليمان : فأين
 رحمة الله ؟ قال : قريبٌ من المحسنيين .

قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عطني ، فقال : لا أرضى نعمي لك ،
 إني لأصلّي بين الغنى والفقر ، فأبيل على الفقير وأوسع للغنى .

نظرت امرأةٌ إلى أخرى وحوّلها عشرةً من ولدها كأنهم الصقور ، فقالت :
 لقد ولدتُ أممكم حزناً طويلاً .

(١) كما بالأصل . وفي البيان والبيان (ج ٣ ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٣٣٢ هـ) : « أعرابيا
 أشقى في بيت » .

أُحْضِرْتَنِي كَانَ فِيهِ زَهْوٌ ، فَرَقَعَ رَأْسَهُ فُلْذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يُبْكِيكَ ؟
قَالَا : الْخَوْفُ عَلَيْكَ لِإِسْرَافِكَ عَلَى نَفْسِكَ ؛ فَقَالَ : لَا تَبْكِيَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ الَّذِي
يَبْدُ اللَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ بِأَيْدِيكَ .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يَا بَنَ آدَمَ لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي
لَمْ يَأْتِ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، فَإِنَّ يَوْمَكَ مِنْ أَجْلِكَ يَأْتِي فِيهِ رِزْقُكَ ، وَأَمْلُ أَنْتَ
لَا تَكْسِبُ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا فَوْقَ قُوَّتِكَ إِلَّا كُنْتَ فِيهِ خَازِنًا لِلْفَيْزِ . قَالَ النَّابِغَةُ
فِي نَحْوِهِ :

وَلَسْتُ بِجَابِسٍ لِنَسِيدِ طَعَامًا * حَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدِيدِ طَعَامٍ

تَذَاكَرُ حُدَيْفَةَ وَسَلْمَانَ أَمَرَ الدَّيْنِيَا ، فَقَالَ سَلْمَانُ : وَمَنْ أَعْجَبَ مَا تَذَاكَرْنَا
صَعُودُ غُنَيَاتِ النَّامِدِيِّ سِرِّرَ كَسْرِي ، وَكَانَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ ظَاغِدٍ يَرْتَحِي شُوبَهَاتٍ لَهُ ،
فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ صَبَّرَهَا إِلَى عَرَصَةِ إِيوَانَ كَسْرِي ، وَفِي الْعَرَصَةِ سِرْرُ رُخَامٍ كَانَ يَجْلِسُ
عَلَيْهِ كَسْرِي ، فَتَصْعَدُ غُنَيَاتِ النَّامِدِيِّ إِلَى ذَلِكَ السَّرِيرِ .

دخل أبو حازم المسجد فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ : إِنَّكَ قَدْ أَحْدَثْتَ بَعْدَ وُضُوئِكَ ،
فَقَالَ : وَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِنْ نَفْسِكَ ! .

قال الزبير : يَكْفِينَا مِنْ خُضْمِكَ الْقَضَمُ ، وَمِنْ نَصَبِكَ الْعَتَقُ . قَالَ رَجُلٌ لَأَمِّ الدَّرْدَاءِ :
إِنِّي لِأَجِدُ فِي قَلْبِي دَاءً لَا أَجِدُ لَهُ دَوَاءً ، أَجِدُ قَسْوَةً شَدِيدَةً وَأَمَلًا بَعِيدًا ؛ قَالَتْ :
إِطْلُعْ فِي الْقُبُورِ وَأَشْهَدْ الْمَوْتَ .

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأخراس . والنضم : الأكل بأطراف الأسنان . والعق (بالتحريك) :
سير سبيل أو نسيج واسع للإبل . والنص : استقصاء ما عند الدابة من السير . يريد أن يقول : يَكْفِينَا
مَنْكَ الْقَلِيلُ بِدَلِّ الْكَثِيرِ .

قيل للربيع بن خَيم : لو أرحمت نفسك ! قال : راحتها أريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتاباً أنه معذبٌ رجلاً واحداً خلِفتُ أن أكونه ، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبٌ لا محالة ما أزددتُ إلا اجتهداً لئلا أرجعَ على نفسي بلاءة .

أثنى قومٌ على عوف بن أبي جميلة ، فقال لهم : دَعُونَا من النساء ، وأمِدُونَا باللهاء .

قيل لبعض العباد : مَنْ شَرُّ الناس ؟ قال : من لا يُبالي أن يراه الناسُ مسيئاً .

قال المسور بن مخرمة : لقد وارت الأرضُ أقواما لو رأوني معكم لاستحييتُ منهم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : عجبتُ لمن يَهْلِك والنجاةُ معه ؛ قيل : وما هي ؟ قال : الاستغفار .

كان فتى يُمالسُ سُفْيَانَ الثوريَّ ولا يتكلمُ ، وكان سُفْيَانُ يحب أن يتكلمَ لِيَسْمَعَ كلامه ، فزبه يوماً فقال له : يا فتى ، إن مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مَرُّوا على خيلٍ وبقينا على حميرٍ دَرَّةٍ ؛ فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إن كنا على الطريق فما أسرعَ لحُقُوقِنَا بالقوم !

قال الحسن : إن خَفَقَ النعالُ خلفَ الرجالِ قَلَّ مَا تَلَبَّثَ الحمقى . وذكرَ عنده الذين يَلْبَسُونَ الصوفَ ، فقال : ما لهم تفاقدا ! — ثلاثاً — أَكثَرُوا الكِبَرِ في قلوبهم وأظهروا التواضعَ في لباسهم ، والله لأحدهم أشدُّ عُجْباً بِكسائه من صاحبِ المطرَقِ بمطرقه . ودخلَ عليه رجلٌ فوجدَ عنده رِيحٌ قَدْرَ طِيَّةٍ ، فقال : يا أبا سعيد ، إِنَّ قِدْرَكَ لَطِيَّةٌ ؛ قال : نعم لا رغبى مالكَ وحمهنا فرقد .

٢٠ (١) تفاقدا : دعا عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً . (٢) كذا بالأصل والخطى فيروا من .

طُلب أبو قلابة للقضاء فطُح بالشام هرباً، فأقام حيناً ثم قَدم البصرة؛ قال
أيوب فقلت له : لو أنك وَلِيتَ القضاء وَعَدَلْتَ بين الناس رَجَوْتُ لك في ذلك
أجراً؛ قال لي : يا أيوب، إذا وَقَعَ الساج في البحر فكم عسى أن يَسْبَحَ !

قالت امرأة أبي حازم يوماً له : يا أبا حازم، هذا الشتاء قد عَمَّ ولا بد لنا مما
يُصلحنا فيه، فذكرت الثياب والطعام والحطب؛ فقال : من هذا كله بُذِّ، ولكن
خُذْ ما لا بد منه : الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار.

قال أبو العتاهية :

أَطِيعَ اللَّهَ يُجْهِدِكَ • عَامِدًا أودون جَهْدِكَ

أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَطُ • لِمَنْ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكَ

وقال أيضا :

أرى أَنَا سَاءَ بَادِي الدِّينِ قَدْ قَتَعُوا • وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعِيشِ بِالْدُّنَى

فَأَسْتَغْنِي بِالْدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا أَنَا • خَفِيَ الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

وقال محمد بن حازم :

مَا الْفَقْرُ طَارَ وَلَا الْغِنَى شَرُفُ • وَلَا تَخَفُ فِي طَاعَةِ سَرَفُ

مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ • وَكُلُّ شَيْءٍ آخَرْتَهُ تَلَفُ

تَرَكُّكَ مَا لَا لَوَارِثَ يَتْبَهُ مِنْهُ • وَتَصَلَّى بِحِزِّهِ أَشَفُ

وقال أبو العتاهية :

إِلَّا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ • وَجَبَّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذِّلُّ وَالنَّدَمُ

وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقَى قَصِيصَةٌ • إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَالَكَ أَوْحَشِمُ

قال علي بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين .
 قيل لأبن سيرين : ما أشد الورع ! قال : ما أيسره ! إذا شككت في شيء فدعه .
 قال رجل لحذيفة : أخشى أن أكون منافقا ؛ فقال : لو كنت منافقا لم تخش .
 وقال محمود الوراق :

يا ناظراً يرئو بعيني واقيد * ومُشاهداً للأمر غير مشاهد
 تصل الذنوب إلى الذنوب وترتبي * درك الجنان بها وفوز العابد
 ونسيت أن الله أخرج آدم * منها إلى الدنيا بذنب واحد
 وقال وضاح اليمن :

مالك وضاح دائم النزيل * ألسن تخفى تقارب الأجل
 يا موت ما إن ترأى معتزلاً * لآمل دور منتهى الأمل
 تنال كفاك ككل مُسيلة * وحوت بحير ومغفل الويل
 صل لدى العرش واتخذ قدماً * تُحبيك بعد العثار والزلل
 قيل ليوسف عليه السلام : مالك تجوع وأنت على خزان الأرض ؟ قال :

أخاف أن أشبع فأنتى الجائع .

وقال أمية بن أبي الصلت :

هما طريقان فائز دخل الـ * جنة حق به حدائقها
 وفرقة في الجحيم مع فرق الشيطان يشقى بها مرافقها
 تعرف هذا القلوب حقاً إذا * همت بخير فاعواقها
 وصلتها للشقاء عن طلب الـ * جنة دنيا والله ما حقها

(١) لم يوجد في الأصل من هذا الشطر إلا كلمة « الأمل » وقد أئتمنا عن الأغاني في ترجمة

وضاح اليمن .

عَبْدٌ دَعَا نَفْسَهُ فَعَانِيَهَا * يَعْلَمُ أَنَّ الْبَصِيرَ رَامَتْهَا
إِقْتَرَبَ الْوَعْدَ وَالْقُلُوبَ إِلَى اللَّهِ وَوَحِبَّ الْحَيَاةِ سَأَلَتْهَا
مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِي الْبَقَاءِ وَأَنَّ * نَحْيًا قَلِيلًا وَالْمَوْتُ لَأَحْفَى
أَمَامَهَا قَائِدٌ إِلَيْهِ وَيَحْ * لَمَوْهَا حَيْثُ إِلَى سَأَلَتْهَا
قَدْ أَقْبَعَتْ أَنَّهَا تَصِيرُ كَمَا * كَانَ يَرَاهَا بِالْأُمْسِ خَالَتْهَا
وَأَنَّ مَا جَمَعَتْ وَأَعْجَبَهَا * مِنْ عَيْشَةٍ مُرَّةٍ مُفَارِقَتْهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا * لَلْوَيْ كَأْسُ وَالْمَرْءُ ذَاتُهَا

قال بعض الزهاد : إن صفاء الزهد في الدنيا وكآله ألا تأخذ من الدنيا شيئاً ولا
تتركه إلا لله ، فإذا كنت كذلك كان أخذك تركاً ومعاملتك لله فيها ربحاً ، وإن صفاء
الرغبة في الدنيا وكآلهما ألا تأخذ منها شيئاً ولا تتركه إلا لها ، فإذا كنت كذلك كان
تركك أخذاً وفوت ما فات عليك منها حسرة .

حبس بعض الملوك رجلاً ثم غفل عنه إلى أن مضى عليه زمان ؛ فقال للوكّل
به : قل له : إن كل يوم يمضي من نعمتك يمضي من بؤسى ، والأمر قريب ،
والحكم الله عز وجل . والسلام .

(١) يقال : مات عبطة إذا مات شاباً صحيحاً .

جاء في آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله،
ويتلوه في الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله زب العالمين، وصلاةً وسلاماً
على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسة .

يوجد في النسخة الفتوغرافية عقب هذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع
شعرية وثورية في نحو ست صفحات متقول جلها عن العقد ، وليست من تأليف
ابن قتيبة .

Bibliothèque Alexandrina



0587936